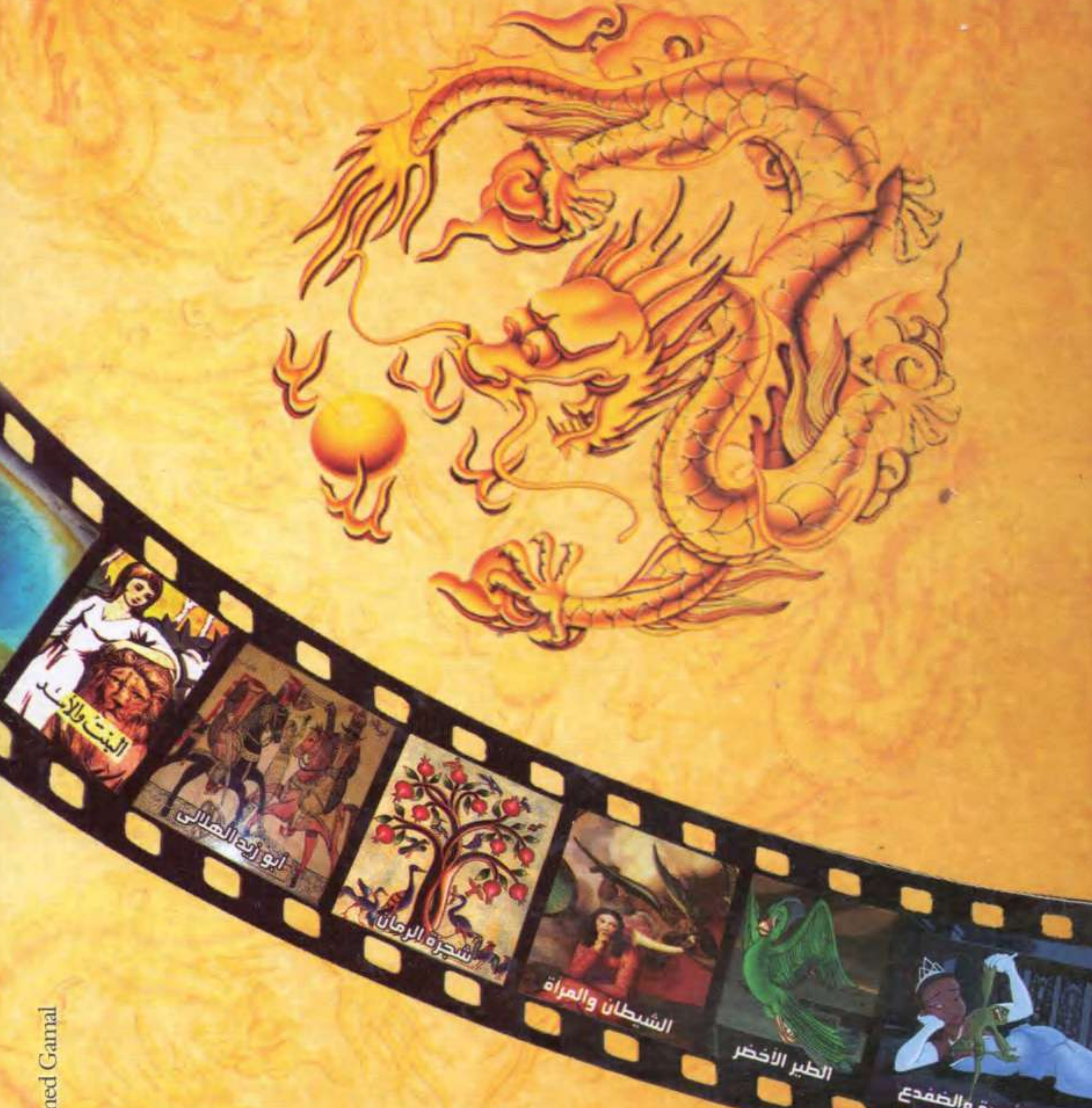
الموسوعة العالمية للأساطير الشعبية



تأليف
سعد رفعت

فنون

دار اليقين للنشر والتوزيع



يطلب من مكتبة
دار المعرفة للنشر والتوزيع
القاهرة - خلف الجامع الأزهر - حارة البيطار
ت: ٠١٠٨٥٨٤٨٢٠ - ٠١٢٨٩٣١٥٩٣

6 222011 599654



مَوْسُوعَة الأَسَاطِيرِ الشَّعْبِيَةِ

تأليف

سعد رفعت

دار اليقين
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع : ٢٢١٣٩/ ٢٠١٠

الترقيم الدولي : ٠ – ٤٤٣ – ٣٣٦ – ٩٩٧ - ٩٧٨

دار اليقين للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

المنصورة : شارع عبد السلام عارف الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف ص . ب ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١

هاتف : ٠٥٠٢٢٥٥٢٤١ جوال :٠١٠١٥٧٥٨٥٢ البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com

المكتبة : مساكن الشناوي - سور مسجد التوحيد - هاتف ٠٥٠٢٢١١٠٠٣



إهداء

□ إلى من أضُمهم إلى قلبي فأمتلك العالم.

□ أصحاب القلوب العامرة بالصدق والعيون الشقية.

□ الشمس التي أشرقت لتضيء ليَّ الطريق.

□ إلى من جعلوني أعرف طعم الحياة.

□ إلى من قالوا نعلم!

□ عندما قلت لكل واحد منهم أحبك.

□ إلى أزهار عمري ومسرة قلبي.. أولادي.

□ وإلى زوجتي.. أم أولادي رحلة العمر وآماله.

□ إلى القلب النابض بالحياة.

□ إلى الأمومة!

□ أهدى هذا الكتاب.

المؤلف سعد رفعت راجح

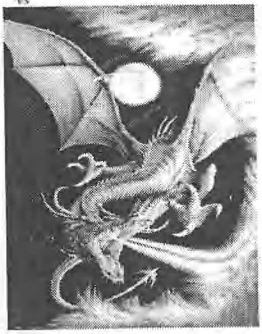
Email: saadsaadr@yahoo. com

Saadr. maktoobblog. com

٠١٢٥١٢٣٨٧١



مُقدِّمة



الأساطير هي أحلام البشر، غريبة بكل ما في الكلمة من معنى، مألوفة بشكل أخاذ لا ينسى، تروي البدايات والنهايات، الخلق والدمار، الحياة والموت، كما تفسر تساؤلات: كيف؟! ولماذا؟! المتعلقة بالحياة. واشتقت كلمة أسطورة (myth) من الكلمة اليونانية (muthos) التي تعني خرافة.

وغالبًا ما نطلق كلمة (أسطورة) على كل شيء غير حقيقي، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم إيماننا بتلك القصص القديمة، في حين اعتقد الناس قديمًا اعتقادًا راسخًا في تلك الأساطير. وقد نتساءل سويًا: لماذا ندرس الأساطير؟!

- ندرس الأساطير؛ لأن لها تأثيرًا عميقًا على جميع الآداب، فقلما نستطيع فهم شكسبير أو ملتون أو كيتس أو لويل دون أن نلم بأساطير الأغارقة والرومان.

- ندرس الأساطير؛ لأن لها تأثيرًا قويًا على الفنون الأخرى.

- ندرس الأساطير؛ لأنها حلقة اتصال هامة بالماضي، فهي المصدر الوحيد غالبًا عن الكيفية التي نظر بها أسلافنا الأقدمون إلى العالم حولهم، وكيف فسروا ظواهره العديدة. ولأهمية هذه الأساطير كان هذا الكتاب (أساطير شعبية)... الذي ستتعرف من خلاله على الأساطير العربية والعالمية والحكايات السحرية المثيرة، والتي أمتعتنا لعدة قرون، والتي علمتنا الصواب من الخطأ، وكشفت لنا الكثير من الأمور الغامضة في العالم، وما تجدر الإشارة إليه أنه تم إعادة صياغة هذه الأساطير والحكايات بأسلوب شيّق سهل، وعزمت وبالله التوفيق أن يتضمن الكتاب على ألف أسطورة ليكون كنزًا للدارس والمتخصص ومحبي الاطلاع على هذا الفن من فنون الأدب، ومادة دسمة للمؤلفين والمنتجين والمخرجين لإنتاج الحلقات التلفازية الشيقة للأطفال والكبار على حد سواء بهدف التسلية وتنمية الخيال العلمي لدي الناشئة، والسياحة في عالم الأساطير الأكثر رحابة في خياله الثر، ولقد بذلت مجهودا ضخمًا لجمع هذه الأساطير وإعادة صياغتها، لتصبح وجبة ثقافية سهلة الهضم يقبل عليها المتلقي بحب وشغف ونهم فلا يترك الكتاب إلا وقد أتي على مابين دفتيه.

المؤلف سعد رفعت راجح

المياسرة: ٢٠٠٩٧٧م

فصل تمهيدي

الأسطورة وعلم الأساطير:

الأسطورة لغة: كل ما يسطر أو يكتب، والجمع أساطير. وفي المعجم: «الأساطير: الأباطيل والأكاذيب، والأحاديث التي لا ناظم لها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون: ٨٣].

والأسطورة (myth) في مفهومها الحديث مصطلح جامع ذو دلالات خاصة يطلق على أنواع من القصص أو الحكايات المجهولة المنشأ ولها علاقة بالتراث أو الدين أو الأحداث التاريخية، وتعد من المسلمات من غير محاولة إثبات، أو هي تصور متخيل عن نشأة أوائل المجتمعات والمعارف في صيغة قصصية شفاهية، وقد تكون الغاية من الأسطورة تفسير بعض العادات أو المعتقدات أو الظواهر الطبيعية، وخاصة ما يتصل منها بالشعائر والرموز الدينية والتقاليد في مجتمع ما.

والأساطير قصص خاصة تروى عن الآلهة أو عن كائنات بشرية متفوقة، أو عن حوادث خارقة وخارجة عن المألوف في أزمان غابرة، وقد تتحدث عن تجارب متخيلة للإنسان المعاصر بغض النظر عن إمكان حدوثها أو تسويغها بالبراهين. فالأسطورة تطرح نفسها على أنها جديرة بالثقة، وأنها تسجيل لواقعة أو وقائع حدثت وإن شذت عن المألوف، أو أنها أمر واقع، ولكنه خارج عن المنطق والمعقول القابلين للمناقشة والبرهان، وقد درج الناس عامة على أن الأسطورة تحكي أحداثًا خارقة يستحيل إثباتها، وجعلوها على هذا النحو مرادفة للخرافة والحكاية.

أما الميثولوجية (mythology) التي اصطلح على ترجمتها إلى «علم الأساطير» فمصطلح معرب عن اليونانية، ويطلق على العلم الذي يعنى بدراسة منشأ الأسطورة وتطورها، وبدراسة أساطير الشعوب والعلاقات المتبادلة بين هذه الأساطير، كما يطلق المصطلح على مجموعة الأساطير التي تختص بالتراث الديني فقط.

مكانة الأسطورة ومغزاها:

تحتل الأسطورة حيزًا مهمًا من تراث الإنسانية ومجتمعاتها كافة، ولا يخلو مجتمع أو حضارة من أساطير ترتبط بتراثها جنبًا إلى جنب مع الأشكال الأدبية والفنية الأولى التي تميز ثقافة ذلك المجتمع كالحكايا والخرافات وقصص التراث والسير الشعبية والموضوعات الفنية المختلفة. ولما كانت موضوعات الأساطير وشخصياتها وأساليب روايتها كثيرة ومتنوعة فمن الصعب إعطاء حكم عام عن طبيعتها. وتدل تفاصيل الأساطير عامة على الكيفية التي يصور فيها شعب ما ثقافته وحضارته، وتأتي دراسة الأساطير على هذا النحو في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد دراسة اللغة والفنون والفلسفة والعلوم عند الشعوب.

ويختلف الفلاسفة من جهة، والعلماء المعنيون بالتراث الشعبي من جهة ثانية في نظرتهم إلى عالم الأساطير، فالفلاسفة يؤكدون أن الأسطورة عامل مشترك في الفكر الإنساني، في حين يؤكد علماء التراث والاجتماع أن الأساطير تتنوع وتختلف من مجتمع إلى آخر، وبين الطرفين بون كبير ومجال واسع لمختلف التفسيرات، وقد بذلت جهودًا كثيرة لسبر أغوار المعاني الخفية التي تنطوي عليها الأساطير والغاية منها ومدى تأثيرها في المجتمعات، وما تزال الأساطير دعامة فكرية يستند إليها الدارسون عند بحثهم في شتى فروع المعرفة، وثمة باحثون كثر يرون أن الأسطورة تحكي تاريخًا مقدسًا، أو أنها ظاهرة لا يمكن تفسيرها من دون ربط بمقولة الدين، أي لا يمكن تفسيرها حرفيًا أو اجتماعيًا أو نفسيًا أو اقتصاديًا فقط، ويقود هذا الاتجاه إلى التفريق الكامل بين الأسطورة وغيرها من الأنواع الأدبية التراثية والنصوص غير المقدسة، ويميل آخرون إلى التعامل مع الأسطورة على أساس النظرة العامة إلى الإنسان التي قد تكون بيولوجية أو نفسية أو غير ذلك، وهذا ما يضع الأسطورة في مرتبة واحدة مع الحكايا والقصص والروايات وغيرها، ومهما تكن النظرة التي يختارها المرء لرسم الأسطورة فإنه قد يفيد من الموازنة بينها وبين غيرها من أنواع التراث غير المكتوب.

تُفسر أكثر الأساطير على أنها من فعل قوى خارقة يلمح إليها تلميحًا من دون ذكرها صراحة، وهي تنسب الوقائع إلى أمور تخرج عن مألوف العالم الطبيعي، ولكنها ترتكز إليه في إطار متكامل يجمع بين الحقائق والأمور الخارقة فتبدو متسقة تمام الاتساق.

أما الإطار الزمني الذي تنسب إليه حوادث الأسطورة فمختلف تمامًا عن الزمن التاريخي للتجربة الإنسانية، ويعود في غالب الحالات إلى سالف العصر والأوان، وأما أبطال

الأسطورة فمن الآلهة المزعومين أو الكائنات العليا الخارقة أو أوائل البشر والحيوانات والنباتات أو الرجال العظام المتميزين الذين أضفيت عليهم صفات استثنائية. وقد تشترك بعض الأجناس الأدبية الأخرى مع الأسطورة في أحد هذه الملامح أو في أكثر من ملمح، ولكنها ليست من الأساطير، كالقصص والحكايات والخرافات وحكايا الجن والملاحم وقصص البطولة وغيرها.

الأسطورة والحكاية



سيفا ترقص على جثة الشيطان
بعد دمار العالم ونشوره

الحكاية لغة: نقل الحديث ووصف الخبر إطلاقًا من غير تحديد، والجمع حكايا وحكايات. ولكن الحكاية اكتسبت مع الزمن معنى خاصًا فصارت تعني قصة مسموعة أو مقروءة تروى في إطار محدد من الزمان والمكان بأسلوب يحاكي الأسطورة. وتتنوع الحكايات وتختلف باختلاف مغزاها وموضوعها وزمانها ومكانها ودورها في المجتمع الذي اختص بها. فحكايا العلة أو السبب etiolgical tales قريبة الشبه بالأسطورة، وهي حكايات تختص بتفسير الأسباب والعلل والبدايات فتشرح أصل عادة أو تقليد أو ظاهرة ما كأصل العالم أو بدايات البشر أو سبب انتشار الحكمة كما ترويه بعض الحكايا الإفريقية. ويرى كارل كيريني Carl Kerenyi أن القصد من مصطلح «العلة» المقابل لكلمة aitia اليونانية الأصل لا يقتصر على شرح السبب، بل يتعداه إلى إيضاح الأحوال الأولية التي أحاطت به. فالعلة في المفهوم الحديث تشرح البدايات، التي ينتج منها كل شيء، وقد يبدو استعمال هذا المصطلح غامضًا لكنه لا يطمس الفارق بين حكاية العلة والأسطورة. فحكاية العلة تكون غالبًا لتفسير بعض الغوامض أو لمجرد التسلية، وكثيرًا ما تكون إضافة متأخرة إلى الأسطورة أو زيادة عليها، ولكنها ليست ملازمة لها بالضرورة. ففي الأساطير الهندية مثلًا حكاية تتحدث عن سبب تلون رقبة الإله «سيفا» باللون الأزرق، وهي توضح كيف يتم الانتقال من الأسطورة إلى حكاية العلة والفارق بينهما، والراجح أن الرواية الأولى لأسطورة «سيفا» كانت تتحدث عن

بداية الخلق، وفيها يشرب سيفا السم القاتل من أجل إنقاذ العالم، وتأتي بعدها حكاية تلون عنق الإله بالزرقة نتيجة شربه السم متأخرة في الروايات اللاحقة. وحين يحدث هذا الانتقال في القصص الأسطورية فإنه يخضع لتبديل وتعديل كبيرين لميل حكايا العلة إلى الترفيه وإثارة الاهتمام، ومع ذلك تبقى حكايا العلة مَعْلمًا من معالم الأسطورة أو جزءًا منها، ولكنها لا تنافسها في دعوى الحقيقة.

أما حكايا الجن fairy tales فتتحدث عن كائنات خارقة وحوادث غير مألوفة أبطالها كائنات من هذا القبيل، وهي تحاكي الأساطير من بعض الأوجه وتختلف عنها اختلافًا بينًا من أو جه أخرى، والزمن الذي تتحدث عنه هذه الحكايا هو زمن التجربة الإنسانية، وهي تستهل عادة بعبارة «كان يا ما كان» أو «في أحد الأيام». وليس لحكايا الجن أثر تعليمي أو تربوي ولو اشتملت في بعض الأحيان على فوائد أخلاقية. ومثلها في ذلك الحكايا الشعبية التي تتحدث عن أشخاص أو حوادث يشوبها بعض الحقائق، ولكنها تميز من الأسطورة بكونها تروى للتسلية والترفيه مع أنها قد تشتمل على معجزات وكرامات وحوادث خارقة، أو تتحدث عن شخصيات حقيقية منحت صفات ورد ذكرها في التراث الأسطوري كالسحرة والعرَّافين والغيلان والمذؤوبين والعمالقة وغيرهم.

الأسطورة والخرافة:

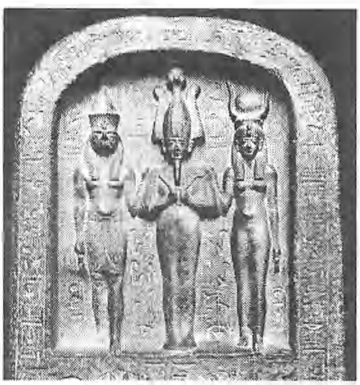
الخرافة لغة: الحديث المستملح الكاذب، أو الحديث الباطل مطلقًا، وبها سمي «خرافة»، وهو رجل من بني عذرة استهوته الجن كما تزعم العرب، فلما رجع أخبر بما رأى منها فكذبوه، حتى قالوا: لما لا يُصدّق «حديث خرافة»، وذهبت مثلًا، فإذا أُضيفت الألف واللام إلى الاسم صارت مصدرًا، وهي الحكاية التي لا صحة لها، وتقابلها كلمة «فابولا» fabula باللاتينية وكلمة «موثوس» muthos اليونانية ومعناها الأحدوثة أو الحكاية، ثم غدت تستعمل للإشارة إلى القصة المختلقة، وهي بعيدة عن الأسطورة التي تنطوي على حقائق لا يمكن إثبات صحتها.

الأسطورة والملحمة وسير الأبطال والقديسون وأصحاب الكرامات، الملاحم epics وقصص البطولة sagas وسير الأبطال legends حكايات تدعي الحقيقة وتروي أحداثها نثرًا أو شعرًا بأسلوب قصصي يصعب إسناده إلى مؤلف معين، وهي تشتمل على بعض الحقائق التاريخية وبعض الأمور الخارقة التي لم يألفها الناس مثل: سير القديسين، وسير عنترة، والزير

سالم وذات الهمة، وهي تبدو من هذه الناحية شديدة الشبه بالأسطورة إلا أن زمن الفعل فيها ومكانه محددان وليسا مطلقين كما في الخرافة وحكايا الجن، أما البطل في هذه القصص فمن الأجداد العظام أو الأولياء وأصحاب الكرامات والقديسين، أو من ذوي الحلم والشجاعة الذين يقومون بأعمال تفوق قدرة البشر العاديين، ويتحلون بأخلاق حميدة وخصال فريدة لا تتوافر لأكثر الناس. وقد يكون في هذا النوع من القصص دور لكائن خارق أو ملاك حارس يساعد البطل وينقذه في ساعة الشدة أو يهيئ له سبل النجاح، كما في سيرة سيف بن ذي يزن. وربما كان ذلك الكائن شخصية أسطورية مشهورة يعرفها القارئ أو المستمع، فتختلط السيرة بالأسطورة وتنتحل صفتها وواقعيتها واعتراف المجتمع بها.

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأنواع الأدبية التي تحاكي الأسطورة أو تتلبس بها حددتها وجهات نظر علمية غربية، وقد تخلو منها أو من بعضها أنواع التراث الأخرى عند الشعوب المختلفة، سواء كانت تلك الشعوب بدائية أو متقدمة في مدارج الحضارة. وفي التراث العربي تمييز واضح بين الأسطورة والخرافة والحكاية والسيرة التي يتناقلها الرواة و«الحكواتية».

وظيفة الأسطورة:



الشخصيات الأساسية في الأسطورة المصرية:
أوزوريس القاضي إله الخصوبة والموتى
وزوجته ايزيس إلهة الخصوبة
وابنهما حورس برأس الصقر وهو إله النور

للأسطورة وظائف كثيرة ومتنوعة تحددها الغاية منها. وفي مقدمة هذه الوظائف الشرح والتفسير والإخبار؛ إذ تهدف أكثر الأساطير إلى تفسير الظاهرات الطبيعية والاجتماعية والثقافية والبيئية في مجتمع ما وخاصة المجتمعات البدائية. ولا يعني ذلك أن كل الأساطير تحاكي حكايا العلة، ولكن هذه الوظيفة تحتل مكانة مهمة في التراث الإنساني؛ لأنها تساعد على فهم الأسس التي قامت عليها الأسطورة.

ومن وظائف الأسطورة الأخرى التسويغ والبرهان، فهي تجيب عن الأسئلة التي لها علاقة بطبيعة شعيرة من الشعائر التي يمارسها المجتمع أو عادة من العادات التي تسود فيه، ففي جزيرة سيرام في إندونيسية أسطورة تتحدث عن الحياة والموت كما عرفها الإنسان. وتزعم الأسطورة أن الإنسان لم يكن يعرف في البدء معنى الحياة والموت والجنس، ولم تكن

حياته إنسانية على النحو المعروف، ولم تكن هناك حيوانات أو نباتات حتى ظهرت «هينويل» Hainowele، وهي فتاة جميلة تملك قدرات خارقة وتمنح الهبات لمن تشاء فقتلها الناس في نهاية احتفال مهيب، وكان من نتائج عملية القتل الأولى هذه أن عرف الناس معنى الموت، وصار للحياة وجود. وتغلب سمة التفاؤل على الأسطورة عند تسويغ أحداثها فتجعلها حية معاشة، وتبدو الشعيرة أو التقليد إحياء لذكرى تلك الأحداث الأولى.

ويسعى علم الأساطير المقارن إلى إيجاد العلاقات التي تربط بين بعض العادات والتقاليد المتأصلة في أكثر المجتمعات، إذ يلاحظ مثلًا اشتراك المجتمعات الزراعية في تقديم الأضاحي والقرابين، أما أكثر الموضوعات التي تطرقها الأساطير شيوعًا فهي تلك التي تسوغ شعائر تجدد الحياة والزمن والجنس والحياة بعد الموت، فالحبة تموت لتلد السنبلة، والعام الجديد يقوم على رفات العام الماضي، ولا تشذ احتفالات الميلاد عن تلك القاعدة. وقد وجدت الأسر الحاكمة في أكثر الحضارات القديمة مسوغ وجودها وموقعها من المجتمع في الأساطير التي حيكت حولها، وأكثر تلك الأسر يؤكد أن أصوله ترجع إلى عالم الآلهة أو إلى السماء العليا، أو أنها سليلة الشمس أو القمر، وهذا ما تتحدث عنه أساطير الصين واليابان والهند ومصر القديمة وبابل وسومر وشعوب الأنكا والمايا من الهنود الحمر. وقد يكون التركيب الطبقي كله عند بعض الشعوب قائمًا على مثل هذه الأسس الأسطورية الموغلة في القدم، ولا يوجد مجتمع واحد لا ترجع فيه تقاليد الزواج والدفن إلى أصول تتصل بتراثه وأساطيره.

وللوصف في الأسطورة مكانة مميزة ترتبط بأسلوب طرحها الحقائق التي تسموعن المشاهدة والملاحظة. فقد تصف بعض الأساطير أصل العالم ونهايته والحياة في الفردوس الأعلى بأسلوب لا يمكن للإنسان العادي تصوره أو تلمسه حقيقة، ولعل هذه الوظيفة هي التي تمنح الأسطورة قيمتها التربوية في المجتمعات التقليدية، وعلى هذا النحو تبدو الأساطير نماذج تعليمية نظرية وعملية، وهي في المجتمعات البدائية الوسيلة الوحيدة لفهم التعاليم المتوارثة في غياب التعليل الفلسفي، وتعبير عن حاجة الإنسان إلى المعرفة، وهذا يعني أن الأسطورة ليست مجرد إرث من الماضي، ولا تنتهي بزوال الثقافات البدائية والحضارات القديمة. ففي كل تراث مجموعة أساطير تؤلف المحور الذي يرتكز إليه ذلك التراث، يضاف إليها مجموعة أساطير يتصل كل منها بقطاع معين من قطاعات المجتمع، أو يختص بوظيفة من

وظائفه ويرتبط بالأسطورة الأصل، وغالبًا ما تكون هذه الأسطورة الأصل معنية بنشأة الكون cosmogony أو الخلق creation الذي هو سبب الوجود، وكثيرًا ما ترتبط حوادث الأسطورة التي يقوم عليها وجود الإنسان بنشأة العالم وأصله. ومن ذلك مثلًا احتفالات تنصيب الملوك في بعض الحضارات القديمة التي تستلهم طقوسها من قصة خلق العالم أو تجدده، ولبعض أساطير الخلق دور مميز في طقوس شفاء المرضى أو دفع الخطر، وما محاولات شفاء المرضى في ممارسات السحرة والأطباء الشعبيين بتلاوة الترانيم أو التعاويذ التي تتحدث عن أصل الكون إلا جزءً من هذه الطقوس. ومن ذلك أيضًا استلهام الشعر باسترجاع الأحداث الأسطورية والاستعانة بشيطان الشعر أو آلهة الفن والأدب. والوظيفة الشعرية والفنية للأساطير معروفة في التراث البدائي والقديم، وهي مصدر كل التعابير الأدبية في تلك الحضارات التي لم تكن تعرف التخصص والفصل التام بين الصيغ الفنية. ولاشك في أن للأساطير الجيدة الحبكة والأسلوب أثرًا كبيرًا في تطور الثقافة والفن في العالم أجمع.

تطور الأسطورة:

كان الإنسان البدائي يعيش في مجتمع مؤلف من أقرب أقاربه، ولا يعرف من العلاقات الاجتماعية سوى الأسرية منها، ولم يكن يرى فيما يحيط به إلا صورة تلك العلاقة، فالأرض والسماء والنباتات والحيوانات كلها في نظره مجتمع أسري تربطه روابط القربى، وكان يعتقد أن كل هذه الأشياء تفكر وتملك من الذكاء ما يملكه البشر. ويمكن للمرء تلمس هذه التصورات معممة في أساطير أكثر الشعوب. كذلك كان الإنسان البدائي ينظر إلى الحِرَف كلها نظرته إلى كائن حي عاقل يدير أعمالها ويقوم بها ويعتقد أن لها حارسًا يحميها، ومن هنا جاءت النماذج الأسطورية للآلهة الحرفيين والفلاحين والرعاة والمحاربين وغيرهم. فالإله فيليس (الشَعْر) عند السلافيين هو إله القطعان وحامي البيوت والثروة، ودامون عند الكلتيين هو إله المراعي والرعاة، ومثلهما الربة أثينة عند اليونان وإيريش عند الأبخاز، وكذلك آلهة الثمار والنبات والآلهة الحارسة عند شعوب الأزتيك وفي نيوزلندة وفي نيجيرية.

لم يتكون مفهوم الأسطورة عند الشعوب دفعة واحدة، فقد كانت الأسطورة في أنماطها الأولى تقوم على «البُدّية» fetishism وهي الاعتقاد بأن للأشياء أرواحًا تسكنها، أو الاعتقاد بوحدة الشيء والفكر في الشيء نفسه، ثم غلبت «الطوطمية» totemism وهي بدّية المجتمع

أو القبيلة ممثلة في شخص مؤسس ذلك المجتمع أو القبيلة، ثم سادت بعد ذلك «الأرواحية» (الأحيائية) animism وهي درجة أعلى في تطور الفكر الإنساني، ومذهب يعتقد بحيوية المادة وأن لكل شيء في الكون، وللكون ذاته، روحًا ونفسًا، ومنذ ذلك الحين بدأ الإنسان يميز الفكرة في الشيء من الشيء نفسه.

ومع تطور الفكر المعمم والمجرد ارتقت الأسطورة درجة أخرى في مضمار التطور، وصارت إلى الرمزية ثم إلى الاعتقاد بوجود أب واحد للبشر وللآلهة كلهم مع الاحتفاظ بقدر كبير من البديّة والأرواحية، فغدا زيوس Zeus الأولمبي اليوناني متفوقًا على أسلافه في العالم السفلي، وأصبحت الآلهة خاضعة له بصفتها من ذراريه. ويضفي هوميروس على زيوس الكثير من الملامح القديمة السابقة لعصر الأولمبياد فيبدو شخصية تاريخية معقدة ومتعددة الأشكال. ومثل زيوس في ذلك الآلهة الأعلون خالقوالعالم عند شعوب بولينيزية وتاهيتي وشعب الياقوت وكثير من قبائل إفريقية وإن اختلفت أسماؤهم وصفاتهم ووظائفهم ودرجات ألوهيتهم كما تتحدث عنها الأساطير.



بطل اليونان بروميثيوس الذي سرق النار
من إله البشر وعوقب بنسر ينقره (الإلياذة)

ومن الموازنة بين النماذج الأسطورية في العصور التاريخية المختلفة يتبين أن الأسطورة انتقلت تدريجيًا من العشوائية إلى الترتيب المتناسق. فقد كانت النماذج الأسطورية في عصر الأمومة بعيدة كل البعد عن الانسجام التشكيلي المتأخر، ومصوغة صياغة خرقاء غير متقنة، إن لم تكن مشوهة، وتصادف فيها الهُولات والمسوخ برأسين أو بثلاثة رؤوس أو أكثر، كما تصادف فيها العجائز الشمطاوات والعمالقة والجبابرة وكل ما لا يخطر على البال من المخلوقات الشريرة والحاقدة. ومن أمثلة ذلك سيدة العالم عند البابليين «تيامات» الشبيهة بالهُولة، والروح القاتلة ذات الساق الواحدة عند شعوب أسترالية والرب أو روالمتعطش للدماء في تاهيتي، والجبابرة السبعة أكلة البشر عند هنود أمريكة الشمالية وغيرهم.

وفي عصر الأبوة ظهرت تصورات مستجدة عن شخصيات بطلة تصارع قوى الطبيعة وتنتصر عليها بعد أن كانت لا تقهر، ويظهر الوعي الاجتماعي منظمًا في خفايا الأساطير، فتبدوتلك الشخصيات حارسة للمجتمع من أعدائه سواء كان هؤلاء الأعداء من قوى

الطبيعة أم من القبائل المجاورة. ومن ذلك مثلًا الإله مردوخ البابلي الذي يقتل الهولة تيامات ويصنع من جسدها السماء والأرض، وكذلك غلغامش البطل الذي قتل الثور المقدس بمعونة إنكيدو، وكانت عشتار قد بعثت بذلك الثور لتدمير أو روك. ومن ذلك أيضا «ميترا» عند الشعوب الإيرانية الذي يصارع الأرواح الشريرة وينتصر على الثور المخيف، و«رع» عند المصريين القدامى الذي يناضل الأفعى «أبوب»، وعند اليونان ينتصر زيوس على الجبابرة والعمالقة والتنين، وينفذ هرقل مآثره الاثنتي عشرة. وفي ألمانية وعند شعوب الشمال يصارع سيغفريد (سيغورد) التنين وينقذ العذراء منه، وفي روسية يصارع إيليا مورامتس الأفعى ويقتلها. ولكن معظم الأساطير المعروفة اليوم كثير التعقيد تراكمت معطياته على مر العصور. فقصة المينوطورMinotaur أو ثور مينوس (هولة نصفها ثور ونصفها إنسان) في الأساطير اليونانية دليل على أنها نتاج عصور مختلفة، فرأس الهولة الذي يشبه رأس الثور يدل على أن أصل الأسطورة من عصر الأمومة الأول حين كان الإنسان لا يميز نفسه من الحيوان، أما تمثيل المينوطور في النجوم والفلك وكذلك مقتله على يد تيسوسTheseus فيتصلان على الأرجح بعصر الأبوة.

يتضح من دراسة الأساطير المختلفة أن الفكر الأسطوري توصل في مراحله الأولى إلى الربط بين الحوادث التاريخية والظواهر الكونية، ومع انتقال البشر إلى حياة الاستقرار تعزز ارتباطهم بالأرض وتعزز تصورهم لوحدة القبيلة والجنس، وظهرت إلى الوجود عبادة الأسلاف والأساطير التي تروي مآثرهم (الأساطير التاريخية)، ثم حلت محلها أساطير الآلهة والأرباب السابقين (نشأة الكون وأصل الآلهة)، وانتهت محاولات تحري المستقبل والحياة بعد الموت إلى ظهور أساطير «الأخرويات». ولما كانت الأسطورة معنية بالمجتمع فقد كانت لها وظيفة تعريف المجتمع البدائي بما يحيط به، وتفسير المسائل المعقدة التي تصادف البشر، كأن تفسر كيفية خلق الإنسان والكون وسر الحياة والموت وغير ذلك.

وكانت المجتمعات البدائية في مرحلة تكون الأساطير تملك نوعًا من الإيمان الفطري ووحدة العقيدة، ومع تطور المجتمعات الحضارية القديمة في عهودها الأولى غدت الأسطورة تعبيرًا مجازيًا عن مختلف الأفكار الدينية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والفلسفية، ودخلت الفن والأدب من أوسع الأبواب، وصارت لها استخدامات وأشكال متنوعة بحسب وجهات نظر الرواة والكتاب والفنانين وأرباب السياسة والفلسفة، وبحسب

اختلاف عصورهم وأساليبهم وإسقاطاتهم، وهذا ما حفظ للأساطير بقاءها وتطورها. وما تزال النماذج الأسطورية إلى اليوم تخدم آراء السياسيين والأدباء والفلاسفة والفنانين. ولما كانت الأسطورة وسيلة من وسائل فهم ظواهر الطبيعة والحياة الإنسانية على مر العصور، فإن العلم الحديث يرى فيها تاريخًا للصراع بين القديم والحديث، ورواية تحكي قصة الإنسانية وما مر بها من معاناة ومسرات.

علم الأساطير والدراسات المتصلة به:

شهد عصر النهضة انطلاقة الدراسات العلمية للأسطورة، ولكن هذه الدراسات اقتصرت حتى القرن الثامن عشر على أساطير تلك العصور التي يدعوها علماء الغرب العصور الكلاسيكية، ويقصدون بها العصور اليونانية والرومانية. وقد ساد الاعتقاد زمنًا في عصر النهضة أن الأساطير الدينية الوثنية تحريف للوحي التوراتي. وبعد أن اطلع الغربيون على حضارات مصر والشام والرافدين وبلاد الشرق وشعوب أمريكة وتعرفوا أساطيرها، توافرت لديهم إمكانات القيام بدراسات مقارنة بين مختلف الشعوب. وكان الفيلسوف الإيطالي جامباتستا فيكو(١٦٦٨-١٧٤٤م)Giambattista Vico أو ل من أعطى الأسطورة مفهومًا تاريخيًا، وبين دور مخيلة الإنسان المبدعة في تكوين الأسطورة على مراحل حضارية متتالية، ولكن آراءه لم تؤثر في عصره آنذاك. وفي عصر التنوير أنكر المفكرون الفرنسيون الدور التاريخي للأسطورة ورفضوا إعطاءها أي قيمة علمية، وعدّوها قصصا طفولية ونتاج الجهل مثل الخرافة والخُزَعْبل، ومن هؤلاء فولتير وديدرو ومونتسكيو وفونتنيل. في حين وجد الشاعر الاسكتلندي جيمس ماكفرسون (١٧٣٦-١٧٩٦) J.Macpherson وكذلك الفيلسوف الألماني يوهان هيردر (18.3-1744) J.G.von Herder في الأسطورة تعبيرًا عن الحكمة الشعبية. ومع تغلب الإبداعية (الرومنسية) في مطلع القرن التاسع عشر وتسليم علماء اللغات بالأصول السنسكريتية لأسرة اللغات الهندية الأوربية، وازدياد الاهتمام بالدراسات المقارنة عادت الأسطورة لتحتل حيزًا مهمًا من تلك الدراسات، ونشطت عمليات جمع الأساطير والحكايات والقصص الشعبية والملاحم، وظهرت في ألمانية بدايات ما أصبح يعرف باسم «المدرسة الأسطورية» mythological school التي قادت اتجاها في الأدب يبرز مكانة الأسطورة والأدب الشعبي وأثرهما في هذا المضمار. وكان من رواد هذه المدرسة فريدريخ شلنغ (1854-1775) F.Schelling وأوغست شليغل (A.Schlegel

1845-1767) وشقيقه فريدريخ (١٧٢٤-١٨٢٩)، والأخوان ياكوب غريم (١٧٨٥-١٨٦٣) وفلهلم غريم (١٧٨٦-١٨٥٩) J.&V.Grimm. وقد طرحت هذه المدرسة مسألة شعبية الفن والأدب وأثر الأسطورة في ولادتها، وكان لها أنصار في كل أو ربة انقسموا فريقين استند أو لهما في إعادة تركيب الفكر الأسطوري إلى علم التأصيل اللغوي etymology (الألمانيان أدلبرت كوهن A.Kuhn وماكس مولر M.Muller والفرنسي ميشيل بريال M.Breal والروسي فيودور بوسلايفF.I.Buslaev)، واعتمد الفريق الثاني علم القياس analogy في الموازنة بين الأساطير المتشابهة (الألمانيان فلهلم شفارتز W.Schwarz وفلهلم مانهاردت W.Manhardt). وتفرعت عن هذه المدرسة نظريات عدة منها ما يرى في الأسطورة تفسيرًا مجازيًا للظواهر الفلكية والنوئية، ومنها ما يرى في الأسطورة مرآة للحياة العادية والأرواح الحارسة والشياطين، وهناك كذلك نظرية الأرواحية التي ألبس أنصارها الطبيعة مفهومهم عن الروح. ويأتي في مقدمة هؤلاء: البريطانيون إدوارد تايلور (E.Tylor 1917-1832) وهربرت سبنسر (19.3-182) H.Spencer. وأندرولانغ (-1912) A.Lang 1844 والألماني ليوفروبنيوس (1938-1873) Leo Frobenius.

كذلك نالت النظرية اللغوية التاريخية في القرن التاسع عشر شعبية واسعة، فقد عرض بوسلايف مبادئ الدراسة التأصيلية للأساطير في مؤلفه «الملامح التاريخية للأمثال والفنون الشعبية الروسية» (١٨٦١) كما عرض أناتولي أفاناسف مختلف النظريات التي طرحتها المدرسة الأسطورية في مؤلفه «نظرة السلاف الشاعرية إلى الطبيعة» (١٨٦٦-١٨٦٩)، وكان أثر هذه المدرسة كبيرا في توسيع مفهوم علم الأساطير وعنايتها بالتراث الشعبي والأساطير الهندية والإيرانية والألمانية والكلتية (السلتية) والسلافية القديمة، إضافة إلى الأساطير اليونانية والرومانية الكلاسيكية. كما طرحت مسألة شعبية الفن ووضعت أسس الدراسة المقارنة لعلم الأساطير والفنون الشعبية.

تقلص الاهتمام العلمي بالأساطير مع ازدهار نظرية النشوء والتطور في نهاية القرن التاسع عشر، ولكنه عاد إلى الأضواء مع مطلع القرن العشرين على يد علماء الأنتروبولوجية واللغات، وتبع ذلك دراسات نفسية معمقة وتطوير مناهج علم الاجتماع والأنتروبولوجية والدراسات الفلسفية والتاريخية. وأكدت الدراسات الدينية أنه لا يمكن فهم «الإلياذة» على أفضل وجه إلا بالنظر إليها على أنها رواية لتاريخ مقدس، ولا يمكن تفسيرها حرفيًا. وكان

للتفسير العقلاني rationalistic للأسطورة أنصاره منذ القدم وإن تنوعت أشكاله ومذاهبه، وهي تفترض جميعها وجود منظومة محددة للفكر الإنساني نتجت منها النصوص الأسطورية، وما التفسيرات المجازية والرمزية إلا أمثلة على ذلك، لأن المجاز قابل للتكيف تمامًا بعد وضوح الفكرة، مع أن الأسطورة عادة لا تمثل الأفكار الحقيقية. وهناك باحثون كثر يعزون وجود الأسطورة إلى عامل الخوف، ومنهم دافيد هيوم D.Hume البريطاني، ويمكن أن يدخل هذا العامل في نطاق التفسير العقلاني إذا ما أقر أثر منظومة الوظائف النفسية في هذا المجال. ولكن الشاعر الإنكليزي وليم بليك W.Blake والفيلسوف الألماني جورج هامان G.Hamann يرفضان التركيب العقلاني لفكرة «الدين الطبيعي» أي الدين الذي يفترض أن يكون عامًا للبشر كافة، في حين يؤكد شلنغ في مؤلفه «مدخل إلى علم الأساطير» (١٨٥٦) وجود «المطلق» في الأسطورة معبرًا عنه بوجه أو بآخر، بيد أن هذا التعبير يشتمل على بعض التناقضات، ومن واجب الفلسفة أن توفق بينها كي تعيد إلى «المطلق» وحدته التي تستعصي على الفهم. ويرى شلنغ أيضًا أن الأسطورة رواية شفوية يجب حل طلاسمها من أجل الوصول إلى مغزاها، وهو يربط الأسطورة باللغة والمجاز، ويرى أنها تترجم الصلة بين التشخيص الفني في القصة والرغبة في التعبير عن شيء ما. وقد كان اهتمام شلنغ بما وراء الطبيعة مثار جدل كبير واكبته دراسات رومنسية كثيرة أكدت أثر العاطفة في إبداع الأسطورة ووجدت في الأسطورة تعبيرًا عن التجربة الإنسانية مع الطبيعة.

احتلت الدراسات المقارنة منذ عصر الإبداعية مكانة مهمة في دراسة الأساطير مع أنها بدأت قبله بكثير، وفي القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين توصل الباحثون إلى إيجاد الكثير من السمات المشتركة بين أكثر من تراث، ووجد المتأخرون منهم أنهم مضطرون إلى مراعاة أعمال من سبقهم في هذا المضمار، كما أن الدراسات الفلسفية التي تبحث في وظائف الأسطورة تفترض وجود عناصر قابلة للمقارنة في الأساطير المختلفة. فقد وجد مانهاردت في التراث الشعبي عامة منطلقًا لدراسة نشأة الأسطورة ووظائفها، وحاول في مؤلفه «الأسطورة الدنيا» Lower Mythology جمع أكثر المعطيات تجانسًا في التراث الريفي الشعبي، تلك التي ظن أنها قد تكون أساسا لنشأة الأساطير. ويعد العالم البريطاني جيمس فريزر (J.Frazer 1854-1941) والشقيقان غريم والأمريكي ستيث تومبسون Stith Thompson من أكثر جامعي التراث الشعبي شهرة في العالم.

أما عالم الاجتماع الفرنسي مارسيل موس M.Mauss فيرى أن للأسطورة وظيفة اجتماعية شاملة كما هو واضح من الرموز الدينية التي تشتمل عليها، وأنه لا يجوز الانتقاص من أثرها في المجتمع. في حين يؤكد عالم الأنتروبولوجية البريطاني برونيسلاف مالينوفسكي Bronislaw Malinowski(١٨٨٤-١٩٤٢) ضرورة الأسطورة للمجتمع لأهمية الوظائف التي تؤديها فيه، وخاصة المجتمع البدائي، فهي تفسر العادات والأخلاق والذرائع في تلك المجتمعات ونظرتها الجمالية والدينية والمؤسسات التي قامت عليها. وقد اشتهرت هذه النظرية باسم «الوظيفية» Functionalism أو «النفعية» ومبدؤها أن لكل عادة أو تقليد أو شعيرة في المجتمع وظيفة حيوية أو نفعًا يجب إتمامه، وهي جزء من آلة المجتمع. ويعطي علماء الأنتروبولوجية في كل من بريطانية والولايات المتحدة الأمريكية وظيفة الأساطير أهمية كبيرة، من حيث كونها مرآة تعكس العلاقات الاجتماعية لدى الشعوب.

كذلك كان للأسطورة مكانة خاصة عند علماء النفس، وقال سيغموند فرويد إن لها ارتباطًا وثيقًا باللاشعور، وإنها تعبير غريزي عن الرغبات المكبوتة، وهي تظهر إلى الوجود عندما تتاح لها الشروط المناسبة. ويعتقد فرويد أن الأسطورة ترتبط بالنفسية الطفولية للإنسان. ويخالف كارل يونغ أستاذه الرأي مع تأكيده رمزية الأسطورة وارتباطها باللاشعور، إلا أنها ترتبط باللاشعور الناضج في حياة الإنسان النفسية وباللاوعي الجماعي، فالأسطورة في رأي يونغ تتألف من صور أصيلة ترمز إلى الحكمة والنضج، وتنبع من دوافع نفسية ثابتة تتكرر في حياة الإنسان وتحضه على التفكير في الكائن الأعلى، وفي طبيعة الإنسان التي تنشد الخلود. وينطلق يونغ في رؤيته هذه من نفسية الجماعة، ومن كون الأسطورة وسيلة تعلم وتعليم في المجتمع تتناقلها الأجيال شفاهًا، وهو يؤكد في هذا المجال دور الأسطورة في الأدب والفن ويسلط الأضواء على العلاقة الوثيقة بين علم النفس والفن والأدب، ويرى أن لجوء الأديب والفنان إلى عالم الأساطير يمنح تجربتها قوة التعبير، ويماثل الأساطير بالتاريخ الذي يستقي الكاتب منه شخصياته، كما أن الأنماط والصور الأسطورية نفسها ليست إلا نتاج خيال مبدع يحتاج إلى ترجمة لغوية. ويثير يونغ بذلك مسألة توسط اللغة بين الأدب والأسطورة، وكل ظاهرة أسطورية في رأيه هي ظاهرة ثقافية تنحو نحو لمثالية، ولا يكون لها معنى إلا إذا كانت لها منفعة دينية.

أما الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي لوسيان ليفي ـ برول Lucien Levy-Bruhl فيطرح في مؤلفه «العقلية البدائية» La mentalité primitive نظرية جديدة عن أصل الأسطورة، وهو يعزوها إلى التفكير البدائي السابق للمنطق، ويرى أن هذا التفكير يرتكز على ما يعرف من ظواهر لم يجد لها تفسيرًا منطقيًا. في حين يطرح جيمس فريزر نظرية أخرى هي نظرية التطور الثقافي التاريخي للأسطورة، ويوجز في كتابه «السحر والدين» تطور الشعوب نفسيًا في ثلاث مراحل تقوم جميعها على الاعتقاد بقدرة الإنسان على التحكم بقوى الطبيعة، وأولى تلك المراحل السحر القائم على السببية الزائفة، ثم الدين ثم العلم القائم على السببية الحقيقية، وكل أسطورة ليست إلا ترجمة مبالغًا فيها لطقس من طقوس السحر القديم أو عبادة من نوع ما. وقد لاقت هذه النظرية قبولًا واسعًا من علماء الاجتماع والأنتروبولوجية وغيرهم، ومنهم مالينوفسكي صاحب نظرية الوظيفية، وكذلك عالم الاجتماع الفرنسي جورج دوميزيل الذي طبق أسلوب المقارنة في إثبات العلاقة بين الأسطورة واللغة والتنظيم الاجتماعي. ويرى العالم الروماني مرسيا إلياد (19.7-.199) Mircea Eliad أن الأسطورة حدث ديني يروي قصة مقدسة وأحداثًا جرت في الزمن الأول، وهي تصف مختلف الانحرافات الدرامية لكل ما هو مقدس في العالم. وينفي إلياد عن الأسطورة كل ما هو غير ديني، ويدعو إلى التفريق بين الروايات الصحيحة والروايات المغلوطة في المجتمعات التي ما تزال الأساطير حية عندها، لأن الروايات الصحيحة تحكي كل ما هو مقدس وخارق فعلًا، في حين تتحدث الروايات المغلوطة عن أشياء دنيوية وإن كانت شخصياتها مقدسة، أما الخرافات فتتحدث عن حوادث لم تستطع أن تبدل شيئًا من الطبيعة الإنسانية وإن كان لها تأثيرها في العالم.

يرى الناقد الكندي نورثروب فراي (1912-1991) Northrop Frye أن الأدب انعكاس للأسطورة وأن الطبيعة منبتها، وهو يربط في كتابه «الأسطورة والمجتمع» (١٩٧٦) بين الطبيعة والأسطورة والأدب وأثرها كلها في المجتمع، وقد أصبح لآرائه شأن بين الدارسين. فالأسطورة في رأيه محاولة لرؤية الطبيعة من منظور إنساني، والعلاقة بينهما تخضع لنظام محكم متكامل ونظرة شمولية إلى عالم تُمَثَّل فيه الآلهةُ الطبيعةَ من منظور إنساني، ويصور فيه الإنسان وأصله وقدره وقدراته من منظور الطبيعة. وهذه المزاوجة بين الطبيعة والشكل الإنساني تصورها الأسطورة بالمقابلة والتشبيه، فهي توازن بينهما وتبرز أوجه الشبه بأسلوب جدلي. ويرى فراي أن الأساطير تختلط بالأدب في كل الحضارات المعروفة، والفرق بين

الأسطورة والأدب هو فارق السياق الزمني وليس البنية، والعلاقة بينهما علاقة شكل لا مضمون، وأن النمط الأدبي لا يأتي من الحياة بل من التراث الذي كان أسطورة في الأصل. وهذا ما نادى به توماس ستيرنز إليوت أيضًا في مقولته: «إن أدب عصر ما هوامتداد للتراث الذي يبدأ من هوميروس وينتهي عند ذلك العصر». غير أن فراي لم يقف عند العموميات التي استند إليها إليوت بل عمل على تحديد طبيعة الروابط بين التراث والأدب، وقال إنها تنشأ من المبادىء الأساسية لبنية الأسطورة، وهي التي تؤلف خلفية بنية الأدب، وتتحول من بنية بسيطة إلى كلام إبداعي مغلف بنسيج لغوي، ومع ذلك فإن الأسطورة تظل أو سع مدى من الأدب، وتشتمل على أشياء كثيرة إلى جانب البنية الأدبية، ويبدو أن فراي أراد من كلامه هذا سد ثغرة في نظريته، في الوقت الذي بدأت فيه البنيوية structuralism تتلمس طريقها في الخمسينات من القرن العشرين في مجالات الأدب واللغة، وسط تقاليد أدبية راسخة بني عليها فراي آراءه التي أحلته مكانته بين معاصريه. ومع ذلك فقد كان موقف فراي على طرفي نقيض من أنصار البنيوية، وهي نظرية عامة تهدف إلى دراسة أي ظاهرة على أنها مركبة من عناصر، وكل عنصر منها يحدد مكانة العناصر الأخرى ووظائفها، وتؤلف كل هذه العناصر في مجموعها تركيبًا معقدًا يسمى البنية. وقد احتلت هذه النظرية مكانة مرموقة في أكثر العلوم الإنسانية، وخاصة اللسانيات والنقد وعلوم النفس والاجتماع والأنتروبولوجية. ومن رواد هذا المذهب عالم الاجتماع الفرنسي كلود ليفي - شتراوس 1980 Claude Lévi-Strauss الذي بحث إمكانية تطبيق طرائق الدراسة البنيوية على الأساطير بالتفتيش عن أو جه الشبه بين أساطير مختلف شعوب العالم، ثم تحديد الروابط المنطقية التي تربط بعضها ببعض. ويزعم البنيويون أن الأسطورة حية في الأدب وتتمتع بأصالة أزلية وقدسية يتوق الإنسان إلى بلوغها وتمثلها ليسترجع أصالته من خلالها. ويرون أن الأسطورة كانت ميدانًا لعمليات منطقية لا شعورية تؤكد النظرة الإجمالية للحياة الإنسانية ومظهرها العالمي، وأن اللغة هي المحور الذي تتمحور الأسطورة حوله، وأن وضع نموذج للأسطورة يؤدي إلى جمودها والحد من قدراتها. وهم يرفضون فكرة الاقتصار على ربط الأسطورة بالفكر البدائي(برول) وباللاوعي الجماعي (يونغ) وبالطبيعة (فراي) وبالدين (مرسيا إلياد) لاعتقادهم أن تحديد نشأة الأسطورة يضع حدًا لحياتها. ويدحض شتراوس ما جاءت به المدارس المذكورة منطلقًا من مبدأين اثنين، أولهما: أن التسلسل الزمني لأحداث الأسطورة وشخصياتها غير المألوفة يتعارض مع مضمون الأسطورة وما تهدف إليه، إذ يمكن توقع حدوث كل شيء في الأسطورة، ولا يخضع تتابع الأحداث فيها لقاعدة من قواعد المنطق أو الاستمرار. ومع أن الأساطير تبدو عشوائية

التركيب فإنها تتوالد بشخصياتها وتفصيلاتها في أماكن مختلفة من العالم. وأما المبدأ الثاني: فهوأن زمن الأحداث في الأسطورة موغل في القدم، ومع ذلك تتداخل هذه الأحداث فيما بينها وتبدو متصلة بالماضي والحاضر والمستقبل، وهذا يعني أن للأسطورة طبيعة تشبه طبيعة اللغة، وهو ما يفسر علاقة الأسطورة بالبنيوية. إذ لا يتضح مغزى الأسطورة من العناصر المفردة التي تتركب منها، بل من الصور المجملة لتلك العناصر، تماما كالبنية اللغوية. وأن ما يميز الأسطورة من غيرها كونها حكاية يمكن لمن يشاء أن يرويها وأن يوجزها أو يطيل فيها بعبارات مختلفة، إذ لا أهمية للشكل هنا مع ضرورة المحافظة على تسلسل الموضوعات الرئيسة فيها. كما أن ترجمة الأسطورة ونقلها من لغة إلى لغة لا يطرح أي مشكلة من المشاكل التي تعترض ترجمة نص أدبي، لأن أهمية الأسطورة لا تنبع من أسلوب النص أو طريقة السرد أو ضبط اللغة، بل من فحوى الحكاية التي ترويها ومغزاها، وهذا ما يحل ـ كما يزعم شتراوس ـ مشكلة النص الأصلي. كذلك فإن تحليل الأسطورة إلى عناصر وإعادة ترتيبها عموديًا وأفقيًا وفق مخطط يجمع بين السمات المشتركة لتلك العناصر، يفسر الكثير من غوامضها. وعلى هذا النحو فإن دراسة الأساطير وفق المنحى الجديد الذي تبنته البنيوية تعتمد على عاملين أولهما: الشكل اللغوي للأسطورة، أي طريقة عرضها (رواية شفوية متناقلة، أو نص ديني مكتوب، أو نص أدبي أو شعر أو غير ذلك) وتفرعاتها (النسخ المختلفة للأسطورة الواحدة)، وثانيهما: الرمز أو المغزى الذي تهدف إليه الأسطورة، ولا يمكن إدراك ذلك إلا بالموازنة بين أساطير الحضارات المختلفة. فلكل أسطورة كيانها الخاص ولكل منها مغزاها الذي يتصل بمنبتها، ولا يمكن فهمها إلا عن طريق بنائها اللغوي، مع تأكيد نظرتها الإجمالية ومظهرها العالمي في الحياة الإنسانية.

دور الأسطورة في الثقافة الإنسانية:

احتلت الأسطورة مكانة ذات شأن في جميع مجالات العلوم وكان لها أثرًا واضحًا في تطور بعضها وإغنائه، وخاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية والتطبيقية.

الأسطورة واللغة وعلم الاجتماع:

للأسطورة صلة مباشرة بالمسائل المتعلقة باللغة؛ لأنها مادة الاتصال الإنساني، كما أنها وثيقة الصلة بالحياة الاجتماعية والتراث. ومع ذلك لا يوجد اتفاق بين الباحثين عامة حول طبيعة هذه الصلات، وليس من الصعب معرفة أسباب عدم الاتفاق هذا، وخاصة أن تصنيف اللغات وتفرعاتها والمجتمعات التي تقوم على أساس اللغة يبقى مسألة خلاف،

ويتطلب دراسات أكثر تعمقًا مع أن طرائق البحث العلمي الحديث تسمح بإجراء مسح شامل لهذه المسألة.

يرى بعض علماء اللغة أن هناك حاجة إلى علم جامع يدرس الإشارات والرموز الأساسية في المجتمع، وإلى علم نفس جديد يبدأ بدراسة المشكلات التي تحدد طبيعة المعرفة الإنسانية ومعتقدات البشر، وأنه لا يمكن أن تستهل دراسة المجتمع واللغة إلا بما هو محدد في كلام البشر وعلاقاتهم الاجتماعية المثقلة بتراكمات التراث الإنساني، وهذا هو مجال علم الأساطير.

يمكن هنا إيراد بعض الأمثلة التي تؤكد تنوع العلاقات والروابط بين الأساطير والمجتمعات وتبين مدى تعقيدها. ففي شمال غربي أوغندة والمناطق المتاخمة لها من الكونغو تعيش قبيلة لوغبارا Lugbara والتي تربط نظامها السياسي والاجتماعي ببطلين من الأجداد لهما علاقة بقصة خلق العالم. وتتحدث القصة عن تحدر القبيلة من أجداد أبطال على نحو ما يروى في قصص البطولة. ويلفت الانتباه هنا ربط الماضي الأسطوري والماضي الفعلي بمفهوم واحد ذي معايير غير تاريخية محددة زمنيًا، كذلك تتحدث بعض المراجع الأدبية في الصين القديمة عن أشخاص وأحداث تبدو تاريخية في مظهرها؛ ولكنها في الواقع محاولة لوضع أساطير الأولين ضمن إطار تاريخي ينفي عنها صفة الأسطورة، ويلاحظ مثل هذه المحاولة في بعض كتب التاريخ الروماني التي تتحدث عن أصل رومة ومجتمعها وأنماط الحكم فيها، فتبدو وكأنها تأريخ للأساطير الأولى التي تتحدث عن الصلات الهندية الأوربية. ومن هذه الأمثلة أيضًا النظام الطبقي الهندي وأصوله الأسطورية، ومازالت لهذه المؤسسات قوتها المؤثرة في واقع المجتمع الهندي إلى اليوم. ومن هنا يكاد يستحيل التوصل إلى صيغة عامة مشتركة تفسر التأثيرات الأسطورية في مختلف المجتمعات لتنوعها الكبير، وإن كان يسهل فهم دور الأسطورة في كل محاولة لفهم العلاقات الاجتماعية بين الناس، ومن جهة أخرى يرى بعض العلماء أن بحوث التاريخ وثيقة الصلة في الدراسات الحديثة بالتراث الأسطوري عند الأمم والمجموعات البشرية.

الأسطورة وعلم النفس:

تنحصر الدراسات التي قام بها فرويد في مجال الأسطورة في محاولته الفصل بين التاريخ الثقافي للمجتمع والمفاهيم القائمة فيه. وكانت الدراسات التي سبقت فرويد تفترض تحليلًا

تاريخيًا لفهم مراحل تطور الوعي الإنساني، أما فرويد فقد سعى إلى إثبات استقلال النفس الإنسانية عن التاريخ واعتمادها على المفهوم الحيوي (البيولوجي)، ولا يبدل في الأمر شيئًا كونه استفاد من وجهات نظر أنتروبولوجية في هذا الصدد (كزعمه مثلًا أن تقديم الأضاحي مرتبط بأول عملية قتل كان الإنسان ضحيتها)، وكان يرى أن التعبير الرمزي عن الشعور بالذنب أو عن قضاء الرغبات لا يتحدد بزمن تاريخي، ولكنه يحدث في الأساطير كما يحدث في الأحلام، وقد استند فرويد في رؤيته هذه، وبه اقتدى كارل يونغ، إلى نظرية لوسيان ليفي برول الذي ربط الأسطورة بالذكاء الفطري السابق للمنطق، ويرى فرويد أن الأسطورة نمط من التفكير كان شائعًا عند الإنسان القديم ومازال موجودًا لدى الشعوب البدائية التي تزعم وجود شراكة «روحية» مع الأشياء ولا تفصل بين الذات والشيء، ولكنه تعرض للنقد بسبب تفسيره الأساطير من وجهة نظر عقدة أوديب والكبت الجنسي والشعور بالذنب. أما كارل يونغ فيعتقد أن الصور الأسطورية ظاهرة إيجابية مبدعة مناقضًا تقويم فرويد السلبي لهذه الظاهرة، فالصور الأصلية الأولى عنده صور مميزة تنبع من الوعي الجماعي ومن أساس النفس الإنسانية، ولكنها تضع الأساطير خارج نطاق التاريخ. ويتردد ناقدو يونغ في تقبل رأيه حول كون الوعي الجماعي مصدرًا أبديًا لفهم الأسطورة.

الأسطورة والعلوم البحتة:

تنبه بعض الدارسين إلى أن الأسطورة تعكس أحيانًا بعض التغيرات التي تحدث في الواقع، أو تفترض حدوثها. ومع أن الواقع يتبدل في التاريخ فإن ما يتصل بتغيرات هذا الواقع يثير اهتمام الفلاسفة ومؤرخي العلوم؛ لأن صورة الواقع أساس كل برهان علمي، ويثير الاهتمام هنا التشابه بين وظائف النماذج models في العلوم البحتة والطب وعلم الأحياء والنماذج التي تشتمل عليها الأسطورة أحيانًا بوصفها صيغًا لعالم الإنسان. فإذا مثّل جسم الإنسان في الطب بالمكنة، ونُظر إلى الدماغ على أنه حاسوب متطور، فالأمر لا يعدو استعمال نماذج تسهل الفهم، فإذا حاز النموذج القبول غدا من الصعب إحلال شيء آخر محله، وهنا يكمن التشابه بين الأسطورة والعلم مع احتمال وجود خلاف كبير في تفسير القصد من ذلك النموذج. ففي القرن السابع عشر وبعد أن طرح ديكارت نظرياته غدًا من السهل الافتراض أن يفسر الكون على أنه مؤلف من جسيمات دقيقة تتحرك وتتجاذب، كذلك فإن النزوع إلى المطلق في أكثر نماذج تاريخ العلوم قريب جدا من الأسطورة، ومع ذلك

فثمة فروق كثيرة بين هذين المجالين، فمع أنه من الصعب تبديل النماذج في العلم فإن هذا التبديل ممكن الحدوث وقابل للتكرار، ويحذر العلماء كثيرًا من وضع قيود مشددة على النماذج المطروحة في العلوم العصرية، أما الأسطورة فلا تقبل التبديل ليحل غيرها محلها في المجتمع الذي نشأت فيه وأثرت، وإن كان في وسع الغريب عن ذلك المجتمع إدخال بعض التغيير على الأسطورة نفسها أو تبني غيرها. والأكثر من ذلك أن أهمية نماذج العلوم تقتصر على المعنيين بها، وتقتصر وظيفتها على قطاع صغير من المجتمع، وإن تبدلت مكانتها من عصر إلى عصر، أما الأسطورة فيبقى تأثيرها أو سع نطاقًا بكثير. ومع بعد المسافة بين الأسطورة والعلم فقد بين تاريخ العلوم أن العلم الحديث لم يكن كله ثورة على الأسطورة، ولم تزلزل ولادته مكانتها أو تزاحمها. وقد تطرح نظرية في الطب على المستوى الأكاديمي في عصر ما، ثم تنحط مكانتها تدريجيًا حتى مستوى الطب الشعبي في عصر آخر، وقد تعود تلك النظرية لتحتل مكانة مرموقة في عصر تال. وقد ظل علماء الطبيعة من اليونان القدماء يحتلون مكانة المؤسسين للعلوم أمدًا طويلًا جدًا، مع أن بعض وجهات النظر التي طرحوها كانت قريبة جدًا من أساطير الخلق في زمانهم، كذلك انغمس رواد العلوم الحديثة من أمثال كبلر ونيوتن ولايبنتز في تتبع مسائل ما وراء الطبيعة التي لم تكن في الواقع إلا مسائل تراثية وأسطورية الطابع. ولعل أو ضح مثال على ذلك ما يلمس في نظرية الطبيب الإنكليزي وليم هارفي الذي ربط الدورة الدموية بحركة الكواكب، وكذلك تشبيه داروين لدورة الطمث عند المرأة بالمد في المحيطات.

ويرى كثير من المفكرين، وفيهم عالم اللاهوت بول تيليش P.Tilich والفيلسوف كارل جاسبرز K.Jaspers أن البعد الأسطوري أساس في كل علم، فالتفكير ينطلق من الأسطورة أو من عنصر من عناصرها، ويتدرج في تطوره حتى يبلغ درجة العلم والمبدأ. ويلاحظ ذلك بوضوح في علوم الفلك والأحياء والفيزياء وغيرها، ولا تخرج قصص الخيال العلمي التي غدت واقعًا علميًا عن هذا النطاق. وليس أدل على أثر الأسطورة في العلم الحديث من مئات المصطلحات العلمية التي تزخر بها أسرة اللغات الهندية الأوربية والتي اقتبست من مصطلحات أو تسميات أسطورية أغلبها من أصول يونانية أو اسكندنافية قديمة. وأقرب مثال عليها أسماء الكواكب المعروفة مثل: جوبيتير (المشتري) وميركوري (عطارد) وساتورن (زحل) وفينوس (الزهرة) وغيرها.

الأسطورة والدين:

تختلف مكانة الأسطورة باختلاف أشكال التراث في المجتمع، ومع أنها قد تتعارض مع بعض التراث الديني إلا أنها تبقى لصيقة به في ذلك المجتمع. ويعتقد جيمس فريزر أنه لما كانت وجدت لتعليل شعائر محددة.

الأساطير علمًا بدائيًّا وظيفته التفسير والتعليل فإن ثمة أساطير وجدت لتفسير بعض الشعائر والطقوس، ذلك أن كثيرًا من القصص التي تدخل في نطاق «حكايا العلة» لا تخرج عن كونها نوعًا من الأساطير، وهي تصادف في تراث الشعوب المختلفة. ويرى كثير من مفكري القرن العشرين أن الأساطير في صيغها البدائية ليست أكثر من إعلام بما حدث فعلًا وبما هو مرغوب فيه. وهناك أساطير وقد جرت على هذا الأساس دراسات عدة تؤكد الروابط بين الشعائر والأساطير المتصلة بها، ومنها محاولات للبرهان على أن الشعيرة سابقة للأسطورة، وأن الأسطورة وجدت لتفسيرها أو شرح مضمونها أو أنها النص الذي تشتمل عليه الشعيرة، وقد لقي هذا المنحى تأييدًا كبيرًا بين المفكرين وجرى تطبيقه أو ل الأمر على الأساطير اليونانية، ثم على عناصر الثقافة اليونانية القديمة كلها كالأدب والفن والفلسفة حتى وصل إلى الكتب المقدسة والملاحم والروايات والقصص الواقعية، واتسع نطاقه فيما بعد حتى شمل الثقافات الأخرى في مشارق الأرض ومغاربها. وسرعان ما انتشرت عدوى هذا التفكير وبولغ فيه حتى صار لكل شعيرة أو طقس أو تقليد أصل يفسره، ومن ذلك مثلًا طقوس الدفن وتلقين الميت وتقاليد الزواج وتقديم الأضاحي واحتفالات التعريف بالأسرار المقدسة في مختلف المجتمعات. بل إن أحد الباحثين الإنكليز حاول إرجاع جميع الوقائع المتصلة بتاريخ إنكلترة في العصور الوسطى إلى طقوس قديمة فيها. وقد ساعدت الدراسات والمعطيات الجديدة التي توصلت إليها علوم الأجناس والسلالات وأصل الإنسان وغيرها من العلوم الإنسانية في إنجاح نظرية الشعائر هذه، فأصبح ممكنًا دائمًا إيجاد صلة ما بموضوع الأسطورة المطلوب تفسيرها علميا والطقوس والشعائر التي يمارسها مجتمع ما.

إن وجود علاقة ما بين السلوك الشعائري والأساطير أمر يكاد يكون مؤكدًا، إلا أن علماء الكتاب المقدس الغربيين يرون ضرورة النظر إلى المواقف الحياتية والتقاليد التي تمارس من زاوية أصولها ونشأتها، وهناك عدد كبير من الباحثين، وأكثرهم من بريطانية والبلاد الاسكندنافية يؤكدون أثر الأسطورة في الطقوس، ويطلق على هؤلاء عادة اسم «مدرسة

الشعائر الأسطورية» وتتركز أعمالهم غالبًا على دراسة أساطير الشرق القديم والأديان السماوية، ومن النظريات التي أثارت ضجة في هذا الصدد نظرية «البابلية» Babilionisme التي طرحها عدد من المهتمين بالأساطير. وتزعم هذه النظرية أن البابليين هم أصحاب الفضل في وضع علم أصل الكون cosmogony وعلم الفلك، وهم يعدون أساطير البابليين عن الفلك أساس أساطير العالم كله.

وقد بينت دراسة أساطير الشعوب البدائية وممارساتها الشعائرية أن المسألة أعقد بكثير مما تفترضه نظرية الشعائر في تفسير الأسطورة، وقد تم دحض الكثير من هذه التفسيرات. ومع ذلك فثمة أساطير كثيرة تفسر شعائر مختلفة وتصفها، ومثل ذلك أساطير كثيرة بعيدة عن الحقائق كل البعد، وأساطير أخرى لا صلة لها بأي شعيرة أو طقس، والعكس صحيح أيضًا. فالصلة بين الشعائر والأساطير عرضية في غالب الأحيان، وإذا وجدت صلة مؤكدة فليس ثمة برهان على أن إحداهما سبقت الأخرى، وإذا ما أعطت الأسطورة الشعيرة معنى مقبولا فإن الغاية من الشعيرة وأصلها يبقيان لغزًا من الألغاز.

وكان أصحاب نظرية التطور يرون أن سلوك الإنسان الأول كان غير عقلاني ثم أخذ يكتسب القَدرة على التفكير تدريجيًا، ورأى آخرون، تحت تأثير الفلسفة الوجودية، أن الأسطورة «حية» وتعيش بين الناس، أما وجهة النظر التي تبدو أقرب إلى الواقع فهي الإقرار بعدم وجود قانون ضابط للعلاقة بين الأسطورة والشعيرة، ومن العسير جدًا إثبات أيهما أسبق، وإن محاولة معرفة ذلك مسألة عقيمة. والأهم من ذلك كله أن مضمون بعض الأساطير التي لها شأن وتتحدث عن أصل العالم يعكس غلبة صيغة ثقافية لتراث ما، إذ يلاحظ أن أساطير مجتمعات الصيد تتحدث عن أصل الطرائد وتقاليد الصيد، في حين تميل المجتمعات الزراعية إلى منح الأولوية إلى الممارسات الزراعية، وتميل المجتمعات الرعوية إلى تفسير تقاليد حياة الرعي، وعلى هذا النحو تصادف في بعض أنواع التراث القديم أساطير تتحدث عن أصل الخليقة والختان وتقاليد المجتمع السرية واستعمال الأقنعة الاحتفالية وصيد الرؤوس وأكل لحوم البشر وجمع المحاصيل وبعض المهن الخاصة.

والمقدسات موجودة في كل أنواع التراث الديني وفي كل المجتمعات، ومنها الصور والأيقونات والكتابات المقدسة والتماثيل، وكلها تحمل مسحة أسطورية؛ لأنها تمثل حقائق أو شخصيات مقدسة بطريقة مرئية كما تمثلها الأسطورة بأسلوب الرواية. والرموز الدينية

مرتبطة من هذه الناحية بالصيغة الأسطورية ارتباطًا مباشرًا لأنها تحكي أشياء غير مألوفة، أما تمثيل الأشكال الإنسانية كما تبدو في الطبيعة فأمر نادر الحدوث، لأن الأشكال غير الطبيعية هي المفضلة دائمًا في ممارسة الطقوس وتمثيل الموضوعات التي تتحدث عنها، والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأديان. أما الشخصيات المقدسة الشهيرة عند الإغريق القدماء فاستثناء حتى في دياناتهم، ولكن الأقنعة تتمتع بميزة خاصة في الطقوس الهيلينية كما هو شأنها في تقاليد شعوب أسترالية البدائية وفي الأمريكتين وفي إفريقية وأوربة قبل التاريخ.

أما النصوص المقدسة فتعتمد بطبيعة الحال على الديانة المعنية، وخاصة الأديان السماوية. ففي العهد القديم كثير من المواد الأسطورية، وتعتمد اليهودية على الأساطير من بعض الأوجه، ولكنها ترفض تمثيل الإله في صور، وكان للأساطير والخرافات اليهودية أثر مهم في تاريخ اليهود وثقافتهم. ويستحق بعضها الدرس والاهتمام لأنها تعد، مهما كان أصلها ومصدرها، جزءًا لا يتجزأ من الكتاب المقدس الذي يغذي التراث الثقافي في العالم الغربي بفنونه وآدابه وأساليب تفكيره، ولأن اليهود أسهموا في العصور الوسطى بنقل أساطير الشرق القديم إلى الغرب. والأساطير التي تنسب إلى اليهود ليست كلها من أصل يهودي، بل إن أكثرها مقتبس عمن جاورهم من الشعوب الأخرى، ولكن ما يقتبسه اليهود كان يدمغ عادة بطابع اليهودية ويعدل لتأكيد وصايا ما يعتقدونه وما يريده أحبارهم. ويستعمل أكثر هذه المقتبسات من أجل تثقيف الأطفال دينيًا وتربيتهم عليها منذ الصغر فيشبون وقد أشبعوا بها عقائديًا. ويمكن للدارس أن يتقصى المراحل التي مرت بها الأساطير الدينية اليهودية بسهولة بتلمس تأثيرات العصور المختلفة في الأدب اليهودي منذ السبي البابلي والحكم الفارسي الأخميني والعصر الهليني والعصر العربي الإسلامي وحتى العصور الوسطى في أو ربة، كما يمكن تلمس التأثيرات الغربية عامة والألمانية خاصة منذ عصر النهضة إلى اليوم في القصص اليهودية المكتوبة بلغة اليديش (اللغة العبرية ـ الألمانية).

أخذت المسيحية عن اليهودية بعض مفاهيمها وتأثرت بها، كما تأثرت بالتراث الإغريقي وأساطيره مع ما أدخل عليها من تعديل وتشذيب، ولكن الكنيسة المسيحية في القرن التاسع عشر فسّرت الأسطورة على أنها استعراض لحقائق معبر عنها في صورة قصة يشوبها الخيال، واستمر أثر هذا التفسير في الأدب الشعبي المتداول حتى اليوم، ولعل هذا هو السبب الذي يدفع الكثيرين من مسيحيي القرن العشرين إلى رفض فكرة احتواء المسيحية

على عناصر أسطورية في لاهوتها وممارساتها، وقد تم تحوير كثير من الموضوعات الأسطورية المقتبسة عن اليهودية والحضارة اليونانية بما يتفق والمفهوم المسيحي للتاريخ ومع تطور العقيدة المسيحية، ومن هذه الموضوعات أصل العالم وسقوط الإنسان، والإله في صورة البشر وغير ذلك.

هناك ثلاثة تفسيرات للأسطورة في المسيحية يراها علماء القرن العشرين أو لها التفسير التاريخي للأديان، وثانيها التفسير النفسي التحليلي، وثالثها تفسير الخلق والوجود. يتناول التفسير الأول الأسطورة على أنها تاريخ مقدس، ويعد مرسيا إلياد من رواد من يتبنى هذا الرأي الذي يفسر «اختراقات» الكائن الأعلى (أي الرب) لهذا العالم في أشكال وأوجه مختلفة، كالعشاء الرباني والخميس المقدس، ويساعد هذا المؤمنين على فهم أصلهم ومكانتهم في هذا الكون. أما التفسير الثاني فيعرِّف الأسطورة بأنها وصف للأصول الرمزية والصور الناشئة عن اللاوعي التي تساعد الإنسان على تعرُّف أحواله وإدراك طبيعة معاشه. أما التفسير الوجودي الثالث فقد حاز قبولًا واسعًا من علماء الكنيسة. ويرى عالم اللاهوت الألماني رودلف بولتمان أن الأسطورة نوع من أنواع التعبير الذي يستطيع الإنسان فهمه، وإن الصور التي تتضمنها الأسطورة مأخوذة من هذا العالم الذي يختلف اختلافًا تامًا عن مملكة السماء.

أما الإسلام فيرفض الأسطورة رفضًا قاطعًا، ويؤكد سمو الله ووحدانيته ليقطع الطريق أمام أي زخرفات أسطورية، وإن بدرت من بعض المفسرين والدعاة والقصاصين الشعبيين محاولات غير مقبولة لتفسير بعض قصص القرآن مستعينين بالمفاهيم والصور التي تقبلها الأديان الأخرى أو بالتراث القديم وخاصة الإسرائيليات والتفسير التوراتي وبعض التقاليد المسيحية. وتزخر كتب التراث الإسلامي بمثل هذه المحاولات التي تبناها بعض الفقهاء. يضاف إلى ذلك القصص المتخيلة التي أضفيت إلى السيرة النبوية وسيرة آل البيت وكرامات الصحابة وبعض الأولياء الصالحين، وكانت كلها مصادر لحفز الوازع الديني وحض المسلمين على الاقتداء بالسلف الصالح، ويعمل علماء الدين الإسلامي اليوم على دراسة الوسائل التاريخية التي تهدف إلى تخليص التاريخ الإسلامي من الشوائب التي لحقته وتحرير الشخصيات الإسلامية مما لحق بهم من أباطيل ونزع الصفة الأسطورية عن الإسلام.

الأسطورة والفن:

لم تُعرف أساطير الحضارات القديمة إلا لأنها جزء من تراث مكتوب، وكل ما وصل إلى العصر الحاضر من أساطير اليونان والرومان معدود من التراث الأدبي، أما أقدم مصادر هذا التراث فهي ملحمة هوميروس الشعرية من القرن الثامن قبل الميلاد. ومع أنه من الصعب التحدث عن وظائف أكثر أساطير التراث الشفهي المتناقل، فقد غدا في وسع العلماء تلمس مكانة تلك الأساطير وأثرها في الأدب والفن، وما يزال العمل العلمي في هذا المجال بعيدًا عن الكمال، كما في وسعهم استنباط الموضوعات الأسطورية من الملاحم واستنباط الوظائف الأسطورية للملحمة. فقد كانت ملحمة هوميروس الأساس الذي تقوم عليه التربية في اليونان، كما أن ملاحم الهند المعروفة (المهابهراتا والرامايانا) تقوم مقام الموسوعات الحديثة، وتقدم للدارسين نماذج مختلفة من الوجود الإنساني. وسواء استفاد الأدباء والفنانون من حوافز الأسطورة أم لم يستفيدوا فإن للكلمة المكتوبة والمصوغة صياغة مناسبة سحرها المماثل لسحر الأسطورة.

إن هذه العلاقة التي تربط الأسطورة بالأدب يمكن تلمسها بوضوح في أنواع الفنون الأخرى، ويمكن التأكيد هنا أن العمارة وفن النحت كانا سباقين إلى توثيق الأساطير قبل الأدب بزمن بعيد يصعب تصور بداياته، ويؤكد تاريخ المكتشفات الأثرية المعمارية أولية التمثيل الأسطوري فيها، وتعد النصب المقامة من جلاميد الصخر ومنشآت الدفن من أقدم الأوابد المعمارية المعروفة للإنسان، وأشهرها على الإطلاق أهرام مصر ومدافن حكام الصين من أسرة شو(١١٢٢-٢٢١ق.م)، ومع أنه قد يكون من المستحيل استرجاع كل التفاصيل الأسطورية التي أوحت بإقامة مثل هذه المنشآت فإن الثقافات القديمة غنية بالشواهد على التوجه الأسطوري الذي اتخذ الإنسان بمقتضاه مكانه في هذا الكون على أساس الجهات الأربع وقبة السماء والأرض من تحتها، فكانت منطلقه في نشاطه المعماري. ويلخص المعمار الروماني فتروفيوس Vitruvius قواعد البناء في العالم القديم ونظمه المختلفة مشيرًا إلى شكل المعابد ووضعها والآلهة المميزين الذين كرست لهم تلك المعابد، ويَعُدّ فتروفيوس العمود الدعامة pillar عنصرًا أساسيًا فيها لأنه صورة أسطورية لما يربط عالم الإنسان بالسماء، وهذه الصورة موجودة في حضارات الصيد، وظلت حية في العصر الحجري الحديث وفي عصور ما قبل الميلاد. ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن الفصل التام بين العمارة الدينية والعمارة المدنية كما

هو معروف في العصور الحديثة لم يكن معمولًا به في الحضارات القديمة، ولا يطبق هذا الفصل كاملًا حتى في العصر الحديث، ويمكن أن يلمس بعض المظاهر الأسطورية العامة في المباني المدنية والدينية على حد سواء، كما في مباني البلديات وقصور العدل والمحاكم في أوربة وغيرها، وكما يشاهد في الكنائس وغيرها من دور العبادة أيضًا. وقد أنتجت الهند القديمة وفي العصور الوسطى مؤلفات كثيرة عن العمارة والفن اشتملت على تعليمات مختلفة عن بناء المعابد والمساكن وتخطيط المدن على أساس المفاهيم المتوارثة.

وتعد الأسطورة كذلك أحد الجذور الرئيسية لفن التمثيل، وهذا أمر واضح تمامًا في الأدب الكلاسيكي اليوناني لغناه بالموضوعات الأسطورية والعروض المسرحية التي تقدم الأحداث والحقائق بأسلوب يحاكي الأسطورة. وكان المواطنون في مثل هذه المسرحيات يقومون مقام الجوقة. ويؤكد مؤرخ الديانات الأمريكي تيودور غاستر T.Gaster أن فن التمثيل (الدراما) كان في الشرق القديم وليد العلاقات المتبادلة بين الأسطورة والشعائر، وأكثر التمثيل المسرحي في العصور القديمة يرجع في جذوره إلى الأساطير (مسرحيات «نو» في اليابان ومسرحيات الوايانغ في جاوة وغيرها)، وأن تمييز الغرب اليوم العروض الدينية من عروض المتعة لم يكن له قيمة تذكر في هذا المجال. وقد كان للرقص أو لوية في أكثر الفنون التمثيلية التي لها صلة بالتجربة الأسطورية، وهو نوع عالمي من أنواع التعبير، ودوره في الأساطير واضح مع أنه من الصعب جدًا فهمه اليوم لأن هذا العصر مطبوع بالعلمانية، وقد ابتعد الرقص كثيرًا عن الأسطورة في الأزمنة الحاضرة مع أن الاهتمام بالباليه والرقص الشعبي مازال مستمرًا.

ولما كانت الموسيقى مرتبطة بالرقص في وظيفتها الإيقاعية، فهي على علاقة وثيقة بالأسطورة، وكثيرًا ما ينظر إليها في التقاليد الموروثة على أنها إبداع في ملامح أسطورية مع أنها أقل اعتمادًا على الأسطورة من بقية الفنون. وقد تستعمل الموسيقى أحيانًا، كما هو شأن الأسطورة، في شفاء المرضى بهوس الرقص tarantism (وهونوع من الهيستيريا ظهر في القرن الخامس عشر في إيطالية واستمر حتى القرن السابع عشر وقيل إنه يشفى بالرقص الجنوني)، ومع أن أكثر أغراض الرقص الديني المرتبط بالموسيقى في التاريخ الغربي الحديث قد تضاءل شأنه فإن الموضوعات الأسطورية في الموسيقى لم تختف بعد كما في الأوبرا والأوراتوريو (الإنشاد الديني).

بعض أنماط الأسطورة:

إن تصنيف الأساطير في أنماط معينة على أساس المضمون والوظيفة والغاية صعب جدًا، فالمشكلة الكبرى تنصب في تعريف الأسطورة وتأثير هذا التعريف في تصنيفها، والأهم من ذلك اختلاف الرأي حول عَدِّ الأسطورة بعدًا دائمًا في حياة الإنسانية كلها أو أنها مرحلة ماضية من مر احل تطور الوعي الإنساني. ومع أن أكثر الدارسين يميلون إلى هذا الرأي الأخير فإن الرأي الأول يسترعي الاهتمام في الوقت الحاضر، وإن علم الأنماط أو «النمذجة» typology الذي يبدأ بتعرُّف البعد الأسطوري الدائم في الوجود الإنساني يجنح إلى ترتيب الموضوعات الأسطورية في مراتب محددة وتحديد أولوياتها. ومن ذلك مثلًا تأكيد مرسيا إلياد أو لوية حكايات النشأة والأصل، في حين يميل فريدريخ شلنغ إلى القول بأسبقية أساطير الآلهة والألوهية. وعلى هذا فإنه لا يمكن إيجاد معيار حاسم تحدد فيه أنماط الأساطير إلا إذا أمكنت دراسة كل الأساطير دراسة معمقة، وما يزال الباب مفتوحًا أمام الدراسات اللاحقة في هذا الموضوع. كذلك قد يكون من الصعب وضع قائمة شاملة تضم الموضوعات الأسطورية الكثيرة التكرار، أو اعتماد قائمة بعينها. وفيما يلي بعض الأنماط الرئيسية للأساطير:

أساطير النشأة والأصل:

وهي الأساطير التي تتحدث عن أصل الأشياء ونشأة الكون والخلق. وكثيرًا ما يستعمل هذان المصطلحان على أنهما مترادفان مع الفارق الكبير بينهما. فنشأة الكون أو أصله أعم وأشمل لأنه يشير إلى أصل لا سابق له، في حين تتحدث أساطير الخلق عن خالق ومخلوق، ولا ينطبق ذلك على بعض أساطير النشأة كتلك التي تزعم أن أصل العالم فيض emanation أو انبثاق ذاتي، وليس من فعل act فاعل. ومع ذلك فإن مصطلح الأصل يستعمل بتحفظ شديد عند الإشارة إلى نشأة الأكوان لأن أصل العالم نادرًا ما يحتل نقطة الارتكاز في الرواية الأسطورية، وكثيرًا ما يقصد به الأساس أو الأرضية التي قام عليها هذا العالم. أما قصص الخلق في الحضارات البدائية والمتقدمة فتتحدث عن «فعل الخلق» على أنه تشكيل للأرض والعالم الموجودين قبل ذلك الفعل. فالأرض سابقة الوجود في أكثر أساطير «النشأة» البدائية وخاصة في إفريقية، أما الخلق من العدم أو من لاشيء فلا يمكن حدوثه إلا في أعراف الحضارات الأكثر تعمقًا في الفكر الفلسفي. والماء على أهميته لكل الأحياء يحتل مكانة معينة في أساطير آسيا وأمريكة، حيث يغوص الخالق في المحيط بحثًا عن الأرض،

ويساعده في بحثه غواص آخر، وقد يتحول هذا الغواص المساعد إلى خصم أو عدو للخالق أو ما يحاكي الشيطان في الحضارات المتقدمة والديانات السماوية. ومن الأساطير ما يعتمد على المثنوية في الخلق أو يسعى إلى تفسير الصراع بين الخير والشر، وفيها إذا كان الشر متأصلًا في الكون من دون أن يكون الخالق مسئولا عنه. وثمة أساطير نشأة تتحدث عن «بيضة أصل الكون» cosmogony egg، وهي مألوفة في عالم المحيط الهادئ وبعض أنحاء أو روبة وجنوبي آسيا والهند، ومنها الأساطير التي تتحدث عن ولادة الكون من أبوين the world parents غالبًا ما يكونان في صورة السماء والأرض، أو عن كلمة ينطقها الخالق فيخلق الكون كما في بولينيزية مثلًا.

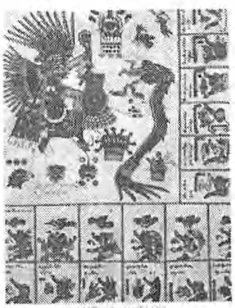
إن «نشأة الكون» أو أصله في أكثر الموروثات الأسطورية هي أساس كل شيء، وبها ترتبط بقية الأساطير، وكل ما يروى عن نشأة الكون له معالم مشتركة عالميًا ويعد تعبيرًا عن النزعة الأسطورية عند الإنسان مهما اختلفت القارات والأزمان، وفي كل أسطورة منها حديث عن الأضداد كالسماء والأرض والنور والظلام، وعن أشياء حدثت وتخرج عن نطاق الإدراك ولا يمكن تفسير سببها كالزمن السابق لانفصال الأرض عن السماء، والوقت الذي كان فيه النور والظلمة متداخلين، أي حين كانت الأجزاء الإنسانية التي تؤلف العالم الإنساني مفترضة سلفًا. ثم حدث أن تحققت أو توطدت على النحو المعلوم في الرواية. وقد يعاد تركيب الرواية مرات ومرات مع الارتقاء بها إلى حدود المفهوم والسبب الفعليين.



ولأن الكون هو عالم الإنسان، فإن أصله مرتبط به، فالإنسان يسكن الأرض لأن الآلهة تريد له ذلك، وقد يرجع في أصله إلى السماء أحيانًا. ومن الأساطير ما يعكس الوضع تمامًا فيكون الإنسان محور الكون والمركز الذي يدور حوله كما في الفيثاغورية Pythagoreanism (حركة فلسفية صوفية يونانية) والأورفية Orphism (حركة دينية صوفية يونانية) والغنوصية Gnosticism (هرطقة مسيحية مثنوية مقصورة على الخاصة) والتنترية Tantrism (فلسفة هندوسية بوذية تأملية مقصورة على الخاصة). وقد يصعد الإنسان من أعماق الأرض كما في ديانة الزوني Zuni (من الهنود الحمر الأمريكيين)، أو يخرج من صخرة أو شجرة مقدسة، أو يتشكل من أديم الأرض كما في سفر التكوين (الكتاب الأول من العهد القديم) أو من مزيج التراب والدم كما في أسطورة الخلق البابلية.

أساطير الآخرة ونهاية العالم:

تتحدث هذه الأساطير عن النهايات التي تقابل «الخلق» أو الابتداء، كما تتحدث عن أصل الموت المقابل للحياة. ومنها ما له صفة خاصة كالأساطير التي تتحدث عن «المخلص» و«المسيح الكذاب» و«الألفيات» (الاعتقاد بمجيء المخلص أو المختار في نهاية كل ألف من السنين). والأساطير التي تتحدث عن الموت وأصله واسعة الانتشار وتتنوع موضوعاتها، ويزعم أكثرها أن الموت لم يكن موجودًا في الأزمنة الأولى، وأنه حدث نتيجة خطأ أو عقاب، أو أنه حدث في مقابل الولادة، وهو أمر ضروري لاستمرار الوجود. ومن الأساطير ما يتحدث عن نهاية العالم نهاية صاعقة كالحريق الجائح الذي يلف العالم والصراع الحاسم مع الشر وهزيمة الآلهة، كما في الأسطورة الألمانية وأساطير نهاية العالم عند الغربيين وأكثر الديانات الشرقية، والتنبؤات كثيرة عن نهاية العالم التي تتحدث عنها حركات دينية مختلفة أو ورد ذكرها في بعض الحوادث التاريخية.



أساطير القضاء والقدر والعناية الإلهية:

هناك حالات كثيرة يربط فيها الإنسان مصيره ومصير مجتمعه بظواهر كونية أو طبيعية، وثمة مجال واسع من الوقائع الأسطورية التي تربط بين الحسابات الفلكية (التنجيم) وخضوع الإنسان لقدره. ويؤكد غالب الأساطير سيطرة الآلهة على القدر، فمردوخ رب الأرباب في بابل يملك «حبوب القدر»، وزيوس هو الإله المسيطر عند هزيود Hesiod، ولكنه يصبح عديم القدرة في وجه القدر عند يوربيدس الذي يستعمل مصطلح «قانون الطبيعة» في شرحه سبب نشوء العالم. وإن وجهات النظر الأسطورية فيما يتصل بالقضاء والقدر والمصير تلقي ظلالها على الموروثات الدينية والاجتماعية التي تتحدث عن العدالة والقانون الإلهي ومشكلة «الجبرية» determinism الفلسفية، والمسائل اللاهوتية المتعلقة بالعصمة الإلهية (براءة الرب من أعمال الشيطان الظاهرة) و«القدرية» predestination. وثمة فارق مهم في الحسابات الأسطورية بين العناية الإلهية في الديانات السماوية وتلك التي تعطي أهمية محدودة للظواهر الكونية كما في البوذية.

أساطير الزمن والأبدية:

ترك انتظام الأجرام السماوية وحركتها انطباعًا عظيمًا لدى بني البشر في كل العصور، فالسماء صورة مثلى للسمو، ودوران الشمس والقمر والنجوم دورانًا منتظمًا يوحي بزمن هو «الأبدية»، يرتقي فيه الإنسان إلى ذلك العالم العلوي ويعيش فيه. والأساطير أو الصور الأسطورية التي تتحدث عن علاقة الأبدية بالزمن وارتباط مصير البشر بالأعداد كثيرة جدًا ولعل العدد أربعة هو العدد الأكثر شيوعًا على مر العصور. ويقال في فارس القديمة إن العالم كله يدوم اثني عشر ألف سنة مقسمة على أربع فترات، ينتصر أهورامزدا (سيد الحكمة) في نهايتها على إهريمان (المخادع). وفي سفر دانيال (في العهد القديم) أربع ممالك هي على الترتيب الذهب والفضة والبرونز ومزيج الحديد والطين، وبعدها يقيم الرب مملكته الدائمة. وهذه العصور الأربعة المرتبطة بالمعادن موجودة في كتابات الأقدمين وتصورهم للزمن والتاريخ، وقد طورت اليهودية فكرة الألف سنة بين عصور العالم الأربعة والمملكة الدائمة، ومن هنا جاء مصطلح الألفية، وعبارة «تؤلف ولا تؤلفان». وفي المكسيك القديمة يسبق هذا العالم أربعة عوالم، كما توجد نصوص في الهندوسية والبوذية تتحدث عن منظومة متكاملة من العوالم التي وجدت وانتهت، وتتألف من أربعة عصور (يوغا) يتناقص طولها ويتفاقم الشر فيها. ومن الأعداد الأخرى ذات المغزى في موروثات البشر الثلاثة، والستة، والسبعة، والاثنا عشر، والاثنان والسبعون. وهناك كتابات كثيرة تتحدث عن أرقام كبيرة غالبًا يعدها علماء الأنتروبولوجية والفلاسفة مغرقة في الخيال، ولكنها تعكس حسابات وأرصادًا فلكية قريبة من الصحة.



وتتحدث بعض الأساطير، وخاصة أساطير شعوب «المايا»، عن علاقة الزمن بالفضاء (الكون)، ويدل التراث الأسطوري على أن تجدد العوالم بعد تدميرها ممكن الحدوث، ولا يقتصر ذلك على الهنود أو غيرهم من الشعوب القديمة بل يتعداهم إلى مذاهب أخرى كالأورفية والرواقية عند قدماء اليونان.

أساطير التقمص والتناسخ والتجدد:

يتبنى أكثر الأساطير القديمة مفهوم الكون والطبيعة والإنسان وعلاقاتهم بالزمن ودوراته، ويعتقد أهالي أسترالية الأصليون أن الإنسان يتقمص من خلال أمه عند الولادة فيدخل الحياة الدنيوية والزمن المقدس، وفي أثناء جنازته يعود إلى حاله الروحية الأصلية. ويمكن أن ينطبق هذا القول على كثيرٍ من الشعوب البدائية لأن أساطيره تدخل في دورات الزمن، وهناك أساطير خاصة تروى عند التحضير لممارسة بعض الطقوس، وأكثر موضوعاتها تجدد الكون لدوران الزمن وتجدد الإنسان عن طريق الولادة، والتقمص.

وطقوس تحديد جنس المولود إضافة إلى التجدد الموسمي في المناسبات كالنوروز ورأس السنة وغيرها. ودورة الزمن هذه موجودة في كثيرٍ من الموروثات الدينية والفلسفية كالبراهمانية والبوذية والأفلاطونية وغيرها.

أساطير التذكر والنسيان:

يزعم بعض الأطباء الشعبين في أمريكة الشمالية أنهم يتذكرون حياتهم السابقة قبل الولادة وهذا ما يفتقده بطبيعة الحال أكثر الناس. وثمة أساطير تنحوهذا النحووتتحدث عن التذكر والنسيان memory and forgetting المتوارثين عند أكثر المجتمعات القديمة. إذ إن معرفة العالم الحقيقي التي تتجاوز الإدراك العادي ليست في متناول كل فرد ولا يتساوى فيها اثنان، وقد تمثل أساطير «التذكر» صورة الحنين الجماعي إلى الماضي. فقبيلة يارورو Yaruros في جنوبي أمريكة تجهل كل شيء عن الزراعة والرعي، وهي واحدة من قبائل كثيرة تعيش في وسط الحضارة الغربية المعاصرة وقد تخلت عن النضال من أجل وجودها الاجتماعي والحضاري، ويبدي أفرادها حماسًا للعودة إلى أحضان أمهم العظيمة التي تحكم أرض الأموات، وثمة أساطير تَذَكّر أقل مأساوية من تلك، ولكنها تحتل مكانة مهمة في تراث بعض الشعوب، ولها دلالة عظيمة في تقاليد من يؤمنون بالتقمص أو التناسخ أو التمثّل. فقد يزعم بعض الناس أنهم يتذكرون حياتهم السابقة، وقليل منهم يدعون تذكر البدايات الأولى وفيهم بوذا، أما احتجاب «مايا» (الخداع) في الأساطير الهندية فيمنع الإنسان من تذكر أصله الحقيقي. وتزعم أساطير اليونان أن منيموسين (الذاكرة) Mnemosyne والدة الموزيات Muses (آلهات الشعر والفن والعلم التسع) تعرف كل شيء عن الماضي والحاضر والمستقبل، وهي أساس الحياة كلها والإبداع كله، أما نسيان أصل الأشياء فيعادل الموت غالبًا (كما ه

وشأن نهر الموت ليث Lethe الذي يدمر الذاكرة في الأسطورة اليونانية). كذلك فإن التذكر أو إحياء الذكرى commemoration أو الاسترجاع recollection أجزاء أساسية في بعض الطقوس المسيحية كالمشاركة في العشاء الرباني Communion، وآلام المسيح Passion.

أساطير الكائنات العلوية والآلهة:

يشتمل أكثر الأساطير على كائنات علوية أو آلهة سماوية لها صفات ونوعيات وأشكال مختلفة مع تنوع كبير في خصائص تقديسها، والفارق كبير جدًا بين الكائن العلوي في أكثر الموروثات القديمة والإله في الأديان السماوية الموحدة. ومع أنه قد تضفى على ذلك الكائن نعوت تجعله «كلي القدرة» أو «كلي العلم» فإن ذلك لا يعني بالضرورة عدم وجود كائنات أخرى متفوقة. ومن ذلك مثلًا فيشنوVisnu وسيفا Siva أعظم إلَهين في التراث الهندي، إذ يوصف كل منهما بالتفوق ولكنه لا يحط من شأن الآخر. والسماء مقدسة في كل مكان، إلا أن الكائنات العليا في الأساطير أبعد ما تكون عن أنها ظاهرة سماوية فقط، فهي خالقة العالم وموجدة نظامه وحامية القانون ويُسبَّح بحمدها لأبديتها وألوهيتها. وقد لا يلقى هذا الكائن العلوي الرعاية المناسبة من المخلوقات (العبادة) أو أنه أعفاهم منها، إلا أنه يبقى الملاذ الأخير لها في الأزمات العظيمة. والآلهة العظيمة تُبجَّل لقدرتها الكلية وسلطتها على الحياة (كما في أساطير الشرق الأدنى والهند القديمين)، وقد يتنازل الإله خالق السماوات عن بعض سلطاته أحيانًا لإله آخر له خبرة وتجربة واقعية فيكون رب ظاهرة من ظواهر الكون كالعواصف والأمطار والرعود والبروق، وسلطة ممجدة عند الناس الطيبين.

أساطير المخلصين والقديسين والأبطال ومؤسسي الحضارات:

تتناقل بعض المجتمعات أساطير عن شخصيات لم يكن لها يد في خلق العالم، لكنها أكملت بناءه وأحالته إلى وسط ملائم لحياة البشر، أو أنها أبدعت حضارته، أو جلبت إليه الرخاء أو منحته الصحة. ومن هؤلاء ماوي Maui في بولينيزية وبروميثيوس في الأساطير اليونانية وحورس ابن الإله أو زوريس في مصر القديمة، وتكثر كذلك الأساطير التي تتحدث عن المخلص Savior الذي يهتم بخلاص الروح والجسد، ويمنح الأمل بالآخرة والخلاص النهائي حين تنتصر قوى الخير على الشر كما هو الحال في الزرادشتية.

ولمؤسسي الديانات أثر مهم في الأساطير الموروثة وأكثرهم أشخاص تاريخيون مثل زرادشت وكونفوشيوس وبوذا وماني وغيرهم. والروايات المتوارثة عن أمثال هؤلاء مملوءة عادة بمعلومات بطولية تحمل الكثير من الملامح الأسطورية مع أنها لا يمكن أن تخرج عن إطار الزمن التاريخي. وقد يقال الشيء نفسه عن كثير من الشخصيات الدينية الأخرى كالقديسين والأولياء الصالحين والكهنة البوذيين والهندوس وغيرهم، وتحتفظ كل الحضارات لذكرى مؤسسيها بشيء من القدسية بل ترفعهم أعلى من مستوى البشر وتحافظ بعناية على تراثهم الذي يشتمل على عناصر كثيرة لها وقع أسطوري، مع أنها تبدوواقعية أو أقرب إلى الواقع، كما يلاحظ من مراجعة نصوص البوذية وتعاليم زرادشت وغيرهما.

أساطير الملوك والنساك والزهاد:

لا توجد أساطير تتحدث عن عبقرية الملوك والحكام إلا في الحضارات التي عرفت نوعًا من الملكية المقدسة، كما هو الحال عند البابليين والآشوريين. وتشير سجلات المعابد عندهم إلى قرابين تقدم لملوكهم، وأناشيد تتحدث عن اتحاد الملك مع الآلهة في «زواج مقدس». وكان ملوك المصريين ينعتون بألقاب إلهية مقدسة، وهي نعوت تدل على ازدواجية منصب الملك الذي هو وسيط بين العالم الإلهي وعالم الإنسان. وهو يمثل كل عالم منهما عند العالم الآخر. والقربان الذي يقدم إلى الملك يكون نفسه تقدمة من الملك إلى الآلهة. وقد ظهرت الأساطير التي تتحدث عن تأثير الملوك في مرحلة متأخرة من تاريخ البشرية، وهي قريبة جدًا من أساطير الأبطال مؤسسي الحضارات، ومن أكثر الأساطير إثارة في هذا المجال قصة الاسكندر الأكبر، ومثل ذلك ما يروى عن تمجيد الأباطرة الرومان الذين ادعوا الألوهية. وهناك أساطير كثيرة تراكمت حوادثها حول شخصيات الملوك وأعمالهم حتى صارت أقرب إلى حكايا الجن أو الخرافات مثل أسطورة سيف بن ذي يزن، أو الملك آشوكا في الهند، أو الملك آرثر في إنكلترة. وكذلك القصص التي حكيت عن الإمبراطور فريدريك بربروسا ولويس التاسع وشارل الخامس وغيرهم.

أما الروايات التي تروى عن الزهاد والنساك فأقرب إلى قصص البطولة منها إلى الأساطير، ولكن بعضها يتلبس الصفة الأسطورية بخروجه عن المألوف والزمن. وقد يتخذ بعضها طابعًا عالميًا يصلح لكل زمان ومكان كما هو حال القديس فرانسوا في المسيحية.

أساطير التحول:

هناك حكايات لا حصر لها تتحدث عن أصل بعض الجمادات أو ممالك الحيوان أو النبات أو النجوم أو غير ذلك من ظواهر الطبيعة، ومعظمها حكايات أو خرافات أكثر منها أساطير. ولكن عددًا غير قليل من الأساطير يتحدث كذلك عن تبدلات طرأت على الأكوان في نهاية الأزمنة البدائية. أو عن طقوس «الابتداء» initiation أو «العبور» passage التي لها صلة بتبدل الكائن البشري أو تحوله.

إن التحول الكوني قد يختص بالعالم الأصلي من دون أن يكون له صلة بالإنسان أو الموت. وأكثر هذه الأساطير متفرع عن أساطير النشأة، وهي تروي أحداثًا نجم عنها تحول في العالم لمصلحة الإنسان كاختراع الزراعة وتدجين الحيوان واستعمال النار. وهناك أساطير أخرى تتحدث عن الانتكاسات في الأزمنة البدائية، ومن ذلك بعض الأساطير التي تنسب عدم استواء الأرض أو تكون الجبال إلى كوارث أو حوادث مؤسفة أو قوى شريرة.

ومن طقوس التحول المتصلة بالأساطير أيضًا طقوس الولادة والأمومة والزواج والوفاة والتعميد والختان، وكلها تبين مدى تأثر الوجود الإنساني بهذه التحولات، فعن طريق الولادة يتحول الجنين إلى شخص ذي كيان، وعندما يبلغ الرشد يصبح عضوًا فاعلًا في المجتمع أو محاربًا. وفي بعض الحالات يكون التحول أو الانتقال من حال إلى حال كما هو في الأسطورة صعب المنال، فالشامان المكرّس (المؤهل) قادر على تجاوز الاختبارات التي لا يصمد لها الإنسان العادي، وأن يتغلب على عقبات قد تتسبب في موت الآخرين، ويعتقد الشامانيون أنهم يستطيعون العبور من خلال الموت ويهزمونه في طقوس التكريس.

إن ما ذكر من أنماط الأساطير بعيد جدًا عن أن يكون شاملًا أو أنه التصنيف الوحيد الممكن. وهناك موضوعات كثيرة أغفلت أو أشير إليها عرضًا كالطوفان وأساطير الطوطمية والأرواح والملائكة الحارسة ومعايير السلوك وغيرها، وكل ذلك مرهون بتعريف الأسطورة وأثره في تحديد أنماطها.

الأسطورة في المجتمع الحديث:

طغت في العصور الحديثة محاولات «علمنة» الأسطورة secularization of the myth أي إضفاء الصفة العلمانية عليها، ولكن المشكلة هنا تكمن في تعريف الأسطورة. فإذا كان الرأي أن الأسطورة ليست سوى نتاج ماض ولّى وانتهى، فسوف يصطدم هذا الرأي بعقبة تحديد اللحظة الأخيرة التي انتهت فيها الأسطورة، وسيكون من المستحيل معرفة متى تحول موضوع أسطوري إلى مجرد موضوع أدبي أو متى توقف إنتاج الأساطير أصلًا. ولعله من الأجدى التفكير بأن الرموز والشعائر والأساطير كلها قابلة للتحويل والتغيير بمرور الزمن، وأن العلمنة ليست إجراء غير قابل للنقض، أو أنها تحدث مرة واحدة تاركة الأساطير خلوًا من أي مغزى ديني، بل العلمنة إجراء كثير التكرار، وإن تناوب العلمنة والأسطرة mythification أو الترميز symbolization معلم مميز من معالم التاريخ في كل مراحله. وإذا كان الأدب الملحمي مثال على علمنة الأسطورة، فهو نفسه قد يقوم مقام الأسطورة في بعض وظائفها.

اكتست العلمنة في العصور الحديثة حلة جديدة شديدة التعقيد فرضتها حقائق كثيرة. إذ تمخضت الكشوفات العلمية، وخاصة الفلكية في أو آخر العصور الوسطى وعصر النهضة عن تجدد الثقة بقوانين الطبيعة والكون، والاعتقاد المجرد بالإله، وفتحت الروايات الأوهيميرية، التي كانت مظهرًا من مظاهر العلمنة، المجال واسعًا لظهور الكتابات التاريخية التي تركزت على الحقائق النفسية والاجتماعية والاقتصادية، كما تعارضت النزعة الطبيعية في الفلسفة مع عالم السماوات وما وراء الطبيعة الذي بنت عليه الثقافات السابقة معارفها، ولم يكن كل ذلك إلا جزءًا يسيرًا من الحقائق التي أدت إلى علمنة العناصر الأسطورية في العصر الحديث. وكان أكثر التوجهات شيوعًا عدّ الشخصيات والحوادث التي اشتملت عليها الروايات الأسطورية غير حقيقية، أو أنها ليست على شيء من القدسية. ومع ذلك فقد ظلت الصفة الأسطورية غالبة على الكثير من المظاهر السائدة في المجتمعات الحديثة، مع عدم وجود اتفاق عام حولها. ومن الصعب اليوم تعريف الأساطير التي تؤثر في مجتمع ما في الوقت الحاضر، مع أن أساطير المراحل القديمة والسابقة سهلة التمييز. وليس ذلك بالمستغرب، فقوة الأسطورة تكمن في حضورها لا بإثبات وجودها، ولا تتعرض سلطتها للنقاش وتصبح موضع استفهام إلا إذا تغلبت عليها أسطورة أخرى أشد نفوذًا منها.

وهنا يجب تمييز مصطلح العلمنة من مصطلح نزع الصفة الأسطورية demythologization. وإذا كان من المسلم به أن تمر كل أسطورة في مرحلة من مراحل العلمنة وتتكيف مع المجتمع الذي تسود فيه، فإن نزع الصفة الأسطورية مصطلح حديث ابتكره عالم اللاهوت الألماني رودلف بولتمن Rudolf Bultmann وعنى به الجهود التي بذلت وتبذل لتخليص الموروثات الدينية من الرواسب الأسطورية، وهي جهود واعية لها علاقة مباشرة بالحوار اللاهوتي والديني في مسيحية القرن العشرين وفي الديانات الأخرى. وقد استعمل عالم الانتروبولوجية البريطاني تايلور من القرن التاسع عشر كلمة «الباقيات» survivals للإشارة إلى ما بقي حيًا من عادات ومعتقدات خلفتها المجتمعات القديمة التي كانت تدرك معناها ومغزاها. وقد أصبح هذا المصطلح يدل على أمور لا يستسيغها المجتمع الحاضر ويعدها من مخلفات الماضي الذي زال وانتهى. وثمة رواسب كثيرة مصدرها الأساطير القديمة كالبحث عن الفردوس المفقود والتَطَيُّر وحمل الأيقونات والتمائم وغيرها.

وعلى كل حال فإن الصيغ الأسطورية المقبولة عمومًا في المجتمعات الحديثة لا تشتمل على كل عناصر المجتمع أو تلبي احتياجاته كافة، ولا يوجد مجتمع حديث واحد متجانس الأساطير، إذ تسود هذه المجتمعات عناصر أسطورية مستعارة من موروثات أعيد إحياؤها أو من مصادر أخرى. وهي تنفي الرمزية الكونية التي طبعت بطابعها التراث القديم كله، وتختلف توجهاتها الثقافية حيال العالم والكون. وتوفر المنجزات العلميةُ الحديثةُ المادة المناسبةَ للنهوض بأدب جديد يشبه الأساطير تحت غطاء الأخرويات هو أدب الخيال العلمي.

وقد لوحظ في البلاد الغربية التي خبرت حركات العلمنة أن السياسة تقوم اليوم بدور الدين أو الأسطورة في الأزمنة السالفة، ولا يعني هذا أن الأسطورة لم تكن سياسية أو اجتماعية في يوم من الأيام، فقد كانت الأسطورة تستعمل في كل الأزمان لمؤازرة الوحدة السياسية في مستوى العشيرة والقرية وفي مستوى الأمة على حد سواء، ولكن الناس في الوقت الحاضر تشغلهم العقائد الاجتماعية والسياسية وتأثيرها في المجتمع، وقد بذلت محاولات واعية للاستفادة من الأسطورة في أغراض السياسة والمجتمع، وأقرب مثال على ذلك محاولات النازية إحياء الأسطورة الجرمانية. كما أن الكثير من المصطلحات السياسية والاجتماعية المتداولة اليوم يحمل في طياته سمات أسطورية لها تاريخ فلسفي معقد كالحرية والمساواة والديمقراطية وغيرها، وهي كثيرًا ما توظف لغايات تقارب ما تهدف إليه الأسطورة وتمارسه من تأثير.http:www.arab-ency.com

بين التفعيل والإقصاء الأسطورة والتربية:

لعبت الأساطير دورًا هامًا في تاريخ الفن الإغريقي على وجه الخصوص وفي الحضارة الإنسانية برمتها. ولا تزال مظاهرها وأشكالها تتردد حتى اليوم في أرجاء الحياة الثقافية والفكرية.(١)

ويعرّف بارتيه الأسطورة في كتابه «علم الأساطير» بأنها أقدم لغة وطريقة للاتصال أمن حيث كونها قول تلقائي بلغة سائغة بين عناصر اجتماعية معينة، ولهذا فإنها مجهولة الهوية، والأصل، غامضة التاريخ والمكان.(٢)

وتعتبر الأساطير من الموروثات القصصية لدى كل شعوب العالم مع وجود التفاوت بينها فيما يتصل بالأحداث وتسلسلها ومدى المبالغات والخوارق التي تضمها، فإلى جانب المأثور من الأساطير الإغريقية نجد الأساطير الهندية والصينية والاسكندينافية والمصرية والكلدانية.

أهمية الأسطورة الفنية والأدبية تعد الأسطورة من أهم العوامل التي تعين على الأداء المعنوي السريع والمباشر لاعتمادها على الاختصار الرمزي، وترجع أهميتها كذلك إلى كونها تعكس نموذجًا للعقل الإنساني في فترة من الفترات الزمنية، وتصور المفاهيم والخيالات التي كانت تتمخض فيه، وتعد عنصرًا تاريخيًا نمطيًا معبرًا، كما كانت منهلًا عذبًا استقى منها الأدباء معالم تاريخهم القومي من خلال ما استمدوه منها من الروح والطابع والرمز والأداة الفنية الحية التي يضعونها في أعمالهم الفنية فتخلق جسورًا بين القديم والحديث، وليس هذا فحسب بل نجد تشيس «يحاج بأن الشعر والأسطورة ينشآن من الحاجات الإنسانية نفسها، ويمثلان نوعًا واحدًا من البنية الرمزية، وينجحان في أن يخلعا على التجربة نوعًا واحدًا من الرهبة والدهشة السحرية».(٣)

---

(١) الديدي، عبد الفتاح: علم الجمال، جامعة القاهرة، ص ٣٥.

(٢) العاصي، عربي: «الحيوان في قصص الأطفال»، الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (١٩٨١م) الطبعة الأولى، ص٢٩.

(٣) صبحي، محيي الدين: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم- دراسات مترجمة، الدار العربية للكتاب، ص ١٠٦.

وتخلو الأسطورة من الاستدلال العقلي، حيث تكتفي بالسرد الحكائي دون خوض في التفسيرات، ويقبلها السامع بعاطفته ووجدانه، لذا ساهم تفعيلها بشكل إيجابي في تنمية مخيلة الطفل العربي وإثرائها من خلال توظيفها فيما يوسع آفاقه التصورية وثقافته الخيالية. الأسطورة وثقافة الطفل تعدُّ مرحلة الطفولة أهم مرحلة في تكوين الشخصية الإنسانية، حيث تتبلور فيها السمات الأساسية لما ستكون عليه هذه الشخصية مستقبلًا، لذا فقد ازداد الاهتمام بتربية الطفل تربية متكاملة من جميع النواحي العقلية والاجتماعية والانفعالية. وبرزت الحكايات كأحد أهم الأساليب المهمة ضمن إطار التربية الثقافية للطفل. ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات التالية:

هل يمكن تقديم الأسطورة والحكايات الشعبية ذات البطولات الخارقة لأطفالنا؟

وهل ستحقق لهم الأهداف التربوية والنفسية والترفيهية المرجوة في الوقت ذاته؟

يرى بعض الدارسين أن للخرافة بُعدًا أساسيًا في الحضارة، وأن توظيفها في تأهيل الأطفال وإعدادهم – لكي يكونوا عناصر فاعلة في إطار الجماعة التي ينتمون إليها – أمر لا يخفى على أحد، خاصة تلك القصص الأسطورية التي تروى في نطاق الأسرة والتي تتوجه أساسًا إلى تربية الطفل، وتنمية خياله وقدراته، الذهنية والوجدانية، حين تقدم له نماذج من السلوك الإنساني، فتكون أداة للمعرفة في تشكل تصوراته عن الكون، والمحيط الاجتماعي الذي يحيا فيه، ويدعم أندرولانج – مؤسس «علم الأساطير» هذه النظرية لأنها:

* تثير الخيال

* توسع الآفاق

* تثير العقول

فهي بهـذا تعادل الأعمال الروائية لكبار الكتّاب، وأن مذاقها لدى أطفال عصرنا هو نفس مذاقها لدى الأجداد منذ آلاف السنين.[1]

---

(١)) الصباغ، مرسي السيد مرسي «توظيف مواد الثقافة الشعبية في ثقافة الطفل العربي» مجلة «ثقافة الطفل» المجلس الأعلى للثقافة، مصر (١٩٩٦م)، المجلد ١٦، ص٥٤ .

ورغم هذا الدور التعليمي التربوي المنوط بالخرافة والأساطير، فإنَّ من الدارسين من يعترض على استخدامها في أدب الأطفال. بل يعترض على كل الأنماط الحكائية التي تستخدم الخيال الواسع والوسائل السحرية التي ترتكز على ارتحال الأبطال إلى عالم المجهول، عالم الأرواح، والشياطين، والأشباح، دون الاهتمام بتفاوت هذه الأنماط في تصويرها لهذا العالم وعلاقته بالعالم الواقعي. ويمثل تولكين أحد كتّاب الأطفال العالميين هذه النظرة، حيث ارتأى أن الأساطير مادة سيئة مليئـة بالأحداث المفزعة والشخصيات المرعبة التي تهدد أمنهم الداخلي، وتشعرهم بعدم الاطمئنان في هذا العالم. وتستند هذه النظرية إلى القول: بأنَّ هذا العالم الخرافي أو الأسطوري من شأنه إبعاد الطفل عن معرفة ذاته، وتغريبه عن محيطه، وكيفية التعامل معه وتقديم حلول جاهزة للمشاكل العويصة التي تتطلَّب نضالًا مريرًا في بعض الأحيان، ويعد هذا الأمر من مكامن الخطورة في الأساطير، وجل الحكايات الخرافية إن لم يكن كلها إلى جانب ما تحمله من الإغراق في القدرية والقسمة والنصيب وأفعال الزمن ومكائده[1] والهروب من المسؤولية ونزعة التبرير، ورد الأمور إلى إرادات مستترة، والاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضروريين، والجبن والتواكل عندما تدق ساعة الجد والتقليد، والتقيد بالقوالب، والشكليات الجاهزة، والإيمان بالخوارق والحماس اللفظي، والإيمان بالمشعوذين والدجالين، والمعتقدات الشعبية القديمة.[2]

وهنالك وجهة نظر أخرى: تجد أن أشكال التعبير الأسطوري والشعبي يجب أن تمر بمقاييس العصر ومعاييره قبل أن يعاد تقديمها للأطفال، ويشمل هذا فيما يشمل تنقيتها من الخيالات المفزعة والقيم الضارة والشوائب المختلفة. ويمثل وجهة النظر هذه العديد من الباحثين والدارسين العرب أمثال الدكتور عبد الحميد يونس والأستاذ أحمد نجيب، والدكتور عبد العزيز عبد المجيد. وربما يعود السبب في هذه الوجهة التي انتهجوها إلى كون الأسطورة إنما جاءت لتعبّر عن ضرورة وحاجة موضوعية، وهوما ينأى بها عن القصدية، ومن هنا نجد أنها ليست موجهة في أصل تكوينها للأطفال، ولا تعكس اهتماماتهم، ولا تلبي

---

(١) عبد الحليم، شوقي «الفولكلور والأساطير العربية»، دار ابن خلدون – بيروت (١٩٧٨م)، ص ١٠٥.

(٢) بعلوشة، إبراهيم محمد، «الفن الشعبي وأثره في التكوين النفسي للطفل» وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر ص٢٦.

احتياجاتهم، بل إن الصياغة الرفيعة واللغة الفصحى للأسطورة تتجاوز القدرات اللغوية للطفل، ناهيك عن طابعها التجريدي، وإذا كان الأطفال ينجذبون كثيرًا إلى الأساطير فما ذلك إلا لغرائبية أحداثها الزاخرة بالبطولات الخارقة والعجائب وأساليب التشويق المختلفة الذي يبتدعها الرواة.

إن الالتفات إلى التراث أمر إيجابي بلا شك، فهو من المكوّنات الأساسية في بناء الحضارة الإنسانية، ووسيلة مُهمَّة لتحصين الشخصية الفردية في مواجهة أي غزو ثقافي، أو إعلامي قد يُفقد الطفلَ ثقتَه بنفسه، أو مجتمعه. لكن صياغة حكاية خرافية ما للأطفال تقتضي تجنيب الطفل كل ما لا يتلاءم مع مستواه الإدراكي، والنفسي، والاجتماعي، وكل ما لا يتلاءم مع مفاهيم التربية الحديثة.

لنأخذ حكاية «علي بابا» مثالًا على بعض الحكايات الشعبية التي تحمل قيمًا سلبية تؤثر على الأطفال، حيث نجد في القصة التي أعدها «كامل الكيلاني» أن «علي بابا يسرق اللصوص»، وهو منطق الحكاية الشعبية في «ألف ليلة وليلة»، لكن منطق الأطفال يجعلهم يتساءلون عما إذا كان من الجائز سرقة اللص، فالقانون يعاقب الشخص الذي يلجأ إلى السرقة، ليسترد حقًا له، فكيف و«علي بابا» يسرق مالًا ليس له؟!.. وفي مكان آخر من القصة نجد مرجانةأ خادمة «علي بابا»، تملأ وعاء كبيرًا بالزيت، وتضعه على النار حتى يشتد غليانه، ثم تفتح كل خابية وتصب فيها شيئًا من الزيت حتى قتلت اللصوص جميعًا أشنع قتلة، وهو ما تقوله الحكاية الشعبية أيضًا، وهنا يمكن للقارئ الصغير أن يتساءل عما إذا كان يمكن للمسروق أن يقتل السارق، في حين أن التشريع لا يسمح بذلك إلا في حالة الدفاع عن النفس.(١)

كما تعج بعض الحكايات بصور الازدراء للمرأة، وتعمم صورًا نمطية سلبية، مثل صورة الخالة – زوجة الأب – القاسية والشريرة، ولا تخفى المساوئ الاجتماعية والتربوية لتعميم مثل هذه الصورة السلبية للمرأة (الخالة) للأطفال، وما يمكن أن تولده من كراهية ومواقف

(١) الشاروني، يعقوب: «القيم التربوية في قصص الأطفال» وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر (١٩٩٠ م)، ص ٤٦، ٥٠ – ٥١.

عدائية مسبقة عند الأطفال وعند الخالة أيضًا التي سبق وحدد لها المجتمع هذا الدور وطلب منها ضمنيًا تمثله وتمثيله.

إن المآخذ السلبية الكثيرة على مضامين الأساطير والحكايات الشعبية باعتبار (إن القسم الأكبر من آدابنا الشعبية وطقوسنا الاجتماعية مؤسس على مزيج غامض من التَحيز والتعصب والأوهام والصور الذهنية المختلفة)[1] قد عززت من دعوات الرافضين تقديمها للأطفال كما هـي أو محّورة ومعدلة باعتبار أن (الأميرة الساحرة، والجان، والخاتم السحري) حكايات تجاوزتها الحياة الحديثة، وطواها الزمن، وأدخلت الحياة العصرية أدواتها التي تتناسب مع طبيعتها، وارتكزت على العلم ووسائله، فبدل «بساط الريح» أصبحت مركبة الفضاء، وبدل أن يكلم الطفل الخاتم السحري، يكلم العقل الإلكتروني، وهكذا.[2] ولذا نجد الدكتور هادي نعمان الهيتي، يذهب إلى القول بأن الأساطير ليست أكثر من «أكذوبة كبيرة» بعد أن كانت بالأمس البعيد عقيدة راسخة، وهي بهذا المعنى مادة لا تناسب الأطفال.[3]

ويقول الدكتور محمد شاكر سعيد: «إن كثيرًا مما كتب للأطفال في واقعه ليس صالحًا للأطفال لتجاوزه مستويات الأطفال، أو لتجاوزه الجانب التربوي المناسب للأطفال، أو لعدم تضمنه قيمًا أخلاقية تسهم في تربية الأطفال وتنشئتهم».[4]

وفي برلين الغربية سابقًا أو قفت رواية الحكايات الخرافية والأساطير في دور الحضانة، ليشب جيل جديد، لم ولن يسمع عن سندريلا، وذات الرداء الأحمر وغيرها من القصص التي ظلت تروى للصغار عبر قرون طويلة، وحجتهم في ذلك أنهم لا يريدون أن يعيش الأطفال بعقولهم الناشئة في ظل الخوف والرعب الناجين عن هذه القصص التي تقدم أبطالًا من الملوك وكبار التجار والنبلاء الذين لا يستحقون الاحترام والتقدير من جانب الناشئين،

(١) الهيتي، هادي نعمان: «أدب الأطفال بين المرونة والتعصب» مجلة «الطفولة والتنمية» المجلس العربي للطفولة والتنمية، مصر (٢..١م) العدد «١» ص١٩.

(٢) العاصي، عربي: «الحيوان في قصص الأطفال»، ص ١٠٦.

(٣) الهيتي، هادي نعمان: «أدب الأطفال»، ص ١٩٣.

(٤) الكيلاني، نجيب: أدب الطفل في ضوء الإسلام، ص٣٨.

إذ إن هذه الشخصيات ليست النماذج التي يجب أن يكبر الصغار ولها في نفوسهم ووجدانهم نوع من التبجيل والتقدير.(١)

ويعود هذا الموقف الداعي إلى إسقاط الأساطير والحكايات الخرافية من أدب الطفل إلى نظرة بعض علماء الأنثروبولوجيا (علم الأجناس البشرية)، الذين استندوا إلى نظرة تطورية، ترى أن الأسطورة تختص بزمن تاريخي معين، كان فيه العقل الإنساني بدائيًا، ولا يمكن أن تبقى حيَّة في العصر الحديث، الذي يسيطر عليه العلم سيطرة تكاد تكون مطلقة. ودراسات أخرى رفضت هذا التقسيم الحادّ لتطور العقل الإنساني، فالإنسان - كما ترى - يلجأ إلى القُوى الغَيبيَّة، المتمثّلة في الأساطير، في أية مرحلة من مراحل تطوّره، كلما واجهته صعوبات لا يستطيع السيطرة عليها أو تفهمها.

لذلك نرى بعضهم ينادي بعَقْلَنَة ما يقدَّم للطفل في هذا المجال، ومراعاة الفئات العُمْريَّة التي يوجه لها هذا النوع من القصص.

واتجهت بحوث تربوية إلى نفي التعارض بين الأسطورة والعلم؛ لأنَّ كُلًا منهما يعمل في مجال خاص به، ويُلبّي حاجات مختلفة في النفس الإنسانية، ونجد كذلك لدى بعض علماء التربية ما يبدد مخاوف هؤلاء الدارسين من استخدام الخرافة في الأدب الطفولي. فيقول و.د.وول في كتابه (التربية البنَّاءة للأطفال) الذي تولَّت منظمة اليونسكو نشره لأهميته: «إذا كان الكبار أنفسهم في حاجة بين الحين والآخر إلى أن يذهبوا مع تيَّار أو هامهم، وأن يختلقوا حكايات، ويبتدعوا خيالات، فإن الطفل يهتم بقدر ما يكبر بالسببية، وإن دور التربية هو تسهيل التفكير العلمي بخصوص الأسباب، دون القضاء على الإبداع الحر، وعلى الخيال»، بل إنه يرى في استخدام الخرافة في أدب الأطفال مسألة صحية، فيقول: «يتَّصل اهتمام الطفل بالقصص الخرافية بحاجته إلى إعطاء شكل درامي للمشاكل التي تعترضه، ولإبداعات خياله، فالعديد من عناصر الفلكلور (الفن الشعبي) ومن القصص الخرافية بما في ذلك المشاهد العنيفة، تتطابق مع عالم الطفل الباطني، ويمكن لهذا الأخير أن يتقمص بسهولة مختلف مظاهر الحكاية».(٢)

---

(١) بعلوشة، إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) (مصادر الخرافة في قصص الأطفال)

ولعل ذلك يعود إلى ما تحمله من مظاهر الإدهاش وغرائبية الأحداث الأسطورية وقدرات أبطالها الخارقة، وحركة الزمن فيها، مما قد يساهم في إثراء مخيلة الطفل وتنميتها، ولكن مع كل هذه الإيجابيات التي من الممكن أن تحققها الأسطورة لثقافة الطفل إلا أننا نلحظ فقرًا عربيًا مدقعًا في جانب التأليف الخيالي الموجه للأطفال خاصة.

فهل ينقص المخيلة العربية الثراء الإبداعي والقدرة على نسج الحكاية بالصورة الجاذبة التي حققتها رواية (هاري بوتر) مثلًا والتي صدر منها مؤخرًا الجزء السابع والأخير؟ تلك السلسلة الروائية التي جذبت أطفال العالم من كل الجنسيات والأعراق وترجمت إلى ٦٥ لغة، واعتمدت على الغرائب والعجائب والخيال[1] وعلى كثير من الجوانب الأسطورية منذ صدور جزئها الأول.

وقد يكون تأثير الأساطير متفاوتًا من طفل إلى آخر، لذا لابد أن تحمل هذه الحكايات الأسطورية قيمة إنسانية وتُرسخ في ذهن الطفل مبادئ إيجابية تدعو إلى المحبة والخير والجمال عبر إيحاءات ضمنية، مناسبة لمستوى النضج العقلي والمعرفي والانفعالي للأطفال. وذهب إبراهيم بن سعد الحقيل في مقالته التي وضعها بعنوان (لمحات في أدب الطفل) إلى ضرورة ترسيخ حب الله سبحانه وتعالى ومعرفة قدرته، وأنه خالق الإنسان ومسيّر الكون، وأن المرجع والمآل إليه، فينشأ الطفل غير مشوش التصور وضعيفة، وأيضًا دعا إلى محبة رسول الله والأنبياء والرسل، وما أكثر تلك المواقف القصصية، وما أكثر تلك الحكايات الباهرة - في سيرته وسيرهم - صلى الله عليهم وسلم أجمعين.[2] ففي قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع النمل والهدهد[3] من التجليات التي تبهر العقول ما يجعلها حقيقة بأن تكتب بصياغة تشويقية تتوافق مع قدرات الطفل العقلية والذهنية، وأن تُرسم حدودها بما يضمن تحقيق الأهداف المرجوة من خلالها تربويًا ودينيًا وترفيهيًا.

ويزخر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بغيرها من القصص التي يتوجب على كتاب أدب الطفل الالتفات إليها لإشباع العديد من حاجاته الفكرية والنفسية فتستجيب لميوله في المغامرة والمعرفة، وتعمل على توسيع آفاق خياله، ومدارات تفكيره، وفي إثراء

---

(١)العتيبي، فاطمة: «هاري بوتر العربية»، صحيفة الجزيرة، العدد١٢٧٧، ص٧.

(٢) الحقيل، إبراهيم بن سعد: «لمحات في أدب الطفل» مجلة البيان، السنة السابعة عشرة، العدد ١٧٩.

(٣)القرآن الكريم سورة النمل (من آية ٢. إلى آية ٤٤)

http: www.almarefh.org news.php?action=show&id=96

حصيلته اللغوية، وإكسابه المعارف والخبرات في الكثير من ميادين العلوم الإنسانية، وجعلها تهدف إلى تهذيب انفعالات الطفل ومشاعره، ورفع مستوى ذائقته الفنية وتنمية شخصيته المستقلة.

دور الأسطورة والحكاية في تنمية مخيلة الطفل العربي وإثرائها

حتى لا يسوقنا إغراء العنوان إلى إعطاء أحكام عامة، يدفعنا إلى التسليم المباشر بأدوار للأسطورة والحكاية في تنمية مخيلة الطفل العربي وإثرائه ينبغي أو لا تقديم تعريف للأسطورة والحكاية وفك الاشتباك بينهما على افتراض وجود تداخل بين المفهومين لاسيما أن تعبير الأسطورة يمتزج في أذهان الكثيرين بتعبير الخرافة والحكاية الشعبية كما يضع بعض الدارسين الأسطورة إلى جانب الخرافة والحكاية الشعبية والأمثال والحكم والسير الشعبية، في جراب الموروث الشعبي.

الأسطورة:

أجمع الدارسون لعلم الأساطير، أي الميثالوجيا، على الطابع الاعتقادي والإيماني للأسطورة، مع ما يحمله ذلك من قداسة. تقول أديث هاملتون الاختصاصية في الأساطير الإغريقية إن الأسطورة ماهي إلا تعليل لإحدى الظواهر الطبيعية مثل كيفية خلق هذا الشيء أو ذاك في الكون، كالناس والحيوانات، والأشجار، والشمس، والقمر والنجوم والزوابع، وباختصار كل ماله وجود، وكل ما يقع في هذا الكون الفسيح. والأساطير ماهي إلا العلم القديم، وهي نتاج محاولات الإنسان الأول لتعليل كل ما يقع تحت بصره وحسه[1] أما بارتيه فقد عرّف الأسطورة في كتابه علم الأساطير بأنها أقدم لغة وطريقة للاتصال، من حيث كونها قولًا تلقائيًا بلغة سائغة بين عناصر اجتماعية معينة، ولهذا فأنها مجهولة الهوية، والأصل، غامضة التاريخ والمكان.[2] والأسطورة بهذا المعنى تكتسب قداستها من كون أبطالها آلهة، وشبه آلهة، ومن قوة الاعتقاد بهذه الآلهة، وبأفعالها، وأقوالها، وإن كانت قد توارت من الذهن الجمعي للناس بعد ظهور الأديان السماوية الثلاث والفلسفات الوضعية الحديثة، وتطور العلوم الإنسانية والطبيعية، إلا أنه لازال لبعض الاعتقادات والعادات

(١) انظر الهيتي، هادي نعمان (١٩٧٧) أدب الأطفال، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ص ١٩١.

(٢)العاصي، عربي (١٩٨١) الحيوان في قصص الأطفال، الكرمل للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ص ٢٩.

والطقوس الأسطورية سطوتها على أذهان البعض، ومن هنا تتبدّى تقليدية الأسطورة بانتقالها من جيل إلى جيل، بالرواية الشفهية، مما يجعلها ذاكرة الجماعة التي تحفظ قيمتها وعاداتها وطقوسها وحكمتها، وتنقلها للأجيال المتعاقبة وتكسبها القوة المسيطرة على النفوس.(١)

الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية

الحكاية الشعبية هي مرويّة شعبية، نسجها الخيال الشعبي، وتداولها الناس جيلا بعد جيل مضيفين لها ومحورين فيها، وهي كما تعرفها المعاجم الألمانية الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لأخر، أو كما تصفها المعاجم الإنجليزية حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وتتطور مع العصور وتتداول شفاها، كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ.(٢)

والحكاية الشعبية لا تحمل طابع القداسة، وتقف في موضوعاتها عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية.

والخرافة كالحكاية الشعبية لا تحمل الأخرى طابع القداسة، بل هي بطولات ملأي بالمبالغات والخوارق، إلاّ أن أبطالها الرئيسيين هم من البشر أو الجن ولا دور للآلهة فيها.(٣) وفي الخرافات يتجلى – بوضوح – المنزع الأخلاقي، ويتحدد الصراع بين الخير والشر، الملاك والشيطان أو الجان، العفاريت والإنسان، الساحرة الشريرة والفتاة الجميلة، الفارس والوحوش، وتكون الغلبة فيها دائما لصالح الخير، وعادة ما تكون النهاية سعيدة وتعكس الحكايات الشعبية حاجات الإنسان النفسية والانفعالية حيث تعويضا عن إحساسه بالقهر والضعف أمام الطبيعة والسلطة، أي كان نوعها، كما أنها تعكس التوق والحلم للتسيد، ويستعان لذلك با لحكايات الخرافية، وتحديدًا بالجن والعفاريت والغيلان والحيوانات المفترسة، وأحيانا بقوى الطبيعة نفسها كالسيول الجارفة والبراكين والزلازل، إلى جانب بعدها الترويحي والترفيهي

---

(١) السواح، فراس (١٩٨١) مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة – سوريا وبلاد الرافدين سومر للدراسات والنشر والتوزيع، نيقوسيا – قبرص، الطبعة السادسة، ص ٢١.

(٢) بعلوشة، إبراهيم محمد، بحث حول الفن الشعبي وأثره في التكوين النفسي للطفل وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، ص٢٠.

(٣)السواح، فراس (١٩٨٦)، مرجع سابق، ص ٢٢.

الأساطير والحكايات والأطفال

أوضحت التعريفات الخاصة بالأسطورة والحكاية الشعبية والخرافة، أنها جاءت لتعبّر عن ضرورة وحاجة موضوعية، وهوما ينأى بها عن القصدية، أي أنه لم يتم التعامل معها في الأصل كفن، كما يعني في وجه من وجوهها بأنها ليست موجهة للأطفال، ولا تعكس اهتماماتهم، ولا تلبي احتياجاتهم، بل إن الصياغة الرفيعة واللغة الفصحى للأسطورة تتجاوز القدرات ا للغوية للطفل، ناهيك عن طابعها التجريدي، وإذا كان الأطفال ينجذبون كثيرا إلى الحكايات والخرافية تحديدا فلبساطتها ولغرائبية أحداثها الزاخرة بالبطولات الخارقة والعجائب وأساليب التشويق المختلفة الذي يبتدعها الرواة، وتكمن أهمية هذه الإشارة في كسر الوهم المسيطر على أذهان البعض، بأن الأساطير والحكايات الشعبية والخرافة صناعة خاصة للأطفال، منطلقين في ذلك من غرائبية أحداثها وغرقها في الفنتازيا.

يشير الدكتور الهيتي في هذا الصدد إلى أنه لا يوجد تراث من الحكايات الشعبية التي كان يقدمها الأقدمون إلى الأطفال ويعود هذا إلى أن الكبار كانوا يتناقلون حكاياتهم ويعنون بها؛ لأنها تعبّر عن حياتهم وحدهم بينما كانت حكايات الأطفال تظهر في كل عصر، ولكنها سرعان ما تنسى فتموت، ولم يبق إلاّ القليل من بين ذلك الفيض الذي يمكن القول إن الإنسان صاغه للأطفال.[1]

ومن هنا يكتسب السؤال مشروعيته:

هل يمكن تقديم الأسطورة والحكايات الشعبية للأطفال؟

- وجهة النظر الأولى: يمثلها تولكين أحد كتّاب الأطفال العالميين ترى أن القصص مادة سيئة مليئــة بالأحداث المفزعة والشخصيات المرعبة التي تهدد أمنهم الداخلي وتشعرهم بعدم الاطمئنان في هذا العالم.

---

(١) الهيتي، هادي نعمان (مارس ١٩٨٨)، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت العدد (١٢٣)، ص١٨٦.

- وجهة النظر الثانية: يمثلها أندرولانج - مؤسس علم الأساطير- ترى أنها تثير الخيال وتوسع الآفاق وتثير العقول، فهي بهذا تعادل الأعمال الروائية لكبار الكتّاب وأن مذاقها لدى أطفال عصرنا هو نفس مذاقها لدى الأجداد منذ آلاف السنين.[1]

- أما وجهة النظر الثالثة، فترى أن أشكال التعبير الشعبي، يجب أن تمر بمقاييس العصر ومعاييره قبل أن يعاد تقديمها للأطفال، ويشمل هذا فيما يشمل تنقيتها من الخيالات المفزعة والقيم الضارة والشوائب المختلفة.

ويمثل وجهة النظر الثالثة العديد من الباحثين والدارسين العرب أمثال الدكتور عبد الحميد يونس، والأستاذ أحمد نجيب، والدكتور عبد العزيز عبد المجيد، والدكتور هادي نعمان الهيتي، وإن كان الأخير يبدي تحفظات كثيرة في هذا الجانب، يجعله أكثر ميلًا لوجهة النظر الأولى، حيث يشير الدكتور الهيتي إلى أنه حين بدأت حركة تدوين الحكايات الشعبية في بعض البلدان، وجد أن هناك جزءا قليلا يمكن أن يشكل زادا لأدب الأطفال، ووجد في بعض آخر قسوة أو خشونة، لذا أعقبت حركة التدوين حركة أخرى مكملة، هي تحوير بعض تلك الحكايات التي قيل أنها كانت للأطفال، إضافة إلى تطوير بعض الحكايات الأخرى التي كان يتناقلها الراشدون، وذلك بقصد أن تكون مناسبة للأطفال.[2]

بيد أن عملية التحوير أو ما تسمى أحيانًا بالتطوير والتعديل ليست سهلة، بل ومحفوفة بالمخاطر، خاصة عند التعامل مع الحكايات الشائعة بين الأطفال، حيث سرعان ما يكتشف الأطفال أي تحوير فيها، فيبدو لهم الأمر مربكًا[3] ولعل ما يعزز هذا الرأي تناول الحكاية عينها بصيغ ومضامين من قبل أكثر من كاتب، فقصة علاء الدين والمصباح السحري من قصص ألف ليلة وليلة كتبها كامل الكيلاني وصدرت عن دار المعارف بمصر، كما صاغ الحكاية نفسها سليمان العيسى أو بالأصح ترجمها عن نص باللغة الإنجليزية ونشرها في سلسلة أساطير وحكايات خرافية، ضمن منشورات ليدبيرد، كما قامت دار المعارف – لبنان،

---

(١) انظر: الصباغ، مرسي السيد مرسي (١٩٩٦)، توظيف مواد الثقافة الشعبية في ثقافة الطفل العربي مجلة ثقافة الطفل.

(٢) الهيتي، هادي نعمان، ثقافة الأطفال، ص ١٨٧.

(٣) الهيتي، أدب الأطفال، ص ٢٠٠.

بنقل الحكاية عن مؤسسة والت ديزني، والأمر نفسه بالنسبة لحكاية علي بابا وعلي بابا والأربعون لصا وعلي بابا والأربعون حرامي بالتتابع لكامل الكيلان وسليمان العيسى ونظيرة محمد سلسلة مكتبة الطفل – دائرة ثقافة الأطفال – العراق ما دفع يعقوب الشاروني إلى القول: وهكذا نجد أن كل صفحة من صفحات القصص المأخوذة عن ألف ليلة وليلة، تمتلئ بما يجب أن نقوله للأطفال، أو بما يجب ألا نقوله للأطفال، أو بما نقوله بعد تعديله ليتلاءم مع ما يجب أن نقوله للأطفال، وليس المسئول عن ذلك النص الأصلي، بل هو الكاتب الذي يأخذ على عاتقه مخاطبة الصغاراً والوصول إ لـى عقولهم وسلوكهم عن طريق الحكاية والخيال[1]، والسؤال هنا.. كيف سيتعامل الطفل مع هذه الحكاية أو تلك لو وقعت بيده بصيغها ورؤاها ومضامينها المختلفة؟ أما الأساطير – حسب الهيتي – ليست أكثر من أكذوبة كبيرة بعد أن كانت بالأمس البعيد عقيدة راسخة، وهي بهذا المعنى مادة لا تناسب الأطفال[2]، إن رصدًا دقيقًا لمكامن الخطورة في الأساطير وجل الحكايات إن لم يكن كلها تحديدًا عند تقديمها للأطفال يجعلنا نشير بأصابعنا إلى الإغراق في القدرية والقسمة والنصيب، وأفعال الزمن ومكائده[3]، والهروب من المسؤولية، ونزعة التبرير، ورد الأمور إلى إرادات مستترة، والاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضروريين، والجبن والتواكل عندما تدق ساعة الجد، والتقليد، والتقيد بالقوالب، والشكليات الجاهزة، والإيمان بالخـــوارق والحماس اللفظـي، والإيمان بالمشعوذين والدجالين، والمعتقدات الشعبية القديمة ظاهرة العين والتشاؤم... إلخ.[4] لنأخذ حكاية علي بابا مثالًا على بعض الحكايات الشعبية التي تحمل قيما سلبية تؤثر على الأطفال، حيث نجد في القصة التي أعدها كامل الكيلاني أن علي بابا يسرق اللصوص، وهو منطق الحكاية الشعبية في ألف ليلة وليلة، لكن منطق الأطفال يجعلهم يتساءلون عما إذا كان من الجائز سرقة اللص، فالقانون يعاقب الشخص الذي يلجأ إلى السرقة، ليسترد حقًا له، فكيف وعلي بابا يسرق مالا ليس له؟!.. وفي مكان آخر من القصة نجد مرجانة خادمة علي بابا، تملأ وعاءً كبيرًا بالزيت، وتضعه على النار

(١) انظر: الشاروني، يعقوب (١٩٩٠)، القيم التربوية في قصص الأطفال وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، ص ٣٤.

(٢) الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال، ص ١٩٣.

(٣) انظر: عبد الحليم، شوقي (١٩٧٨)، الفولكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون – بيروت، ص١٠٥.

(٤) انظر: بعلوشة، إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص٢٦.

حتى يشتد غليانه، ثم تفتح كل خابية وتصب فيها شيئا من الزيت حتى قتلت اللصوص جميعا أشنع قتلة، وهو ما تقوله الحكاية الشعبية أيضا، وهنا يمكن للقارئ الصغير أن يتساءل عما يمكن للمسروق أن يقتل السارق، في حين أن التشريع لا يسمح بذلك إلا في حالة الدفاع عن النفس.(١) كما تعج بعض الحكايات بصور الازدراء للمرأة، وتعمم صورا نمطية سلبية، مثل صورة الخالة – زوجة الأب – القاسية والشريرة، في إحصاء للحكايات الشعبية اليمنية المنشورة في كتاب حكايات وأساطير يمنية للأستاذ علي محمد عبده، ظهر أن هناك ثلاث حكايات تتعرض للموضوع نفسه (وريقة الحنَّا، الدّجرة، الحمامة المسحورة) إلى جانب حكاية لم تنشر في الكتاب، هي جليد الحمار، وهي غير الحكاية المعروفة جليد أبو حمار ولا تخفى المساوئ الاجتماعية والتربوية لتعميم مثل هذه الصورة السلبية للمرأة الخالة للأطفال، وما يمكن أن تولده من كراهية ومواقف عدائية مسبقة عند الأطفال وعند الخالة أيضًا التي سبق وحدد لها المجتمع هذا الدور وطلب منها ضمنيًّا تمثله وتمثيله، ن المآخذ السلبية الكثيرة على مضامين الأساطير والحكايات الشعبية باعتبار إن القسم الأكبر من آدابنا الشعبية وطقوسنا الاجتماعية مؤسس على مزيج غامض من التّحيز والتعصب والأوهام والصور الذهنية المختلفة (٢) قد عززت من دعوات الرافضين تقديمها للأطفال كما هي أو محّورة ومعدلة باعتبار أن الأميرة الساحرة، والجان، والخاتم السحري حكايات تجاوزتها الحياة الحديثة، وطواها الزمن، وأدخلت الحياة العصرية أدواتها التي تتناسب مع طبيعتها، وارتكزت على العلم ووسائله، فبدل بساط الريح أصبحت مركبة الفضاء، وبدل أن يكلم الطفل الخاتم السحري، يكلم العقل الالكتروني، وهكذا.. (٣) بل أنه في برلين الغربية سابقًا قفت رواية الحكايات الخرافية والأساطير في دور الحضانة، ليشب جيل جديد، لم ولن يسمع عن سندريللا، وذات الرداء الأحمر وغيرها من القصص التي ظلت تروى للصغار عبر قرون طويلة وحجتهم في ذلك أنهم لا يريدون أن يعيش الأطفال بعقولهم الناشئة في ظل الخوف والرعب الناجين عن هذه القصص التي تقدم أبطالًا من الملوك وكبار التجار والنبلاء الذين لا يستحقون الاحترام والتقدير من جانب الناشئين، إذ أن هذه الشخصيات ليست النماذج

---

(١) انظر: الشاروني يعقوب مرجع سابق ص ٤٦، ٥٠ – ٥١.

(٢)الهيتي، هادي نعمان (ربيع ٢٠٠١) أدب الأطفال بين المرونة والتعصب مجلة الطفولة والتنمية المجلس العربي للطفولة والتنمية، مصر، العدد ١، ص ١٩.

(٣) العاصي، عربي، مرجع سابق، ص ١٠٦.

التي يجب أن يكبر الصغار ولها في نفوسهم ووجدانهم نوع من التبجيل والتقدير(1)، من المعلوم أن الرفض لا يطال الأساطير والحكايات الشعبية وغيرها من أنواع الأدب الشعبي لذاتها، ولا ينتقص من قيمتها التاريخية والمعرفية بوجه مــن الوجوه، إنما الأمر يتصل بتعاطي الطفل معها، والتعامل معها بقداسة أو على أقل تقدير كمسلمات اجتماعية، بل إن الواجب يقتضي الدعوة إلى الاهتمام بكل الأساطير والموروثات الشعبية مـن خلال جمعها وتنقيحها ودراستها وتعميمها، باعتباره إرث قومي وتأريخي لا غنى عنه.

إثراء مخيلة الطفل وتنميتها:

إن طابع الإدهاش وغرائب أحداث الأساطير والحكايات الشعبية، وقدرات أبطالها الخارقة، وحركة الزمن فيها، قد جعل البعض يفترض لها دورا في إثراء مخيلة الطفل وتنميته، وإن كنا لا ننكر هذا التأثير، لكنه ذلك الخيال الذي يبتعد بالطفل عن الواقع ليلقي به في جزر مظلمة خارج عالمنا، بل ويفقده الحلم الذي هو أساس التخيل.

إن مرد اهتمامنا بالقديم وبالموروثات الشعبية عند حديثنا عن الطفل وأدب الأطفال، جاء من باب العاطفة، وتأكيد الهوية القومية، بما هي تميّز عن الأنا الآخر، وهو ما نأى بنا عن الاهتمام بالقادم، بالمستقبل، لذا جاء تعاطينا مع أدب الخيال العلمي ضعيفًا، إن لم يكن في حكم المعدوم، رغم أهميته في إثراء مخيلة الطفل وتنميتها، بل وفي تنمية قدرته على الخلق والابتكار، وهو ما نحن في أمس الحاجة إليه... إن هدف هذه القصص ليس إيصالها المعلومات إلى الأطفال. بل إشباع مخيلاتهم، ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر سعة، لذا تعد تنمية قدرة الطفل على التخيل والتأمل والمرونة أحد أهداف هذه القصص(2) بهذا يكون الخيال ايجابيًا، فاعلًا ومنتجًا، وليس خيالًا مأزومًا، محاصرًا بالسحرة والجن والعفاريت والغيلان. فالثقافة العلمية – حسب الدكتور بشير البكري – هي التي تحمي أطفالنا من الخرافة والسحر والأحاجي والأساطير.

---

(1) بعلوشة، إبراهيم محمد، مرجع سابق، ص٣٧.

(2) الهيتي، هادي نعمان، ثقافة الأطفال، ص ١٩٨.

http: www.ahewar.org debat show.art.asp?aid=39571#

الأساطير

السيف المسحور... أسطورة شعبية من بريطانيا[1]

كان يا ما كان في قديم الزمان تنين رهيب بمدينة يسكنها الكثير من الناس، وكان لهذا التنين جناحان كبيران كجناحي طائرة، يسمع الناس رفرقتهما من على بعد أميال، وكانت عيناه تقدحان شرارًا وكان يزفر نيرانًا.

وكان باستطاعة هذا التنين الرهيب قتل ثور كبير بضربة واحدة، وكان علي سكان المدينة أن يقدموا لهذا التنين كل عام فتاة ليأكلها، وإلا التهم جميع السكان.

وفى إحدى السنوات كان الدور على الأميرة (سابرا) لتواجه مصيرها مع هذا التنين.

أتى (جورج) أصغر حراس الكنيسة وأشجعهم لإنقاذ الأميرة، هل سينجح جورج في إنقاذ الأميرة وهل سيتمكن من حمل السيف المسحور؟!

ضربه التنين بذيله ضربة قوية قذفته بعيدًا، ولم تقو أنامله على حمل السيف، وأصيب بارتباك أمام هذا الوحش الذي جاء يريد أن يلتقمه دفعة واحدة، أسرع جورج نحو سيفه المسحور الذي تحرك نحوه هو الآخر وطار في الهواء ووقع في قبضة جورج، ودار جورج دورة سريعة وضرب التنين ضربة قوية بسيفه المسحور (أسكالون).

وما كان من الأميرة إلا أن ألقت بوشاحها على التنين حول عنقه وسحبته كالخروف إلى السوق، أتى جورج مسرعًا وراءها وبضربة سيف واحدة تمكن من قتل التنين، أصبح جورج بعدها القديس الراعي لانجلترا.[2]

---

(١) ما زال هناك بعض أنواع لحيوانات التنين علي قيد الحياة حتى يومنا هذا، تعرف باسم تنين كومودوالعملاق وهوعبارة عن سحلية تعيش في إندونيسيا يبلغ طولها ٣ أمتار.

(٢) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية مكتبة الشروق الدولية بتصرف

في بلاد العجائب.... أسطورة شعبية إغريقية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك غلام اسمه (لافظ) كان يعيش في بلاد العجائب، من غير أم ولا أب، كما تنشأ الأطفال في تلك البلاد، وكان يسكن في بيت صغير لا يعرف من بناه له، فلما كبر قليلًا جاءت إليه طفلة اسمها (لاحظة)، ولدت في بلد بعيد من بلاد العجائب، وبحثت عن بيت تسكنه، حتى اهتدت إلي بيت لافظ فاتخذته سكنًا لها.

وما إن استقر بها الحال في بيت لافظ، اصطدم بصرها بصندوق مغلق، فسألت لافظ عن سر هذا الصندوق المغلق، ولكن لافظ قال لها: إن هناك سرًّا وراء هذا الصندوق ولن أبوح به، فغضبت منه لاحظة، ولكنه دعاها للعب ونسيان أمر هذا الصندوق الذي كدر عليها صفو حياتها.

كانت لاحظة أول طفلة تعرف الحزن في تلك البلاد، فلم يكن يشغل بال الأطفال سوى اللعب والمرح، وكانت وسائل العيش كلها ميسرة، إلا أن سر الصندوق وما يحويه من ألغاز بات يهدد سعادتها وانقلب بيت لافظ إلى جحيم، وهي دائمة السؤال عن الصندوق ومن أين أتى، فلما أحس لافظ بالضيق قال لها: لك ما طلبت إن ملكًا من السماء هو الذي أتى لي بهذا الصندوق ووضعه في بيتي وطلب مني عدم فتحه، وأنا لا أريد أن أخون الأمانة.

ـ لقد عرفت هذا الملك، إنه عطارد، لا شك أنه هو الذي أتى بي إلى هنا، ولابد أنه وضع هذا الصندوق عندك هدية لي ولابد أن به من التحف والأقمشة ما يليق بي ويناسبني، ولكن لافظ قال لها: بغض النظر عما تقولين فلا يحق لنا فتح الصندوق ولا العبث به، وتركها لافظ وخرج هو للعب مع الأطفال والمرح معهم.

نظرت لاحظة إلى الصندوق ولم تطق صبرًا على مغالبة فضولها، فانتهى بها الأمر إلى قرار خطير هو فتح الصندوق، أرهفت أذنيها وأصغت إلى الصندوق وإذا بها تسمع صوتًا مصدره الصندوق، فزاد فضولها لمعرفة سر هذا الصوت، قال لها هذا الصوت: افتحي لنا يا لاحظة نحن أصدقاؤك ونريد أن نلعب معك، وسوف نجعلك في منتهى السعادة وسوف نملأ عليك البيت بالسرور والحبور.

وما أن دخل لافظ البيت حتى وضعت يدها على الصندوق، وخافت من لافظ ولكنها استدرجته حتى ساعدها في فتح الصندوق قليلًا، وهنا وقعت الواقعة وحلت المصائب، فقد خرجت من الصندوق حشرات طائرة لها أنياب وإبر فظيعة وشكلها مخيف، قامت بلسع لافظ وحاولت لسع لاحظة في جبينها ولكن لافظ دافع عنها فلم يمسها سوء.

ولم يطق الطفلان صبرًا على البقاء بين الحشرات المؤذية، فأسرعا بفتح النوافذ، لطردها خارج الدار، ليتخلصا من شرها وأذاها، فتفاقم الشر وعم الأذى، وانتشرت تلك الحشرات الخبيثة في أنحاء المدينة، فبدلت أفراح الأطفال أتراحًا، وسرورهم حزنًا، وصحتهم مرضًا، وأمنهم رعبًا.

وفقدت الأزهار نضارتها، وكبر الأطفال وشاخوا، وصار الجميع يعانون من ضروب الآلام والمصائب ما يعانون، ودبت العداوة بين الناس جميعًا.

حزن لافظ وحزنت لاحظة أشد الحزن على التفريط في الأمانة وأنهما كانا السبب في جلب الشر للعالم، وخيم الصمت عليهما وبينما هما كذلك، سمعت لاحظة صوتًا خافتًا ينبعث من جوف الصندوق، فقالت من أنت أيها الصائح الذي أسمع صوته؟!

ـ اكشفي عنى الغطاء فلن ترى منى إلا ما يسرك.

ـ كلا كلا لن أفعل وكفى الذي جرى لنا من أصحابك وما نالنا ونال العالم من الشرور

ـ أسمعت يا لافظ صوت هذا الهاتف الصغير؟ هل أفتح له؟

ـ لقد سمعت، افعلي ما بدا لك، فلن تزيد المصائب إلا واحدة.

ثم تعاونا على فتح الصندوق، وما كادا يفعلان، حتى طار منه شخص صغير، تبدو على فمه ابتسامة عذبة، وظل يطير في أرجاء الغرفة ويشع نورها في كل مكان يمر فيه، ثم طار صوب لافظ ولمس مكان الألم الذي أصابه اللدغ، فزال ألمه في الحال، ثم قبّل لاحظة في جبينها فزال عن نفسها ما ألم بها من الحزن والأسى.

قالت لاحظة: من أنت أيها الجميل؟

ـ أنا الأمل.

ـ ما أجمل جناحيك، وما أشبه لونها بقوس قزح!

ـ صدقت يا لاحظة فأنا ولد الدمع وابن الابتسامة.

قال لافظ: لعلك باق معنا طوال الحياة؟

ـ نعم ولن أتأخر عن جلب السعادة لكما طوال الحياة، فلا تيأسا ولا يتسرب القنوط إلى قلبيكما، ولا تضجرا بشيء من الحياة، فإن مع العسر يسرًا، وإن مع الضيق فرجًا، وإن مع الألم أملًا، وإن فاتكم شيء في هذه الحياة حتمًا ستحصلان على خير منه.

ولا يزال الأمل يبدد آلامنا وأحزاننا إلى اليوم، ويبعث فينا روح الإقدام والعزم ما يدفعنا إلى النجاح، ويجدد قوانا، ويقوى عزائمنا، ولولا فسحة الأمل لضاقت بنا الدنيا، واستولى اليأس على قلوبنا، ولكن ابتسامة الأمل هي وحدها التي تنير طريقنا في الحياة(١).

أحلام البشر... أسطورة شعبية من جنوب آسيا

يحكى أن رجلًا فقيرًا منذ زمن بعيد عاش بجوار رجل غني يتاجر في الزيت، شعر الرجل الفقير بالحسد نحو جاره الغنى وثروته الكبيرة وتجارته المنتعشة، وكان دائمًا ما يتحدث عن ذلك.

علم الرجل الغنى بهذا الحديث، فماذا كان تصرفه مع جاره؟! وما هو رد الفعل من الجار الفقير؟!

أهدى الرجل الغني الرجل الفقير قارورة من الزيت، وكانت كبيرة، فرح الرجل الفقير بالهدية وقال في نفسه: يمكنني الآن أن أبيع الزيت وأشترى بالنقود خمس نعجات.

ثم فكر بعد ذلك محدثًا نفسه: يمكنني أيضًا الزواج طالما امتلكت الخمس نعجات، وبالطبع ستكون زوجتي جميلة، وتنجب لي غلامًا جميلًا.

ثم خطر ببال الرجل الفقير فكرة أقلقته: ولكن ابني كسول ومعتمد علي ثروة والده ماذا لو رفض طاعتي وأهانني؟

---

(١) (قصة للأستاذ رشاد كامل الكيلاني. بتصرف).

وتسببت هذه الفكرة في تعكير صفو الرجل الفقير حتى بدأ يتجول داخل كوخه وهو يدبدب قائلًا: لو لم يطعني ولدى، فسألقنه درسًا، وسأضربه بالعصا، وبينما كان يلوح بالعصا، لمست قارورة الزيت التي وضعها الفقير على أحد الأرفف، فسقطت وانكسرت، وانسكب الزيت على أرضية الكوخ القذرة.

ونظر الرجل إلى حطام القارورة المبعثر وأدرك أن أحلامه هي الأخرى قد انكسرت وتبعثرت، وأنه ليس سوى رجل فقير يسكن بجوار رجل غني.

(هذه الحكاية هي إحدى حكايات كليلة ودمنة)(١).

القرد وعقد اللؤلؤ... أسطورة شعبية من جنوب آسيا

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هناك ملك قرر في أحد الأيام اللطيفة السباحة، وكان معه زوجته الملكة الجميلة وكانت في كامل زينتها وقد دعاها زوجها الملك للسباحة أيضًا، فقالت له: سمعًا وطاعة أيها الملك، في البداية خافت الملكة على مجوهراتها وعقد اللؤلؤ الثمين، ولكن سرعان ما أشارت إلى إحدى خادمتها بالحضور وأعطت لها المجوهرات وعقد اللؤلؤ الذي كانت ترتديه، وسرعان ما شعرت الخادمة بالتعب لقيامها بالعديد من الأعمال المرهقة في ذلك اليوم، فنامت تحت الشجرة الدافئة، وكانت على مقربه منهم قردة تراقب المشهد من فوق الشجرة، فنزلت مسرعة وخطفت العقد وعادت مسرعة لتختبئ بين فروع الشجرة.

واعتقدت القردة أنها ستبدو كما لو كانت ملكة وهى ترتدي عقد اللؤلؤ، سألت القردة نفسها: ألست جميلة؟!

ماذا ستفعل الخادمة عندما تستيقظ ولا تجد عقد اللؤلؤ؟

---

(١) قدم ابن المقفع خلال القرن الثامن الميلادي الترجمة العربية الشهيرة لمجموعة من جنوب آسيا والمعروفة بحكايات بيدبا وسميت هذه الترجمة بـ (كليلة ودمنة) علي اسم اثنين من بنات أو ى، وأصبحت كليلة ودمنة منذ ذلك الحين منجما ثريا للقصص والحكايات الرمزية التي ظهرت في الأدب الإسلامي فيما بعد.

وماذا سيفعل الحراس؟ وكيف تصرف كبير الحراس أمام هذه المشكلة التي تضعه في حرج مع الملك؟!

عندما استيقظت الخادمة، اكتشفت سرقة عقد الملكة! فصرخت وبكت وأخبرت الحراس وكبيرهم بالقصة، بحث الحراس هنا وهناك وفى كل مكان ولكنهم فشلوا ولم يجدوا العقد، ولم يعرفوا من السارق اللعين الذي وضعهم في هذا المأزق، ودهش رئيس الحراس من ذلك، ولكنه كان في غاية الذكاء، فماذا فعل ليسترد العقد؟! وما هي الحيلة التي عملها ليكتشف السارق؟!

أسرع كبير الحراس بإحضار العديد من العقود الزجاجية، وألقاها على الأرض وترك المكان وانتظر ماذا سيحدث، وما هي إلا لحظات تمر على تركه المكان حتى أتت القرود الأخرى وخطفت العقود المرمية على الأرض وهى في غاية السعادة، قائلة: ألا نبدو آية في الجمال؟!

ولاحظ كبير الحراس أن القرود كلها فعلت ذلك إلا القردة الأولى التي ذهبت حيث تخفى عقد اللؤلؤ، ثم تقلدته، وأخذت تغيظهم قائلة: العقود التي تتقلدونها مصنوعة من الزجاج أما عقدي أنا فمصنوع من اللؤلؤ.

وكان هذا ما فكر فيه كبير الحراس وخطط له، فوثب هو ورجاله من حيث كانوا مختبئين وأمسكوا بالقردة، وأعادوا عقد اللؤلؤ إلى الملكة، وسمحوا لبقية القرود بالاحتفاظ ببقية العقود الزجاجية[1].

أطلس حامل العالم... أسطورة شعبية إغريقية

كان ياما كان في قديم الزمان، كان زيوس ملك الآلهة الإغريقية القديمة قد غضب على أطلس أحد الجبابرة من أبناء السماء والأرض، وهذا الغضب العارم من ملك الآلهة على أطلس له سبب، وإذا عرف السبب بطل العجب، فقد تطاول أطلس على ملك الآلهة وحاول مصارعته، فقد كان يظن أن قوته وجبروته ستصنعان منه إله مثل باقي الآلهة، وسوف يتحكم في العالم، ولهذا سولت له نفسه مصارعة ملك الآلهة زيوس، ولكن ملك الآلهة زيوس قرر معاقبة هذا المارق الذي تطاول وسار خلف نزعات النفس الأمارة بالسوء.

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية مكتبة الشروق الدولية بتصرف.

فقد حكم عليه حكمًا غاية في الصعوبة، فبماذا حكم عليه؟ وهل سينفذ أطلس الحكم؟!
حكم عليه بأن يحمل الأرض والسماء على كتفيه ردحًا من الزمن، وانصاع أطلس للحكم وحمل هذا الحمل الثقيل، ولكنه أحس أن الأمر غاية في الصعوبة وأن هذا الحمل ثقيل، فأراد أن يتخلص من هذا العبء الثقيل، وكان قاب قوسين أو أدنى من النجاح، عندما جاءه البطل الإغريقي هرقل طالبًا مساعدته.

فهل ينجح فعلًا أطلس؟! وماذا كان يريد منه هرقل بالضبط؟!

- ماذا تريد مني يا صديقي؟

- أريد منك أن تساعدني في إحضار الثلاث تفاحات الذهبية التي يحرسها التنين بالحديقة.

- أنا على استعداد يا صديقي أن أذهب إلي الحديقة وأحضر لك تفاحاتك الذهبية، وأن أصارع التنين ذا المئة رأس، الذي تنطلق من عيونه الشرار فتحرق كل من يحاول الاقتراب منه، ولكني جهزت درعًا حاميًا من هذا الشرر، به مرايا عاكسة تعكس عليه الشرر فيناله أشد الأذى، ولكنه عندما يصاب بنيرانه يثور ويغضب ويصيح ولا أحد يتحمل صياحه وتهتز الأرض من تحت قدميه وفكرت في حل هذه المشكلة والمعضلة، وعملت حيلة أستقبل بها صوته الذي يشبه الرعد وأقوم بإرساله إلى أذنيه فيترنح كالمخمور ويذهب عقله ولا يدرى ماذا يفعل، وجهزت السهام التي تدخل جسمه وتذوب في دمه وتصل إلى قلبه وعقله فتصيبه بالشلل التام، وعندها سأتمكن من إحضار تفاحاتك الذهبية.

- لقد حللت مشكلتي بأفكارك الذهبية التي هي أغلى من تفاحاتي الذهبية، اذهب إذن وسأكون شاكرًا لك، وسأفعل لك ما تريد منى جزاء عملك البطولي هذا.

- طبعًا سأذهب ولكن هناك مشكلة بسيطة.

- وما هي هذه المشكلة؟!

- إن ذهبت من يحمل السماء والأرض بدلًا منى؟ احملها أنت لحين عودتي من المهمة التي كلفتني بها.

وفعلًا تمكن أطلس من القضاء علي التنين وبعد عودته طلب من هرقل الاستمرار في مهمته فوافق هرقل.

هل سيظل هرقل في هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه؟! أم سيحتال على أطلس ويهرب من عبئه الثقيل؟!

- أريد منك يا أطلس خدمة أخيرة.

- وما هي هذه الخدمة يا هرقل؟!

- كتفي يؤلمني وأريد منك أن تحمل عنى الأرض والسماء لدقيقة واحدة، حتى أحضر وسادة أضعها على كتفي حتى لا أشعر بالألم.

وبمجرد أن رفع أطلس العالم على كتفيه من جديد، التقط هرقل التفاحات الثلاث وفر هاربًا(١).

النمر في الفخ... أسطورة شعبية كورية

كان ياما كان في قديم الزمان، كان أحد المسافرين يستعد لقضاء ليلته في الصحراء، سمع أنينًا خافتًا، فتوجس خيفة وانتفض انتفاضة العصفور بلله القطر، وقام واقفًا ينظر في كل الجهات، إلا أن الرؤية كانت صعبة؛ لأن الليل أسدل ستائره علي المكان ولفه بعباءة قاتمة السواد، أشعل الرجل بعض فروع الأشجار والتي جمعها للتدفئة، وعمل بعض المشروبات الساخنة، فأضاءت المكان واتضحت الرؤية نوعًا ما، وأمعن النظر فوجد نمرًا واقعًا داخل حفرة عميقة، نظر النمر إلى الرجل وتوسل إليه قائلًا: أرجوك خلصني من هذا الفخ، وسأكون ممتنًا لك بقية حياتي، وافق الرجل وأنزل فرع شجرة إلى النمر الذي بداخل الحفرة؛ كي يتسلق عليه ويخرج.

---

(١) تشير بعض القصص أن صوت الرعد هو صوت أطلس الذي ظل يصرخ مناديا هرقل حتى يعود. تعود القصة السابقة إلى قدماء الإغريق، وعندما نود التعرف علي العالم من حولنا، نطالع كتابا يسمى أطلس، حيث نجد فيه صور وأشكال مختلف البلدان، والأنهار، التي تجري فيها، والمواقع المختلفة لقارات العالم، تعرف سلسلة من الجبال تقع في شمال غربي أفريقيا باسم أطلس تبعا لإحدى الحكايات: حيث لم يقم أطلس ملك المنطقة بحسن ضيافة البطل الإغريقي بيرسيوس، ومن ثم جعله ينظر إلى رأس الشريرة ميدوزا البشع، حيث كانت تحول كل من ينظر إليها إلى حجر كعقاب له. هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية مكتبة الشروق الدولية. بتصرف.

وبمجرد أن خرج النمر من الحفرة، انقض علي الرجل، ولكن الرجل ابتعد عنه بسرعة وقال له: تمهل، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ظننتك ستشعر نحوى بالامتنان، فأجاب النمر: لقد قام رجال مثلك بنصب هذا الفخ لي، ولذا يجب أن يعانى أحد الرجال معاناتي نفسها.

حينئذ مر بهم أرنب برى وسأل عن المشكلة، فشرح له النمر الأمر، وسأله إن كان يوافقه الرأي أم لا؟

فسأل الأرنب النمر: عليّ أولًا أن أرى الحفرة بنفسي، أين كانت بالضبط؟

أجابه النمر: هنا أسفل، ثم قفز داخل الحفرة.

فسأله النمر: هل كان فرع الشجرة معك؟

فأجابه النمر: كلا، فالتقط الأرنب فرع الشجرة وألقي به بعيدًا.

ثم التفت الأرنب إلى المسافر وطلب منه أن يمضي إلى حال سبيله.

وصرخ النمر في يأس، بينما كان المسافر يسير بعيدًا. كيف تخونني؟!

أجاب الأرنب: إنني أحكم على كل شخص من خلال شخصيته وليس من خلال أفعال أقرانه.

لقد نلت جزاءك الذي تستحقه ونال الرجل أيضًا ما يستحقه.

ذهب الرجل إلي خيمته التي نصبها وسط الصحراء وصنع كوبًا من الشاي، ولا زال صوت أنين النمر يرقى إلى مسامعه، وهو يترقب بزوغ الفجر بفارغ الصبر، ولم ينم ليلته ولم يذق طعم النوم، وصمم ألا يفعل المعروف في غير أهله، لقد كان قاب قوسين أو أدنى من الموت ولكن الله سلم، وبعث إليه هذا المنقذ الذكي في الوقت المناسب، وقال لن أعود لفعل هذا مرة أخرى، لقد تعلمت درسًا لن أنساه طوال حياتي، وتابع سيره إلى بلدته بسلام وجمع أفراد أسرته وقص عليهم حكايته ليستفيدوا منها في المستقبل.[1]

(١) نادرًا ما يهاجم النمر البشر ليأكلهم، ولا يقوم بهذا إلا إذا كان مريضًا وعاجزًا عن صيد فريسته الطبيعية.

حكاية: وليم دي كلاوديزلي... أسطورة شعبية من بريطانيا

بالقرب من مدينة كارلايزل Carlisle التي تحيطها الأسوار كان في أزمان أخرى غابة كبيرة وكثيفة، حيث كان الملك يخبئ أيائله، وكذلك فزّاعات لتخيف الحيوانات واللصوص. كان خادمو الملك يطاردون بقسوة جماعة من الصيادين الجريئين، الذين كانوا يعيشون دائمًا في الغابة كعشاق للحرية وأعداء للقمع الذي يقوم به الأسياد. والشجعان الثلاثة هم: آدم بيل وكلايم ووليم دي كلاوديزلي، الذين كانوا يقودون مجموعة الصيادين، وهم يشعرون بالسعادة، وينعمون بروعة الحرية في الغابة. كان وليم صاحب العائلة الوحيد فيهم، والتي كانت مكونة من: زوجته أليسيا وأبنائه الثلاثة الذين يعيشون في أحد أكواخ مدينة كارليزل. أحسّ وليم الشجاع بالرغبة لرؤية زوجته وأبنائه بعد غياب طويل، فأعلم أصدقاءه بذلك كي ينتشروا في الطريق تحسبًا لأي شيء حتى وصوله إلى كوخه، ومن ثم يعودون في الصباح إلى الغابة علمًا أنهم بذلك سيتعرضون لخطر وقوعهم في الأسر من قبل عسس وجنود الشريف العمدة، دخل وليم إلى المدينة عندما كان الظلام قد عمّ تمامًا، ووصل إلى بيته ثم نادي عند الباب بصوت يكاد لا يسمع، ففتحت زوجته اليسيا الباب، وهي متفاجئة ومرعوبة من رجال الشريف الذين كانوا يراقبون البيت بشكل متواصل.

نظر الأولاد بدهشة كبيرة إلى والدهم، وفي تلك الليلة امتلأ البيت بالسعادة والفرح.

لكن أحدهم وشى بوجود الصياد، ولم تتأخر الوشاية بالوصول إلى الشريف، وقبل بزوغ الفجر كانت القرية تقف على أقدامها مرغمة على معاونة الشريف والقاضي في القبض على المغامر. كان جنود الملك يحقدون على الصياد، بينما كان رجال القرية معجبين به ويتعاطفون معه. سمع وليم خطوات المسلحين فصعد مع زوجته وأبنائه بسرعة إلى الطابق العلوي، ومن خلال نافذة عريضة شاهد الجنود، وهم يحاصرون البيت، كان الصباح قد بدأ يتفتح بصفاء، لكنه امتلأ بالأصوات. لم يشعر وليم بالخوف، كان قد أحضر معه حفنة من السهام استعدادًا للمقاومة، ومن النافذة الواسعة شاهد القاضي والشريف وكلاهما أعداؤه. صوّب قوسه، ثم انطلق السهم بقوة، وهو يصفر، فحطّ على صدر القاضي المحمي بدرع من مشبك الحديد، استسلم يا وليم دي كلاوديزلي! كانوا يصرخون عليه من الخارج. فردت

عليهم اليسيا الشجاعة بفخر: زوجي لا يستسلم!! زوجي ليس جبانًا مثلكم!! كانت سهام كلاوديزلي صائبة، وقد جرحت بعض الذين يحاصرونه، لكن الشريف الذي يحتقن بالغضب أمر بإضرام النار بالبيت دون شفقة أو رحمة للمرأة وللأولاد، وبدأ البيت يحترق، ووصلت ألسنة اللهب إلى الغرفة التي كان الأطفال فيها يبكون من شدة الخوف. توقف وليم عن إطلاق السهام، وأخذ عدة شراشف من القماش المتين، وربطها مثل الحبل، بينما اليسيا وأولاده تمكنوا من النزول عبر النافذة، وعندما تأكد وليم أنهم نجوا صاح: أيها الشريف لقد أرعبت زوجتي وأطفالي، وجه انتقامك نحوي، لكن حذار أن تمسهم بأقل الأذى. واستمر من بين ألسنة اللهب يطلق السهام حتى آخر سهم عنده، فلم تعد المقامة ممكنة وقد صار البيت على شفى أن ينهار، ومثل وحشٍ كاسرٍ قفز وليم من النافذة فأطبق الجنود عليه، وشدّوا وثاقه بقوة، ثم سجنوه في قفص مغلق. قال الشريف له: وليم كلاوديزلي!! غدًا في ساعات الصباح الأولى ستكون مع لقاء في الساحة العامة، ولن تُفتح أبوابُ المدينة إلا بعد موتك، لا تنتظر الآن من رفاقك أن يأتوا ليخلصوك، في اليوم الثاني عند الشفق كان سكان المدينة في الساحة العامة، والجندي الذي كان يحرس أبواب المدينة أمر أن لا تُفتح إلا بأوامر عليا. أحد الرعيان الذي لم يتمكن من إخراج قطيعه للرعي سأل أحد سكان القرية عن اسم المتهم، فقال الرجل: إنه النبيل والشجاع وليم الذي لم يفعل أيّ شيء يؤذي أكثر من الصيد والعيش في غابات الملك، إن إعدامه بسبب ذلك وباسم السماء لهو جورٌ كبير!!. كان الراعي يعرف وليم الذي تصادق معه في الغابة، فكر للحظة، وبعدها تسلل من جدار السور وقفز إلى الحقل دون أن يراه أحد، ركض بكل قوته إلى أن وصل إلى مخيم الصيادين، وأخبرهم عما جرى.

أخذ آدم بيل وكلايم أسلحتهما، وركضا باتجاه أبواب المدينة عندها طرأت فكرة جيدة لكلايم: فلنقدم أنفسنا أننا مبعوثون من الملك، وبهذا يفتحون الأبواب لنا. زوّر آدم بيل خطّ وختم الملك في صحيفة، والتي لفها لاحقًا، فبدت أنها أمرٌ رسمي. طرق الاثنان بوابة المدينة بقوة، وأعلنا أنهما مبعوثان يحضران أمرًا طارئًا من القصر إلى القاضي. فتحت البوابات، وركع الحراس عندما رأوا الختم الحقيقي، لكن آدم وكلايم ألقيا بنفسيهما على الحارس، وربطاه بقوة، ثم حبساه في زنزانة قريبة، وبعد ذلك ركضا إلى الساحة العامة. كانت جموع الناس

يتابعون التحضيرات لتنفيذ حكم الإعدام. وكان وليم كلاوديزلي هناك وسط الساحة موثقًا بقوة بالحبال، لكنه لحظ أصدقاءه الأوفياء صوّب الاثنان سهام قوسيهما على القاضي والشريف اللذين كانا بارزين من فوق حصانيهما من بين الحشود، اهتز القوسان، وصفرت السهام، فسقط القاضي والشريف على الأرض بإصابات قاتلة، سادت لحظة ذهول، وتبعها فوضى، استغلها رماة السهام للاقتراب من رفيقهم فقطعا الحبال التي كانت تشد وثاقه، وعندها تسلح وليم بفأس أحد الجنود. بدأ الصيادون الثلاثة يقاومون القوات التي كانت هناك، كانوا يقاتلون وظهر كل منهم محميًّا بظهر الآخر، بينما يعطون وجوههم للمهاجمين، كان الصيادون الشجعان يطلقون سهامهم وهم يتراجعون خطوة خطوة نحو أبواب المدينة. نفدت السهام، ولمعت السيوف، وخارت قوى المتمردين الثلاثة، وبجهد أخير فازوا بالخروج، وأغلقوا البوابة الكبيرة بالمفتاح الذي استولوا عليه من الحارس، وانطلقوا بسرعة نحو الملجأ الآمن في الغابات التي عاشوا فيها دائمًا وناضلوا وكافحوا للاحتفاظ بالحرية. مشى الرفاق الثلاثة تحت ظلال الأشجار الضخمة، يتندرون على أحداث مغامرتهم الكبيرة، فسمعوا همهمات وأصوات استغاثة، تخرج من السور الكثيف، فباعدوا الأغصان، واقتربوا من المكان الذي كانت الشكوى تسمع منه، فعثروا على اليسيا الشجاعة هناك، وقد هربت إلى الغابة ومعها أطفالها الثلاثة. كانت منتشية من السعادة، أحضر آدم وكلايم صيدًا وفيرًا، وفي نفس المكان جهزوا الغذاء الذي سيسترد لهم القوة التي بذلوها، وفي وقت الراحة وهم يتسامرون حول النار قال وليم: أظن أنه يجب علينا أن نذهب في الحال إلى لندن، لنطلب الصفح من الملك قبل أن تصله الأخبار من كارليزلي، فعندي ثقة بأنه سيستمع لنا، لكنني سأترك هنا زوجتي اليسيا واثنين من أبنائي في بستان قريب، وسآخذ معي ابني الكبير، حتى يتمكن من نقل أخبار حظنا إلى أمه. استعدّ رماة الأقواس الثلاثة، وكذلك الطفل الرائع ابن السبع سنوات من العمر، وانطلقوا باتجاه لندن. وبعد ثلاث دوريات متعبة من المسير، وصلوا إلى القصر، وأعلنوا أنهم صيادون في غابات الملك وقد جاءوا يطلبون الغفران.

استقبلهم الملك بشكل سيء، وعندما علم بأسمائهم أمر غاضبًا أن يودعوا السجن؛ كي يدفعوا بحياتهم ثمن إساءاتهم، لكن نبل ولطافة الصيادين جعلت الملكة تتعاطف معهم، وتطلب من الملك أن يعفوا عن الثلاثة، فوافق الملك على العفو بسبب حبه لزوجته، وفي تلك اللحظة وصل أحدهم يحمل رسالة يشرح فيها ما حدث في مدينة كارليزلي، وما فعله الرجال

الثلاثة أمام المدينة كلها، وقف الملك مشدوهًا وحانقًا أمام تلك الواقعة المستحيلة، وأمر رجاله من رماة السهام أن يخرجوا إلى حقل الرماية، ليمتحنوا مهارة المغامرين، امتلأ الحقل الشاسع بالناس والجنود ينظرون بازدراء إلى الصيادين الثلاثة.

قام رماة الرماح التابعين للملك والرفاق الثلاثة بإطلاق سهامهم على دريئات بيضاء، فقال وليم دي كلاوديزلي: يبدو هذا مثل لعبة أطفال، فأنا لا أسمّي أبدًا رامي سهمٍ جيد للذي يفرح بالتسديد على هذه الأهداف الكبيرة جدًا، والتي تشبه الدروع في المعارك، فأيّ كائن يمكنه القيام بذلك. قال الملك: فلتختر الدريئة التي تحب، وأرني ما أنت قادر على فعله. قال وليم بصوت جهوري: من أجل شرف رماة السهام سأقوم بما لا يمكن لأحد القيام به، فهذا الطفل الموجود هنا هو ابني، وعن مسافة أربعمائة قدم سأسدد سهمي على تفاحة تضعها على رأسه، قال الملك: إن هذا لمغامرة كبيرة وخطرة، وإن لم تحققها فسوف تدفع الثمن حياتك أنت وحياة رفاقك. فاستعد وليم لتنفيذ كلمته. كان الطفل بعينين مفتوحتين جاحظتين، وقد تم ربطه إلى جذع شجرة، ثابت في الأرض ووضعوا تفاحة على رأسه الأشقر الجميل. وابتعد كلاوديزلي مسافة أربعمائة قدم، ووضع في قوسه أطول سهامه والأكثر استقامة. كانت حشود الناس تنظر إليه بأسى، والنساء تبكي من شدة تأثرهم العاطفي. استدار كلاوديزلي إلى الناس، وقال: إياكم أن يتحرك أحدكم فيعكر صفائي، ووسط الصمت ثبت الرامي قدميه ثم سدد فصفر السهم، وسقطت التفاحة مشطورة إلى نصفين متساويين. انفجرت الحشود بصرخات كبيرة تعبر عن فرحها، وجميعهم يصفقون تملؤهم السعادة. اتخذ الملك الصمت، وبعدها قال: أمنحك العفو يا وليم دي كلاوديزلي، ومن الآن أمنحك لقب كبير حراس غاباتي إن كنت لا تزال تفضل العيش مع رفاقك تحت حمايتي، لكن الأصدقاء الشجعان اختاروا أن يواصلوا حياتهم، حياة الحرية والمغامرات في غابات كثيفة من أشجار البلوط المعمرة مئات السنين.

الفارس جيريان... أسطورة شعبية من بريطانيا

تتبعها إحدى سيدات مجلسها، كانت زوجة الملك آرثر تتجول في مجنبات القلعة. وهما تمتطيان الخيل عبرتا الجسر المقام على النهر، وابتعدتا في الحقل الأخضر بين المروج والأشجار. توقفت الملكة لسماعها وقع حوافر حصان كان يأتي في الاتجاه نفسه. وبعد فترة قصيرة ظهر أمامها فارس شاب من النبلاء، يرتدي معطف عباءة واسعة ومفتوحة، وعلى جانبه سيف له

قبضة من ذهب. أهلًا وسهلًا أيها الفارس، قالت الأميرة له وتابعت، لم أكن أتوقع هكذا صحبة سعيدة، تعال فاليوم سنصل إلى مدخل الغابة. وقبل الوصول توقفوا عندما شاهدوا بين الأشجار رجلًا بدينًا يرافقه قزمٌ، يأتيان على حصانيهما بخطوات بطيئة ومعهما امرأة كانت تمشي بثوبها الداخلي، المخرّم والمصنوع من الذهب إلى جانب فارس له طابع مستبد ومدجج بسلاح ثقيل ويلمع. أرسلت الأميرة وصيفتها سيدة الشرف لتسأل القزم عن اسم سيده، وعندما سألته بلطف وأدب رد القزم: لن أقول لك شيئًا، فأنت لست أهلًا للاقتراب من سيدي. أرادت السيدة أن تتجه نحو الفارس المجهول الهوية، لكن القزم تدخل وضربها بالسوط على وجهها، استعد جيريان ليقتص من تلك الفعلة الدنيئة، ووضع يده على سيفه، لكنه توقف؛ لأنه اعتبر من غير المشرف أن ينتقم من ذلك الرجل الصغير عديم القيمة، عندها طلب الإذن من الملكة ليتبع أولئك المجهولين حتى يجد الفرصة، ليرتدي ثياب الحرب ويعاقب الفارس الفظ. اذهب، قالت الملكة: وسننتظر عودتك في المجلس بفارغ الصبر. تابع جيريان أولئك المجهولين، وبعد أن اجتازوا نهر اليوسك usk وصلوا إلى مدينة، عند مدخلها كانت تقوم قلعة جبارة، مرّ بها الفارس المدجج مع سيدته وقزمه، فنهض الناس يؤدون طقوس الاستقبال ويقدمون التحيات.

كانت البيوت والنوافذ مزينة بدروع ملونة ورايات وردية، وفي كل محددة كان هناك رجال منهمكون في صقل السيوف وتدبيب الرماح وتلميع الخوذات والدروع.

دخل القزم والسيدة والفارس إلى القلعة وسط صفين من المحاربين كانوا قد خرجوا واصطفوا عندما شاهدوا الفارس وجماعته يصلون. بقي جيريان يفكر دون أن يعرف إلى أين يتجه، لكنه رأى قلعة قديمة مهدمة ونائية شيئًا ما، فمشى إلى هناك يطلب مأوى لتلك الليلة.

وعندما أحسوا بقدومه خرج لاستقباله رجلٌ مسنٌ، وله لحية وشعر أبيض، تبدو عليه علامات النبل على الرغم من ثيابه البالية والذي رحّب بالفارس بعبارات كيّسة، وقدّم له ضيافة متواضعة. نزل جيريان عن حصانه في الحديقة المحاطة بأنقاض آثار، ظنّ أنها لقلعة كانت هنا في أزمان أخرى، مع أنه يرى بعض الأسوار والأقواس، وقد تشققت وبعض الأبراج والمنارات مدمرة، وبعض سقوف من حجر بقيت واقفة، وكذلك بعض الغرف التي

تكوّن هذا المأوى المسكين. قدّمه المسن إلى زوجته وابنته إيناد التي وان كانت بملابس بسيطة، فقد بدت لجيريان أجمل النساء وأكثرهن روعة. قال المسن لإيناد: اعتني بحصان ضيفنا، واجعلي منزلنا الفقير مضيفًا طيبًا للفارس. فقامت الشابة العذراء بترتيب كلّ شيء بطيبة نفس وثقة. حضّرت العشاء، وجلسوا إلى المائدة، وبقيت الشابة إيناد تقدم الخدمات، وبعد الأكل شرح جيريان عن احترافه كفارس وعن قربه من الملك أرثر، وبعدها أبدى اهتمامه لمعرفة لمن تعود تلك القلعة المبادة؟ قال المسن: هذه، إنها آخر ممتلكاتي الوحيدة المتبقية! لقد أعلن حفيدي الجاحد الحرب عليّ، وجردّني من كل أملاكي!! أقدم لك نفسي: أنا الكونت ينيوال، أراني الآن وبسبب غدره قد انحدرت إلى هذا الفقر. سيدي - سأل جيريان- من هو الفارس الذي وصل إلى القلعة مع زوجته والقزم؟ وما الأمر الذي يتم تحضيره في هذه المدينة المزدانة جدًا؟ إنه حفيدي الكونت الخائن، هو من رأيته يدخل القلعة، لقد نظم حفل مبارزة سيقام غدا في السهل الكبير الذي نراه من هنا. إنه سيغرس في وسط الحقل رمحًا يكون في طرفه صقر من الذهب كجائزة للمنتصر، والجميع في المدينة يحضرون السلاح والخيول، ولن يأخذ مكانته في تلك المنازلة من لا يذهب بصحبة زوجته!! إن هذا الشرير الملعون الذي رأيته يصل اليوم إلى المدينة، كان قد اغتصب للمرة الثانية الصقر الذهبي، وإذا استطاع أن ينتصر غدًا من جديد فانه سيغتصب لقب الفارس الصقر. سيدي!! قال جيريان: عليّ أن انتقم لذلك الجور الذي سببه حفيدك لي وللملكة. وهكذا أرجوك أن تعيرني درعًا، وأن تسمح لي أن أدخل المنازلة، على شرف ابنتك إيندا، والتي إن خرجت منتصرًا فسأبقى أحبها طالما حييت، إنك تقدم لي سعادة عارمة، وغدًا عند شروق الشمس سيكون لك درعٌ جاهزٌ وحصانك، وأنا وابنتي سنرافقك. وعند الصباح استعد الفارس جيريان، فارتدى الحديد، وسنّ سيفه، ثم امتطى الحصان، وتسربل بالدرع، وحمل الرمح ليتجه إلى المنازلة. عندما وصلوا إلى الحقل كان فارس القلعة متأكدًا من انتصاره، ويؤشر لزوجته أن تأخذ الصقر الذهبي جائزة المنتصر، لكن في تلك اللحظة ظهر الفارس جيريان وقال: الصقر الذهبي ليس لك، ولا يمت إليكم بصلة. أدعوك لمنازلتي أيها الفارس الخائن، إنني سأهزمك، وعليك أن تعلن أن زوجتي هي السيدة الأكثر جمالًا وروعة. وبعد أن قال جيريان ذلك اتجه على وقع

حوافر خيله نحو أطراف الحقل، ليكون مستعدًا للقتال. كان الفارس الفظ غاضبًا جدًا. وانطلق الغريمان بأقصى سرعة حصانيهما كلٌ باتجاه الآخر، ولثلاث مرات تكسرت الرماح على الدروع، ولثلاث مرات قام الكونت المسن ينيوال والقزم المتعجرف بتقديم السلاح للخصمين، وأخيرًا قال الرجل المسن لجيريان: هذا الرمح الذي أخذته في شبابي عندما سلّحوني لأكون فارسًا، ولقد قاوم الرمح في الكثير من المعارك ولم يتكسّر. كان جيريان مصممًا على الفوز، فرمى خصمه بقوة، ومزّق درعه فيها، وأسقط الخائن على الأرض. ترجّل جيريان عن خيله، وبدأ المبارزة حيث راحت السيوف تقعقع، واقترب المسن إلى المسافة التي أمكنه الاقتراب إليها وقال: يا فارس الملك آرثر تذكر الإهانة التي سببها لك. عندها استجمع جيريان كل طاقته وقوته وركّزها في المعركة، وبضربة رهيبة قصم خوذة خصمه الذي سقط مهزومًا على الأرض، وراح يطلب الرأفة. فقال جيريان له: أسامحك بحياتك تحت شرط واحد أن تمثل أمام الملكة، وأن تطلب منها الغفران عن إساءتك، وعندها سينطق فرسان المجلس بالعقاب الذي تستحق. قام جميع رجال الخائن المحاربين، وجميع فرسان المدينة بتقديم التحية إلى الفارس المنتصر، الذي رجع مع المسن وعائلته إلى القلعة المهدمة، وهم مزدانون بالورود وبالمشاعل المنيرة.

حضر الكونت المهزوم إلى هناك، ليتفرغ جيريان له وقال له: سأعود غدًا إلى البلد الذي أتيت منه، وسأذهب مصحوبًا بإيندا التي ستصبح زوجة لي، لكن قبل أي شيء عليك بإعادة كل شيء اغتصبته من الكونت يونيوال. وهذا ما كان قبل انطلاق إيندا وجيريان نحو مجلس الملك آرثر.

سامبا غانا... أسطورة شعبية من أفريقيا

كان ياما كان في قديم الزمان في مدينة واغنا Wagna كانت الملكة أناليا- تو-باري Analia Tu-bari، وكان والدها هو أمير واغنا وسيد قرى كثيرة، وفي إحدى المرات خاض حربًا مع أمير عدو انهزم فيها والد أناليا، فتم تجريده من ممتلكاته، وكان عليه أن يسلّم قراه، لكن كبرياءه لم يسمح له بتحمل ذلك، فمات كمدًا وغمًا وورثت أناليا كلّ المملكة عن أبيها. حضر أعدادٌ كبيرة من الفرسان إلى مدينة واغنا، يطلبون يدها للزواج، لكن أناليا كانت تحزم

بطلبها، ليس فقط أن يستردوا القرية الضائعة، إنما ثمانين مدينة أخرى!! لكن لا أحدَ من الفرسان تجرأ على هذا المهر الحربي. ومرّت السنوات وفقدت أناليا كل سعادتها، ومع أنها كانت تزداد جمالًا في كل يوم، إلا أنها كانت تزداد حزنًا في بلدٍ مجاورٍ كان لأميرها ولدٌ يدعى سامبا – غانا، وعندما كبر هجر مدينة أبيه حسب عادات البلد، وخرج ليحتل أراضٍ ومدنٍ أخرى؛ كي يقيم عليها مملكته.

كان سامبا- غانا شابًا مبتهجًا دائمًا، وقد خرج سعيدًا من مدينة والده يرافقه اثنان مدرعان. أعلن سامبا الحرب على أمير مدينة وتحدّاه إلى منازلة فتصارع الاثنان، والمدينة كلها تشاهدهم، وأخيرًا انتصر سامبا غانا فطلب الأمير المهزوم منه أن يعفو عن حياته، ويقدم له مدينته. فبدأ سامبا يضحك ويقول: ابقَ مع مدينتك فهي لا تهمني.

تابع سامبا طريقه، وهزم الأمراء واحدًا تلو الآخر، ودائمًا كان يعيد كلّ ما يحصل عليه بفوزه إلى كل أميرٍ مهزوم، ويقول له: ابقَ مع مدينتك فمدينتك لا تهمني.

تمكن سامبا غانا من هزيمة كل أمراء البلاد، ومع ذلك لم يكن يملك أرضًا ولا مدينة، لأنه بعد كل انتصاراته كان يعيد كلَّ شيءٍ، ويمضي ضاحكًا مبتهجًا وحالمًا، وفي يوم كان يرتاح فيه مع مرافقه عند ضفاف نهر النيجر، غنّى المرافق الأغنية الرائعة لأناليا- تو- باري، والمليئة بالحزن وعزلة الأميرة. قال المرافق: الرجل الذي سيحظى بأناليا وسيجعلها تضحك هو فقط ذاك الفارس الذي سيسترد ثمانين مدينة عندما سمع سامبا غانا ذلك وثب بقفزة سريعة، وصاح: هيا يا أصحاب العضلات اسرجوا الخيول!! هيا بنا إلى بلاد أناليا- تو- باري. انطلق سامبا بمسيرة مع المرافقين المدرعين، واستمروا أيامًا وليالي يمتطون الجياد يومًا بعد يوم حتى وصلوا إلى مدينة أناليا توباري، فرأى سامبا غانا امرأة رائعة الجمال وشديدة الحزن. فقال لها: أناليا أنا سأسترد المدن الثمانين. وقرر أن ينطلق في مسيرة ثانية. قال لمرافقه: ابق هنا مع أناليا، غنّ لها وروّحها عن نفسها، اجعلها تضحك. فبقي المرافق في مدينة أناليا توباري، وكلّ يومٍ صار يغني لأناليا أغنيات عن أبطال بلادها، وعن مدنها، وعن أفاعي النهر التي تجعل مستوى المياه يرتفع، فتجعل الناس يخزنون الأرز لسبع سنوات ويبقون جائعين لسبع سنين أخرى.

وكانت أناليا تستمع له، بينما سامبا غانا كان يقطع الأمصار، ويحارب الأمراء واحدًا تلو الآخر. فأخضع ثمانين أميرًا، ولكلّ مهزومٍ منهم كان يقول: عليك الحضور أمام أناليا توباري، وأن تقول لها: إن مدينتك صارت لها. ذهب الأمراء الثمانون يرافقهم أعداد كبيرة من المحاربين إلى مدينة واغانا، وسكنوا هناك، فأخذت مدينة أناليا تتسع وتتسع، إلى أن أصبحت ملكة على الأمراء والمحاربين في كل الأمصار. قال سامبا غانا لها: كل شيء تمنيته قد أصبح ملكًا لك. فقالت أناليا: لقد وفّيت بوعدك، سأكون زوجتك.

فقال سامبا غانا: لماذا أنت حزينة؟ إنني لن أتزوج منك إلا عندما تعود البسمة إليك، وأراك تضحكين. قالت أناليا: لقد كان عار والدي المهزوم يبعث الحزن فيّ، والآن لا أقدر على الضحك، لأنني لم أجد أحدًا يقدر على اتمام رغبتي. قال سامبا غانا: أشيري عليّ ماذا عليّ أن أفعل؟ قالت: اقتل الأفعى التي في النهر! فهي تأخذ الخيرات لسنة كاملة فيكون هناك مجاعة لسنة كاملة، وأنا سأكون سعيدة لقتلها. قال سامبا: لم يجرأ أحد على ذلك، لكنني سأقوم به. اتجه سامبا غانا مع رجاله الثلاثة نحو النهر، وبحث عن الأفعى واستمر في المسير والبحث، فوصل إلى مدينة فلم يعثر على الأفعى، واستمر يمشي مع النهر ويبحث عن الأفعى، فوصل إلى مدينة أخرى ولم يجدها! واستمر في البحث إلى أن عثر عليها أخيرًا، وبدأ يتصارع معها! وفي النهاية انهزمت الأفعى وكذلك سامبا غانا!

كان تيار النهر يأخذهما من جهة إلى جهة، ويمر بين الجبال، ثم يفتح أراض ويدخل فيها، استمر الصراع ثماني سنوات بين سامبا والأفعى، وفي العام الثامن هزمها. وخلال هذا الوقت كسر سامبا ثمانمائة رمح وثمانين سيفًا، وأخذ أحد الرماح المليء بالدم فأعطاه إلى مرافقه قائلًا: خذها إلى أناليا، وقل لها: إنني هزمت الأفعى، وانظر إليها جيدًا لترها إن كانت ستضحك، عاد المرافق وسلّم هدية سامبا غانا، وعندما سمع سامبا كلام أناليا قال: هذا عظيم جدًا، أخذ سامبا السيف المبلل بالدم وغرسه في صدره وضحك مرة ثانية قبل أن يسقط ميتًا.

أخذ المرافق السيف المدمي، وامتطى الخيل، ومضى باتجاه أناليا، وعند الوصول قال لها: هذا سيف سامبا غانا، والدم الذي عليه هو دم الأفعى ودم سامبا الذي ضحك لآخر مرة. جمعت أناليا كلّ الأمراء والمحاربين في المدينة، وامتطت خيلها، فامتطى الجميع خيولهم، وتبعوها نحو البلد الذي مات فيه سامبا غانا. وصلت أناليا إلى المكان الذي كانت فيه جثة سامبا غانا وقالت: لقد كان بطلًا عظيمًا، ليس له مثيل عند من سبقوه، أقيموا له ضريحًا، وليكن الأعلى بين أضرحة الملوك والأمراء والأبطال. وبدأ العمل لذلك، فحفر الأرض رجالٌ حاصل عددهم هو ثمانية أضعاف الرقم ثمانمائة. ونفس العدد من الرجال قاموا ببناء الضريح، وكذلك الرقم من الرجال قاموا بتجميع التراب فوق الضريح، ورصوصوها ثم أحرقوها فظهر هرمٌ كبير. عند كل غروب كانت أناليا وأمراؤها ورجالها المحاربون يصعدون إلى قمة الهرم وكل مساء كان المرافق يغني أغنية البطل، وعند كل صباح كلّما كانت أناليا تستيقظ كانت تقول: الهرم ليس عاليًا بما يكفي، يجب رفعه كي تُرى منه كلُّ مملكة واغانا. ثمانية أضعاف العدد ثمانمائة من الرجال حفروا الأرض ورصوصوها ثم حرقوها وطوال ثمانية أعوام كان الهرم يكبر ويطول ويرتفع، ومع نهاية العام الثامن نظر المرافق بعينيه الدائريتين وقال: يا أناليا توباري اليوم يمكنك رؤية واغنا نظرت أناليا نحو الغرب وقالت: ها أنا أرى واغنا وضريح سامبا غانا هو العظمة التي يستحقها اسمه.

وضحكت أناليا! نعم ضحكت كثيرًا! وقالت: الآن انفصلوا أيها الأمراء، تفرقوا في أنحاء الأرض، وكونوا أبطالًا مثل سامبا غانا. وضحكت أناليا مرة ثانية قبل أن تسقط ميتة، ويدفنوها في سرداب الهرم إلى جانب سامبا غانا.

الأصيل ابن الأصول... أسطورة شعبية من أفريقيا

خلال زمن طويل كانت عائلة الأرد وهي التي تحكم بلاد الفلوبيس. وكان غوربوديكي الشاب القوي تنحدر سلالته من تلك العائلة النبيلة، ولأنه لم يكن الابن البكر، لم تكن له مدينة يحكمها، لهذا كان يمضي هائمًا في بلاد البام مانا Bammana وبمزاجه المعكر ينشر المعاناة بين سكانها، فجعلهم يخشون بطشه بشدة لأنه كان قاسيًا وعنيفًا.

كان الباممانيون المرعوبون يستعجلون تدبير الأمر، فنادوا على ألآل المدرع مرافق غوربوديكي وقالوا له: أنت الوحيد الذي يمكنه إقناع البلدة، ويا ليتك تقدر أن تجعل غوربوديكي يرحل عن البلاد! فسوف نعطيك كمية جيدة من الذهب.

وبعد انقضاء عدة أسابيع قال ألآل لغوربا ديكي: اسمع! الباماما لم يفعلوا شيئًا سيئًا لك حتى تعاملهم بهذه الطريقة، ولو كنت بمكانك، لذهبت إلى عائلة الفلوبيس ليعطوني مملكة. لديك حق - قال غوروبا- لكن أية مدينة تريدني أن اختارها؟ فسأله المدرّع: ما هو رأيك لو أنك تذهب إلى بلاد ساريام التي يحكمها حمّادي أردو؟ قال غوروبو: يبدو لي حسنًا، هيا بنا إلى هناك. ووصلا قريبًا من ساريام وفي قرية في الضواحي توقفوا عند بيت فلاح حرّاث قال غوربو لحامل الدرع: ابق أنت هنا مؤقتًا، وأنا أريد أن أرى المدينة لوحدي أولًا. خلع الملابس الفارهة، وطلب من الفلاح ملابس عمل قديمة، ارتداها وتوجه نحو المدينة، وأول شيء فعله تحدث مع حداد وقال له: أنا من الفلوبيس وأحوالي سيئة الآن، ومقابل القليل من الطعام أنا مستعد لمعاونتك في العمل. قال الحداد: لم لا! هل تريد أن تعمل بالكير؟ قال غوروبو: سأقوم بذلك بامتنان كبير. وبينما هو يشتغل سال الحداد: من هو حاكم هذه المدينة؟ هنا يحكم حمّادي من عائلة آردو. أجاب الحداد: وهل عند حمّادي الأردو خيول؟ نعم! -قال الحداد- لديه الكثير من الخيول، إنه ثري جدًا ولديه أيضًا ثلاث بنات. اثنتان متزوجتان من اثنين من الفلوبيس، وهما فارسان شجاعان، أمّا البنت الصغرى واسمها كودي أردو فهي أجمل فتيات الفلوبيس في البلاد، فهي تضع في إصبعها البنصر خاتمًا من الفضة، وتقول إنها لن تتزوج إلا بالرجل الذي يدخل الخاتم في البنصر من أصابعه، وتقول: إن الرجل الفلوبي الحقيقي يجب أن تكون أطرافه ناعمة وأصابعه لطيفة. في اليوم التالي، وكما في كل الأيام تجمع صفوة من شباب الفلوبيس أمام بيت حمّادي أردو، فخرجت ابنة الملك الصغرى والفاتنة الجمال من البيت، وسحبت الخاتم الفضي من بنصرها، ثم بحثت بين الرجال الحضور عمن يدخل الخاتم في بنصره. تمكن بعضهم من إدخاله بصعوبة حتى العقدة الأولى من الإصبع، وبعضهم أوصله إلى العقدة الثانية، لكن أيًا منهم لم يتمكن من إدخاله كليًا، عندها فقد الملك حمّادي أردو صبره وقال لابنته: عليك بالزواج من أيّ من الحضور. الحداد الذي كان يشتغل عنده غوربوديكي سمع تلك الكلمات وقال: في بيتي يعمل رجل

ملابسه رثة، لكن علامات الفلوبيس تبدو واضحة عليه: أحضر الرجل لي قال الملك: وليجرب خاتم ابنتي. ذهب الحداد ليحضر غوربو وقال له: تعال حالًا! الملك يريد التحدث معك. ذهب غوربو بملابسه الرثة مع الحداد إلى الساحة، حيث كان هناك الملك حمّادي أردو وجميع الشخصيات المعتبرة. سأله حمّادي أردو: هل أنت فلوبيس؟ أجاب غوربو: نعم أنا فلوبي، ما اسمك؟ أجاب غوربوديكي: لا أقدر على ذكره. فقال الملك: جرب إدخال هذا الخاتم في البنصر من أصابع يدك. أخذ غوربو الخاتم، وأدخله في إصبعه فاستقر الخاتم بسهولة، أنت من سيتزوج من ابنتي - قال الملك- فأخذت كودي أردو تبكي، ثم قالت: لا أريد الزواج من هذا الفلاح، من هذا الرجل البشع والقذر، وبقيت كودو تبكي طوال النهار، لكنها اضطر تأخيرًا للزواج من الرجل البشع والقذر، وأقيمت مراسيم الزواج. في أحد الأيام حدثت حرب بين الملك والطوارق، وتمكن الطوارق من الاستيلاء على ماشية الملك حمّادي ومواشي مدينة ساريام.

تسلح جميع سكان المدينة، وخرجوا خلف الطوارق، بينما غوربو كان جالسًا في إحدى زوايا المدينة، فقال الملك له: ألا تريد أن تمتطي حصانًا وتأتي معنا إلى الحرب؟ أن امتطي حصانًا! أنا لم اركب حصانًا في حياتي، أنا ابن ناسٍ فقراء، وإذا أعطيتموني جحشًا فربما أقدر على ركوبه. فصارت كودي أردو تبكي. ركب غوربو على الجحش، وذهب باتجاهٍ معاكسٍ لوجهة للمحاربين، فقالت كوردو وهي تبكي: آه! يا أبتي! آه! يا أبتي أي حظ تعس! جلبته لي من تزويجك لي من هذا الرجل؟ لقد ذهب غوربوديكي إلى بيت الفلاح الذي كان قد ترك خيله هناك، وسلاحه ودرعه، قفز عن الجحش وقال: يا ألآل! لقد تزوجت ماذا؟ تزوجت؟! ممن تزوجت؟ تزوجت أجمل نساء المدينة إنها ابنة الملك حمّادي أردو، ماذا؟! كيف حصلت على هذا الحظ الكبير؟ نعم! قال غوربو، لكن يوجد هناك شيء آخر، لقد سطا الطوارق على ماشية حماي، فبسرعة البس وتسلح واسرج الخيل علي أن أتقدمَ الجميع، واختصرَ الطريق. فحضّر المدرّع كلّ شيء وسأله: هل يمكنني مرافقتك؟ قال غروبوديكي: لا! ليس اليوم، وانطلق بسرعة كبيرة حتى تمكن من اللحاق بهم فشاهده اثنان من أنسباء الملك حمّادي، وشاهده جميع الفلوبيس وهو على حصانه السريع، يقطع الحقول المجاورة فقال نسيب للنسيب الأخر: يبدو إنه تشينار المستبد، وسيكون لصالحنا لو يقف إلى جانبنا فنفوز بالمعركة،

علينا أن نتحدث معه. واتجه عدد من المحاربين نحو غوربو وسألوه: إلى أين تذهب؟ ما هو غرضك؟ اذهبُ إلى أين تكون هناك حرب، وأساعد من يحلو لي، أنت! ألستَ أنت تشينار؟! نعم، أنا تشينار، هل تريد مساعدتنا؟ قال غوربو: كم عدد أنسباء الملك الذين يسيرون معكم؟ اثنان إذا دفع كلّ واحدٍ منهما أذنه لي فسوف أساعدكم، هذا ليس ممكنًا! ماذا سيقال في المدينة؟

إنه بسيط جدًا، قال غوربو: فليقولوا إنهم فقدوها في المعركة فهذا يحدث عادة، وكذلك لأشرف الناس. مضى الرجال على خيولهم نحو المكان الذي يتجمع فيه الآخرون، وقصّوا ما سمعوه على نسيبي الملك. في البداية لم يوافقا، وفيما بعد وافقا على أن تقطع أذنًا واحدة من كل واحد منهم، وبعثوا بهما إلى غوربو. خبأ غوربو الأذنين في جيبه، وتقدم إلى رأس القوات وهو يقول: لا تقولوا إن تشينار قد ساعدكم، لا! لا! لا لن نقول، أجاب الفلوبيس. لحقوا بالطوارق، وتحاربوا معهم، فربح الفلوبيس الحرب، ابتعد غوربو، ومضى على خيله نحو بيت الفلاح الذي يختبأ عنده رجله المدرع، وهناك ترجل عن الحصان، وخلع ملابسه والسلاح، وارتدى الملابس الرثة، وركب الجحش وعاد إلى المدينة.

وفي طريقه إلى هناك، وفي طرقات ساريها رآه الحداد الذي أمّن له المأوى في اليوم الأول، فقال له: لا تدق باب بيتي! أنت لست فلوبيس! أنت زنديق! أو عبد! أنت لست محاربًا ولا فلوبيًا!! وفي الأثناء عاد الفلوبين مبتهجين منتصرين، ومعهم القطعان التي استردوها، وقد خرج الناس سعداء ليحييوهم، وكذلك خرج الملك لاستقبالهم، وقال: لا يزال هنا محاربون شجعان، لا يزال هنا فلوبيس، هل عاد الجرحى؟ أحد نسائب الملك قال: عندما انطلقت إلى المعركة واجهني أحد الطوارق، وكان ضخمًا جدًّا فضربني بسيفه، فأبعدت رأسي فقطع السيف أذني، وبفضل ذلك فإنني قد نجوت. قال الصهر الثاني: عندما كنت أهاجم في الجانب الآخر أحد الطوارق، وكان قصيرًا، فسارعني من الأسفل بطعنة من سيفه الطويل على عنقي، وكاد أن يقطع رأسي، لكنني انحنيت فأخذ أذني، فقال الملك حمّادي: إن سماع مثل هذه الأمور يفرح الروح، أنتم أبطال، لكن قولوا لي: ألم تشاهدوا صهري الثالث؟ آه ذاك ! منذ البداية اتخذ اتجاه معاكسًا. قال الجميع ذلك وهم يهزأون. وفي هذه اللحظة كان غوربو

يأتي من الجانب الثاني، يركب على الجحش، وعندما اقترب منهم، سرّح الدابة فراحت تخبب. وعند رؤيته قادمًا بهذه الهيئة المسيئة بدأت كودو بالبكاء بمرارة، وهي تقول: يا أبتي!! يا أبتي! أية تعاسة جلبتها لي! خلال الاحتفال كان صفوة الفلوبيس يجلسون على شكل دائرة، يروون ما فعلوه، فسمعهم غوربو من إحدى الزوايا، فقال أحدهم: عندما جندلت أول واحد على مرأى من الأعداء. وقال الثاني: عندما استوليت على الخيول. وقال ثالث: نعم فأنتم لستم مثل زوج كودي أردو فأنتم أبطال بحق وحقيق. كان النسيبان الاثنان يكرران نفس الرواية عن فقدانهم لآذانهم في المعركة، وكان غوربو هناك في الجانب يستمع إلى كل شيء، وفي جيبه كانت الأذنان. وعندما حلّ الليل ذهب إلى البيت فقالت كوردو له: أنت جبان! في اليوم التالي هاجم الطوارق المدينة بأعداد كبيرة، وعند مشاهدتهم من بعيد اجتمع كل رجال المدينة القادرين على حمل السلاح، وركب غوربو الجحش، ثم انسل خفية من المدينة، فأخذت الناس تصيح: انظروا إلى هناك! إلى نسيب الملك! كيف يهرب نسيب الملك؟ وبدأت كوردو تبكي وتقول: يا أبتي! يا أبتي! أية تعاسة جلبت لي!

ذهب غوربو إلى بيت الفلاح الذي ترك ملابسه عنده وحصانه وسلاحه، وعندما وصل قفز عن الجحش وقال لرجله المدرع: بسرعة! بسرعة! هيئ لي خيلي وأشيائي، فاليوم هناك تطورات مهمة، لقد هاجم الطوارق المدينة بأعداد كبيرة جدًا، ولا يوجد هناك من يعرف كيف يصدونهم: وهل يمكنني مرافقتك؟ سأل ألآل. قال غوربوديكي: لا، ليس اليوم. ارتدى ثيابه الجيدة، وأخذ سلاحه، ووثب إلى حصانه، وانطلق على وقع الحوافر القوية والسريعة. في الأثناء كان الطوارق قد اقتربوا كثيرًا، وهاجموا المدينة حتى إنهم تمكنوا من دخولها، وقسم منهم تقدم باتجاه قصر الملك. وصل غوربو في الوقت المناسب، اخترق صفوف الطوارق يضرب بسيفه يمينًا وشمالًا. لقد وصل في اللحظة الحاسمة إلى قصر حماه. في تلك اللحظة، كان بعض الطوارق يحاصرون كودو أردو، يريدون سبيها، وعندما رأت كودي أردو الفارس الفولبي الشجاع يصل، استغاثت بصوت عال: يا آخي العظيم! تعال وخلصني! لقد فرّ زوجي بجبن وخسة. وبرمح طويل أبعد غوربو أحد الطوارق، وجرح طوارقيًا آخر، لكن أحدهم تمكن من جرحه قبل أن يفروا جميعهم، وعندما رأت كودي أردو

الجرح البالغ والخطير صاحت: أو آه أيها الأخ العظيم! لقد أنقذتني، لكنك أُصبت. مزقت نصف ثوبها، وربطت بالقماش فخذه النازف.

وفي الحال خرج غوربو من هناك وهجم على الطوارق، يضربهم بسيفه في كل الاتجاهات، ويجعلهم يفرّون، عندها خرج الفلوبيس يلاحقونهم، لكن غوربو ذهب إلى بيت الفلاح، حيث هناك رجله المدرع ألآل، وهناك ربط الحصان وخلع ملابسه وسلاحه، ثم ارتدى ملابسه الرثة، وعاد إلى المدينة وهو يركب الجحش. وعندما رآه الحداد الذي كان قد استقبله أول مرة من قبل صاح الحداد: انظروا إلى هذا البائس! الزنديق! هذا الكلب الأجرب! هذا الجبان! هيا أسرع بالمرور من جانب بيتي! فقال غوربو: ماذا تريد؟ منذ أن جئت إلى هنا وأنا أقول إنني ابن ناسٍ فقراء. وبعد أن قال ذلك، سرّح الجحش واتجه إلي الساحة الكبيرة، حيث كان هناك عدد كبير من الفلوبيس مجتمعين في مجلس الملك حمّادي، يتحدثون عما جرى ذلك اليوم وكانت كودو بينهم. عندما وصل غوربو بهيئته البائسة، بدأت كود وتبكي وتقول: آه يا أبتي آه يا أبتي أية تعاسة جلبت لي! فلقد كان من بين الفلوبيس رجال أكثر شجاعة وفروسية. فقال غوربو: منذ اليوم الأول لزواجنا قلت لك: إنني ابن ناسٍ فقراء، وقلت لأبيك: إنني لا أفهم في الخيول ولا في الحروب. فأخذت كودو تبكي وتقول: جبان بائس خوّاف! وجلس غوربو غير مبالٍ في إحدى الزوايا. حلّ الليل وذهب الفوليبس إلى بيوتهم، ولم تقدر كودو على النوم، كانت تفكر في زوجها الجبان.

وفي الفارس الشجاع الذي أنقذها، وفي منتصف الليل نظرت إلى مكان نوم زوجها، فشاهدت آثار دماء، كانت تنزل من ربطةٍ على فخذه، والربطة كانت قطعة من ثوبها الذي مزقته من أجل إسعاف الفارس الشجاع. كانت الربطة مشدودة على فخذ زوجها الذي عاد راكبًا على الجحش، فنهضت كودو وسألت زوجها: قل لي: من أين جاءك هذا الجرح؟ فرد عليها غوربو: خمّني، فسألت كودو: من قصّ الثوبَ لربط جرحك؟. قال غوربو: خمّني. فسألت كودو: من تكون أنت؟ فقال غوربو: ابن أحد الملوك، لكن لا تقولي شيئًا الآن، قومي وحضّري زبدة لتضعيها على جراحي. أحضرت كودو الزبدة، وسخنتها ثم صبّتها على الجرح وربطتها، وبعدها خرجت لترى أمها، فجلست إلى جوارها، وبدأت تبكي وتقول: زوجي

ليس جبانًا، لم يهرب، إنه الرجل الذي أنقذ اليوم المدينة من الطوارق، لكن لا تقولي ذلك لأحد وانسلت بصمت. في اليوم التالي عاد غوربي يركب الجحش، وذهب إلى بيت الفلاح الذي ترك فيه رجله المدرع وأسلحته وثيابه وحصانه. الآن! قال لرجله المدرع: لقد حل اليوم الذي علينا فيه أن نقدم أنفسنا إلى ساريام وإلى الملك العظيم حمّادي، اسرج خيلي وخيلك أيضًا. وارتدى غوربو ثيابه الفارهة، وأخذ سلاحه، ودخل ساريام ممتطيًا حصانه يتبعه الرجل المدرع. توقف في الساحة الكبيرة، حيث كانت أعداد من الفلوبيس مجتمعين. غرس المدرّع قطعتين رائعتين من الفضة ليربط بهما رسن الخيل.

نادى غوربو على زوجته التي جاءت في الحال وحيّاها مبتسمًا وبعدها اتجه نحو الفلوبيس وقال: أنا غوربوديكي وهذه زوجتي كودي أردو، أنا ابن أحد الملوك، أنا من هزم الطوارق البارحة وأول البارحة، لا أصدق ذلك. قال الملك، فرد عليه غوربو: اسأل من كان معي في القتال، فقال الجميع: هل هذا صحيح؟ لقد رأيناك تفرّ دائمًا على الجحش. لكن نسيبي الملك فقط هما اللذان قالا: لسنا متأكدين. عندها أخرج غوربو الأذنين من جيوبه، وقال: هل تعرفون هذين الأذنين؟ اخفض الاثنان رأسيهما ولم يقولا كلمة واحدة. اقترب الملك من غوربو، وركع أمامه قائلًا: اعذرني، وهاك المُلكُ من يدي. فقال غوربو: أيها الملك حمّادي أردو، أنا لست أقل منك، أنا أيضًا ابن عائلة من الأردو، وبما أنني أصبحت ملكًا فإنني آمر بإحضار الحدّاد الذي هزّأني وسخر مني لمرات عدة. آمر أن يجلد مائة سوط على فعلته. وهذا ما حصل[1].

دان–أوتا... أسطورة شعبية أفريقية

قبل سنين بعيدة، في وقت ألقى الزمان به من وراء ظهره، تزوج رجل من امرأة، وذهبا وحيدين إلى الغابة، وهناك زرعا الأرض واستخرجا منها ما يكفي حاجتهما، وبعد انقضاء سنة ولدت لهما ابنة أسميها سارا، واستمرا وحيدين، وعندما أصبحت سارا شابةً، جاءهما طفلُ آخر أسمياه دان–أوتا. وبعد فترة مرض الأب فقال لنفسه: إنني أموت. ونادى على

(١) Flubes: الفلوبيس تطلق على سكان القسم الغربي من الصحراء الأفريقية.

ابنته سارا وقال لها: يبقى دان أوتا معك، لا تتركيه، وفوق كل شيء اعملي على ألا يبكي دان أوتا أبدًا. وما أن قال الأب ذلك حتى مات. وبعد فترة مرضت الأم وقالت لنفسها: إنني أموت. ونادت سارا وقالت أمها لها: ليبقى دان أوتا معك، لا تتركيه، وفوق أي شيء إياك أن يبكي أبدًا. وماتت الأم بعد أن قالت ذلك. بقي الطفلان وحيدين في الغابة، وكان قد تبقى لهما مخزون قليل من الذرة، ومن الطحين المستخرج من شجرة الخبز ومن الفاصوليا الناشفة، فقالت سارا: بهذا لدينا ما يكفينا، لنأكل إلى أن يصبح دان أوتا رجلًا ويمكنه زراعة الأرض. وبدأت سارا تطحن الذرة لتحضّر الطعام، وعندما أصبحت الذرة طحينًا وضعته في إحدى القرعات، وأخذته إلى الكوخ لتخبزه، وبعدها خرجت لتبحث عن الحطب، وقد تركت دان أوتا وحيدًا يحبو على الأرض، وبالكاد يحاول الوقوف على قدميه، وعندما شعر أوتا بالملل اقترب من القرعة، فقلبها، وأخذ جمرة من الموقد، وخلطها بالطحين. عندما عادت سارا ورأت ما فعله دان أوتا صرخت: أي! يا أخي دان أوتا ماذا فعلت؟! لقد أتلفت طحين طعامنا اليوم.

فبدأ دان أوتا بالبكاء، لكن سارا قالت في الحال: لا! لا تبكِ يا دان أوتا، فأبوك وأمّك قالا لي ألّا أدعك تبكي أبدًا. عادت سارا للخروج، وعاد دان إلى الملل. وعندما رأى الجمرات تتوهج أخذ دان واحدة منها، وزحف خارج الكوخ، فأشعل النار في مخزون الذرة وفي طحين شجرة الخبز والفاصوليا، عندها وصلت سارا ورأت كلّ شيء، وقد أكلته النار فصرخت: أي! يا أخي دان! ماذا فعلت؟ لقد حرقت كلّ شيء كان عندنا لنأكله! كيف سنعيش الآن؟ وعندما سمعها دان، بدأ بالبكاء، لكن سارا قالت له بسرعة: يا أخي دان أوتا لا تبكِ لقد أوصاني أبوك وأمك ألّا تبكي أبدًا، وها أنت قد أحرقت كل ما كان عندنا، لا بأس، تعال لنرى ماذا نفعل لنأكل. وضعت سارا دان على ظهرها، وربطته بثوبها وانطلقت نحو الغابة، فعثرت على طريق مشت فيه حتى وصلت إلى إحدى المدن، فوجدت نفسها في حي الملك، وهناك استقبلتها الزوجة الأولى للملك، وأبقتها ليسكنا معها، وصارت تقدم لهما الطعام يوميًا. كانت سارا دائمًا تحمل دان أوتا على ظهرها، فأخذت النساء الأخريات يسألنها: سارا لماذا تحملين دان على ظهرك دائمًا؟ لماذا لا تضعيه على الأرض وتتركيه يلعب مع الأطفال

الآخرين؟ فأجابت سارا: دعوني وحالي فإن أبي وأمي أوصياني ألاّ يبكي أبدًا، وعندما أحمله على ظهري فإنه لا يبكي، عليّ أن أحرص ألاّ يبكي، لكن دان أوتا في يوم من الأيام قال لسارا: أريد أن ألعب مع ابن الملك. فوضعته سارا على الأرض، وأخذ دان يلعب مع ابن الملك، تناولت سارا جرّة وخرجت لتبحث عن الماء، وفي الأثناء أخذ ابن الملك غصنًا فأخذ دان غصنًا أخر وبدأ الاثنان يلعبان بالأعواد، فقلع دان إحدى عيون ابن الملك والذي ارتمى سريعًا على الأرض. في هذه اللحظة كانت سارا قد وصلت، ورأت دان وقد اقتلع عين ابن الملك. لم يكن أحدٌ هناك، لكن ابن الملك بدأ يصرخ، فتركت سارا الجرّة، وأخذت دان أوتا وخرجت من حي الملك، ومن ثم خرجت من المدينة كلها بما أمكنها من عجلة.

لم يكن أحدٌ موجودًا عندما اقتلع دان عين ابن الملك، لكن الطفل استمر بالبكاء والصراخ فسمعه الملك وسأل: لماذا يبكي ابني؟ خرجت نساؤه ليرين ماذا حدث، وعندما لاحظن المصيبة، أخذن بالصراخ فسمع الملك صرخات زوجاته الأربعين، فهرع إلى المكان.

ما هذا؟ من فعل ذلك؟ سأل الملك. فأجابه ابنه: إنه دان أوتا. قال الملك لحراسه: اخرجوا، اذهبوا في كل أرجاء المدينة، ابحثوا عن سارا ودان أوتا. انطلق الحراس وبحثوا في كل بيت، لكنهم لم يجدوا ضالتهم، فجمع الملك كل ناسه وكل جنوده الراجلين المشاة والخيالة وقال لهم: لقد هربت سارا ومعها أخوها دان أوتا من المدينة، فابحثوا عنهما في الغابة، وأنا سأذهب بنفسي مع الخيالة للبحث عنهما. لقد مضى يومان متتاليان على سارا وهي تمشي، ودان أوتا على ظهرها، ولم تقو بعد، لكنها رأت من بعيد الملك وجنوده قادمين، وكان بالقرب منها شجرة ضخمة، فقالت سارا لنفسها: سأصعد هذه الشجرة، وهكذا يمكنني الاختباء بين أوراقها. وصعدت إلى الشجرة يرافقها دان على ظهرها، واختبأ بين الخضرة الكثيفة، وبعد قليل وصل الملك وجنوده إلى الشجرة فقال الملك: لقد امتطيت خيلي ليومين وأنا متعب، ضعوا كرسيّ الخيزران تحت هذه الشجرة، أريد أن أرتاح. نفذّ الجنود ما آمر به الملك، واسترخى الملك على كرسيه تحت الغصن الذي تجلس عليه سارا ودان أوتا. تململ دان أوتا، لكنه شاهد الملك في الأسفل فقال: سارا! سارا!.

اسكت يا دان أوتا! اسكت! فبدأ دان بالبكاء، وأخذت سارا تقول له: لا تبكِ يا دان أوتا! لا تبكِ فأبوك وأمك قالا لي: ألاّ تبكِ أبدًا، فقل ما تشاء.

فقال دان أوتا: سارا أريد أن أسوي بيبي، أن أبول على رأس الملك.

فغضبت سارا وقالت: أي يا دان أوتا! سوف يقتلنا إذا فعلت ذلك. فبدأ دان بالبكاء. فقالت سارا له: لا تبكِ، وافعل ما تشاء. وفعل دان ما يريد، وسقط السائل على رأس الملك، الذي وضع يده على رأسه، وتحسس الشيء الذي سقط على رأسه وقال: هذا برازا! فنظر الملك إلى أعلى، ورأى سارا ودان أوتا. فصرخ: احضروا الفؤوس، وقصوا الشجرة. فركض رجاله، وجلبوا الفؤوس، وبدؤوا يضربون على جذع الشجرة.

أخذت الشجرة تهتز، وازدادت ضرباتهم القوية، فانحنت الشجرة، عندها قالت سارا: الآن سيقبضون علينا، وسوف يقتلوننا. في الحال انطلق طائر عملاق فوق الغابة، وجاء ليحطّ على الشجرة التي كانت سارة ودان يختبئان فيها، شاهدت سارا الطير وهو يقترب فقالت: يا طائري العملاق إن رجال الملك سيقتلونني أنا ودان آخي، إذا أنت لم تنقذنا. سمع الطير العملاق ما قالته سارا، فاقترب منها ومن أخيها، فوضعت سارا دان على ظهرها، لكن الشجرة سقطت في الحال، فالتقط الطائر سارا وأخيها وطار بهما عاليًا فوق الغابة، واستمر بالتحليق عاليًا. نظر دان إلى الطائر، فلاحظ أنه يحرك ذيله كأنه مقود، فتمتع برؤية ذلك، لكنه بعد قليل تململ وقال: سارا! سارا!. ردت سارا: ماذا تريد بعد يا دان أوتا؟ فبدأ دان بالبكاء. فقالت سارا: لا تبكِ! لا تبكِ! فأبوك وأمك أوصياني ألاّ تبكي، افعل ما تشاء. قال دان: أريد أن أضع إصبعي في هذه الفتحة التي تحت ذيل الطائر! فقالت سارا: إذا فعلت ذلك فسيدعنا الطير نهوي، وسوف نموت، لكن لا تبك، وافعل ما يحلو لك. فأدخل دان إصبعه في المكان الذي قال عنه، عندها طوي الطائر جناحيه، فسقطت سارة وهي تحمل دان على ظهرها، وعندما كانا قريبين من الأرض، بدأت رياح قوية تصفر بزوابعها، فرأتها سارا وقالت لها: أيتها الريح! إننا نسقط، وبعد قليل سنرتطم بالأرض، وسنموت إذا لم تنقذينا. فوصلت الريح، واختطفت سارا ودان وحملتهما إلى مكان بعيد، ثم ألقت بهما بهدوء على

الأرض، فكان ذلك المكان غابة في إقليم بعيد. تقدمت سارا مع دان في الغابة وعثرت على طريق. ومشت فيه ودان على ظهرها، حتى وصلا إلى مدينة كبيرة وأكبر من كل المدن، يحيط بها سورٌ كبيرٌ وقويّ، وفي الجدار كانت بوابة ضخمة من الحديد، كانت تغلق عند الليل لأنه كل ليلة وبعدما ينقضي النهار بقليل، كان يظهر شبح مخيف يدعونه دود Dod، كان مرتفعًا مثل البغل، لكنه لم يكن بغلًا، وكان طويلًا مثل أفعى ضخمة، لكنه لم يكن أفعى، كان قويًا مثل الفيل، لكنه لم يكن فيلًا، كانت له عينان تتقدان فتضيئان في الليل مثل الشمس في النهار، وكان له ذنب. كلّ ليلةٍ، كان الدود يزحف باتجاه المدينة؛ ولهذا السبب أقاموا السور والبوابة الضخمة، ومن تلك البوابة دخلت سارا تحمل دان على ظهرها، وخلف السور مباشرة، وإلى جانب البوابة، كانت تسكن امرأة عجوز، فطلبت سارا منها أن تشفق عليهما، فقبلت العجوز وقالت لهما: كلّ ليلةٍ يأتي دود المريع أمام المدينة، ويبدأ بالغناء بصوت قويّ وإذا ردد أحد غناء الدود فإنه يدخل المدينة، ويقتلنا جميعًا، فاحذري أن يصرخ دان، وهذا هو شرطي الوحيد لاستقبالكما.

سمع دان كلّ شيء، وفي اليوم التالي ذهبت سارا إلى وسط المدينة، لتحضر طعامًا، وفي الأثناء أحضر دان أغصانًا يابسة وقطعًا صغيرة من الخشب، وجدها إلى جانب السور، وبعد ذلك انطلق باتجاه المدينة، وكلما رأى حجرًا من الماكودي Makodi، وهو حجر الصوان الذي يستخدم للجاروشة، كان دان أوتا يأخذه، وهكذا جمع مائة حجر صوان وبعدها قال: تبقّى لي بعض الجمر، وتابع في المدينة فرأى بعضها ملقى ومهملًا. وإلى جانب السور الذي كوّم عنده الحطب، وضع أحجار الماكودي وأخفى الجمرات تحتها. ولم يشعر أحد بفعلته هذه. في الليل قالت سارا له: ادخل بسرعة إلى البيت يا دان أوتا، فدود المرعب سيأتي بعد قليل، ويمكن أن يقتلنا. فأجاب دان أوتا: هذا اليوم أريد أن أبقى في الخارج.

قالت سارا: ادخل إلى البيت. وبدأ دان بالبكاء، لكن سارا بسرعة قالت له: يا أخي دان أوتا!! لا تبكِ!! فأبوك وأمك أوصياني ألاّ تبكي، وإذا أردت البقاء خارج البيت، فابق. دخلت سارا إلى البيت عند العجوز وبقي دان أوتا في الخارج، يجلس أمام بيت العجوز.

كان كلّ سكان المدينة في بيوتهم، وقد أغلقوا الأبواب عليهم، وكان دان أوتا هو الاستثناء الوحيد، فركض إلى المكان الذي كوّم فيه الحطب، وأشعل فيه النار فصارت أحجار الصوان حمًا متقدة، وفي هذه اللحظة أحس بقدوم الوحش دود، فصعد دان أوتا على السور، وشاهد دود قادمًا من بعيد، كانت حدقات عينيه تضيئان مثل الشمس، وسمع دان أوتا دود وهو يغني بصوت قوي ومرعب: فواياني أغاريناناني دود vuayanni agarinana ni dod. ومعناها: من يشبهني في هذه المدينة أنا دود... عندما سمع دان أوتا ذلك، وهو يجلس على الجدار، فلقد بدأ بالغناء ويكل قوته وجه صوته نحو دود: ناي ياكاي أغاريناناناي ياكي ني أوتا naiyakay agarinana naiyakai ni auta ومعناها: أنا أشبهك في هذه المدينة أنا أوتا. عندما سمع دود ذلك، بدأ يقترب من المدينة، ويقترب، ويقترب، فوصل قريبًا جدًا، وصار يغني: من يشبهني في هذه المدينة أنا دود. وعندما غنى دود ذلك، بدأت الأشجار تهتز في الغابة، والأعشاب اليابسة بدأت تشتعل، لكن أوت أجابه: أنا من يشبهك في هذه المدينة، أنا أوتا. قفز دود عن السور، ونزل أوتا راكضًا، وذهب إلى جانب النار التي أشعلها، فكانت أحجار الصوان تتوهج متقدة. عندها غنّى الدود ثانية بصوت أكثر رعبًا من قبل، فأجابه دان أوتا مرة ثانية، بينما كان الناس في المدينة يرتجفون من شدة الخوف والهلع لسماعهم صوت الشبح المريع.

فاستوحش دود واستشرس كما لم يكن من قبل، وبدأ يردد أغنيته، وعندما فتح فمه وقال: فواياني vuayanni من يشبهني.. قذفه دان أوتا بأحجار الصوان العشرة، فدخلت إلى حلقه. واستمر دود، يريد إكمال أغنيته وقال: في هذه المدينة.. عندها قذفه أوتا بعشرة أحجار أخرى، فبلع الصوان المتقد، وهاج، وبصوت منخفض أتمّ المقطع الأخير من أغنيته: أنا دود. انتهز دان أوتا فتح الشبح لفكيّه، وأدخل فيها ما تبقى من الصوان المشتعل، فصار الشبح يتلوى، ثمّ سقط على الأرض هامدًا. فصعد أوتا إلى الجدار وبدأ يغني بصوته الطفولي: من يشبهني في هذه المدينة؟ أنا أوتا. ونزل عن السور، وأخذ سكينًا كان قد أخرجها من بيت العجوز وأخفاها عن أخته، وبتلك السكين قطع أوتا ذيل الشبح، وأخفاه في مخلاة، ودخل بها إلى غرفة العجوز، حيث انسل إلى فراش سارة ونام.

في صباح اليوم التالي، خرج جميع الناس سكان المدينة من بيوتهم، أمّا أرفعهم شأنًا، فلقد ذهبوا للقاء الملك، الذي سألهم: ما هذا الذي جرى في الليلة الماضية؟

فأجابوه: لا نعرف، لقد كدنا نموت من الخوف، ولقد جرى الحادث قرب السور والبوابة الحديدية. عندها قال الملك لوزيره المتخصص بشؤون الصيد: اذهب، وانظر ماذا حصل. ذهب وزير الصيد إلى المكان، وصعد إلى السور فشاهد دود ميتًا. فعاد راكضًا إلى الملك وقال له: إنّ رجلاً جبارًا قد قتل الدود. فأراد الملك رؤية ذلك، وامتطى جواده، وانطلق إلى السور، وهناك رأى الشبح ممددًا وقد فارقته الحياة، فصاح: حقًا! لقد مات الدود! وقد قُطعَ ذيل له! احضروا لي الرجل الشجاع الذي قتله. أحد الرجال ممن كان يمتلك لبوة، قام بقتلها وقطع ذيلها، وآخر كان عنده جمل فقد ذبحه وقطع ذيله، وآخر كانت عنده بقرة فذبحها وقطع ذيلها. وذهب كلّ واحد منهم إلى الملك وأبرز ذيل حيوانه وكأنه ذيل دود، لكن الملك عرف الخديعة فقال: كلكم مخادعون! ولم تقتلوا دودا! فالدود لم يقتله رجل من المدينة، أنا والجميع سمعنا صوت طفل. وسأل: هل يسكن بالقرب من البوابة الحديدية أيّ طفل غريب؟ فذهب الجنود إلى بيت العجوز وسألوها: أيتها العجوز! هل يسكن هنا طفل جاء من الغابة؟ قالت: يسكن معي سارا وأخيها دان أوتا.

فتوجه الجنود بالسؤال إلى سارا: سارا! هل كان أوتا الصغير هو من قتل دود؟

أجابت سارا: أنا لا أعرف شيئًا! اسألوه هو! قالوا: دان أوتا! هل أنت من قتل دود؟ فالملك يريد أن يعرف ذلك. لم يجب دان أوتا، إنما أخذ المخلاة وذهب مع الجنود إلى الملك، وهناك فتح المخلاة وأخرج ذيل دود، ثم أبرزه إلى الملك، عندها قال الملك: نعم دان أوتا!! دان أوتا هو الذي قتل دود المريع. وقام الملك بمنح مائة زوجة إلى دان أوتا ومائة حصان ومائة عبد ومائة بقرة ومائة ثوب ومائة نعجة ونصف المدينة.

اسفياتوغور والعمالقة... أسطورة شعبية روسية

كان الساكن الوحيد للجبال المقدسة في روسيا هو المارد اسفياتوغور العملاق، ولضخامته فقد كان يشبه إحدى تلك الصخور العالية، وعندما كان يمشي يجعل الأرض ترتجف تحت أقدامه. كان ممتطيًا حصانه يتسلق أعلى القمم، يعبر الوهاد ويجتاز الأنهار بقفزات غريبة كأنه يطير. كان اسفياتاغور يعيش وحيدًا في تلك العزلة الكبيرة، جعلته قوته ينازل جميع أبطال روسيا، وعندما كان يخرج إلى الحقول والسهول كانت الأشجار تتسمر من مشيته، والأرض ذاتها كانت تهتز ووحدها كانت صخور الجبال المقدسة تحتمل المشية الثقيلة للعملاق. كانت قوته غير طبيعية، وكان ذلك سببًا لبؤسه، إذ كان بمقدوره أن يستغل قوته في أشياء أخرى، فلو أنه خصصها للعمل أو لخدمة الناس لكانت السعادة تغمره.

فعمره على الأرض قليل، لكن استيفاتاغور كان جاهلًا، بل كان يحوّل كلّ شيء يلمسه إلى ذرات غبار وكل شيء كان ينسحق بين يديه الجبارتين. في يوم ما خرج من جباله، ووسط مرج الأعشاب الشاسع نصب خيمته الرمادية اللون، وفيها اضطجع ونام حتى اليوم الثاني، حيث قرر اسفياتوغور أن يتابع المسير. وأخذ يمرّ بقرى وضيعات ومدن، وبدأ يتعرف ويعشق الناس، أسره الفلاحون بطيبتهم وعطفهم وكذلك جمال النساء القرويات، وعندما مرّ بإحدى القرى رأى شابة رائعة الجمال، وعندها فكر: هذه شابة تصلح أن تكون خطيبة لي وتستحقني بجدارة ولم يتأخر البطل بالفوز بقلب الشابة القروية الفاتنة الجمال، وبعد قليل فاز بالزواج منها ويأخذها إلى مملكته في الجبال المقدسة. في يوم كان فيه إيليا مورروميتس المحارب الشجاع يبحث عن أماكن فسيحة، فكان عليه أن يمر بالجبال المقدسة وخلال ثلاثة أيام قفز من صخرة إلى صخرة، وصعد القمم، واجتاز الوهاد حتى خارت قواه فنصب خيمته وربط حصانه، ونام مع أحلام عميقة. نام إيليا لساعات طويلة، وقبل أن تخرج الشمس حلم بأشياء غريبة وهجينة، رأى وكأن جواده القوي يحفر الأرض بحوافره، ويصهل جافلًا، فيما بعد سمعه يقول بصوت إنسان: إيليا! إيليا! انهض انجُ من الخطر! فالبطل اسفياتوغور يقترب! هيا! اتركني طليقًا في هذه الحقول واختبئ أنت سريعًا في جذع الشجرة!

نهض إيليا وعمل بنصيحة حصانه، فتسلق إلى أعلى أغصان شجرة بلوط، وبعد قليل ظهر اسفياتوغور المربع الضخم والقوي مثل الصخر، يحمل زوجته على أكتافه، تجلس في هودج من الزجاج، وفي حزامه سيف كبير جدًا. ترجل العملاق عن الحصان وبمفتاح من ذهب فتح القفص الزجاجي الذي خرجت منه زوجته الفاتنة الجمال والرائعة مثل الصباح.

وبينما كان اسفياتوغور يجهّز خيمته بسطت الشابة على الأرض حصيرة، وأخرجت من الخرج كمية كبيرة من الطعام اللذيذ ومشروبات حلوة مثل العسل.

خلال الأكل كان إيليا لا يتحرك بين أغصان الشجرة مختفيًا عن عيون العملاق لكن المرأة كانت قد رأته وخشيت من غضب زوجها، فجعلت إيليا وحصانه يختبئان في إحدى جيوب اسفياتوغور الضخمة، والذي من غير أن يدري مضى بالحمولة ليومين، وفي اليوم الثالث بدأ حصان اسفياتوغور يصدر إشارات تعب، فزأر البطل: آه أيها الحصان! هل أصبحت شائخًا وغير مفيد! ألا تستطيع المسير بعد؟

أجاب الحيوان الذكي: كنت أحملك أنت وزوجتك، لكن منذ ثلاثة أيام أحمل على ظهري حمولة زائدة فتّش اسفياتوغور جيوبه الضخمة فعثر فيها على إيليا وحصانه فقال له: من أنت؟ فأجابه: اسمي إيليا، وكانت عندي رغبة بإبداء إعجابي للبطل اسفياتوغور. قال له: ها أنا أمامك، وهذه فرصة لنكون أصدقاء، وستكون شاهدًا على أفعالي العظيمة. قبل إيليا مشكورًا، واستعد للمشي إلى جانب صديقه العملاق. وبدأ اسفياتوغور يعامله كأخ له، يتقاسم معه الأكل والشراب من نفس الكأس. في يوم من الأيام كان البطلان يعدوان في المرج الشاسع فعثرا على تابوتٍ كبيرٍ جدًا مغطى في كومة من الحبوب. توقف اسفياتوغور يفكر، وقال: فلنفحص لمن كان ذلك معدًا؟ دخل إيليا أولًا، لكن القبر الصخري كان كبيرًا جدًا بالنسبة لمقاسه، فدخل اسفياتوغور في التابوت الغريب وكأنه كان معدًا لمقاسه العملاق. يبدو أنه معد لي! قال ايسفاتوغور وأضاف: يا إيليا! يا صديقي وأخي! هل بإمكانك وأنا هنا في جوف التابوت أن تغلق الغطاء؟ لا يا أخي! إني أخاف ذلك، أجاب إيليا. تدخل اسفياتوغور وأخذ الغطاء الحجري الضخم بإحدى يديه، وعندما أطبقها أحكمت الجوانب واقفل التابوت بشكل كامل، وعبثًا أخذ اسفياتوغور يتحرك، ويتلوى في الداخل، إيليا يا أخي العزيز! خذ سيفي وحطّم جدران هذا القبر اللعين. أخذ إيليا السلاح الفتاك، وأفرغ

ضرباته الجبارة على الحجر، وهو يسمع زئير اسفياتوغور يختنق في الجوف. أحس بأن قوته تتضاعف، فعاد وأخذ السيف وبدأ يضرب من جديد، ومع الضربات القوية كانت تتطاير شظايا الصخرة والشرر من السيف. إني اختنق! زأر اسفياتوغور: تعال يا إيليا يا أخي!! اقترب جيدًا! أريد قبل أن أموت أن الصق بك السر الرفيع لقوتي. وأخذ صوت العملاق يضعف وكأنه يختنق.

وداعًا يا رفيقي لقد لصقت بك قوتي وسيفي الجبار. كانت هذه الكلمات الأخيرة، وكانت آخر أنفاس العملاق الذي مات وهو يصارع الموت، وقف إيليا مستندًا إلى سيف اسفياتوغور وسط صمت المرج الشاسع، لكنه أحسّ بقوة جبارة، تسري به، فراح إلى جانب قبر صديقه، وأخذ يدور حوله مرات ثلاثة، ثمّ ودّعه، وعاد في الطريق إلى روسيا قاصدًا قصر عمه فلاديميري نور الشمس أمير مدينة كييف، وقد اكتسب إيليا القوة والشجاعة اللتين حملتاه إلى أن يحقق المآثر المدهشة مع مردة آخرين في قصص مثيرة. انضم إيليا إلى ستة من المردة وراحوا يمتطون خيولهم، يعبرون الصحراء إلى أن وصلوا إلى سفح فيه أشجار بلوط قديمة، ولأنهم كانوا متعبين جدًا نزلوا إلى الأرض، ونصبوا خيامهم، واضطجعوا ليرتاحوا، بينما راحت الخيول ترعى في الجانب. عندما أعلنت الشمس عن النهار بشفقها الأحمر نهض إيليا مورروميتس ونظر إلى البعيد، كانت مجموعة من التتار تحجب الأفق، وتتقدم، تلفها غيمة من الغبار، تغزو السهل، وكأنها إعصار عنيف. صرخ إيليا: انهضوا أيها المردة! فالتتار قادمون نحونا، فنهضوا وحملوا سلاحهم وانطلقوا لمواجهة التتار، وسرعان ما انتصروا عليهم. كان الأعداء المهزومون يملأون السهل، بينما المردة يطلقون صرخات المنتصرين: أية قوة يمكن مقارنتها بقوتنا؟ وصرخ اليوشا بوبوفيتش: لا يوجد جيش يقدر على هزيمتنا! وقال إيليا: السيف الذي منحني إياه اسفياتوغور لا يُهزم، لكن في تلك اللحظة وكأن الأرض انشقت وأنبثق منها محاربان مسربلان بمعادن تلمع، واتجها نحو المردة قائلين: جئنا لنمتحن قوتنا نحن اثنان وأنتم سبعة، لكن لا يهم فلنتحارب! امتلأ قلب اليوشا بوبوفيتش بالغضب، امتشق سيفه وهجم على خصميه غريبي الشكل، لكن آه منك أيتها المعجزة!! فعندما ضربهما اليوشا فقد تحولا إلى أربعة.

جرّد دوبينيا نيبريتش سيفه، وتقدم نحو الأربعة ووقف وسطهم، لكن وللغرابة أيضًا، فلقد تحول الأربعة إلى ثمانية، وأخذوا يتقدمون! قضى إيليا موروميتس بسيفه الجبار على الثمانية، لكنهم تضاعفوا أيضًا أمام دهشة واستغراب المردة. وبعزم وبأس وغضب هجم السبعة سوية على أعدائهم، لكنهم كلما قاتلوهم كانوا يتضاعفون! وطيلة أيام ثلاثة وثلاث دقائق وثلاث ثواني استمرت المعركة، حتى خارت قوى المردة الأبطال، واحتلهم الذعر فهربوا إلى الجبل لينجوا بأنفسهم، وهناك تحولوا إلى حجارة وبقوا إلى الأبد وهكذا يروون عن نهاية الأبطال العمالقة في روسيا المقدسة.

الطفلة العملاقة والفلاح... أسطورة شعبية سويسرية

يحكى أن الابنة الوحيدة لملاك قلعة النيدك ابتعدت في أحد الأيام، تتمشى بين أشجار الصنوبر وكروم العنب حتى وصلت إلى هضبة قريبة لمركز حكم البلدة، أي إلى المكان الذي يمكن منه السيطرة على القرية، حيث الوادي ينقسم إلى قطع من الأراضي الفلاحية. الطفلة العملاقة الطويلة مثل أعلى شجرة صنوبر توقفت لتنظر إلى بعض الكائنات الغريبة التي كانت تتحرك هناك في الأسفل، ويقومون بحراثة الأرض. تقدمت قليلًا فاكتشفت أنه كان رجلًا يحرث التراب بمحراثه المربوط بزوجين من العجول، وخلال عدة دقائق راقبت الرجل بفضول وهو يحرث حقله. كان ذلك مجهولًا وغريبًا بالنسبة لها، فصارت تنظر إليه كما ينظر الأطفال إلى تعذيب النمل في جحرها، كان منظر تلك الهيئات المتحركة رائعًا وهم يصنعون في الأرض خطوطًا طويلة ومتقاربة فيما بينها. الطفلة العملاقة قفزت، وتطايرت من الفرح، وملأت الوديان برذاذ قهقهاتها. الفلاح العامل توقف متعجبًا، والعجول جفلت، وتوقفت مذعورة، وقبل أن يأخذ الفلاح بالحسبان لما يجري اقتربت الطفلة نحو الرجل والعجول وأخذتهم وهي في هالة من الفرح كما لو كانوا دمى للأطفال. عادت إلى القلعة، كانت سعيدة ومبتهجة وهي تعرض لقيتها إلى والديها. انظروا! انظروا! ماذا عثرت! لا توجد دمية أجمل من هذا أليس حقًا إنها جميلة؟ إنها دمية حقيقية حيّة! سترون كيف يتحركون ويصنعون خطوطًا مستقيمة ومتقاربة! وبينما كانت تتكلم وضعت الفلاحين وزوجي العجول ونير الحراثة والمحراث على الطاولة الضخمة كمسرح الحفلات. ودفعتهم كي يبدؤا بالعمل، لكن

الطفلة توقفت عن الكلام والضحك أمام النظرة القاسية لوالديها. العملاق صاحب اللحية الثلجية قال بحنان وجدية: هل تعرفي جيدًا ماذا أحضرت يا بنيتي؟ هل تعرفي ماذا فعلتي؟ هذا الذي تسميه دمية هو رجل فلاح، لقد أرعبتيه عندما كان يشتغل! واقتلعتيه من بين الفواكه والثمار التي تتغذين عليها وتجعل أهلك يواصلون الحياة! فمن غيره ما كانت الحياة ممكنة لنا! هذا العامل المسكين هو الأكثر نفعًا وفائدة من كل الرجال، فالآخرون يمكنهم الحياة بفضل عمله، وجهده هو الجهد الأكثر نبلًا وعطاءً، فلا المطر ولا البرد ولا الشمس اللاهبة قادرون على إبعاده عن الأرض التي يحرثها ويحرسها بحب. كل عامل يستحق الاحترام، والفلاح هو أكثر الذين يعملون، ليس دمية!

لا يا بنيتي! هيا! خذيهم بحذر شديد وبعناية إلى نفس المكان الذي أحضرتيهم منه، واحميهم من أي مكروه! ولا تنس أن من لا يحترم ولا يحب الفلاح والذي يصنع من الفلاح ضحية لأنانيته فإنه بذلك يجلب اللعنات من السماء، الطفلة العملاقة وابنة العمالقة طلبت المعذرة، وأخذت بانتباه كبير الفلاح وزوجي العجول، وحملتهم يهتزون في راحة يدها، وأعادتهم كي يحرثوا في أرضهم أثلامًا جديدة..

حكاية المحتال تيل... أسطورة شعبية ألمانية

كان ايولون شبيغل أحد أكبر المحتالين الذين يتفننون في الضحك على الناس وخداعها ومن الذين يحلوا لهم العيش من غير عمل ولا انشغالات أو مسؤوليات تحررهم من اكتشافهم وملاحقتهم بسبب أعمالهم وألاعيبهم السيئة. ولد تيل في قرية صغيرة في ساجونيا Sajonia، شبّ سليمًا معافى منيعًا ولم يتأخر في إعطاء إشارات حياة مكر ودهاء أدهشت كل من عرفه. كان عمره ١٤ سنة عندما انتقل مع عائلته للعيش في قرية قريبة من مدينة مغديبورغ إذ مات والده بعد فترة قصيرة، ومن ذلك الوقت صار يتصارع مع أمه لأنه كان يحصل على مبلغ من عمله، لكن هكذا كان تيل جاهزًا للإطاعة والخنوع، وليترك هواياته، حبه للتعلم في القرقوز التي كان يصرف فيها أغلب وقته اليومي، ولأن الجزء الخلفي من بيته كان يطل على النهر فلقد ثبت تيل حبلًا في شباك بيتهم وربطها إلى شجرة في الضفة الثانية للنهر. وعندما صار الحبل مشدودًا ومحكمًا جيدًا، قام تيل بالعبور عليه من طرف إلى طرف

فتجمع ناس كثيرون، وصارت فرجة كبيرة مشاهدة الصبي وهو يرقص على الحبل بطرافة وخفة ويقفز. جاءت أمه وأرادت أن تبعد ابنها عن تلك الألاعيب، فحذرته، ثم صعدت إلى السدة وقصت الحبل المشدود إلى النافذة، عندها سقط تيل في الماء، وفي أثناء سقوطه كان يقوم بحركات دورانية في الهواء، أمّا الذين كانوا يتفرجون عليه من أطفال وكبار فلقد بدأوا يضحكون ويهزؤون ويصيحون: تيل! حمّام الهنا! بالتأكيد لن تشعر بالحر! ولا بالرغبة في معاودة ذلك! بعد أيام قليلة سرى خبر في أنحاء القرية أن تيل يستعد لإعادة ألعابه فرغب الجميع في أن يقضوا وقتًا من الضحك والترفيه عن النفس، فذهبوا ليشاهدوا المغامر المتهور، ولم يقتصر الذهاب على الأطفال فقط إنما على رجال ونساء القرية.

كان تيل يتوازن على الحبل بخفة وطرافة، والجميع يتابعونه بأفواه مفتوحة وعيون جاحظة، وفي أثناء ذلك صرخ تيل: دعوني أرى! من يعيرني فردة حذائه اليسرى؟ سأقدم لكم لعبة مسلية جدًّا. نزع جميع الأطفال أحذيتهم؛ لأنهم كانوا مبتهجين ومسحورين بتيل جمع تيل أربعين إلى خمسين حذاء وشكّها ولضمها في حبل، ثم رماها بين جموع الفضوليين وهو يقول: لأرى إن كنتم جاهزين! ليأخذ كل منكم حذاءه!

تدافع الجميع في البحث عن أحذيتهم، كان هناك أحذية كثيرة، وبعجلة كانوا يريدون استردادها إذ بعد قليل صار هناك كومة من الناس يلعنون، ويصرخون ويتضاربون. هرب تيل من شباك السدة وهو في غاية السعادة، ومن غير أن يفكر في العقاب الذي ستحضره أمه له طيلة أربعة أسابيع كانت بالنسبة له قرونًا من الزمن، خلالها ظلّ تيل محبوسًا في البيت في غرفة مظلمة، وعندما خرج من حبسه ليأخذ من الحرية ما سلبوه منها، قرر أن يجول العالم مقتنعًا أن القرية صارت صغيرة على مغامراته، وهذا ما فعله بعد أن ترك ذكرى طيبة من مسخراته وإساءاته في أماكن عدة. اتجه نحو إمارة Anhalt حيث ضمّه الأمير إلى خدمته، ووضعه كحارس في برج مراقبة القلعة. وفي يوم من الأيام نسي الخدم أن يأخذوا أكلًا له، وفي اليوم نفسه تسللت قوى معادية إلى الزريبة الخلفية للقلعة، وسرقوا كمية كبيرة من الماشية. واصل تيل في مكانه ما كان يعمل به، ومن غير أية نية بأن يعطي إشارة صافرة إنذار، لكن الأمير ورجاله المحاربين تمكنوا من صدّ اللصوص، وأنقذوا المسروقات كلها، وعند عودتهم إلى القلعة توجه الأمير نحو تيل، الذي كان يسترق النظرات من خلف النافذة

فقال تيل له: معاليك! إن معدتي خاوية وخفت أن أنفخ في القرن الذي أعطيتني؛ لأنه يصدر صوتًا قويًا وعلى معدة خاوية فإنه يسبب لي طنينًا مؤلمًا. ذهب الأمير والفرسان لتناول الطعام على طاولة كبيرة وعامرة، تمت إقامتها للاحتفال بالنصر، وبينما هم منهمكين بتناول ألذّ المأكولات وأطيب الأطباق، أطلق تيل الإشارات الثلاث من صافرة الإنذار وعند سماعها نهض الجميع! لأخذ أسلحتهم تاركين المطعم خاليًا، وأطياب الأكل على الطاولات، عندئذ لم يكن صعبًا على تيل نيل مراده، لهذا هبط من برجه بقفزات صامتة، وعبأ قسمًا من تلك الطبخات والمأكولات اللذيذة في أكياس وفي جيوبه وعاد بهدوء إلى مكانه، تلوّن وجه الأمير عندما أحس بخديعة الصافرة، فطرد الوغد المكّار، والذي مشى في الحال، وعندما شعر بالتعب قرر شراء حصان، وفي السوق عثر على حصان رخيص، لأنه كان كبيرًا في السن وقد أسيئت معاملته، لكن صاحبه الحوذي كان نبيهًا وسريعَ الفطنة، يريد بيعه بالغش والحيلة فطلب ٢٤ فلورين[1]. فقال تيل له: سأدفع لك الآن ١٢ فلورين، ويبقى تطلبني ١٢ فلورين. وافق الحوذي، فدفع تيل اثنى عشر فلورين وأصبح مالكًا للحصان. وبعد ثلاثة شهور أراد الحوذي أن يقبض الباقي الذي وعده تيل به، فردّ تيل عليه وكأنه يستغرب: ألم نتفق على أن يبقى ذلك المبلغ دينًا؟ لهذا بالضبط لا يجب عليّ دفعه!

غضب الحوذي، وتجادل الاثنان، ثم ذهبا إلى القاضي، وأمامه رفض تيل أن يدفع أي مبلغ قائلًا: أنا اشتريت الحصان بشرط وهو أن ادفع له مبلغ ١٢ فلورين عدًّا ونقدًا وأن أدين له بالاثنى عشر المتبقيات، وإذا دفعت له الآن فمن الواضح أنني لن أدين له، وهذا ليس ما اتفقنا عليه، فأنا رجلٌ شريفٌ ويجب عليّ احترام كلامي. فقبل القاضي بهذه الحجة، ولم يدفع تيل الدين أبدًا. وبعد عدة حيل نادرة ومغامرات في ذلك البلد انتهى تيل بالوصول إلى مجلس أمير Hesse، عندها سأله الأمير: من أنت؟ معاليكم أنا فنانٌ كبيرُ رسّام على مستوى عال جدًا! إذ لن تجد مثيلًا لي في كل المملكة. قال الأمير: ابق إذًا لتزخرف لنا جدران الصالة برسومات، تمثل تاريخ أسلافنا وأجدادنا. طلب تيل مائة فلورين مقدمًا على الحساب ليشتري ألوانًا، وليدفع لعددٍ من الرجال الذين سيساعدونه، ووضع شرطًا: ألا يدخل أحدٌ إلى الصالة

(١) العملة الهولندية.

طيلة الوقت اللازم لإتمام العمل. وعندما اختلى تيل بمساعديه في الصالة التي سيرسمون فيها اللوحة الرائعة، قال لهم تيل: يا أصحابي لقد جاءت الساعة التي سنبدأ بها راحتنا، يمكنكم أن تناموا كل الوقت الذي ترغبونه، فهنا لن نفعل شيئًا، إنما سندع الوقت يمضي! فإياكم أن يتحدث أحدٌ عن عمل هنا! مضت عدة أسابيع، وفي صالة القصر لم يفعل أحد أيّ شيء أكثر من الراحة والأكل من أطيب وأفخر المأكولات التي كانت تأتيهم بأمر من الأمير، وعندما حلّ اليوم الذي طلب الأمير فيه أن يشاهد اللوحة الفنية العظيمة، قال تيل له: معاليكم! رغباتكم أوامر! لكني أريد أن أحذركم من شرط نادر وكبير، فرسوماتي لا تبدو للعيان أمام ناظريها إن كانوا قد كذبوا في مناسبة ما من حياتهم.

فكّر الأمير في الأكذوبات التي كان قد ارتكبها، ومع أنها كانت نادرة وقليلة فإنه لن يجعل تيل يعرف ذنوبه. وصلا إلى الصالة، وتيل في حالة كبيرة من القلق، لكنه رفع ستارةً كانت مخصصة لحماية الألوان وتغطية الجدران. فتح الأمير عيونه جيدًا، وأعاد فتحها كثيرًا وهي مليئة بالدهشة، فلم يكن يرى شيئًا! إنما الجدار فقط! نظيف وأبيض، لكنه كتم ذلك ولم يتحدث خشية أن يعتبره كمخادع. وراح تيل يوضح لوحته الرائعة إلى الأمير، ويقول وهو في غاية السعادة: انظر يا سيدي! هذا الرجل صاحب الهيئة الكبيرة المليئة بالظرافة! إنه الأمير هيس Hesse أحد أسلافكم البارزين، وهذه السيدة التي إلى جانبه هي زوجته ابنة أنبل البيوت في بافاريا، وهذا الفتى المقابل الذي تراه هنا هو ابنهم، وهذا هو الحكيم والد الأمير غيلليرم! وكما ترى فإن كل الأجداد أسلاف معاليكم قد رسمت بحرفة فريدة، ولم يبق إلا إطلالة وهيئة سيدي الأمير!! تشوش الأمير، واحتار ولم يعرف ما يجيب به، ويخشى أن ينتقد تيل الغريب، فقال الأمير: إن رسوماتك لا تعجبني، أريد أن يراها أشخاص اختصاصيون يعطونها قيمتها الفنية المناسبة.

فكّر الأمير في أن يرسل وزراءه لرؤية ما بدا له حائطًا أبيض وخاليًا من الألوان، وربما تكون مناسبة ليمتحن صدقهم وإخلاصهم من زيف المجاملات والتملق، وعندما علم تيل بذلك قال لمساعديه: يا أصدقائي ليهرب كل واحد فيكم من هنا قبل أن يتم اكتشاف الخديعة! وندفع عندها ثمنًا سيئًا لما فعلناه ولما لم نفعله بعد، فهرب جميعهم دون أن يتركوا أي أثر. توجه تيل إلى مدينة براغ، وأخذ يعيش بالطريقة نفسها التي كان قد عاشها، فادعى أنه

حكيم عظيم، يعرف ويعلم كل خفايا وألغاز العالم والعلوم كلها. ولانزعاجهم من هذا الحكيم اجتمع أساتذة الجامعة في المدينة، وقرروا إفشال العالم المختال الذي يعلن امتلاكه للحكمة العليا والرفيعة، فدعوا تيل للمثول إلى الجامعة للتأكد من علومه وللمناظرة العلنية والإجابة عن أربعة أسئلة، قد وضعوها، حضر تيل في اليوم الثاني إلى الجامعة، وبعد أن جلس في كرسي الفخامة أمام منتدى العلماء، وحشد من الشخصيات قال عميد الجامعة الوقور: أيها العالم البار أجب عن هذا السؤال الأول: ما هي كمية الماء الموجودة في البحر قطرة قطرة تقريبا؟

أيها المعلم المبجل- أجاب تيل- اجعل الأنهار توقف جريانها، وألا ترفع مستوى الماء في هذه اللحظة؛ كي أتمكن من حساب الكمية بالضبط. تشوش عميد الجامعة قليلًا، فطرح السؤال الثاني: قل لنا أين يقع مركز سطح الأرض؟ قال تيل: مركز الأرض موجود بالضبط هنا حيث أجلس أنا، وإذا لم تصدق يمكنك قياسه بحبل، وإن كنت أنا مخطئًا بقرط أو قرطين فإني أعترف بخطئي، فسأله: قل لنا الآن ما هي المسافة بالضبط بين الأرض والسماء؟ لا توجد مسافة كبيرة -قال تيل- فمن السماء يمكن وبشكل جيد سماع أي كان عندما يصرخ من هنا من الأسفل، وللتأكد من ذلك فلتصعد فخامتكم، وسترى كيف تسمعني عندما أناديكم كتم عميد الجامعة غضبه، وطرح على تيل السؤال الأخير: قل لنا ما هو حجم الجرم السماوي؟ أجاب تيل على الفور: هل تقصد السماء؟ فالسماء لها ألف تيوسا[1] Toesas طولًا وألف عقدة عرضًا، وإن كنت لا تريد تصديق ذلك فاطرح منها الشمس والقمر والنجوم، واحسب الحجم بنفسك! وعندها سترى أنني لم أخطئ. وهكذا أفحم العميد وبقي الجميع مأخوذين بينما خرج تيل من الجامعة يختال بين الأساتذة.

وبفوزه ذاع صيته كثيرًا، لكنه كان يخشى أن يثأر العلماء لهزيمتهم، فقرر هجر مدينة براغ وتوجه إلى نيورمبيرغ، حيث قدم نفسه على أنه طبيب شهير. في ذلك الوقت كانت المشفى مكتظة بالمرضى، ولم يكن هناك عدد كاف من الأطباء في المدينة ليرعوا المرضى، وفي هذه الظروف ذهب مدير المشفى إلى الطبيب الشهير تيل ايولنسبيغيل، والذي بدوره قطع

(١) مقياس طول فرنسي قديم يعادل مترا واحدا و٩٤٩ مليمتر.

وعدًا على نفسه بشفائهم جميعًا في لحظة واحدة مقابل مائتي فلورين، فوافق المدير في الحال. وعندما حضر تيل أمام المرضى راح يقترب من كل واحد فيهم، وفي الوقت الذي كان يجس نبضهم، ويكشف عليهم، كان يقترب من مسمع أذن المريض ويقول له بصوت منخفض: لا تفش لأحد ما أقوله لك، فأنا أفكر بشفائكم وتخليصكم جميعًا من آلامكم، ولأجل ذلك يلزم ومن الضروري أن نحرق واحدًا منكم لنأخذ رماده، ونصنع منه الدواء الوحيد الذي سيشفي الجميع، ومن أجل إنقاذ الآخرين يجب أن تتم التضحية بواحدٍ، وهذا سيكون الأكثر مرضًا، فعندما أصيح بكم: على كل من هو غير مريض في الردهة أن ينهض، ويخرج منها ويعجّل في مشيته، والذي سيتأخر في ذلك سيقع عليه اختيار التضحية وفداء الجميع. في اليوم التالي حضر تيل إلى المشفى، وعندما فعل ما كان قد قاله، وهو ما كان ينتظرونه، تعجب الجميع لسرعة المرضى وهم يقفزون أحدهم فوق الآخر، بل خرجوا إلى الشارع يصيحون، إنهم يشعرون بتحسن كبير وقد شفوا وكأن معجزة قد حصلت لهم.

ابتهج مدير المشفى ودفع المبلغ المتفق عليه إلى تيل لكن، بعد انقضاء ثلاثة أيام، لم يقدر المرضى على التحمل بعد، فرجعوا جميعًا إلى المشفى يصرخون، ويستنجدون رعاية الأطباء فترك تيل المدينة قبل أن تنكشف خديعته. وقد تعب من حياته، حياة النصب والاحتيال، فقال في سره: الأفضل تغييرها وتوجيه قدراتي إلى العمل الشريف. وبعد هذا التفكير جرّب عدة مهن مختلفة في كل القرى التي مرّ بها، لكن هكذا كانت عادته في المسخرة والخديعة والاحتيال، إذ لم يبق مكان لم يخرج منه إلا مطرودًا وملاحقًا وتحت التهديد والوعيد.

وفي الطريق إلى مدينة كولونيا توقف تيل في نزل صغيرٍ ليقضي هناك عدة أيام للراحة. وفي الصباح حلت ساعة الإفطار، ولم يكن الطعام قد جهز بعد، فانزعج تيل جدًا من الانتظار ومن الجوع الذي كان يعانيه، فحذره صاحب المتجر من انزعاجه وقال له: من لا يوجد عنده صبر على انتظار الطعام كما يجب، فيمكنه في ساعة طيبة أن يأكل ما يقع تحت يده. بعد هذا التحذير جلس تيل إلى الطاولة، وأكل قطعة خبز ناشفة، وبعدها ذهب إلى جانب النار، وجلس يرقب القدر ريثما تجهز الطبخة، وعندما جلس جميع النزلاء ليأكلوا بقي تيل في المطبخ دون أن يتحرك فسأله المؤجر: ألا تريد أن تأتي إلى الطاولة؟

لا! -أجاب تيل- لقد شبعت من رائحة الطنجرة! وعندما رُفعت طاولة الأكل، قبض المؤجر المبلغ الذي يدفعه كل واحد من النزلاء مقابل حصته من الأكل، واتجه نحو تيل طالبًا منه أن يدفع: كيف أيها السيد المؤجر -احتج تيل- هل سأدفع مقابل شيء لم آكله؟ بلا أعذار- قال المؤجر- عليك دفع المبلغ الذي يقع عليك فلقد أتخمت من رائحة طبختي! أخرج تيل قطعة نقود من معدن الفضة وتركها تقع وترن على الأرض وأعادها إلى جيبه ثم قال للمؤجر: يا سيد! هل سمعت صوت قطعة النقود؟ أجاب المؤجر: نعم. وأظن أنها مصنوعة من فضة جيدة. قال له: هل أنت متأكد أنك سمعت رنينها؟ وأضاف تيل: هل تقبض الرنين مقابل رائحة الطبخة؟ وخرج تيل، وقصد طريق مدينة مغديبورغ.

وبعد دوراته الكثيرة حول العالم حظي تيل بتعاطف أسياد عظام، قدموا له الحماية وجعلوا منه إنسانًا وديعًا. لم يكن آنذاك قد شاخ تيل عندما شعر بالمرض، وقرر العودة إلى مهبط رأسه، لكن في مدينة قريبة من موطنه اشتد عليه المرض، فنقلوه إلى المشفى حيث تمّ إخبار أمّه بذلك كي تأتي لتكون بالقرب من ابنها الذي يحتضر. قدمت العجوز ووصلت في الوقت المناسب لتحتضن ابنها، وبالسر أعطاها تيل صندوقًا قال إنه يخبىء فيه ثروة كل ما ادخره وجمعه! وقبل موته بأيام قليلة وضع تيل وصيته والتي بموجبها أوصى أن كل طيباته المحفوظة في صندوق مشابه للصندوق الذي أعطاه لأمه، وأن تقسم بين عائلته وأصدقائه والكاهن. وبعد أربعة أسابيع على موته تم فتح الصندوق الذي فيه الميراث، لكنهم لم يجدوا فيه شيئًا أكثر من حجر! والذي جعلت شدة وزنه الجميع يتوهمون بكمية ومقدار الثروة التي كانت مخبأة هناك! من هذه الخديعة الأخيرة غضب كثيرًا أولئك الذين انتظروا أن يرثوا بالميراث، لكنهم تبرأوا من تيل وندموا على مراسم الدفن الكبيرة التي قاموا بها، وعلى الزهور والورود، وعلى بكائهم ومرافقتهم للتابوت حتى المقبرة، حيث حدث الأمر الغريب وغير العادي، في اللحظة التي أُنزل فيها التابوت إلى فستقية القبر، انقطع أحد الحبال التي كانت تحمله فسقط التابوت بشكل عامودي! قال أحد الرجال: اتركوه هكذا على هذه الحالة، فهو لم يعش مثل الآخرين! دعوه يرتاح في الموت بشكل مختلف! القوا به هكذا! وعلى قبره كتبت العبارة التالية: ألا لا يرفعن أحدٌ غطاء هذا القبر هنا يرتاح واقفًا تيل أويل شبيغل Till Eulenspiegel Anno domini.

في أحد الأيام لاحظ الناس على الشاطئ ظهور شيء يتقدم مثل الظلال وملتف في سلسلة غيوم بحرية، لقد كانت سفينة هائلة تأتي من بحار الشمال، السفينة كانت تتقدم شيئًا فشيئًا منتفخة أشرعتها المربعة والفاتحة اللون، وتكشف عن مزخرفات ومنحوتات خشبية في مقدمة السفينة، ثم بدأ يظهر رأس ضخم لتنين بلون أحمر والشراع العريض مثل القبعة السحرية بثنياتها وطيّاتها.

الصيادون شاهدوها مذهولين وهي تبرز من بين الضباب مزركشة بالزينة والمرايا، وتتقدم تلك السفينة الشبح بصمت حتى ارتطمت بالرمل. ابتعدوا جميعهم، وأخذوا ينظرون من بعيد، فلم يشاهدوا أحدًا على السفينة اللغز ولم يسمعوا صرخة أو صوتًا، ومن الأراضي القريبة من الساحل جاء الرجال، وقد تركوا حراثتهم وقطعان ماشيتهم والشباك والقوارب الصغيرة البحرية لقد تركوا كل شيء وجاءوا ليروا سفينة جبارة، فأبدًا لم يخرج من البحر شيء مثيل من بين الضباب وكل هذا الصمت! لم يجرؤ أحد على الاقتراب، وفي الليل اجتمعوا كلهم، وتحدثوا برعب وخوف. هل كان عليهم الهرب؟ هل كانت تلك السفينة محملة بالأعداء المسلحين جيدًا؟ هل هي سفينة للفايكونغ الذين لن يتأخروا بالخروج وسرقة وحرق القرى الفقيرة؟ أخذوا يرقبون وهم يخشون الخطر، فلم ينم أحد في تلك الليلة، وفي اليوم التالي عند الفجر ظهر محاربون كثيرون في السهل، جاءوا ملتفين بغيوم من الغبار الذي تحدثه خيولهم مع وقع حوافرها القوية.

جاءوا تلمع قبعاتهم ودروعهم وأسلحتهم ليقاتلوا ضد السفينة الغريبة للفايكونغ. كان الأسياد يرسلون الجيوش المؤلفة من رجال لهم عضلات مفتولة وعاريين، ولونهم أحمر، وشعرهم طويل، وبملامح وهيئات متوحشة ووجوه محزوزة ومليئة بآثار جراح عميقة. توقف المحاربون قريبًا من السفينة الغريبة مذعورين أمام الزركشة الرائعة للقبعة والتنين في مقدمة السفينة، وقد ألبسوه شرائح من ذهب وبعينين واسعتين وملونتين براقتين. صار ينظر أحدهم إلى الآخر ويتساءلون: يا ترى من أي مكان قد جاءت هذه السفينة الرائعة الجبارة؟ هل وصلت من أراضي ا لساجوناس من السويد؟ أم من مناطق الغرب الهجينة؟ من هم؟

وماذا يبتغي ركابها؟ ولماذا يختبئون؟ هل وجدوا أنفسهم مجبرين من قبل الرياح إلى الوصول إلى هنا؟ وهم خائفون الآن من أن يجدوا خصومًا أقوياء وأشداء!

بعض المتهورين اقتربوا من السفينة، وهم في حالة احتراس، وصاحوا: كان من كان هناك! أطلوا بوجوهكم! هيا للقتال للقاء رجال الدنمارك! انزلوا! فالرمل ميدان جيد ويمتص الدم من الجراح! تعالوا فملامح الفايكونغ لا تخيفنا! ومن المركب لم يجب أحد، فهاج المحاربون الدانمركيون وبدأ بعضهم يطلق السهام، وامتشق آخرون الفؤوس، ووثبوا إلى السفينة، وهم يطلقون صيحات الحرب. لكن في السفينة لم يكن هناك أعداء، إنما إلى جانب الصارية وفوق سجادة وثيرة وسميكة من الحرير كان وحيدًا ومضطجعًا على حزمة حطب مذهب، ينام طفل صغير وعاري تقريبًا وحول ذلك أكوام تبرق مثل غنائم مغامرة فاتنة: أسلحة من ذهب، أسلحة مصقولة، خناجر بقبضات من المرمر، وأحجار صوان مزركشة، وأسنان ذئاب، دروع ضخمة، ومنحوتات من البرونز بمزخرفات مذهبة، قطع من الأحجار الكريمة، قبعات تبرق وعليها أجنحة من ذهب، وغوايش من الأحجار الكريمة، وسهام، وقرون حيوان الوعل ملبسة بقشور عرق اللؤلؤ، والفولاذ المسنن مثل ورقة الصفصاف، أبواق وقرون من العاج مليئة بالمجوهرات، أكواب، كؤوس، وجرار منقوش عليها، وعقود من زمرد وطوباز، والحرير، والطلاء، وأمام ذلك الكنز نحّى المحاربون أسلحتهم جانبًا وبدأوا يتأملون الطفل المضطجع على حزمة حطب مذهب. فاعتقدوا أن الآلهة أرسلت تلك السفينة كإشارة للخير والسلام. وبالزنود القوية للمحاربين الأشداء رفعوا الطفل وحملوه كشارة نصر بين الحشود المتجمهرة والتي تصيح مبتهجة، وأمام مجلس السادة تم إعلان من أرسلته الآلهة ملكًا للدنمارك، الطفل الذي جاء من البحر محاطًا بالدروع لهذا سيكون الدرع المستقبلي في الدفاع عن البلاد، وتم إطلاق كلمة Skiod سكويد أي درع على الطفل كاسم له. لقد توافقت قوة وشجاعة ونبل سكويد مع آمال الشعب، فلما صار شابًا أصبح واحدًا من أشجع الصيادين، وفي أحد الأيام وبينما كان ذاهبًا مع حشمه ضاع في الغابة، فهاجمه دب ضخم، لكن Skiod لم يهرب، إنما صارع الوحش جسمًا لجسم، وسيطر عليه، بل هزمه ثم ربطه بقوة، حتى وصل رفاقه وفي الخامسة عشرة من عمره تقدم الجيش

وهزم الساجونيس، وهناك في ميدان المعركة انهزم قائدهم، وفيما بعد تزوج سكويد من ابنة ملك المهزومين، فكان طوال حياته مثالًا للنبل، طيبًا وعادلًا شديد البأس على الأعداء ورحيمًا وكريمًا على رعيته، كانت أحكامه قويمة وصارمة سواء على القوي كما على الضعيف والمسكين، لقد خصص حياته الطويلة لخدمة بلاده، وعندما شعر بأن حياته بدأت تنتهي، استدعى نبلاء مجلسه وقال لهم: انظروا يا أبنائي، عندما تُغْلَقُ عيناي وإلى الأبد، خذوا جسمي إلى شاطئ البحر، فهناك في لسان الخليج لا يزال المركب راسيًا المركب الذي أحضرني وأنا طفل، ضعوني فيه وانصبوا الأشرعة واتركوه للبحر وللرياح، أريد أن أرحل بالشكل الذي جئت فيه، لقد أتممت مهمتي، فمن بلدٍ بائسٍ ومنقسمٍ على نفسه جعلت منه بلدًا موحدًا وسعيدًا مات الملك Skiod وقد كفنوا جسده بثياب ثمينة ومعطرة، ووضعوا له إكليلًا حقيقيًّا، وفي الخصر السيف المنتصر، ثم رفعه رجاله المحاربون بزهو بين الحشود التي كانت تبكي ملكها، وأخذوه إلى البحر، إلى السفينة وأشرعتها القرمزية والقبعة المطلية والبراقة، هناك بالقرب من الصارية وضعوا جسم الملك الحكيم، وجاء الناس من كل حدب وصوب من القرى والبلدان يحملون الهدايا الثمينة، نساء ومحاربون ونبلاء وناس بسطاء وفقراء كلهم أحضروا أغلى ما عندهم من ثرواتهم ومما يحتفظون به من الأسلحة الفاخرة التي غنموها في المعارك، ومن العقود والخواتم ومن الأحجار الكريمة ومن صناديق وخزنات مليئة بالحلي وقطع نقود ذهبية وقبعات ودروع وفؤوس وأبواق وقرون من الياقوت وكؤوس كبيرة وصواني من الفضة مليئة بالأحجار الكريمة وكل شيء. لقد جمعوا كنزًا حول جثمان الملك، ووضعوا في يده سهم الحرب، وتحت رأسه حزمة من السنابل التي تم قطعها حديثًا، كل الشعب كان ينظر، وأجواء الفجيعة تلف الصمت وأخيرًا تم حل الشراع القرمزي اللون، وآلاف الزنود القوية دفعت السفينة الراسية على الرمال ورويدًا رويدًا بدأت الأمواج تهزها وتبعدها عن الشاطئ.

في الصباح المعتم بالضباب أبحرت السفينة الجبارة، سفينة الملك Skiod، وراحت تبتعد مثل الظلال باتجاه بحار مجهولة، حيث كانت الآلهة قد أرسلتها، واختفت في الأفق مغطاة بضباب كثيف.

كيف تشكلت جزيرة دي سيلاند... أسطورة شعبية اسكندنافية

قبل زمن بعيد كان الملك الرحيم غيلفوا Gylfwa يقيم مجلسه في أويسالا Upsala، المدينة القديمة المحاطة بقبور الملوك الوثنيين كانت أراضي المملكة واسعة خضراء كثيفة الغابات، وتحت سلطته توسعت كثيرًا إلى أبعد من الأفق الذي يُرى من الأبراج العالية القلعة، لأنه لم يكن ممكنًا الوصول إلى نهايتها عبر رحلات من ركوب الخيل.

عاش الملك الشائخ وبشعر مثلج ليتأمل ويحكم مملكته، ولم يكن يُعرف شيئًا عن عائلته، وربما لم يكن له عائلة أو أنه كان يفضل الوحدة، في المجلس كانت تعيش شابة فاتنة الجمال، إذ كان الشيخ غيلفوا يداعبها، كأنها ابنته وكان اسمها غيلفيون Gelfion الرائعة بيضاء وشقراء بل إنها تشبه أميرات الحكايات والأساطير. كانت حياة غيلفيون يلفها غموض مبهم، فالبعض يظن أنها كانت ابنة الملك، وآخرون كانوا يقولون: إن المسن غيلفوا تبنّاها من طفولتها، وآخرون كثيرون كانوا يؤكدون أن أمها كانت ابنة لأحد العمالقة أصدقاء ملك الجبال العظيم. كانت غيفليون فاتنة الجمال بشكل مذهل، فصوتها عذب حلو، وفي أعماق عينيها الشفافتين يتوهج ضوء النظرات الغريبة، التي تكاد تشبه نظرات الآلهة. في ذلك الوقت كان يحكم الدنمارك الملك أودين Odin، وله ابن رائع وشجاع هو الأمير سكيولد Skiold والذي وصل فجأة إلى مجلس غيلفيون مجذوبًا بسمعة غيفليون الفاتنة الجمال، ولما رآها سكولد صار مثل المسحور من روعة غيفليون التي وقعت بحبه أيضًا.

كان المسن غيفلوا ينتظر اليوم الذي سيفصله عن غيفليون بالحزن والألم، لكنه أخفى حزنه، وداعب الضفيرتين المذهبتين لشعر الشابة وقال: غيفليون! بنيتي! سأكون محظوظًا وسأموت مطمئنًا عندما أراك سعيدة، فلترع الآلهة زواجك، أريد الآن أن أقدم لك الأعطيات التي طالما تمنيتيها. ملكي غيلفوا - أجابت غيفليون- سأشعر بحزن عميق عند مفارقتي لك، فأنا أحب بلدي كثيرًا، ولن أطلب منك شيئًا أكثر من سماحك لي أن آخذ حفنة من تراب السويد إلى بلدي الجديد، فإن شئت احصل لي على حفنة من التراب يمكن لرجل أن يحرثها في لحظة ومن غير تعب. حسنًا يا غيفليون، قال الملك: فليكن كما تشائين. ونادي على حرّاث قوي ولا يتعب. اختفت غيليون من القصر، فلقد ذهبت إلى الجبل، حيث كانت

أمها قد خرجت من هناك، وبانقضاء عدة أيام عادت يرافقها رجل حرّاث، وكان عملاقًا، جاء معه أبناؤه الأربعة، وهم عمالقة أيضًا، كانوا يحملون محراثًا ضخمًا يجعل الأرض تهتز، وكي يمكنه بسط المحراث، فلقد أحضر أبناءه الأربعة.

حمل العملاق المحراث وغرس السكة في الأرض، وضغط فوصلت إلى الأعماق. طحنت الصخر الحيّ بينما العمالقة الأربعة الآخرون كانوا يدفعون مقود الحراثة بقوة قادرة على اقتلاع أضخم أشجار البتول، بدأت الأرض تنفطر بين غيوم من الغبار وكسرات حجارة متطايرة، وظهرت الأثلام عميقة وعميقة مثل الأخاديد، فلقد اشتغل العمالقة دون تعب، أطالوا الأثلام حتى كادت تختفي في الأفق، وأخيرًا بانتهاء اليوم كانت قطعة من أرض السويد قد قطعت، وكانت غيفيلون سعيدة بذلك. أيها الملك غيلفوا انظر، سآخذ إلى بلدي الجديد هذه الأرض التي رأتها عيناك وداستها أقدامك. اكتفى الملك المسن بالنظرات – وهو يدمع- إلى فرحة غيفليون. وعادت الشابة العذراء إلى ملك الجبال، وفي إحدى الليالي رجعت، يرافقها عددٌ كبيرٌ من العمالقة، الذين رفعوا قطعة الأرض الشاسعة المحروثة والمهيأة والتي تم اقتطاعها، ثم سحبوها حتى البحر، وهناك رفعها العمالقة ومضوا بها كأنها سفينة هائلة تسيّرها ذراع العذراء الممدودة، وهي تؤشر وجهتهم وفي المياه المظلمة والعميق بين الدنمارك والسويد وضع العمالقة قطعة الأرض بقوة بحيث استقرت صماء وبلا حراك. هكذا يروون كيف ظهرت جزيرة سيلاند الخصبة والرائعة. وهناك في منطقة أوبسالا، حيث تم اقتلاع الجزيرة فلقد ملأت الأنهار الحفرة الضخمة، وشكلت بحيرة ميلار Melar المرآة الكبيرة من الماء والتي أبقتها غيفليون، كي تكون قطعة من سماء السويد هناك مقابل الأرض التي أخذتها.

عبقرية الناس البسطاء... أسطورة شعبية اسكندنافية

كان رجل وزوجته وهما مسنان بالعمر وفقيران، يعيشان سعيدين ومتحابين ومستعدين دائمًا أن يجد كل واحد منهم عمل الآخر عملًا رائعًا، وأن يُظهر الموافقة على أفعاله بوجهٍ فرح. كانا يسكنان كوخًا بسيطًا، وكان لديهما حصان لا يزال قويًا بعد، وكانا يعيرانه للجيران في القرية دائمًا إذ كان بعضهم يحتاجونه لحراثة أرضهم أو للمساعدة في نقل الأعشاب في موسم

الحصاد، وفي مقابل هذه الأفضال، كان العجوزان يتلقيان بعض قطع اللحم من الذبائح التي تقدم للقديس سانت مارتين، وفي الصيف بعض الهدايا من الأسواق التي كانت تقام في القرى المجاورة وهكذا كانا يمضيان حياتهما سعداء وفرحين، لا يحسدان ثروات الآخرين، في يوم من الأيام أقيم سوق في القرية المجاورة فقال العجوز لزوجته: ما رأيك لو أنني بعت الحصان في السوق؟ فنحن عجوزان، وقد نحتاج يومًا ما إلى بعض الادخار ليساعدنا، وعند ذلك إذا أردنا أن نبيع حصاننا فإنهم لن يدفعوا لنا السعر الحقيقي لما يستحق. يبدوا أنك قد حسبتها جيدًا، إنها فكرة عظيمة، قالت الزوجة وقامت تحضر الثياب الجديدة لزوجها. امتطى العجوز حصانه، واتجه نحو السوق، ومع إنه لم يبتعد كثيرًا عن القرية فلقد تقاطع في الطريق مع شاب يسوق بقرة ليست كبيرة وليست سمينة، لكن شعرها كان براقًا والقرون قوية جدًا، توقف العجوز لينظر إلى الحيوان الجميل، وفي نفس الوقت سأل: اسمع أيها الشاب! هل تدر هذه البقرة كثيرًا من الحليب؟

خمس ليترات تقريبًا، هذا ما يحلو لها كلما حلبتها، ويمكن حلبها مرتين وثلاث في اليوم إذا وضعت لها البرسيم جيدًا. قال الشاب: البرسيم لن ينقصها فهو عندي، قال العجوز: أريد أن نقوم بمبادلة، أعطيك حصاني وأنت تعطيني البقرة، ستكون زوجتي سعيدة بذلك، إذ يمكنها أن تصنع الجبن والزبدة، ويمكننا تناول مقدارًا كبيرًا من الحليب. وافق الشاب، وتابع العجوز طريقه مع البقرة، وهكذا كان يتسلى برؤية البقرة، تأكل العشب الطري من المرج عندما التقى بشاب له عضلات مفتولة، مكنته أن يجعل خنزيرًا بدينًا وثقيلًا يمشي إلى السوق!

توقف الرجل الطيب معجبًا بتدويرة أنف الخنزير، وسأل الشاب: كم يمكن أن يزن؟ وكم حلقة من السجق والنقانق يمكن أن يعطي مع حلول موسم الذبح؟ قال له: آه! عن هذا لا يمكننا الحديث، فليس سهلًا إجراء الحسابات، لكن بالتأكيد لن يكون ثانٍ مثله في كل السوق، إنه خنزير حصل على ميدالية في إحدى المسابقات، ميدالية؟ قال العجوز: اسمع أيها الفتى! أريد أن أزف السعادة إلى زوجتي، فهي ستكون فخورة لو إنها امتلكت هذا الحيوان صاحب الميدالية في السباق، هل ترغب بمبادلتي به بالبقرة؟ فكر الشاب للحظة، وبعدها وافق على المبادلة، ثم ابتعد سريعًا مع البقرة قبل أن يندم العجوز.

ولم يمض على ذهابه سوى مائة متر، حتى صار يتوقف كل دقيقة بسبب المشية البطيئة والثقيلة للخنزير، وعندما مرّ بالقرب من شاب يحمل بين ذراعيه وزّة رائعة بريش يلمع بيضاء وكبيرة مثل البجعة. بقي العجوز الفلاح مندهشًا يفكر في ليالي الشتاء الباردة، ليالي الثلج والأعاصير، فكّر في زوجته وهي ترتجف في الفراش من غير أن يكون هناك لحاف دافئ وناعم، فسأل في الحال: اسمع أيها الشاب! هل تقبل بمبادلتي هذه الوزة بهذا الخنزير؟ وستخرج أنت الرابح، وأنا سأكون سعيدًا جدًا. ومع أن الشاب استغرب لوقت طويل من هذا الاقتراح، فلقد قرر وتمت المبادلة واصل القروي طريقه والوزة الجميلة بين ذراعيه، وقبل أن يصل إلى السوق صادف امرأة تنقل على رأسه سلة، فيها أعشابٌ كثيرة، وبينها يمكن رؤية دجاجة كبيرة سمينة وعريضة لها رجلان قصيرتان وريش نظيف. كانت شابة شقراء مثل السنابل، رشيقةٌ بخدودٍ مدورةٍ وزهريةٍ ونظرةٍ زرقاء لطيفة، توقف العجوز للتحدث معها، وعندما شاهد الدجاجة التي كانت تحملها، بدأ يسألها إذا كانت بيّاضة جيدة؟ وإذا كانت تأكل كثيرًا؟ وكم تأكل؟ فأجابته الفتاة: إن هذه الدجاجة جيدة جدًا، ولا تخلف عادتها في وضع بيضة كلّ يوم، وبما يخص الأكل، فإنها تكون سعيدة تكتفي بالفتات الذي يسقط عن الطاولة وبقليل من عشب الحديقة إن وجد. نسي الرجل الطيب ما كان قد توهّم به من قبل، فبادل الوزة بالدجاجة، وهو مرة. وهكذا وصل إلى السوق، وذهب مباشرة إلى نزل صغير يمكنه أن يرتاح فيه، ويشرب كأسًا من المنعشات، وبعد قليل جاء ليجلس إلى جانبه قروي، كان يحضر كيسًا كبيرًا يحمله على الأكتاف، وعند وصوله قال العجوز له: أهلا أيها الصديق! ماذا تحضر في كيس الجوال هذا الممتلئ والثقيل؟قال له: لا! ليس أكثر من تفاح براوة مما يتساقط من الأشجار، أجاب القروي، وستكون غذاء جيدًا لخنازيرنا.

قال العجوز: وهل كل الكيس ممتلئ بتفاح براوة؟ انظر يا صاحبي سأقترح عليك شيئًا: إذا أعطيتني كيس التفاح هذا! أعطيك بديلًا عنه هذه الدجاجة الرائعة! عندي رغبة بأن أقدم لزوجتي مفاجأة لطيفة، ففي حقلنا لا يوجد غير شجرة تفاح واحدة، وكل ما تعطيه في الموسم هو تفاحة خضراء وعجفاء لا تنضج أبدًا، فتأخذ زوجتي تلك التفاحة وتخبئها بعناية في خزانتها، ثم تنظر لها وتقول: علينا بالاكتفاء والقبول، فتفاحة سيئة في النهاية هي هدية صغيرة.

لهذا فإني أرغب أن آخذ لها هذا اليوم هدية كبيرة من التفاح، حتى لو كانت سيئة فإنها ستكون سعيدة جدًّا. أتمّ الرجلان التبادل، وصار الكيس تحت تصرف مالكه الجديد. كان هناك رجلان غنيان من الإنكليز قد شاهدا كل ما دار، وكانا جاهزين للضحك على ذلك الرجل الساذج، فسألاه عن تجارته في السوق. فروى العجوز لهما كلّ شيء حدث له منذ أن خرج من بيته، وكيف تحول الحصان، وبعد مبادلات كثيرة وصار كيسًا من التفاح البروة، فلم يستطع الإنكليزيان أن يوقفا ضحكاتهما أمام هذا الرجل البسيط فقالا له على سبيل المزاح: سترى عندما ترجع إلى البيت، كيف ستصير فرجة عندما تضربك زوجتك!

قال العجوز: تضربني أنا؟! إنكما لا تعرفان زوجتي، أنا واثق إنها ستعتبر كل شيء قمت به عملًا جيدًا، عندما سمع الإنكليزيان ذلك، وكما هو معروف عن الإنكليز أنهم مولعين بالمراهنات والتحقق من الأشياء قالا: هيا لنرى أيها السيد المسكين! نراهنك بكيسٍ صغير من الذهب مقابل كيس التفاح، على أنّ زوجتك ستغضب عندما تحكي لها ما جرى مع الحصان أولًا وعن كل المبادلات الأخرى لاحقًا، حسنًا فلنذهب ونجرب. قال العجوز، أمر الإنكليزيان أن تجهز الأحصنة ويحضران عربتهما، ثم جلسا فيها جلسة مريحة يرافقهما القروي العجوز دون أن ينسيا كيس الذهب وكيس التفاح، ولم يتأخروا جميعًا بالوصول إلى كوخ الرجل الطيب. كانت زوجته قد خرجت عند الباب عندما سمعت ضجيجًا عاليًا، ولقد استغربت كثيرًا لرؤية زوجها برفقة أولئك الأثرياء، لكن في تلك اللحظة بدأت ترحب بهما بأدب جم، ومدت يديها لزوجها وصافحته بحرارة وبسعادة، ها أنا أعود من تجارتي. قال العجوز، نعم إنني أرى أنك تعود سعيدًا، فأنت قادرٌ على إدارة الأمور جيدًا، ماذا بخصوص الحصان؟ سألت العجوز، حسنًا! في الطريق أبدلته ببقرة. ردت: آه شيء جيد! لقد قلت إنك تعرف الكثير، والآن يمكننا أن نتناول حليبًا كثيرًا، وسيكون عندنا زبدة وجبنة، فالبقرة هي ثروة حقيقية، فقال: نعم، لكني بادلت البقرة فيما بعد بخنزير كبيرٍ نال جائزة في إحدى السباقات. قالت: فكرة رائعة، فهكذا يكون لدينا لحمٌ مقددٌ وأفخاذٌ مدخنة جيدًا وحبالٌ من السجق، لقد تمكنا من امتلاك أشياء جيدة كثيرة.

قال: نعم كان بالإمكان أن نمتلك كل هذا لو إنني لم أبادل الخنزير بالوزة.

قالت: وهل فعلت ذلك؟ ما أطيبك! كنت تفكر بزوجتك الفقيرة وبلحاف الريش في الشتاء، لتحمي رجليها المتورمتين، كم أشكرك على ذلك! وأيضًا يمكننا أن نقيم حفلة شواءٍ لذيذة، قال: ستُرْين! الوزة بادلتها فيما بعد بدجاجة بياضة. قالت: يبدو لي هذا أفضل؛ لأن الدجاجة ستعطينا البيض الطازج وكذلك الصيصان، ما أمتع أن أراهم يركضون ويوصوصون حول أمهم! أيضًا يمكنا أن ننجّد لحافًا من الريش، ونأكل مشويات بين الحين والآخر. قال: نعم! لكن الدجاجة أبدلتها بكيس بروة التفاح! عندها بدأت المرأة تضحك بأعلى رغبة في الضحك ثم قالت: يا للمصادفة يا رجل! لا يمكنك أن تخمن كم أسعدتني! تصور أنني اليوم أردت تحضير طبخة لذيذة أقدمها لك عندما تعود من السوق، فذهبت إلى الجارة لأطلب رأسيّ بصل إعتزتهما، هل تعرف ماذا أجابتني؟ ولأنها بخيلة جدًا ومرابية فقد قالت لي بصوتها المفتعل: كم أنا متأسفة لا أمتلك في الحقل ولا حتى تفاحة مخمجة! فانظر الآن! يمكنني أن أقدم لها أكبر كيس من التفاح البراوة، فلترى كم كنت متيقنة وعندي حدس! إنني سعيدة، وليتك تسمح لي بقبلة رغم أنها أمام هذين السيدين. وألقت بذراعيها على رقبة زوجها العجوز وقبّلته بسعادة، قبلتين أحدثتا صوتا على خديه، لم يتحرك الإنكليزيان من ذهولهما وقال أحدهم للأخر: أرأيت هذه الأشياء التي تفرح النفس؟! كل ما يفعله الزوج بالنسبة لزوجته هو دائمًا عمل جيد ومحكم الأداء. حقًا إن زوجةً مثل هذه تساوي كيسًا من الذهب، حقًا. دفعا ما كان قد راهنا عليه وودعا القرويين بإشارات الفرح والسعادة.

اسوغاي المسكين... أسطورة شعبية من اليابان

في زمن ما عاش في اليابان رجل فقير اسمه اسوغاي، كان يشتغل كعامل بسيط في أحد محاجر الصخور الغرانيتية. كان أجره قليلًا جدًا، لا يكفيه لتحسين حياته البائسة. وفي يوم ما عاد إلى بيته منهكًا من شدة التعب، كان الرجل الفقير يندب حظه، وكان يمقت أصحاب الحياة المريحة والناعمة في القصور الفارهة. أخذ اسوغاي يفكر: لو أنني أصير يومًا ما غنيًا جدًا فسأكون رجلًا محترمًا محبوبًا ومحط إعجاب كل الناس.

الآن أنا رجل فقير بائس، لا أنفع شيئًا ولا لأي شيء، ولن أقدر أبدًا على الخروج من هذه الحياة التعيسة والحزينة، آه لو كان عندي ثروات كثيرة! ونام العامل الفقير وهو يفكر

بذلك، فزاره منام رائع، حيث اسوغاي! نعم اسوغاي الطيب! وقد تحول إلى رجل ثري جدًا! عنده قصر رائع مشيد بأحجار المرمر، وفي إحدى الغرف الوثيرة الممتلئة بالحرير صار اسوغاي يرتاح، ومن خلف النوافذ الواسعة ينظر إلى الناس في المدينة. وفي يوم ما رأى الإمبراطور على هودج فوق عربة مذهبة، يتبعه فرسان رائعون وخدم يرفعون فوق رأسه شمسيات نفيسة وبراقة بزركشتها، فأخذ الحسد اسوغاي وبدأ يفكر: بماذا يفيدني أن أكون غنيًا إذا لم يكن مسموحًا لي بالخروج مثل الإمبراطور على هودج؟! يرافقني خدم يحمونني من أشعة الشمس بواقيات من ذهب؟ لهذا سأكون إمبراطورًا. وما أن قال سوغاي ذلك حتى تحوّل إلى إمبراطور يتبعه خيالة فرسان رائعون وحواليه خدم، يحيطونه بشمسيات غاية في الروعة، لكن حرارة الطقس كانت مريعة فالشمس ساطعة وحارقة، وأشعتها عامودية قال أساغوي: لا توجد سعادة كاملة! مسكين هذا الإمبراطور إنه أيضًا يعاني من شدة حرّ الشمس، ليتني أكون شمسًا عندها سأكون الكائن الأكثر قوة في العالم. وفي الحال تحول اساغوي إلى شمس! الشمس التي تصل إلى أي مكان في الأرض، تدفئ وتحمس كل شيء المحاصيل والرجال والجوارح والأمراء، وتصل بجبروتها إلى الجميع. لكن فجأة جاءت غيمة وبلا خجل، حشرت نفسها بين الشمس والأرض، فشكلت حاجزًا لم تستطع أشعة الشمس اختراقه، لهذا أعلنت الشمس غضبها، وبدأت تصرخ: بأي حق؟! وبماذا تقوى غيمة على معارضة قوتي وتحجب أشعّتي؟ إذًا فالأجدر أن أصير غيمة. وتحول اسوغاي إلى غيمة، وفي الحال ولكي يمتحن قوته وضع نفسه أمام الشمس بطريقة هزمها فيها، فحجب أشعتها وألقى بالظلال على الأرض. فيما بعد هطلت من الغيمة زخة مطر قوية، وانفجرت الرعود والبروق، وفاضت الأنهر على الحقول. وفي السماء كان اسوغاي يتبرم بقوته، وهو في غاية السعادة، ويقول لا أحد يقدر على مقاومتي، لكنه سرعان ما تجهم عندما رأى من الأعلى شيئًا ما في الأسفل. كانت صخرة لا تتحرك، لم تنفع معها قوة دفع التيار، وكانت موجاته تتحطم عليها دون أن تزحزحها من مكانها. عندها فكرت الغيمة وقالت: إذا لم أملك القوة الكافية لأفرضها على صخرة، فسيكون من الأجدر لي أن أصير صخرة مثلها!

وتحول اساغوي إلى صخرة، تقاوم لهب الشمس وغضب الصواعق والفيضانات، لكن وعند أسفل الحجر الصلب جاء رجل له هيئة فقيرة وبائسة، أخرج أزاميل حديدية ومطرقة ضخمة، ورويدًا رويدًا بدأ ينقر وينقر، ويفتت قطعًا من الصخرة، وبدأ ينحتها بأشكال فنية متعددة.

كيف هذا؟ -صرخت الصخرة- هل يمكن لرجل أن يهزمني بصمت، ويقتطع مني أجزاء ويشكّلها فنيًا، وهو في غاية السعادة! إذ أن أفضل شيء لي أن أعود إنسان، عندها نهض اساغوي من نومه وقد فارقه الحلم.

فو إله الخزف البرسلان... أسطورة شعبية من الصين

في يوم من الأيام استطاع العامل الساحر أن يبعث بأحد أعماله المذهلة إلى الإمبراطور. وراح الإمبراطور ابن السماء وهو مندهش يتأمل الجرة الرائعة التي تظهر عليها انعكاسات الفضة والشمس مع ألعاب نارية، تغير لونها مع كل حركة لكل من ينظر إليها، فأمر ابن السماء أن يحضروا له ذلك العامل العجيب. وفي الحال أُخذ البسيط فو إلى صالة العرش. ركع فو أمام الإمبراطور ثلاث مرات كي يلمس الأرض بجبهته ثلاث مرات متذكرًا أوامر الكاهن اغوستو Augusto. قال الإمبراطور: بنيّ لقد قبلنا هديتك اللطيفة، ولكي نثبت لك سعادتنا بعملك المفرح فلقد قررنا منحك خمسة آلاف قطعة نقدية من الفضة، لكن اسمع هذا جيدًا: سيكون لك ثلاثة أضعاف هذا المبلغ إذا تمكنت من صناعة جرة لها ألوان وملامح اللحم الحي. اسمع جيدًا: لحم يرتعش لكلمات الشعراء المبهجة، ويتعكر، ويتأثر بالأفكار، فكر بطلبنا هذا وعليك بالطاعة! انسحب فو من القصر ملتاع القلب، وهو يسأل نفسه: كيف يمكن للإنسان أن يمنح للمادة الميتة نبض الحياة وهو سر المبدأ الأعلى؟ كان فو يعمل دائمًا كي يحقق أشياء لم يعرفها أحد من قبل فلقد تعلم من الزهرة اللمسة الناعمة والحساسة. والأخضر الزمردي من الجبال، والأزرق والدم من الشفق، واللمعة البراقة من الذهب، والأخضر المزرق من الأفعى، وقزح الفضي من الأسماك، لكن كيف يستطيع الإنسان أن يمنح التراب ملامح اللحمة الحية؟ وأن يجعلها قادرة على الارتعاش مع نبرات الكلام وفي ظلال التفكير؟ في كل الأحوال كان عليه أن يطيع، وينفذ طلب الإمبراطور، كان عليه أن يفنى في المحاولة من أجل إسعاد ابن السماء.

في ورشته مزج التراب والألوان، عجن وفرك بيده، وركع أمام النار، يتوسل الإله، لكن من غير نتيجة، وعلى هذه الحال مرت الشهور، وعبثًا كانت توسلاته للفرن في أن يساعده. آه! أنت يا عبقري النار في الأفران ساعدني! كيف اقدر من تلقاء نفسي أن انفخ الحياة في الصلصال؟ كيف أقدر على منح هذه القطعة الميتة صفات اللحم الذي يقشعر للأفكار؟

فأجابه عبقري النار بلغته العجيبة وهي ألسنة النار: كبيرة هي نيتك الطيبة، لكن هل يقدر أي ميت أن يتبع أثار التفكير وارتعاشات الحياة؟ وعلى الرغم من هذه الإجابة المخيبة لآماله، استمر العامل الطيب بتجاربه بلا توقف، وعبثًا كان كل ذلك، لقد نفد منه احتياطي الخزف، وقد خارت قواه، وأنهك عبقريته وكذلك نفد صبره المقدس، وبدأ المرض يأكل منه، وحلت عليه الفاقة والشقاء. وحاول من جديد، لكن بلا قوة، لكن في اللحظة التي كان على الفرن أن يصهر فيها ترابًا وألوانًا في مادة شفافة، ارتجفت واهتزت الطاولة الفقيرة والمتسخة بالألوان بينما كان فو يشتكي وفي قلبه لوعة، آه يا عبقري النار في الفرن! إذا لم تنقذني فكيف لي أن أضبط رنة ونفخة الحياة التي ينتظرها ابن السماء؟ فأجابه صوت النار بشكل غرائبي: تريد أنت أن تفعل ما يفعله الملون اللامتناهي الذي يصنع قوس قزح بأقلام ضوئية؟ فعاد فو من جديد إلى العمل.

أحيانًا كانت الألوان تبدو وقد انصهرت في التدرجات المضبوطة، وسطح الجرة كان يهتز بالألوان مثل لحم حيّ، لكن عندما راحت تبرد فكانت تتجعد وتتشابك خطوط فيها كأنها جلدة فاكهة يابسة، وعاد فو يتضرع ويتوسل باكيًا: آه يا عبقري النار! إذا أنت لم تساعدني! كيف لي أن أصهر خزفي وأحيله لحمًا حيًّا في فرني؟ فأجابه عبقري النار بشكل غرائبي للمرة الثانية: هل تسعى لإعطاء الروح إلى الحجر؟ هل تقدر أنت أن تجعل باطن الروابي الغرانيتية تقشعر وتحس بالتفكير؟ صرخ فو وهو محبط جدًّا: أيها الرب الجبار! لماذا تتخلى عني؟ لماذا نسيتني أنت يا من عبدتك دائمًا؟ عندها قال عبقري النار بصوت من نار: أنت تريد أن تعطي روحًا للشيء الذي صنعته، لكن الروح لا يمكن قسمتها، لا يمكن أن تعطي قسمًا من روحك؟ إني احتاج إلى روحك كاملة مقابل إعطاء الروح لعملك. نهض فو وقد امتلأت عيناه بالحزن، لكن قلبه كان منفطرًا. وللمرة الأخيرة أعد فو عمله، نخّل الرمل مائة مرة، وكذلك التراب الناعم جدًّا غسله بالماء الأكثر صفوًا لمائة مرة وعجنها بحب. راحت الألوان تمتزج رويدًا رويدًا ليتوصل إلى الدرجات التي حلم بها ابن السماء وفيما بعد بدأ العامل الملهم يعطي شكلًا لتلك العجينة الصافية النقية، يلمسها ويداعبها بأصابعه، حتى صار جلد الجرة الرائع كما لو أنه قبض على خفة وشفافية الحرير ونعومة الشمع الزهري ودم من لحم الأميرات. عندها أمر فو المساعدين أن يغذوا الفرن العظيم بأغصان ناعمة وصافية

من شجرة الشاي. وخلال تسعة أيام وتسع ليالٍ كان الفرن مشتعلًا أحمر يتغذى على أغصان شجرة الشاي النقية والناعمة. وخلال تسعة أيام وتسع ليالٍ حرص الرجال على أن تلفّ النار الجرة الوحيدة التي كانت تتجسد في لحم سحري.

مع اقتراب الليلة التاسعة أمر فو مساعديه أن يذهبوا ليرتاحوا فلقد بدا العمل، وقد انتهى، وقال لهم: مع بزوغ الفجر إذا لم تجدوني هنا فاخرجوا الجرة من الفرن، إذ أنه في تلك الساعة ستكون كما أراد ابن السماء. وبقي فو لوحده قبالة الفرن في الليلة التاسعة، ركع أمام النار، وقال أمنيته إلى عبقري اللهب: آه يا ربّ النار لقد استوعبت أعماق معاني كلماتك! اقبل حياتي فداء لحياة عملي وروحي فداء لروحها. وقبل أن تنتهي الليلة التاسعة ألقى فو بنفسه إلى النار الحية في الفرن. عند فجر اليوم العاشر جاء العمال ليخرجوا الجرة الغالية من الفرن، لكنهم لم يجدوا معلمهم! لكن يا للمعجزة! كانت الجرة متأججة بحق مثل اللحم الذي يقشعر مع نسق الأفكار، وإذ لمسوها ببصمة إبهام فقط أصدرت صوتًا خفيفًا كصوت روح موجوعة، جعلت الأسماع تلتقط بالأنفاس اسم الذي صار بعد هذا إله الخزف.

هروب الرسام لي... أسطورة شعبية من الصين

في القرى والضيعات القريبة كان الجميع يتحدث عن لي. كثير من الناس كانوا يأتون ليروا رسومات الفتى الفنان. فلقد أخذت شهرة موهبته تكبر، وتذيع حتى وصلت إلى قصر الإمبراطور.

بعث الإمبراطور بطلب لي، ولبى لي الطلب إذ ركع أمام الإمبراطور ثلاث مرات أمام ابن السماء، ولمست جبهته الأرض ثلاث مرات، عندها قال الإمبراطور له: عليك أن تبقى هنا لتعمل على زخرفة ممرات وصالات القصر، ولقد أمرت أن تهيأ لك إحدى الصالات كمرسم مليء بالألوان واللوحات والأخشاب الرائعة. ستتغير حياتك اعتبارًا من هذا اليوم، ولن تعود بعد إلى هناك، حيث ولدت. حزن لي لأنه لن يتمكن بعد من رؤية منزله، في الضيعة الحلوة والبيضاء ذات الأشجار المزهرة على ضفتي النهر الصافي والأليف، ويكفيه الآن أن يحلم بسعادة الريف، وهو محجوز في صالات القصر المحاط بتنينات ضخمة من الأحجار. أخذ يعمل بلا توقف؛ كي يرضي الإمبراطور، وقد ملأت رسوماته جدران الغرف والأبواب

الخشبية والحديدية وأسوار المعابد وصالات التشريفات، لكن تفكيره كان يحلق في الأرض الخلابة والرطبة التي عاش فيها بسعادة غامرة، في يوم من الأيام رسم لي لوحة كبيرة وأخاذة ضمنها السماء الصافية لطفولته، وحقل المروج والجسر الصغير المصنوع من العيدان فوق النهر الذي يكتنفه قصب خيزران الضيعة البيضاء، وفي العمق كان طيران البط البري وشمس الفجر الحمراء والأخضر الناصع للعشب المبلل. كانت لوحة كبيرة ورائعة جاء لرؤيتها الأمراء والموظفون الساميون، كانت معلقة في إحدى الصالات الفارهة للقصر، وبدت كأنها نافذة مفتوحة في الجدار الصلب، على مشهد الريف الأكثر حلاوة وعذوبة. كان لي قد صنع أفضل أعماله التي حملها دائمًا في تفكيره وفي أحلامه، ولم تبدو له كلوحة من بلاده، إنها كانت بلاده كلها قد وضعت في اللوحة كمعجزة؛ لهذا كان يقضي ساعات طويلة أمامها يشم هواءه النقي والعطر، لكن الرسام العبد لم يكن بمقدوره أن يدخل الصالات الكبيرة المخصصة للحفلات واستقبالات الأمراء والنبلاء. كان عليه أن يعيش ويعمل في ورشته منسيًّا من الجميع. تمنى لي دائمًا أن يستطيع رؤية لوحته ولو من عبر الأبواب نصف المفتوحة. وفي يوم كان الحراس والخدم غير موجودين، دخل لي خلسة، وانتزع لوحته التي تتحدث عن الريف الأخضر، ومضى بها بين الممرات المعتمة ليخبئها في مشغله، حيث يستطيع تأملها وهو يتحسر.

انطلقت صافرة الخطر في أنحاء القصر، وامتدت الصيحات إلى أنحاء المدينة، وهي تعلن عن اختفاء اللوحة العظيمة. كان الإمبراطور يشتاط غضبًا، يتهدد ويتوعد. فانتشر ألف جندي يبحثون عن السارق. دخلوا إلى كل البيوت وفتشوا في كل الأماكن وأخيرًا عثروا على اللوحة في مرسم لي، وقد خبأها بين الألواح وأقمشة الكتان. أمر الإمبراطور بسجن لي وأن يستمر بالرسم من داخل سجنه ليكمل زخرفة قصره. لم يقدر لي على الرسم. كان النور ينقصه لعينيه والسعادة لقلبه. عندها استدعاه الإمبراطور وقال له: ستعود من جديد إلى القصر لتعيش وترسم وحتى تكون سعيدًا سأدعك لوحدك مع لوحتك لدقائق قليلة في كل يوم لكن إذا حاولت القيام بأي شيء قد يغيظني فسوف تعاقب بلا رحمة أو شفقة، تابع لي عمله، وفي كل يوم كان جرح روحه يتسع أكثر أمام الحقل الطليق لموطنه الأخضر، واستمر يعاني من الحزن المزعج في القصر الإمبراطوري. ولم يعد يقوى على المقاومة أكثر، وفي يوم من الأيام

كان وحيدًا في الصالة الواسعة أمام لوحته، ينظر إليها بعينين كبيرتين وواسعتين، ينظر إلى ضيعته الخضراء والبرّاقة وإلى الحقل الشاسع الذي يمكن الركض فيه من غير الوصول إلى نهايته، ينظر من أجل أن يشمّ هواءه الذي تصفّيه أشجار الصفصاف؛ وكي يعانق الأشجار ويغني مع الريح، ويسمع فحيح قصب الخيزران. لهذا قرر أن يهرب من هذا العالم الأسود والثقيل بسجنه، وقال لنفسه: نعم هناك، الحقل واسع وقريب مني، طري من كثرة المروج؛ لأدوسه واركض فيه مفتوح الذراعين كأنهما جناحا طير، واقترب لي واقترب، وقفز إلى داخل اللوحة إلى داخل الحقل بين المروج من غير أن يبحث عن الطرقات، وأخذ يركض ويركض دون توقف، ويبتعد ويصغر رويدًا رويدًا حتى اختفى عند خط الأفق الأزرق. عندما دخل الحراس ليعيدوا لي إلى مرسمه لم يجدوه. اشتاط الإمبراطور غضبًا. لقد كان مستحيلًا أن يكون لي قد خرج من هناك من غير أن يراه أحد، لكن أحد الحكماء من الموظفين السامين وجد التفسير لتلك الأحجية لقد هرب لي في داخل اللوحة، وبدأ يركض عبر المنظر الطبيعي الذي رسمه هو. ولقد شوهدت آثار خطواته على العشب الندي للمروج.

البراهما والنمر وابن أوى... أسطورة شعبية هندية

مرة عند مرور البراهما بإحدى قرى الهند، رأى على قارعة الطريق قفصًا كبيرًا من الخيزران وفي داخله نمر هائج كان الفلاحون قد اصطادوه بإحدى شراكهم. وعندما شاهد النمر البراهما قال بصوت جريح: أيها الأخ البراهما افتح لي الأبواب، واتركني أخرج لأشرب ماء، فأنا عطشان ولم يضعوا لي ماء في القفص. فرد البراهما عليه: إذا فتحت لك الباب يا أخي النمر فإني أخشى أن تلتهمني كما تلتهم أغنام القطيع! فقال النمر: كيف فكرت بهكذا طريقة؟ هل تعتقد أني قادر على هذه الفعلة المشينة؟ دعني أخرج للحظة واحدة، لأخذ رشفة واحدة من الماء، آه أيها الأخ البراهما! فتح البراهما باب القفص، وعندما أحس النمر بأنه صار طليقًا، قفز على البراهما ليأكله.

فقال له: أيها الأخ النمر انتظر! لقد وعدتني بأنك لن تلحق بي بأي أذى! وما تفعله الآن ليس فعلًا نبيلًا ولا عادلًا! قال النمر: هذا لا يهمني، فأنا سألتهمك؛ لأنه بالنسبة لي يبدو الأمر عادلًا ولدي الحق بذلك. وتوسل البراهما إلى النمر كثيرًا، وأخيرًا استطاع أن يقنعه بأن

ينتظرا سماع رأي أول ثلاثة عابرين يصادفونهم في الطريق، وأول من عثروا عليه كان الجاموس متمددًا على قارعة الطريق، فتوقف البراهما وقال له: أيها الأخ الجاموس! هل يبدو لك عدلًا ونبلًا أن يلتهمني النمر، بعد أن أطلقت سراحه من قفص محكم الإغلاق؟ رفع الجاموس عينيه الحزينتين وببطء قال: عندما كنت أنا فتيًا وقويًا كان مالكي وسيدي يجعلني أعمل بلا توقف، والآن وقد صرت شائخًا وخائر القوى، فلقد أهملني وتركني لأموت هنا من الجوع والعطش، الناس جاحدون! فإذا أكل النمر البراهما سيكون ذلك عملًا عادلًا قفز النمر هائجًا على البراهما الذي صرخ: لا! لا! انتظر! علينا أن ننتظر اثنين آخرين لنستشيرهما، لقد وعدتني بذلك، وبعد قليل شاهدا نسرًا يطير على علو منخفض فوق الرؤوس، فصرخ البراهما عليه: أيها الأخ النسر! قل لنا إن كان يبدو لك عدلًا أن يأكلني هذا النمر بعد أن حررته من سجن فظيع؟! أوقف النسر تحليقه في لحظة، وحطّ إلى جانبهما وقال: إنني أمضي حياتي بين الغيوم، ولا أؤذي أحدًا من البشر، لكن بني البشر يطلقون عليّ السهام، وعندما يصلون إلى عشي فإنهم يقتلون فراخي، أعتقد أن النمر سيقوم بعمل جيد إذا أكلك! فقفز النمر على البراهما والبراهما يصرخ: لا! لا! انتظر يا أخي النمر! إنها المرة الثانية التي نستشير بها، ولقد اتفقنا على أن نسأل ثلاثة عابرين وينقصنا واحد بعد! ومع أنّ النمر كان يزمجر فإنه واصل الطريق مع البراهما، وما هي إلاّ لحظات حتى ظهر ابن أو ى وهو يمشي ويختال فرحًا. اقترب البراهما منه وقال له: أيها الأخ ابن أو ى! كيف يبدو هذا الأمر لك؟ هل ترى عدلًا أن يلتهمني النمر بعد أن حررته من القفص؟ ماذا تقول؟ سأله ابن أو ى، أقول: - أعاد البراهما وبصوت مرتفع- إن كنت تعتقد أنه من النبل والعدل بمكان! أن السيد النمر هذا يريد أن يأكلني! مع أنني شخصيًا ساعدته بالخروج من قفص محكم الإغلاق؟ مِنْ قفص؟ ردد ابن أوى الكلام وكأنه لم يكن منتبهًا: نعم! نعم! من قفص، أنا شخصيًا فتحت الباب، والآن نريد أن نعرف ما هو رأيك؟ قال: آه! قال ابن أو ى: تريدان معرفة رأيي؟ في هذه الحالة عليكما أن تقصا عليّ الحكاية كلّها، وبوضوح فأنا مشوش، ولا أفهم الأشياء جيدًا. هيا لنرى ماذا يجري هنا! انظر! - بدأ البراهما الحديث- كنت ماشيًا في الطريق عندما شاهدت النمر محبوسًا في القفص، عندها ناداني هو.. اسمع، اسمع، قال ابن أو ى: إذا بدأت بحكاية طويلة جدًا فلن افهم منك ولا كلمة واحدة، عليك أن تشرح لي بشكل أفضل، أيّ قفص تقصد؟ إنه قفص

عادي، قفص مصنوع من قصب الخيزران - أجابه البراهما- قال: طيب! لكن هذا لا يكفي، فمن الأفضل أن أرى ذلك القفص! وبذلك أفهم ما جرى بشكل أفضل. ومشوا في الطريق إلى أن وصلوا ثلاثتهم إلى المكان الذي يوجد فيه القفص، الآن هيا نرى! قال ابن أو ى: أين كنت أنت؟ يا أخي البراهما؟ هنا بالضبط في الطريق.

قال: وأنت يا أخي النمر؟ أنا في داخل القفص! أجاب النمر وهو غاضب ومستعد ليأكل الاثنين معًا. قال: أوه، معذرة أيها النمر، قال ابن أو ى: أنا مشوش، ولا أقدر أن أفهم الأشياء بالضبط، دعني أرى اسمح لي كيف كنت حضرتك في القفص؟ في أي وضع؟ قال ابن أوى، هكذا! أيها المعتوه! قال النمر- وقفز إلى داخل القفص- وفي هذه الزاوية كنت ورأسي بهذا الاتجاه، آه! نعم نعم لقد بدأت افهم، لكن لماذا لم تخرج من القفص؟ سأل ابن أوى: ألا ترى أن الباب كان مقفلًا؟ قالها النمر وبدأ يزمجر: آه الباب كان مقفلًا! وكيف كيف كان مقفلًا؟ استمر ابن أو ى بالحديث: هكذا - قال البراهما وهو يغلق القفص: لكنني لا أرى قفلًا. أضاف ابن أوى وكان بمقدوره أن يخرج! قال البراهما: هذا هو القفل، وأحكم البراهما إغلاقه، آه! نعم! يوجد قفل، إنني أرى قفلًا، قال ابن أو ى وهو يسخر من النمر بعد أن اطمأن أنه في القفص، واستدار ابن أوى باتجاه البراهما قائلًا: الآن والقفص محكم الإغلاق بالقفل، فإنني أنصحك أن تتركه كما كان، وأنت يا حضرة السيد النمر! بإمكانك أن تبقى هادئًا، فربما يمرّ أحد ما وقد يخاطر بإطلاق سراحك. وضرب تعظيم سلام إلى البراهما، وراح يختال بمشيته سعيدًا فرحًا.

كيف نبتت شجرة الخبز في الهند؟... أسطورة شعبية هندية

في منطقة فقيرة من المنطقة الحارة في الهند، كان رجل عجوز وفقير يعيش مع ابنه وخادمه القديم وكلبه، ففي سنوات البؤس أضاع ثروته الصغيرة، فعاد فاقدًا الهدف من الحياة، ومن غير أية رعاية من أحد عاد ومن معه إلى العيش في بيت مهجور عند الريف الصحراوي. في الصندوق المهترئ يمكنهم أن يضعوا أربعة أقراص كبيرة من الخبز فقط، رغيفًا لكل واحد، وكان ذلك الغذاء الوحيد لهم الذي يعتمدون عليه طيلة الشهر وحتى يتوقف فصل الأمطار.

وهم يجلسون حول الطاولة في إحدى الليالي التي مزق البرق الصمت فيها، أخذ الأب والابن والخادم يفكرون في شقائهم، وكان الكلب ينام على قدم سيده. وبين صوت المطر وصفير الرياح سمعت طرقات على الباب، فسارع الخادم ليفتحه، فكان أحد المتشردين يطلب شيئًا ليأكله. لا أحد يقدر أن يعرف أن ذلك الرجل ذا ربطة العنق والبائس هو الرب، البراهما، يمر هكذا! وقد تحول إلى الأرض، ليعرف حياة الناس وعاداتهم؛ ولكي يعاقبهم أو يمنحهم الثواب وكل حسب عمله. سمع الأب طلب الشريد وقال لخادمه: أعط الرجل حصتي من الخبز، إنه أكثر فقرًا مني، ولا يوجد له مكان يلجأ إليه. سأبقى من غير أكل وسنُخرج من الأرض ما ينقصنا. أطاع الخادم أوامر سيده، لكن باستياء قدم للفقير حصة سيده. وتواصلت الأمطار بالهطول، والحزن يخيم على البيت البسيط. وبعد سبعة أيام عاد المتشرد يطرق الباب وطلب شيئا يسد به رمقه، ويحميه من الجوع والبؤس.

اضطرب الأب للحظة، لكنّ نظراته بقيت حادة وثابتة، فنادي خادمه وقال له: إذا كنت أنا قد امتنعت عن الأكل؛ كي أساعد هذا الرجل المسكين، فعليك أنت أن تفعل الشيء نفسه، فأنت لا تزال شابًا وقويًا وتعيش في بيتي كابن لي، بينها هذا الرجل الفقير الذي يتسول فهو عجوز ولا معين له، فأعطه خبزك كما أعطيته أنا. أطاع الخادم سيده، لكنه كان سعيدا هذه المرة، مر أسبوع آخر، والسماء لا تزال سوداء مكفهرة والبيت مغلقا، يعيش صمتا مطبقا.عاد الشريد يطلب بصوت يغشى عليه. اضطرب عجوز البيت للحظة، لكنه قال بصوت متدهور: لقد جاءت اللحظة التي يجب على ابني فيها أن يضحي، فيجب التعلم من الصغر على تحمل معاناة بؤس الغير رغم مظهرهم كما لو كانت معاناته الشخصية، فأعط الرجل خبز ابني. أطاع الخادم الأمر باستياء هذه المرة، مرت سبعة أيام أخرى كانت طويلة جدًّا، لكنها مليئة بالأمل، وعاد الرب البراهما للمرة الأخيرة يتظاهر بالتعب وبالجوع وبالبؤس، أراد أن يمتحن ويعرف إلى أيّ مدى تصل شفقة ورأفة أولئك الناس الفقراء؟ وطلب خبزًا بصوت ضعيف وفيه حسرة. سمع العجوز توسّل المتسول، فاضطرب قليلًا، لكنه قال وهويرافق كلماته بحركات بطيئة: : لقد أعطيت الرجل خبزي وخبز خادمي وابني. وبعد هذا أظن أنه بإمكاني أن أقدم له حصة الكلب، فالحيوان الطيب لا يشعر بمتعة التضحية. أعطه ما تبقى من خبز! ولنكن محظوظين لأننا استطعنا أن نعطي شيئًا.

أخذ المتسول الخبز من الأيادي النبيلة وحيّا الخادم لوقفته إلى جانب سيده، لكنه عاد مرة ثانية إلى الباب، حيث سمعهم ينادونه باسمه مع الشكر والتبجيل!! وعلى الضوء الرمادي للمغيب تحول المتسول وعاد إلى جلاله ووهجه كالشمس. كشف الرب البراهما بين أصابعه عن بذور كبيرة كحبات اللوز، وقال: خذ وأعط هذه إلى سيدك ليزرعها ولن يجوع أبدًا. عاد الخادم مليئًا بالدهشة إلى سيده، وأعطاه هدية الرب الغريبة، وبدأ يحكي له عن تحول المتسول، أخذ العجوز ابنه من يده، وخرج ليرى بعينيه ذلك التحول الغريب، لكنه لم يجد أحدًا إلا الضوء الرمادي للمغيب، ومع ابنه وخادمه صعد العجوز إلى مرتفع قريب وزرع هناك البذور السمراء اللون، بعد لحظات رأوا أعماق السماء من خلال وميض البرق، وبدأت أمطار ثقيلة ودافئة بالهطول، لقد منح تراب الأرض وبقوة شكلًا صلبًا ومستقيمًا، أخذ ينمو وينمو، واتسع مثل جذع غريب، وفي وقت قصير تشكلت شجرة رائعة، نبت قطف على أحد أغصانها، والقطف فيه أربع ثمرات كبيرة وغالية. إنه قطف من الخبز بعجينة بيضاء وحنونة، أربعة أقراص خبز إلى الفقراء الأربعة الذين يعيشون في ذلك البيت البائس.

شكروا جميعهم البراهما الذي أحضر إلى أرض الهند شجرة الخبز المعطاءة.

حيوان النمس... أسطورة شعبية هندية:

كل فجر صباح كان الشاب الحطّاب يخرج إلى الغابة، ولا يعود إلا بعد أن تغيب الشمس، كانت زوجته تبقى وحيدة طوال اليوم في الكوخ الخشبي وسط الحقل، ولم تكن لترتاح للحظة واحدة، وهي تقوم بترتيب البيت الفقير، وتلتقط الأغصان للنار، وفي تحضير الأكل ورعاية رضيعها الذي كانت تروح وتجيء، وهي تنظر إليه، وتعود للنظر إليه في مهده، وهي سعيدة لرؤيته، كان وليدها الأول الذي أنجبته قبل عدة شهور، وصار مصدر سعادة الأم الشابة، فهي تحيا من أجل رعايته فقط.وعندما تكون إلى جواره أو تحمله بين ذراعيها تغمرها السعادة.

وإلى جانب ذلك، فلقد كانت تعاني من أفكار سود، لا تجعلها تعيش بسلام وطمأنينة. كانت عين الماء على بعد مسافة من الخيمة، وكان عليها الذهاب إلى هناك؛ كي تملأ الجرار، وفي أثناء ذلك كان الطفل يبقى وحيدًا في مهده، وحيدًا هناك وسط الحقل. وفي حقيقة الأمر

كان النمس حيوان البيت يبقى هناك أيضًا، الحيوان الصديق الذي كان يعيش معهم، وهو ينظر إليهم بعيون المحبة. وحين تخرج الأم كان الطفل يبقى تحت رعاية النمس، لكن هل يمكن الوثوق بحيوان حتى ولو تربى في البيت؟ ماذا يمكن لحيوان أن يفعل يومًا ما إذا أحس إنه مهتاج؟ هل يقدر أن يلقي بنفسه على الطفل الصغير المسالم، ويصنع منه غنيمته؟ إنه حيوان!! حيوان!! وثقة!! وثقة!!. قالت الأم الشابة ذلك وكانت ترتجف كعادتها كلما فكرت بذلك، كان زوجها قد قال لها لمرات كثيرة إنها تتعذب من غير مسببات، فالنمس حيوان كبير ووديع وصديق، فمن الخطأ عدم الثقة به، فأخذت الأم تلوم أفكارها السيئة، لكن رغم كل شيء، لم تتمكن من الإحساس بالطمأنينة وتقول: : ماذا لو أن النمس في يوم ما..؟ وفي أحد الصباحات نزلت المرأة إلى عين الماء وهي تحمل جرتها، وهناك في الخيمة بقي الطفل نائما في المهد، والنمس يتظاهر بالنوم في الزاوية، وقد كوّر جسمه كأنه بيضة، ومن حين لأخر كان يفتح إحدى عينيه، وكأنه يتفقد شيئاً!! وفجأة وبلا ضجيج، ومن ثقبٍ كان بين الأرضية وخشب الخيمة انسلت أفعى كبيرة وسوداء، كانت أفعى سمينة وقوية، لكن ما يخيف هو السم الموجود في أسنانها. وبصمت وبسرعة اتجهت نحو سرير المهد، لكن النمس وثب لها في اللحظة، ووقف أمامها وشعر ذيله قد اقشعر، وعينيه تشعان بوميض حقد. الكلب أو الذئب لا يقدران على مواجهة الأفعى، ففي ضربة سريعة من رأسها يدلف السم القاتل إلى أجسام هذه الحيوانات القوية، ولا يمكن لهما أن يقاوما ضغط الطيّة اللولبية التي تضغط بها كثيرا وبقوة حتى يتم التسمم، لكن النمس كان هناك، هذا الحيوان الصغير قبالة الأفعى لا يسمح لها بالمرور!! كان النيس يستجمع شجاعته ليواجه فم الأفعى المفتوح وعينيه متقدتين بالحقد، كأن الأفعى صارت عصا، وأطلقت رأسها في هجوم مثل السهم. امتص النمس الضربة بقفزة سريعة إلى الجانب، وعاد ثانية يقف قبالتها لا يزيح النظرات عن عدوته، كان شعر النمس مقشعرًا وهي تهدد بإظهار أنيابها، لكن مخالب النيس كانت تخرمش الأرض كأنها أمواس حادة، أحنى ظهره لمرات عدة، وألصق جسمه في الأرض لمرات أخرى، وكذلك حرك عضلاته. كان واضحًا أنه ينتظر اللحظة المناسبة للهجوم، ووثب مهاجمًا، فلقد جعل جسم الأفعى غنيمته، وقفز بسرعة كرة وهي تتنطط!! ومع وثبة ثانية أكثر سرعة تحرر من رأس عدوته التي أخذت تتلوى. هاجت الأفعى السامة وقد أحست أنها انجرحت، فتقدمت وهاجمت وهي تطلق رأسها ونصف جسمها مثل السهم.

كان النمس يقفز من مكان إلى مكان، ليمتص الهجمات التي كانت تجيئه مثل الطنين، وكان عليه أن يتراجع ويقبع، لكن عضلاتها كانت تتحرك تحت الجلد، وفي عينيها كانت نقاط حمر تلمع، وانطلقت بقفزة بدت أنها وجهًا لوجه، لكنها أخفقت بتحديد زاوية الهجوم، وعندما هاجمت الأفعى من الجانب الثاني، ومثل البرق هبط عليها النمس من خلف رأسها، إنها غنيمته هناك!! فهاجمها بمخالبه وبكل جسمه الضاغط. وبدأ جسم الزّحافة يتراجع، كان يرتفع وينطوي، ويلتف بارتعاشات قوية، وهناك في الرقبة خلف الرأس كان يضع وزنه الذي حرقها كالجمر. كانت هناك لحظة أخيرة من الضجيج، كأنه لرياح تكنس أو راق الشجر اليابسة.

أخذ الاثنان يتراجعان أحدهما يجرجر الآخر ممرغين بتراب الأرض والغبار، الذي انبعث من هزّه لذنبه، وفي النهاية أخذ القتال ينتهي، وأخذ جسم الأفعى يطول، ويرسم على الأرض ولآخر مرة شكل حرف السين S، وهمدت بلا حراك. لكن النمس بقي هناك للحظة عند غنيمته يتحسس دم عدوته من الرقبة التي قطعها، وبعد ذلك قفز، لكن في داخله يغلي الهيجان والرغبة بالعض، وأخذ يسحب الجسم المهزوم ويسحله هنا وهناك ممسكًا به بمخالبه مرة وبوزه مرة أخرى. ورغم أنه كان منهكًا، لكن سعيدًا بانتصاره، فلقد اتجه النمس نحو مهد الرضيع، وخرج من الباب شبه المفتوح، وراح ينتظر سيدته علّه ينقل لها الفرح الموجود في قلبه كحيوان!! كانت المرأة عائدة في الطريق تحمل جرتها الممتلئة بالماء على رأسها، وعند وصولها ورؤيتها للنمس معفرًا بالتراب، والدم على بوزه ومخالبه، وفي عينيه بريق غريب، أخذت تفكر بالأمر، آه آيتها الآلهة! هذا ما كنت أخشاه من هذا الحيوان الملعون!! ها هو قد أكمل التهام رضيعي! آه آيتها الآلهة! لا يوجد عقاب لهذا الحقد الكبير والأعمى! عقاب وأي عقاب؟! الموت؟! نعم الموت! وفي لحظة من اليأس ألقت الجرة بقوة كبيرة على النمس الذي سرعان ما تمدد على الطريق. وبدأت تركض كأنها تطير باتجاه الكوخ، وعندما دخلت كان ابنها الرضيع يغفو في المهد، لكنّ قدمها تعثرت بأشلاء جسم الأفعى السوداء ففهمت كلّ شيء، ونظرت إلى نفسها، إلى الأفكار السيئة والسوداء!! وإلى فورة غضبها الملعونة التي جعلتها تدفع المعروف بالإساءة!! وبدأت تضرب بقبضتي يديها على صدرها ورأسها، وهي تركض إلى الطريق، يأكلها الحزن كما كانت من قبل، وأخذت تبحث عن الحيوان الوفي. التقطته من الأرض، وحملته بين ذراعيها بحب، ومضت به إلى الكوخ،

وهناك عملت له سريرًا من أفضل الأقمشة لديها، وقرّبته من النار، وأخذت تداعبه وتقول له أحلى الكلام الممزوج بدموعها. وبعد وقت لا بأس به ارتجف النمس، ونظر إلى سيدته بعينيه الطيبتين، ثم نظر تجاه سرير الطفل الرضيع. في الليل عندما عاد زوجها الحطاب، وجد الأم تبكي من الفرح، تجلس قرب النار وطفلها الرضيع وحيوان النمس بين ذراعيها.

سنيغورتشكا طفلة الثلج... أسطورة شعبية روسية

في البيت القروي البسيط كانت بعض زواياه تلمع بالضياء القادم من النافذة، حيث كان يدخل الضوء الأبيض والبارد لذلك الصباح الثلجي. لقد تعوّد كبيرا البيت على حب النور.

الجدّة ماريوتشا كانت تحيط القدر بالجمر، كي يغلي الحساء على نار هادئة، وكانت الجدة حزينة فلقد مرت السنوات، وأحنتها بأثقالها وبيّضت شعر رأسها بثلوج فصول الشتاء المتعاقبة، لقد مرت السنوات وأخذت معها حلم العجوزين في أن يلد لهما طفل يملأ حياتهما بالسعادة. أحضر الجدّ يوتشكو حزمة من الأغصان اليابسة، ليطيل بها حياة النار في البيت، فامتلأ المطبخ بطقطقات الأغصان وهي تشتعل. وفي جوار البيت كانت تعلو فرحة الأطفال وهم يلعبون.

أطلّ العجوز يوتشكو من النافذة فرأى الأطفال يرقصون ويضحكون، وقد شكّلوا من أنفسهم جوقة كورال ليغنّوا وهم يحيطون بتمثال من الثلج، وبحماس قال الجدّ: اسمعي يا ماريوتشا تعالي وانظري إلى الدمية التي صنعها الأطفال. وبدأ العجوزان بالضحك وهما يريان الأطفال يضحكون. كانت دمية الثلج سمينة وقصيرة القامة، فيها شبه كبير من عمدة القرية إنها شيطنة أطفال!! وفجأة كف يوتشوكو عن الضحك وقال: ماريوتشا تعالي لنرى إن كان بإمكاننا أن نصنع صغيرا!! ألا ترغبين؟. فردت عليه: ماذا بك؟ ألا ترى أن الناس ستضحك منا؟ لقد شِخْنا يا رجل على أشياء الصغار هذه!!.

لا يهم! وأصرّ يوتشوكو وأضاف: سنتفادى أن يرانا أحد، سنشكل دمية صغيرة مثل طفلة صغيرة وجميلة جدًا. أخذت ماريوتشا القدر عن النار، ووضعت شالًا من الجلد وخرجت مع يوتشوكو وعندما مرّا بالصغار توقفا، وأخذا يلعبان معهما ويقفزان ويغنيان بكل الفرح الطفولي ثم بدآ بالانسحاب رويدًا رويدًا، وتوجها إلى دغل صغير كانت أشجاره

عالية والثلج عليها شديد البياض، ركع العجوزان على ركبتيهما وبدآ يجمعان الثلج، ويشكلانه على هيئة طفلًا صغيرًا، شكلا الجسم ثم الرأس، ووضعا كمية كبيرة من الثلج على الرأس وقالا: كي ينبت شعر كثيف!!، ثم أضافا حفنتين على الخدين وقليلا من الثلج للأنف، وحفرا حفرتين كبيرتين للعينين. قالا: آه ها هو بالضبط! وتعانقا وهما ينظران إلى ما شكّلاه، لكن فجأة توقفا وصمتا، فلقد شاهدا شيئًا غريبًا، فأخذا يقتربان شيئًا فشيئًا، ثم تبادلا النظرات بصمت. وبدهشة كبيرة جدًّا كانت الحفرتان في رأس الدمية قد أخذتا تمتلئان بلون ازرق، ومنه خرجت عينان تنظران بثبات، ولم يعد وجه الدمية أبيض والخدود أخذت تظهر وتتدوّر، وبدأ يسري بها اللون الزهري وتحرك الفم في ابتسامة لذيذة، نفخة من الريح جعلت الثلج يهتز، ويتحول إلى شعر طويل وملتف، وعليه غطاء جلدي للرأس، وفستان ابيض لا يمكن لناظره أن يفرقه عن ثلج المكان، لقد تحولت الدمية الثلجية إلى طفلة رائعة!! تبادل العجوزان النظرات باندهاش كبير، وقالا سوية: نعم إنها حقيقية!! لسنا نحلم فهذه طفلة إنها هنا إلى جانبنا قريبة منا جدًّا، تتحرك وتمد ذراعيها وتنادينا!! فأخذاها، فأحسا بدفء وبدآ يداعبانها بالقبل، عندها شعرا أن الحياة انولدت من جديد في قلب كل منهما. عانقا الطفلة وحضناها بين الذراعين، وعادا بها إلى البيت وهما يرتجفان من شدة فيض عاطفتهما وسعادتهما، في البيت وضعت الجدة ماريوتشا الطفلة على ساقيها وراحت تهزهما وهي تردد أغنية حلوة للطفلة كي تنام. ومن أعلى جدار المدفأة تدلى شال جلدي، وبالقرب من وهج النار وضعا الحذاء الصغير الأبيض. اقترب العجوز يوتشكو وقال بصوت منخفض: اسمعي ماريوتشا!! لقد صار لنا طفلة صنعناها من الثلج، وإنني أفكر بالاسم الذي سنعطيه لها فوجدت أن نسميها سنيغورتشكا هل يعجبك؟. هزت الجدة رأسها بالموافقة وهي تبتسم. في تلك الليلة نام العجوزان وهما حائران بين فيض سعادتهما وخوفهما أن يكون كل شيء مجرد وهم أو حلم جميل قصير. لكن في الصباح كانت الطفلة معهما، وفي مكانها تضحك وتحكي تغمرها السعادة فلقد كانت تتكلم بطلاقة، لقد صارت بهجة حقيقية للعجوزين، في ذلك اليوم أقيمت حفلة كبيرة في البيت، قامت الجدة ماريوتشا بتحضير كل أنواع الحلويات، أما الجد يوتشكو فلقد دعا الموسيقيين وكل أولاد وبنات القرية، ودارت السعادة وطالت الأغاني وامتدت الرقصات حتى ساعة متأخرة، في تلك الليلة حلم الأطفال بسنغوروتشكا وبشعرها

الذهبي وعينيها الزرقاوتين، لقد بدت سنغوروتشكا، وكأنها جاءت من إحدى الحكايات الجميلة، وهي تلعب مع الأطفال، أخذت تعلّمهم كيف يبنون قلاعًا وقصورًا من الثلج، فيها صالات من المرمر ونوافير ماء كبيرة، لقد بدا الثلج وكأنه يطيع مخيلة سنغوروتشيكا وهي تشكله بهيئات مستحيلة.

وعندما رقصت لتعلّم الصغار كيف يسقط ندف الثلج في البداية بشكل دردور. وفي النهاية بشكل بطيء، فلقد انذهل الأطفال جميعهم لقد كانت سنغوروتشيكا إحدى طفلات حكاية ثلجية. لكن فصل الشتاء بدأ بالرحيل، والأرض المغطاة بالثلوج أخذت تعود إلى خضرتها، بدأت الأشجار تكسو أغصانها بالنّوار، والهواء يأتي محملًا بالدفء وأغنيات الربيع وأريجه، ولمعت الشمس ناصعة. في أحد الصباحات كانت الجدة ماريوتشا قرب النار، تحرس القدر المحاط بالجمر، والجد يوتشكوكان قد انتهى من تجميع حزمة الحطب إلى المطبخ. لم يكن هذا الصباح مثل ذاك الصباح الشتائي الذي شاهدوا فيه الأطفال مجتمعين حول دمية الثلج، فهذا الصباح كان حزينًا، وذاك صار بعيدًا بعد أن أبهج البيت والحياة كلها. تقف سنغوروتشكا إلى جانب النافذة، تنظر إلى المرج وقد أزهر وازدان والأشجار اخضوضرت أو راقها. حذّر يوتشكومن أن وجه سنغوروتشكا صار شاحبًا، وامتلأت عيناها بحزن غريب وسأل سنغوروتشكا: ما بك هل تشعرين بسوء؟ لا!! لا!! أجابته بحزن: لكنني افتقد الثلج، فأنا لا أقدر على العيش بدونه، والعشب الأخضر ليس جميلًا، إن أختي البيضاء الرائعة أكثر جمالًا وروعة، وبدأت سنغوروتشكا ترتجف، وفي اليوم الثاني بدت أكثر شحوبًا وحزنًا فيما ينظر العجوزان إليها بهلع، ما الذي حل بالطفلة؟ سألت ماريوتشا بخوف كبير، ولم يجبها يوتشكو الذي أمال رأسه، وأخفى علامات الألم، ثم اتجه نحو ستغوروتشكا متظاهرا بالسعادة، وقال: بماذا تفكرين يا صغيرتي؟ لم لا تخرجين إلى اللعب مع الأطفال في الحقول؟ أم انك لم تعودي تحبينهم؟.

قالت: لا أعرف يا أبتي يوتشكو، لكنني أشعر هنا في داخلي إنني سأختنق كلما استنشقت الهواء الدافئ، وقلبي يكاد يتوقف. هيا تشجعي وتعالي معنا، سأحملك بين ذراعي، ولن أدع الريح تصلك، سترين الأزهار والورود الخلابة التي جلبها الربيع، أبعدت ماريوتشا القدر عن النار وخرج ثلاثتهم إلى الحقل، يوتشك ويحضن سنيغورتشكا بين ذراعيه ليحميها

من النسيم، فلقد كان الهواء عليلًا ودافئًا ومعطرًا بعبير الورود، لكن سنغوروتشكا انقبضت، وأخذت ترتجف، شجّعها العجوزان وحملوها بين أذرعهما إلى دغلٍ مزهرٍ، لكن ورغم المرور بمجموعة من أشجار وارفة فلقد جاءت حزمة من أشعة الشمس، ووصلت إلى الطفلة فجرحتها كأنها سيف. صرخت سنغوروتشكا بلوعة ومرارة، ثم بدأت تخرج منها حشرجات، جحظت عيناها ممتلئة بالدموع على مرأى من يوتشكو وماريوتشا وهما مضطربان مذهولان، لقد بدأ جسم الطفلة يتقلص، وأخذ يتحلل شيئًا فشيئا ثم ذاب ببطء حتى صار قطرات ندى على العشب، وعلى الجبال كان الثلج يتحلل مع أو ل إشعاعات الشمس.

فوهوي العصفور البريء...أسطورة شعبية هندية

أراد الرب الأعظم إيقاف العداوة والخصومة بين الطيور، فحاول أن يضع لها ملكًا يحكمها بسلام، أعلن الرب الأعظم اقتراحه لكل الطيور، ودعاها جميعًا كي تختار في يوم محدد الطير صاحب الحسنات الأكثر بينها. فاحتشدت الطيور جميعها، وبدأت تفكر بإظهار صفاتها الحميدة، وكل منها يكاد يكون متأكدًا أنه سيكون هو الملك، قال البلبل جازمًا وهو الطير صاحب التغريد الأكثر حلاوة: يجب اختيار الطير صاحب الشدو الأجمل، وبكل الثقة والمباهاة جرّب موسيقاه بعد أن حطّ على أعلى أغصان الغابة، فكّرت البومة في داخلها، بالتأكيد فإن الرب الأعظم سيختار الطير الذي ينظر، ولكن أي من الطيور لا تمتلك النظر مثلي! وثبتت عينيها الدائريتين في الليل، وبدأت تتخيل الملوك. قال الطاووس: بالتأكيد سيتم اختيار الأكثر قوة، وسأكون أنا المسمى لأصدر الأوامر بين المحتشدين الكثيرين. وهزّ جناحيه العريضتين، وكذلك الغصن السميك الذي كان يقف عليه. قال النسر: بالتأكيد من أجل حكم جيد يجب رؤية العالم من مكان مرتفع، وانطلق النسر في الهواء بطيران عال جدًا عبر الغيوم، قال الديك المكسيكي: بالتأكيد فإن الملك سيكون من يصرخ بقوة أكبر فيجب إعطاء الأوامر بالشكل الذي يجعل الجميع يسمع وأنا!أنا! الديك المكسيكي أنا قادر على ذلك فإذا صحت، فإني أُسمِعُ حتى القمر. أمّا طائر الكاردينال فقد[1] قال: بالتأكيد سأكون أنا

(١)طائر صغير جاء اسمه من طبيعة الصوت الذي يطلقه - طائر الكاردينال طائر أمريكي لون ريشه رمادي له خصلة شعر سوداء حول المنقار وغرة

الملك، فمن الملوكية أن تُلبس فروة من الأرجوان القرمزية فكأن ريشاتي شعلة متقدة. وهكذا شعر كل واحد من الطيور بالاطمئنان من فوزه. كان الطاووس قد سمع ما قاله الآخرون من الطيور، عندئذ كان للطاووس ريشات متسخة وشعثة وكئيبة، لم يكن قادرًا على التفكير في إمكانية اختياره؛ لأن بدنه كان ضخمًا، وزيّه كان بشعًا وبائسًا، لم يكن كالطاووس الذي نعرفه اليوم، بدأ الطاووس يفكر دون أن يفقد الأمل، وجاء ليتفق مع صديقه الفواهوي الذي كان له ريش رائع. فقال الطاووس له: يا صديقي تعال أحادثك بشيء يهمنا جدًّا نحن الاثنين: الرب الأعظم سيفكر بالتأكيد في تسمية الطير الأكثر جمالًا والأكثر هيبة ملكًا على الطيور، فأنت لك ريش وفير جدًّا، لكنك صغير، وتنقصك العجرفة أمّا أنا فعلى العكس لدي بدن له حضور كبير وريشات أكثر وفرة. لكنني لا أقدر أن أعطيك بدني أما أنت فيمكنك إعارتي ريشاتك، كان الفواهوي يستمع إلى صديقه، فقال الطاووس له: اسمع تعال نعقد صفقةً أنت تعيرني الريش إلى أن يتم اختياري من قبل الرب الأعظم، وعندما أصبح ملكًا أردّ الريشات لك، وأكثر من ذلك سأتقاسم معك كل خيرات وتشريفات منصبي. فكر العصفور فواهوي في ذلك للحظة، لكن الطاووس عاد يغريه بالوعود، والعصفور الطيب والواثق لم يقو على الرفض. وهكذا بدأ الفواهوي بخلع ريشه، وبوضعها لصديقه فيما الطاووس يثبتها جيدًا حسب مقاسه، وبدأت تنمو وتنموحتى صارت غطاءًا بديعًا بذيلٍ رائعٍ تخرج منه ألوان الفضة والذهب. أيها الصديق فواهوي، سوف ترى الخيرات التي سنتقاسمها معًا. قال ذلك الطاووس وهو يختال بالجمال والبهرجة. وبقي المسكين فواهوي منزوع الريش تقريبًا ويرتجف من البرد، ولما رأى طيورًا أخرى تأتي في الطريق تقترب منه أحس بالخجل واختبأ بين الأعشاب كي لا يرونه. حلّ يوم الموعد أمام الرب الأعظم، وحضرت جميع الطيور واثقة متأكدة، لكنها عندما شاهدت الطاووس بحلّته الجديدة المذهلة فلقد بقيت مناقيرها مفتوحة من العجب والدهشة. فاختار الرب الأعظم الطاووس ملكًا وسيدًا للطيور. ومضى الطاووس بعجرفته وبنكرانه للجميل بعد تلك اللحظة التي حقق فيها مبتغاه فلم يعد يتذكر فواهوي الطيب، الذي ساعده وضحّى من أجله، وفي يوم من الأيام عثرت الطيور على فواهوي المسكين مختبئًا بين الأعشاب الطويلة، فاستغربت لنحافته وحزنت لذلك، عندها أعطاه كل واحد منهم ريشة من ريشاته، لهذا السبب للفوهويوريش قليل،

ولهذا السبب ومنذ ذلك الوقت يمضي خجولًا لأنه فقد ريشه، ولهذا السبب وكي لا يرونه بهذه الحالة فإنه لا يخرج إلاّ في الليل يخرج ليبحث عن الصديق النذل الذي خدعه!! ولأن الفواهوي طيب للغاية، فإنه يظن أن الطاووس سيفي بوعده يومًا ما، الفواهوي الطيب لا يفقد الأمل أبدا، ويخرج إلى الطرقات وعندما يرى الإنسان، فإنه يقترب منه ويصرخ به: فواه!! فواه!! مرة وثانية يسأله إن كان قد شاهد الطاووس. الرب الأعظم لا يترك الأفعال السيئة دون عقاب لهذا لم يعد الطاووس يشدوكما كان يفعل سابقًا بصوت عذب. فلقد علم الرب بالفعلة الشائنة التي فعلها فأمر ألا يشدو الطاووس أبدا. ومنذ ذلك الحين وفي كلّ مرة يحاول الطاووس فيها أن يطلق صوته للريح، فإنه لا يجد سوى الزعيق والكركرة التي تجعل الطيور الأخرى تسخر منه.(١)

الراعي وعذراوات الشمس... أسطورة شعبية هندية

على خاصرة خضراء للجبل الذي تغطيه الثلوج كان يخبئ الماشية البيضاء؛ لتقديمها كأضحيات وقرابين كان شعب الاينكا يقدمها إلى إله الشمس.. كان الراعي الشاب يدعى اكويا نافا لطيفًا وله مظهر لائق وحسن، يمضي خلف ماشيته، وعندما كان يجلس والقطيع يرعى كان سعيدًا، يخرج الناي الذي كان يرافقه دائمًا، ويبدأ بعزف موسيقى هادئة وحلوة تجعله يزداد سعادة. وفي يوم كان فيه منشرحًا جدًا، وهو يعزف، جاءته اثنتان من بنات الشمس اللاتي كن يعشن في أحد قصور المدينة المجاورة، إذ كان قد سمح لهما بالخروج في النهار كي تتسليان في الحقل، لكن لم يكن مسموحًا لهما الغياب في الليل عن مسكنهما المحروس جيدًا من قبل حراس صارمين، وصلت العذراواتان إلى الراعي وسألتاه عن الرعي وعن قطيع أغنامه، فبقي كويا نافا مذعورًا، ثم أراد أن يطلق ساقيه للهرب، فهما إضافة إلى أنهما مقدستان وابنتان للشمس فهما فائقتا الجمال، لكنهما طلبتا منه ألاّ يخاف، وعاودتا السؤال عن أغنامه، ثم أخذتاه من ذراعه لينهض. وقف الراعي أخيرًا وقبّل يد كل واحدة منهما، وهومندهش من روعتهما. العذراء الكبيرة فيهما واسمها تشوكي يبانتو انجذبت للكلام مع اكويا نافا بعد أن بانت خفة دمه وبعد لحظات ودعتاه. بدأت تشوكيبيانتو تتحدث مع أختها عن لطافة وبهجة ذلك الراعي، واستمرتا بذلك طوال الطريق حتى وصلتا إلى قصرهما حيث

---

(١) من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف

رآهما حراس البوابة، وفتشوهما إذ أنهم يقولون في تلك الأيام إنهم وجدوا إحداهن وقد خبأت رجلًا حبيبًا على قلبها وجعلته يمر مخفيًا بين الملابس!! دخلت العذراواتان إلى قصر بنات الشمس وزوجاتها - الشمس - اللواتي كن ينتظرن أطيب الأكلات المطبوخة في قدور من الذهب الناعم، لكن تشوكي ذهبت مباشرة إلى مخدعها ليكون بمقدورها التفكير منفردة بالراعي، الذي بدأ قلبها يخفق بالحب تجاهه، وفي تلك الأثناء كان اكويا نافا قد دخل إلى خصّه ليفكر منفردًا في المفاجأة العظيمة لتشوكو الرائعة، لكنه بدأ يشعر بحزن شديد، فأخذ الناي وعزف ألحانًا شديدة الحزن، جعلت حتى الحجارة تشفق عليه، ثم غنّى وهو يبكي: آه! آخ! منك! آيها الراعي البائس! أيها العاجز عن كل شيء.. آه! منك! لا تقدر على رؤية حبيبة قلبك، ولو رأيتها فإن حبك سينفضح، وسيقضى عليك وعلى حبك، وسينتهي الحب بالموت..واستمر يغنى بحزن كبير جدًا حتى غفي.

لكن أمه العجوز البعيدة عنه فلقد حدست بسبب عذاب ابنها، وراحت تهيئ نفسها للسفر إليه، فحملت معها سلة مزركشة وفاخرة، وبدأت تمشي في الجبال حتى وصلت إلى الزريبة التي يسكن فيها ابنها. ثارت عواطف الراعي عندما شاهد أمه، وأخذت هي تواسيه وتقول له: إن أحزانه ستزول خلال بضعة أيام، ومن أجل ذلك ذهبت تحضّر له طبخة السلاحف، الأكلة الموصوفة للحزن عند الهنود، وبينما هي تطبخ رأت بنات الشمس قادمات باتجاه الزريبة، ثم جلست الاثنتان عند المدخل ترتاحان من التعب وعندما شاهدتا المرأة العجوز في الداخل طلبتا منها شيئًا للأكل فقدمت لهما صحنا من السلاحف، أكلتاه بشهية كبيرة.

بدأت تشوكو تنظر حوالي الزريبة وإلى داخلها برغبة كبيرة علّها تعثر على اكويا نافا، لكنها لم تجده لأنه في لحظة وصولهما أمرته أمه أن يدخل في السلة التي أحضرتها معها، (يقول الهنود إن ذلك كان ممكنا في تلك الأزمان). ظنت تشوكو أن حبيبها الراعي يحرس القطيع، لهذا لم تسأل أمه عنه وعندما رأت السلة قالت: ما أجملها!! وسألت: لمن هذه السلة؟ فأجابتها العجوز: إنها لها وقد تركها لها والداها كميراث، فهي سلة فاخرة جدًّا، وأضافت العجوز إنها تقدمها وبنفس طيبة كهدية لها، وبإمكانها أخذها معها إلى القصر، وبعد قليل ودعت بنات الشمس أمّ الراعي، واتجهن نحو المرج تحمل تشوكي السلة بيدها وفي عينيها شوق لرؤية راعيها هنا أو هناك فهي لم تره في زريبته. وصلتا إلى القصر، وعند المدخل فتشهما حراس البوابة ولم يجدوا شيئًا معهما عدا السلة التي لم يكن يخفيانها. وبعد العشاء أخذت تشوكي

سلّتها الجديدة وذهبت إلى مخدعها، وهناك بدأت تبكي، وتتذكر الراعي الذي أحبه قلبها، لكنه لم يدعها تذرف الكثير من الدموع عندما أخذ اكويا نافا يناديها باسمها، فارتعبت وهلعت، لكنها صارت تذرف دموع الفرح عندما رأت حبيبها الراعي، وراحت تسأله كيف دخل إلى هناك؟ فأجابها بالحقيقة عن دخوله في السلة التي جاءت تحملها. عانقته تشوكو ووضع اكويا نافا رأسه على رجل تشوكي، التي راحت تمسّد له شعره بلطف وحنان، وتنظر إليه بعينيها الرائعتين الساحرتين حتى مطلع الفجر، عندها دخل الراعي مرة ثانية إلى السلة، وحبيبته ابنة الشمس تنظر إلى تلك المعجزة. وبعدما خرجت الشمس وقبّلت الأراضي كلها، خرجت تشوكو من القصر إلى المروج وحيدة، تحمل السلة، وفي أحد الكهوف في الجبال جلست مع حبيبها مرة ثانية، لكن حدث أن رآهما أحد حراس القصر الذي كان يتبعها، وشاهد كل شيء فبدأ يطلق الصيحات، يستدعي الحراس الآخرين فهرب الراعي وحبيبته إلى الجبال القريبة من مدينة كالكا، ومن شدة التعب نام الحبيبان وعندما استيقظا كانا مرعوبين من الموت المحتم الذي ينتظرهما كعقاب، فنهض الاثنان يرتعدان خوفا. أخذت هي في يدها فردة من صندلها، ونظرا إلى الناس في كالوكا وصارا يشعران إنهما يتجمدان في مكانهما، ثم صارا كتلة صلبة كبيرة وضخمة لقد أخذا بالتحول إلى حجارة.. اليوم يمكن رؤيتهما من كالكو ومن مناطق أخرى، لقد صارا جبلين كأنهما تمثالان يذكران بالحبيبين الراعي وابنة الشمس.(١)

الفتاة إسافي... أسطورة شعبية هندية

كانت جميلة جدًّا تلك الفتاة إسافي، ابنة رئيس القبيلة، وكان والدها الشيخ ينظر إلى فتاته بحنان كبير، كما يجب على الآباء أن ينظروا إلى أبنائهم غير السعداء، كانت الشابة الهندية إسافي رائعة الجمال، وقد أتاها خيرة المحاربين لرؤيتها، والتقدم لخطوبتها، لكن إسافي لم تعط إجابة للذين تحببوا إليها، فالفتاة الأكثر جمالًا في القبيلة لا تبادل الحب؛ لأنها كانت باردة وقاسية القلب. لم تعشق إسافي ولم تطع أحدًا، لهذا كانوا يتندرون عليها ويقولون: التي لم تبك أبدًا ! ولم ير أحد دمعة منها في عيونها السود رغم معاناة أهلها. إحدى ارتفاعات مياه نهر الأرغواي أغرقت، واقتلعت الأكواخ والخوص، وأخذت إلى الأبد النساء والأطفال، فرفع الشيوخ والشباب نحيبهم وأساهم إلى السماء لكن إسافي لم تبك، كانت عيناها الرائعتان

(١)من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف

السوداوان تنظران إلى بعيد بلا مبالاة بآلام الآخرين، فبدأوا يفكرون أن إساقي هي سبب كل المآسي تلك، فقالت إحدى الساحرات: دموع إساقي فقط تقدر على تهدئة غضب الآلهة!! لكن حلّت مآس أخرى وأخريات، وفي إحدى المعارك مع قوم آخر أقوياء وأشداء كان على القبيلة أن تهرب، وتختفي في الجبال بعد أن وقعت الفتيات العذراوات الأكثر روعة في أيدي الأعداء، وسقط أشجع المحاربين قتلى، وتقلصت القبيلة إلى بضع نساء وحفنة من المقاتلين، الذين أنقذوا الشيخ الزعيم ولجأ جميعهم إلى الغابة، ومن ضمنهم كانت إساقي، وفي عينيها لم يكن يلمع الدمع، فألقت الساحرة بيدها على طلاسمها وسحرها، علها تتوصل إلى نصيحة الفلك والنجوم، وفي النهاية قالت: كي تمر المصائب من جانبنا ولا تضربنا، يجب على إساقي أن تبكي!! لكن كيف نجعلها تبكي؟ فالشيخ الزعيم يكنّ لابنته حبًا كبيرًا لا حدود له!! فكيف يمكن جعلها تبكي؟ إذ أنها لم تكن قادرة على إظهار أبسط علامات الشفقة مع مآسي ومصائب الآخرين!! وهذا ما أراده الكهان والسحرة!! وكان بالضبط امتحان الألم في داخل أعماقها. في يوم من الأيام، كانت إساقي تتمشى في أحد دروب الغابة، فخرجت للقائها امرأة عجوز محنية الظهر، وترتجف، وبصوت فيه الكثير من الحسرة طلبت منها أن تقطع لها بعض الأغصان اليابسة لكوخها حيث حفيدها مريض، ويكاد يموت من البرد. نظرت إساقي إليها بازدراء، فركعت العجوز على ركبتيها، وطلبت منها، وتوسلت بصوت مفجوع، لكن الشابة الهندية تابعت طريقها.!! بعد قليل ظهرت لها امرأة لا تزال شابة، وعلي يديها طفل، والدموع في عينيها. اقتربت المرأة من إساقي، كانت ملامحها تشير إلى إنها موجوعة، وعندها فاجعة، وبصوت فيه الكثير من التوسل كشفت لها عن الطفل الذي يحتضر، ورجتها أن تبحث لها عن بعض الأعشاب المفيدة القادرة على شفاء ابنها. كانت إساقي تعلم أين توجد تلك الأعشاب، وفي أي مكان من الغابة، فتلك الأعشاب تطرد الموت، وكان بمقدورها أن تحضرها بمجرد أن تمشي قليلًا إلى جانب الطريق، لكن الشابة الهندية الغريبة عن الألم تابعت مشيتها غير مكترثة، وما أن مشت بضع خطوات حتى ظهرت قوة غريبة، جعلتها تتوقف، ومن خلف ظهرها سمعت صوت ساحرة القبيلة التي تقمصت الشيطان، سيد الأعمال الشريرة. قالت: آنيا!! يا سيد الظلال اجعل هذه الفتاة الباردة التي لا تواسي عجوزًا ولا أمًّا، اجعلها أن لا تكون أمًّا ولا عجوزًا أبدًا!! آنيا!! يا سيدي اجعل هذه المرأة التي بلا قلب والتي لم تبك

أبدا، اجعلها تبكي لمدى الحياة..: آنيا! اجعل هذه المرأة التي كان عدم بكائها هو سبب المآسي، اجعلها تحيا إلى الأبد، تبكي ومن خلال بكائها تقدم الخير للآخرين. إسافي لم تقدر على سماع أكثر من الكلمة الأولى للساحرة، وأخذت تتحول رويدًا رويدًا، فتغوص أقدامها في الأرض كجذور قاسية، وتشعر بجسدها يتصلب مثل جذع الشجر، وصار شعرها مثل الأغصان المليئة بالأوراق. وبعد انتهاء الساحرة من تقمصها كانت إسافي الجميلة الفاتنة الجمال قد تحولت إلى شجرة خضراء ورطبة، ومنذ ذلك الوقت تعيش وتحيا وتنمو في الغابات الاستوائية، هذه الشجرة الكريمة فاعلة الخير التي من أو راقها ينز ندى ناعم ومدرار يرطب الهواء.. إسافي إنها العذراء التي تبكي دائمًا من أجل حماية الآخرين ببكائها.. فالرجل الذي يصل متعبًا ومختنقًا من الشمس يشعر أن الشجرة تمنحه العذوبة كهدية.. وتبقى تبكي الشجرة، التي تحمل اسم العذراء الهندية فاتنة الجمال والتي لم تبك أبدًا.[1]

المرأة والفهدة.. أسطورة شعبية هندية[2]

في الأوقات التي كانت فيها مدينة بوينس ايرس[3] لا يعدو كونها أكثر بقليل من حصن، كان يعيش فيها جنود مع عائلاتهم وكذلك أناس ليسوا بكثيرين. هذا الحدث النادر والمثير للاستغراب بقيت ذاكرته لوقت طويل عند الذين عايشوه أو سمعوه، ففي تلك الأوقات كان الذين يعيشون في بوينس آيرس يعانون من الجوع القاسي، لقد كان ينقصهم أن يأكلوا وبشكل كامل، فأكلوا الأعشاب وكل أصناف الحيوانات في الحقول، ووصلوا إلى حد من الجوع هدد أولئك الناس البؤساء بأن يأكل أحدهم الآخر. آنذاك كان يحكم السكان طاغية، يفرض شروطًا قاسية، لم يحبه أحد فكلهم كانوا يعيشون حالة من الاستياء، وهذا يضاف إلى

(١) من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف
(٢)المقصود أنثى الفهد أو اللبوءة الأمريكية
(٣) عاصمة الأرجنتين الحالية

مرارة عدم مواساة الجوع وإلى بعض بلوى الوحوش المفترسة من النمور وفهود الأونزا[1] وقد أتو إلى الغابات القريبة من الحصن، وهددوا بالتهام كل من يبتعد عن الحصن. كان الطاغية مسؤول المدينة، وتحت طائلة العقوبة بالموت، قد منع أن يخرج أحد من مكانه، فازداد الجوع ومات ناس كثيرون، إحدى النساء الإسبانيات لم تقدر على تحمل معاناة تلك الفاقة التي لا تطاق، فعبرت السور الذي كان مبنيًا للدفاع، ودخلت إلى أراضي هندية علها تنقذ حياتها. مضت لوقت لا بأس به على غير هدى في الطريق وكان عليها الاحتماء من عاصفة، فدخلت للاختباء في كهف لاقتها في وهاد النهر، لكن فزعها كان كبيرًا عند الدخول إلى المغارة ووجدت نفسها أمام أنثى فهد كبيرة وقوية كانت ترتاح هناك في المغارة، ولرؤيتها فقط فإن المرأة سيئة الحظ سقطت مغميا عليها. عادت إلى وعيها بعد وقت وعندما نظرت إلى مكان الفهدة رأتها ملقاة تلعق بحرص كبير شبلين كانت تحميهما بين ساقيها. نظرت الفهدة إلى المرأة وفي عينيها شيء يشبه وهج الحنان والعطف على الأشبال المولودين حديثًا، وكل الذي أحست به المرأة هو أنها قامت واقتربت من الأم وأشبالها، وأخذت تمرر يدها، وتداعب الأم والأشبال، وبعدها عاشت في ألفة صحبة الحيوانات الثلاثة. لقد صارت المرأة الطيبة ترعى الأشبال عندما تخرج الأم الفهدة لتعود بلحم صيد للجميع. لكن في يوم من الأيام خرجت المرأة لتسكت عطشها من ماء النهر، فأفزعها بعض هنود الكيرنديس Querandies الذين كانوا قد خرجوا إلى الصيد هناك، فأخذوها معهم إلى قبيلتهم. في هذا الوقت حدث الفعل غير العادي لهذه القصة إذ خرجت مجموعة من الجنود الأسبان، يبحثون عن الأكل من القبائل المجاورة، فوجدوا المرأة أسيرة عند الهنود فأنقذوها في اللحظة المناسبة، وأخذوها إلى مسؤول حصن بوينس أيرس والذي لم يرها جيدًا، فأمر أن تلقى إلى الوحوش ليقطعوها

(١) الوشق البري

ويأكلوها. أخذها الجنود إلى الخارج، وتركوها مربوطة جيدا إلى شجرة على بعد فرسخ من القرية، وفي تلك الليلة أتى رهط من الوحوش إلى المرأة الغنيمة ومن بينهم الفهدة التي كانت المرأة قد عاشت معها. وعندما رأت الفهدة المرأة اقتربت إلى جانبها، ولم تسمح لأي وحش بالاقتراب منها، وبقيت تدافع عنها طيلة تلك الليلة واليوم التالي بليلته حتى اليوم الثالث. ذهب الجنود إلى هناك بأمر من القبطان ليتأكدوا من ميتة المرأة، وبدهشة كبيرة رأوها لا تزال على قيد الحياة والفهدة عند قدميها مع الشبلين. ابتعدت الحيوانة الوفية قليلا عندما رأت الجنود، وأفسحت لهم الطريق كأنها أشارت إليهم أن يصلوا إلى المرأة، ويفكوا وثاقها حيث فعل الجنود ذلك، وهم معجبون بذكاء وإنسانية تلك الوحشة، وبعد أن فك الجنود وثاق المرأة أخذوها معهم ليعفوا عنها بعد تلك المعجزة التي رأوها وبقيت الفهدة تصدر إشارات وحركات، وتزأر بحزن كأنه تعبير عن الإحساس بالوحدة!! بينما كانت المرأة تبتعد وتلتفت إلى الوراء وفي عينيها دموع الشكر والامتنان للفهدة الطيبة. (1)

الفتى وذئب الكويوتي... أسطورة شعبية من أمريكا الشمالية:

في تلك الأيام البعيدة، حيث كان الناس فيها يفهمون لغة الحيوانات، والتي كان فيها كلب الصحارى، الذئب الأمريكي الخبيث المحتال، الرمادي اللون كان صديقًا طيبًا للهنود وقد أسموه كويوتي، في قبيلة هندية كان يعيش فتى له ساقان قويان مطواعان، وله نظرات ثابتة وثاقبة. كان يعيش وسط القبيلة، لكنه كان يكثر القفز بين الغابات، ويصعد إلى قمم الجبال، وكان يخوض في الأنهر، لا يفارقه صديقه حيوان الكويوتي Coyote(2)، رفيقه في الصيد وحتى

(1) من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف

(2) نوع من الذئاب بحجم الكلب الكبير يعيش في المكسيك وأمريكا الشمالية.

في المنام. وفي مرات كثيرة توقف لينظر كيف كان الرجال يحشرون الأسماك بين شقوق صخور النهر، وكيف كانت النساء يقتلعن جذورا طازجة، ويحفرن الأرض بأحجار مسننة، كان ذلك في أيام الربيع الدافئة والطويلة، لكن عند حلول الشتاء كان الناس يتراكضون بين الثلوج يهربون من البرد وكأنه عدوهم فكانوا يغرقون يائسين في أعماق الكهوف المظلمة، كان الشاب الفتي ينظر بوجه قاس، وهو يفكر بحسرات شعبه البائس والذي لا حول له تحت السماء المثلجة، فقال إلى الحيوان الكويوتي: أنت لا تحسّ بسكاكين البرد لأنك سمين، ولك جلد كثيف الشعر. أمّا هم فإنهم يرتجفون ويموتون، قل لي يا صاحبي وأنت الذي تقود خطواتي في الصيد، قل لي ماذا علي أن أفعل تجاه شعبي كي لا يعاني أكثر؟. قال الكويوتي: لا شيء!!وفي تلك الليلة لم ينم إلى جانب صاحبه، ولم يعد إلى جانبه إلاّ بعد انقضاء عدة أيام بلياليها الطويلة. عندئذ قال الكويوتي: أنا أعرف ماذا عليك أن تفعل، لكنه صعب جدًّا وأكثر صعوبة من أي شيء، كنت قد فعلته، ولن تقدر على فعله أبدًا. فأجابه الفتى: قل لي ما هو؟ فأنا قادر على فعل كل شيء ما لم يكن مستحيلا.! قال الكويوتي: اذهب إلى جبل النار لتسرق قبسات من ذلك الوهج، وتحضره إلى شعبك. سأل الفتى: وما هي النار؟ وما هو الوهج؟ أجاب الكويوتي: النار مثل وردة حمراء، لكنها ليست وردة، إنها تركض بين الأعشاب، وتقضي عليها كما لو كانت دابة،، لكنها ليست دابة مع إنها قوية ومريعة، لكنها تتمدد على سرير بين الحجارة، وتقدم الأشجار أغصانها لها لتأكل، إنها أخٌ طيبٌ يداعب النسمات والأشياء بألسن كبيرة وبرّاقة وساخنة. وإذا أمكنك إحضارها فإن شعبك سينعم بالدفء، ويخبئه كما لو أنك تخبئ قطعة من الشمس. قال الهندي: نعم سأحضر تلك النار ساعدني. اتجه الفتى نحو شيوخ القبيلة ليطلب مائة رجل لهم أفخاذ قوية وعضلات وسيقان خفيفة الحركة. فاصطف جميعهم في طابور، يوجههم الكويوتي نحو جبل النار. مع انتهاء اليوم الأول تركوا في الطريق الرجل الأكثر ضعفًا بالركض فيهم. وكان عليه أن يرتاح هناك،

وينتظر، ومع انتهاء اليوم الثاني من الركض ابقوا رجلًا آخر ليرتاح وينتظر، وهكذا بدأوا يتناقصون واحدًا تلو الآخر مع نهاية كل يوم من الأيام المائة للمسيرة. أمّا الشاب صاحب الساقين القويتين والملبيتين له برفقة الكويوتي فلقد بقيا وحدهما إلى المرحلة الأخيرة من المسير عَبَرا السهول وواجهتهما الجبال وفي النهاية وَصَلا سوية إلى النهر الكبير الذي يجري فوق رمال جميلة عند سفح جبل النار. كان الجبل يصل حتى الغيوم، وكان في قمته شيء يشبه قبعة كبيرة من الدخان الكثيف. في الليل كانت أرواح النار تتراكض، وترقص في المجنبات على هيئة جذوات كبيرة، بينما كان النهر الكبير يلمع كما لو أن مياهه قد اشتعلت. قال الكويوتي للفتى: انتظرني هنا سأذهب لأحضر لك قبسًا من وهج الجبل، انتظرني وكن مستعدًا ويقظًا لأنني سأصل منهكًا، وعليك أن تتابع راكضا إذ أن أرواح النار سوف تلاحقك. وبدأ الكويوتي يصعد الجبل ويختبئ خلف الأحجار، لكن أرواح النار اكتشفته، وعندما رأوه نحيفًا ومتسخًا سخروا من رائحته غير العدوانية، لكن عند حلول الليل وعندما بدأت الأرواح بألعابها ورقصاتها في ألسنة اللهب الكبيرة، تمكن الكويوتي من أخذ لسان كبير وطويل، وهرب به هابطًا الجبل بسرعة. وبطريق مستقيم كانت ألسنة اللهب تركض خلفه، تصدر زئيرًا كأنه زئير لبوة تحترق. رأى الشاب صديقه الكويوتي يهبط الليل مثل نجمة تهرب من السماء، كانت أرواح النار تتبعه كأنها نهر من الوهج، وراح يتساءل: هل تقترب القبسة المشتعلة؟ هل تقترب؟ هل تصل؟؟ وقع الحيوان الشجاع أرضًا، يكاد يختنق، وقواه تخور فأخذ الشاب تلك القبسة المشتعلة وبدأ بالركض والركض، وأرواح النار في الجذوات تركض خلفه، والفتى يتابع الركض، ويمضي مثل سهم، كي يصل إلى الرجل الأول، الذي تركوه يستريح وينتظر، ويده ممدودة ليستقبل الجذوة، ويبدأ بالركض بها سريعًا كسهم انطلق من قوس. وهكذا تستمر الجذوة من يد إلى يد دون توقف، وأرواح النار تركض خلف الشعلة المسروقة، إلى جبال الثلج التي لا يقوى الناس فيها على البرد. استمرت النار في الهواء تنتقل

من يد إلى يد بين الراكضين، فكانت صفراء وجميلة في النهار، وفي الليل حمراء رائعة. وصلت الشعلة إلى الرجل الأخير، ومنه إلى القبيلة، وهناك صنع الرجال لها سريرًا من الأحجار وسط المغارة، بدأوا يطعمونها بحب يقدمون لها الأغصان اليابسة، ومنذ ذلك الوقت ابتهج الناس بحب تلك الشعلة عدوة البرد، والفتى الهندي النبيل أصبح معروفًا من قبل الجميع إنه الشجاع الذي اكتشف النار، والكويوتي أيضًا منذئذ يمكنه إن يعرض والى الأبد أثار عمله المعطاء، وحتى هذا اليوم تحتفظ سلالة الهندي بالجلد الأصفر، وكيف احتمس بالنار كذكرى لمأثرته الشجاعة.(1)

مانوي الذي أحضر النار.. أسطورة شعبية من نيوزيلندا

عندما ولد مانوي كان بشعًا ومشوهًا، فتركته أمه عند شاطئ قاحل، لكن آلهة البحار حمته، وتامانويكي تي رانجي وهو أحد أسلافه الأجداد، وكان في السماء، فقد أخذه إلى هناك، وعلّمه كلّ الأشياء غير الطبيعية التي كان يعرفها، وهكذا كان. عندما شبّ مانوي عاد إلى الأرض ليبحث عن عائلته، وعند وصوله عثر على إخوانه وهم يلعبون بالحراب عند شاطئ البحر، وعند مشاهدتهم لذلك الفتى البشع انفجروا جميعهم بالضحك لكنه قال لهم: لماذا تضحكون؟ ألا ترون إنني أخوكم الصغير؟ لكنهم لم يصدقوه، وكذلك أمهم التي قالت له: أنت لست ابني! فأجابها مانوي: ألا تذكرين عندما تركتيني في ذلك الشاطئ القاحل؟ آه! نعم صحيح، لقد نسيت!!أنت مانوي!اقالت الأم وهي نادمة لكن سعيدة في الوقت نفسه من عودة ابنها ورؤيتها له. فبقي مانوي مع أهله. وعندما صعد أشقاؤه إلى القارب الصغير بهدف الصيد قال لهم: أريد الذهاب معكم، لكنهم رفضوا قائلين: لا، إننا لا نحتاجك. لكن أخوة مانوي كانوا يصطادون بشكل قليل إذ أن الحراب لم يكن لها أنياب كي تطبقها على الأسماك، فعلمهم مانوي كيف يعملون حراب بأنياب في طرفها لا يمكن إن تفلت الأسماك منها، في يوم أخر ذهب الأخوة لاصطياد الحنكليس، لكنهم اصطادوا الشيء القليل إذ أن

---

(1)من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف

أسماك الحنكليس كانت تخرج من الباب نفسه الذي دخلت منه في سلال الصيد، عندها اخترع مانوي فخًا في باب سلة الصيد، كي تدخل أسماك الحنكليس ولا يمكنها الخروج. وعلى الرغم من ذلك فإن أخوة مانوي لم يحبوه، ولم يرغبوا بأن يذهب معهم في الزورق، لكنه في يوم من الأيام اختبأ مانوي في قاع الزورق، وتغطى بألواح الأرضية، وعندما كانوا في أعالي البحار قال أخوته: ما أحسن أن نمضي من غير مانوي!! لكن صوتًا قد خرج من القاع يقول: إنني هنا!! ورفع مانوي الألواح، وخرج. فغضب الأخوة كثيرًا ولم يرغبوا بإعطائه صنارة كي يصطاد. لكن مانوي لم يغضب، وبدأ يصطاد بصنارة سحرية كان يخبئها معه، وكانت مصنوعة من فك أحد أسلافه القدماء. لم يرغب أخوته بإعطائه طعما، عندها أدخل مانوي رأس الصنارة في أنفه، وبللها بالدم، ثم رمى بها إلى الماء. لم يكن أحد من الأشقاء قد اصطاد شيئًا، وقد اعتقدوا أن مانوي لن يصطاد أيضًا، لكن مانوي انتظر حتى ينزل شص الصيد إلى الأعماق أكثر. قال إخوانه له: لماذا أنت هكذا عنيد جدًّا؟ لا يوجد هنا صيدا!! هيا نذهب إلى مكان أخرا! ضحك مانوي وبقي ينتظر، وفجأة أحس بحركة شد قوية في الخيط الذي جعل الزورق الصغير يكاد ينقلب، ث بت مانوي الحبل بقوة، وساعده إخوانه بذلك، ورويدًا رويدًا بدأ يصعد شيء مرعب من الأعماق، وعندما وصل إلى السطح بقي أخوة مانوي مشدوهين، إذ إن ذلك الشيء كان كبيرًا جدًّا، غطى كل مساحة البحر على مد النظر، ولم يكن ذلك أقل من تي- اكا - آ - مانوي أي السمكة التي اصطادها مانوي، وهي جزيرة نيوزيلندا الكبيرة. قفز أخوة مانوي فوق الشيء المريع، كي يقصوا منه قطعًا من اللحم، لكن في كل مكان غرسوا سكاكينهم فيه، فقد تحول إلى وهاد، وفي كل مكان سلخوا الجلد منه، فلقد تحول إلى جبال. وهكذا انولدت نيوزيلندا من أعماق المياه والتي أصبحت لاحقًا أرض الماوريسMaories، ومع مرور الوقت انتبه مانوي إلى أن النهار كان قصيرًا جدًّا، وتامانويترا أي الشمس كانت تنهض، وتجوب السماء بسرعة، وتعود من غير أن تمنح وقتًا كافيًا للناس، يمكنهم من إتمام أعمالهم. فكر مانوي بأن عليه أن يجبر الشمس على أن تسير ببطء أكثر، فقال مانوي لإخوانه: فلنربط الشمس كي تسير ببطء وهكذا يكون للناس وقت أطول كي يتموا أشغالهم.

فردّوا عليه: كيف لنا أن نفعل ذلك؟ ألا ترى أن الشمس تحرق كل من يقترب منها؟

فقال مانوي: لقد رأيتم ماذا أمكنني فعله، ألم أرفع جزيرة تي-آ- مانوي من البحر؟ وكذلك بإمكاني أن أفعل أشياء أخرى بل وأكبر أيضًا. اقنع مانوي أشقاءه واقتلع خصلة من شعر رأس أخته هينا Hina، ويحث عن أربطة من حرير أخضر، حتى يتمكن إخوانه من ضفر الخيوط بقوة. تذكر ما نوى ما كان قد علمه إياه سلفه الذي كان في السماء، وكيف تكون للأوتار قوة سحرية فائقة. صنعوا بتلك الخيوط شبكة كبيرة، حملوها ومخروا حتى نهاية العالم إلى المكان الذي تخرج منه الشمس كل صباح، استغرقوا عدة شهور في الوصول إلى نهاية العالم، ووصلوا إليه في ليلة مظلمة، عندها علقوا الشبكة أمام الحفرة التي كانت الشمس ستخرج منها. عند الصباح خرجت تامانويتيرا، ووجدت نفسها مطبقًا عليها في الشبك السحري. حاولت أن ترخيها، ولم تستطع، كان الأخوة يمسكون الشبكة بقوة وثبات، وربطوها بأوتار جديدة. كانت الشمس تنتفض على الجانبين تريد أن تقفز، وحاولت تقطيع الحبال، لكن الحبال كانت قوية جدًّا. عندها تقدم مانوي حاملًا عصاه الحربية المصنوعة من عظم أحد أسلافه، وبدأ يضرب الشمس، لكنها أخذت تقاوم، وبدأت تنشر جرعات كبيرة وساخنة جعلت الأخوة يتراجعون، لكنها لم تجعل مانوي يتحرك من مكانه، وهكذا استمر الصراع بينهما وكانت الشمس تصرخ: أنا تامانويتيرا الجبارة! لماذا أنتم ضدي؟ لأنك تجوبين السماء بشكل بطيء جدًّا، والناس لا يوجد عندهم الوقت الكافي للبحث عن الأكل وهم جياع. وأنا أيضًا لا يوجد عندي الكثير من الوقت لأضيعه! أجابت تامانويتيرا. عندها استمر مانوي بالضرب، حتى وهنت الشمس، واستسلمت عندها قالت: كفى من فضلك سأمشي بشكل أكثر. وبهذا الوعد سمحوا لها بالخروج من الشبكة، وهي أو فت بوعدها. ومنذ ذلك اليوم تعبر السماء ببطء، وأصبح للناس وقت أطول لتجفف ملابسها، وتحصل على قوتها، لكن بعض الحبال التي ربطوا الشمس بها بقيت ملتفة عليها، ويمكن رؤيتها كأشعة تومض، وهي تخترق الغيوم. كل هذا المآثر أنجزها مانوي، لكن شعبه لم يكن يعرف أبدًا كيف يشعل النار. قرر مانوي إن يكتشف سر مناطق النيران، عندها نزل في حفرة وجدها في الأرض، وكانت فيها مافوكي آلهة النار فطلب مانوي منها جذوة، فأعطته أحد أظفارها المشتعلة، فخرج مانوي بالظفر وفكر: هذا لا ينفعني، إنها نار حقًّا! لكن أهلي مهتمون بمعرفة كيف يشعلون النار لهذا أطفأ الظفر المتوهج في تيار ماء وعاد يطلب النار مرة ثانية. أعطته مافوكي

ظفرًا مشتعلًا آخر، لكن مانوي أطفأه وعاد يطلب النار من آلهة النار، وللمرة الثانية أعطته مافوكي ظفرًا مشتعلًا آخر، فأطفأه مانوي في تيار الماء نفسه، وللمرة الرابعة عاد يطلب النار من آلهة النار، وللمرة الرابعة أعطته ظفرا مشتعلًا، وأعاد مانوي الكرة لتسع مرات، إذ أطفأ النار في الماء تسع مرات، وعندما جاء للمرة العاشرة إلى آلهة النار وطلب منها آخر أظفارها المشتعلة قبضت عليه، ودفعته مافويكي إلى النار بشكل قوي، لكن مانوي تمكن من الإفلات بسرعة كبيرة، ولم تتمكن من الإمساك به، وإثناء هربه كان يشتمها حتى اشتاطت غضبًا فاقتلعت آخر أظفارها المتوهجة وألقتها كي تصطاده. أحدث الظفر نارًا في الحقول وفي الغابات، وكان على مانوي أن يهرب أمام تقدم ألسنة اللهب، وفي النهاية طلب مساعدة المطر التي هطلت بسيل جارف، حتى أطفأت الحريق الكبير.

وعندما رأى مانوي أن آخر نار في العالم تكاد تنطفئ التقط بعض الجمرات، وخبّأها داخل أشجار الغابة.وهكذا بقيت النار في العالم.[1]

العجوز غوارديان...أسطورة شعبية من اليابان

كان ين الصغير بلا والدين، لهذا ذهب مع جده ليعيش في ذلك الكوخ الصغير في الجبل، وسط حقول الأرز البراقة كالذهب. وهناك، كان يتمتع بالهواء النقي، وبالشمس وبالحرية مثل الطيور فهناك يمكنه الركض واللعب بسعادة ويقول: حقا يا لروعة العيش في ذلك الريف الهادئ حيث يعم السلام!. كانت القرية الصغيرة تقبع في أسفل الجبل، وتمتد على طوال الشاطئ قبالة البحر المتوهج من السماء. والصغير ين كان يرى الأشياء صغيرة جدًا، كأن بعضها نمل كبير والآخر نمل صغير، أما الشيء الوحيد الذي كان بين الجبل والبحر فقط فهو حزام من التراب، حيث أقام الناس عليه أكواخهم وبيوتهم، بينما كانت الحقول المزروعة تمتد على طول سفوح الجبل، حيث كان يعيش الصغيرين إلى كنف جده، أمام مساحات حقول الأرز.والتي كان الصغير ين يعشقها. كان ين جاهزًا على الدوام للمساعدة في العمل، فيفتح السواقي للري ولا يوجد أحد مثله في إعطاء الحبوب للعصافير أثناء الحصاد. كان ين

---

(١) من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف

يشعر بالسعادة لأن جده كان يحبه كثيرًا، فذلك العجوز القوي والرصين كان أفضل الرجال، وهما يعيشان في الكوخ الصغير اللطيف والنظيف، فكان ين على يقين أن الأطفال الآخرين كانوا سيحسدونه على ذلك. في يوم من أيام السنابل الصفراء التي تضيء كالشمس نظر العجوز إلى البعيد إلى أفق البحر بنظرات ثابتة، لكنها امتلأت بالمفاجأة.

كان نوع من الغيوم الضخمة السوداء ترتفع في الأفق، كما لو أن الحياة قد تمردت ضد السماء. تابع العجوز بنظراته الثابتة، وفجأة عاد إلى البيت وهو يصرخ: ين!! ين!! احضر غصنًا مشتعلًا بالنار!! لكن الصغير ين لم يفهم مُرادَ جدِّه إلا إنه أطاعه في الحال، وخرج يركض وفي يده الغصن المشتعل. كان العجوز قد أخذ غصنًا ثانيًا، وركض باتجاه حقول الأرز الأكثر قربا منه، يتبعه ين مذعورًا يحكي مع نفسه: هل هذا معقول؟وسرعان ما انفجع ين عندما رأى جده يلقي بالغصن المشتعل إلى حقول الرز فصرخ ين: ماذا تفعل يا جدي؟ ماذا تريد أن تفعل؟

فرد العجوز: هيا بسرعة! بسرعة يا ين! عجّل واقذف بالنار على الحقول!!! بقي ين متسمرًا في مكانه. ظنّ أن جدّه قد فقد صوابه بعد أن امتلأ كل جسمه بالوحل. تذكر ين أنّ الطفل الياباني يطيع دائمًا، فقذف بالشعلة بين الوحل والطين. في البداية كان هناك وميض بطيء، ثم تراجعت، فاتسعت رقعة النار بألسنتها الحمراء، وتحولت حقول الرز إلى محرقة حقيقية، حتى بدا الجبل وكأنه يتمدد نحو السماء بأعمدة من الدخان.

ومن هناك من الأسفل كان سكان القرية يشاهدون حقولهم وهي تحترق فبدأوا يطلقون صرخات الغضب وركضوا ملتاعين يتسلقون الدروب المتعرجة للجبل يتسلقون حتى خارت قواهم، ولم يبق أحد في الخلف، حتى النساء تسلقن الجبل وهن يضعن أطفالهن على ظهورهن.

وعندما وصلوا ورأوا حقول الرز مخربة أحسوا بالمهانة وبدأوا يصرخون بغضب شديد: من كان هذا؟ من هو الذي أضرم النار؟ تقدم الناطور العجوز نحو الرجال وبصوت رصين قال: أنا. فبدأ ين يبكي، أحاطت بهم مجموعة تسيطر عليها حالة الهيجان وهم يصرخون: لماذا فعلت ذلك؟ لماذا؟ عاد العجوز إلى حالة الصرامة وأشار بيده نحو الأفق

وقال لهم: فلتنظروا إلى هناك!! قبل بضع ساعات كان سطح ماء البحر مستويًا كمرآة لكنه الآن يتغير، يرفع الماء كجدار من الأشباح المرعبة باتجاه السماء، كانت موجة غامقة وعاتية تتقدم من التخوم، كأنها تهدد وتتوعد، فبدت لحظات الرعب والقلوب تخفق بقوة، ولم تبق صرخة في الحلوق، فلقد تقدم جدار الماء إلى التربة بهدير صاخب، اجتاز الشاطئ يغزو كل شيء، ويخرب كل شيء، كانت على شكل صاعقة ستنفجر ضد الجبل وقحة وغاضبة. بدأ البحر يتراجع بهدير أخرس، فبدت الأرض معصوفة ومنكوثة فالقرى الصغيرة اختفت بشكل ماحق وبائس بسبب تلك الموجة الجبارة. نظر العجوز وهو ممتلئ بالسعادة إلى جميع السكان الذين يقفون في قمة الجبل وقد نجوا. لقد أنقذهم بفعلته من غزوة البحر..[1]

وردة المايابا البيضاء.. أسطورة شعبية هندية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك أميرة جميلة تسمى ساكنيكت كانت هذه الأميرة تسكن أرض المايابا، كانت مثل القمر العالي الذي يسكن الليالي الهادئة. وكانت حبّابة مثل حمامة مطوقة بالهديل العذب، حمامة بهية وعذبة مثل قطرات الندى، كانت جميلة مثل الوردة التي تملأ الحقل بالسعادة المعطّرة، ورائعة مثل ضياء الشمس الذي يضم كلّ الألوان، وناعمة مثل النسمة التي تأخذ بين ذراعيها كلّ الأغنيات. هكذا كانت الأميرة ساكنيكت التي ولدت في المدينة الشامخة لمايافان. كان السلام يوّحد المدن الثلاث الكبرى كشقيقات على أرض مايابا. والمدن هي: مايافان الجديدة والغالية وأوكسمال الرائعة وتشي تشين إتزا التي كان فيها المذبح ومعبد الحكمة. لم يكن هناك جيش؛ لأن ملوك تلك المدن كانوا قد قطعوا عهدًا بأن تعيش المدن مثل شقيقات. كل الذين عاشوا في مايابا سمعوا أيضًا اسم الأمير كانيك؟ الذي يعني الأفعى السوداء.وكان مقدامًا، وقوي القلب، وعندما أتمّ لثلاث مرات سبع سنوات، تم تنصيبه ملكًا لمدينة تشي تشيت إتزا. في ذلك اليوم كان الأمير كانيك القوي القلب، قد رأى ساكنيكت.وفي تلك الليلة لم ينم الأمير الشجاع والقوي القلب

(١) من كتاب حكايات وأساطير عالمية/ أحمد يعقوب .. بتصرف.

ومنذ ذلك الوقت بدأ يشعر بالحزن طيلة أيامه. كان عمر الأميرة ساكنيكت ثلاث مرات خمس سنوات عندما رأت الأمير كانيك، وهي تجلس في عرش مدينة إتزا، فخفق قلبها بالسعادة، ولما حلّ الليل نامت وثغرها مشتعل بابتسامة مضيئة. وعندما استيقظت ساكنيكت عرفت أنّ حياتها وحياة الأمير كانيك قد أصبحتا مثل نهرين يجريان معا ليقبّلا البحر. وهذا ما حدث. وهكذا يغنّي أو لئك الذين عرفوا ولم ينسوا ذلك التاريخ. في اليوم الذي تم فيه تنصيب الأمير كانيك ملكًا للإتزيين سكان مدينة إتزا صعد إلى معبد مدينة اتزمال المقدسة ليقدم نفسه أمام الإله. اصطكت قدماه قدمي صياد عندما نزل المدرجات الستة والعشرون للمعبد وارتخت ذراعاه ذراعي محارب، كل ذلك لأنه رأى الأميرة الوردة البيضاء. كانت الساحة الكبيرة للمعبد محتشدة بالناس، الذين وصلوا من جميع أنحاء ماياب ليشاهدوا الأمير. وكل الذين كانوا قريبين منه لاحظوا ما حدث. لاحظوا ابتسامة الأميرة، وشاهدوا الأمير يغلق عينيه، ويشدّ على صدره بيديه الباردتين. كان هناك ملوك وأمراء المدن الأخرى جميعهم شاهدوه لكنهم لم يعرفوا أنه اعتبارًا من تلك اللحظة بدأت الحياة الجديدة للملك، والحياة الجديدة للأميرة بدأتا تركضان مثل نهرين معًا ليكملا إرادة القدر في الأعالي. وهذا ما لم يفهموه لأنه كان من الضروري العلم أن والد الأميرة ساكنيكت الملك الجبار لأرض ماياب كان قد منحها إلى الفتى أو ليل. الأمير الذي يرث مملكة أو كسمال. كانوا هناك جميعهم ملوكًا وأمراء والأميرة الوردة البيضاء اختارت الأمير الأفعى السوداء لتجعل حياتها تركض معه، كما يركض نهران معًا إلى البحر. انتهى اليوم الذي تنصب الأمير كانيك فيه ملكًا على تشي تشين إتزا. وبدأ العدّ للأيام السبعة والثلاثين المتبقية لزواج الأمير أو ليل من الأميرة ساكنيكت.

جاء مبعوثون ورسل من مدينة مايافان إلى ملك إتزا الشاب وقالوا له: ملكنا، ادع الصديق والحليف إلى حفل زواج ابنتك. فأجاب الملك كانيك بعينين تشتعلان: قولوا لسيدكم إنني سأحضر. وجاء مبعوثون ورسل من مدينة أوكسمال إلى الملك كانيك وقالوا له: أميرنا أو ليل يطلب من ملك الإتزانيين المعظم أن يأتي للجلوس إلى قداس زواجه من الأميرة ساكنيكت. فأجاب الملك كانيك وكانت جبهته مليئة بالعرق ويداه مشدودتان: قولوا لسيدكم إنه سيراني في ذلك اليوم. وفيما كان ملك الإيتزانيين وحيدا ينظر إلى النجوم في الماء

ليسألها، جاءه سفير عند منتصف الليل، جاءه قزم غامق وشائخ وقال على مسمعه: الوردة البيضاء تنتظرك بين الأوراق الخضراء، هل ستدع رجلا أخر ليذهب ويقطفها؟ واختفى القزم مع الهواء أو تحت الأرض، لم يكن قد رآه أحد سوى الملك ولم يعلم بذلك أحد. في أو كسمال العظيمة كانت تجري التحضيرات لزفاف الأميرة الوردة البيضاء والأمير أو ليل. ومن مدينة مايافان خرجت الأميرة رفقة والدها والسادة العظماء في موكب مهيب، ملأ الطريق بالغناء. وإلى أبعد من بوابة مدينة أوكسمال خرج الأمير أو ليل يرافقه العديد من النبلاء والمحاربين لاستقبال الأميرة، لكنه، عندما شاهدها كانت تبكي. كانت المدينة بأسرها مزينة بالرايات وبريش الديك البري وبالفضة وبأقواس ألوان برّاقة وكان الجميع يرقصون، سعيدين وهم لا يدرون ماذا سيحدث. أقيمت الاحتفالات الكبيرة طيلة أيام ثلاث، أقيمت للمدعوين في مدينة أوكسمال وكانت المدينة تهتز بالسعادة، فلا أحد كان يدري ماذا سيجري، وفي اليوم الثالث من الاحتفالات والقمر كان بدرًا مدورًا كالشمس، كان ذلك هو اليوم الطيب لزفاف الأمير حسب طالع السماء.

لقد وصل إلى أوكسمال ملوك وأبناء ملوك، من كل الممالك القريبة والبعيدة، وجلبوا جميعهم الهدايا للعروسين الجديدين. جاء بعضهم بخراف بيضاء لها قرون لولبية من ذهب. آخرون جاءوا بأقحاف سلاحف ضخمة معبأة بريش كيتزال البرّاق.جاء محاربون بزيوت الطيب وعقود من الذهب والياقوت. كما جاء موسيقيون بطيور مدربة على الشدو كموسيقى السماء. ومن كل الأماكن جاء سفراء مع هدايا ثمينة ما عدا الملك كانيك ملك تشي تشين إتزا. لقد انتظروه حتى اليوم الثالث لكنه لم يصل ولم يرسل أي مبعوث له. كان الاستغراب والقلق يسيطران على الجميع؛ لأنهم لم يعرفوا السبب، لكن قلب الأميرة كان يعلم وينتظر. لقد انتهى اليوم الثالث للاحتفالات وتم تحضير المذبح المخصص للقرابين، لكن، سيد الإتزانيين الأعظم لم يصل، لهذا كفّ الذين لا يعرفون السبب عن انتظاره وقالوا: في حفل زفاف الأميرة ساكنيكت من الأمير أو ليل تم انتظار سيّد تشي تشين ثلاثة أيام متتالية لكنه لم يصل. كانت الأميرة ساكنيكت تقف قبالة المذبح وهي ترتدي الألوان الصافية والمزدانة بالوروداً بينما يقترب الرجل الذي ستقدم نفسها له كزوجة. وردة ماياب تنتظر تتخيل الطرقات التي سيأتي منها الملك الذي وهبته قلبها. تنتظر وردة ماياب البيضاء بينما كانيك

الملك الشاب الحزين والصياد القوي يبحث يائسًا في الظلال عن الطريق الذي سيسلكه، ليكمل مشيئة السماء. ففي حفل زفاف الأميرة ساكنيكت من الأمير أو ليل تم انتظار سيد تشي تشين ثلاثة أيام متتالية لكنه لم يصل. لكن الملك كانيك وصل في الساعة التي كان عليه أن يصل فيها، قفز فورًا وسط ساحة أو كسمال يرافقه ستون من رجاله المحاربين المهمين، وصعد إلى المذبح حيث كانت النار تتوهج والكهنة ينشدون، لقد وصل بلباس الحروب وعلى صدره شارة إتزا، وبدأوا يصرخون: إتزالانا! إتزالانا! كما يفعلون في ميادين الحروب.

لم ينهض أحد ضدهم، حدث كل هذا في لحظة، دخل الملك كانيك كالريح الحارقة وأخذ الأميرة بين ذراعيه على مرأى من الجميع، لم يقو أحد على منعه وعندما أرادوا النظر إليه عندها كان قد اختفى. وأمام المذبح بقي الأمير أو ليل مع الكهنة فقط. لقد ضاعت الأميرة أمام عينيه يحملها الملك الذي مرّ مثل البرق. وهكذا انتهت احتفالات الزفاف وفجأة قُرعت القواقع، ودُقت الصنوج، وانطلقت صرخة غضب أو ليل في الشوارع لتجمع رجاله المحاربين. كان الأمير كانيك قد ذهب من مدينته تشي تشين إلى أوكسمال العظيمة، دون أن يراه أحد لقد ذهب عبر الطرقات المظلمة، حيث يوجد ممرات بين الحجارة تحت التربة، في أرض الماياس المقدسة. هذه الطرقات لم يكن يعرفها أحد سوى أولئك الذين كان عليهم أن يعرفوها. وهكذا وصل الأمير كانيك دون أن يراه أحد ليسرق اليمامة العشيقة الحلوة جدًّا على أشعة قمر قلبه. لكن نصال الأسلحة تُسنّ ثانية في ماياب، وتُرفع رايات الحروب ويتوحد الأوكسماليين والمايابيل ضد الإتزيين. آه من الانتقام!! سوف يسقط على رأس تشي تشين وهي لم تنم إلا القليل وقد هدّها التعب وألعاب الأفراح. أخذت الطرقات تمتلئ بغبار المسير والهواء بالصرخات وتقرع القواقع وتضرب صنوج الحرب!

ماذا سيحل بك يا مدينة تشي تشين المتعبة والنائمة من سعادة أميرك؟ كيف غادر الإيتزانيون بيوتهم ومعابدهم في تشي تشين وتركوا مدينتهم الجميلة مضطجعة على ضفاف المياه الزرقاء؟

جميعهم كانوا يمضون في الليل، وهم يبكون على أنوار حملة المشاعل. كلهم مضوا على شكل أرتال، لينفّذوا تعاليم الآلهة وحياة الملك، والأميرة نور ومجد ماياب. أمام أبناء إيتزا كان الملك كانيك يمضي بين حملة المشاعل وسط الجبال، كان ملتفًا برداء أبيض وبلا تاج من

ريش على جبهته. إلى جانبه كانت الأميرة ساكنيكت، وكانت ترفع يدها وتشير إلى الطريق والجميع يسيرون في الخلف، وأخيرًا وصلوا إلى مكان هادئ وأخضر إلى جانب بحيرة ساكنة بعيدًا عن جميع المدن. هناك وضعوا سدة المملكة وبنوا البيوت البسيطة في سلام. وهكذا نجا الإيتزانييون بفضل حب الأميرة ساكنيكت، التي كانت قد دخلت إلى قلب الأمير الأخير لتشي تشين، لينقذها من العقاب؛ ولكي يصنعوا حياتها الصافية والبيضاء. وحيدة وصامتة بقيت تشي تشين وسط الغابة بلا عصافير، لأنها طارت جميعها خلف الأميرة ساكنيكت. وصل إليها أعداد كبيرة من جيوش أوكسمال ومايابان[1] لكنهم لم يعثروا فيها على شيء، ولا على الأصداء في القصور أو في المعابد الفارغة. عندها، أشعل حنقهم النيران في المدينة الرائعة، وبقيت تشي تشين وحيدة وميتة مهجورة إلى جانب المياه الزرقاء. بقيت وحيدة وميتة يعطّر أنقاضها عبير ناعم يشبه البسمة والضوء الأبيض للقمر. ففي كل ربيع تنبت الوردة البيضاء في ماياب، تزيّن الأشجار وتملأ الهواء بأنفاسها الطيبة. وابن أرض المايا ينتظرها ليحيّيها بكل حنان قلبه، وعندها يتم ذكر اسم الأميرة ساكنيكت.[2]

الجميلة اكستاك...أسطورة شعبية هندية

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هناك فتاة قد أسرت بحبها شيخ القبيلة، الزعيم فوفو كاتيفيتي، سيد وملك تلاكس كال، كانت الفتاة رائعة، مثل حبات الذرة الناضجة، وجميلة وبهية مثل الصباح، كل العيون كانت تنظر بحب إلى الأميرة الجميلة اكستاك سيهوات، لكن، الأكثر شجاعة من بين المحاربين وضع عينيه البراقتين وقلبه عليها. وعندما خرج المحاربون، التلاكس كاليين إلى خوض المعركة مع الممالك السبع التي كانت قد اتحدت مع

---

(١)أرض ماياب Mayab هي الاسم القديم جدا لما يسمى اليوم يوكاتان، Yucatan. أرضٌ يبابٌ ووعرةٌ تحت السماء، لكنها من الداخل، تحت التربة الصخرية، فهي تفيض بصمت الكهوف الكبيرة وعيون الماء الهادئ، حيث تأتي إليها الأفاعي والخراف المخملية، لتشرب، في تلك الأراضي التي يمنحها الندى بريقًا في الصباح قبل أن تبدأ الشمس بحرقها، هناك، يمر الهندي بسحنته التي لوّحتها الشمس.ويمضي صامتًا بطيئًا، يثبّت نظراته في المشهد الذي يخبئ ذكريات هنود المايا وحضارتهم القديمة. شيءٌ قليلٌ هوما يُعرف عن ذلك الشعب العريق، كباقي شعوب العالم القديم، وعن الرجال الذين في روابي السهول الصفراء شيّدوا قصورًا رائعة ومعابدَ من حجر، تمتزج فيها منحوتات وجه الهندي مع الزخارف والنقوش البديعة المدهشة.

(٢) من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب..بتصرف

الأزتيكيين، فلقد أعطيت القيادة إلى الربان الأكثر قوة وشراسة. أما الشجاع فوفو كاتيفيتي صاحب الحب الصامت للأميرة، والذي لا يخضع ولا يركع، فلقد طلب أمنية واحدة فقط: يا سيدي، إذا عدتُ منتصرًا فاجعل لي اكستاك سيهوات زوجة فأنا أهيم بها بصمت. والسيد العظيم وعد، والوعد كان احتفالًا عظيمًا على شرف انتصارك، وعلى شرف الزوجة الرائعة مثل الشمس. ومضى فوفو كاتيفيتي الذي لا يهزم أمام رجاله المحاربين، يأخذه الأمل الجميل لقلبه. اجتاز الغابات، صعد التلال، اجتاز السيول الجارفة والبحيرات يقاتل ضد مئات ومئات من الجنود، يصارع وينتصر، ويحارب دون هوادة، لا يهزمه الوهم، وبعد مئات المعارك فها هو بطل عظيم ومنتصر. لقد قاتل فوفو كاتيفيتي، وهو المحارب الأعظم، وقد انتصر، ويعود مكللًا بريش طيور النسور، يعود ليبحث عن الجائزة التي حلم بها كثيرًا، وفي شوارع مدينته يجد الموسيقى وأفراح النصر، لكن، في القصر الكبير للملك كان هناك صمت يجمد القلب. عندها خرج سيد تلاكس كال بخطوة صامتة، ونظرة فاجعة، وأخذ فوفو كاتيفيتي من يده، وجعله يمضي معه في أروقة ظليلة، حتى وصلوا إلى سرداب محفور في الصخر، وهناك رأى الأميرة إكستاك سيهوات ملفوفة بكفن الموت الأبيض. قال الملك الكبير بالسن بصوت مخنوق بالحشرجات: لقد خبأتها لك يا ولدي لكن الموت خطفها. لكن، البطل الذي هزم ستة ملوك، وجعلهم يوقعون معاهدة مع الأزتيكيين، البطل لم يتكلم، فهو يشعر أن انتصاراته قد أحبطت وأن سيده الأعظم قد أهانه.

أحس بقوة خفقان دمه، اهتز قوس النشاب بين يديه، نادى على الظلال، ظلال أسلافه، أطلق صوته إلى السماء التي أعطته النصر لكنها خذلت حبه، وفي الليل يجيء البطل، ويذهب في مكانه، كأنه يهذي وعلى ضوء القمر بدى وكأنه قد أصبح عملاقًا ضخمًا جدًّا. فينطلق، ويأمر، ويصرخ، ويحرك آلاف المحاربين ثم ينطلقون عظماء جميعهم تحت ضوء القمر فيجتازون الغابات ويرفعون التراب، ويحركون الأرض، ويجمعون الجبال في مدرج هائل، ويكومون الصخور، ويرفعونها قبالة النجوم. عندها، يأخذ فوفو كاتيفيتي بين ذراعيه الشابة الحبيبة، ويقفز بها مدرجات الجبال، ويمضي بها، وهناك في القمم يضعها ممددة وبيضاء تحت ضوء القمر وإلى جانبها ينحني المحارب، يضيء بقبعته شعلة الحلم الأبيض للأميرة الهندية الرائعة الجمال. لقد صار الحبيبان إكستاك سيهوات وفوفو كاتيفيتي صارا جبلين ترعى قمتيهما الثلوج تحت شمس أنا هواك كخاتمة حب خالد.[1]

(١) من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب. بتصرف

كان يا ما كان في قديم الزمان عندما ولد البشر، لم يكن هناك شمس، ولا قمر في العالم. عندها اجتمعت الآلهة ليفكروا بالطريقة التي يمكن بها إنارة السماء والأرض، وبذلك يمكن للبشر أن ترى. قالت الآلهة كلمات كثيرة في ذلك المجلس، وفي الختام قرروا أن يقوم إلهٌ بالتضحية بنفسه وأن يتحول إلى شمس. اثنان من الآلهة تطوعًا للتضحية. الأول كان إلهًا غنيًّا وجبارًا، والثاني كان إلهًا فقيرًا ومريضًا. رفعت الآلهة ميزانًا من الحجر، وإلى جانبه أضرموا نارًا كبيرة. استعدت الآلهة طيلة أربعة أيام متتالية، ولقد صام الذين سيذهبون إلى التضحية، وفي اليوم الخامس اصطف الآلهة الآخرون، في صفين طويلين، وأمامهم كانت تشتعل محرقة ضخمة وبراقة.. الإله الفقير والإله الغني كانا جاهزين. صعد الغني ثلاث مرات إلى الميزان وفي المرات الثلاث كان يخاف من الوهج ومن لون الوميض، أما الإله الفقير فقد صعد لمرة واحدة. أغمض عينيه وقفز إلى اللهب مسببًا بذلك الخجل للإله الغني والذي بدوره قذف بنفسه إلى النار أيضا، أطبق صمت طويل كانت الآلهة فيه تنتظر وتنتظر وانتظرت أيامًا أربعة حتى خمدت النار. وفي اليوم الرابع بدأت السماء تتحول إلى الحمرة وأخيرا ظهرت الشمس. وفي الوقت نفسه تقريبًا وفي الجهة المقابلة في السماء ظهر القمر رائعًا وبرّاقًا كالشمس تمامًا. اعتقدت الآلهة أن ذلك كان مجردَ وهمٍ فامتعضوا. أخذ أحدهم أرنبًا، وقذف به نحو القمر، فبدا بياض الأرنب، وقد تعرض إلى بقعٍ من الظل، ولم يبق أكثر من النظر لمعرفة أنّ ذلك قد حصل. كان الآلهة مذهولين، وهم ينظرون إلى الحدث الغريب، لكن، كانت الشمس في صفحة السماء لا تتحرك وكذلك القمر. وعندما نظروا وهم يتساءلون بعيونهم قالت الشمس: القوا بأنفسكم أيضًا علكم تصيرون نجومًا في السماء. وأيقظت الشمس ريحًا قويةً وغريبةً ضربت الأرض وخطفت الآلهة وحوّلتها إلى نجوم، سمّرتها في السماء. وعندئذ دار كل شيءٍ في الفضاء بفضل قوة الرياح تلك. ومن ذلك الوقت تتقد النجوم عندما تنطفئ الشمس.. وتنطفئ عندما تضيء كل هذا قاله كيتزا لكوتال إلى الرجال في مدينة تويان العظيمة. لكن ماذا يقول الناس عن الإله الطيب اله الحياة اله العطاء، عن الحيّة ذات الريش؟ أي معنى الاسم الرائع لكيتزا لكوتال الذي عاش في تويان، حيث كان الناس سعداء فلقد علّمهم كيتزا لكوتال أن يكونوا سعداء، لأنه علّمهم أن يعملوا وأن يتمتعوا بالعمل.

في توبيان كان الناس يعملون في الأرض وكان نبات الذرة ينمو في عرانيس كأنها من ذهب، والقطن كان ينبت بكل الألوان كي لا يضطر الناس لصبغه بعصير جذور الأعشاب. في توبيان سبك الناس الفضة والذهب، وقد صقلوا الأحجار الكريمة، وصنعوا التماثيل والبيوت من الحجارة. زخرفوا فسيفساءات بريش طائر كيتزال[١]، وريش طائر الكوليبري[٢] وطائر الغواكامايو[٣]، وكتبوا الشمس والقمر بإشارات، وكذلك حركة الأفلاك.

لقد علّم كيتزالكوتال كل هذا إلى ناس توبيان. ما عدا فن الحرب، لهذا لم تصبغ حقولهم أية دماء بشرية أبدا..ولهذا فإن ناس توبيان وقّروا كيتز الكوتال. ولهذا السبب شيّدوا له قصرًا ومذابحَ مغطاة دائمًا بالخبز والورود والمسك. فقبل مجيء كيتزال كوتال لم يكن ذرة في توبيان، إذ كان الناس يعيشون على جذور النباتات والصيد. فقد كانت الذرة مختبئة بين الجبال ولم يكن بمقدور أحد أن يجلبها إلى الناس، آلهة كثيرون حاولوا أن يفصلوا الجبال التي كانت تغلق الممر إلى حقول الذرة ولم يتمكنوا من ذلك، وفي أحد الأيام جاء كيتزا لكوتال وعرف كيف يصنع الأشياء بطريقة ثانية أفضل من طريقة القوة. فلقد حوّل نفسه إلى نملة سوداء ونملة حمراء، وبدأ يصعد الجبل الذي كان نبات الذرة ينبت خلفه. كان الجبل شاهقًا تكاد قمته تصل إلى السماء، وحوافه حادة ومنحدرة، وكان الوادي عميقًا؛ لهذا كان جبارًا ذلك الجهد الذي يجب بذله لاجتياز كل تلك المعيقات الخطيرة، لكن كيتزا لكوتال كان يشعر بحب الناس في قلبه، ولهذا لم يسمح للتعب أن يهزمه، فنجت النملتان من المعيقات. صعدت النملتان صخورًا حادة وشاهقة، وعبرتا الحواف الصاعدة باتجاه السماء، وفي النهاية وصلتا إلى المكان الذي تنبت فيه الذرة. أخذ كيتز الكوتال بفكّيه كنملة حبة ذرة ناضجة جدا وعاد إلى توبيان.وهناك زرعها الناس لأول مرة. ومن ذلك الوقت تخلوا عن الصيد،

---

(١)طائر الكيتزال طائر من طيور أمريكا الوسطى.

(٢)طائر الكوليبري طائر أمريكي حجمه صغير جدا له منقار طويل ومدبب له ريش كثيف يسمونه العصفور الذبابة.

(٣)طائر الغواكامايو طائر ببغاء كبير ريشه أحمر وأزرق وأصفر.

ويدأوبناء المدن والمعابد تغمرهم السعادة، منذ ذلك الوقت، وقَر واحترم جميعهم كيتزال كوتال، الإله الطيب صديق الناس، إله الهواء والحياة.[1]

القبلة التي أنقذت العالم من الطوفان... أسطورة شعبية يونانية

كان يا ما كان في قديم الزمان حبيبين هما «ديوكالين ويبرها»كانا يحبان بعضهما حبًّا عارمًا، وكان ديوكالين علي استعداد لفعل أي شيء في سبيل أن يبقى هذا الحب، وكان دائمًا ما يلتقي بها يبوح لها بحبه الجارف، ينظر في عينيها فينسى كل المتاعب التي قابلته في يومه، وتنظر إليه فتنسى كل المحاولات لقتل هذا الحب العذري البريء، هنا تواعدا علي قمة الجبل الذي شهد قصة حب لم يعرف التاريخ لها مثيلًا، وحدثت المفاجأة التي لم تكن تخطر لهما علي بال، فقد قرر «زيوس» أن يغرق العالم، فطفح الماء ليغطي كل شيء، ووصل إلى القمة التي يقف عليها الحبيبان، وفي لحظة الحب الوداعية تلك نظر العاشق في العينين الخضراوين الزبرجديتين للمحبوبة وهي تقول له: لن أدع يدك تفلت من يدي، وأراد أن يقبل تلك اليد، لكن الحبيبة أبت إلا أن تذهب القبلة الثمينة الخالدة إلى مكانها الخالد المقدس عند قرمز الشفتين المرتعشتين.. فلما كان لها ما أرادت رق قلب زيوس ورهطه وتراجعوا عن قرار إغراق الأرض إكرامًا لتلك القبلة الصادقة التي ولدت تحت هاجس الخوف من الفقدان.

الملك ميداس.. أسطورة شعبية تركية

كان يا ما كان في قديم الزمان ـ ملك من ملوك الروم، اسمه (الملك ميداس)، وكان لهذا الملك بنت صغيرة، غاية في الجمال اسمها مريم، وكان يحبها حبًّا جمًّا، ولكن هذا الحب لا يوازي حبه للذهب وشغفه بالمال والثراء، حتى أطلق عليه ـ عاشق الذهب.

جمع هذا الملك في قصره كنزًا كبيرًا من الذهب، ووضع ذلك الكنز في سرداب مظلم في قصره، وكان يذهب إليه يوميًّا ليملي ناظريه برؤية ذلك الكنز المملوء بالنفائس الذهبية، ودائمًا ما كان يقول لنفسه: ما أسعدك يا ميداس! وما أو فر مالك!

---

(١)من كتاب: حكايات وأساطير عالمية أحمد يعقوب.. بتصرف.

وكان يشعر في نفسه أنه لا يزال فقيرًا إلي المال، يود لو أصبح العالم كله كنز مملوءًا بالذهب، ولا يرتاح باله إلا إذا تحققت له هذه الأمنية.

وبينما هوفي السرداب، رأى طيفًا، فنظر إليه مدهوشًا متعجبًا لدخول هذا الغريب السرداب وهو الحريص علي غلق الباب جيدًا، عند ذلك أدرك الملك أن هذا الغريب ليس إنسيًا.

فقال له الزائر الغريب: أراك مهمومًا رغم ما عندك من الذهب، هل تطلب المزيد؟

– أخبرني ماذا تريد؟وأي شئ يرضيك؟ تمنَّ ولك كل ما تتمناه.

– ليس لي في الحياة إلا أمنية واحدة

– وما هي؟

– أن يتحول كل شيء ألمسه ذهبًا.

– أخشى أن تندم إذا حققت لك رغبتك.

– لا هذه هي رغبتي الوحيدة.

– تحت أمرك في الفجر كل شيء تلمسه سيصير ذهبًا.

وفجأة تلفت الملك فلم ير أحدًا في الحجرة إلا شعاع الشمس الذي انعكس على الذهب الذي جمعه في السرداب.

استيقظ الملك من نومه في الصباح مندهشًا لتحقق أمنيته، فقد رأى غطاءه الذي كان يلتحف به قد أصبح ذهبًا خالصًا، ولمس ميداس أحد أعمة السرير، فإذا بالسرير كله يتحول إلي كتلة هائلة من الذهب، ففرح فرحًا شديدًا لما رأى، فأمسك بنظارته ليرى جيدًا وتزول عنه الدهشة، فإذا به لا يرى بها شيئًا، فأمعن النظر في نظارته، فإذا زجاجها قد تحول هو الآخر ذهبا، فأصابه الضيق والهلع، بيد أن فرحته أنسته عناء التفكير في أي شيء آخر.

وعلي مائدة الإفطار تعجب من عدم وجود ابنته الجميلة، فدائمًا ما تتواجد معه وهو يتناول وجبة الإفطار، فأمر باستدعائها إليه، جاءت باكية حزينة، فأراد أن يزيل حزنها،

فأمسك بقدحها فتحول القدح ذهبًا خالصًا، ظن أن هذه المفاجأة ستدخل السرور والبهجة على ابنته، ولكنها زادت في البكاء والنحيب، فسألها ما الخطب يا عزيزتي؟

فقالت له: انظر إلي هذه الزهرة يا أبي؟!

فقال لها: يا لها من زهرة جميلة.

قالت له: بل ما أقبحها من زهرة.

قال لها: لماذا يا حبيبتي؟!

قالت له: لقد ذهبت إلي الحديقة لأقطف وردة فوجدت الأزهار ذابلة صفراء بلون الذهب، ولم تفح منها تلك الرائحة الذكية التي تملأ الأرجاء عطرًا، فأي خطب ألم بحديقتنا؟

لم يستطع أن يخبرها بالحقيقة، وبدأ يلاطفها حتى تنسى مصيبتها، وقال لها: هوني عليك يا عزيزتي واشربي ما أعد لك من المرق اللذيذ، وبدأ في ارتشاف قهوته المفضلة فلم تكد تمس شفتيه حتى تحولت سائلًا ذهبيًا ثم جمدت بعد لحظة قصيرة، فأصبحت قطعة من الذهب، فاستولى عليه الحزن والغم وصاح قائلًا: ما أشقاني..ما أتعسني، كل الطعام صار ذهبًا فجن جنونه وأيقن أنه هالك لا محالة من الجوع.

ومع مرور الوقت اشتد به الجوع، وجف حلقه عطشًا، وتملكته الحيرة، واستولى عليه الحزن، وحاولت ابنته الجميلة أن تعرف سر آلامه، ومصدر أحزانه، فلم يبح لها بشيء، ولكن حبها لوالدها دفعها لأن تطوقه بذراعيها في حضن أبوي فقبلها وياهول المفاجأة! لقد رأى العجب العجاب، وحل بابنته ما كان يخطر له علي بال! فصاح مذعورًا خائفًا: أجيبيني أيتها العزيزة، أجيبي نداء أبيك آه ياحبيبتي، ولكن ابنته لم تنطق ببنت شفة، فقد تحولت طفلة الملك إلي قطعة من الذهب، وما أن رأى ما أحل بأعز من في الوجود حتى لعن الذهب، ولعن الساعة التي ظفر بتحقيق هذه الأمنية الحمقاء.

وأطال ميداس تأمله، واستغرق في تفكيره، حتى كاد يسلمه الحزن إلي الذهول، وإنه لغارق في أحزانه وآلامه حتى حتى رأى أمامه ذلك التابع الذي كان يحدثه بالأمس، فقال له التابع: لعلك سعيد بما ظفرت به من كنوز الذهب؟

فقال له: ليس في الدنيا كلها أشقى مني!

فقال التابع: ليس معقول ما تقول، ألم تكن تلك أغلى أمنياتك؟

فقال الملك: الآن أيقنت أن السعادة ليست في الذهب ولكنها شيء آخر!

فقال له التابع: لقد تغير كلامك عن البارحة، فما هو الأفضل لك الآن ملء العالم ذهبا، أم كوب من الماء العذب؟

فصاح الملك: إن كوبا من الماء العذب أغلى عندي من كنوز الأرض كلها، فقد جف حلقي وكدت أهلك من العطش.

وسأله: ما الأفضل ملء الأرض ذهبا أم كسرة من الخبز تسكت بها جوعك؟

فقال الملك: إن كسرة الخبز لتعدل كنوز الدنيا قاطبة.

فقال التابع: ما الأفضل لك ملء الأرض ذهبا أم ابنتك الحبيبة إلي قلبك؟

فقال الملك وهو يعض أنامل الندم: إن كنوز الدنيا لا تساوى ابتسامة ابنتي العزيزة.

فقال التابع وتظهر على ملامحه علامات الجد: الآن أدركت أن أتفه الأشياء التي لا يعجز عن إدراكها أفقر الناس، أثمن من كنوز الأرض قاطبة، هل تريد الآن أن ترجع كما كنت، وتعود سيرتك الأولى؟

قال ميداس: أرجوك حقق لي هذه الأمنية.

فقال التابع: لا بأس، اذهب إلي الغدير الذي يجرى في حديقتك، واستحم فيه، ثم املأ منه إناء واسكب منه علي كل شيء تريد أن تعيده إلي أصله، لم يفطن الملك لاختفاء التابع وجرى مسرعًا إلي جرة كبيرة من الفخار، ولم يكد يلمسها حتى تحولت ذهبًا، ثم أسرع يعدو إلي الغدير فألقى بنفسه فيه.

وملأ الجرة من مائه فتحولت الجرة فخارًا، ففرح كثيرًا، وشعر بسعادة عارمة تجتاح نفسه الحزينة، وعاد مسرعًا إلي قصره وسكب قطرات من الماء علي ابنته، فعادت كما كانت، وقد عجبت من أبيها وهو يبللها بالماء، ولم تدر ما حدث ولم تذكر شيئا مما وقع لها.

وقضى الملك بقية حياته سعيدًا، ولم يبق من هذه الذكريات سوى شعر ابنته الجميل الذي ظل يبرق لَمَّاعًا كالذهب....![1]

أفسِح الطريق.. أسطورة شعبية أسبانية

في قرى الأندلسِ الجبليةِ كانت الشوارعُ ضيقةً والبيوتُ قريبةً من بعضِها البعضِ لدرجةِ أن سكانَها كانوا يستطيعون مصافحةَ بعضهم البعض دون الخروج من منازِلهم.

كان يتوجّب على المشاةِ أن يفسحوا الطريقَ حتمًا عند لقائهم بحمارٍ يجر عربةً، أما السلال الكبيرة المحمولة على هذه الحيواناتِ، فكانت تلامس جدرانَ البيوتِ، بالإضافةِ إلى ذلك، فسكان الجبال شعبٌ حاد الطباع ولا يطيق صبرًا رؤية الحيوانِ وهو يتثاقل في المشي، لذا كان على هذا الحيوان أن يجري بمنتهى السرعةِ مما قد يؤدي إلى حوادثٍ كثيرةٍ؛ ولهذا السبب قام عمدةٌ وقاضي إحدى هذه القرى بإصدارِ أمرٍ صارمٍ يقضي بأن يقوم كلُّ شخص يقود حيوانًا في شوارعِ القريةِ أن يصرخَ من بعيدٍ: أفسح الطريق! وعليه أن يصرخَ بصوتٍ عالٍ حتى يكون بإمكان الأبكم والأصم أن يسمعَ.

وكان الفلاح سانجو يعرفُ هذا الشيء. فقد كان يقودُ حماريه إلى سوقِ المدينةِ كلَّ يومٍ وكان يكثرُ من ضربِ الحمارين بالعصا. كان حماراه ينهبان الأرضَ نهبًا وكأنهما جيادُ سباق، وكان سانجو قادرًا أيضًا على الصراخِ عاليًا أكثر من غيرِهِ.

كانت صيحتُهُ رنّانةً مثل العندليبِ حتى أن المارة كانوا يسمعون من على بُعد صوته العالي: «أفسح الطريق!»، وكان عندهم الوقتَ الكافي لإخلاء الطريقِ والاختباء في مكانٍ آمنٍ.

ذات مرة ليلًا، كان سانجو عائدًا من السوقِ مع حماريه وفجأةً رأى امرأتين في الطريقِ، وكانتا ترتديان تنورتَين واسعتَين وطرحتَين أنيقتين مزركشتين بالدنتلا، من الممكنِ أنهما كانتا بصددِ زيارة أحد ما، لكنهما التقيتا صدفةً وبدأتا بالحديثِ .وكان هذا الحديث حاميًا، هذا لم

---

(١) قصة للأستاذ رشاد كامل الكيلاني.. بتصرف.

يكن حديثًا، إنما كان نقاشًا حقيقيًا، لأنهما كانتا تلوحان بأيديهما، وكانت كلُّ واحدة منهما تحاولُ أن تصرخَ أكثر من الأخرى بكلِّ ما أوتيت من قوةٍ. عندئذٍ ضرب سانجو حماريه بالعصا وصرخ بأعلى صوتِهِ وبكلِّ ما استطاع من قوةٍ: أفسحوا الطريق!

لكن السيدتين كانتا مشغولتين بالنقاشِ الذي تطوّر إلى حد أن تشبثت كلُّ واحدة بشعر الأخرى ولم تهتما لصرخات سانجو.

أدرك الحمّارُ أن الوضعَ سيئ وأنه بعد دقيقة واحدة ستحدث مصيبةٌ، عندئذ بدأ بالصراخِ مرةً أخرى بأعلى صوتِه حتى أنه بدا أن صراخ سانجو قد سمعه مَن كان يسكنُ في مكانٍ بعيدٍ جدًّا.

لكن حتى صراخَه بأعلى صوتِهِ لم يمنع من وقوع ما حدث. حيث إن الحمارَين اصطدما بالسيدتين اللتين سقطتا على الأرضِ وقد توسّخت طرحتاهما بالترابِ.

وعلى الفورِ هبّتا واقفتين متناسيتين الخصومةَ، وانقضتا على سانجو الذي لا ذنب له. صرختا عليه في وقتٍ واحدٍ: أيها الوقح! إلى أين تقود حماريك؟ سيجبرك القاضي على دفعِ ثمن ملابسَنا المتسخة. ومن دون أن يضيعا الوقت اتجهتا إلى منزلِ القاضي، لكن سانجو أيضًا لم يقف متفرجًا وكان يخاطب نفسَه: إذا وصلتا قبلي إلى القاضي، فسأكون أنا المذنبُ. لكن إذا وصلت قبلَهما فأستطيع أن أبرئ نفسي.

ترك حماريه في أولِ حوشِ منزلٍ يصادفه وذهب عبر البساتين وأسوار المنازل إلى القاضي بأسرع ما يمكن. وصل سانجو إلى القاضي قبل السيدتين وأخبره بكل ما حدث وبكل صراحةٍ.

استمع القاضي إلى الفلاحِ وبعد تفكيرٍ قال له: مساعدتك لن تكون سهلة؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يبرهن أنك بالفعلِ حذّرت هاتين السيدتين بالصراخِ، وأستطيع أن أنصحك بشيء واحدٍ فقط وهو أنه مهما قالتا لك ومهما اتهمتاك به فالزم الصمت. حتى لو أني اتهمتك ظلمًا فأيضًا الزم الصمت؛ حتى لو أمرت بأن يأخذوك إلى السجنِ، لا تتفوّه بأي كلمةٍ، أنا أريد أن تعتبرك السيدتان أبكم. وفي هذا خلاصك، هذا ما قاله القاضي. ونادي على اثنين من حرّاس الشرطةِ وأمر بأن يرافقا الفلاحَ إلى قبو المبنى حيث ينتظر المذنبون المحاكمةَ، وحدث

هذا في الوقتِ المناسبِ؛ لأنه في نفسِ الوقتِ اقتحمت السيدتان المحتدمتان غيظًا المبنى. كانتا تصرخان تقاطع كل منهما الأخرى بأن حمارين أسقطاهما أرضًا، ومزّقا ملابسَهما ومرّغا بالترابِ الطرحتينِ المزركشتين. والحمارُ الثالثُ حتى لم يبذل جهدًا بتحذيرهما بالصراخِ. وهو بذلك قد خالف أمر القاضي ويجب عليه أن يشتري لهما طرحتينِ جديدتينِ.

ضربَ القاضي بكفّيه فاقتاد الشرطيان سانجو الحزين. كان سؤال القاضي للفلاحِ صارمًا: أيها الفلاح سانجو، ألا تعلم بأمري الصارم؟ لماذا لم تصرخ: أفسح الطريق عندما كنت تقود حماريك عبر شارع القريةِ؟

لكن سانجو لم ينبس بكلمةٍ ولزم الصمت.

قال القاضي: أجب أيها الفلاح!

لكن الفلاح استمر في الصمتِ.

هدّده القاضي: إذا كنت تريد أن تسخر مني، سأرسلك إلى السجنِ!

وأيضًا لم يرد الفلاح على هذه الكلماتِ المخيفةِ.

عندئذ أخذ القاضي ورقةً وغمس الريشةَ في المحبرةِ وكما لوأنه كان سيصدر الحكم، لكنه بعد تفكير وضع الورقةَ جانبًا.

بعد أن هزّ كتفيه قائلًا للشاكيتين: أيتها السيدتان الموقرتان، يبدولي، أنني لا أستطيع أن أحكم على هذا الشخصِ.كما تريان فهو أبكمٌ وغير مسئول عن أفعالِهِ.

هذا القرارُ لم يعجب السيدتين، وأدركتا أنهما لن تحصلا على أي قرشٍ من هذا «الأبكم» تعويضًا عن الطرحتين الممزقتين وبدأتا بالصراخِ في آن واحدٍ: أهو فعلًا أبكم؟ إن هذا المحتال بكل بساطةٍ يسخرُ منك يا حضرة القاضي! إنه ذو حنجرة قوية حيث إن صرخته أفسح الطريق! أفسح الطريق! كانت مسموعة في كل الشارع وكان يصيح بأعلى صوته!

هنا انفجر القاضي ضاحكًا: اذهبا إلى بيتيكما أيتها الحسناوتان. هل أدركتما ما قلتاه لي الآن؟ لقد شهدتما بنفسيكما بأن سانجو نفّذ أمري وحذّركما بصراخِه العالي! لذا يتوجّب عليكما إصلاح العباءتين بنفسيكما.

انصرفت السيدتان وقد أصابهما الخجلُ بينما أمر القاضي حراس الشرطةِ بإطلاقِ سراح الفلاح.

قصة واق واق... أسطورة شعبية فلسطينية

كان يا ما كان في يوم من الأيام على مرّ الدهور والأعوام وعلى رسول الله أزكى الصلاة والسلام كان الملك يعيش مع وزيره في سعادة وأمان سأل الملك وزيره: هل الكرم جهود أم من الموجود؟ أجاب الوزير: من الموجود. قال الملك لا بل هو جهود أراد الملك أن يعلم وزيره درسا عمليًا حيًا كيف يكون الكرم جهودًا وليس من الموجود خرجا معًا يتفقدان الرعية فوجدا في طريقهما تاجرًا غنيًّا وما غني بحق إلا الله، نزل كلاهما ضيفين عزيزين عند التاجر الذي قدّم لهما أفخم الطعام والشراب وما يصلح للملك ووزيره.سأل الملك وزيره: هل الكرم جهود أم من الموجود؟ أجاب الوزير بنفس إجابته السابقة: بل من الموجود يا ملك الزمان، فلولم يكن موجود عند التاجر هذا الخير كله لما قدّمه إلينا.استمر الاثنان برحلتهما، ولكن هذه المرة متخفيين، وفي الطريق قابلهما بيت من الشَّعَر لأعرابي فقير. قالا له نحن ضيوفك. قال الأعرابي بل أنتم ضيوف الرحمن، ذبح لهما شاة ليتناول بصحبتهما الطعام، قال الملك: أنا لا أريد هذه الشاة، أريد الشاة الثانية، ذبح الأعرابي الشاة الثانية، فقال الوزير: وأنا أريد هذه الشاة فذبحها الأعرابي؛ ليقدم لهم طعاما عبارة عن ثلاثة من الشياة. سأل الملك وزيره بعد أن تناولا الطعام: هل الكرم جهود أم من الموجود؟ أجاب الوزير بل من الموجود يا ملك الزمان. سأل الملك الأعرابي: يا رجل هل تعرف من نحن؟ أجاب الأعرابي؟ لا. سأله الملك: ماذا تملك من مال حتى تذبح لنا ثلاثة من الشياة؟ قال الأعرابي: لا أملك غير ما ذبحت لكما من الشياة الثلاثة، أبيع وأشرب لبنهن كل يوم فأعتاش وأسرتي عليهن، وهنا أقرّ الوزير أن الكرم جهود وليس من الموجود، طلب الملك من الأعرابي أن يأتي إليه يوم الجمعة في أكبر مساجد المدينة، ليغدق عليه من المال مكافأة له على كرمه وحسن ضيافته.وفعلًا جاء الأعرابي إلى المسجد ؛ ليجد الملك يرفع يديه إلى الله يسأله حاجته وقد وقف بالناس خطيبًا وإمامًا. قال الأعرابي: لا تسألن بُنيّ آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُغلقُ الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنيّ آدمَ حين يُسألُ يغضبُ، عاد الأعرابي إلى بيته وقد استحى من ربه أن يطلب من مخلوقه شيئا.قال الأعرابي لزوجته: هيا بنا نرحل من هذا المكان إلى مكان آخر فيه الخصب والكلأ والماء، بدا الأعرابي بنصب مضربه المعهود من الشَّعر، وعندما كان يدق في الأرض وتدا لخيمته عثر على جرة من المال. بني الأعرابي قصرًا كبيرًا فاخرًا وجعله سبيلًا للمحتاجين يقدم فيه الطعام والشراب واللباس والنوم وكل ما يلزم للراحة. انتظر الملك ووزيره الأعرابي طويلًا وركبا الخيل وأخذا يبحثان عنه حتى اهتديا إليه، سأل الملك وزيره: لمن هذا القصر؟ وهل هنا في مملكتي قصر آخر غير قصري؟ هل يوجد في

مملكتي ملك غيري؟ أجاب الوزير: لا يا ملك الزمان. قال الملك: لمن هذا القصر؟ وصل الملك وبصحبته الوزير إلى القصر، وقرع الوزير الباب، فإذا بالأعرابي يخرج إليهما بلباسه البالي القديم ويطيبته المعهودة.سأل الملك الأعرابي: من أين لك كل هذا الملك والخير والمال؟ أجاب الأعرابي بما حدث معه صادقا.قال الوزير للملك: إن المال الذي عثر عليه هو مال المملكة يا ملك الزمان ونحن الذين وضعناه في القدر وأخفيناه هنا. مرّ من فوق الثلاثة طير يقول؟ كاك.... كاك. ...طلب الملك من وزيره أن يفسر له ماذا يقول الطير لكنه لم يعرق.نظر الملك إلى الأعرابي وقال: ماذا يقول الطير يا رجل؟ قال الأعرابي: أعطني الأمان يا ملك الزمان.قال الملك لك الأمان.قال الأعرابي: كاك الأولى معناها: سبحان من رزق العباد من غير شَيء وكاك الثانية سبحان من جعل الأعمى يمشي من غير ضَوء وكاك الثالثة لعنة الله على من كان محضره محضر سَوء.

قصة: وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان...أسطورة شعبية فلسطينية

كان أخوان اثنان يعيشان في رغد وسعة من العيش، أنجب أحدهما بنتا وأنجب الآخر ولدًا، ولم ينجبا بعدهما شيئًا، اتفق الاثنان أن يزوجا البنت للولد بعد بلوغهما سن الزواج وتعاهدا على ذلك، مات أحدهما وهو أب البنت، ثم ماتت أمها فيما بعد، وعاشت البنت عند عمها الذي لم يعش بعدهما طويلًا. أصبح الشاب يعيش مع بنت عمه في بيت واحد، وكان لكليهما ماله وتجارته الموروثة عن أب كل منهما، كان للشاب صديق عزيز على قلبه، عندما رأى بنت عمه خطبها إليه، وافق الشاب على زواج صديقه من بنت عمه، تزوج الشاب الفتاة، وسافر بها إلى بلاد بعيدة.حزن الشاب على فراق بنت عمه حزنًا شديدًا، وأثّرت شدة حزنه على تجارته وأرباحه، وبدأ بالتراجع حتى خسر كل ما يملك من تجارة ومال. شعر الشاب أن كل ما أصابه كان بسبب ذلك الشاب الذي تزوج من بنت عمه فعزم على الانتقام منه.رحل الشاب من موطنه عازمًا على قتل صديقه، وسافر الليالي والأيام حتى اهتدى إليه، كان يسكن صديقه مع بنت عمه في قصر شامخ، استأذن في الدخول على صديقه ولكن صديقه امتنع عن مقابلته.عاد الشاب حزينًا هائمًا على وجهه، وظل يمشي حتى وصل إلى شاطئ البحر، وهناك وجد اثنين يتخاصمان على صندوق كل يدعي ملكيته، طلب الاثنان من الشاب أن يحكم بينهما وقد ارتضياه حكمًا لهما، كان الشاب قد أصرّ في نفسه أمرا. ألقى الشاب حجرًا في البحر وقال لهما: اذهبا وابحثا عنه وأيكما أتاني به فالصندوق له.

ذهب الاثنان ليبحثان عن الحجر، وخطف الشاب الصندوق وفرّ به هاربا ليجده ممتلئًا بالذهب والمال. عزم الشاب أن يعود إلى ذات البلدة التي يعيش فيها صديقه الذي تزوج من بنت عمه، والذي كان سببًا في دماره، من أجل منافسته والكيد له، ويبدأ بالتجارة، واشترى البيوت والقصور والمتاجر ببضائعها، حتى لمع نجمه وانتشر خبره وأصبح من كبار أعيان المدينة، ترك العاملون عند صديقه أعمالهم والتجأوا إليه رغبة في زيادة الأجر، وكان لا يرفض عاملا جاءه باحثا عن رزقه. وفي يوم من الأيام جاءته امرأة عجوز أشفق عليها، وجعلها تعمل في تجارته، كانت هذه المرأة العجوز تعتبر الشاب مثل أبنائها وكانت تهتم بشأنه كثيرًا، طلبت منه مرة أن يتزوج، عارضة عليه أجمل بنات المدينة، ولكنه رفض. وفي يوم دخلت على متجره بنت جميلة تريد الشراء، نظر إليها الشاب وقال للعجوز: أريد هذه البنت. ذهبت المرأة العجوز لخطبة الفتاة على ذلك الشاب، ودعا الشاب جميع وجهاء وأعيان المدينة، حضر الجميع وكان صديقه من بين الحاضرين. وعندما انتهى حفل الزفاف، وذهب الجميع إلى بيوتهم، نظر في مكان ما من قصره، فإذا بصديقه يجلس ويرفض الخروج، جاءه مسرعًا ومخاطبًا، ما الذي يجلسك؟ أليس كل المدعوين قد انصرفوا إلى بيوتهم؟.قال صديقه: لا أريد الانصراف، ففرحك هو فرحي، وسعادتك هي سعادتي، ويجب أن أقوم بواجبي معك كاملًا، ولن أتركك. رد عليه الشاب قائلًا: أنت كاذب، ولو كنت صادقًا لخرجت لاستقبالي يوم أن زرتك في قصرك. قال صديقه: في يوم زيارتك لي، كنت جالسًا في اجتماع هام لكبار أعيان ووجهاء المدينة، وقد أثنيت عليك بحضورهم، وأبلغتهم عنك بأنك الوجيه الفاضل والشهم الكريم، والتاجر الكبير، ولما نظرت إليك من نافذة قصري وأنت في ثيابك البالية، خشيت أن تدخل قصري فتتأثر صورتك التي رسمتها لهم فأكون في نظرهم كاذبًا وتبدو أنت في نظرهم في صورة ليست بالصورة التي أبلغتهم عنك. أما المرأة العجوز التي كانت تحضنك وتخدمك فهي أمي. وأما الاثنان اللذان كانا يتخاصمان على الصندوق على شاطئ البحر فهما أخواي أرسلتهما لك ومن أجلك.وأما زوجتك التي تزوجتها فهي ابنتي.وأما العمال الذين هم عندك فهم عمالي أرسلتهم لك.وأما بضاعتك وأملاكك وقصورك ومحلاتك التجارية فقد كانت ملكًا لي تنازلت عنها لك ومن أجلك. وأنا لا أنسى فضلك، يوم أن آثرتني على نفسك وزوجتني من بنت عمك.

جلجامش...أسطورة شعبية عراقية:

كان يا ما كان في قديم الزمان كان جلجامش ملكًا وكان والده بشرًا فانيًا ووالدته آلهة خالدة، وبسبب الجزء الفاني من دمه يبدأ بإدراك حقيقة أنه لن يكون خالدًا، وهذا الملك لم يكن ملكًا محبوبًا من قبل شعبه حيث كانت له عادة سيئة وهو ممارسة الجنس مع كل عروسة جديدة في ليلة دخلتها، قبل أن يدخل بها العريس، وكان يجبر الناس على بناء سور ضخم حول أورك المدينة التي يسكن بها.

وتوجه الناس إلى الآلهة لتجد لهم مخرجا من ظلم جلجامش فاستجابت الآلهة وقامت إحدى الآلهة واسمها (أرورو) بخلق رجل له شعر كثيف يغطي جسده ويعيش في البرية يأكل الأعشاب ويشرب الماء مع الحيوانات، كان أنكيدو يخلص الحيوانات من مصيدة الصيادين الذين كانوا يقتاتون على الصيد، فقام الصيادون برفع شكواهم إلى الملك جلجامش، الذي أمر إحدى خادمات المعبد بالذهاب ومحاولة إغراء أنكيدو ليمارس الجنس معها، وبهذه الطريقة سوف تبتعد الحيوانات عن مصاحبة أنكيدو، ويصبح أنكيدو مروضًا ومدنيًا.

حالف النجاح خطة الملك جلجامش وبدأت خادمة المعبد وكان اسمها (شامات) وتعمل خادمة في معبد الآلهة عشتار، بتعليم أنكيدو الحياة المدنية من كيفية الأكل واللبس وشرب النبيذ، ثم تبدأ بإخبار أنكيدو عن قوة جلجامش، وكيف أنه يدخل بالعروسات قبل أن يدخل بهن أزواجهن، وعندما يسمع أنكيدو هذا الشيء اشتاط غضبًا وقرر أن يتحدى جلجامش في مصارعة؛ كي يجبره على ترك تلك العادة.

يتصارع الاثنان بشراسة حيث إن الاثنين متقاربان في القوة ولكن في النهاية تكون الغلبة لجلجامش ويعترف أنكيدو بقوة جلجامش وبعد هذه الحادثة يصبح الاثنان صديقين حميمين.

يحاول جلجامش دائمًا القيام بأعمال عظيمة؛ لكي يبقى اسمه خالدًا فيقرر في يوم من الأيام الذهاب إلى غابة من أشجار الأرز ويقطع جميع أشجارها، ولكي يحقق هذا يجب عليه القضاء على حارس الغابة، الذي هو مخلوق ضخم وقبيح واسمه (هومبابا)، ومن الجدير بالذكر أن غابة الأرز كان المكان الذي يعيش فيه الآلهة.

يبدأ جلجامش وأنكيدو رحلتهما نحو غابات أشجار الأرز بعد حصولهما على مباركة من إله الشمس، وأثناء الرحلة يرى جلجامش سلسلة من الكوابيس والأحلام، لكن أنكيدو الذي كان في قرارة نفسه متخوفًا من فكرة قتل حارس الغابة يطمئن جلجامش بصورة مستمرة على أن أحلامه تحمل معاني النصر والغلبة.

وعند وصولهما الغابة يبدآن بقطع أشجارها، فيقترب منهما حارس الغابة هومبابا، ويبدأ قتال عنيف، ولكن الغلبة تكون لجلجامش وأنكيدو حيث يقع هومبابا على الأرض ويبدأ بالتوسل منهما كي لا يقتلاه، ولكن توسله لم يكن مجديًا،حيث أجهز الاثنان على هومبابا وأردياه قتيلًا.

أثار قتل حارس الغابة غضب آلهة الماء (أنليل) حيث كانت أنليل هي الآلهة التي أناطت مسؤولية حراسة الغابة بهومبابا.

بعد مصرع حارس الغابة الذي كان يعتبر وحشًا مخيفًا، يبدأ اسم جلجامش بالانتشار ويطبق شهرته الآفاق، فتحاول الآلهة عشتار التقرب منه بغرض الزواج، ولكن جلجامش يرفض العرض، فتشعر عشتار بالإهانة وتغضب غضبًا شديدًا، فتطلب من والدها آنو إله السماء أن ينتقم لكبريائها فيقوم آنو بإرسال ثور مقدس من السماء، لكن أنكيدو يتمكن من الإمساك بقرن الثور ويقوم جلجامش بالإجهاز عليه وقتله.

وبعد مقتل الثور المقدس، يعقد الآلهة اجتماعًا للنظر في كيفية معاقبة جلجامش وأنكيدو لقتلهما مخلوقًا مقدسًا فيقرر الآلهة قتل أنكيدو؛ لأنه كان من البشر أما جلجامش فكان يسري في عروقه دم الآلهة، من جانب والدته التي كانت آلهة فيبدأ المرض المنزل من الآلهة بإصابة أنكيدو الصديق الحميم لجلجامش فيموت بعد فترة.

بعد موت أنكيدو يصاب جلجامش بحزن شديد على صديقه الحميم، حيث لا يريد أن يصدق حقيقة موته، فيرفض أن يقوم أحد بدفن الجثة لمدة أسبوع، إلى أن بدأت الديدان تخرج من جثة أنكيدو، فيقوم جلجامش بدفن أنكيدو بنفسه، وينطلق شاردًا في البرية خارج أورك وقد تخلى عن ثيابه الفاخرة، وارتدى جلود الحيوانات.

بالإضافة إلى حزن جلجامش على موت صديقه الحميم أنكيدو كان جلجامش في قرارة نفسه خائفًا من حقيقة أنه لابد من أن يموت يومًا؛ لأنه بشر والبشر فانٍ ولا خلود إلا للآلهة.

بدأ جلجامش في رحلته للبحث عن الخلود والحياة الأبدية، ولكي يجد جلجامش سر الخلود عليه أن يجد الإنسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود، وكان اسمه أوتنابشتم، وأثناء بحث جلجامش عن أوتنابشتم يلتقي بإحدى الآلهات واسمها سيدوري التي كانت آلهة النبيذ وتقوم سيدوري بتقديم مجموعة من النصائح إلى جلجامش، والتي تتلخص بأن يستمتع جلجامش بما تبقى له من الحياة، بدل أن يقضيها في البحث عن الخلود، وأن عليه أن يشبع بطنه بأحسن المأكولات، ويلبس أحسن الثياب، ويحاول أن يكون سعيدًا بما يملك، لكن جلجامش كان مصرًّا على سعيه في الوصول إلى أوتنابشتم لمعرفة سر الخلود، فتقوم سيدوري بإرسال جلجامش إلى المعداوي أورشنبي ليساعده في عبور بحر الأموات، ليصل إلى أوتنابشتم الإنسان الوحيد الذي استطاع بلوغ الخلود.

عندما يجد جلجامش أوتنابشتم يبدأ الأخير بسرد قصة الطوفان العظيم الذي حدث بأمر الآلهة، وقد نجى من الطوفان أوتنابشتم وزوجته فقط، وقررت الآلهة منحهم الخلود.

وبعد أن لاحظ أوتنابشتم إصرار جلجامش في سعيه نحو الخلود، قام بعرض فرصة على جلجامش ليصبح خالدًا إذا تمكن من البقاء متيقظًا دون أن يغلبه النوم لمدة ٦ أيام و٩ ليالٍ، فإنه سيصل إلى الحياة الأبدية، ولكن جلجامش يفشل في هذا الاختبار، إلا أنه ظل يلح على أوتنابشتم وزوجته في إيجاد طريقة أخرى له كي يحصل على الخلود.

و تشعر زوجة أوتنابشتم بالشفقة على جلجامش، فتدله على عشب سحري تحت البحر بإمكانه إرجاع الشباب إلى جلجامش بعد أن فشل مسعاه في الخلود، ويغوص جلجامش في أعماق البحر ويتمكن من اقتلاع العشب السحري.

وبعد حصول جلجامش على العشب السحري الذي يعيد نضارة الشباب يقرر أن يأخذه إلى أورك ليجربه هناك على رجل طاعن في السن قبل أن يقوم هو بتناوله، ولكن في طريق عودته وعندما كان يغتسل في النهر سرقت العشب إحدى الأفاعي وتناولته، فرجع جلجامش إلى أورك خالي اليدين، وفي طريق العودة يشاهد السور العظيم الذي بناه حول أورك، فيفكر في قرارة نفسه أن عملا ضخما كهذا السور هو أفضل طريقة ليخلد اسمه.

في النهاية يموت جلجامش ويحزن الجميع على وفاته.

السندباد البحري...أسطورة شعبية عراقية:

كان يا ما كان في قديم الزمان في زمن الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد حمَّال فقير اسمه الهندباد جلس الهندباد تحت قصر عال تحيط به حديقة جميلة ليستريح من عناء السير بعد أن أنهكه التعب والحر الشديد، ووضع إلى جانبه حمله الثقيل.

فسري إليه من الحديقة نسيم لطيف حمل إليه رائحة الأزهار العطرة، وهبت عليه من ناحية القصر رائحة الشواء اللذيذ، والأطعمة الشهية.

وسمع الهندباد الطيور تغرد على اختلاف أنواعها فوق الأشجار، كما سمع أصوات الغناء وأنغام الموسيقى المطربة في ذلك القصر، فخيل إليه أن أصحابه في عرس.

ذهب الهندباد إلى أحد الخدم فرآه لابسا أبهى الملابس وأحسنها، ولما سأله عن اسم صاحب هذا القصر البديع قال له الخادم مدهوشًا:

كيف تسأل هذا السؤال؟

وهل في بغداد قاطبة من يجهل السندباد البحري الذي شهرته الآفاق، والذي ركب البحار، وجاب الأقطار، ورأى عجائب الدنيا؟

إنه صاحب هذا القصر.

عاد الحمال إلى مكانه وجلس يفكر في هذا النعيم، ونظر الهندباد الحمال إلى جمال الحديقة وفخامة القصر وما يحويه من نعيم، وما هو فيه من بؤس وشقاء فصاح غاضبًا:

أأصبح في تعب دائم ... أعيش شقيًا وقد زاد حملي
وغيري سعيد بلا شِقْوةٍ ... وما حمل الدهر يومًا كحملي

وبينما الهندباد مستغرق في هذه التأملات إذ خرج من القصر خادم يدعوه لمقابلة سيده، فخاف الحمال وارتجف من أن يكون السندباد قد سمع كل ما قال، فاعتذر إلى الخادم وحاول الإفلات من يده، ولكنه لم يتمكن من ذلك، فذهب معه والخوف يسيطر عليه ويتوقع أن ينزل به الشر.

وسار الحمال معه حتى بلغ غرفة فخمة، في وسطها مائدة حوت ما لذ وطاب من أطيب الأطعمة والأشربة والفاكهة، ورأى جماعة من علية القوم، وفي صدر المجلس رأى رجلًا حسن الصورة وقد بدا في لحيته الشيب، فعرف أنه السندباد صاحب القصر، فسلم عليه وعليهم وهو منكس الرأس، فهش إليه السندباد وقربه إليه حتى أذهب عنه الخوف، ودعاه إلى الطعام فأكل حتى شبع.

وبعد أن هدأ الرجل وزال ما به من خوف، سأله السندباد عن صناعته وعن اسمه ثم قال له: أريد منك أن تعيد على مسامعي ما كنت تقوله منذ زمن يسير تحت القصر!

ارتبك الهندباد وقال: عذرًا مولاي وسيدي على ما بدر مني وما دفعني لقول ما قلت ما أعانيه من الفقر فلا تؤاخذني يا مولاي على ما بدر مني!

قال له ا لسندباد: لا تخف فلن يصلك مني أي أذى على ما قلت وسوف تكون لي من اليوم أخًا وصديقًا... ولكني أريد أن أبين لك حقيقة غابت عنك، لقد ظننت أن هذه الثروة الطائلة قد سقطت على من السماء دون تعب ومشقة وعناء، ولكن ما أنا فيه جاء بعد أن قاسيت من المصاعب ولاقيت من الأهوال ما تشيب له الولدان، وسأحكي لك قصتي حتى تعلم أن ما أنا فيه من النعيم لم يأت اعتباطًا ولكن بجد ومجهود وتعب.

كان أبي من كبار التجار فلما مات ترك لي ثروة طائلة، وكنت حينئذ شابًا طائشًا، فأخذت أنفق على أهلي وعلى أصحابي ببذخ من هذا المال الذي لم أتعب في جمعه، ولم أكن أتدبر عاقبة الإسراف، وفجأة لم يبق من مالي إلا القليل، فوقفت وقفة مع الذات وقلت لنفسي: إن الفقر في آخر أيام الإنسان لهو الذل بعينه وهذا مالا أرضاه لنفسي، وإن الكسل مفتاح الفقر، وقلت لنفسي: من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب.

فعزمت على السفر وبعت كل ما تبقي لديّ من عقار ومتاع، واشتريت بهذا المال الذي جمعته بضاعة للتجارة، وسافرت مع جماعة كبيرة من التجار، فأقلعت بنا سفينة كبيرة، وكانت هذه أول رحلة لي، فأصبت بدوار البحر وعادت إلى صحتي بعد قليل، وظلت السفينة تسير بنا من بلد إلى بلد ونحن نبيع ونشترى، وبينما نحن سائرون في عرض البحر، ظهرت لنا

جزيرة صغيرة مرتفعة عن سطح البحر فاقتربنا منها، ونزلنا بأرضها نلهو ونلعب وأحضرنا خشبًا من السفينة لإشعاله حتى يتسنى لنا تجهيز طعام الغداء، وما أن أوقدنا النار، حتى اهتزت بنا الجزيرة بشدة، وكدنا لا نقوى على السير وانتابنا الفزع وحلَّ بالمكان الهرج والمرج وسمعنا صوت ربان السفينة يصيح ويقول: اذهبوا إلى السفينة بسرعة نحن في خطر، ولم يكد يكمل كلامه حتى غاصت الجزيرة كلها في البحر،فانطلق الجميع إلى السفينة فنجا من كان قريبا منها وغرق الباقون.

وما كانت الجزيرة إلا حوتًا من حيتان البحر العملاقة كان نائمًا على سطح الماء ولما أحس بالحرارة استيقظ من نومه وغاص في البحر.

وكنت بعيدًا عن السفينة وكدت أن أغرق لولا تعلقي بلوح خشبي أتينا به من السفينة للوقود، وناديت من في السفينة بأعلى صوتي فلم يسمعني أحد من شدة الإعياء الذي حل بهم، واختفت السفينة وأصبح الغرق يهددني في كل لحظة، وتمسكت بأمل النجاة طوال الليل وأنا في وسط البحر والظلام الدامس، وقذفتني الأمواج إلى شاطئ جزيرة، وتعلقت بفرع شجرة كان متدليًا وتمكنت من الوصول إلى الشاطئ بعد تعب شديد..

ونمت من التعب النهار والليل، وفي الصباح قمت وأنا متعب أبحث عن طعام بعد أن عضني الجوع بأنيابه وكاد يقضي عليّ، وجدت الكثير من البقول الناضجة وعينًا من الماء العذب ففرحت فرحًا شديدًا وأكلت وشربت حتى ارتويت.

وبعد أن استعدت صحتي ظللت أمشي في الجزيرة لعلي أجد أحدًا، وفجأة سمعت صوت رجال يتحدثون، فلما اقتربت منهم سألوني عن سبب حضوري إلى هذه الجزيرة فقصصت لهم قصتي، وأكرموني ووضعوا لي طعامًا وشرابًا فأكلت حتى شبعت، وفي اليوم التالي أركبوني معهم وما زلنا سارين حتى وصلنا إلى الهند، وكان لهذا البلد مرفأ ترسو عليه السفن التجارية، فكنت أكثر من التردد عليه أسأل الوافدين عن بغداد دون طائل،ومضي على ذلك زمنًا طويلًا،وفي يوم من الأيام رأيت سفينة مقبلة، ولما رست على الشاطئ وأنزلت ما بها من بضائع رأيت على بعض أحمالها اسم..السندباد..فأسرع إلى ربانها وقال له: ألا تعرفني أنا

السندباد صاحب هذه البضائع والأحمال...غضب مني وقال لي السندباد: مات غرقًا وقص عليّ ما كان من أمر الغرق...قلت له: أنا...فأنكر عليّ ذلك إلا أنني ذكرته بكل ما جرى ففرح وناد التجار وعانقوني وحمدوا الله على سلامتي.

وبعت في الهند كل ما معي من البضائع بأغلى ثمن، واشتريت بدلها بضائع أخرى.

وعدت إلى بلادي بأموال كثيرة، بعد أن سار بنا المركب آمنًا، وقابلت أهلي فرحين بعودتي سالمًا، واشتريت قصورًا فخمة وعبيدًا وغلمانًا كثيرين، وأصبحت من أكبر أغنياء بغداد وتصدقت على الفقراء والمساكين، وعزمت على الإقامة في بلدي بعيدًا عن مشقات السفر وأهوال البحر، وأنستني راحة البال ما قاسيته من المتاعب والأهوال.

وبعد قليل من الزمن ضجرت بهذه الحياة الهادئة، ومللت عيشة الكسل، واشتقت إلى السفر وركوب البحر، فاشتريت بضائع كثيرة، وسافرت مع جماعة من التجار، وسارت بنا السفينة من جزيرة إلى جزيرة ومن بلد إلى بلد، وكانت تجارتنا رابحة حتى بلغنا جزيرة كبيرة من الأشجار والفاكهة تتخللها الجداول والأنهار، فنزلنا بها فلم نجد فيها أحدًا من الناس فأكلنا من فاكهتها وشربنا من مائها العذب، ثم ذهب أصحابي يجولون في الجزيرة وجلست منفردًا في ظل شجرة كبيرة، وأمامي جدول من الماء على جانبيه الأزهار، فأخذتني سنة من النوم ـ ولم أعلم كم ساعة نمت ـ وما كدت أستيقظ حتى تملكني الرعب والفزع، فقد بحثت عن رفاقي فلم أعثر لهم على أثر!

هنالك علمت أن السفينة قد أقلعت بهم دون أن ينتبه أحد منهم إلى غيابي، فأسرعت إلى الشاطئ ـ وأنا كالمجنون لشدة ما لحقني من الجزع واليأس ـ ورأيت السفينة تغيب عن ناظريّ شيئًا فشيئًا حتى اختفت، فصرخت من الألم وتملكني اليأس والفزع فوقعت على الأرض مغشيًا عليّ، وبعد أن أفقت وتلفت حولي فلم أجد أحدًا، تسلقت شجرة عالية فرأيت على بعد قبة بيضاء تلمع لمعانًا شديدًا في ضوء الشمس، فنزلت من الشجرة، وجريت حتى دنوت منها فرأيتها شاهقة، فلمستها بيدي فإذا هي ملساء لا يمكن الصعود عليها، ودرت حولها فلم أر لها بابًا ولا منفذًا، ولما قست دائرتها وجدتها خمسين خطوة.

وبينما أنا أتأملها إذ وجدت الدنيا قد أظلمت، وأقبل على سواد عظيم حجب عني ضوء الشمس، فتأملته فإذا هو طائر عظيم الجسم، ولم يكد ينزل طائر الرخ حتى جلس على بيضته فاحتضنها بجناحيه ونام فوقها، مخلبه كأنه جزع شجرة، فحللت عمامتي وربطت نفسي بإحدى رجليه ربطًا محكمًا، عسى أن يحملني إلى مكان آخر غير هذه الجزيرة النائية، وتحقق لي ما تمنيت وألقى بي في جزيرة مقفرة.

ونظرت إلى أرض الوادي، فرأيت حجارته من الماس، ففرحت بذلك فرحًا شديدًا، ولكن فرحي لم يدم طويلًا فقد رأيت في الوادي الكثير من الأفاعي الهائلة التي تبتلع الفيل بسهولة لضخامتها وكبر حجمها وكانت هذه الأفاعي لحسن حظي تختفي في الكهوف والمغارات أثناء النهار خوفًا من طير الرُّخّ ـ وهو عدوها اللدود الذي يبتلعها كلما ظهرت ـ فإذا أظلم الليل خرجت الأفاعي كلها إلى الوادي.

ولما جاء الليل أسرعت إلى كهف صغير فدخلته وسددت منفذه بحجر كبير حتى آمن شر الأفاعي، وأكلت من الزاد القليل الذي أحضرته معي من الجزيرة، ولم أنم في ليلتي فصوت فحيح الأفاعي قد ملأ قلبي رعبًا، وفي الصباح انقطع فحيح الأفاعي، ووجدت قطعًا من اللحم تتساقط بجانبي وتذكرت تلك الخرافة التي كان يحكيها التجار للحصول على الماس حيث يقذفون بقطع اللحم فتتعلق بالماس فتأخذها النسور إلى أعلى الجبال فيفزعها التجار وبعد حصولهم على قطع الماس يرمون باللحم للنسور تارة أخرى، وبدأ الأمل في الخلاص حيث وضعت على جسمي بعض الخراف المذبوحة وجاء نسر عظيم وحمل الذبيحة وأنا متعلق بها ووضعها على قمة الجبل فجاء صاحبها وهشه فانتصبت واقفًا فأصيب بالذعر من هول ما رأى وغضب من فشله في المحاولة فرضيته وأعطيته بعض الماس الذي أخذته معي ففرح ورضي بعد أن قصصت عليه قصتي التي دهش منها ومعه جميع التجار أشد الدهشة.

ورجعت إلى بلدي وعزمت على عدم تكرار السفر ولم لا؟ وأنا معي من أنفس الجواهر والتي لا تقدر بثمن، وفعلًا أقمت في بلدي هادئ البال مستريح القلب، ولكنى سئمت الكسل واشتقت إلى السفر من جديد، واستأجرنا مركبًا أنا وبعض التجار، ونحن في وسط

البحر هبت ريح شديدة، فعلت بالمركب الأفاعيل، ومكثنا عدة أيام تائهين في البحر، حتى لاحت لنا جزيرة كبيرة، صاح لرؤيتها الربان قائلًا: لقد هلكنا وضاع كل أمل في نجاتنا، فسألناه عن السبب فقال: إن هذه الجزيرة يقطنها قوم من الأقزام كثيرو العدد وهم على قصر قامتهم لن نستطيع مقاومتهم، وفعلًا تمكنوا من أسرنا وتركونا على الجزيرة فرادى لا ندرى كيف نعمل، ونحن في حيرتنا لاح لنا قصر شاهق فتحناه مجتمعين فوجدنا أكواما من العظام البشرية، انتابنا الخوف وحلَّ بقلوبنا الرعب، ومع غروب الشمس سمعنا صرير الباب الخارجي وهو يقفل،ورأينا عملاقًا هائلًا يدخل علينا وهو في مثل طول النخلة أسود الوجه له عين واحدة، يكاد يتطاير منها الشرر، وأنياب حادة ومروعة!

نظر العملاق إلى الربان فرآه سمينًا فأعجبه، وأوقد نارًا حامية، ورشق به عودًا من الحديد كالدجاجة المشوية، وشواه وأكله وغط في نوم عميق.

وبحثنا في الجزيرة عن مكان آمن فلم نجد، وفعل العملاق مع آخر مثل ما فعل مع الربان، فقلنا لو بقينا على هذا الحال سنشوى ونموت تلك الميتة الشنيعة ففكرنا في طريقة للخلاص، وبعد أخذ ورد أشرت عليه بأن نصنع مركبًا من خشب الأشجار، فإن لم ننجح في قتل العملاق هربنا بالمركب، وعدنا إلى القصر فجاء العملاق ففعل بآخر مثل ما فعل بالربان ومن بعده، ونام نومًا عميقًا فجئنا بسيخين من الحديد فوضعناهما في النار حتى احمرا، ثم رشقناهما جميعًا بقوة في عينه وهو نائم، فصرخ صرخة هائلة من شدة الألم، وقام كالمجنون يبحث عنا فلم يعثر علينا، ففتح الباب وخرج فخرجنا فرحين، ولكن فرحتنا لم تتم، حيث جاءنا عمالقة آخرون طاردونا فهربنا منهم في المركب، وظلوا يلقون علينا الحجارة فقتلوا كل الرجال ما عدا اثنين من الرجال وأنا معهم،وقذفتنا الأمواج إلى جزيرة كبيرة، أكلنا من فاكهتها الطيبة وشربنا من مائها فرحين بالنجاة من أرض العمالقة.

ولكن الفرحة لم تتم وجاءت حية عظيمة التهمت رفيقًا من رفقائي وفعلت بالثاني مثل ما فعلت بالأول، وبعد أن ذهبت لففت نفسي بالألواح الخشبية وجاءت الحية لتلتهمني ولكن الألواح حالت دون ذلك، وظلت حتى الصباح وهي تحاول دون جدوى، وذهبت لحال سبيلها.

وجلست على شاطئ البحر وإذا بسفينة عليها تجار، فصرخت ولوحت بعمامتي حتى فطنوا لي وجاءوا لإنقاذي، وتعرفوا عليّ وكان معهم من البضاعة الكثيرة لي فبعنا وربحنا وعدت ومعي من المال الوفير.

وجلست عازمًا النية على عدم السفر حتى مللت الترف والنعيم الذي نسيت معه ما قاسيت فقررت السفر بالبحر تارة أخرى.

وفي هذه المرة تحطمت السفينة وغرق من غرق وتشبثنا أنا ومجموعة من التجار الذين غرقت بضاعتهم بلوح خشبي، ثم قذفتنا الأمواج بعد يوم وليلة إلى شاطئ جزيرة ونحن كالموتى مما كابدناه من المشقة والعناء، وتجولنا بالجزيرة نأكل ما نجده من فاكهة ونشرب من الماء العذب حتى لاح لنا قصر عظيم، قصدناه فخرج علينا منه مخلوقات متوحشة حفاة عراة، قبضوا علينا وساقونا إلى ملكهم فأمرنا بالجلوس فجلسنا ووضع الطعام فأكل كل رفقائي وامتنعت لكراهة الطعام، وبعد قليل أصابهم الخبل، وهذه عادة الغيلان مع من يسوقه إليهم حظه العاثر، يضعون لهم الطعام ليسمنوا وتأكله بعد ذلك الغيلان، امتنعت عن طعامهم واكتفيت بنباتات الأرض فهزلت ولم يعرني أحد منهم أدنى اهتمام بل كانوا يذهبون بالتجار يرعونهم كما الماشية.

وسنحت لي الفرصة فهربت من الراعي وجريت وجريت حتى أقبل الليل واستأنفت السير وما زلت سائرًا سبعة أيام وأنا آكل ما ألاقيه في طريقي من جوز الهند.

وعندما وصلت إلى شاطئ البحر وجدت قومًا يزرعون ويحصدون وعرفوا قصتي فأخذوني إلى ملكهم فأكرمني وهنأني على السلامة، كانت مدينتهم كبيرة وتعج بالأسواق والخيل التي يركبونها بلا لجام، فتعجبت وقلت للملك ذلك، فكلفني بصنع سرج ولجام وركاب، وجمعت العمال والحداد، وكلفت كل واحد بما أريد حتى تمت المهمة على أكمل وجه، وذهبت إلى الملك الذي سر لما رآه، وكلفني بعمل ذلك لأعيان المملكة ففعلت، فأغدقوا علي من الهدايا حتى صرت من الأغنياء.

وفي ذات يوم عرض عليّ الملك البقاء وزوجني بفتاة غنية وجميلة فوافقت، وكانت ذات جمال وأدب، وماتت زوجة جاري فعزيته ودعوت له بطول العمر فقال لي: لا عمر بعدها فعندنا إذا ماتت الزوجة يدفن معها زوجها والعكس، وبالفعل حصل معه ما قال، فذهبت إلى الملك أحاول التغيير لهذه العادة ولكن الملك قالها صريحة: هذه شريعتنا ولا مجال للتغيير وهي تسير حتى على الملك وعلى الغرباء ممن تزوجوا من المدينة، فأصبت بفزع وهلع شديدين.

ومرضت زوجتي وماتت بسبب مرضها وأصابني الهلع والفزع مما أنا قادم عليه بغير إرادتي، إنه الموت لا محالة، موتة شنيعة في هذه المدينة المشئومة، وكان مصيري ككل من ماتت زوجاتهم من المدينة الملعونة، وقذفوني في المقبرة العظيمة مع زوجتي ومعي سبعة أرغفة وقلة ماء هذا كل الزاد، ولم أفقد الأمل في النجاة، وكنت أقتات منها حتى نفذت، والموت قادم لا محالة، وفجأة يفتح باب المقبرة لوفاة أحد الرجال الذي قذفوا معه بزوجته، ومعها سبعة أرغفة وقلة ماء، ماتت من هول الموقف في الحال، فأخذت الطعام والماء وأعدت الكرة وهكذا كنت أنتظر قدوم الموتى بين الجماجم والعظام، وفي يوم من الأيام أحسست بشبح يخرج من مكان بعيد ظهر منه ضوء خافت، فتتبعت الضوء ووسعت الفتحة وإذا البحر أمامي على بعد أمتار قليلة، ففرحت على النجاة من الموت، وأخذت أجمع من المجوهرات التي تدفن مع الأموات على قدر ما أستطيع، وانتظرت بعيدًا على شاطئ البحر علَّ الله يرسل مركبًا تكون بها نجاتي من هذه المدينة المشؤومة.

ولم يطل بي الانتظار حتى جاءت سفينة من بعيد فلوحت لها بعمامتي فحملوني معهم بعد أن قصصت عليهم قصتي غير كاملة مخافة أن تسوء الأمور، ورجعت سالمًا إلى بلدي أحمل الكثير من الكنوز، وقررت ألا أعود إلى السفر ثانية، وها أنا أرفل في الدمقس وفي الحرير.

وقال له السندباد حكايتي كبيرة وعجيبة ويكفيني ما قصصت لك، والآن ما رأيك أيها الصديق؟ هل سمعت في حياتك أغرب من هذه القصص؟ وهل تعرض أحد لمثل ما تعرضت له من المهالك والأخطار؟ أليس من حقي بعد ما لاقيته من المتاعب والأهوال أن أقضي البقية الباقية من عمري هادئًا مطمئنًا؟

فقبل الهندباد يده وقال له: لست أرى أحدًا أجدر منك بالسعادة يا مولاي؛ لأنك أدركتها بجدك واجتهادك، وليست متاعبي التي أحتملها كل يوم شيئًا يذكر بجانب رحلة واحدة من رحلاتك العجيبة، وفعلًا يا مولاي: من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب، بارك الله فيك وأطال عمرك ومتعك بثروتك وصحتك، فاتخذه السندباد صاحبًا له وأغناه بعد فقره وأصبح منذ ذلك اليوم من خيرة أصفياء السندباد وندمائه[1].

نرسيسوس Narcissus **أسطورة شعبية من اليونان:**



يحكى أن الإله نرسيسوس كان مُبهرَ الجَمال، جميلٌ جدًا لدرجةٍ كَبيرة جعلتْ جَميع الفتيات بلا استثناء يقعنَ في حُبه لشِدةِ جماله، لم يقتصر مُعجبوه وَمُحبوه على الفتياتِ فقط!. لكنهُ ما كانَ يعطي أي شخص منهم أيَّ انتباهٍ أو اهتمام «نرسيسوس» الجَميل كانَ جدًا مَغرور، ويُقال: أن حوريةَ بحر اسمها «إيكو» أصابها جنونُ حُبه لكنهُ رفضَ أنْ يُبادلها الشعور فاشتكت إلى آلهة الحُب والجمال اليونانية «أفروديت» فغضبت عليه وألحقت بهِ لعنة ولعنتها كانت في أنها جعلتهُ يقعُ في حبِ نفسه. وفي يومٍ مِنَ الأيام ذهبَ نرسيسوس لبحيرة عذبة ما سَبقَ وأن تلوثت بكائنٍ حَي، وقعت عينه على صفحة المياه الفضية ورأى شابًا خرافيَ الجمال..!

جلسَ يحدقُ في الشابِ الجَميل بإعجابٍ شَديدٍ وَانبهار، اقتربَ مِن سَطحِ الماء اللامع ليقبلَ هذا الفتى المُبهر، لكنه تفاجأ بأنه شَفتيه لامسَتا الماء، صُدِمَ «نرسيسوس» لما أدركَ أن هذا الجَميل لم يكن إلا هوَ نفسه، أصابهُ حزنٌ كَبير وتعاسةٌ بالغة؛ لأنَ الشخص الوحيد

---

(١) قصة للأستاذ/ رشاد كامل الكيلاني... بتصرف.

الذي أحبه كان نفسه ولم يستطع الحصول على نفســه، ظل يحدقُ في صورته ساعاتٍ وأيامٍ مُتواصلة دونَ انقطاع، وظلَّ هكذا إلى أنَ نـَحِلَ جســمه ومات.

أفروديت: أشفقت على حالته فحولتهُ إلى زهرةٍ عندَ ضفةِ البُحيرة مُنحنية فوقَ صورتها على الماء[1].

ايزيس وأوزريس...أسطورة شعبية مصرية:

يحكى أن أوزوريس كان ملكًا عادلًا محبًا للخير، يحكم مصر من مقره بالوجه البحري، وكان أخوه ست يحسده ويريد عرش مصر، فأعد وليمة كبيرة دعا إليها أخاه، وكان قد أعد صندوقًا فاخرًا، فدعا ست المدعوين إلى الاستلقاء في التابوت، فمن يجد التابوت مناسبًا له يستطيع أن يأخذه، وكان ست قد أعده على مقاس أوزوريس، وعندما استلقى فيه أوزوريس أغلق ست وأعوانه التابوت عليه، ورموه في النيل فمات أوزوريس غرقًا.

فأخذت إيزيس تبحث عن زوجها حتى وجدته في جبيل (بيبلوس) ولكن ست أفلح في سرقة الجثة وقطعها إلى ١٤ جزءًا، ثم قام بتفريقها في أماكن مختلفة في مصر ولكن إيزيس ونفتيس تمكنتا من استعادة الأشلاء، واستخدمت إيزيس السحر في تركيب جسد أوزوريس لإعادة الروح له والإنجاب منه، ثم حملت من أوزوريس، وقد كان من الصعب أن يحيا أوزوريس مثل حياته الأولى، فلزم عليه أن يحيا في مملكة الموتى ويكون ملكًا فيها.

وولدت إيزيس منه ولدًا وهو حورس (بالسحر أيضًا)، وقامت إيزيس بتربية حورس في أحراش الدلتا سرًا حتى اشتد ساعده، فأخذ يصارع ست انتقامًا منه لأبيه حتى هزمه في النهاية [1].

---

(١) عُرفتْ هذهِ الزهرة لاحقًا بـ زهرة النرجس أو Narcis مِن هُنا قام « فرويد » بـ إطلاق وصف «النرجسية» على كل شخص مبالَغ في حُبِ ذاته ويرى نفســهُ فوقَ كل اعتبار وعنده آراءٌ خياليَة حولَ عظمةِ نفســه وأهميته.

بجماليون...أسطورة شعبية يونانية

كان يعيش في قبرص شاب وسيم يدعى بجماليون، وكان هذا الشاب فنانًا موهوبًا في نحت التماثيل، ولم يكن يصل لمستوى فنه وعبقريته أي إنسان آخر في زمنه، فكان ينحت التمثال من العاج أو الحجر، فيبدو كأنه مخلوق حي من لحم ودم، وكان بجماليون يكره النساء بشدة، ويرى أن المرأة مخلوق ناقص كله عيوب، وأنها وراء كل الكوارث التي تصيب الرجال، ولم يكن موقفه هذا يحتمل المناقشة أو التغيير، لذلك أخذ على نفسه عهدًا بألا يتزوج أو يفكر في النساء، وقرر أن يهب حياته لفنه الذي أبدع فيه، وبالرغم من موقف بجماليون السابق من النساء فقد كانت أجمل تحفة فنية صنعتها يداه عبارة عن تمثال لامرأة فائقة الحسن، لم يكن التمثال مجرد صورة عادية، ولكنه كان آية في الجمال والروعة، وكان تجسيدًا لكل أوصاف الحسن والجمال، ولعله أراد بهذا التمثال رسم نموذج للاكتمال يكشف به قبح النساء، ويشعر الرجال ببشاعتهن، هذا التمثال أصبح هم بجماليون الأكبر، فكان يصنع بأصابعه الساحرة لمسات فنية جديدة يضيفها إليه في كل يوم حتى أصبح التمثال أروع تحفة فنية يمكن صناعتها، ولم يعد بجماليون يستطيع أن يجمل تمثاله أكثر من هذا الحد فقد أصبح أجمل من أي امرأة أو أي تمثال آخر فقال بجماليون مخاطبًا تمثاله الجميل: كنت جميلة وأصبحت الآن أجمل، كنت رائعة وأصبحت الآن أروع، ولكن بجماليون أصابه أمر لم يكن يخطر بباله فقد أحب تمثاله حبًا شديدًا وأصبح لا يقدر على فراقه لحظة واحدة، يقضي معه ساعات الليل

---

(١) يقال أن أصل أسطورة أوزوريس أنه شخصية حقيقة، كان ملكًا في عصر سحيق للغاية على أرض مصر كلها وكانت عاصمته شرق الدلتا «بوزيريس» (أبو صير – بنها الحالية) وقد فسر موته غرقًا على يد الإله ست أنه مات في ثورة ضده كان مركزها مدينة «أتبوس» التي أصبحت مقر عبادة الإله ست (مكان طوخ بمحافظة قنا) وبذلك انقسمت مصر إلى مملكتين إحداهما في الدلتا والأخرى في الصعيد ووحدتا نتيجة لحملة ناجحة للشماليين، وقد انعكس هذا الصراع وإعادة تأسيس المملكة الأصلية على الأحداث القديمة (من موت أوزوريس الملك بسبب الثورة) فظهرت الأسطورة التي صورت رئيس الشماليين بابن أوزوريس الذي انتقم لأبيه وبدأت الأسطورة في التكون وظهرت بعض الشخصيات مثل إيزيس ونفتيس.

الطويلة يقلبه ويدغدغ يديه ووجهه، كان يفعل كل ذلك وهو يتخيل أنه أمام امرأة حقيقية، وليس تمثالًا، ثم حاول بجماليون لفترة من الزمن أن يقلد الأطفال الصغار فيفعل معها ما يفعلونه مع دماهم يلاطفها ويلاعبها ويكسوها بالملابس الفاخرة، يأتيها بالهدايا الثمينة كالعطور والورود الجميلة والعصافير، ولكنه كان عبثًا يحاول أن يبعث الحياة في شيء ميت، وأدرك بجماليون انه لن يستطيع الاستمرار في هذا الوهم ومنذ ذلك الحين تحول بجماليون إلى ضحية تستحق الرثاء والشفقة وكانت عشترون " فينوس" ملكة الحب على علم بما يحدث لبجماليون، فلما وصل به الحال إلى هذه الدرجة القصوى من البؤس والقنوط رقت لحاله وقررت أن تساعده، ولما جاء عيد " عشترون " بدأت تنصب الزينات وتقام الأفراح احتفالًا بها وكانت المعابد تزدحم بالعشاق الذين يأتون من كل صوب حاملين هداياهم وقرابينهم إلى ملكة الحب؛ لكي ترضى عنهم وتتوسط لهم لدى معشوقاتهم لكي يبادلوهم حبهم وهيامهم، ذهب بجماليون بالطبع ليشارك هذه المرة ولم يكن من قبل يهتم أو يبالي بمثل هذه الاحتفالات والطقوس، وقد حمل هدية ثمينة تليق بمقام فينوس، التي أصبحت آخر رجاء له، وقف بجماليون وسط المعبد وأخذ يناجي عشترون يطلب منها أن تجد لبجماليون البائس عذراء تشبه تمثال المرأة الذي صنعه بيديه ووقع في غرامه وتجرع كأس عذابه حتى الثمالة، ويعد طول وقوف ورجاء رأى بجماليون الشعلة تضطرم في الهواء فوق المعبد ثلاث مرات، وكان هذا دليلًا على رضا عشترون واستجابتها لتوسلاته ورجائه، فاستراحت نفس بجماليون وشعر بالتفاؤل، وبدأ الأمل يتسرب إلى قلبه مرة أخرى، ولما رجع بجماليون إلى منزله ألفى حبيبته منتصبة على منصتها، فنظر إليها نظرة طويلة يملؤها الرجاء والأمل ثم أقبل عليها وأمسك يدها وضغط عليها بقوة، لكنه تراجع بسرعة والدهشة تتملك جوارحه شعر بجماليون بحرارة غريبة تسري في جسده! هل استجابت عشترون وحدثت المعجزة؟! لم يصدق بجماليون نفسه في أول الأمر فما حدث كان يشبه الصدمة، ثم أقبل على عذرائه مرة أخرى فضمها إلى صدره وطوقته بذراعيها أطلق بجماليون على عذرائه اسم "فلاطية " وأنهما تزوجا

وأن ملكة الحب عشترون باركت زواجها وحضرت حفل زفافها بنفسها وأنها أنجبا طفلا أسمياه "بافوس" أطلق اسمه فيما بعد على مدينة "قبرص".

أسطورة خلق الكون...أسطورة شعبية إغريقية

يحكى أنه في البدء كانت يورونومي، ربة كل شيء وجميع الأشياء، ولدت يورونومي عارية من رحم الخواء خاءوس، لم تجد يورونومي شيئًا تقف بقدميها عليه، لم تجد سوى الخواء، الخواء هو الفراغ، الفراغ هو لاشيء، لم تستطع يورونومي أن تعيش سابحة في الخواء، وبضربة قاصمة من يدها القاطعة فصلت الماء عن السماء طفقت ترقص وحيدة عارية في خفة ورشاقة، فوق سطح الماء تعلو وتهبط مع حركة الأمواج، اتجهت مسرعة في رقصتها نحو الجنوب، نشأ خلفها فراغ كلما تحركت إلى الأمام ازداد حجم الفراغ، امتلأ الفراغ بالهواء، وكلما زادت سرعتها زادت سرعة الهواء، أصبح الهواء ريحًا نشطًا عاتيًا.

طفق الهواء يعدو خلفها من الجنوب إلى الشمال، هكذا وجدت يورونومي مخلوقًا يؤنس وحدتها، ريح الشمال ظلت تحاوره تفر منه إلى الأمام، ثم تعود مسرعة إلى الخلف، ريح الشمال يلازمها من حولها يمتلئ بجسدها، أصبح يتلوى في دوائر متشابكة تلتف تارة حول خصرها وتارة حول عنقها، سرى الدفء في جسد يورونومي بريح الشمال، تحول الريح إلى أفعوان ضخم قوي العضلات أوفيون وهو اسم الأفعوان، غازلته في أنوثة بالغة. سرت الرغبة في جسد الأفعوان، التف الأفعوان أوفيون حول ذلك الجسد الأبيض الدافئ المقدس وتم اللقاء بين يورونومي ربة كل شيء وأفيون ريح الشمال كان يدعى بورياس. تم اللقاء بين يورونومي وبورياس، انطلقت يورونومي في نشوة تواصل حركاتها الرشيقة فوق سطح الماء، تحولت إلى يمامة مرحة تحمل بين أحشائها الدقيقة ثمرة ذلك اللقاء. مضى بعض الوقت، اكتملت معالم الثمرة في أحشائها الرقيقة، وضعت اليمامة يورونومي بيضة أمرت أوفيون أن يلتف بجسده الدافئ حول البيضة سبع لفات سرى الدفء إلى داخل البيضة... إلى عمق أعماق جوفها، فقست البيضة، انقسمت إلى نصفين خرج منها كل الكائنات.

خرج أطفال يورونومي وأوفيون: الشمس، القمر، الكواكب، النجوم، الأرض، بما عليها من جبال وأنهار وأشجار وأعشاب ومخلوقات حية.

أقام يورونومي وأوفيون مسكنًا لهما فوق جبل أولومبوس، سرعان ما استولى الغضب على يورونومي غضبت منه، من أوفيون فقد كان دائمًا يلعن نفسه، هي التي كانت السبب في وجوده، هي التي جعلت منه والدًا، لولاها ما وجد ولا أنجب موجدات، ازداد غضب يورونومي، انتشرت قوى الشر في أنحاء جسدها، في لحظة غضب عاتية داست يورونومي بكعبها فوق رأس أوفيون الأفعوان ظلت تضغط بكل قوتها، كتمت أنفاسه، انتزعت أسنانه من داخل فمه، قذفت به سجينًا في كهوف مظلمة في أعماق الأرض.

مرت اللحظات حثيثة، شعرت يورونومي بالوحدة، أو ربما أرادت أن تثبت قدرتها على الخلق أنجبت ذاتيًا القوى الكوكبية السبع، نصبت على كل قوى من القوى السبع ذكرًا وأنثى من التياتن: ثيا وهيبربون على الشمس، فويبي وأطلس على القمر، ديوني وكريوس على كوكب المريخ، ميثيس وكويوس على كوكب عطارد، ثميس ويوروميرون على كوكب المشتري، تيثوس وأوكيانوس على كوكب الزهرة، ريا وكرونوس على كوكب زحل، أما الإنسان الأول الذي ظهر على وجه الأرض فهو بلاسجوس.

الجد الأكبر للبلاسجيين، نشأ من أعماق أرض أركاديا، ثم تبعه أفراد آخرون، علمهم بلاسجون فيما بعد كيف يقيمون الأكواخ، كيف يتغذون على ثمار أشجار البلوط.

كيف يصنعون من جلود الخنازير أغطية يغطون بها أجسادهم كما يفعل سكان يوبويا و فوكيس(١).

جايا الحزينة...أسطورة شعبية من اليونان:

يحكى أن الكون كان خرابًا ويبابًا، أي في حالة من العدم وغياب النظام المطلق. كان اليباب يشكل المادة الخام الأولية التي تفتقر إلى الهيئة والشكل حيث انبثقت عنه فيما بعد كائنات مستقلة محددة: الأرض، الجبال، الغياهب، الهاويات، ثرثروس، الليل، نيكس

---

(١) تصف جميع أساطير خلق الكون شخصية أو أكثر، كان لها الفضل بخلق هذا الكون الذي نعيش فيه، وأنها جلبت فيها النظام والقانون وخلقت هذه الدنيا التي نعيش فيها، وأوجدت فيها الإنسان أيضًا. ينجم الاختلاف في هذه القصص، كذلك، عن سبب بسيط خلاصته أن الأمم المختلفة تأثرت على مر العصور من ظروفها الحياتية، إذ أن المهن الأساسية التي تعاطاها ومارسها الشعب تركت أثرًا بارزًا على أسطورة هذا الشعب في خلق الكون، وعلى سبيل المثال يقال أن الشعوب التي كانت تتعاطى بالأساس مهنة الصيد نجد أن أسطورتها في خلق الكون ذات صلة وثيقة مع الصيد.

والايروس، الذي لا تكون الحياة بدونه. ولدت جايا أوراونوس السماء، وغطتها بالشفق الأحمر المتلألئ، وأصبح زوجًا لها، كانت جايا وأورانوس أول زوج وزوجة في الكون، وقد أنجبا العمالقة الخوارق (التيتان والسيكلوب...) من ذوي العين الواحدة في وسط الجبين. وبما أن أورانوس قد خاف من كثرة أولاده الذين كانوا مُسوخا مريعة، فقد خبأها في غياهب الارض وأعماقها، بينما أحبتهم جايا كثيرًا جدًّا وغضبت على أورانوس زوجها؛ لأنه خبأهم في أعماق الأرض وصممت في طوية نفسها على الانتقام منه، كان إله الزمن كرونوس أصغر أبناء جايا وأورانوس، الوحيد الذي لم يخف من أبيه، صنعت له جايا منجلًا من أقوى وأشد الصخور التي عثرت عليها، ثم أعطته له وشرحت له تمامًا كيف ينتقم من أبيه أورانوس.

كانت جايا تعلم أن أورانوس إله السماء كان ينزل كل ليلة مع حلول الظلام إلى الأرض، وعلى هذا الأساس أمرت كرونوس أن يتربص لأبيه ويضربه بهذا المنجل عندما يستلقي للراحة، تصرّف كرونوس كما أمرته أمه تمامًا، فقتل أباه بضربة واحدة، وورث مكانه كإله للسماء، وتزوج من أخته ريا إحدى آلهات الأرض، وهكذا أوجد كرونوس السلالة البشرية الأولى المصنوعة من الذهب، وعلى هذا الأساس، سُمي عصره بالعصر الذهبي. لم يضطر الناس في هذا العصر إلى العمل ولم يمرضوا أو يموتوا، إلا أن كرونوس كان بربريًا وحشيًّا مثل أبيه، وبما أنه كان يعرف أن أحد أبنائه قد ينحيّه عن الحكم، فقد قرر أن يبتلع أولاده فور ولادتهم؛ كي لا يستطيع أحد منهم أن يرثه ويفرض سيطرته على العالم بدلًا منه، وعندما حملت ريا بزيوس، أدركت ما الذي ينتظره بعد مولده، لذلك توجهت ريا الى أمها جايا، فساعدتها على الوصول إلى جزيرة كريت حيث وضعت هناك ابنها زيوس في مغارة، حيث كانت الحواري تسقيه الحليب، بينما كان العفاريت الصغار يرقصون ويخشخشون برماحهم، ويحامون عنه ويحرسونه ويهدئون من روعه عندما يبكي.

بعد الولادة جاء كرونوس ليبتلع المولود الجديد، فماذا فعلت ريا؟ لفّت صخرة قاسية في القماط وسلمته لزوجها. ابتلع كرونوس الصخرة الملفوفة دون أن يشك في محتواها. وهكذا نجا زيوس، وكبر وهو متستر؛ ليصبح بعد ذلك أقوى وأعظم إله، عندما بلغ زيوس سن الرشد انضم إلى جيش أمه جايا المكون من العمالقة والمسوخ، وإلى آلهة أخرى ليحارب كرونوس ويقضي عليه، كانت الحرب رهيبة واستمرت على مدار سنوات عديدة. وقتل جميع مواليد العصر الذهبي، وبالطبع انتصر زيوس في المعركة، وخلّص أخوانه وأخواته، وبنى

لنفسه قصرًا، كان مقرًّا سيطر منه على البلاد وعلى الناس وعلى الآلهة. وكان هذا القصر بالطبع الاوليمبوس المشهور، تزوج زيوس من أخته هيرا وأنجبا الكثير من الأولاد، وكان لزيوس نساء أخريات وضعن له الأولاد أيضًا، وعلى هذا النحو امتلأ الكون بسرعة بالآلهة الأخرى. قرر زيوس أن يُنتج سلالة بشرية، تمجّد آلهة الأوليمبوس وتقدرها. خُلقت السلالة الجديدة من الفضة ولكن أيامها كانت قصيرة. وكان مواليد ذلك العصر أغبياء لم يحترموا الآلهة، الأمر الذي أثار عليهم غضب زيوس، لذا فقد أخفى زيوس أهل عصر الفضة في رُكن بعيد جدًّا في غياهب الأرض، في العالم السفلي.

لا تسير الأمور في مجاريها دون أبناء البشر، وهكذا بدأ عصر البرونز الذي كون فيه زيوس السلالة البشرية الثالثة المصنوعة من البرونز. ولكن زيوس لم يقرّ عَينًا بهؤلاء الناس؛ لأن أهل هذا العصر كانوا عدوانيين بشكل خاص، ومن مثيري الفتنة والفساد، ويقضي واحدهما على الآخر. لذا قرر زيوس أن يخفيهم على الفور في أعماق العالم السفلي. حينذاك نشأ في العالم جيل الأبطال الذين تحدثت عنهم الأساطير الرائعة في التراث الهيليني. منح كل بطل في عصر الأبطال مكانًا خاصًّا في الجزر المباركة الميمونة الكائنة في أعماق العالم السفلي. كان النور والجمال يعم هذه الجزر بشكل دائم، ولكن حتى رجالات عصر الأبطال اختفت معالمهم وجاءت بعدهم السلالة التي تعرف بالسلالة الحديدية والتي من المفروض، بموجب حكايات الأساطير اليونانية أن تكون أقسى وأصعب من جميع السلالات التي سبقتها. كان يترتب على أهل العصر الحديدي أن يعملوا ويشقوا طوال أيام حياتهم. وأن يعانوا ويموتون كذلك؛ ومع كل هذا فقد كانوا يُعتبرون أقوى من جميع السابقين، وكانوا أيضًا السبب المباشر لخلود وبقاء آلهة الأوليمبوس.(1)

أسطورة خلق المرأة... أسطورة شعبية هندية

يحكي أن الإله الأكبر كان في قديم الزمان مشغولًا بخلق الأشياء كلها، من أرض وسماء ونبات وحيوان وهواء وماء، حتى أتم كل شيء فعمد في نهاية المطاف إلى خلق

(1) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

الإنسان، وبينما كان الإله الكبير يتأمل بإعجاب ما صنعت يداه لمح الرجل يجلس وحيدًا مهمومًا لا يستقر على حال، فاستدعاه قائلًا: إنني أراك على حال لا تسر من الوحدة والملل لهذا رأيت أن أخلق لك شريكًا يؤنسك ويقتل وحشتك، ولكن إله الأساطير عندئذ بحث في جعبته عن مادة يخلق منها هذا الشريك للرجل، وجد أنه استنفذ كل ما عنده من رصيد من المواد في خلق الأشياء، ولكنه حتى يحافظ على وعده للرجل كان لابد أن يجد حلًا والحل هو أن يأخذ قليلًا من كل الأشياء التي حوله ويمزجها ويخلق منها شريك الرجل، فأخذ من غصن البان بعض قوامه، وأخذ من النسيم رقته، وأخذ من الأفعى خبثها، وأخذ من الأرنب وداعته، وأخذ من الطاووس غروره، وأخذ من الماس صلابته، وأخذ من العسل حلاوته، وأخذ من العلقم مرارته، وأخذ من النار حرارتها، وأخذ من الثلج برودته، وفي الطريق وجد بعض الحمام فأخذ هديله، وصادف بعض الببغاوات فأخذ ثرثرتها، وخلط هذا كله فإذا به أمام امرأة أهداها للرجل تؤنس وحدته وتدخل السرور إلى قلبه، أعجب الرجل بهذا المخلوق الجديد فأحبه حبًا جمًا ولكن بعد قليل عاد الرجل إلى كبير الآلهة يحمل المرأة على كتفه ليعيدها إلى إله الأساطير؛ لأنها مخلوق ثرثار عنيد كثير المطالب وبعد قليل من الزمن، فإذا بالرجل يعود ثانية إلى إله الأساطير يشكو من الوحشة والوحدة ويطالب بإعادة المرأة؛ لأنه تعود عليها ولا يستطيع الاستغناء عنها رغم الثرثرة والعناد وكثرة المطالب[1].

السماء لماذا بعيدة؟...أسطورة شعبية نيجيرية

يحكى أنه منذ قرون مضت كانت الأعين في الركب، بدلًا من مكانها الحالي في الوجه، وكانت السماء منخفضة جدًا، حتى أن أي شخص متوسط الطول يستطيع لمسها، كان الرجال في ذلك الوقت على صلة مباشرة بالسماء، وكانت السعادة منتشرة في كل مكان، الرجال المقدسون كانوا يزورون عرش الإله من وقت لآخر، وكان الطعام موجودًا بكثرة، والحياة مليئة بالترف، وبعد أن عاش الناس في رفاهية نسوا أنفسهم ونسوا تقربهم من الله وأصابهم

(١) وعندنا خلقت المرأة من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه إن ذهبت تقيمه كسرته...فاستمتع بها على عوجها وصدق رسول الله ﷺ .

الغرور، فغضب الإله، فأنزل مطرًا من السماء أصاب الناس بالبرص، ومع ذلك لم يحاول الناس التقرب من الله بل كانوا يمدون أيديهم إلى السماء ويمسحون بها، ولم يصلوا لله ولم يشكروه، فأخذ الإله السماء وارتفع بها بعيدًا عنهم حتى لا تصل أيديهم إليها، ومنذ ذلك الوقت والسماء بعيدة عن الأرض[1].

بان قو...أسطورة شعبية من الصين

يحكى أنه في العهود الموغلة في القدم كانت السماء والأرض صنوين لا ينفصلان، وكان الفضاء يشبه بيضة كبيرة، في داخلها ظلام دامس، لا يمكن من خلاله تمييز الاتجاهات. ونشأ في هذه البيضة الكبيرة بطل عظيم واسمه "بان قو" استيقظ بان قو بعد ١٨ ألف سنة من النوم، ولم ير إلا ظلامًا حالكًا، وشعر بحرارة شديدة حتى كاد يختنق، وكان يريد النهوض، لكن قشرة البيضة كانت تلف جسده بشدة، ولم يتمكن من مد يديه ورجليه، فغضب "بان قو" وأخذ يلوح بفأس كانت معه، وبعد ذلك سمع صوتًا مدويًا وانشقت البيضة فجأة، وتطايرت المواد الخفيفة والصافية إلى الأعلى لتشكل السماء وسقطت المواد الثقيلة والعكرة إلى الأسفل لتكون الأرض، وكان بان قو سعيدًا جدًّا بعد انفصال الأرض عن السماء، لكنه خاف من إمكانية التقاء السماء والأرض مرة أخرى في يوم ما؛ لذلك وقف بين السماء والأرض، وكان طوله يزداد عشرة أمتار يوميًّا، ويزداد ارتفاع السماء وسمك الأرض عشرة أمتار يوميًّا أيضًا، وبعد ١٨ ألف سنة، أصبح بان قو عملاقًا، وبلغ طوله ٤٥ ألف كيلومتر، وهكذا استقرت السماء والأرض أخيرًا، ويشعر بان قوه بالتعب الشديد لكنه مطمئن نسبيًّا، وجسده الضخم انهار فجأة. وبعد وفاة بان قو، أصبحت عينه اليسرى الشمس الحمراء، وأصبحت عينه اليمنى القمر الفضي، وتحولت أنفاسه الأخيرة إلى رياح وسحب، وأصبح صوته الأخير هدير الرعد، وأصبح شعره ولحيته نجومًا متلألئة، وتحول رأسه وأطرافه الأربعة إلى أربعة أقطاب للأرض وجبال شامخة، وتحول دمه إلى أنهار

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (لأعراف:٥٤)

وبحيرات، وأصبحت عروقه طرقًا، وأصبحت عضلاته أراض خصبة، وأصبح جلده وأوباره إزهارًا وإعشابًا وأشجارًا، وأصبحت أسنانه وعظامه معادن أحجار كريمة، وتحول عرقه إلى أمطار وندى، وظهرت الدنيا [(١)].

الداء والدواء...أسطورة شعبية هندية

يحكى أن الإنسان والحيوانات مخلوقات كانت تعيش في وئام مع بعضها البعض، فالإنسان كان يأكل الحشائش والنباتات، ولكنه استطعم اللحوم وبدأ يفترس الحيوانات، والتي أرعبها وجود الإنسان معها، فلم تعد تأمن الحياة معه، اجتمعت الحيوانات تبحث عن حل لمشكلة فتك الإنسان بها، وطرح كل حيوان فكرة، فالنسر اقترح الهجوم على خيام الصيادين الأشرار، والدب اقترح استخدام السهم والقوس، وهكذا توالت الأفكار، إلا أن الذباب بعد أن اعترض على اقتراحات الآخرين قدم اقتراحًا باستخدام الطنين الشديد لإزعاج الصيادين، إلا أن اقتراحه نال الاعتراض؛ لأن الإنسان لا يهمه الطنين، فاقترح أن تطلب الحيوانات من الأرواح أن تنزل المرض بالهنود الذين يؤذون الحيوانات، وتعهد الذباب بمساعدة الأرواح للانتقام من الهنود، وبدأت الأمراض تفتك بالهنود جميعهم، الأشرار والخيرين، وحزنت الحيوانات لما حدث، فلم يكونوا يريدون الضرر لمن لم يعتد عليهم، فاجتمعوا مرة أخرى، وتطوعت الأعشاب بتقديم العلاج لمن هو مريض من الهنود.

وهكذا بدأ الهنود في جمع دوائهم من الأعشاب لمحاربة ومكافحة الأمراض التي يصابون بها من الأرواح [(٢)].

---

(١) يقول ربنا سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]

(٢) يعتبر التداوي بالأعشاب من الظواهر العريقة في شبة الجزيرة العربية منذ قديم الزمان، وكان الأطباء العرب القدماء يؤمنون بأنه لا يوجد مرض لا يمكن علاجه بالنباتات، وقد تدرجت معرفة هذا النوع من التداوى من سلالة إلى أخرى حتى كونت ما يسمى بالطب الشعبي في العالم العربي، ولقد اشتهر العرب في تطوير التداوى بالأعشاب خلال العصور الوسطى، وانتشرت أبحاث ومخطوطات مبنية على قواعد قوية إبان العصر الذهبي للطب الإسلامي، حيث انتشرت شهرة الأطباء العرب عبر العالم مع انتشار الإسلام، وبالأخص عن طريق الحجاج الذين يفدون إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي بعض البلدان مثل الصين والقارة الهندية يتم التداوي بالأعشاب بصفة كبيرة وهناك العديد من المتخصصين في علم الأعشاب يتوارثونه أب عن جد مما جعل له مكانة كبيرة في العلاج من الأمراض.

قاطع الأحجار..أسطورة شعبية من اليابان

كان يا مكان في قديم الزمان قاطع أحجار فقير اعتاد كل يوم على الذهاب إلى الجبل القريب من منزله يقطع منه الأحجار التي تستخدم في بناء المنازل.

وفي يوم من الأيام شاهد بدهشة بناء قصر كبير وهو في طريقه للجبل، ظل يتأمل القصر ويتعجب من عظمة البناء وقارن بين حياته وحياة من يسكنون هذا القصر، وقال لنفسه: آه لو امتلكت هذا القصر سأكون أسعد الناس وستكون حياة الشقاء في عالم النسيان.

وحققت له روح الجبل ما تمنى ولكنه سرعان ما أدرك أنه حتى أصحاب القصور الفارهة يشعرون بالحرارة عند التعرض للشمس، فحدث نفسه قائلًا: آه لو كنت فقط كالشمس وقتئذ سأكون سعيدًا حقًّا.. وفجأة تحققت أمنيته..وشعر قاطع الأحجار بالسعادة مجددًا.. ولكن مرت سحابة ذات يوم من أمامه وحجبت أشعته البراقة، فحدث نفسه قائلًا: آه لو كنت فقط كهذه السحابة سأكون سعيدًا حقًّا، وفجأة تحققت أمنيته هذه المرة أيضًا. ولكنه تعب من كونه سحابة.. حيث كانت الرياح تلقى به هنا وهناك، فحدث نفسه قائلًا: آه لو كنت فقط كالرياح سأكون سعيدًا حقًّا، وفجأة تحققت أمنيته، وفى يوم من الأيام ذهب إلى الجبل الذي لم يكن يهتز مهما حاول أى شيء أن يدفعه، فحدث نفسه قائلًا: آه لو كنت فقط كهذا الجبل وقتئذ سأكون سعيدًا حقًّا، وفجأة تحققت أمنيته، ولكنه شعر فجأة بحكة خفيفة، وعندما نظر رأى قاطع أحجار يقطع منه بعض الحجارة(1).

وقتئذ أدرك فقط أين تقع السعادة، فحدث نفسه قائلًا: آه لو كنت مثل قاطع الأحجار هذا، وقتئذ فقط سأرضى وأسعد بقية حياتي، وفجأة تحققت أمنيته وشعر في النهاية بالسعادة الحقيقية.

السعادة = الرضا(2).

---

(1) قد تكون حياة قاطعي الأحجار بسيطة في حد ذاتها، إلا أن عملهم يلعب دورًا مهمًا في الكثير من مظاهر الحضارة، مثل دورهم الكبير في بناء أهرامات الجيزة بمصر.

(2) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية/ بتصرف.

يه - شين...أسطورة شعبية من الصين

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل له ابنة جميلة اسمها (يه – شين) ماتت أمها وهي صغيرة، فتربت في رعاية زوجة أبيها، وكانت لزوجة أبيها ابنة وحيدة، فكانت زوجة أبيها تكلفها بالأعمال الشاقة والصعبة، ولم يكن لها أصدقاء تشكو إليهم تصرفات زوجة أبيها، سوى سمكة ذهبية تعيش في النهر، فكانت تذهب إليها وتحكي لها أسرارها وما تلاقيه من قسوة في هذه الحياة.

اكتشفت زوجة أبيها الصداقة التي تجمع بينها وبين السمكة الذهبية فاصطادتها على الغداء، أمرت الزوجة البنت بجمع بقايا عظام السمكة، وأثناء جمعها للهيكل العظمي للسمكة أخبرها أن تتمني، وسوف يحقق لها كل ما تتمني، تمنت البنت من هيكل السمكة مساعدتها في الذهاب إلى الحفل الذي يقام كل ربيع، فزوجة أبيها رفضت وبشدة أن تذهب إلى الاحتفال، حتى لا تلفت بجمالها الأخاذ أنظار الحاضرين عن ابنتها الوحيدة التي ليست على قدر جمالها والتي لا تحظى بالقليل من جمالها هي، ولهذا تمنت الذهاب إلى الحفل، وفي لمح البصر وجدت نفسها في الحفل ترتدي ثوبًا من ريش الطاووس وفي قدميها حذاءً ذهبيًا.

وفي الحفل، رقصت واستمتعت بوقتها كثيرًا، وفجأة أحست بالرعب عندما شاهدت زوجة أبيها قادمة صوبها، ولاذت بالفرار مذعورة يلفها الخوف والذعر والارتباك، وفقدت فردة من حذائها الذهبي، ولم تتمكن من أخذها، وفي الصباح كان الجميع يتكلم ويتحدث عن تلك لفتاة الجميلة، أعلن الحاكم أن ابنه يرغب في الزواج من الفتاة التي تلائم فردة الحذاء الذهبي مقاس قدمها.

حاول الجميع نيل هذا الشرف ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذر يع فلم تلائم فردة الحذاء مقاس قدم أي منهن، وعندما رأى الحاكم (يه- شين) طلب منها أن تجرب الحذاء، فجاء على مقاسها، وتزوجت من ابن الحاكم وعاشت في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات[(١)] [(٢)].

---

(١) تسمى هذه القصة بقصة سندريلا الصينية، والرواية الصينية التي ظهرت في القرن التاسع الميلادي لهذه القصة تعد واحدة من أقدم الروايات المعروفة، فهناك أكثر من ثلاثة روايات مختلفة لقصة سندريلا.

(٢)هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية بتصرف

الملك الفيلسوف آشوكا...أسطورة شعبية هندية:

كان يا ما كان في قديم الزمان ، كان هناك ملك اعتلى عرش الهند اسمه الملك (آشوكا فاردانا)، وكانت مملكتة عريضة تضم كل الهند الحالية ماعدا مناطق التأميل. وكان ملكًا جبارًا يحكم بالحديد والنار، بنى سجنًا رهيبًا شمال العاصمة أطلق عليه الناس (جحيم آشوكا)، وكانت تعاليمه: أن من دخله لا يخرج منه حيًّا. وفي يوم من الأيام أخبره السجان أن راهبًا بوذيًا ألقي في القدر المغلي فلم يصب بأذى، فهرع الإمبراطور ليطلع على أمر الراهب فوجد ذلك حقيقة، فلما أراد الانصراف منعه السجان بقوله: تعليماتك يا سيدي ننفذها حرفيًّا فمن دخل خرج ميتًا ولن تشذ أنت عن القانون، نظر آشوكا إلى السجان بعجب وغضب ثم أمر أن يلقى في القدر المغلي فمات مسلوقًا مثل الدجاج، ورجع الملك إلى قصره وهو يفكر بعجائب تصريفات الأحداث، فلم ينم ولم يخرج عليه الصبح إلا والرجل قد انقلب على عقبيه، وسيطرت عليه الرحمة للعباد. فأمر بهدم سجن الجحيم، ثم أصدر أوامره بالكف عن الحرب بتاتًا، وبدأ في حملة بناء المدارس والمشافي بما فيها مستشفيات للحيوانات. وهكذا كفت طبول الحرب عن القرع ونطق القانون. واعتنق مبدأ الطريق ذو الحكم الثمانية:(الآراء القويمة والأهداف الصحيحة والقول السديد والأفعال الصالحة والمعيشة الصحية والمجهود المكافئ والذاكرة بتركيز والتأمل الباطني) وهي مراحل تؤدي إلى التنوير الكامل. وبدأ يعيش ببساطة وبنى ٤٨ ألف مركز ثقافي وأرسل اعتذارًا عجيبًا لقبيلة (كالنجا) عن سلبهم وأعاد إليهم أراضيهم وعوضهم عن خسائرهم، لم يصدق الناس عيونهم هل يمكن أن يتحول الإنسان إلى ملاك؟ في الواقع كان آشوكا قد أنقلب جذريًّا وآمن بالسلم وسيلة لحل المشاكل بين البشر وكف عن شن أية غارة أو حرب مع الجيران أو داخل بلده، وبدلًا عن ذلك بدأ بنشر تعاليم الرحمة وأوصى موظفيه أن يعاملوا الناس بالحب والمرحمة وأنه يعاملوهم مثل أبنائهم. فترك ذكراه العطرة في التاريخ وانتشرت البوذية بفضله من سيلان إلى اليابان شاهدًا على أثر السياسة في المذاهب.

ذات الرداء الأحمر...أسطورة شعبية مصرية

كان يا ما كان في قديم الزمان طفلة رقيقة وجميلة، وكان أهل قريتها يسمونها " ذات الرداء الأحمر؛ لأنها كانت تلبس دائمًا رداء من الصوف الأحمر شغلته لها أمها، وكانت تبدو فيه جميلة لطيفة، فأحبّها جميع أهل القرية، وذات يوم أرسلتها أمّها لتزور جدّتها المريضة الّتي كانت تعيش في الطّرف الآخر من الغابة، وملأت لها سلّة بالفاكهة والطّعام، وأوصتها ألاّ تتوقف في الطريق وألاّ تحادث أحدًا لا تعرفه، وسارت "ذات الرداء الأحمر" في طريقها وسط الغابة، وكان الجو بديعًا والطيور تغرّد، فراحت تقطف الزهور وتصنع منه باقة لجدّتها، وبين وقت وآخر كانت ترفع رأسها إلى الأشجار لتراقب العصافير طائرة تمرح بين الأغصان، وسمع الذئب الشرير خطوات "ذات الرداء الأحمر" فتقدّم يُحيّيها، ويحدثها عن أخبار حيوانات الغابة، ونسيت الطفلة نصيحة أمها فقالت للذئب: أنها ذاهبة لزيارة جدّتها، وفكر الذئب في حيلة شريرة فحيّاها وانصرف بسرعة وسبقها الذئب إلى منزل الجدّة، فطرق الباب وقلّد صوت الطفلة ففتحت له الجدّة، وعلى الفور هجم عليها وابتلعها في جوفه، ثمّ لبس ملابسها، وغطى رأسه بقبعتها، ووضع النظارة على عينيه، ونام في سريرها، وبعد قليل وصلت "ذات الرداء الأحمر" إلى منزل الجدّة وطرقت الباب، فقلّد الذئب صوت الجدّة، وطلب إليها أن تدخل فدخلت، وفي الحال هجم عليها وابتلعها كما ابتلع الجدّة قبلها ثمّ خرج لينام تحت شجرة قريبة، ومرّ الحارس بمنزل الجدّة فوجد الباب مفتوحًا ولم يجد الجدّة، ورأى الذئب نائمًا تحت الشجرة وبطنه منتفخ جدًا، وأخبرته بومة تقف على أحد الأغصان بما فعل الذئب كما رأته من شباك المنزل، وأسرع الحارس وأخرج سكينًا شقّ بها بطن الذئب النائم وسحب منها "ذات الرداء الأحمر" وجدّتها سالمتين ثمّ ترك الذئب مقتولًا لتراه حيوانات الغابة، وتتعلّم من موته ألاّ نعتدي على حياة سكان الغابة، وما أن رأت الجدّة حفيدتها "ذات الرداء الأحمر" حتّى أخذتها في حضنها ثمّ قصّت كل منهما قصّتها مع الذئب الشّرير وشكرت الجدّة و"ذات الرداء الأحمر" حارس الغابة الذّي أنقذهما من الموت، ودعت الجدّة حارس الغابة إلى وليمة فاخرة اعترافًا بجميله في إنقاذها وحفيدتها من الموت في بطن الذئب، أمّا "ذات الرداء الأحمر" فقد تذكرت نصيحة أمّها وعرفت جزاء من يخالف تعاليم والديه.

السمكة واللؤلؤة...أسطورة شعبية عراقية

كان يا ما كان في قديم الزمان، رجل طيب يعيش في أحد الأحياء الفقيرة في البصرة، له أولاد صغار يعملون جميعًا في غزل القطن، وكان أبوهم يذهب كل يوم إلى السوق يبيع الغزل ويشتري قطنًا جديدًا ويشتري طعامًا بما تبقى من الربح.

وفي يوم من الأيام وبعد أن باع الغزل كعادته، قابله أحد الأصدقاء القدامى، فشكا إليه ظروفه القاسية وحاجته الشديدة إلى المال ليسد جوع أولاده الذين يخشى عليهم الهلاك بسبب الجوع والتعب.

فما كان من الرجل الطيب إلا أن أعطاه ثمن الغزل الذي باعه ورجع إلى أولاده بلا قطن وبلا طعام.

سأله أولاده بعدما رجع عن القطن وعن الطعام، فأخبرهم القصة كاملة، فتعجبوا من هذا التصرف الغريب والعجيب، فماذا يبيعون بعد ذلك؟ وماذا يأكلون اليوم وغدًا؟ وقالوا له: ماذا ستفعل الآن يا أبي؟!

قال لهم: سوف أبيع هذه القصعة، وكان شكلها رث وقديمة كالزمان ومكسورة لا تشجع أحدًا على شرائها.

ذهب الرجل الطيب بالقصعة إلى السوق وعرض قصعته للبيع، فلم يشترها أحد، وبينما هو جالس وطالت جلسته، مر عليه رجل معه سمكة فاسدة أو شبه فاسدة فقال له: أتبيعني القصعة بالسمكة؟

فوافق الرجل وعاد بالسمكة إلى أولاده، فقالوا له: نشويها جيدًا يا أبي ونأكلها إلى أن يرزقنا الله من فضله، وبينما هم يفتحون بطنها لينظفوها، كانت المفاجأة وجدوا لؤلؤة ثمينة، فتعالت صيحاتهم وضحكاتهم وفرحوا فرحًا شديدًا.

وذهب الأولاد إلى أبيهم يزفون إليه البشرى، فلما استوعب الموقف وزالت عنه دهشة المفاجأة قال لهم: لابد أن نتأكد يا أبنائي أولًا أن هذه اللؤلؤة رزق ساقه الله إلينا، وليست

مملوكة لأحد من الناس سقطت منه في الماء فابتلعتها هذه السمكة، وسألوا أباهم بصبر نافذ: وكيف لنا أن نتأكد من ذلك يا أبي؟ قال لهم والابتسامة تملأ وجهه: هذه اللؤلؤة رزق ساقه الله إلينا وسأبيعها في السوق وفي الحال، وقال لهم: إن كانت هذه اللؤلؤة مملوكة لأحد من الناس كان لابد أن تكون مثقوبة حتى يضعها في قلادة أو خاتم جميل، أما هذه اللؤلؤة فغير مثقوبة[1].

علت ضحكات الأولاد وراحوا يتغامزون من فرط السرور والسعادة، وذهب الرجل الطيب إلى أحد الصاغة في السوق، فباعها له وعاد إلى أولاده بمال وفير وطعام شهي[2].

شيخ قبيلة الأباتشي يعاقب زوجته... أسطورة شعبية من أمريكا الشمالية

كان ياما كان في قديم الزمان كان هناك جماعة من الهنود الحمر تحب الترحال، وبينما هم في ترحالهم وجدوا بحيرة من الماء، ولكن كان ماء تلك البحيرة صعب المنال، ومن أجل الوصول إلى الماء الغائر داخل البحيرة وضعوا جاموسًا داخل البحيرة ليضعوا أقدامهم عليه حين استسقائهم من البحيرة. وذهبت زوجة شيخ القبيلة ومعها جرتها إلى البحيرة، وحينما شاهدت رأس الجاموس شرعت تتحدث مع الرأس وتقول له: أنت أبي، لقد كنت رجلًا كاملًا ووسيمًا، كم كنت أتوق لرؤيتك حيًّا. يا للحسرة إذ أراك معفرًا بالطين والوحل. ولما فرغت من همهمتها نط بجانبها جاموسًا أبيض ضخم الجثة، وقال لها: أنا الرجل الذي تتحدثين عنه، أنا شيخ قبيلة الجاموس الأبيض، وأريد أن آخذك معي، اجلسي على رأسي فيما بين القرنين، رمت المرأة جرتها وركبت على رأس الجاموس، وحينما حل الظلام والمرأة لم تعد إلى زوجها أحس زوجها بأن حادثًا قد حدث لزوجته وذهب إلى البحيرة باحثًا عنها فرأى

---

(١) يمكن أن تقوم بعمل تجربة بسيطة حتى تتأكد أن السمك الذي اشتريته والدتك طازجًا أم لا. ضع السمك في إناء مملوء بالماء، فإذا طفت واحدة أو أكثر فوق سطح الماء، فاعلم أنها فاسدة، أما السمك الطازج فإنه يغوص تحت الماء.

(٢) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية/ بتصرف.

جرتها مرمية على الأرض ورأى آثار جاموس ضخم وقد انغرست في الأرض فعلم أن رأس الجاموس قد تجسد حيًا وأخذها وفر بها باتجاه الشرق. فعاد الرجل إلى مخيمه وشرع يصنع سهامًا، ولما صنع من السهام ما يظنه كافيًا انطلق في طلب أثر زوجته، وهو في طريقه مر على بيت من بيوت العنكبوت وأوشك أن يخسف أحد هذه البيوت بوطأة قدمه، فطلعت عليه عنكبوت عجوز وصاحت به: ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ يا حفيدي، لا تهشم رأسي أيها الحفيد العزيز، أنت زعيم الأباتشي يا من اسمك (يحيا سعيدًا)، ماذا تفعل هنا؟

رد قائلًا: إني أبحث عن زوجتي يا جدتي، لقد خطفها زعيم الجواميس هل تستطيعين مساعدتي؟!

نعم يا حفيدي، سأعطيك دواء تستعين به، ولكن احذر فزعيم الجواميس قوي وجبار، ولقد تزوج امرأتك، وهي الآن أم قبيلة الجواميس، وتعيش مع زوجها الجديد في الوسط والجواميس تحيط بها من كل الجهات، وقد صنعوا لها ثوبًا مرصعًا بأسنان الوعول. ولو بدا منها أي حركة فإن الثوب يصدر أصواتًا تثير انتباه الجميع، ولذا يصعب أمر إخراجها من بينهم، لكن اذهب أنت إلى طرف الموقع وانتظر هناك، وأنا سأتولى الباقي. تصرف الزعيم (يحيا سعيدًا) كما قالت جدته العنكبوت ووقف على مشارف أرض الجواميس، وهناك رأى خصمه زعيم الجواميس البيضاء يتوسط جماعته الذين اصطفوا حول الزوجة، وهي ترقص على وقع أهازيجهم.

اقترب الأباتشي (يحيا سعيدًا) من جمع الجواميس وفتح قارورة الدواء التي زودته بها جدته العنكبوت، وما إن فعل ذلك حتى خرت الجواميس كلها نائمة على الأرض.

وفي هذه الأثناء تسللت العنكبوت عبر مسارب الأرض حتى قاربت أذن المرأة فهمست فيها وقالت لها: لقد جئت لآخذك، ومعي (يحيا سعيدًا) زوجك زعيم الأباتشي. قالت المرأة إن الجاموس الزعيم قد تزوجني، وهو كائن جبار، ولقد شبك أسنان الوعول في ثوبي، ولسوف تصدر عنها أصواتًا تنبه إلي وتكشف حركتي، قالت العنكبوت العجوز: اجمعي أطراف ثوبك وضعيها تحت إبطيك واتبعيني. وهكذا سارت المرأة خلف العنكبوت وتسللتا عبر الجواميس النائمة.

تقابل الزوج الأباتشي مع زوجته المخطوفة وأبلغها الزوج عن نيته في إعادتها، فبادرته بالتحذير وأن يسرع بأخذها إلى مكان آمن، قبل أن ينتبه الجاموس، كانت الأرض واسعة وفسيحة وسار الزوجان في تلك الفيافي إلى أن وصلا إلى غابة من أشجار القطن، وما أن وصلا هناك حتى أحسا بالأرض تهتز وترتعش تحتهما، لقد تيقظ الجاموس الأبيض ولم يجد المرأة في مكانها فصاح بقومه أن هبوا من مراقدكم فلقد خطف خاطف زوجتي وفر بها، فانطلقت عواصف الجواميس تطوي الأرض طيًّا وتنهب المسافات نهبًا في أثر الفارين وباتجاههما.

تلفت الزعيم الأباتشي من حواليه باحثًا له ولزوجته عن مخبأ فاستجار بأول شجرة قطن تصادفه وقال لها: أنت أخي أيها القطن فأجرني وزوجتي عندك من الجواميس، فقالت الشجرة: اطلب الجيرة من أخيك الثاني في الشجرة المجاورة، فأنا شجرة مسنة وضعيفة. فراح للثانية وكان جوابها كالأولى، ودلته على الثالثة. استجار بالشجرة الثالثة وكانت شجرة شابة قوية فرحبت به وقالت له: اصعد أنت وزوجتك فوقي واختبئ بين الأوراق.

دخلا في الشجرة وأحاطا نفسيهما بالأغصان وأحسا بأنهما في أمان الآن، غير أن المرأة أحست بحاجتها للتبول، فأخرج الزوج قناع وقال لها: تبولي هنا في القناع، ففعلت ولكن شيئًا من البول تسرب وتساقط على الأرض.

وكانت الجواميس تخترق الغابة وسط أشجار القطن تتطاير الأرض من تحت حوافرها قطعًا من الطين والحجار، وتملأ المكان بعواصفها وهديرها، ومرت من حول الزوجين دون أن تلحظهما.

غير أن جاموسين كانا في مؤخرة المسيرة أحدهما عجوز طاعن السن، والآخر فتى صغير، وكانا يسيران بهدوء، وفجأة توقف الصغير ونادى على جده قائلًا: توقف يا جدي، إني أشم رائحة بول زوجة الزعيم، إنها هنا في الشجرة. قال العجوز: يا بني أنت سريع فانطلق نحو الركب وأبلغ أول جاموس تلحق به، وهو يبلغ أول ما يسمعه، وهكذا تصل السلسلة إلى الزعيم في المقدمة.

وما هي إلا لحظات حتى عادت جموع الجواميس وأحاطت بالشجرة. أخرج الأباتشي (يحيا سعيدًا) كنانة سهامه وحاول أن يرمي الجواميس بما لديه من سهام، ولكن الجاموس

الأبيض الزعيم لم يترك وقتًا للانتظار فينقض على الشجرة وينطحها برأسه نطحة هزت الشجرة بعنف وكاد الزوجان أن يسقطا من تلك الهزة، وجاء غراب يصرخ من فوق الزوجين: كاو...كاو...كاو.... كاو.

فصاح الأباتشي (يحيا سعيدًا) بالغراب قائلًا: كيف بك تصرخ بي وأنت ترى ما أنا فيه...؟!

قال الغراب: لقد جئتك لأبلغك بأن ترمي الجاموس من فتحة الشرج، فإنه يموت حالًا؛ لأن روح الجاموس هناك في تلك الفتحة.

وفعل الأباتشي حسب نصيحة الغراب فقتل الجاموس، ونزل الأباتشي وزوجته إلى أسفل، وقام بتقطيع لحم الجاموس وأوقد نارًا ليشوي اللحم.

كان الرجل يقطع اللحم والمرأة تنظر فتساقط الدمع من عينيها. ولاحظ زوجها دموعها فسألها: هل تبكين؛ لأنني أقطع لحم الجاموس الأبيض؟

فقالت: لا. إنما دمعت عيناي من الدخان.

واستمر الزعيم الأباتشي يقطع ويشوي، وفي الوقت ذاته يختلس النظرات الخفية نحو زوجته، فلاحظ أنها مازالت في دموعها، فقال لها: إنك تبكين..!

أجابت: لا..إنه الدخان ليس إلا.

فرد الزعيم بغضب وقال: بل تبكين، إنك تبكين عليه، على الجاموس الأبيض، إنك تريدينه. وبعد كل التعب الذي تعبته من أجلك، ها أنت تبكين عليه. إذن.. فلتموتي معه. وجرّ كنانته وسهامه وصوب عليها سهمًا أرداها ميتة بجانب الجاموس الأبيض.

وراح يصيح في الفضاء: أنا زعيم الأباتشي، زعيم القبيلة النازعة أبدًا للترحال، سوف أطوف فوق هذه الهضاب مراقبًا متربصًا، ولو رأيت امرأة تفر من زوجها فسوف أفعل بها ما فعلت مع زوجتي[1].

---

(١) هذه حكاية الحكايات مما يجعلها تقترب وتتلامس مع حكاية شهريار قبل لقائه مع شهرزاد، حيث نجري معاقبة وملاحقة الجنس النسوي بوصفه جنسًا غادرًا خائنًا ماكرًا، وليس له سوى القتل والحرق. ولهذا وقف الأباتشي شاهرًا سيفه ومقسيًا على ملاحقة أي أنثى تفكر بأن تفر تمامًا مثلما كان شهريار، يقتل إناث مدينته بعد أن يفتض بكارتهن.

لا تتزوج إلا بكرًا...أسطورة شعبية من قلب الجزيرة العربية

كان الأطفال في هذه الليلة في شغل شاغل، فقد هبطت أمطار غزيرة على البلدة وسالت شعابها ووديانها، فكان الأطفال يخوضون في السيل ويلعبون وفيه يتلذذون بمنظره وهو يجري ويتقاذف، ولهذا كانت الجدة قلقة عليهم في هذا اليوم ولم يطمئن بالها حتى خيم الظلام وحجب الأبصار عن الرؤية واشتد البرد، الأمر الذي جعل الأطفال يبحثون عن الدفء ويبحثون عن التسلية ويبحثون عن الراحة أيضًا، واجتمع الأطفال حول جدتهم واقترح أحدهم بأن تقص عليهم سالفة الرجل الذي أوصاه والده بأن لا يتزوج إلا بكرًا ولكنه عصاه فتزوج ثيبًا وماذا جرى له بسبب مخالفته لوصية والده؟!

كان رجل تاجرًا مشهورًا له ثروة طائلة ولم يرزق إلا ولدًا واحدًا فكان هذا الولد هو أمله في الحياة وهو موضع اهتمامه ورعايته وكبر هذا التاجر.. وصار له ولد شاب مكتمل الرجولة، وأحس الوالد بالضعف والكبر فصفى تجارته وحولها إلى ذهب ولم يترك منها إلا بقايا بسيطة للإنفاق على أسرته، وجمع هذا الذهب ووضعه في جلد رقبة بعير، ثم حفر حفرة تحت سقف الدرجة ودفنه فيه، وصار معظم أماني الوالد أن يتزوج ولده، ولكن الزواج لا بد أن يكون من امرأة تكون بكرًا لم تجرب الأزواج ولم تتنقل بينهم، ودعا ولده ذات يوم وقال له: يا ولدي إن أيامي في الدنيا معدودة، وإن أمنيتي في أخريات حياتي أن أراك متزوجًا زواجًا موفقًا، وأن أرى أولادك قبل أن أغادر هذه الدار الفانية، وإن لي وصية في الزوجة وهي أن تكون بكرًا، وإياك والثيب!!

فأجابه ولده: بأن عمرك إن شاء الله سوف يطول وأن نصائحك لي سوف تكون نافذة، وسأحرص على تطبيقها بحذافيرها، فدعا له والده بالتوفيق ثم انصرف الولد من عند والده، ودارت الأيام وأحب الولد امرأة مطلقة بطريقة ما!! وبادلته هذا الحب، واتفقا على الزواج واشترط عليها إذا سألها والده هل هي بكر أو ثيب أن تقول له إن ولدك تزوجني وأنا بكر، وتم الزواج ونقل الولد زوجته إلى دار أبيه وسأله هل زوجته بكر فقال إنها بكر، وسأل الوالد الزوجة عن ذلك فكان جوابها مطابقًا لجواب ولده، وسر الوالد من هذا الزواج وقرت عينه

باستقرار ابنه، ووضعه اللبنة الأولى في سبيل تكوين أسرة تحمل اسم العائلة وتخلد ذكراها!! وتكاثرت الأمراض على الأب، وحطت من قواه أمراض الشيخوخة فكانت زوجة ولده تظهر نحوه عطفًا وشفقة وتقوم بخدمته ليل نهار ولا تكاد تفارق فراشة الذي أمسى ملازمًا له طيلة ساعات الليل والنهار، وتوسم الشيخ في زوجة ولده عقلًا ونجابة وحسن تدبير، كما أنه من ناحية ثانية يرى أن ولده لا يزال في طفرة الشباب، ولا تزال تسيطر على نفسه بعض نزوات الشباب وطيشه، ولهذا فقد أخفى مخزون الذهب عن ولده ولم يطلعه على أي خبر عنه، وعندما أحس الشيخ بدنو أجله، جاء بزوجة ولده وقال لها: لقد خلّفت لكم ثروة بعضها بين أيديكم أنفقوا منها باتزان وتعقلوا البعض الآخر مدفون تحت سقف هذه الدرجة، فإن احتجتم فخذوا من هذا الذهب المخزون تحت الدرجة، وإياك أن يعلم عنه زوجك أو يستولي عليه، فإنني أخشى أن يسرف في الإنفاق منه، وأن يبدده فلا يكون أمامكم إلا الحاجة والعوز!! فدعت له زوجة ولده وأكثرت من الدعوات الصالحات، ومات الأب وورث ثروته الابن وصار ينفق مما تحت يده نفقة من لا يخشى الفقر، ولا يحاول أن ينمي شيئًا منه، أو يبحث عن مصادر تعوضه عما ينفق، واستمر على هذه الحالة إلى أن تقلص ما عندهم من نقود ثم جعل يبيع الأثاث والمفروشات وينفق من ثمنها ثم بعد هذا لم يجد الشاب شيئًا ينفق منه فضاقت به البلد، وتغيرت نظرات الناس فيه وبدأ يرى علامات الإهمال والانصراف حتى من أعز أصدقائه، ورأت زوجته ما هو فيه من حالة سيئة، من جراء الفقر والعوز الذي يعيش فيه فأشارت عليه بأن يسافر، وأن يسعى في طلب الرزق فلعل الله يفتح له بابًا يعيش منه وينفق على عائلته! وعزم الشاب على السفر، ورأى قافلة متجهة إلى الكويت فرافقها ووصل إلى الكويت، والتمس عملًا يكسب منه الرزق، ولكنه لم يجد فالأعمال الشاقة لا يرضاها لنفسه والعمل الهادئ لم يتيسر له، وذهب ذات يوم بعد أن خاب أمله في وجود عمل يتناسب مع رغباته، ذهب إلى أحد المساجد وصلى فيه صلاة الظهر، وكان من الصدف المباركة أن كان يصلي بجانبه أحد أثرياء البلد، فسلم الثري على الشاب وسأله عن بلده فأخبره بها ثم سأله عن عائلته، فأخبره أيضًا أن فلان ابن فلان!! وسمع هذا التاجر اسمًا ليس غريبًا عليه، بل هو اسم تاجر من تجار نجد كان يتعامل معه، ويبيع ويشتري منه بمبالغ طائلة،

فقال التاجر: وما هي أخبار والدك، فقال: توفي!! فدعا التاجر لزميله الراحل بالرحمة والغفران، ثم سأل التاجر هذا الشاب عن سبب مجيئه إلى الكويت وتحمله مشاق السفر فقال الشاب لقد أنفقت ما تبقى من المال بعد أبي، ونفذ ما في يدي، ولم يبق أمامي إلا السفر لطلب المعيشة!! فقال التاجر لهذا الشاب أن لوالدك ثروة كبيرة لا يمكن أن تنفد بهذه السرعة، ولابد أن في الأمر سرًا فهل أوصاك والدك قبل الوفاة بوصية خاصة!!

فقال الشاب نعم إنه أوصاني بألا أتزوج ثيبًا بل عليّ أن أتزوج بكرًا، ولكنني أحببت واحدة في أخريات حياة والدي وكانت ثيبًا.. فدفعني الحب الذي جعله الله في قلبي لهذه المرأة إلى أن أتزوجها وأن أخدع والدي وأكذب عليه بأنها بكر وتواطأت مع زوجتي على ذلك فلم يشك والدي في صدقنا، ومات مطمئن البال قرير العين؛ لأن آخر أمنياته في الحياة أن يراني متزوجًا سعيدًا بزواجي، وفعلًا كان هذا فقد كانت زوجي ذكية عاقلة مدبرة لشئون البيت، كما أنها أولت والدي في أيامه الأخيرة عناية فائقة وكانت لا تكاد تفارق فراشة في ليل أو نهار لتوفر له جميع طلباته، وتساعده على جميع الصعوبات التي كان يعاني منها!! فقال التاجر: ومع هذا كله فإن في الأمر سرًا لا يزال غامضًا ولا بد من التحايل على معرفة هذا السر!! فقال الشاب: إن الأمر إليك فانظر ما هو الطريق الموصل إلى اكتشاف هذا السر..!!، قال التاجر: لقد رأيت أن أفضل طريقة هي أن أزوجك ابنتي البكر وأن تسافر معك إلى بلدك على أساس أنها عبدة مملوكة، وسوف تطلى جلدها بطلاء أسود بحيث من يراها لا يشك في أنها جارية سوداء، وتذهب بها على زوجتك وتقول أنها جارية وجدتها رخيصة فاشتريتها وقد جئت بها لخدمتك، وهي لا تسمع ولا تتكلم، وسوف نؤكد على ابنتي ألا تتكلم بأي كلمة، وأن تتظاهر بأنها لا تسمع أي كلمة ولكن هذا كله بشرط، فقال الشاب: وما هو الشرط، فقال ألا تمس ابنتي وأن يكون هذا العقد عقدًا صوريًا لا يبيح لك أن تضاجعها، ولا أن تفعل معها ما يفعله الأزواج مع زوجاتهم وإذا خالفت هذا الشرط فان العقوبة تكون قطع يدك اليمنى.

فقبل الشاب هذا الشرط ورضي بالجزاء إذا خالفه وعقد الزواج بين الشاب وابنة التاجر، وطليت بالطلاء الأسود ليعتقد من يراها أنها جارية، وتظاهرت بالصمم والطرم، وصل الشاب إلى بلده، ودخل بيته فوجد زوجته على الحال التي تركها عليها وجاء بالجارية،

فقال لها: هذه جارية وجدتها رخيصة فاشتريتها لتكون خادمة لك إلا أن فيها عيبًا فهي لا تسمع ولا تنطق، ولكن ذلك لا يهمنا فإن من الممكن إفهامها بالإشارة عما نريد أن تعلمه، أما ما عدا ذلك فلسنا في حاجة إليها.

واقتنعت الزوجة بهذا الكلام ولم يدخلها أي شك في أن هذه الجارية لا تسمع ولا تنطق، بقي الزوج مع زوجته يروح ويغدو إليها والجارية عندها تعمل في البيت حتى علمت الزوجة بمواعيد معينة لخروج زوجها ومجيئه وأخبرت حبيبها بذلك، فصار يأتي إليها في الأوقات التي يكون زوجها خارج الدار ويخلو بها خلوات مريبة، والجارية ترى وكأنها لا ترى شيئًا، وجاءها ذات يوم هذا الحبيب، وقال لها: لقد وردت بضاعة رخيصة مكاسبها الشيء الكثير، وإني أريد منك أن تعطيني مائة قطعة ذهبية، وسألت الزوجة حبيبها عن نوع البضاعة فقال إنها قطعان من الإبل المعروضة للبيع، وثمنها رخيصة وفيها مكاسب كبيرة.

فذهبت الزوجة، ثم جاءت بالقطع الذهبية المطلوبة ودفعتها لحبيبها، وثمنت له مكاسب طيبة، وجاء الزوج فانتهزت الفتاة فرصة من فرص غفلتها أو انشغالها فأخبرت الزوج بما رأت وما سمعت وانكشف الأمر للزوج، وكان قد رسم الخطة رسمًا دقيقًا بحيث لا يحتاج إلى تأمل ولا تفكير.

ودعا زوجته فقال لقد قررت الرحيل من هذه البلد؛ لأنه لا عمل لي فيها ولا رزق، والمرء يسعى وراء الرزق في أي مكان فهل ترافقينني إلى حيث أريد، فاعتذرت الزوجة بأنها لم تألف الغربة، ولا تقوى على مشقة السفر، وفي إمكانه أن يذهب وحده، ثم يعود إليها متى شاء.

فقال الزوج: إذن ارحلي إلى أهلك وابقي عندهم؛ لأنني سوف أبيع هذه الدار حالًا، وبالثمن الذي تقف عنده بعد عرضها في المزاد العلني، فلم يسع الزوجة إلا أن تجمع أغراضها الخاصة ثم تذهب إلى بيت أهلها، ودخل الزوج إلى بيت الدرجة فوجد المال فاستخرجه كله وباع أثاث بيته وقال لأحد الباعة أعلن عن بيع بيتي في المزاد العلني، فبدأ هذا البائع ينادي على البيت ويعرضه للراغبين، وذهبت هذه الزوجة إلى حبيبها وقالت له اشتر

البيت بأي ثمن يطلب فيه، ولا تدعه يذهب إلى غيرنا، فإن فيه مالًا وفيرًا يعوضنا عن جميع ما ندفع فيه، وكان البيت تقدر قيمته بألفي ريال مثلًا ولكن الثمن الذي دفع فيه بلغ عشرة آلاف ريال، دفعها حبيب الزوجة الخائنة، وباع الرجل بيته وقبض ثمنه وشد الرحال متوجهًا إلى المدينة التي يسكنها أبو الفتاة التي معه، وعندما وصلوا منتصف الطريق هطلت عليهم أمطارًا غزيرة سالت على أثرها الشعاب والوديان، وذهبت الفتاة إلى أحد الغدران فاغتسلت ونظفت جسمها من ذلك الطلاء الأسود الكريه الذي انتهى دوره وانتهت مهمته، وبدت الفتاة كأنها بدرًا طالعًا من خلال دجنة، ورآها زوجها فلم يملك نفسه، كما أنها هي لم يكن عندها أي مقاومة أو تمنع، فهي تعلم أنها زوجته بعقد صحيح لا غبار عليه وهو يعلم أنها زوجته، ولكنه نسي الشرط والوفاء بالشرط لهذا التاجر الشهم الذي استطاع بفطنته وذكائه أن يكتشف هذا السر المغلق بهذه الطريقة التي هي غاية في البساطة، فالشاب أمام هذا الإغراء وهذه الاستجابة من قبل الشابة، لم يفكر في هذا الشرط الذي هو قطع يده اليمنى، ووقع المحظور وضاجع الرجل زوجته وأخلَّ بالشرط الذي اتفقا عليه، وذهبت السكرة وجاءت الفكرة، وبدأت الأفكار والهواجس تتعاقب على نفسه ويبدأ تأنيب الضمير ولكن هذا المحذور قد وقع وهذا شيء مكتوب في اللوح المحفوظ وإذن فليقابل الأحداث بصبر وشجاعة وصراحة ولتقطع يده فقد كسب ثروة طائلة وهو ليس في بحاجة إلى أن يعمل ولديه زوجة فهو لا يخشى أن يعيبه قطع اليد أمام الزوجات، وإذن فليكن ما يكون.

وقدم الرجل بزوجته على ذلك التاجر، وأخبره بأن ما توقعه كان صحيحًا، وأن الثروة كانت في قبضة زوجته السابقة، وأن الطريقة التي رسمها لاكتشاف السر كانت حكيمة وموفقة، فسر التاجر بهذه النتائج سرورًا كبيرًا، ثم سأل الشاب عن الشرط الذي كان بينهما في أن لا يمس إبنته وألا يضاجعها.

فقال الشاب: أما هذا الشرط فإنني لم أف به وأنا شديد الأسف لما حدث، وإنني اشعر بالذنب وأشعر بأنني أسأت التصرف وأني أستحق من العقوبة أكثر مما فرض عليّ، فقال التاجر: أما أكثر فلا وأما الشرط سوف أنفذه عليك فكن على استعداد لقطع يدك اليمنى، فقال الشاب: إنني على أتم الاستعداد ولعل في قطعها ما يكفر عن خطيئتي، واستعد الأب

لتنفيذ الشرط وبداء يحد الشفرة، واستعد الشاب لتحمل آلام قطع يده اليمنى، وجاء دور التنفيذ، وقال التاجر للشاب: إنني لن أقطع يدك أمام ناظريك لطفًا بك، واحترامًا لمشاعرك، ولكنني سوف أخرق في هذا الحائط ثقبًا بقدر ما تدخل يدك، وتكون أنت داخل هذه الغرفة، وأكون أنا خارجها فتدخل يدك في هذا الثقب وتخرجها إلي فأقطعها وأنا لا أراك وأنت لا تراني، فيكون في هذا رحمة بك.

فقال للتاجر: الرأي ما ترى، وثقب الخرق ودخل الشاب في الغرفة واستعد التاجر لقطع يده، ولم يشعر الشاب وهو في هذه الغرفة إلا بابنة التاجر تدخل عليه من حيث لا يشعر والدها، ورأته يريد أن يدخل يده اليمنى من هذا الخرق فأمسكتها، وقالت له إنني أنا التي سوف أدخل يدي بدلًا منك، فقال الشاب: إن الجرم جرمي، وأنا الذي استحق العقاب، فقالت الشابة: ولكنني شريكتك في الذنب فلولا استجابتي لما عملت شيئًا، ثم أنا في بيتي مستورة، أما أنت فتخرج إلى الأسواق وقطع اليد اليمنى يعيبك ويلفت إليك النظر، ويجعل الناس يظنون فيك مختلف الظنون، وتأخر الفتى في إخراج يده من الخرق، فاستحثه التاجر وطلب منه أن يبادر بإدخال يده من الخرق للخلاص من المهمة، وكانت الفتاة قد تغلبت على الشاب وأقنعته بأن تدخل يدها بدلًا منه، وهكذا كان، فإن الفتاة أدخلت يدها مع الثقب واستعدت لقطع يدها، ولكن الوالد عندما رأى اليد عرف أنها ليست يد الفتى وإنما يد الفتاة فأمر بسحب يدها ثم دخل على الفتى والفتاة في تلك الغرفة وقال موجهًا الحديث للفتى: أرأيت نتائج نصيحة والدك في ألا تتزوج إلا بكرًا، فانظر إليها وأشار إلى ابنته إنها تريد أن تفديك بنفسها، وأن تتحمل عنك هذه العقوبة القاسية مع أنك أنت الجاني وأنك أنت الذي تستحقها ولا أحد غيرك يستحقها، فخجل الفتى وشكر التاجر على هذا الدرس البليغ الذي ألقاه عليه، وقال إنني لا استطيع الآن أن أنطق بما يجيش به صدري من تقدير عظيم لك أيها الشهم الكريم، ولكنني سوف أبقى طيلة أيام حياتي أسيرًا لفضلك وكرمك ومعروفك، وتعاليمك القيمة التي أعادت إلى ثروتي وحفظت لي شرفي، وخلصتني من تلك الأفعى التي أوقعني فيها جهلي بالأمور وعصياني للنصح واندفاعي إلى سبيل الهوى.

فقال له الثري: ما دمت قد وصلت إلى هذا الحد من الفهم لواقعك، فإن ابنتي هي زوجتك الشرعية عش معها كما يعيش الأزواج مع زوجاتهم، وإذا شئت أن تضع أموالك مع أموالي فنكون شركاء في العمل فإنني لا أرى من ذلك مانعًا.

فرحب الشاب بهذا العرض وقبله وأضاف أمواله إلى أموال صديق والده وصار هذا الشاب يبدنه أكثر مما يعمل بفكره، وصار التاجر الشيخ يعمل بفكره ورأيه وتجاربه أكثر مما يعمل ببدنه.

وعاش الشاب مع زوجته الشابة عيشة كلها سعادة ووفاق، وعاش الجميع في تبات ونبات ورزقوا الكثير من البنين والبنات.

الملبوسة... أسطورة شعبية من قلب الجزيرة العربية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك إحدى قبائل البدو الرحل قد ضربت بيوتها في مكان ما، وفي ذات ليلة صرعت ابنة شيخهم، صرعها الجن فذهب واحد من أبناء عمها يبحث عن قارئ يقرأ عليها القرآن؛ ليخرج الجن من تلك الفتاة الملبوسة، ودار البدوي في البلدة، وكلما طلب من شخص القيام بهذه المهمة اعتذر، حتى اعتذر له عدة أشخاص، وأخيرًا وجد شخصًا ولكنه غير قارئ ولا فقيه وإنما هو عامي ذكي، فقال: أنا أقرأ عليها ولكن بأجر، فقال البدوي: اطلب، وطلب الحضري أن يعطي إذا شفيت الفتاة ناقة يختارها بنفسه من بين الإبل، ووافق البدوي على ذلك.

وذهب الاثنان حتى جاء إلى تلك الفتاة فإذا هي تضرب نفسها وتصيح صيحًا منكرًا وتتصرف تصرفات شاذة وغريبة، وإذا هي فتاة جيلة فائقة الجمال، فقال الحضري: احجبوا البيت عليّ وعليها، وابتعدوا قليلًا حتى لا يحس الجني بوجودكم حولي فإني أريد أن أكلمه، وأن أعرف أهله وبلده وأسراره، فإذا عرفت ذلك سهل إخراجه، وحجب البيت على الفتاة البدوية والقارئ الحضري.

وقال الحضري للجني: إني أهنئك على حسن اختيارك، وأنا لم آت هنا لأقرأ عليك أو لأضايقك، أو لأناقشك على اختيار فتاتك الجميلة، وإنما جئت لآخذ أجرتي فقط، والذي أريده منك أن تخرج منها لفترة من الأيام حتى آخذ الناقة وأتصرف فيها ثم بعد ذلك أنت وشأنك مع هذه الفتاة، وتكلم الجني فقال: أنت ألطف حضري صادفته في حياتي ولهذا فأنا إكرامًا لك ورعاية لمصلحتك سوف أخرج منها وأتركها لمدة أسبوع ثم أعود إليها، فاتفق الاثنان على ذلك وغرزت الفتاة أصابع رجليها في الأرض ثم تحركت عدة حركات عنيفة، ثم

هدأت قليلً. وبعد ذلك رفعت رأسها، كأنها استيقظت من سبات عميق، فأخذ الرجل بيدها، وخرج بها إلى أهلها تمشي سليمة كما كانت قبل حدوث ما حدث، وفرح أهل الفتاة بهذه النتيجة السريعة، وتركوا الحضري يذهب إلى الإبل ليختار منها واحدة كما يشاء.

وذهب الحضري بناقته فباعها في السوق من الغد وأخذ ثمنها ومضت الأيام المتفق عليها وعاد الجني للفتاة.

وصرعت الفتاة وعاد إليها جنونها كما كان سابقًا، وذهب ابن عم الفتاة إلى الرجل الحضري وأخبره أن حالة الصرع عادت إلى الفتاة وطلب منه أن يذهب ليقرأ عليها من جديد، وامتنع الحضري من الذهاب، وقال لقد قرأت عليها الماضي حتى شفيت، وأنا لم أتكفل بضمانها مدى حياتها.

وتشاجر الشخصان، وأخيرًا اتفقا على أن يذهبا إلى القاضي ويحتكما إليه، وذهب إلى الحكم بينهما وجلسا أمامه وأدلى البدوي بحجته وطالب بأن يقرأ الحضري على الفتاة حتى تشفى أو يعيد الناقة التي أخذها.

وقال الحضري يا فضيلة الشيخ لقد اتفقت معهم على أن أقرأ على الفتاة حتى تشفى بناقة من إبلهم وقد قرأت عليها فعلًا حتى شفيت وسلمتها إليهم سليمة بكامل قواها العقلية وقد عاهدني الجني بألا يعود إليها.

وقد بقيت أسبوعًا كاملًا وهي تتمتع بصحة جيدة، ثم صرعت وتعلم يا فضيلة القاضي أن الجن أكثر من الإنس، وأنا لم أعطهم ضمانة عامة عن الجن كلهم، وإنما تعهدت لهم أن أخرج ذلك الجني الذي خالط عقل الفتاة لأول مرة، أما ما عداه فلست مسئولًا عنه وأنا أريد أن يثبت المدعي أن الجني الذي صرعها الآن هو ذلك الجني الذي أخرجته منها سابقًا فإذا أثبت ذلك فإن على إخراجه لقدير أو أن أعيد لهم ناقتهم.

والتفت الشيخ إلى البدوي، وقال له هل تستطيع أن تثبت أن الجني الذي صرعها الآن هو الجني الذي كان صرعها من قبل، وأجاب البدوي بأنه لا يستطيع ذلك، وعندئذ أصدر القاضي حكمه بأنه لا أساس لدعوى البدوي على الحضري في هذا الموضوع، وأن عليه أن يتفق مع الحضري من جديد أو أن يبحث عن قارئ آخر يقرأ على فتاته.

القعود... أسطورة شعبية من قلب الجزيرة العربية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان رجل بدوي وزوجته في الصحراء، يرعون مواشيهم ولهم عبد مملوك ينظرون إليه كما ينظرون إلى إحدى البهائم التي لديهم، أو ينظرون إليه نظرتهم إلى الكلب الذي يحرسهم، والكلب في نظرهم أذكي من العبد، وكان هذا البدوي وزوجته يحبان الاختلاس لا عن حاجة ولكن عن هواية، وعن رغبة في أكل أموال الناس بالباطل، وكان هذان الزوجان كلما وجدا دابة وحيدة أخذاها وذبحاها، وأكلا لحمها وأخفيا بقية أجزائها تحت الأرض، واطلع العبد ذات يوم على أنهما قد وجدا قعودًا أي جملًا صغيرًا فذبحاه وأخفيا بقاياه غير الصالحة، وصار يأكلان منه كل يوم ما أحبا وكان نصيب العبد هو الأقل الأرذل، وجاء ذات صباح وكانت الزوجة تضع للعبد غذاءه، قال لها العبد ضعي لي من لحم القعود، وفي هذه الأثناء سمع العبد وعمته مناديًا ينادي في الحي ويقول من عين القعود الذي من صفته كذا وكذا، فنهض العبد بأعلى صوته قائلًا: يا راعي القعود تعال ترى عندي من قعودك خبر، فقالت المرأة: اسكت لا تفضحنا، فقال العبد: حطي لي من طيب اللحم فحطت له، ولكنه لم يرض وسمع المنادي يسأل عن القعود فأجابه قائلًا: يا راعي القعود تعال فإن عندي من قعودك خبر، فقالت المرأة: اسكت، وقال العبد: حطي لي من طيب اللحم، فوضعت له المرأة لحمًا كثيرًا حتى رضي، ولكن صاحب القعود سمع صوت المجيب وجاء مسرعًا إليه وسلم على العبد، وقال المنادي للعبد لعلك تعرف أين قعودي فقال له العبد ببلاهة وبساطة: رأيت هناك أرنبًا هاربة وهي رافعة أذنًا وخافضة أخرى، والله يا عمي ما أدري هل الذي نفجها قعودك أو قعود غيرك.

فقال البدوي: ما أخبلك، وانصرف وتركه، وهكذا خدع العبد عمته فأعطته من لحم القعود حتى رضي، وخدع الأعرابي فأعطاه كلامًا يدل على الغفلة ولثة العقل، وخرج العبد من هذه الحادثة منتصرًا على عمته على الأعرابي.

الدب والرجل العجوز..أسطورة شعبية روسية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك رجل عجوز يزرع اللفت بحقل قريب من منزله، وأثناء عمله جاءه دب من الغابة وسأل العجوز قائلًا: ماذا تفعل داخل حقلي أيها العجوز؟!

قال له العجوز: إنني أقوم بزراعة اللفت(١)، فهل تمانع أن أزرع حقلك أيها الدب؟

قال له الدب: كلا ولكن على أن نقسم المحصول بيني وبينك في نهاية الحصاد.

قال الفلاح العجوز: هذا عظيم ولا مانع عندي.

وعندما حان وقت الحصاد جاء الدب إلى العجوز قائلًا: أريد نصيبي أيها العجوز.

قال العجوز: المحصول مناصفة بيني وبينك خذ أنت الرؤوس وأنا سآخذ الجذور.

فرح الدب وبدا له ذلك قسمة عادلة.

وعندما بدأ الدب بأكل رؤوس اللفت الخضراء، اكتشف أن مذاقها مُرّ، وأدرك أن الفلاح العجوز قد خدعه.

وفي العام التالي، ذهب العجوز للحقل من جديد، فناداه الدب قائلًا: أيها العجوز لقد خدعتني العام الماضي، وفي هذا العام خذ أنت الرؤوس وأنا الجذور.

قال له العجوز: وأنا موافق.

كان الفلاح يعلم أن الجودار ينتمي لفصيلة الحبوب وثماره تكون بالرؤوس على قمة السيقان، وعندما هم الدب بالتهام الجذور اكتشف أنها عديمة الطعم فأدرك أنه خدع للمرة الثانية.

ومنذ ذلك اليوم بدأ العداء بين الدببة والبشر (٢).

---

(١) يفضل الكثير من الناس تناول رؤوس اللفت المطهوة، التي يطلق عليها اللفت الأخضر، حيث تخفف حرارة الطهو من مرارته.

(٢) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

الشاطر حسن...أسطورة شعبية مصرية

يحكى أن هناك فتىً فقيرًا يدعى الشاطر حسن، وكان يعمل صيادًا وذات يومٍ وهو سائر على شاطئ البحر، رأى فتاة حسناء تلبس أحسن الثياب وأغلاها، انبهر بملابسها ومن معها من الناس الذين يتوددون إليها وهم رهن إشارتها لتلبية أوامرها.

وفي اليوم التالي رأى تلك الفتاة مرة أخرى، وهكذا تعود على رؤية تلك البنت الحسناء وهي كذلك تعودت أن تراه وخاصة بعد أن أعجبت بنشاطه وصبره وحبه للعمل، وبعد مرور الأيام والشهور، فجأة انقطعت هذه الفتاة ولم يشاهدها الفتى، رجع الفتى إلى منزله وقد أحس أن هناك شيئًا ينقصه وأحس أن رؤية تلك الفتاة له وابتسامتها كانت تزيل عنه تعب وعناء اليوم بأكمله.

وقرر الفتى الشهم البحث عن تلك الفتاة، ربما أصابها مكروه، وفي اليوم التالي وكعادته بعد انتهاء العمل انتظر في ذات المكان فلم يجدها، وبعد برهة وجد رجلًا يناديه، فإذا هو أحد الرجال الذين كانوا يأتون مع تلك الفتاة، فلما اقترب منه قال له تعال معنا الآن، قال له: إلى أين؟ قال له إلى قصر الملك، قال له: لماذا؟ قال له: هذا أمر الأميرة بنت ملكنا، قال له: أهي تعرفني؟ قال له: نعم، قال له: إنني لم أرها من قبل، ولم أذهب إلى الملك من قبل ولا مرة واحدة، قال له: إنها كانت تراك كل يوم في هذا المكان، وهنا أدرك الشاطر حسن أن تلك الفتاة التي كان يراها هي الأميرة، قال للرجل وكيف حالها؟ قال: إنها مريضة جدًا وتريد أن تذهب إلى رحلة في البحر كما نصح الأطباء، وفعلًا أخذها الشاطر حسن في رحلة إلى وسط البحر وقص عليها قصص البحر والجن والصيادين والغواصين واستمرت الرحلة عدة أيام ولم تعد الفتاة إلى أبيها الملك إلا بعد أن تم شفاؤها ورجعت إلى قصرها، عرض الملك على الشاطر حسن أن يعمل لديه في القصر فاعتذر، أعلنت الأميرة أنها تحب ذلك الشاب وتريد الزواج منه، فحزن الملك لذلك ولكنها أصرت على طلبها، فكر الملك في حيلة حتى لا يتم زواج ابنته من الشاطر حسن، فقال له: شرط موافقتي على زواجك من ابنتي أن تأتي لي بدرة ثمينة لا يوجد مثلها في البلاد، وذهب الفتى حزينًا كيف يأتي بهذه الجوهرة وهو فقير لا يملك الأموال وأخذ يدعو الله أن ييسر له هذا الأمر، وذات يوم لم يوفق في الصيد ولم يصطد من

الأسماك إلا سمكة واحدة تكفي لعشائه فقط، فرجع وهو راضٍ وقانع بما رزقه الله، وبينما هو ينظفها إذا هي تتكلم وتقول له: إن بداخلي جوهرة ثمينة لا يوجد مثلها في البلاد، فاندهش الفتى وفتحها فوجد بداخلها جوهرة كبيرة لامعة وجميلة، وفي تلك اللحظة تذكر الملك وابنته الأميرة فقرر أن يطير إلى الملك ويعطيه الجوهرة، فوافق الملك على زواج الأميرة الحسناء من الفتى الجريء الشاطر حسن.

مسحورة الرمل...أسطورة شعبية عمانية:



كان يا ما كان في قديم الزمان كانت امرأة من البدو ترعى أغنامها في الصباح، حين شاهدت طفلة تائهة وقد جفت خيوط الدمع في وجهها الرطب واختنقت أنفاسها من شدة الخوف، فحملتها في صمت، وحين كبرت الصبية صارت ترعى الأغنام، فتركتها المرأة وحيدة في المراعي.

وذات يوم وهي تجاهد في صف قطيع الغنم المبعثر أمامها، ظهرت امرأة غريبة وأخذت ترقبها من بعيد وكلما اقتربت اتسعت قسمات الدهشة في وجهها إلى أن ركضت فحيتها واحتضنتها في لهفة، وفي دهشة المفاجأة لم تنطق الصبية ببنت شفة، إلا أنها لم تقاوم تلك المرأة وكأنما شيء ما يشدها هي أيضا لحضنها، وعندئذ ظهرت المرأة البدوية ورأت الصبية بين يدي المرأة الغريبة فانتشلتها بقوة، وهي تصرخ والغريبة تصرخ بدورها، ظهر من بين الكثبان مجموعة من الرجال وسمعوا شجار المرأتين فاقتربوا منهن.

ادعت كلتا المرأتين بأن الفتاة ابنتها، والصبية ذاهلة، تنتزعها رائحة الأمومة ويثنيها عزم امرأة البدو على ردها، اجتمع الناس حول المرأتين، فأقترح أحدهم الذهاب إلى القاضي الذي يسكن في مكان قصي من قرية بعيدة، وبعد المسير وصلوا إليه بعد أن استعانوا بالدواب لحملهم، كان الليل قد خيم، وبدأت النجوم تتعارك في لمعانها، استمع القاضي للقصة، فاختار القاضي أكثر النجمات سطوعا، وأمر المرأتين أن يراقبانها طوال الليل ويحفظن المسافة التي ستقطعها في طريق السماء.

بقيت المرأتان شاخصتين إلى تلك النجمة، وما لبث أن داعب النعاس عيني المرأة البدوية فنامت.

وحين استفاق القاضي لصلاة الفجر، سألها عن مسار النجمة في السماء فأجابته بوجه نشر: بأنها تخطت سريعًا محيط سماء القرية لتنطفئ هاوية وراء الجبل، وحين سأل الأم أجابته بعينين ذابلتين، بأن النجمة لم تتحرك من مكانها إلا بمقدار قيد حمار.

فحكم القاضي بأن الصبية هي ابنة المرأة الأخرى وليست ابنة البدوية؛ لأن الأم الحقيقة كابدت السهر، بينما البدوية خطف النوم قلبها فاستسلمت للنوم.

إله الرعد...أسطورة شعبية من أوروبا:

كان يا ما كان في قديم الزمان في بلاد أوربا الشمالية التي يكسوها الثلج والجليد، كان الناس يعتقدون أن (ثور – thur) هو كبير الآلهة، وكان هو إله الرعد والسماء الجبار، وهو الابن الأكبر للإله (أودين) ، أطلق الناس هناك اسمه على يوم الخميس خامس أيام الأسبوع Thursday.

كان ثور قويًا، طويل القامة، له لحية حمراء ضخمة، وكان له حزام مسحور يضاعف من قوته عندما يرتديه.

اعتاد ثور على استخدام قوته في الدفاع عن البشر العمالقة وأشرار الجن، كانت مطرقته هي سلاحه الرئيسي الذي كان يطلق البرق كلما استخدمه، كان على ثور ارتداء قفازات حديدية مخصوصة للإمساك بها وكانت المطرقة تعود إليه دائمًا بعد أن تقتل الشخص الذي ألقيت عليه، وكان بمقدورها أن تشطر جبلًا إلى نصفين أو تقتل كل العمالقة بضربة واحدة.

كان ثور يسافر في عربة تجرها عنزتان: إحداهما كانت تدعي سِنّة الصرير، والأخرى سِنّة الطحن، وحيثما سارت العربة عبر السماء أطلقت الرعد وتطاير الشرار من عجلاتها.

عبد الجنود ثور لقوته في حين عبد الفلاحون ثور لأنه يسقط الأمطار اللازمة لري محاصيلهم[١].

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل تزوج زوجة جميلة ومن قوم كرام هم أبناء عمه، فرزق من زوجته ستة أولاد وكان يعيش مع زوجته وأولاده في سعادة ورخاء وكان للزوجة والد وأخ وعبد، وكان الوالد كبير السن لا يكاد يبرح البيت، والأخ شاب في مقتبل العمر لا يكاد يعود من غزوة إلا همّ بأخرى، أما العبد فكان يرعى إبل عمه التي كلها من الإبل الأصيلة، وكان العبد يحب ابنة عمه حبًا شديدًا، وقد راودها عن نفسها عدة مرات فكانت تصده عن نفسها بعنف وشدة، وكان العبد يترقب الفرصة السانحة ليضرب ضربته القاضية وينال من ابنة عمه ما يريد، وسنحت له الفرصة ذات يوم، حيث كان ابن عمه غازيًا، فجاء العبد إلى ابنة عمه وطلب منها ما كان يطلبه فصدته وأغلظت له القول، فما كان من العبد إلا أن أخذ حربته وذهب إلى زوج المرأة فقتله، ثم ذهب إلى أبيها فأرداه قتيلًا، ثم جاء إلى المرأة وقد شهدت مصرع زوجها ووالدها، وكرر طلبه إليها فكان موقفها هو هو لم يتغير، فجاء بأولادها، وكانوا كلهم صغارًا، فطلب منها أن تجيبه إلى طلبه وإلا قتل أولادها، فكان موقفها صارمًا، وأصرّت على الامتناع منه، فقتل الابن الأول والثاني والثالث وهي ترى وتصر على موقفها حتى قضى العبد على أولادها الستة، ثم أخذ الزوجة الممتنعة عليه وأركبها إحدى الرواحل، وأخذ الإبل وهرب بالزوجة والإبل وسار بها من صحراء إلى صحراء، وكان يعرف جبالًا بعيدة عن كل أحد، وبين هذه الجبال بئر مهجورة لا يصل إليها أحد، فسار إليها وسكن بين هذه الجبال وحفر البئر حتى أخرج ماءها فصار يسرح بالإبل، ويأوي إلى زوجة عمه عند هذه البئر، وأدرك مقصوده من هذه المرأة عندما رأت أنه لا مفر لها ولا سبيل إلى الامتناع، ورزقت منه ولدًا، ثم رزقت منه آخر كأنهم أفراخ الغربان، وكان في إمكان هذه المرأة أن تتحايل عليه وتقتله، ولكنها إذا قتلته فأين تذهب؟ وكيف تهتدي إلى طريق؟ لقد جاء بها إلى مجاهل في الصحراء لا يطرقها أحد ولا يهتدي إليها قاصد..!!

وكانوا لا يرون في هذا المورد إلا غرابًا أسود يأتي إذا وردت الإبل فيأخذ من أوبارها ثم يطير إلى حيث لا يعرفون، وخاف العبد من هذا الغراب أن يدل عليهم بهذه الأوبار التي يأخذها من ظهور الإبل، وحاول العبد قتل الغراب فلم يستطع، ونصب له فخًا فلم يقع فيه،

وحاول بكل وسيلة أن يقضي على هذا الغراب، ولكن الغراب كان حذرًا واعيًا لا تنطلي عليه الحيلة، ولا يترك مجالًا لكي يصطاده العبد، وأخيرًا يئس العبد من صيده وتركه على مضض يرد بورود الإبل فيأخذ من أوبارها ثم يطير حتى يختفي عنهم وراء الجبال، وقدم أخو المرأة من إحدى غزواته وعندما قرب من مضارب أهله أحس إحساسا خفيًا بأن في الأمر كارثة، وقرب حتى أشرف على الحي، فوجد الهدوء يخيم عليه، ولا أحد يروح ولا أحد يجيء، وازداد تشاؤمه، وازداد وجومه، واستمر في سيره حتى وصل إلى البيوت، فرأى جثة والده وجثة زوج أخته وجثث الأطفال تتناثر حول البيوت، وكاد أن يصعق من هول المنظر لولا أنه كان يتمتع بكثير من الجرأة والشجاعة، وأن مناظر القتلى والدماء ليست غريبة عليه فطالما فتك وطالما قتل، وطالما شاهد أمثال هذه المناظر، ولكنها ليست من أقاربه، إنها من قوم أعداء يغير عليهم ويغيرون عليه، ويقتلونه إذا قدروا عليه ويقتلهم إذا قدروا عليه، وتماسك الرجل، وعاد إليه بعض الهدوء عندما مرت الصدمة الأولى، ورأى كل شيء على حاله، ولم يفقد إلا الإبل وأخته والعبد، فعلم بما لا يدع مجالًا للشك أن هذا من صنيع العبد وأن العبد قد أخذ أخته وأخذ الإبل وهرب بالجميع، ولكن أين هرب بهم إنه لا يدري، ولكنه لا بد أن يكون دافع الخوف والطمع سوف يسوقه إلى مكان قصيّ لا يصل إليه، ومع هذا فإن الأخ الشاب لم يفقد الأمل في العثور عليه مهما طال المدى، وأخذ الشاب تلك البقايا الباقية من الأموال وأودعها عند أحد أبناء عمه، ثم ركب راحلته وصار يسير من حي إلى حي ويسأل عن هذا العبد ولا أحد يعطيه أي خبر، ولم يفقد الأمل بل كان مصممًا على الوصول إلى نتيجة، واستمر في أسفاره وتنقلاته من حي إلى حي ومن مجهل إلى مجهل، حتى وصل ذات يوم إلى بيوت في سفح جبل، وأناخ راحلته عندهم ليرتاح وليسأل، فرحّب به القوم وأكرموه، وسأل عن العبد فأخبروه أنه لا علم لهم به، ونظر إلى عجوز تغزل وبرًا أسود، فأحس أن هذا الوبر من إبله، إن لون الوبر هو لون وبر إبله، وسأل العجوز من أين هذا الوبر؟! فقالت: إنني آخذه من تلك الشجرة، من عش غراب، وهو يأتي بهذا الوبر من وراء تلك الجبل، وأحس الشاب ببعض الراحة، وأحس أنه أمسك طرف الخيط، وأنه سيقوده إلى مبتغاه، وبقي الشاب في الحي

يراقب الشجرة ويترقب ذهاب الغراب ثم عودته، ورأى الغراب يطير من تلك الشجرة فراقبه في طيرانه حتى اختفى عنه وراء تلك الجبال، فتبع أثره وسار في الاتجاه الذي اتجه إليه الغراب، وعلا على تلك الجبال ثم هبط منها، ثم علا جبالًا أخرى وهبط منها، وهو يرقب الغراب في كل يوم عندما يمر به غاديًا أو رائحًا، ويتجه إلى حيث يذهب الغراب، واستمر في التغلغل بين تلك الجبال حتى أشرف ذات يوم فرأى المورد ورأى الإبل ورأى العبد ورأى البيت، وأخته تروح وتجيء واختفى الأخ تحت صخرة من الصخور، وعلم أنه الآن وصل إلى ما يريد، وبقي أن يرسم خطةً ناجحة للقضاء على هذا العبد، إن العبد قوي، وهو رام ماهر لا يخطئ وهو شجاع فاتك لا يهاب الموت، إذن لا بد من اللجوء إلى المكيدة، إلى الخدعة، إلى أخذ العبد على غرة، وأسقى العبد إبله، ثم ذهب بها إلى المرعى، وترك المرأة وأولادها في البيت، وجاء الأخ يمشي متخفيًا حتى قرب من البيت الذي فيه أخته، وسمعها تنشد شعرًا فلما سمع أخوها هذه الأبيات فرح واطمأن إلى أنها لم تذهب مع العبد هوى منها ورغبة، وإنما ذهبت في ظل الخوف والإرهاب الذي لا شك أنها تعرضت له وكان الأخ قد صمم على قتلها ثم قتل العبد، ولكنه علم بأنها مكرهة، وأنها تعيش في وضع تأنف منه ولا ترضاه، قرر أن يتعاون معها على قتل العبد، وجاء إليها يسعى، وما أشد دهشتها عندما رأت أخاها، وما أشد فرحتها عندما عانقته وقبلته، ونظر الأخ حوله فرأى ولدين لأخته كل واحد منهما كأنه قطعة من الليل، وقال لها أخوها: ما هؤلاء؟

فقالت: أولاد العبد، وسألها عن قصتها مع العبد فأخبرته، وسألها عن موعد مجيئه ورواحه فأخبرته بكل شيء، ورسم الخطة هو وإياها، متى يقتله؟ وكيف يقتله؟ وقالت له أخته: إن أفضل وقت تقتله فيه ليلًا عندما يأتي بالإبل فتأوي إلى مباركها، ثم ينشغل بحلبها، وأفضل طريقة هي أن تقتله إذا جاء يحلب الناقة الفلانية، فإنه لا يحلبها إلا إذا ربطها ثم دخل إليها، ففي هذه الحالة يمكنك أن تدنو منه، لبعض خطوات ثم تسلط عليه السهام، واختفى الأخ تحت إحدى الصخور بعد أن رسما خطة الهجوم، وجاء العبد ليلًا وانشغل بحلب الإبل حتى أتى دور الناقة الصعبة المراس فلما عقلها ودخل تحتها قرب منه حتى لم يبق بينه وبين

العبد إلا عدة خطوات، ثم أطلق عليه سهمًا فلم يصب منه مقتلًا إلا أنه بتر ساقه وبهذا بقي حيًا، ولكنه لا يستطيع حراكًا، فالتفت العبد ورأى أخا المرأة فأيقن بالهلاك وعلم أن الغراب اللعين هو الذي دلّ عليه، ولما أراد الأخ أن يجهز على العبد طلب منه أن يعطيه مهلة قليلة يقول فيها كلماته الأخيرة في الحياة، فتوقف الأخ عن الإجهاز عليه، منتظرًا ما سيقوله العبد وما سيختم به حياته المليئة بالغدر والخيانة والوحشية.

وبعد أن أنهى العبد أراد عمار أن يجهز عليه ولكنه تذكر أولاده فجاء بهم أمامه واحدًا واحدًا وصار يقتلهم والعبد يرى ويتألم ولكن لا حيلة له، وتلك سنة سنها العبد بنفسه، إنها طريقة فيها قسوة وفيها وحشية ولكنها قصاص، ولكنها معاملة بالمثل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾[النحل:١٢٦]، ولكن عمارًا لا يستطيع صبرًا ولن يحمل هؤلاء الغربان معه حتى لا يذكرونه بمأساة أخته، وبعد أن قضى عليهم أجهز على العبد وهو لا يحير جوابًا ولم ينطق بأي كلمة بعد الذي قال، فلما قضى عمار على العبد جرّه برجله، وألقاه في البئر ثم أتبعه بأولاده، ثم جمع حطبًا كثيرًا وألقاه في البئر حتى امتلأت وأوقد فيه النار، ثم رحل بأخته، وأخذ معه ذود الإبل التي كان العبد قد هرب بها، ولم تشعر قبيلة عمار إلا بعمار يقدم عليهم، ومعه أخته ومعه إبله ففرحوا بقدومه فرحًا شديدًا وأقاموا الأفراح وحفلات البهجة، ثم خطبت أخت عمار منه فزوجها، وعاش الجميع في تبات ونبات ورزقوا الكثير من البنين والبنات [١].

الجرجوف... أسطورة شعبية يمنية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك سبع بنات خرجن في أحسن زينتهن إلى الصحراء من أجل قطف ثمار الدوم، وكن جميعهن قد تزين بأحلى زينتهن ما عدا البنت الصغرى التي كانت فقيرة بائسة لا زينة لديها.

وفي بحثهن عن شجر الدوم وجدن شجرة كبيرة مثمرة ولكنها عالية وشائكة، وهنا بدأ نزاع فيما بينهن عن أي واحدة تتطوع في تسلق الشجرة وقطف الثمار، وبدأت الأعاذير، وهذه استعارت ثوبها من أمها وتخشى أن يتمزق وهذه وهذه.

---

(١) المصدر: كتاب أساطير شعبية من قلب الجزيرة العربية تأليف عبد الكريم جهيمان الجزء الثاني.

ثم انتهى إجماعهن على البنت الصغرى التي ليس لديها من اللباس ما تخاف عليه، ووعدنها أن يملأن سلتها مع سلالهن إذا ما تسلقت الشجرة، وافقت البنت الصغرى على ذلك مكرهة ومجبرة إذ ليس لديها حجة تقاوم حجج صديقاتها، صعدت البنت الشجرة وأخذت تهزها فتتساقط الثمار والبنات من تحتها يملأن سلالهن حتى امتلأت كل السلال ما عدا سلة البنت الفقيرة، وانصرف البنات وتركن صديقتهن على قمة الشجرة وحيدة وسلتها فارغة.

وظلت البنت معلقة فوق الشجرة لا حيلة لها على النزول وبعد مدة سمعت صوتًا يقترب منها ولما دنا علمت أنه (الجرجوف) فخافت وارتعبت ولكنها عديمة الحيلة فاستغاثت به كي يساعدها على النزول من الشجرة، فاعتذر منها وقال إن وراءه ستة جراجيف وعليها أن تقنع أحدها لكي يساعدها، ظلت البنت ترجو الجراجيف واحدًا تلو الآخر وكلهم يعتذرون باستثناء الجرجوف السابع الذي وافق على مساعدتها على النزول بشرط واحد وهو أنها إذا وقعت على الأصبع الخنصر فسيأكلها وإذا وقعت على الأوسط فسيتزوجها، أما إذا وقعت على السبابة فإنه سيعتقها، وإن وقعت على الأصبع الأكبر فسوف يقتلها. وألقت البنت بنفسها فوقعت على الأصبع الأوسط وتزوجها الوحش، وأخذها إلى بيته حيث تحول هناك إلى شاب جميل مهذب فاستمال قلب الفتاة إليه ورغبها في نفسه، وترك لها شؤون المنزل وأعطاها ستة مفاتيح لست غرف، واحتفظ بمفتاح الغرفة السابعة وحذرها من هذه الغرفة، وهذا ما أثار فضولها وأشعل الرغبة في نفسها لمعرفة سر الغرفة السابعة، ولما وجدت فرصة للتعرف على مكان الغرفة ومفتاحها بادرت إلى فتح الغرفة لتفاجأ بما يرعب ويخيف فهذه الغرفة مملوءة بالجثث الآدمية والجماجم البشرية، ولذا فقد بادرت الفتاة إلى إغلاق الغرفة وطوت في نفسها الحزن والخوف وزالت بشائر السعادة التي كانت تطفو على وجهها، وهذا أثار شكوك الجرجوف حولها، وقرر أن يحتال لها حيلة ليكشف خبر البنت وهل قد دخلت إلى الغرفة السابعة أم لا؟ وجاءها ذات صباح وقال لها: لعلك قد اشتقت إلى أهلك؟ فقالت:نعم، قال: سأحضر لك أمك تأنسين بها، وتشبه الجرجوف على هيئة أمها، وصار يلاطفها بوصفه أمها ويسألها عن سبب حزنها وهل قد رأت من زوجها ما يكدر خاطرها أم كشفت في المنزل عن سر يخيفها، ولكن البنت خافت فلم تخبر أمها عن حكاية الغرفة لا سيما وأنها تتذكر تحذيرات الجرجوف لها من فتح تلك الغرفة، وظل الجرجوف يحول

نفسه من الأم إلى الأخت إلى الصديقة وإلى الأخ حتى ظفر من زوجته بما يؤكد شكوكه، ولكن الجرجوف لا يبطش بها بعد أن علم بفتحها للغرفة، وإنما ينصحها بنسيان ما جرى، وهو يتحدث بلسان صديقتها التي تحسّن لها البقاء مع زوجها الشاب والرضا بما تيسر لها من نعمة ومحبة على يد هذا الزوج، ولكن الفتاة لا تقتنع، وظلت تتطلع إلى يوم الخلاص.

وفي مرة من المرات شاهدت راعي غنم على جبل لا يبعد عنها كثيرًا فلوحت له بردائها، فلما جاءها تبين أنه أخوها ففرحت به وأدخلته الدار، ولما حان الغروب جاء الجرجوف عائدًا من رحلته اليومية، فشم رائحة الآدمي فقرر البطش به واحتال لذلك حتى تمكن من الأخ، وعلمت الفتاة بمقتل أخيها فاحتالت وجمعت قطع لحمه ووضعتها في حفرة وظلت تسقي هذه الحفرة وترعاها حتى نبتت شجرة قرع ثم أثمرت زهرة واحدة تحولت من بعد إلى قرن أخذ ينمو والمرأة تتعهد بالعناية حتى نضج فقطفته وأخفته عن العيون وداومت العناية به حتى تشقق وخرج منه طفل صغير فرحت به، وعقدت عليه الأمل في الخلاص، وعلمت أن أخاها قد عاد إلى الحياة ليخلصها، وقالت للجرجوف إنها رزقت بمولود، وقد تقبل الجرجوف الخبر على مضض وتصبر على الغلام ولم يبطش به، وكبر الغلام فعلمته أخته كيف يستطيع قتل الجرجوف، وقالت له: إن الجرجوف يبصر إذا أغمض عينيه، ولكنه إذا نام مفتوح العينين فإنه لا يرى، وهولا يموت إلا إذا ضرب ضربة واحدة، وإذا تلقى الضربة الأولى يلتفت إلى ضاربه بأن يضربه مرة أخرى أو أن يمشي على جسده أو يبصق في وجهه، فإن فعل الضارب واحدة من هذه فإن الجرجوف يعود إلى الحياة، وحذرت أخاها من ذلك وأعطته سيف الجرجوف، وهو السيف الذي لا يموت إلا به، فعل الأخ ما قالته أخته، ومات الجرجوف، وتخلصت الفتاة من محنتها.

المرأة الحوت.....أسطورة شعبية مصرية

يحكي أن رجلًا كان يعيش وحيدًا على حافة البحر ليس له علاقة مع البشر سوى ذكريات باهتة تعيش في رأسه عن الناس وحالاتهم وعن لغة الحديث والغناء البشري، ولقد بلغت العزلة منه مبلغها الشديد في روحه، وصار يتوق للأليف والعشرة، وكان في نفسه طرف من حكاية تقول إن سمك الحوت كان بشرًا وتحول إلى حيوان بحري، وعلامة ذلك أن عيون الحوت تشبه عيون البشر في جمالها واستدارتها وفي تساقط الدمع منها وفي لحظاتها الوديعة والأنيسة، وفي ذات يوم كان الرجل يقف مع حزنه وعزلته على طرف الشاطئ ينظر

باتجاه صخرة تربض بعيدًا هناك وسط المياه، وقد انعكس عليها ضوء القمر فبدت بيضاء صافية لمّاعة، وداوم النظر فيها حتى انغرست في منظرها عيناه، وفجأة صار يسمع أصواتًا تأتي مع نسيم الهواء العليل من جهة الصخرة، كانت أصوات فرح وضحك وغناء وفرفشة، أصوات عذبة تملأ فراغ المكان وفراغ الروح، فتحرك الرجل باتجاه الأصوات الفضية العذبة، ولما اقترب من الصخرة رأى جمعًا من الصبايا العذراوات يسبحن في الماء ويتقافزن على الصخرة بأجساد عارية كساها نور القمر ووشاح الماء فصارت تتلامع ضياءً وحياة ومرحًا. ولمح على البعد القريب منهن عباءات من جلود أسماك الحوت مرتمية على الصخرة، فاقترب بهدوء بالغ وأخذ واحدًا من الجلود وأخفاه عنده، وظل يمتع نواظره ومسامعه بما يرى ويسمع من على تلك الصخرة المضيئة بالجمال والأنغام، ثم سمع صوتًا يرن مع ذرات النسيم يصدر من إحدى الفتيات، صوتًا يشبه أصوات الحوت وهي تناغي الماء عند انبزاغ ضوء الفجر، أو أنه يشبه ترجيعات ذئب صغير ولد للتو، كان صوتًا عذبًا وأنيسًا. كانت تلك رئيستهن، وقد دعتهن للانصراف، وتحركت الأجساد النورانية نحو عباءات الجلود ولبست كل واحدة منهن جلدها وعدن الواحدة إلى الماء، أسماك حوت صافية اللون كالفضة المصقولة وكالعنبر الزاهي، ما عدا واحدة منهن بقيت حائرة النظرات محتارة الخطوات تبحث عن جلدها (عباءتها) فلا تراه.

وهنا نط الرجل ناهضًا باتجاهها وقال لها: إن جلدك عندي، ولن أرده إليك، تزوجيني.. تزوجيني، وظل يحاول معها ويتحايل عليها ويتوسل إليها، وهي ترفض وتقول: إن حياتها هناك في الماء مع جنسها من الحيتان، ولا ترغب في الحياة الزوجية البشرية.

رد عليها مترجيًا ومستعطفًا وشارحًا لها عزلته وحزنه واغتمامه، وقال لها: أريد منك أن تبقي معي سبع صيفيات فقط، وبعد الصيف السابع ننظر في الأمر، وافقت المرأة الحوت واستسلمت لقدرها مع هذا الرجل، عاشت معه في بيت الزوجية وأنجبت له غلامًا جاء كمثل القمر ليلة منتصف الشهر أو مثل حوت يسبح فوق صخرة وسط المياه تحت تساريح ضياء القمر، إنه طفلها وجوهرة حياتها، ولذا كانت تناغيه وتحكي له عن مخلوقات حبيبة تعيش هناك تحت المياه وتقص عليه قصص الأعماق وشعاب المرجان ووديان اللؤلؤ هناك تحت المياه، ومر الصيف السابع، وطال وقت الصبر والتحمل حتى إن جسمها بدأ يجف

جفافًا بالغًا وصارت إذا مشت تصر قدماها صريرًا يشبه احتكاك العظم بالعظم، وتيبست محاجر عينيها وصارت جدائل شعرها حبالًا بل أعوادًا جفت منها مياه الحياة، وأخذ نور عينيها يتلاشى ويتلاشى إلى أن فقدت بصرها، وساءت حالة جسدها وجفت روحها، وهي لما تزل تطالب زوجها (خاطفها) بالوفاء بوعده لها وأن يرد إليها جلدها، ولكن الزوج يرد عليها بغلظة وتأنيب ويقول: لا..لا. إنك تريدين الفرار عني وأنا زوجك وهذا الولد ابنك، ولن أعطيك جلدك فتعودي إلى الماء وتتركينا في الوحشة والعزلة، وغضب الزوج منها وخرج من المنزل ساخطًا وأغلق الباب خلفه بغضب وسخط.

جرت المشادة في الليل وقت منام الغلام، مما أيقظ الطفل من رقدته فسمع كل شيء وانتابه حزن كاسح على أمه المسكينة، وبكى الغلام بكاء مريرًا وطويلًا وهو في فراشه إلى أن نام ثانية وسط دموعه وزفراته، وبينما كان الطفل مرة بمحاذاة جدار المنزل من جهة البحر سمع صوتًا آتيًا من المياه ينادي باسم الطفل: أوروك.. أوروك. كان هذا اسمه الذي منحته له أمه، وها هو الصوت يردد هذا الاسم ويصبه في مسامع روحه: أورووك أورووك أورووك...أورووك.

راح الطفل باتجاه الصوت ودخل في الماء ولم يخف ولم يتساءل، إنه اسمه وصوت حروفه، ولما بلغ موقع الصوت رأى عباءة سوداء من جلد سمك الحوت، وقد تركها الصوت ملقاة على طرف الصخرة إياها، كانت صافية ملساء تشع بالحياة والنضارة.

أخذها الغلام وحملها على كتفيه وعاد بها إلى البيت حيث رماها بين يدي أمه التي تحركت أنفاسها عبر صدرها وأنفها وشرعت تلبس الجلد جلدها، ولما تكللت به أخذت تتحرك باتجاه باب المنزل، فصاح فيها طفلها: هل تتركيني يا أماه؟ فنظرت إليه بحب وتوجس، ثم وضعته تحت إبطها وسارت نحو البحر.

هناك دخلت في الماء، وسبحت نحو الأعماق، ودخلت من تيار إلى تيار وبين شعب المرجان، وطفلها معها تحت إبطها إلى أن وصلت ماءها وماء أهلها، وهناك قابلها أول ما قابلها حوت كهل مكتمل العمر فرحب بها، وابتسم للطفل وقال له: أهلًا بك يا حفيدي، لقد أحسنت أيها الصغير إذا استجبت لندائي لك وأوصلت عباءة أمك إليها، ورددت لها جلدها. هناك فرحت وفرحوا وتنفست أسراب الحيتان معها. ووسط هذه العودة الفرحة قال

لها أبوها: كيف ستفعلين بالغلام، راح الحوت الجد وراحت الأم يصحبان أورك نحو بيته الأرضي، والأم طوال الطريق تقول له: إذا اشتقت إلى فما عليك إلا أن تلمس أي شيء مما كنت ألمس أو استعمل من أدوات البيت والمطبخ وسوف تجدني أمامك.

كبر الفتى واشتهر بين الناس أنه يذهب كل يوم نحو صخرة في البحر يجلس على طرفها ويبدو وكأنما هو منهمك في حديث حميمي مع كائن بحري تحت الماء.

حصان طروادة...أسطورة شعبية إغريقية

كان يا ما كان في قديم الزمان حربًا مريرة وطويلة، خاضها الإغريق ضد أهل طروادة[1] وكان ذلك فيما يزيد عن ٣٠٠ عام قبل الميلاد، عسكر الإغريق خارج أسوار مدينة طروادة ما يقرب من عشرة أعوام، فالسور العالي الذي كان يحيط بالمدينة كان حائلًا منيعًا يمنع دخول جنود الإغريق إلى داخل المدينة.



نشبت واندلعت الكثير من المعارك خلال هذه السنوات، حاول الإغريق خلالها تدمير هذا السور، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، كما حاولوا تسلق السور والتسلل إلى داخل المدينة إلا أن أهل طروادة كانوا لهم بالمرصاد، وكانوا يطردونهم بعيدًا.

اضطر الإغريق إلى التفكير في خدعة، فبدءوا في صناعة حصان ضخم من الخشب، كان أهل طروادة ينظرون إليهم ويتعجبون، وفي يوم من الأيام كانت دهشتهم وعجبهم عندما وجدوا أن الجيش الإغريقي قد رحل بعيدًا ذات صباح ولم يبق شيء سوى الحصان الخشبي والذي أعجبهم كثيرًا، فسحبوه إلى الداخل، وأقفلوا الأبواب مرة أخرى، وظنوا أن الحرب قد انتهت بعد رحيل الإغريق وتخليهم عن سيوفهم ودروعهم، بدأ أهل طروادة يمارسون الرقص والغناء حول الحصان ردحًا من الليل ثم ذهبوا وتركوه ليناموا قريري الأعين وفي سعادة تغمرهم بسبب النصر المظفر الذي نالوه بسبب صمودهم المستميت.

---

(١) كانت مدينة طروادة القديمة تقع بالقرب من مضيق الدردنيل، وفي الخمسينيات من القرن الماضي تم بناء متحف يضم ضمن مقتنياته آثارًا للمدينة مع حصان خشبي في حديقة المتحف يمثل حصان طروادة الأسطوري. ومن هذه الأسطورة استُنبط المصطلح (حصان طروادة) للدلالة على ما هو ظاهره نافع مفيد وباطنه ضرر أكيد.

وعندئذ بدأ الإغريق في تنفيذ خدعتهم حيث كان جنود الإغريق يختبئون داخل تجويف الحصان الخشبي وفي تلك الليلة تسلل الجنود الإغريق إلى خارج الحصان، وقاموا بفتح أبواب المدينة العملاقة أمام بقية الجنود، وهزمت المفاجأة أهل طروادة.

وحتى يومنا هذا فإننا نطلق اسم «حصان طروادة» على أي هجوم داخلي خادع(١).

أرض وبار...أسطورة شعبية يمنية

كانت أرض وبار أكثر الأرضين خيرًا، وأخصبها ضياعًا، وأكثرها مياهًا وشجرًا وثمارًا، فكثرت بها القبائل حتى شحنت بها أرضهم، وعظمت أموالهم فأشروا وبطروا وطغوا، وكانوا قومًا جبابرة ذوي أجسام، فلم يعرفوا حق نعم الله تعالى، فبدل الله خلقهم، وجعلهم نسناسًا، للرجل والمرأة منهم نصف رأس، ونصف وجه، وعين واحدة، ويد واحدة، ورجل واحدة، فخرجوا على وجوههم يهيمون في تلك الغياض إلى شاطئ البحر، ويرعون كما ترعى البهائم، وصار في أرضهم كل نملة كالكلب العظيم، تستلب الواحدة منها الفارس عن فرسه فتمزقه، ويقال إن ذا القرنين وجنوده دخلوا إلى هذه الأرض فاختلس النمل جماعة من أصحابه، ويزعم علماء العرب أن الله تعالى لما أهلك عادًا وثمود أسكن الجن في منازلهم، وهي أرض وبار فحمتها من كل من يريدها، وأنها أخصب بلاد الله وأكثرها جمالًا وشجرًا ونخيلًا وخيرًا، فإن دنا منها الرجل عامدًا أو غالطًا حثا الجن في وجهه التراب، وإن أبى إلا الدخول خبلوه وربما قتلوه.

غادة الجن...أسطورة شعبية عربية:

كان يا ما كان في قديم الزمان كان بعض الأعراب على غدير لهم في الجاهلية، ومعهم رجل من الحي يقال له عمرو بن مالك، معه بنية له شابة على ظهرها ذؤابة، فقال لها أبوها: خذي هذه الصفحة ثم ائتي الغدير فجيئينا بشيء من مائه، فانطلقت فوافقها عليه جان فاختطفها، فذهب بها فلما فقدوها نادى أبوها في الحي، فخرجوا على كل صعب وذلول

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

وقصدوا كل شعب ونقب فلم يجدوا لها أثرًا، ومضت على ذلك السنون حتى كان زمن عمر بن الخطاب فإذا هي قد جاءت، وقد عفا شعرها وأظفارها، وتغيرت حالتها، فقال لها أبوها: أي بنيه أين كنت؟ أين كنت؟ وقام إليها يقبلها، ويشم رائحتها، فقالت: يا أبت أتذكر ليلة الغدير؟ قال: نعم، قالت: فإنه وافقني عليه جان فاختطفني فذهب بي، فلم أزل فيهم حتى إذا كان الآن غزا هو وأهله قومًا مشركين، فجعل لله تبارك وتعالى نذرًا إن هم ظفروا بعدوهم أن يعتقني ويردني إلى أهلي فظفروا، فحملوني فأصبحت عندكم وقد جعل بيني وبينه أمارة، إن احتجت إليه أن أولول بصوتي فإنه يحضرني، فأخذ أبوها من شعرها وأظافرها، وأصلح من شأنها، وزوجها رجلًا من أهله، فوقع بينهما ذات يوم ما يقع بين المرأة وزوجها، فعيرها وقال يا مجنونة، والله إن نشأت إلا في الجن، فصاحت وولولت بأعلى صوتها، فإذا هاتف يهتف: يا معشر بني الحارث اجتمعوا وكونوا حيًا كرامًا، فاجتمعنا فقلنا: ما أنت؟ رحمك الله؟ فإنا نسمع صوتًا ولا نرى شخصًا، فقال: أنا راب فلانة، رعيتها في الجاهلية بحسبي وصنتها في الإسلام في ديني، والله إن نلت منها محرمًا قط، واستفاقت في هذا الوقت، فحضرت فسألتها عن أمرها، فزعمت أن زوجها عيرها بأن كانت فينا ووالله لو كنت تقدمت إليه لفقأت عينه، فقلنا: يا عبد الله، لك الحباء والجزاء والمكافأة، فقال: ذلك إليه "يعني الزوج".

مدينة شداد...أسطورة شعبية يمنية

يحكى أن شداد بن عاد كان جبارًا، ولما سمع بالجنة وما أعد الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار، والغرف التي من فوقها غرف، قال لكبرائه: إني متخذ في الأرض مدينة على صفه الجنة، وأسند ذلك إلى مئة رجل من وكلائه، وجعل تحت يد كل رجل منهم ألفًا من الأعوان، وأمرهم أن يطلبوا فضاء فلاة من أرض اليمن، ويختاروا أطيبها تربه، ومكنهم من الأموال، ومثل لهم كيف يعملون، وكتب إلى عماله الثلاثة: غانم والضحاك والوليد، يأمرهم أن يكتبوا إلى عمالهم في آفاق بلدانهم أن يجمعوا جميع

ما في أرضهم من الذهب والفضة والياقوت والمسك والعنبر والزعفران، فجمعوا منها أمثال الجبال، وحمل جميع ذلك إلى شداد، ثم وجهوا الحفارين إلى معادن الياقوت والزبرجد وسائر المجوهرات، فاستخرجوا منها أمرًا عظيمًا.

فأمر بالذهب فضرب أمثال اللبن، ثم بنى بذلك تلك المدينة، وأمر بالدر والياقوت والجزع والزبرجد والعقيق ففصص به حيطانها ثم أجرى تحت المدينة واديا ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخًا كهيئة القناة العظيمة، ثم أمر فأجرى من ذلك الوادي سواقي في تلك السكك والشوارع والأزقة تجري بالماء الساقي.

وأمر بحافتي ذلك النهر وجميع السواقي فطليت بالذهب الأحمر، وجعل حصاه أنواع الجواهر الأحمر والأصفر والأخضر، فنصب على حافتي النهر والسواقي أشجارًا من الذهب مثمرة وجعل ثمارها من تلك اليواقيت والجواهر، وجعل طول المدينة اثني عشر فرسخًا وعرضها مثل ذلك.

وجعل سورها عاليًا مشرفًا، وبني فيها ثلاث مائه ألف قصر، مفصصًا بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر، ثم بني لنفسه في وسط المدينة على شاطئ ذلك النهر قصرًا منيفًا على تلك القصور كلها، وجعل بابها يشرع إلى الوادي بمكان رحيب واسع، ووضع عليه أسدين من ذهب، مفصصين بأنواع اليواقيت، وأمر باتخاذ بنادق من مسك وزعفران، فألقيت في تلك الشوارع والطرقات، وجعل ارتفاع تلك البيوت ثلاث مئة ذراع مفصصا خارجه وداخله بأنواع اليواقيت وظرائف الجواهر، ثم أن هودًا عليه السلام جاءه فدعاه إلى الله تعالى وأمره بالإيمان والإقرار بربوبية الله تعالى ووحدانيته، فتمادى في الكفر والطغيان، وذلك حين تم لملكه سبع مئة سنه فأنذره هود عليه السلام بالعذاب وحذره وخوفه من زوال ملكه فلم يرتدع ولم يجب هودًا إلى ما دعاه إليه، ووافاه الموكلون ببناء المدينة، وأخبروه بالفراغ منها، فعزم على الخروج إليها في جنوده، فخرج في ثلاث مئة ألف من حرسه ومواليه، وسار نحوها، وخلف

على ملكه بحضرموت وسائر أرض العرب ابنه مرثد بن شداد، وانتهى إلى المدينة فجاءت صيحة من السماء فمات هو وأصحابه أجمعون، حتى لم يبق منهم أحد، ومات جميع من كان في المدينة من الفعلة والصناع وبقيت خلاء لا أنيس لها وساخت المدينة في الأرض فلم يدخلها بعد ذلك أحد إلا رجل واحد في أيام معاوية يقال له عبد الله بن قلابة وقد كان خارجًا من صنعاء إلى حضرموت وضلت إبله حتى وقع عليها.

البيت العجيب...أسطورة شعبية من اليونان:

يحكي أن ملكًا من ملوك اليونان كانت له ابنة في غاية الجمال، فسمع بها ملوك الأندلس، وكانت الأندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك واحد، فخطبوها، وخشي أبوها إن زواجها من واحد أسخط الباقين، فتحير في الأمر، وأحضر ابنته ليعرض عليها الأمر، وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم وإناثهم، ولذا قيل: إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض: أدمغه اليونان، وأيدي أهل الصين، وألسنة العرب، فقال لها: يا بنية، إني أصبحت على حيرة في أمرك ممن يخطبك من الملوك، وما أرضيت أحدا إلا أسخطت الباقين، فقالت له: اجعل الأمر إليَّ تخلص من حيرتك يا أبي، فقال: وماذا تقترحين يا بنيتي؟ فقالت: أقترح فيمن يتقدم لخطبتي من الملوك أن يكون ملكًا حكيمًا، فقال: نعم ما اخترت لنفسك، فكتب في أجوبة الملوك الخُطَّاب أنها اختارت من الأزواج الملك الحكيم، فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيمًا، وكان في الملوك الخاطبين حكيمان، فكتب كل واحد منهما: أنا الملك الحكيم، فلما وقف على كتابيهما قال لها: يا بنية، بقي الأمر على إشكال، وهذان ملكان حكيمان، أيهما أرضيت أسخطت الآخر، فقالت: سأقترح على كل منهما أمرًا يأتي به فأيهما سبق إلى الفراغ مما التمست كنت زوجته، قال: وما الذي تقترحين عليهما؟ قالت: إنا ساكنون بهذه الجزيرة، ومحتاجون إلى أرحي تدور بها، وإني مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البر، ومقترحة على الآخر أن يتخذ لي طلسمًا نحصن به جزيرة الأندلس من البربر، فاستظرف أبوها ذلك، وكتب إلى الملكين بما قالت ابنته، فأجاباه إلى ذلك، وتقاسماه، وشرع كل واحد منهما في عمل ما أسند إليه من ذلك، فأما

صاحب الرحى فإنه عمد إلى أشكال اتخذها من الحجارة نضد بعضها إلى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الأندلس والبر الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبته، وسدد الفرج التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته، وأوصل تلك الحجارة من البر إلى الجزيرة، فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال في البر الكبير، وسلطه من ساقية محكمة، وبني بجزيرة الأندلس رحى على هذه الساقية، وأما صاحب الطلسم فابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر، حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوق الأرض ليثبت، فلما انتهى البناء المربع إلى حيث اختار صور من النحاس الأحمر والحديد المصفى المخلوطين بإحكام الخلط صورة رجل بربري، وله لحية، وهو متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه، في رجله نعل، وهو شاهق في الهواء، طوله حوالي ستين ذراعًا أو سبعين ذراعًا، وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضًا عليه مشيرًا إلى البحر كأنه يقول لا عبور.

وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم ير قط ساكنًا، ولا كانت تجري فيه قط سفينة بربر حتى سقط المفتاح من يده، وكان الملكان اللذان عملا الرحي والطلسم يتسابقان إلى فراغ العمل، إذ السابق يستحق الزواج بالفتاة، وكان صاحب الرحي فرغ أولًا لكنه أخفى أمره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم، لتحظى المرأة بالرحي والطلسم، فلما علم باليوم الذي يفرغ صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء في الجزيرة من أوله وأدار الرحي، واشتهر ذلك، فطار الخبر إلى صاحب الطلسم وهو في أعلى القبة يصقل وجهه، وكان الطلسم مذهبا، فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتًا وحصل صاحب الرحي على المرأة والرحي والطلسم، وكان ملوك اليونان يخشون على الأندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره، فاتفقوا وجعلوا الطلسمات في أوقات اختاروا أرصادها، وأودعوا تلك الطلسمات تابوتًا من الرخام، وتركوه في بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلًا تأكيدًا لحفظ ذلك البيت، فاستمر أمرهم على ذلك، ولما حن وقت انقراض دوله من كان بالأندلس، ودخول العرب والبربر إليها، وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكًا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة، وكان لذريق، وهو تمام السابع والعشرين

من ملوكهم، فلما اقتعد أريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته وأهل الرأي منهم: قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلًا شيء، وأريد أن افتحه لأنظر ما فيه لأنه لا يعمل عبثًا، فقالوا صدقت إنه لم يصنع عبثًا، ولم يقفل سدى، والرأي والمصلحة أن تلقي أنت أيضًا عليه قفلًا أسوة بمن تقدمك من الملوك، وكان آباؤك وأجدادك لم يهملوا هذا، فلا تهمله، وسر سيرهم، فقال لهم: إن نفسي تنازعني إلى فتحه، ولابد لي منه، فقالوا له: إن كنت تظن أن، فيه مالًا فقدره ونحن نجمع لك من أموالنا نظيره، ولا تحدث علينا فتحه حادثًا لا نعرف عاقبته، فأصر على ذلك، وكان رجلًا مهيبًا، فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الأقفال، وكان على كل قفل مفتاحه معلقًا، ولما فتح الباب لم ير في البيت شيئًا إلا مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام، ورأى في البيت ذلك التابوت وعليه قفل، ومفتاحه معلق، ففتحه فلم يجد فيه سوى رق، وفي جوانب التابوت صور فرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون، ومن تحتهم الخيل العربية، وهم متقلدون السيوف المحلاة معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق، فإذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت إلى جزيرة الأندلس وذهب ملك من فيها بأيديهم وبطلت حكمتهم، فلما سمع ذريق ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم، فلم يلبث إلا قليلًا حتى سمع أن جيشًا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتح بلاد الأندلس.

الصياد والمارد... أسطورة شعبية فارسية

كان يا ما كان في قديم الزمان صياد فقير طاعنًا في السن كان له زوجة وثلاثة أولاد، وكان من عادته أن يرمي شبكته أربع مرات في اليوم، فخرج يومًا من الأيام فألقى شبكته في البحر، وأخذ ينتظر إلى أن استقرت في الماء وجمع خيوطها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك، فأسرع إلى الشاطئ ودق وتدًا وربطها به، وغطس في الماء حول الشبكة، ومازال يعالجها حتى أخرجها بعد عناء شديد، ولم يطل فرح الصياد، لأنه ما كاد يخرج بشبكته ويفتش عن صيده حتى وجد حمارًا ميتًا وقد خرق الشبكة فحزن لذلك حزنًا شديدًا وأنشد يقول:

سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا　　　هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

ثم إن الصياد خلص الحمار من شبكته وعصرها ونشرها، ثم رماها في البحر ثانية وهو يقول باسم الله، وصبر حتى استقرت، فثقلت أكثر من المرة الأولى، فظن أنه سمك فربط الشبكة وأخذ يعالجها، إلى أن خلصها إلى البر فوجد بها زيرًا كبيرًا وهو ملآن رملًا وطينًا، فتأسف أشد الأسف وأنشد يقول:

خرجت أطلب رزقي ... وجدت رزقي توفي

ثم أنه رمى الزير، وعصر شبكته ونظفها، واستغفر الله، وعاد إلى البحر مرة ثالثة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها، فوجد فيها شقفا وقوارير وعظامًا، فاغتاظ جدًا وأنشد يقول:

ولا الحظ والأرزاق إلا مقسم ... فأرض بها خصب وأرض بها قحط

ثم أنه رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم ارزقني هذه المرة برزقي، ورمى الشبكة إلى أن استقرت وجذبها فإذا بها ثقيلة جدًا، فعالجها حتى أخرجها إلى البر فإذا فيها قمقم من نحاس أصفر، وفمه مختوم بالرصاص، ففرح الصياد بهذا القمقم، وقال: أبيعه في سوق النحاس بعشرة دنانير ذهبًا، ثم إنه حركه فوجده ثقيلًا وهو مسدود، فقال في نفسه، أي شيء في هذا القمقم؟ لعل فيه كنزًا ثمينًا فلأفتحه.

وأخرج سكينًا وعالج الرصاص ففكه من القمقم وحطه إلى الجانب من الأرض، فعجب إذ رأى دخانًا يتصاعد من القمقم إلى عنان السماء ويتحول إلى عفريت رأسه في السحاب ورجلاه في التراب، وله أيد كبيرة وعظيمة، ورجلان كالسواري وفم كالمغارة، وأسنان كالحجارة، ومناخير كالإبريق وعينان كالسراجين، أعبس، أنحس، فارتعدت فرائصه من رؤية هذا العفريت وجف ريقه وعمي عن الطريق، فلما رآه العفريت قال أبشر أيها الصياد، قال الصياد: وبماذا تبشرني أيها المارد؟ قال: بقتلك في هذه الساعة شر قتله، فقال الصياد: لأي شيء تقتلني وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر؟ قال: تمنَّ أي ميتة تموتها، هذا كل ما أمنحك إياه، فقال الصياد: ولكن ألا تحدثني عن ذنبي حتى يكون هذا جزائي منك؟ قال العفريت: اسمع حكايتي أيها الصياد، اعلم أني كنت من الجن المارقين،

فحكم على سيد الجن بحبسي بهذا القمقم، ثم ختم علي بالرصاص، وأمر الجن فحملوني وألقوني في وسط البحر، فأقمت مئة عام فقلت: كل من خلصني أغنيته إلى الأبد، فمرت مئة عام أخرى فقلت: كل من خلصني فتحت له كنوز الأرض، فلم يخلصني أحد، فغضبت غضبًا شديدًا وقلت: كل من خلصني قتلته بلا شفقه ومنيته كيف يموت، وها أنت ذا تخلصني، وأني أمنيك؟ فاختر المنية التي تشاء، فأجابه الصياد: أعف عني أيها المارد يعف الله عن قتلك، ولا تهلكني لئلا يسلط الله عليك من يهلكك، فقال المارد: فتمن على ميتة تموتها، فقال الصياد ألا تعفو عني جزاء إنقاذي إياك؟ قال المارد: ولكني سأقتلك لأنك أنقذتني، فقال الصياد في ذات نفسه: هذا جني، وأنا إنسي، وقد أعطاني الله عقلًا كاملًا، فهل أدعه يقتلني؟ ثم قال للعفريت: إني أسألك عن شيء، فأرجو أن تصدقني فيه بحق سيد الجان، فاضطرب العفريت لسماع القسم، وقال له: سل وأوجز، قال الصياد: أنت كنت في هذا القمقم، والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك، فكيف يسعك كلك؟ فقال العفريت: ألا تصدق أني كنت فيه، فقال الصياد: لا أصدقك حتى أنظرك فيه بعيني، حينئذ انتفض العفريت وصار دخانًا، واجتمع ودخل القمقم، ونادي العفريت قائلًا: تمنَّ على بدورك أي ميتة تريد أن تموتها؟ قال الصياد: لأرمينك في البحر، ولأبنين لي هاهنا بيتا، وكل من أتى إلى الشاطئ منعته من الاصطياد قائلًا له: هاهنا عفريت، من أخرجه قتله. فلما رأى المارد نفسه محبوسًا أراد الخروج فمنعه خاتم الرصاص، وعلم أنه وقع في حيلة الصياد، فحاول استعطافه، ولكن الصياد رمى به في البحر قائلًا: لقد غدرت بي جزاء إنقاذي إياك، وسأجعلك تمكث في البحر إلى أن تقوم الساعة.

فرسان مائدة الملك آرثر المستديرة... أسطورة شعبية من بريطانيا

يحكي أن البريطانيون أرادوا أن يكون لهم مَلِك، وفي يوم من الأيام وجد الناس صخرة بها سيف مغروز وعليها لافتة تقول: (الذي يستطيع انتزاع السيف من الصخرة سيكون الملك المناسب للبريطانيين).

وحاول أقوى رجال بريطانيا انتزاع السيف من الصخرة ولكن باءوا جميعًا بالفشل، ومر على السيف صبي صغير اسمه (آرثر) ولم يكن قد سمع شيئا مما سبق، ولكنه فكر في أن يستعير السيف ليعطيه لأخيه غير الشقيق، الذي سيذهب للحرب دفاعًا عن بريطانيا.

حاول (آرثر) انتزاع السيف من الصخرة وتوجت محاولته بالنجاح، وخرج معه السيف من الصخرة كأنما أخرج سكينًا رشق في قالب من الجبن.

وهذا السيف إكسكاليبر وضعه الساحر في تلك الصخرة والساحر، ميرلين هو معلم آرثر وأبقى السيف في الصخرة بفعل السحر، وكان هذا الساحر يريد أن ينتزع آرثر تلميذه هذا السيف؛ لأنه على يقين من أن هذا الصبي سيكون أفضل ملك يحكم بريطانيا.

وبالفعل توج آرثر ملكًا على بريطانيا، وبعد أن أصبح ملكًا، احتاج هذا الصبي من شعبه أن يعينوه على الحكم السديد، فقرر أن يطلب من أشجع رجال المملكة وأقواهم أن يعاونوه على ذلك، فبعث رسلًا يجوبون البلاد للبحث عن هؤلاء الرجال الشجعان الأقوياء، وحضر إليه بالفعل الكثير من الشجعان، وطلب منهم الملك الصبي آرثر أن يعاهدوه على الإخلاص له وللبلاد، وأن يقسموا له على الالتزام بالعدل وحفظ العهد وحماية الضعفاء، من أبناء هذا الشعب العظيم، وأطلق على هؤلاء الرجال، فرسان مائدة الملك آرثر المستديرة، وكان لانسيلوت أعظم فرسان المائدة المستديرة على الإطلاق، كانت حكمة الملك آرثر بالغة عندما جعل المائدة مستديرة؛ ليجلس عليها الجميع متساوين، فلا يكون بينهم من وضعه أفضل من الآخر، ولا يترأس المائدة أحد، وتقول الأسطورة: إن آرثر سيعود لإنقاذ شعبه كلما أصبحت بريطانيا في خطر[1] [2].

نشأة الأرض....أسطورة شعبية هندية

في البدء، كانت المياه في كل مكان، لم يكن هناك بشر، حيوانات، أو كانت الأرض منظورة. كانت هناك طيور فقط، ومع ذلك قرر القائم على المجلس أن هل من الأفضل أن تكون كلها مياه أو كلها أرضًا؟.

دعونا نحظى بالأرض، كي نحصل على الكثير من الطعام قالت كذلك طائفة من الطيور، وعلى الجانب الآخر ظهر رأي يقول: دعونا نجعلها كلها مياه؛ لأننا نحب هذه الطريقة في الحياة.

---

(١) على الرغم من كون القصة خرافية... فهناك احتمال لوجود قائد عسكري بريطاني...استطاع بالفعل قيادة البريطانيين إلى النصر على الغزاة خلال القرن السادس الميلادي

(٢) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

وفيما بعد قرر النسر الذي كان قائدًا لهم وبيده تحديد المصير بشكل أو بآخر أن تكون هناك أرضًا، وسأل: من سيذهب للبحث عن الأرض؟ تطوعت اليمامة في البدء وحلقت بعيدًا، في اليوم الرابع أكملت بحثها وعادت تبلغ بأنها لم تجد أرضًا على الإطلاق، جاء غراب السمك عائمًا، وسأله المجلس المساعدة. اختفى تحت الماء لأربعة أيام، وعندما عاد للسطح ثانيًا، كان يقبض على بعض التراب في مخلبه، فقد وجد أرضًا في أعماق المياه، ثم قام بصنع كرة من التراب وسلمها للرئيس النسر، الذي حلق بها بعيدًا، بعد أربعة أيام عاد للمجلس قائلًا: الآن هناك أرض، تم إعلان نشأة جزيرة، اتبعوني.

وحلقت أسراب مستعمرة الطيور بأسرها خلف النسر ليروا الأرض، كانت جزيرة صغيرة جدًا، ولكن شيئًا فشيئًا بدأت الأرض تنمو شيئًا فشيئًا، وبدأت المياه تنحسر وتنحسر، وبدأت جزر أخرى في الظهور، وتنامت سويًا حتى صنعت أكبر جزيرة في العالم[1].

الحرب بين الجن وبني سهم....أسطورة شعبية سعودية

يحكى أن امرأة من الجن كان لها ولد أراد الحج، بيد أن أمه خشيت عليه من سفهاء قريش، فأرادت له ألا يذهب، فلم يأبه لهذا وأصر على الأمر، ولما كان في منتهى الطواف مر ببعض دور بنى سهم، فعرض له شاب من قريش فقتله، وعلى إثر هذا تبادرت الجن للثأر من القرشيين لمقتل هذا الغلام منهم، فما أحس أهالي مكة إلا بزوابع الغبار تنثال عليهم، فقتل من بنى سهم خلق كثير، غير أن بنى سهم لم تدع الأمر هكذا بل تداعت وحلفاؤها، وتفرق القوم في الشعاب والفجاج والأودية يقتلون كل هامه وحشرة وحيوان عثروا عليه، فلما كان ذلك ضجت الجن وصاح صائحهم على جبل أبي قبيس يطلب الوساطة والصلح من قريش بين الجن وبين بنى سهم الذين أكثروا وأسرفوا في القتل أكثر مما فعلت الجن بهم، وانتهى النزاع بين الطرفين على هذا الأساس من الوساطة والصلح.

---

(١) يقول هنود الـ توسكى جى بأنهم تم اختيارهم بواسطة الروح العظيمة ليكونوا أول بشر يعيشون على الأرض الجديدة منذ زمن بعيد جدًا، والأسطورة الهندية تقول بأن لا حياة بدون مياه وأن الماء هو أصل الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

مركب النجاة....أسطورة شعبية عراقية

يحكى أن والدة حسين الحلاج، لما حملت به، نذرته خادمًا للفقراء، وسلمته لأبي القاسم الجنيد يعلمه القرآن، فلما وضعته وكبر لم يهن عليها فراقه، فأشغلته في صنايع أهل الدنيا، فلم يتعلم منها شيئًا.

فقال لها ذات يوم: يا أماه أنتِ نذرتني خادمًا للفقراء، فأوهبيني للشيخ أبي القاسم الجنيد وأوفي بنذرك، فأخذته ومضت به إلى الجنيد، فعلمه كتاب الله، وعلمه العلم الشريف، وكان يخدم الزاوية، ويتحوج إلى الفقراء ويدخل الخلوة ويكنسها، وينفض الكتب من الغبار، ويبسط الجادة لشيخه، ويملأ الأباريق، فدخل ذات يوم الخلوة ليكنسها، وإذا بورقة قد سقطت من السجادة فيها اسم الله الأعظم، فأخذها وأكلها ليتبرك بها، وكانت مرسوم الولاية للشيخ، فطلبها فلم يجدها، فشق ذلك عليه، فأراد أن يخوف الفقراء حتى يردوها عليه، فقال: من وجد لي ورقة ولم يردها قطعت يمينه، فلم يتكلم أحد، فقال: من سمعني أطلبها، ولم يردها قطعت شماله، فلم يرد أحد، فقال: من سمعني أطلبها ولم يردها قطعت رجليه وصلب ورجم وأحرق وذري بالهواء، فنفذت الدعوات كلها في حسين الحلاج. معتوه لا يفقه شيئًا ثم قوي به الوجد، فكان الشيخ يعطيه الفضة ليشتري عشاء للفقراء، فيمضي إلى السوق، فيقف على البياع، فيقول له: ما تريد؟ فيقول: الله الله ثم يأت اللبان كذلك، والبقال كذلك، والخباز كذلك. قال: فأتى أهل السوق إلى الشيخ، وقالوا له: يا سيدي لا ترسل إلينا هذا الموله، فإنا ما نعرف ما يقول. مفوه ويعلم أسرار الكلام وزاد الوجد بحسين الحلاج، فساح في الجبال ستة أشهر، ثم رجع في ميعاد الشيخ، فوجد المجلس مزدحمًا بالخلائق، فوقف في الدهليز، وكان الشيخ فصيح اللسان إذا تكلم يفهم كلامه الذكي والبليد، وكان الناس يرغبون في مجلسه لفصاحته، فدق الكلام في ذلك اليوم حتى لم يفهم منه كلمة واحدة، فقال الناس: ما هكذا عادتك للفقراء، ما نفهم من كلامك شيئًا.

فقال الشيخ: وأنا أيضًا ما أفهم ما أقول، لابد لهذا من نبأ ممن يفهمه، فتشوا الدهليز، فانظروا من يبكي لهذا الكلام، فلما فتشوا، وجدوا حسين الحلاج واقف يبكي فقالوا: تفهم ما يقول الشيخ؟ قال: نعم، قالوا: تقدم، فإن الشيخ يريدك، ففسحوا له حتى طلع المنبر، فقال له الشيخ: يا حسين، أنت وصلت إلى هذه المنزلة تسمع الخطاب في الأسرار اكتم السر.

قال: ما أقوى على الكتمان شطحات وهذيان وصار يشطح، ويزيد في الكلام وينقص، وقد غرق في بحر الوداد، فصار الشيخ يرسله إلى السوق بالدراهم، ليشتري للفقراء ما يحتاجونه، فإذا وقف على السوقي يقول له: ما تريد يا حسين؟ فيقول: لا إله إلا الله، ما أريد إلا الله، وهو يشطح في كلامه، ويظنون أن كلامه لحنًا وتبديلًا وكفرًا، فقام أهل بغداد إلى الجنيد، واجتمعوا عنده، وقالوا: يا شيخ.. اعلم أن مريدك حسين قد أتعبنا، وهو يشطح ويتكلم بكلام لم يدخل في العقل، ولا في البال، وقد شغلنا عن بيعنا وشرائنا وأوقف حالنا، فنسألك أن ترده عنا.

فقال الشيخ: انصرفوا، فإذا حضر نؤدبه، فما مضت ساعة إلا والحسين حضر بين يدي الشيخ، فقال له: يا حسين ما هذا الحال أعلم أن أهل بغداد قد أتوا إلى وشكوا منك، ومن شطحاتك، ومن كثرة كلامك، وقد أتعبتني وأتعبت نفسك، فارجع عما أنت فيه، ولا ترمي روحك في الهوان فيقطعوا منك الأوصال، ويعذبوك بأشد العذاب، فقال له: التعذيب يطيب في رضا الحبيب.

ثم بعد ذلك، تركه شيخه وصار يشطح، ويزيد في كلامه، وقد غرق في بحر الوداد، فاجتمع أهل بغداد وجاءوا إلى الشيخ الجنيد وقالوا له: يا سيدي الشيخ لقد زاد مريدك حسين في كلامه ولا بقا لنا عليه اصطبار، فقال لهم الشيخ: أمسكوه كي أحبسه في مخزن القطن إلى غد، فإما أن يرجع عما هو فيه، وعن مقاله، وإما نشغله بقطع أوصاله.

فجاءوا إليه واجتمعوا عليه، وأدخلوه إلى مخزن القطن، وقفلوا عليه الأبواب، وبات في مخزن القطن، وهو واقف على أقدامه إلى الصباح، ساعة يقرأ وساعة يذكر الله تعالى، وينشد الأشعار.

كرامات بلا عمل ودخلوا عليه في الصباح، فوجدوا كل القطن الذي كان في المخزن محلوجًا مندوفًا، القطن في ناحية والبزر في ناحية أخرى، فتعجب الناس من ذلك، وقالوا: يا حسين صنعتك حلاج حتى حلجت هذا القطن كله في ساعة؟

فلما سمع منهم هذا الكلام أنشد قصيدة يقول في مطلعها:

أنا حسين الحلاج (ليش) تنكرون حالي   أنا حلجت قطني بالذكر والقرآني

فلما فرغ من شعره قالوا له: قم معنا إلى عند شيخك الجنيد لترجع عما أنت فيه، وإلا قطعنا منك الأوصال، قال فسار معهم حتى وصل إلى الجنيد فقام له شيخه وعانقه، وبكى بكاء شديدا، فقام حسين وبكى بكاء شديدا، وأنشد قصيدة يقول فيها: سقوني،وقالوا:

لا تغنـــي ولــو سقـــوا	جبال حنين مـا سقيـت لغنت
تمنـت سليمـى أن نمـوت بحبها	وأسهـل شيء عنـدنا مـا تمنت

فلما فرغ حسين من شعره ناوله الشيخ منديله وقال له: خذ لك هذا المنديل يا حسين، فأخذه وحذفه في الهواء، وقال: يا منديل، خذني معك، فطار هو والمنديل، ولم يظهر له خبر إلى مضي سنة كاملة، فصار أهل بغداد والناس متعجبين من هذا الأمر.

قال الناس: الحمد لله، راح حسين واسترحنا منه، وأكلته الوحوش في البراري والجبال، قال: فبينما الناس في الكلام، وإذ بالحسين الحلاج قد أقبل ودخل من باب بغداد، وهو يقول: لا إله إلا الله، ما يدوم إلا وجه الله، لا إله إلا الله، يا قوم اعبدوا الله، يا قوم اذكروا الله، يا قوم وحدوا الله، يا قوم قولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. قال: فلما تزل الناس خلفه، وهم يكتبون ما يقول حتى وصل إلى عند شيخه، فلما نظر إليه شيخه بكى بكاء شديدًا، وأنشد رحمه الله تعالى قصيدة يقول في مطلعها:

قـل لأخـوان رأوني ميتـا	فبكونـي ورثـوا لي حزنـا
أتظنـون بأنـي ميـت	ليـس ذاك الميـت - والله - أنـا

فلما فرغ حسين من شعره، وسمع شيخه منه هذا الكلام، دهش عقله وطار لبه، وقال له: يا ولدي يا حسين، أنت وصلت إلى هذه المنزلة وإلى هذا المقام! فقال له: وصلت ببركة الله تعالى ورسوله، وبركتك يا شيخي، وصار يشطح في كلامه، ويزيد وينقص، فجاء أهل بغداد إلى الشيخ وقالوا له: يا شيخ قد أتعبنا مريدك حسين الحلاج، واشغلنا عن بيعنا وشرائنا.

قال الشيخ: أمسكوه، واحبسوه إلى غد حتى ننظر ما يكون من أمره، إما أنه يرجع عما هو فيه، وإما ينفذ حكم الله فيه، فقالوا له: يا شيخ نحن لم نقدر على مسكه، فقال لهم: ولم ذلك؟ فقالوا له: هذا ساعة يمشي على وجه الأرض، وساعة يمشي في الهواء، فقال لهم: قولوا له: يقول لك شيخك: ادخل هذا المكان فإنه يدخل، قال: فجاءوا إليه، وأخذوه، وأتوا به إلى باب السجن، وقالوا له: يا حسين، يقول لك شيخك: ادخل إلى هذا السجن، فلما سمع بذكر شيخه قام ودخل إلى السجن، فلما دخل قفلوا عليه الباب، وذهبوا وخلوه، فلما دخل وجد في السجن خلقًا كثيرًا، فلما رآهم قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، يا معشر المسلمين، ما حبسكم إلا ذنوبكم، وغفلة قلوبكم عن محبوبكم، وقد رغبتم في هذه الدنيا الدنية عن سيدكم ومطلوبكم، فلو رجعتم بقلوبكم إليه، لبكيتم بعيونكم عليه، وكان جعل لكم من أمركم فرجًا ومخرجًا، ولكن اسمعوا مني ما أقول، إن كانت لكم عقول، وإلا قعادكم في هذا الحبس يطول.

قال: فعند ذاك قامت المحابيس، وجلسوا حوله، فقام وبكى بكاءً شديدًا، وقال قصيدة يقول في مطلعها:

در الكاسات في جنـــح الظـــلام   واسقني مـن خمـرة تشـفي السقـام
خمـرة في دنهـــا قـــد عتقـــــدت   قــد سقيهــــا كل صب مستهــام

فلما فرغ حسين من شعره قام وأذن العشاء، وصلى بالمساجين العشاء الأخير، فلما فرغ حسين من صلاته جلس يذكر الله تعالى وهم يذكرون الله معه إلى الصباح، فقام وصلى بهم صلاة الصبح، فلما فرغ من صلاته قام وخط في أرض السجن خطًّا، وعمل فيه صفة مركب، وجلس وسطها، وقال:يا فقراء من أراد منكم النجاة لنفسه، والخلاص من السجن، فليقم ويجلس معي في هذا المركب، مركب النجاة، فعند ذلك قامت المحابيس وجلسوا معه وسط المركب.

فقام وقال لهم: يا فقراء حركوا مركبكم بذكر الله، واذكروه بالصدق والمحبة، وقولوا كلكم معي عدلًا مخلصًا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فلما رفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى، إذ بذلك الخط تحرك وصار مركبًا عظيمًا، وقد صار وسط البحر، فقال لهم: يا قوم داوموا على ذكر الله، فقام وفر من المركب وصار واقفًا على وجه الماء، وصار يجري خلفه المركب حتى أوصله إلى البر.

فعند ذاك أنزلهم من المركب وقال لهم: سيروا إلى حال سبيلكم، فذهب كل واحد إلى حال سبيله، وقام حسين يمشي حتى دخل من باب بغداد، وهو يقول: يا قوم ظننتم أنكم فرقتم بيني وبين حبيبي، وزعمتم أنه قد فاتني منه نصيبي، أما علمتم أنه معي في حضرتي ومغيبي، وإن غبت فهو حبيبي، وإن دعوته فهو مجيبي، وإن مرضت فهو معيدي، وبكى بكاء، وأنشد قصيدة يقول في مطلعها:

تجلى لي المحبوب في القلب محياه   عن الغير حتى صار قلبي مثواه.

هاجيا المنتصرة... أسطورة شعبية برازيلية

كان يا ما كان في قديم الزمان فتاة هندية في ريعان الشباب، جميلة جدًّا وُلدت وعاشت وكانت كأترابها من الصبايا كانت هذه الفتاة تسمى مايا، وكانت تعتقد مايا دائمًا أن القمر هو شاب من الفضّة عندما يتزوّج من العذارى الشابات الهنديات تولد النجوم في السماء، حلمت مايا الهندية الشابة أن تكون عروسًا للقمر، وأخذ الحلم يكبر يومًا بعد يوم حتى قررت أخيرًا أن تتزوّج منه، نظرت إليه فرأته بعيدًا جدًّا، أخذت تقطع السهول والجبال وترفع ذراعيها النضرتين محاولة وبكل قوّتها أن تصل وتمسك بالقمر، لكنها وفي كل مرّة كانت تجد نفسها لا زالت بعيدة جدًّا، فكانت تتسلّق الجبال الأعلى، وكلّما ارتفعت وشعرت أنها أصبحت أقرب إلى القمر تمد يدها إليه، لكنها للأسف تجده لا زال بعيدًا جدًّا في تلك السماء اللانهائية، مايا التي أحبّت أن تتزوّج هذا الشاب الفضّي، أصبحت حزينة، لأنها لم تستطع الوصول إليه، وبدأ اليأس يتسلّل إلى نفسها الطيّبة رويدًا رويدًا وفي ليلة جميلة مقمرة كانت مايا تتجوّل - كعادتها - وعندما اقتربت صدفة من نهر كبير وقفت مشدوهة، إذ رأت

هناك القمر الفضي يتلألأ في أعماقه، اضطربت نفسها وبدأ يخفق قلبها فرحًا، إذ لم يكن لديها شك بأنه هو وبأنها ستصل الآن إلى ذلك الفتى الفضّي عريس العذارى الشابات الهنديات، قالت: آه!! إنه هناك لا بد أنه استجاب لرغبتها، وجاء إليها وهو يدعوها الآن ليتبادلا معًا الحب والشوق ولهفة اللقاء.

اقتربت مايا الشابة من النهر حيث رأت القمر في عمق مياهه، وبشوق وحب كبيرين رمت نفسها في الماء في غطسة متلهّفة متشوّقة للقاء، لكنها ويا للخسارة بدأت تغطس رويدًا رويدًا باتجاه العمق حتى اختفت وإلى الأبد، حزن القمر وتألّم كثيرًا وأحسّ بذنب كبير لهذه المأساة الحزينة، آه ماتت مايا وانطوى حلمها الكبير، ضحّت بنفسها لأجله، فكّر طويلًا وشعر في قرارة نفسه أن هذه الهندية الجميلة الرائعة تستحقّ أن تكافأ على حبّها وأن تعيش وإلى الأبد مثل أميرة أو ملكة بكامل هيبتها وجلالها، تتباهى بتفرّد حسنها وجمالها بين جميع الورود والأزهار، وهكذا اتخذ قراره وحوّل جسد مايا إلى زهرة نادرة متميّزة متفرّدة في شكلها وجمالها، فكانت فيتوريا هاجيا[1].

العملاق ذو العين الواحدة....[2] أسطورة شعبية إغريقية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان الملك الإغريقي أوديسيوس مبحرًا مع رجاله عائدين إلى الوطن بعد حرب ضروس شنها على الأعداء، وهو في طريق العودة، توقف عند جزيرة كان يسكنها عملاق ذو عين واحدة، وكان هذا العملاق يسمى بوليفيمس وهو من آكلي لحوم البشر وبشراهة.

---

(١) تحكي هذه الأسطورة عن زهرة مائية خاصة بنهر الأمازون، وهو نهر يقع في المنطقة التي تشكّل المساحة الشمالية الكبيرة من البرازيل. تلك الزهرة (هاجيا) ذات المنظر الجميل الرائع لا تنبت إلا في هذا النهر رغم اتساع البرازيل التي تكاد تشكّل المساحة الكبرى من قارة أميركا الجنوبية. والهنود، وهو الاسم الذي كان يطلق على سكان البلاد الأوائل، كانوا ينظرون بإعجاب إلى هذه الزهرة الفريدة من نوعها والتي تختص بتلك المنطقة فقط. وقد رووا عنها وعن سبب وجودها في هذا المكان تلك الحكاية الأسطورية.

(٢) يعتقد بعض العلماء أن أسطورة العملاق ذو العين الواحدة ترجع إلى اكتشاف الناس لعظام أفيال لم يعرفوا ما هي حينئذ، حيث كان في جمجمة كل فيل فتحة كبيرة بدت كما لو كانت تجويفا لعين واحدة.

دخل أوديسيوس إلى كهف بوليفيمس هو وجنوده ليستريحوا قليلًا من عناء السفر أملًا في استعادة نشاطهم ليبحروا في الصباح من جديد، عاد العملاق ذو العين الواحدة مع قطيع غنمه إلى الكهف وأغلق فوّهة الكهف بصخرة عملاقة، فحبس الملك وجنوده بالداخل.

فرح العملاق عندما شاهد رجالًا بالكهف، فالتهم اثنين من الرجال، واستغرق بعد ذلك في سبات عميق، وفي الصباح التهم اثنين آخرين من رجال الملك، وخرج بأغنامه إلى الخارج وأغلق الكهف وراءه بصخرة عظيمة وثقيلة للغاية، أصاب الذعر رجال الملك وحاولوا زحزحة الصخرة ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، واعتقدوا أنهم أحيط بهم وأنهم لا محالة من الهالكين.

جلس الملك يفكر في هذا المأزق ويبحث جاهدًا عن حل، وتفتق ذهن الملك عن خطة، أحضر فرعًا من شجرة الزيتون، وسن طرفه بسكين وفي المساء عندما عاد العملاق إلى الكهف عرض عليه الملك احتساء بعض الشراب، فشربه العملاق ذو العين الواحدة، ثم سأل الملك عن اسمه فقال له الملك اسمي: لا شيء، قال له العملاق: هديتك يا (لا شيء) أنك ستكون آخر من ألتهم من الرجال، وسقط على الأرض مغشيًا عليه بعد أن سكر من الشراب وراح في سبات عميق، التقط الملك فرع الشجرة الذي سنه من قبل وفقأ عين العملاق بطرفه المسنون فأعماه. صرخ العملاق بصوت مجلجل طالبًا النجدة، فسأله العمالقة الآخرون: من الذي ضربك؟![1]

قال لهم: لاشيء، فرد عليه العمالقة الآخرون: حسنًا، أنت إذا لا تحتاج لمساعدتنا وتركوه وذهبوا، وفي هذه الأثناء أمر الملك جنوده أن يربطوا قطيع الأغنام في مجموعات كل مجموعة تتألف من ثلاثة خرفان، وأمرهم أن يتعلق كل رجل ببطن الخروف الأوسط من كل مجموعة، وخرجوا من الكهف مع الخرفان.

ولم يخطر ببال العملاق أن يبحث تحت بطون الغنم، فنجح الملك ورجاله من الخروج من الكهف، وهربوا إلى سفينتهم ليستكملوا رحلة العودة الطويلة إلى الوطن، بعد أن كتبت لهم الحياة من جديد.

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

الرجل والتنين... أسطورة شعبية فارسية

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل يسير في الصحراء يحمل معه من الزاد ما يكفيه، أخذ من الطعام أشكالًا وألوانًا ومن الفاكهة ما يكفيه، ووضع ذلك على دابته وأخذ في المسير من واد إلى واد، وكان خبيرًا بالصحراء ودروبها وبالهضاب والسهول، وفي مرة من المرات، وفي يوم من الأيام وهو في طريقه يسير إذا بفيل عظيم يقترب منه كالهائج يحاول أن يفتك به، تملك الرجل الخوف ولم يدر ماذا يفعل، هداه تفكيره في النهاية إلى أن يقفز من فوق دابته ويجري كالريح على الرمال والفيل يتبعه، أيقن الرجل أنه هالك لا محالة، ولكنه رغم ذلك يتابع الجري وبينما هو يلهث من شدة العطش، وجد بئرًا مهجورًا أمامه فرمى بنفسه فيه، وتعلق بغصنين على سمائها والفيل رابض بجوار البئر لا يريد أن يبرح المكان انتظارًا لخروجه، تدلي الرجل في البئر خوفًا من الفيل وبينما هو كذلك وقعت رجلاه على شيء في طي البئر، نظر الرجل إلى الأسفل في محاولة لاستكشاف الأمر، فإذا حيات أربع قد أخرجن رؤوسهن من أحجارهن، وأمعن النظر تارة أخرى في البئر فإذا في قاع البئر تنين فاتح فاه، ينتظر وقوعه فيأخذه، فازداد خوفًا وهلعًا، ونظر إلى أعلي رافعًا بصره إلى الغصنين فإذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران، وهو في وسط هذا الهلع يفكر في هذه المصائب وكيف عليه أن يتصرف إذ تقع عيناه على كوارة فيها عسل نحل، وكانت منه قريبة لو مد يده لوصل إليها بكل سهولة، وبالفعل مد يده وذاق العسل، وكانت له حلاوة لم يذق مثلها من قبل فسحره الطعم الطيب وملك فؤاده ذلك المذاق الفريد، فشغلته حلاوته وألهته لذته عن التفكير في حاله وما آل إليه من المصائب التي لا تعد ولا تحصى، ولم يذكر أن رجليه على حياتٍ أربعٍ لا يدري متى يقع عليهن، ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين؛ ومتى انقطعا وقع على التنين. فلم يزل لاهيًا غافلًا مشغولًا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك[1].

---

(١) هذه الأسطورة شبهت البئر بالدنيا المملوءة آفاتٍ وشرورًا، ومخافاتٍ وعاهاتٍ، وشبهت الأخلاط الأربعة التي في البدن بالحيات الأربع: فإنها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الأفاعي والسم المميت، وشبهت الليل والنهار بالجرذين الأسود والأبيض اللذين هما دائبان في إفناء الأجل؛ وشبهت المصير بالتنين الذي لا بد منه، وشبهت هذه الحلاوة القليلة بالعسل التي ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس، ويتشاغل عن نفسه، ويلهو عن شأنه، ويصد عن سبيل قصده.

الشيخ وأولاده الثلاثة... أسطورة شعبية فارسية

كان يا ما كان بأرض دستاوند رجلٌ شيخٌ كبير وكان له ثلاثة من الأبناء، فلما بلغوا أشدهم أسرفوا في مال أبيهم، ولم يكونوا احترفوا حرفةً يكسبون لأنفسهم بها خيرًا، فلامهم أبوهم، ووعظهم على سوء فعلهم، وكان من قوله لهم: يا بنيّ إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلا بأربعة أشياء: أما الثلاثة التي يطلب، فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة؛ وأما الأربعة التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة، فاكتساب المال من أحسن وجه يكون، ثم حسن القيام على ما اكتسب منه، ثم استثماره، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل والإخوان، فيعود عليه نفعه في الآخرة، فمن ضيع شيئًا من هذه الأحوال لم يدرك ما أراد من حاجته؛ لأنه إن لم يكتسب، لم يكن مالٌ يعيش به؛ وإن هو كان ذا مالٍ واكتسابٍ ثم لم يحسن القيام عليه، أوشك المال أن يفنى ويبقى معدمًا، وإن هو وضعه ولم يستثمره، لم تنعه قلة الإنفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه إلا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريعٌ فناؤه. وإن أنفقه في غير وجهه، ووضعه في غير موضعه، وأخطأ في مواضع استحقاقه، صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له، ثم لا يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه؛ كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه، فإن لم يكن له مخرجٌ ومفيضٌ ومتنفسٌ يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي، خرب وسال ونز من نواحٍ كثيرةٍ، وربما انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعًا، ثم أبناء الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا أن فيه الخير وعولوا عليه، فانطلق أكبرهم نحو أرضٍ يقال لها ميون، فأتى في طريقه على مكانٍ فيه وحلٌ كثيرٌ، وكان معه عجلةٌ يجرها ثوران يقال لأحدهما شتربة وللآخر بندبة، فوحل شتربة في ذلك المكان، فعالجه الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد، فلم يقدروا على إخراجهن فذهب الرجل وخلف عنده رجلًا يشارفه لعل الوحل ينشف فيتبعه بالثور. فلما بات الرجل بذلك المكان، تبرم به واستوحش؛ فترك الثور والتحق بصاحبه، فأخبره أن الثور قد مات، وقال له: إن الإنسان إذا انقضت مدته وحانت منيته فهو، وإن اجتهد في التوقي من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيئًا، وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالًا عليه.

الجدار... أسطورة شعبية فارسية

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل سلك مفازةً فيها خوفٌ من السباع، وكان الرجل خبيرًا بوعث تلك الأرض وخوفها، فلما سار غير بعيد اعترض له ذئبٌ من أحد الذئاب وأضراها، فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه، ونظر يمينًا وشمالًا ليجد موضعًا يتحرز فيه من الذئب فلم ير إلا قريةً خلف واد، ورأى الذئب قد أدركه، فألقى نفسه في الماء، وهو لا يحسن السباحة، وكاد يغرق، لولا أن بصر به قومٌ من أهل القرية، فتواقعوا لإخراجه فأخرجوه، وقد أشرف على الهلاك، فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على عدوة الوادي بيتًا مفردًا، فقال: أدخل هذا البيت فأستريح فيه. فلما دخله وجد جماعةً من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجلٍ من التجار، وهم يقتسمون ماله، ويريدون قتله، فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية، فأسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والإعياء إذ سقط الحائط عليه فمات.

صوت الطبل... أسطورة شعبية فارسية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك ثعلب مكار يبحث دائما عن طعامه وسط الأشجار، وفي ذات مرة من المرات وهو في بحثه عن شيء به يقتات، سمع صوتًا عظيمًا فالتفت ناحية الصوت وكلما التفت سكت الصوت، فسأل نفسه لمن يكون يا ترى هذا الصوت، وحتى يقطع الشك باليقين قال في نفسه لابد أن أذهب إلى المكان الذي يصدر منه الصوت لكي أعرف الحقيقة، فربما أحصل في هذا المكان الذي يصدر منه الصوت على وجبة دسمة، فأسكت بها جوعي وتكفيني مداومة البحث عن الطعام، ذهب الثعلب غير خائف ولا متهيب من الصوت واسترق السمع ليستمع إلى القرع، وتخفى وسط الأشجار وهو في أقصى حالات الانتظار، نظر فوجد شيئًا عظيمًا وسط الأشجار تلعب به أغصان الأشجار فيحدث ذلك الصوت وهو في غاية السكون، فانقض عليه ومزقه إربا إربا فقد كان ضخمًا فلهذا استجمع كل قواه لنهشه بعدما قتله وأدماه، فلما رآه أجوفًا كالطبل ورجع بخفي حنين قضم أظافره وعض أنامله،وقال لنفسه: لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتًا وأعظمها جثةً.

الحمال والبنات الثلاثة... أسطورة شعبية عراقية

كان يا ما كان في قديم الزمان كان هناك حمال من مدينة بغداد، وبينما هو في السوق يومًا من الأيام متكئًا على قفصه إذ وقفت عليه امرأة ملتفة بإزار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سوداء بأهداب وأجفان وهي ناعمة الأطراف كاملة الأوصاف، وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها: هات قفصك واتبعني.

فحمل الحمال القفص وتبعها إلى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل له رجل نصراني، فأعطته دينارًا وأخذت منه مقدارًا من الزيتون وضعته في القفص وقالت له: احمله واتبعني، فقال الحمال: هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها، فوقفت عند دكان فاكهاني واشترت منه تفاحًا شاميًا وسفرجلًا عثمانيًا وخوخًا عمانيًّا وياسمينًا حلبيًّا وبنو فراده شقيًّا وخيارًا نيليًّا وليمونًا مصريًّا وتمر حنا وشقائق النعمان وبنفسجًا ووضعت الجميع في قفص الحمال وقالت له: احمل، فحمله وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له: اقطع عشرة أرطال لحمة فقطع لها، ولفت اللحم في ورق موز ووضعته في القفص وقالت له: احمل يا حمال فحمل وتبعها، ثم وقفت على النقلي وأخذت من سائر النقل وقالت للحمال: احمل واتبعني، فحمل القفص وتبعها إلى أن وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقًا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطايف وميمونة وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع أنواع الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص، فقال الحمال: لو أعلمتني لجئت معي ببغل تحمل عليه هذه الأشياء، فتبسمت. ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وخلافه وأخذت قدرًا من السكر وأخذت ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودًا عنبر ومسكًا وأخذت شمعًا اسكندرانيًّا ووضعت الجميع في القفص وقالت للحمال: احمل قفصك واتبعني، فحمل القفص وتبعها إلى أن أتت دارًا مليحة وقدامها رحبة فسيحة وهي عالية البنيان مشيدة الأركان، بابها صنع من الأبنوس مصفح بصفائح الذهب الأحمر، فوقفت الصبية على الباب ودقت دقًا لطيفًا وإذا بالباب انفتح بشقتيه، فنظر الحمال إلى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال، وَقَدٍّ واعتدال، وجبين

كثغرة الهلال، وعيون كعيون الغزلان، وحواجب كهلال رمضان، وخدود مثل شقائق النعمان، وفم كخاتم سليمان، ووجه كالبدر في الإشراق، ونهدين كرمانتين، وبطن مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب، فلما نظر الحمال إليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه، ثم قال: ما رأيت عمري أبرك من هذا النهار، فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبًا وهي من داخل الباب، ومشوا حتى انتهوا إلى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وأثاث ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات، وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر، منصوب عليه ناموسية من الأطلس الأحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضيئة، فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر:

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد ... أضحى القياس به زورًا وبهتانا
الغصن أحسن ما تلقاه مكتسبًا ... وأنت أحسن ما تلقاه عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلًا إلى أن صارت في وسط القاعة عند أختيها وقالت: ما وقوفهم، حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين، فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه، وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال، وأفرغن ما في القفص، وصفوا كل شيء في محله، وأعطين الحمال دينارين وقلن له: توجه يا حمال، فنظر إلى البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسان، فلم ير أحسن منهن، ولكن ليس عندهن رجال، ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج، فقالت له الصبية: ما بالك لا تروح؟ هل أنت استقللت الأجرة؟ والتفتت إلى أختها وقالت لها: أعطيه دينارًا آخر فقال الحمال: والله يا سيداتي إن أجرتي نصفان، وما استقللت الأجرة وإنما اشتغل قلبي وسري بكن، وكيف حالكن وأنتن وحدكن وما عندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن أن المنارة لا تثبت إلا على أربعة، وليس لكن رابع، وما يكمل حظ النساء إلا بالرجال كما قال الشاعر:

انظر إلى أربع عندي قد اجتمعت ... جنك وعود وقانون ومزمار

أنتن ثلاثة فتفتقرن إلى رابع يكون رجلًا عاقلًا لبيبًا حاذقًا وللأسرار كاتمًا فقلن له: نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لا يحفظه، وقد قرأنا في الأخبار شعرًا:

صن عن سواك السر لا تودعنه ... من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال: وحياتكن أني رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ، أظهر الجميل وأخفي القبيح وأعمل بقول الشاعر:

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة ... والسر عند خيار الناس مكتوم

السر عندي في بيت له غلق ... ضاعت الفاتحة والباب مختوم

فلما سمعت البنات الشعر والنظم وما أبداه من الكلام قلن له: أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا به، فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لأن خاطرك أن تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح. فقالت صاحبة الدار: وإذا كانت بغير المال محبة فلا تساوي وزن حبة، وقالت البوابة: إن يكن معك شيء رح بلا شيء، فقالت الدلالة: يا أختي نكف عنه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا، ومهما جاء عليه أغرمه عنه، ففرح الحمال وقال: والله ما استفتحت بالدراهم إلا منكن، فقلن له اجلس على الرأس والعين، وقامت الدلالة وشدت وسطها وصبت القناني وعملت الخضرة على جانب البحر وأحضرت ما يحتاجون إليه ثم قدمت وجلست هي وأختها، وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه في المنام، ولم يزل الحمال معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه، وهو معهن حتى لعب الشراب بعقولهم. فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة فرمت نفسها في تلك البحيرة ولعبت في الماء وأخذت الماء في فمها وبخت الحمال ثم طلعت من الماء بعد أن سبحت فيه لبرهة وأخذت تداعب، ثم قامت الثانية ورمت نفسها في تلك البحيرة وعملت مثل الأولى، ثم قامت الثالثة ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها، وهن يصفعنه ويداعبنه حتى مضت ساعة وبعدها قام الحمال ونزل البحيرة واغتسل مثل غسلهن ثم طلع وأخذ يلقي النكات وضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن، ثم عادوا إلى منادمتهم ولم يزالوا كذلك إلى أن

أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك، فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن، دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح في حال سبيله، فقالت الدلالة بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فإنه خليع ظريف، فقلن له: تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه، فقال: نعم، فقلن: قم واقرأ ما على الباب مكتوبًا، فقام إلى الباب فوجد مكتوبًا عليه بماء الذهب: لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك. فقال الحمال: اشهدوا أني لا أتكلم فيما لا يعنيني، ثم قامت الدلالة وجهزت لهم مأكولًا، ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا في أكل وشرب وإذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم، فقامت واحدة منهن إلى الباب ثم عادت، وقالت كمل صفاؤنا في هذه الليلة؛ لأني وجدت بالباب ثلاثة أعاجم ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق، وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم، ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة، فإن دخلوا نضحك عليهم. ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها: دعيهم يدخلون واشترطي عليهم أن لا يتكلموا في ما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم، ففرحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور، ذقونهم محلوقة وشواربهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا فقام لهم البنات وأقعدوهم، فنظر الرجال الثلاثة إلى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم، وقالوا: هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه، وقال لهم: اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب فضحك البنات، وقلن لبعضهن إننا نضحك على الصعاليك والحمال، ثم وضعن الأكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم، ولما دار الكأس بينهم قال الحمال للصعاليك يا إخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها، فدبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فأحضرت لهم البوابة دفًا موصليًا وعودًا عراقيًا وجنكًا عجميًا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف، وأخذ واحد العود، وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال، فبينما هم كذلك وإذا بطارق يطرق الباب، فقامت البوابة لتنظر من بالباب، وكان السبب في دق الباب أن في تلك الليلة نزل هارون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الأخبار هو وجعفر وزيره وسياف نقمته، وكان من عادته أن يتنكر في صفة التجار، فلما نزل تلك الليلة ومشى في المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهي فقال

الخليفة: جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر، فقال: لا بد من دخولنا وأريد أن نتحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر: سمعًا وطاعة. ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب، فقال لها: يا سيدتي نحن تجار من طبرية ولنا في بغداد عشرة أيام ومعنا تجارة ونحن نازلون في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعامًا فأكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة، ثم أذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فنرجو من مكارمكم أن تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة إليهم فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها: أدخليهم، فرجعت وفتحت لهم الباب فقالوا: ندخل بإذنك، قالت: ادخلوا، فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما أتتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلن: مرحبًا وأهلًا وسهلًا بضيوفنا، ولنا عليكم شرط ألا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا ما لا يرضيكم، قالوا: نعم. وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة إلى الصعاليك الثلاثة فوجدهم عور العين الشمال فتعجب منهم ونظر إلى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب، واستمر في المنادمة والحديث وأتين الخليفة بشراب، فقال: أنا حاج وانعزل عنهم، فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها بمطية من الصيني وسكبت فيها ماء الخلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال في نفسه: لا بد أن أجازيها في غد على فعلها من صنيع الخير، ثم اشتغلوا بمنادمتهم، فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم، ثم أخذت بيد الدلالة وقالت: يا أختي قومي بمقتضى ديننا، فقالت لها: نعم، فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الأبواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له: ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار، فقام الحمال وشد وسطه وقال: ما تردن فلن أقف مكاني، ثم قامت الدلالة وقالت للحمال: ساعدني، فرأى كلبتين من الكلاب السود في رقبتيهما جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما إلى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصميها وأخذت سوطًا وقالت للحمال: قوم كلبة منهما فجرها في الجنزير وقدمها، والكلبة تبكي وتحرك رأسها إلى الصبية فنزلت عليها الصبية بالضرب على رأسها، والكلبة تصرخ وما زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها، ثم ضمت الكلبة إلى صدرها، ومسحت دموعها وقبلت

رأسها، ثم قالت للحمال: ردها وهات التالية، فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالأولى. فعند ذلك اشتعل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفر أن يسألها، فقال له بالإشارة اسكت، ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها: قومي لقضاء ما عليك، قالت: نعم. ثم إن صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة، وقالت البوابة والدلالة: ائتيا بما عندكما، فأما البوابة فإنها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فإنها دخلت مخدعًا وأخرجت منه كيسًا من الأطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس وأخرجت منه عودًا وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الأبيات:

ردوا على جفني النوم الذي سلبا ... وخبروني بعقلي آية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة ... إن المنام على جفني قد غصبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما ... أغواك قلت اطلبوا من لحظة السببا
إني له عن دمي المسفوك معتذر ... أقول حملته في سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكري شمس صورته ... فعكسها شب في أحشائي اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد ... أجرى بقيته في ثغره شنبا
ماذا ترى في محب ما ذكرت له ... إلا شكى أو بكى أو حن أو أطربا
يرى خيالك في الماءالذلال إذا ... رام الشراب فيروى وهو ما شربا

وأنشدت أيضًا:

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف سلتني بل سوالفه ... وما الشمل شلتني بل شمائله

فلما سمعت الصبية ذلك، قالت: طيبك الله، ثم شقت ثيابها ووقعت على الأرض مغشيًا عليها، فلما تكشف جسدها رأى الخليفة أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب، فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت إليها بحلة وألبستها إياها، فقال الخليفة لجعفر: أما تنظر إلى هذه المرأة وما عليها من أثر الضرب، فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا وما أستريح إلا إن وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين، فقال

جعفر: يا مولانا قد شرطوا علينا شرطًا وهو ألا نتكلم فيها لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا، ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته إلى نهدها، وغمزته بأناملها وأنشدت تقول:

إن شكونا الهوى فماذا تقول | أو تلفنا شوقًا فماذا السبيل
أو بعثنا رسلًا تترجم عنا | ما يؤدي شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما لنا من بقاء | بعد فقد الأحباب إلا قليل
ليس إلا تأسفًا ثم حزنًا | ودموعًا على الخدود تسيل
أيها الغائبون عن لمح عيني | وعم في الفؤاد مني حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب | ليس عنه مدى الزمان يحول
أم نسيتم على التباعد صبا | شفه فيكم الضنى والنحول
وإذا الحشر ضمنا أتمنى | من لدن وبنا حسابًا يول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الأولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الأرض مغشيًا عليها، فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد أن رشت الماء على وجهها. ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة: غني لي لا في ديني فما بقي غير هذا الصوت. فأصلحت الدلالة العود وأنشدت هذه الأبيات

فإلى متى هذا الصدود وذا الجفا | فلقد جوى من أدمعي ما قد كفى
كم قد أطلت الهجر لي معتمدا | إن كان قصدك حاسدي فقد اشتفى
لو أنصف الدهر الخؤون لعاشق | ما كان يوم العواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتي يا قاتلي | يا خيبة الشاكي إذا فقد الوفا
ويزيد وجدي في هواك تلهفًا | فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يا مسلمون خذوا بنار متيم | ألف الشهادة لديه طرف ما غفا
أيحل في شرع الغرام تذللي | ويكون غيري بالوصال مشرفا
ولقد كلفت بحبكم متلذذًا | وغدا عذولي في الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الأرض مغشيًّا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه ضرب المقارع، مثل من قبلها فقال الصعاليك: ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان، فقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب. فالتفت الخليفة إليهم وقال لهم: لم ذلك؟ قالوا: قد اشتغل سرنا بهذا الأمر. فقال الخليفة: أما أنتم من هذا البيت، قالوا: لا ولا ظننا هذا الموضع إلا للرجل الذي عندكم، فقال الحمال: والله ما رأيت هذا الموضع إلا هذه الليلة وليتني بت على الكيمان ولم أبت فيه، فقال الجميع: نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فإن لم يجبننا طوعًا أجبننا كرهًا واتفق الجميع على ذلك، فقال جعفر: ما هذا رأي سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطًا فنوفي به ولم يبق من الليل إلا القليل وكل منا يمضي إلى حال سبيله، ثم إنه غمز الخليفة وقال: ما بقي غير ساعة، وفي غد تحضرهن بين يديك، فتسألهن عن قصتهن، فأبى الخليفة وقال: لم يبق لي صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال، ثم قالوا: ومن يسألهن؟ فقال بعضهم: الحمال، ثم قال لهم النساء: يا جماعة في أي شيء تتكلمون. فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها: يا سيدتي سألتك بالله وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين، وأي سبب تعاقبيهما ثم تعودين تبكين، وتقبليهما وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام. فقالت صاحبة المكان للجماعة: ما يقوله عنكم؟ فقال الجميع: نعم، إلا جعفر فإنه سكت. فلما سمعت الصبية كلامهم قالت: والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الأذية البالغة، وتقدم لنا أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيه، سمع ما لا يرضيه أما كفا أننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وإنما الذنب لمن أوصلكم إلينا، ثم شمرت عن معصمها وضربت الأرض ثلاث ضربات وقالت: عجلوا. وإذا بباب خزانة قد فتح وخرج منها سبعة عبيد بأيديهم سيوف مسلولة، وقالت: كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم واربطوا بعضهم ببعض، ففعلوا وقالوا: أيتها المخدرة ائذني لنا في ضرب رقابهم، فقالت: أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم، فقال الحمال: بالله يا سيدتي لا تقتليني بذنب الغير فإن الجميع أخطأوا، ودخلوا في الذنب، إلا أنا

والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لأخربوها، ثم أنشد يقول:

ما أحسن الغفران من قادر　　لا سيما عن غير ذي ناصر
بحرمة الود الذي بيننا　　لا تقتلي الأول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وأقبلت على الجماعة، وقالت: أخبروني بخبركم فما بقي من عمركم إلا ساعة ولولا أنتم أعزاء، فقال الخليفة: ويلك يا جعفر عرفها بنا وإلا تقتلنا، فقال جعفر: من بعض ما نستحق، فقال له الخليفة: لا ينبغي الهزل في وقت الجد كل منهم له وقت ثم أن الصبية أقبلت على الصعاليك، وقالت لهم: هل أنتم أخوة؟ فقالوا: لا والله ما نحن إلا فقراء الحجام. فقالت لواحد منهم: هل أنت ولدت أعور؟ فقال: لا والله وإنما جرى لي أمر غريب حيث تلفت عيني ولهذا الأمر حكاية لو كتبت بالإبر على أماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر، فسألت الثاني والثالث فقالا لها مثل الأول. ثم قالوا: إن كلًا منا من بلد وإن حديثنا عجيب وأمرنا غريب، فالتفتت الصبية لهم، وقالت: كل واحد منكم يحكي حكايته وما سبب مجيئه إلى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح إلى حال سبيله. فأول من تقدم الحمال، فقال: يا سيدتي أنا رجل حمال حملتني هذه الدلالة وأتت بي إلى هنا وجرى لي معكم ما جرى وهذا حديثي والسلام، فقالت له: ملس على رأسك وروح، فقال: والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائي. فتقدم الصعلوك الأول وقال لها: يا سيدتي، إن سبب حلق ذقني وتلف عيني أن والدي كان ملكًا وله أخ وكان أخوه ملكًا على مدينة أخرى، واتفق أن أمي ولدتني في اليوم الذي ولد فيه ابن عمي، ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمي في بعض السنين وأقعد عنده أشهرًا عديدة فزرته مرة فأكرمني غاية الإكرام، وذبح لي الأغنام، وروق لي المدام، وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال ابن عمي: يا ابن عمي إن لي عندك حاجة مهمة فاستوثق مني بالإيمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلًا، ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوي مبلغًا عظيمًا.

فالتفت إلي والمرأة خلفه، وقال خذ هذه المرأة واسبقني على الجبانة الفلانية ووصفها لي فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرني هناك، فلم يمكني المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لأجل الذي خلفته، فأخذت المرأة وسرت إلى أن دخلت التربة أنا وإياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم، ثم إنه أخذ القدوم وجاء إلى قبر في وسط التربة ففكه ونقض أحجاره إلى ناحية التربة، ثم حفر بالقدوم في الأرض، حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود. ثم التفت إلى المرأة بالإشارة وقال لها: دونك وما تختارين به، فنزلت المرأة على ذلك السلم، ثم التفت إلي وقال: يا ابن عمي تمم المعروف إذا نزلت أنا في ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان، وهذا تمام المعروف، وهذا الجبس الذي في الكيس وهذا الماء الذي في الطاسة أعجن منه الجبس وجبس القبر في دائر الأحجار كما كان أول حتى لا يعرفه أحد ولا يقول هذا فتح جديد وتطيينه عتق؛ لأن لي سنة كاملة، وأنا أعمل فيه، وما يعلم به إلا الله وهذه حاجتي عندك، ثم قال لي: لا أوحش الله منك يا ابن عمي، ثم نزل على السلم. فلما غاب عني قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرني به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت إلى قصر عمي، وكان عمي في الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بيني وبين ابن عمي وندمت على ما فعلت، قال الصعلوك للصبية ثم خرجت إلى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد إليها فرجعت إلى القصر لم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطري بابن عمي من حيث لا أعلم له حالًا، فاغتممت غمًّا شديدًا وبت ليلتي مغمومًا إلى الصباح، فجئت ثانيًا إلى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمي، وندمت على سماعي منه وقد فتشت في الترب جميعًا فلم أعرف تلك التربة، ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقًا، فزاد بي الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجًا دون أن سافرت، ورجعت إليه، فساعة وصولي إلى مدينة أبي نهض إلي جماعة من باب المدينة وكتفوني فتعجبت كل العجب إني ابن سلطان المدينة وهم خدم أبي وغلماني، ولحقني منهم خوف زائد، فقلت في نفسي: يا ترى أجرى على والدي وصرت أسأل الذين كتفوني عن سبب ذلك فلم يردوا علي جوابًا.

ثم بعد حين قال لي بعضهم وكان خادمًا عندي، إن أباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك، فأخذوني وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الأخبار التي سمعتها عن أبي فلما امتثلت بين يدي الوزير الذي قتل أبي وكان بيني وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أني كنت مولعًا بضرب النبال، فاتفق أني كنت واقفًا يومًا من الأيام على سطح قصر وإذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفًا هناك، فأردت أن أضرب الطير وإذا بالنبلة أخطأت عين الوزير، فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر:

دع الأقدار تفعل ما تشاء وطب نفسًا بما فعل القضاء

ولا تفرح ولا تحزن بشيء فإن الشيء ليس له بقاء

وكما قال الآخر:

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتب عليه خطًا مشاها

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك: فلما أتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم؛ لأن والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة التي بيني وبينه فلما وقفت قدامه، وأنا مكتف أمر بضرب عنقي، فقلت: أتقتلني بغير ذنب؟ فقال: أي ذنب أعظم من هذا؟ وأشار إلى عينه المتلفة، فقلت له: فعلت ذلك خطأ، فقال: إن كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمدًا، ثم قال: قدموه بين يدي، فقدموني بين يديه، فمد إصبعه في عيني الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كما تروني، ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف: تسلم هذا وأشهر حسامك، وخذه واذهب به إلى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وصار حتى خرج من المدينة، وأخرجني من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يغمي عيني ويقتلني فبكيت وأنشدت هذه الأبيات:

جعلتكموا درعًا حصينًا لتمنعوا سهام العدا عني فكنتم نصالها

وكنت أرجي عند كل ملمة تخص يميني أن تكون شمالها

دعوا قصة العذال عني بمعزل وخلوا العدا ترمي إلى نبالها

إذا لم تقوا نفسي مكايدة العدا فكونوا سكوتًا لا عليها ولا لها

وأنشدت أيضًا هذه الأبيات:

وإخـــوان اتخـــذتهم دروعًـــا فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادي
رحلـــتهم ســـهامًا صـــائبات فكـــانوا ولكـــن في فـــؤادي
وقـــالوا قـــد ســـعينا كـــل ســـعي لقـــد صـــدقوا ولكـــن في فـــسادي

فلما سمع السياف شِعري وكان سياف أبي ولي عليه إحسان، قال: يا سيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور؟ ثم قال لي: فِرَّ بعمرك ولا تعد إلى هذه المدينة فتهلك وتهلكني معك. فلما قال ذلك قبلت يديه وما صدقت حتى فررت وهان على تلف عيني بنجاتي من القتل، وسافرت حتى وصلت إلى مدينة عمي فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدي، وبما جرى لي من تلف عيني فبكى بكاء شديدًا وقال: لقد زدتني همًّا على همي وغمًّا على غمي، فإن ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرني أحد بخبره، وبكى حتى أغمي عليه فلما استفاق قال: يا ولدي قد حزنت على ابن عمك حزنًا شديدًا وأنت زدتني بما حصل لك ولابنك، غمًّا على غمي، ولكن يا ولدي بعينك ولا بروحك ثم إنه لم يمكنني السكوت عن ابن عمي الذي هو ولده فأعلمته بالذي جرى له كله، ففرح عمي بما قلته له فرحًا شديدًا عند سماع خبر ابنه، وقال: أرني التربة، فقلت: والله يا عمي لم أعرف مكانها؛ لأني رجعت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها، ثم ذهبت أنا وعمي إلى الجبانة، ونظرت يمينًا وشمالًا فعرفتها ففرحت أنا وعمي فرحًا شديدًا ودخلت أنا وإياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمي مقدار خمسين درجة، فلما وصلنا إلى آخر السلم وإذا بدخان طلع علينا فغشي أبصارنا، فقال عمي الكلمة التي لا يخاف قائلها وهي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم مشينا وإذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقًا وحبوبًا ومأكولات وغير ذلك ورأينا في وسط القاعة ستارة مسدولة على سرير. فنظر عمي إلى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التي قد نزلت معه صار فحمًا أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا في جب نار، فلما نظر عمي بصق في وجهه وقال: تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى، وقال الصعلوك للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام، ثم أن عمي ضرب ولده بالنعال وهو راقد

كالفحم الأسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمي حيث صار هو والصبية فحمًا أسود ثم قلت: بالله يا عمي خفف الهم عن قلبك، فقد اشتغل سري وخاطري بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحمًا أسود ما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال؟ فقال: يا ابن أخي إن ولدي هذا كان من صغره مولعًا بحب أخته وكنت أنهاه عنها وأقول في نفسي إنهما صغيران، فلما كبر أوقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكن زجرته زجرًا بليغًا، وقلت له أحذر من هذه الفعال القبيحة التي لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك، وإلا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان إلى المات وتشيع أخبارنا مع الركبان وإياك أن تصدر منك هذه الفعال، فإني أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منها، فلما رآني حجبته فعل هذا المكان الذي تحت الأرض الخفية. ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلني لما خرجت إلى الصيد وأتى إلى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، ثم بكى وبكيت معه وقال لي: أنت ولدي عوضًا عنه ثم أني تفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها من قتل الوزير لوالدي وأخذ مكانه وتلف عيني، وما جرى لابن عمي من الحوادث الغريبة، فبكيت ثم أننا صعدنا وردمنا الطابق والتراب، وعملنا القبر كما كان، ثم رجعنا إلى منزلنا فلم يستقر بيننا جلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الأبطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر، فسأل الملك عن الخبر فقيل: إن وزير أخيك قتله وجمع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة وأهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا إليه فقلت في نفسي: متى وقعت أنا في يده قتلني وتراكمت الأحزان وتذكرت الحوادث التي حدثت لأبي وأمي ولم أعرف كيف العمل فإن ظهرت عرفني أهل المدينة، وعسكر أبي فيسعون في قتلي وهلاكي فلم أجد شيئًا أنجو به إلا حلق ذقني فحلقتها وغيرت ثيابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة لعل أحدًا يوصلني إلى أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى أحكي له قصتي، وما جرى لي فوصلت إلى هذه المدينة في هذه الليلة، فوقفت حائرًا ولم أدر أين أمضي وإذا بهذا الصعلوك واقف. فسلمت عليه وقلت له أنا غريب أيضًا، فبينما نحن كذلك وإذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا

وسلم علينا، وقال أنا غريب، فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر إليكم، وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني. فقالت الصبية ملس على رأسك وروح، فقال لها: لا أروح حتى أسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه، فقال الخليفة لجعفر: والله أنا ما رأيت مثل الذي جرى لهذا الصعلوك، ثم تقدم الصعلوك الثاني وقبل الأرض وقال: يا سيدتي أنا ما ولدت أعور، وإنما لي حكاية عجيبة لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت أهل زماني فعظم حظي عند سائر الكتبة وشاع ذكري في سائر الأقاليم والبلدان وشاع خبري عند سائر الملوك، فسمع بي ملك الهند فأرسل يطلبني من أبي، وأرسل إليه هدايا وتحفًا تصلح للملوك فجهزني أبي في ست مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا إلى البر وأخرجنا خيلًا كانت معنا في المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلًا وإذا بغبار قد علا وثار حتى سد الأقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسًا، وهم ليوث وعوابس فتأملناهم وإذا هم عرب قطاع طريق، فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أجمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا، فأشرنا إليهم بالأصابع وقلنا لهم: نحن رسل إلى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا، فقالوا: نحن لسنا في أرضه ولا تحت حكمه، ثم إنهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن جرحت جرحًا بليغًا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فصرت لا أدري أين أذهب، وكنت عزيزًا فصرت ذليلًا، وسرت إلى أن أتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت إلى مدينة عامرة بالخير وقد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها الربيع بورده، ففرحت بوصولي إليها وقد تعبت من المشي وعلاني الهم والاصفرار، فتغيرت حالتي ولا أدري أين أسلك فملت إلى خياط في دكان وسلمت عليه، فرد علي السلام، ورحب بي وباسطني عن سبب غربتي، فأخبرته بما جرى لي من أوله إلى آخره، فاغتم لأجلي وقال: يا فتى لا تظهر ما عندك فإني أخاف عليك من ملك المدينة؛ لأنه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثأر، ثم أحضر لي مأكولًا ومشروبًا فأكلت وأكل معي وتحادثت معه في الليل وأخلى لي محلًا في

جانب حانوته وأتاني بها أحتاج إليه من فراش وغطاء، فأقمت عنده ثلاثة أيام، ثم قال لي: أما تعرف صنعة تكسب بها؟ فقلت له: إني فقيه طالب علم كاتب حاسب، فقال: إن صنعتك في بلادنا كاسدة وليس في مدينتنا من يعرف علمًا ولا كتابة غير المال. فقلت: والله لا أدري شيئًا غير الذي ذكرته لك، فقال شد وسطك وخذ فأسًا وحبلًا واحتطب في البرية حطبًا تتقوت به إلى أن يفرج الله عنك ولا تعرف أحدًا بنفسك فيقتلوك، ثم اشترى لي فأسًا وحبلًا وأرسلني مع بعض الحطابين وأوصاهم علي، فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسي فبعته بنصف دينار فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه، ودمت على هذا الحال مدة سنة. ثم بعد السنة ذهبت يومًا على عادتي إلى البرية لأحتطب منها ودخلتها، فوجدت فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة، وأتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جدارها، فاصطكت الفأس في حلقة نحاس، فنظفت التراب وإذا هي في طابق من خشب فكشفته فبان من تحته سلم، فنزلت إلى أسفل السلم، فرأيت بابًا فدخلته فرأيت قصرًا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي إلى القلب كل هم وغم وبلية، فلما نظرت إليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال، فنظرت إلي وقالت لي: أنت أنسي أم جني، فقلت لها: إنسي، فقالت: ومن أوصلك إلى هذا المكان الذي لي فيه خمسة وعشرون سنة، ما رأيت فيه إنسيًا أبدًا؟ فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها: يا سيدتي أوصلني الله إلى منزلك ولعله يزيل همي وغمي، وحكيت لها ما جرى لي من الأول إلى الآخر، فصعب عليها حالي وبكت، وقالت أنا الأخرى أعلمك بقصتي فاعلم أني بنت ملك أقصى الهند صاحب جزيرة الأبنوس وكان قد زوجني بابن عمي فاختطفني ليلة زفافي عفريت اسمه جرجريس بن رجوس بن إبليس، فطار بي إلى هذا المكان، ونقل فيه كل ما أحتاج إليه من الحلي والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب، وفي كل عشرة أيام يجيئني مرة، فيبيت هنا ليلة وعاهدني إذا عرضت لي حاجة ليلًا أو نهارًا أن ألمس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة، فما أرفع يدي حتى أراه عندي ومنذ كان عندي له اليوم أربعة أيام وبقي له ستة أيام حتى يأتي، فهل لك أن تقيم عندي خمسة أيام، ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم؟ فقلت: نعم. ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدي، وأدخلتني من باب مقنطر وانتهت بي إلى حمام

لطيف ظريف، فلما رأيته خلعت ثيابي وخلعت ثيابها، ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستني معها وأتت بسكر ممسك وسقتني، ثم قدمت لي مأكولًا وتحادثنا، ثم قالت لي: نم واسترح فإنك تعبان، فنمت يا سيدتي وقد نسيت ما جرى لي، وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة، ثم قالت: والله إني كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الأرض وحدي، ولم أجد من يحدثني خمس وعشرين سنة فالحمد لله الذي أرسلك إلي ثم أنشدت:

لو علمنا مجيئكم لفـرشنا	مهجة القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينـا	لكون المسير فوق الجفـــون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي، وذهب عني همي وغمي، ثم جلسنا في منادمة إلى الليل، فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري وأصبحنا مسرورين فقلت لها: هل أطلعك من تحت الأرض وأريحك من هذا الجني، فضحكت وقالت: اقنع واسكت ففي كل عشرة أيام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب علي الغرام: فأنا في هذه أكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجيء حتى أقتله فإني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي أنشدت:

يا طالبًا للفراق مهـــلًا	بحيلة قد كفى اشتيـاق
اصبر فطبع الزمان غدر	وآخر الصحبة الفـراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لكلامها بل رفست القبة رفسًا قويًا، فقالت لي المرأة إن العفريت قد وصل إلينا، أما حذرتك من هذا والله لقد آذيتني ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذي جئت منه. فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفأسي، فلما طلعت درجتين التفت لأنظرهما فرأيت الأرض قد انشقت وطلع منها عفريت شنيع المنظر، وقال ما هذه الزعجة التي أرعشتني بها فما مصيبتك؟ فقالت: ما أصابني شيء غير أن صدري ضاق، فأردت أن أشرب شرابًا يشرح صدري فنهضت لأقضي أشغالي فوقعت على القبة، فقال لها العفريت: يا فاجرة ونظر في القصر يمينًا وشمالًا فرأى النعل والفأس، فقال لها: ما هذه إلا متاع الإنس من

جاء إليك، فقالت: ما نظرتهما إلا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك، فقال العفريت: هذا كلام محال لا ينطلي عليّ يا عاهرة، ثم أنه أعراها، وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن على أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورًا من الخوف فلما وصلت إلى أعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها إلا بسببي وتذكرت أبي ومملكته وكيف صرت حطابًا، فقلت هذا البيت:

إذا ما أتاك الدهر يومًا بنكبة فيوم ترى يسرًا ويوم ترى عسرا

ثم مشيت إلى أن أتيت رفيقي الخياط فلقيته من أجلي على مقالي النار وهو لي في الانتظار، فقال لي: بت البارحة وقلبي عندك، وخفت عليك من وحش أو غيره فالحمد لله على سلامتك. فشكرته على شفقته على ودخلت خلوتي، وجعلت أتفكر فيما جرى لي وألوم نفسي على رفسي لهذه القبة، وإذا بصديقي الخياط دخل على وقال لي: في الدكان شخص أعجمي يطلبك ومعه فأسك ونعلك قد جاء بهما إلى الخياطين وقال لهم أني خرجت وقت آذان المؤذن لأجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلوني على صاحبها، فدله الخياطون عليك وها هو قاعد في دكاني فاخرج إليه واشكره وخذ فأسك ونعلك، فلما سمعت هكذا الكلام اصفر لوني وتغير حالي فبينما أنا كذلك وإذا بأرض محلي قد انشقت وطلع منها الأعجمي وإذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فأخذ الفأس والنعل وقال لها: إن كنت جرجريس من ذرية إبليس فأنا أجيء بصاحب هذا الفأس والنعل، ثم جاء بهذه الحيلة إلى الخياطين ودخل على ولم يمهلني بل اختطفني وطار وعلا بي ونزل بي وغاص في الأرض وأنا لا أعلم بنفسي، ثم طلعَ بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها، فقطرت عيناي بالدموع، فأخذها العفريت وقال لها: يا عاهرة هذا عشيقك فنظرت إلى وقالت له: لا أعرفه ولا رأيته إلا في هذه الساعة، فقال لها العفريت: أهذه العقوبة ولم تقري؟ فقالت: ما رأيته عمري وما يحل من الله أن أكذب عليه، فقال لها العفريت: إن كنت لا تعرفينه، فخذي هذا السيف واضربي عنقه، فأخذت السيف وجاءتني ووقفت على رأسي فأشرت لها بحاجبي فنهضت وغمزتني وقالت: أنت الذي فعلت هذا كله فأشرت لها أن هذا وقت العفو ولسان حالي يقول:

يترجم طرفي عن لساني لتعلموا ... ويبدو لكم ما كان في صدري يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم ... خرست وطرفي بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها ... وأرمي إليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضي الحوائج بيننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية إشارتي رمت السيف من يدها، فناولني العفريت السيف وقال لي: اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك، فقلت: نعم، وأخذت السيف وتقدمت ورفعت يدي، فقالت لي بحاجبها: أنا ما قصرت في حقك، فهمت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي، وقلت: أيها العفريت الشديد والصنديد، إذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقي فكيف يحل لي أن أضرب عنقها ولم أرها عمري، فلا أفعل ذلك أبدًا ولو سقيت من الموت كأس الردى، فقال العفريت: أنتما بينكما مودة، ثم أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها، ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أرباعها بأربع ضربات، وأنا أنظر بعيني فأيقنت بالموت ثم أشارت إلي بعينيها فرآها العفريت فقال لها: وقد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها، والتفت إلي وقال: يا آنسي نحن في شرعنا إذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها، وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها، وهي بنت اثنتي عشرة سنة ولم تعرف أحدًا غيريّ وكنت أجيئها في كل عشرة أيام ليلة واحدة في زي رجل أعجمي فلما تحققت أنها خانتني فقتلتها، وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتني فيها، ولكن لا بد أني إما أخليك في عافية فتمن على أي ضرر. ففرحت يا سيدتي غاية الفرح وطمعت في العفريت وقلت له: وما أتمناه عليك، قال تمن على أي صورة أسحرك فيها إما صورة كلب وإما صورة حمار وإما صورة قرد، فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عني: والله إن عفوت عني يعفو الله عنك، بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذيك وتضرعت إليه غاية التضرع، وبقيت بين يديه، وقلت له: أنا رجل مظلوم، فقال لي: لا تطل على الكلام أما القتل فلا تخف منه، وأما العفو عنك فلا تطمع فيه، وأما سحرك فلا بد منه، ثم شق الأرض وطار بي إلى الجو حتى نظرت إلى الدنيا حتى كأنها قصعة ماء، ثم حطني على جبل وأخذ قليلًا من التراب وهمهم عليه وتكلم وقال: اخرج من هذه الصورة إلى صورة قرد. فمنذ ذلك الوقت صرت قردًا ابن مائة سنة فلما رأيت

نفسي في هذه الصورة القبيحة بكيت على روحي وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لأحد وانحدرت من أعلى الجبل إلى أسفله وسافرت مدة شهر، ثم ذهبت إلى شاطئ البحر المالح، فوقفت ساعة وإذا أنا بمركب في وسط البحر قد طاب ريحها وهي قاصدة البر، فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت إلى أن أتيت وسط المركب، فقال واحد منهم: أخرجوا هذا المشؤوم من المركب، وقال واحد منهم: نقتله، وقال آخر: اقتله بهذا السيف. فأمسكت طرف السيف وبكيت، وسالت دموعي فحن على الريس وقال لهم: يا تجار إن هذا القرد استجار بي وقد أجرته وهو في جواري فلا أحد يعرض له ولا يشوش عليه، ثم أن الريس صار يحسن إلى ومهما تكلم به أفهمه وأقضي حوائجه وأخدمه في المركب، وقد طاب لها الريح مدة خمسين يومًا فرسينا على مدينة عظيمة، وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم إلا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا من المركب وهنأوا التجار بالسلامة، وقالوا: إن ملكنا يهنئكم بالسلامة وقد أرسل إليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد يكتب فيه سطرًا فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم، فخافوا أني أقطعه وأرميه في الماء فنهروني وأرادوا قتلي فأشرت لهم أني أكتب، فقال لهم الريس: دعوه يكتب فإن لخبط الكتابة طردناه عنا وإن أحسنها اتخذته ولدًا فإني ما رأيت قردًا أفهم منه، ثم أخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرًا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر:

لقد كتب الدهر فضل الكرام ... وفضلك للآن لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى ... لأنك للفضل نعم الأب

وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين:

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين:

إذا فتحت دواة العز والنعم ... فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخير إذا ما كنت مقتدرًا ... بذاك شرفت فضلًا نسبه القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به إلى الملك، فلما تأمل الملك ما في ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد إلا خطي، فقال لأصحابه توجهوا إلى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدي. فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم، ثم قال: كيف آمركم بأمر فتضحكون عليّ؟ فقالوا: أيها الملك ما نضحك على كلامك، بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميًا وهو مع ريس المركب. فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب، وقال: أريد أن أشتري هذا القرد، ثم بعث رسلًا إلى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال: لابد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به، فساروا إلى المركب وأخذوني من الريس وألبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون عليّ، فلما طلعوا بي للملك ورأيته قبلت الأرض ثلاث مرات فأمرني بالجلوس، فجلست على ركبتي. فتعجب الحاضرون من أدبي، وكان الملك أكثرهم تعجبًا ثم أن الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا، ولم يبق إلا الملك والطواشي ومملوك صغير وأنا، ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فأشار إلى الملك أن كل، فقمت وقبلت الأرض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين:

أتاجر الضأن ترياق من العلــل	وصحن الحلو فيها منتهى أمـلي
يا لهف قلبي على مد السماط إذا	ماجت كنافته بالسمن والعسـل

ثم قمت وجلست بعيدًا أنتظر الملك إلى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال: أهكذا يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله إن هذا من أعجب العجب ثم قدم للملك شطرنج، فقال لي الملك: أتلعب؟ قلت برأسي: نعم، فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال: لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه، ثم قال لخادمه: اذهب إلى سيدتك وقل لها: كلمي الملك حتى تجيء فتتفرج على هذا القرد العجيب. فذهب الطواشي وعاد معه سيدته بنت الملك، فلما نظرت إلى غطت وجهها، وقالت: يا أبي كيف طاب على خاطرك أن ترسل إلى فيراني الرجال الأجانب، فقال: يا بنتي ما عندك سوى المملوك الصغير والطواشي الذي رباك وهذا القرد، وأنا أبوك فممن تغطين وجهك. فقالت: إن هذا القرد ابن ملك واسم أبيه إيمار، صاحب جزائر الأبنوس الداخلة وهو مسحور وسحره العفريت جرجريس الذي هو من ذرية إبليس، وقد قتل زوجته بنت ملك أقناموس.

علاء الدين والمصباح السحري... أسطورة شعبية عراقية



علاء الدين فتى مراهق مشاغب يثير الفوضى في المدينة مع أصدقائه الذين يسرقون الفواكه من أجل إسعاد الأطفال حتى أصبحوا ماهرين في السرقة وبالرغم من ذلك فهو فتى شجاع وطيب ويشعر بالذنب لما يفعله يعيش علاء مع أمه العجوز التي تعمل من أجل أن تحصل على المال وهو منزعج كونه لا يعرف أن يعمل في أي مهنة وفي يوم من الأيام كان علاء كالعادة يقطف الثمار من أشجار أحد القصور مر بهم رجل غامض وطلب من علاء خدمة مقابل نقود من الفضة كان طلب ذلك الرجل أن يذهب علاء معه إلى الصحراء التي لم يسبق لعلاء الخروج إليها يوافق علاء، ويذهب مع الرجل إلى مكان بعيد في الصحراء توقفا عند صخرة تشبه النسر يقوم الرجل الغريب ببعض التعاويذ السحرية فتتحرك الصخرة وسط ذهول وخوف علاء الدين، يطلب الساحر من علاء أن يدخل إلى الكهف الموجود أسفل الصخرة ليحضر له مصباحًا قديمًا ويوصيه بألا يلمس أي شيء مما يجده في ذلك المكان وأعطاه خاتمًا وقال له أنه سيحميه من أي خطر نزل علاء عبر درجات طويلة إلى أن وصل إلى باب كبير، وعندما فتح علاء الباب رفع الستار عن حديقة جميلة فواكهها مضيئة، وفي منتصف الحديقة مبنى كبير ما إن دخله علاء حتى اشتعلت المصابيح في المكان، وكان المصباح الذي يبحث عنه الساحر يتربع على عرش تلك المصابيح، وفي طريق عودة علاء قرر أن يلتقط بعض الفواكه التي اكتشف أنها حجرية براقة، عندما وصل علاء لفوهة الكهف قال له الساحر: ناولني المصباح أولًا لأخرجك من الكهف، لكن علاء رفض ذلك، غضب الساحر كثيرًا فأغلق فوهة الكهف وأعاد الصخرة إلى مكانها، بقي علاء مسجونًا داخل الكهف فعاد إلى الحديقة لكن باب الحديقة لم يفتح، وانطفأ ضوء مصباح علاء، وظهرت له أفاع كبيرة كانت تحرس ذلك المكان أثناء محاولته في الهرب بدأ بفرك الخاتم الذي أعطاه الساحر دون أن يشعر، فظهر

منه مارد عملاق يقول له: شبيك لبيك أطلب وتمنى، فطلب منه أن يخرجه من ذلك الكهف بدأ علاء يركض ويركض عائدًا إلى المدينة من الصحراء، فقابل في طريقة فأر الصحراء، وأصبحا صديقين كانت تجربة علاء داخل ذلك الكهف تجربة جعلته يفكر في حياته الضائعة دون أن يحقق شيئًا جيدًا، ازدادت حياة علاء فقرًا وخفض أجر عمل والدته، ففكر علاء في أن يبيع المصباح القديم، ولكنه يحتاج إلى التنظيف، ففركه علاء بكمه فخرج له عملاق أعظم من عملاق الخاتم، فطلب منه علاء أن يحضر له طعامًا لذيذًا، وانبعث دخان في يد المارد خرج منه طبق ذهبي كبير تقف عليه مجموعة من الجواري حاملات أطباقًا ذهبية عليها طعام لذيذ، في صباح اليوم التالي ذهب علاء ليبيع بعضًا من الأواني الذهبية وفي طريق عودته، وبينما كان يعد ما حصل عليه من نقود اصطدمت به فتاة جميلة فسقطت النقود، وأخذا يجمعانها سويًّا قالت له: إن اسمها بدر البدور، وبينما هما كذلك جاء ابن الوزير يبحث عن الأميرة بدر البدور التي اختبأت خلف علاء الدين، ويسال ابن الوزير علاء: هل شاهدت الأميرة بدر البدور عندها عرف علاء أن الفتاة المختبئة هي الأميرة الهاربة، تشكره بدر البدور على إخفائها وتذهب معه في رحلة جميلة في المدينة قضيا وقتًا ممتعًا حتى شارفت الشمس على المغيب حينها عثر ابن الوزير على الأميرة واصطحبها إلى القصر بعد أن ودعت علاء الدين الذي بقي يفكر بها طول اليوم، وطلب من أمه أن تذهب إلى قصر الملك وتخطبها له، قرر الملك أن يزوج ابنته لمن يقدم مهرًا أفضل فخطط الوزير لسرقة المنازل في بغداد حتى يقدم مهرًا مناسبًا لتتزوج بدر البدور من ابنه، لكن علاء استعان بجني المصباح حتى يعطيه مهرًا أعظم من مهر ابن الوزير وبذلك استطاع أن يكسب بدر البدور ويبني لها قصرًا كبيرًا قريبًا من قصر الملك بواسطة مارد المصباح، وبسبب كل هذه الأحداث يسمع الساحر أخبار علاء الدين الذي كان يعتقد أنه مات في الكهف في الصحراء، فيأتي للمدينة متنكرًا بزي بائع يستبدل المصابيح القديمة بجديدة، فترسل له بدر البدور المصباح السحري ظنًّا منها أنه قديم ولا فائدة منه، فيستخدم الساحر مارد المصباح من أجل أن ينقل قصر علاء الدين بمن فيه إلى الصحراء، فيهدد الملك علاء الدين بأنه إن لم يعد بالأميرة بعد ثلاثة أيام سيقتل أصدقاءه،

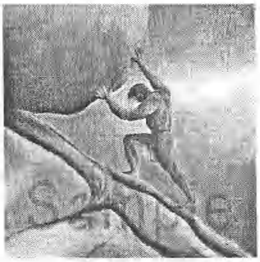
يجوب علاء الصحراء ويستخدم خادم الخاتم من أجل أن يعينه على قطع الصحراء، لكن عفريت الريح يهاجمهم ويسقط علاء وخادم الخاتم وينكسر الخاتم، يهاجمه طائر عملاق فكان هجومًا مفيدًا حيث أن الطائر حمل علاء إلى القصر ويلتقي بأمه وبدر البدور، ويفكران بخطة لاستعادة المصباح من الساحر فتذهب بدر البدور للقصر لتخبره أنها موافقة على الزواج منه، فيخفي الساحر عنها المصباح، لكنها تغضب منه وتطلب منه أن يريها ما خبأه فتسرق المصباح، وتهرب ويقفز علاء من أحد النوافذ على البساط الطائر تحدث الكثير من المغامرات السحرية في قصر هذا الساحر وفي النهاية ينقلب السحر على الساحر ويقفز علاء وبدر البدور على قدم ذات الطائر الذي هاجم علاء سابقًا لينقلهم بعيدًا عن القصر ويقفان يشاهدان كيف أصبح القصر يذوب في بحر من الرمال يعودان للمدينة ويقفلان على المصباح في صندوق كبير خشبي ويرمي علاء المفتاح في النهر ليصبح حكاية من حكاية ما بين النهرين .

ميديا... أسطورة شعبية إغريقية

يحكي أن ميديا كانت فتاة جميلة، أحبت تلك الفتاة شابًا من أعداء وطنها وفي سبيل حبها له خانت وطنها، لقد باعت وطنها للأعداء وساعدت حبيبها في قتل أبيها وأخويها، ثم هربت معه؛ ليتزوجها وتقضي معه أوقاتًا من المتعة واللذة وأنجبت منه طفلين صغيرين، ولكن مع الأيام بدأ حب هذا الزوج يقل، حتى إنه كف عن الاكتراث لها، لا يرمقها إلا بكره واحتقار، وفي أحد الأيام علمت ميديا بنية الغدر التي بيتها لها زوجها، فقد قرر الزواج من أخرى فميديا في نظره ماهي إلا حقيرة خانت أهلها ووطنها ولعنتها الآلهة، إنها أحقر من أن تظل زوجته، سوف يتزوج من غيرها ويأخذ الأطفال منها ويتركها هكذا ذليلة مثل كلاب الشوارع، ولن يكترث لها أحد، جن جنون ميديا وقررت الانتقام من هذا الزوج الخائن، وفي اليوم التالي وقفت أمام زوجها الذي كان يستعد للزواج من أخرى، وذبحت أمامه طفليها الصغيرين لترى في عينيه دموع القهر والمرارة وليحرق الانتقام والحقد قلبها الأسود القاسي[(١)].

(١) أسطورة ميديا من الأساطير الإغريقية وهي تعبر عن تحول المرأة من كائن رقيق وديع إلى آخر شديد القسوة والشراسة.

سيزيف[1]... أسطورة شعبية إغريقية



كان يا ما كان في قيم الزمان كان سيزيف محاربًا بارعًا وماهرًا يتميز بالمكر والدهاء، وهو ابن أيولوس إله الرياح، وسيزيف كان ملكًا علي سيلينا وقد ارتكب من الأفعال ما أغضب عليه آلهة الأوليمب، لذا تعرض لأقسى وأعنف أنواع العقاب الصارم، فقد أجبره زيوس علي أن يدحرج صخرة عملاقه إلى قمة جبل، وما إن يصل إلى قمته حتى تنحدر منه الصخرة مرة أخرى وتسقط إلى أسفل عند سفح الجبل، فيعود مرة أخرى لدحرجتها إلى قمة الجبل وما إن يصل إلى قمته حتى تنحدر مرة أخرى لأسفل وهكذا يظل سيزيف في هذا العذاب الأبدي.

معروف الإسكافي... أسطورة شعبية من مصر

في قديم الزمان، كان يعيش في مدينة القاهرة إسكافي فقير اسمه معروف، ولشدة فقره لم يكن معروف يستطيع تأمين عيشه البسيط، ولم يكن يستطيع أيضا أن يلبي طلبات زوجته القاسية، ولم تكن زوجته تقدر حالته الضيقة أو تتساهل في معاملته، فقد كانت شرسة الأخلاق، مبذرة، تلح عليه في إحضار ألوان الطعام، وشراء الثياب بثمن مرتفع، ولو كان زوجها لا يملك شيئا من المال، وطلبت الزوجة القاسية مرة إلى زوجها أن يحضر لها فطيرًا بالسكر والعسل ومربى النارنج، وأصرت عليه ألا يعود في المساء إلى البيت إلا ومعه الحلوى التي طلبتها منه، فتوسل إليها معروف أن تمهله يومًا أو عدة أيام ريثما يرزقه الله ببعض المال، ولكن الزوجة أصرت عليه أن يتدبر أمره ولو اضطر إلى الاستدانة من الحلواني، وذهب معروف إلى مكان عمله وانتظر الزبائن، ولكن الله لم يوفقه بأي زبون يريد أن يرقع حذاءه، أو يصلح نعله، ولما كان يخشى غضب زوجته فقد توجه إلى الحلواني وقص عليه قصته، وأخبره أنه إذا عاد إلى البيت من غير الحلوى فسيكون نصيبه من زوجته الخصام والشجار، فأشفق عليه الحلواني وأعطاه فطيرًا بالسكر والعسل، أما مربى النارنج فقد نفد من الدكان ولذلك لا يستطيع أن يقدم إليه شيئًا منه.

---

(١) يعتبر سيزيف البطل الأسطوري الذي يقوم بمهمة وهو يعلم أنها لن تنتهي ولا جدوى منها ويكافح كفاحا مريرا وهو يعلم أنه سيكلل بالفشل.

ولما عاد معروف إلى البيت وقدم إليها الفطير، سألته عن المربى، ولم يكد يخبرها بأنه لم يجد منها شيئًا عند الحلواني، حتى انهالت عليه بالضرب وقذفت في وجهه طبق الفطير، وقلبت منضدته الصغيرة فانقلب ما عليها من أدوات وعدة شغله، كالقدوم والمسامير وغيرها.

وأصاب الطبق وجهه فجرحه جرحًا بالغًا. ولم يعد معروف يستطيع أن يتحمل من زوجته أكثر مما تحمل، فتركها تصيح وتلعن، وفتح باب البيت وخرج حزينًا متألمًا، وعزم على ألا يعود إلى زوجته التي لم يعرف قلبها الرحمة.

بعد أن مشى معروف مسافة طويلة أنهكه التعب، فجلس إلى جانب الطريق وأسند رأسه إلى الجدار يفكر في مصيره، ويدعو الله أن يهديه إلى مكان يعيش فيه بعيدًا عن زوجته، فلا يراها ولا تراه.

وفجأة سمع معروف ضجة كبيرة، وانشق الجدار، وظهر مارد ضخم وقف أمام معروف وقال له: إني هنا لأحقق أمنيتك، اركب على كتفي. وذهل معروف من المفاجأة ونظر إلى المارد فوجده طويل القامة أنيق الثياب، له عينان حادتان ولحية دقيقة، ولما أفاق من ذهوله، نفذ ما طلب إليه المارد، وصعد إلى كتفه. حمل المارد معروفًا ونقله إلى قمة جبل، وأنزله عليها، نظر معروف أمامه فرأى مدينة كبيرة فتوجه إليها.

مشى معروف في طرق المدينة الغريبة، فتجمع الناس حوله وسألوه: من أين أتى؟ فأجابهم أنه جاء من القاهرة التي تقع على ضفاف نهر النيل، فتقدم إليه من بين الناس المتجمعين حوله رجل وقال له: إنني أنا أيضًا من القاهرة، وقد جئت إلى هنا منذ عدة سنوات واسمي علي وأعمل في التجارة.

ودعا التاجر معروفًا إلى منزله وأكرمه، وبعد أن روى معروف حكايته، تحدث التاجر عن قصته، وأخبره بأنه جاء من القاهرة بحثًا عن عمل، فلما دخل المدينة زعم لأهلها أنه تاجر غني، وهو ينتظر وصول بضاعة له في وقت قريب.

وهكذا استطاع التاجر أن يستدين من تجار المدينة أموالًا كثيرة، وأن يشتري بضائع ويبيعها، فحقق بذلك ربحًا وافرًا، ولم يلبث أن سدد ديونه، وهكذا عرف التاجر بين أهل المدينة بالغنى والاستقامة.

واقترح التاجر على معروف أن يشتري حمارًا ويستأجر خادمًا، وسيقرضه مالًا ليتاجر به في سوق المدينة وليحسن إلى الفقراء والمحتاجين بسخاء فيتأكد الجميع أنه تاجر غني كريم. ونفذ معروف ما نصحه به التاجر، فنال شهرة واسعة وأعجب به تجار المدينة.

وعندما تأكد معروف أن التجار أصبحوا يثقون به، استدان منهم أموالًا كثيرة زاعمًا أنه ينتظر وصول بضاعة كثيرة، متنوعة الأصناف وتدر ربحًا كبيرًا.

ولكن عندما مضت الأيام من غير أن يصل إليه شيء، بدأ تجار المدينة يرتابون في أمره. وعندما طال تأخر وصول البضاعة كثيرًا، ذهبوا إلى الملك وشكوا إليه أنهم أقرضوا معروفًا أموالًا ولم يعدها إليهم، وما زال يماطل في تسديدها.

لم يصدق الملك شكواهم أول الأمر، وقال لهم: إن معروفًا الذي ينفق هذه الأموال الكثيرة على المحتاجين، لا يمكن أن يكون فقيرًا أو محتالًا، وتأخر وصول البضاعة يحدث لأي تاجر، فيقع في أزمة عابرة لا تلبث أن تزول، وعندما خرج التجار من قصر الملك، استدعى وزيره وتشاور معه، وأبلغه أنه معجب بمعروف ونشاطه وكرمه؛ ولكي يؤكد الملك هذا الإعجاب أعلن أنه مستعد لأن يزوجه ابنته، ولكن الوزير لم يكن مرتاحًا لكلام الملك؛ لأنه كان يطمع في أن يتزوج هو الأميرة، فقال: يظهر لي يا مولاي أن معروفًا كذاب كبير ومحتال.

استدعى الملك معروفًا وأبلغه شكوى التجار منه فقال معروف: عندما تصل بضاعتي في وقت قريب سأسدد لكل تاجر دينه، وأراد الملك أن يتأكد من صدق معروف، فقدم إليه جوهرة وطلب إليه أن يقدر ثمنها. أدرك معروف أن الملك يريد امتحانه في معرفة الجواهر، فقال للملك: إن هذه الجوهرة لا تزيد قيمتها عن عشرة آلاف دينار، ولكن عندي ياقوتًا يساوي مئة ألف دينار، فصدق الملك معروفًا، وطلب إلى التجار أن يصبروا عليه ويمهلوه إلى أن تصل القافلة التي تحمل بضاعته إلى المدينة، وقرر الملك أن يزوج معروفًا ابنته.

وعندما علم معروف برغبة الملك تظاهر بالاعتذار؛ لأنه لم يبق لديه مال كاف للإنفاق على حفلة الزفاف، ولتوزيعه على الفقراء كعادة الأغنياء في تلك المدينة، ولكن الملك سمح له بأن يأخذ من خزائنه ما يريد من المال، ما دام قد أصبح الآن زوج ابنته.

وهكذا كان، فقد غرف معروف من خزائن الملك كثيرًا من المال، وأنفقه على شراء الهدايا لزوجته الأميرة، كما أنفق قسمًا منه على الفقراء والمحتاجين الذين تعودوا على كرمه، وبعد مضي عدة أسابيع دخل على الملك أمين الخزائن وأخبر الملك أن المملكة مهددة بالإفلاس، وأن قافلة معروف المزعومة لم تصل بعد.

غضب الملك غضبًا شديدًا واستدعى وزيره وأخبره بما حدث، فقال الوزير: إن الأميرة هي التي تستطيع معرفة حقيقة زوجها معروف، فطلب الملك إلى ابنته أن تستدرج زوجها ليصارحها بحقيقة أمره.

وفي المساء، طلبت الأميرة إلى زوجها أن يروي لها قصته بصدق وصراحة، وأنها ستساعده وستكون إلى جانبه، فأخبرها معروف بكل شيء.

طلبت الأميرة إلى زوجها معروف أن يلبس زي فارس من الفرسان، ويغادر المدينة إلى مدينة أخرى. وهناك يشتغل في التجارة، إلى أن يجمع مالًا كافيًا، وعندئذ يمكنه أن يعود ويظل زوجًا للأميرة، ويتغلب على الوزير الذي يريد أن يشوه سمعته ليتمكن من طلب الزواج من الأميرة، وفي اليوم التالي أخبرت الأميرة والدها الملك أن معروفًا أضطر إلى السفر فجأة بعد أن جاءه أحد عماله وأخبره أن اللصوص قد هاجموا قافلته واستولوا عليها، ثم قالت لوالدها: لقد لبس معروف ملابس الفرسان وتوجه ليطارد اللصوص ويستعيد القافلة. أما معروف فقد غادر المدينة وهو حزين؛ لأنه قد فارق زوجته، وبينما هو يسير بعيدًا عن المدينة، رأى فلاحًا مشغولًا بحراثة حقله، فحياه، فأجابه الفلاح: أهلا بفارس الملك. وأسرع الفلاح لكي يحضر لضيفه طعامًا.

أعجب معروف بكرم الفلاح فأحب أن يساعده في حراثة أرضه حتى يعود، وبينما كان يدير المحراث لمح معروف حلقة من الذهب، ولما أخذ يتفحصها وجد الأرض تنشق عن سلم لولبي، فأخذته الدهشة ولكنه تمالك نفسه وهو الذي تعود على المفاجآت، ونزل على السلم حتى وجد نفسه وسط أكوام من الذهب والجواهر.

ففرك عينيه ليتأكد هل هو في حلم أم يقظة. وأمسك بخاتم ذهبي كان يلمع وسط الجواهر، ولم يكد يضعه في إصبعه حتى برز أمامه مارد طويل وقال بصوت قوي: إني خادم لمن يملك هذا الخاتم أنت تأمر وأنا أطيع، وأفاق معروف من ذهوله وأمره أن يجهز له خيمة يضع فيها كل هذه الثروة.

ولما عاد الفلاح بعد إعداد الطعام لمعروف وشاهده بين أكوام الذهب، اعتقد أنه الملك نفسه، فخجل من الطعام الذي أعده وهو العدس، لذلك استأذن معروفًا في أن يغيب بعض الوقت ليحضر له خرافًا مشوية بدلًا من العدس.

فضحك معروف وقال للفلاح: إني لست الملك، ولكني زوج ابنته وسوف أكافئك على كرمك عندما أعود، وفي الصباح كان المارد قد جهز لمعروف البغال لنقل الخيمة بما فيها من ذهب وخدم، وتوجه الجميع إلى المدينة وقصدوا قصر الملك.

وعندما دخلت هذه القافلة الكبيرة إلى المدينة دهش التجار، وفرح الملك، وابتهجت زوجته، وملأت المجوهرات خزائن القصر، ولكن زوجته التي تعرف قصة معروف وحالته دهشت من هذا الانقلاب السريع ومن سرعة حصوله على هذه الثروة الكبيرة، أما الوزير فقد حقد على معروف وأخذ يدس عليه لدى الملك حتى جعل الملك يغضب عليه ويكرهه، ثم يقرر أن يختبره. وفي يوم من الأيام، كان الملك والوزير ومعهما معروف يتحلقون حول مائدة في حديقة القصر، وغافل الملك والوزير معروفًا وجعلاه يشرب خمرًا حتى أخذ يهذي من غير أن يعرف أنه باح بسره بعد أن سأله الوزير عن سر الخاتم الذهبي الذي يضعه في إصبعه.

وأسرع الوزير وانتزع الخاتم من معروف، ولبسه ثم حركه فظهر أمامه المارد وطلب إليه أن يأمره بما يريد.

طلب الوزير من المارد أن يأخذ الملك ومعروفًا ويلقيهما في الصحراء من غير ماء أو طعام. فنفذ المارد رغبة الوزير فورًا.

اعتلى الوزير العرش وأعلن أنه أصبح ملكًا على البلاد، وأنه سيتزوج الأميرة، ولكن الأميرة استمهلته وطلبت إليه أن يتريث حتى تنتهي أيام الحداد على زوجها وأبيها، وبعد أن مضت أيام الحداد، اجتمع الوزير بالأميرة، وبينما هما يتحدثان قالت له: إن هذا الخاتم يخدشني ويضايقني، فخلعه الوزير من إصبعه ووضعه جانبًا، فلبسته الأميرة وحركته في إصبعها وكلمح البصر ظهر المارد ينتظر الأمر منها.

أمرت الأميرة المارد بأن يقيد الوزير ويضعه في السجن، ويحضر والدها الملك وزوجها معروفًا، فنفذ المارد الأمر، وعاد الملك ومعروف إلى المدينة.

فرح الشعب بعودة ملكه وعودة معروف الذي أصبح محبوبًا بين الناس؛ لأنه كان يشعر دائمًا أنه واحد منهم ولو كان زوج الأميرة.

نال الوزير جزاء حقده وغشه، وعاشت البلاد هانئة سعيدة. وعندما مات الملك، خلفه معروف على العرش، وأصبحت الأميرة ملكة.

أما الخاتم فقد وضعاه في صندوق، لأنهما ليسا في حاجة إليه بعد الآن، وعاش الجميع في سعادة واستقرار، في جو لا يعرف الحقد والدس والحسد.

زهر الأرجوان... أسطورة شعبية من اليونان

كان ياما كان في قديم الزمان ولد جميل من بني البشر اسمه(هياسنث)، أحبه أبوللو حبًا شديدًا، وكثيرًا ما ترك قيثارته وسهامه ونزل من جبل أولومبوس ليرى الولد الصغير ويشاركه في ألعابه، وكانا يقضيان نهارهما يتبعان كلاب الصيد في الجبال أو يرميان الشباك للسمك في النهر، أو يلعبان لعبًا أخرى متفرقة، ولكنهما كانا يفضلان لعبة رمي الأثقال، وكان لديهما صفيحة من المعدن الثقيل قطرها نحو ثلاثين سنتيمترًا.

وفي ذات يوم رمى أبوللو الصفيحة فذهبت تسبح بين الغيوم؛ لأن للآلهة قوى فوق قوى البشر، ولما عادت إلى الأرض ركض الولد ليلتقطها ولكنها سبقته فوثبت ولطمته في جبهته البيضاء لطمة قوية لا شفاء لها.

وعلا وجه أبوللو الاصفرار، وتقدم من الولد ولكنه لم يستطع أن يرد إليه الحياة، فضمه بين ذراعيه وأخذ ينظر إلى رأسه يهبط كما تهبط زهرة الزنبق عند كسر ساقها، وأخذ الدم الأرجواني يسيل من جرحه فيصبغ الأرض.

ولم يكن لدى أبوللو سوى وسيلة واحدة يعيد بها الحياة إلى هياسنث، وهي أن يجعل منه زهرة، وهكذا قبل أن تفوت الفرصة رقاه بكلمات تعرفها الآلهة، فتحول الولد زهرة أرجوان لها لون الدم الذي جرى من جبينه. وهكذا عندما تتفتح زهرة البنفسج تظهر على أوراق تاجها تشبه كلمة حزن باليونانية، ولم ينس أبوللو ذكرى صديقه، بل أخذ يرثيه بألحانه الشجية وقيثارته الجميلة، حتى اشتهر أمره في بلاد اليونان كلها.

الملك الطاغية... أسطورة شعبية من اليونان

كان ياما كان في قديم الزمان كان هناك ملك من ملوك اليونان وكان أحد ملوكهم الطغاة المستبدين وكان كافرًا بالآلهة وكان شديد الولع بالإساءة إليهم، وقد سولت له نفسه مرة أن يسيء إلى سيريس أم الأرض وإلهة الخصب والحبوب، فعزم على أن يفسد بفأسه غيضة مقدسة لها، وكانت الغيضة في تساليا من أعمال بلاد اليونان الشمالية، وكانت الأشجار في هذه الغيضة ملتفة أغصانها، ظليلة أوراقها، ويزيد عمر بعضها على مئات السنين، وكانت الوحوش تجد لها أمنًا وراحة في ظلالها الوارفة عندما يشتد الحر، وكان السلام يسود الغيضة؛ لأنها مقدسة؛ ولأن هيكل سيريس يقوم هناك قرب الينابيع الصافية المتدفقة تحمل إلى الأرض الخصب والهناء.

وكان في الغيضة شجرة بلوط قديمة يخيل للناظر إليها أنها غابة قائمة ترفع رأسها إلى السماء، وتمد جذورها إلى مملكة بليتو، وتظلل بأغصانها الطير والحور والوحوش، وكانت أغصانها القريبة من الأرض مزدانة بأكاليل الزهر، وألواح النذور عليها آيات الشكر لسيريس لما أنعمت به على زائري هيكلها من العناية والاهتمام والغنى، وكان في كل شجرة من أشجار الغيضة إلهة أو حورية يؤلمها ما يؤلم الشجرة فإذا قطعت ماتت حوريتها، وكانت حور الأشجار تجتمع تحت شجرة البلوط فترقص جماعات جماعات، وكانت دائرة جذعها نحوًا من سبعة أمتار.

وعملت فؤوس الملك الطاغية بأشجار الغابة تجريحًا وتقطيعًا، فصعدت أصوات الأنين والألم إلى عروش الآلهة، واضطربت الغيضة وكثر فيها البكاء والنحيب، ففي قطع كل شجرة حورية تموت، ولكن الطاغية لم تلن له قناة، ولم تعرف الشفقة سبيلًا إلى قلبه، وما زال يأمر بالقطع حتى وصل إلى شجرة البلوط المقدسة فأمر بقطعها وتردد رجاله فأخذ الفأس وهم بها فاضطربت الشجرة وشحبت، وضربها بالفأس ضربة قوية فجرى الدم غزيرًا من الجرح، وخاف رجال الطاغية واضطربوا، وأمسك أحدهم بالفأس ليمنع الملك من قطع الشجرة فارتد الطاغية إليه وضربه بالفأس ضربة قطع بها رأسه وقال: هذا جزاء اللطف والشفقة، وعاد إلى الشجرة يضربها بالفأس فخرج منها صوت الألم والاستغاثة، وسمع الطاغية ورجاله الصوت فقال: هذا رنين الفأس، وعاد إلى القطع لا يشفق ولا يرحم.

وخرجت كاهنة عجوز من الهيكل وخاطبت الطاغية بلطف، قالت: ليس من الحكمة الإساءة إلى سيريس وإغضابها؛ لأن قوتها تتناول كل ما ينبت فوق الأرض، ولكن الكلام اللطيف زاد في غيظ الطاغية، فأسرعت فأسه وخاطب الكاهنة بكبرياء ووقاحة، قال: قفي مكانك لئلا تصيبك الفأس، وإذا أردت أن تري أشجارك غدًا فانظري إليها في سقف قصري، ولم تنبث الكاهنة ببنت شفة بل ابتعدت بهدوء، ولكن ملامح وجهها تغيرت فبدت كأنها سيريس نفسها.

واستأنف الطاغية عمله فخرج من الشجرة صوت يتألم ويصيح: أنا الساكنة في هذه الشجرة صفية لسيريس إلهة الخصب والنماء، وسأموت بفأسك ولكنني أنذرك بأن العقاب لك بالمرصاد، غير أن الطاغية سد أذنيه عن السماع واستمر في عمله حتى سقطت الشجرة العظيمة فقضت على كثير من أشجار الغيضة، وكان لسقوطها دوي عظيم تبعه شجو وأنين،

ورددت حور الغيضة صدى البكاء والألم، وسمع رجال الطاغية تلك الأصوات فخافوا ولكنه هددهم فعملوا مرغمين.

وسقف الملك قصره بأشجار الغيضة، فكان قصرًا فخمًا عليه مظاهر القوة والعظمة والجلال، واطمأن الطاغية وظن أن سيريس قد نسيت غيضتها، أو أنها عجزت عن أخذ حقها منه، ولكن اطمئنان الطغاة غرور وجهل، فقد كان السوس ينخر في السقف، أما عقاب الملك نفسه فإن سيريس لم تكن نائمة عنه.

وحزنت حور الأشجار لفقد شجرة البلوط فخر الغابة، فاجتمعن ولبسن ثياب الحداد وذهبن إلى سيريس يطلبن التعجيل في عقاب المجرم، فحنت إلهة النماء رأسها وإذا بالحبوب الناضجة تحني رؤوسها، وحكمت على الطاغية القاطع بعقاب يحرك القلوب حنانًا لو كان الطغاة القاطعون أهلًا للشفقة والحنان.

قضت سيريس على الطاغية بالجوع ولكنها لا تستطيع أن تقترب من آلهته؛ لأن الأقدار قضت ألا تجتمع هاتان الإلهتان، ولذلك أرسلت إليها رسولًا من إلهات الجبال قالت: وراء هذه الأرض المغطاة بالجليد بلاد قاحلة جدباء لا أشجار فيها ولا نبات ولا حبوب، ولا يسكن هناك غير البرد والجوع، فاذهبي وقولي لآلهة الجوع أن تزور طاغية تساليا، وتضع يدها على كأسه، ولا ترهبي المسافات الشاسعة فإليك عربتي توصلك بوقت قصير.

ووصلت رسولة سيريس إلى جبال القوقاس ورأت إلهة الجوع فإذا هي غبراء مشعثة الشعر، غائرة العينين، صفراء الوجه، يعلو جبينها الغبار، وجسمها من النحول بحيث يستطيع الناظر إليها أن يعد عظامها عظمة عظمة، فخافت الرسولة أن تقترب منها، أبلغتها رسالة سيريس عن بعد، ولكنها مع ذلك أحست بالجوع والبرد، وما فرغت من تأدية رسالتها حتى عادت مسرعة هاربة من أرض الجدب والجوع.

أسرعت إلهة الجوع إلى تساليا، وكانت حيثما تحل تحمل معها الخراب والدمار، تقطع كل ما ينبت على وجه الأرض وتزرع مكانه الجدب والجوع، وما وصلت إلى غيضة سيريس حتى أخذت الينابيع التي تغذي أنهار اليونان بالمياه تجف فتصبح الأنهار العذبة الصافية بركًا آسنة نتنة، وأشد ما في الأمر أن الأمطار توقفت عن السقوط فأخذ الناس يتركون بلاد الطاغية زرافات ووحدانا.

وما زالت إلهة الجوع تقطع وتدمر حتى دخلت قصر الطاغية نفسه على رغم الحراس والأبواب الموصدة، ووجدته نائمًا فنفثت سمها في عروقه، ووضعت يدها في كأسه، وعندئذ عرف الطاغية المغرور معنى الجوع، وشعر بألمه يدب في أوصاله، ففتح فكيه كمن يريد أن يأكل، واستيقظ فاهتاجت عقارب الجوع في نفسه، أمر بالطعام مما خزنه في خزائنه من نبات الأرض، وأخرج الماء والهواء ولكنه لم يشبع، وكان كلما ازداد أكلًا ازداد جوعًا كأنه البحر يشرب ماء الأنهار فلا يمتلئ ولا يرتوي، أو كالنار تحرق الوقود وتطلب المزيد.

وأنفق القاطع المجرم أمواله ولم يشبع، وفرغت خزائنه وما زال يطلب المزيد، وتركه أعوانه وخدمه ولم يبق لديه غير ابنة لا عيب فيها ألا انه أبوها.

وانتشرت عقارب إلهة الجوع في تساليا فلم تنبت الأرض نباتًا، وجفت الأنهار فلم يخرج منها طعام، وانحبست الأمطار، فانقلبت الأرض الخصيبة صحراء قاحلة، ولم يبق من معين لما يطلبه الملك من مأكل ومشرب غير ما يحمله المسافرون، وأنفق أمواله في شراء الطعام والشراب ولكنه لم يشبع، وأخيرًا باع ابنته واشترى بها طعامًا، ورفعت الفتاة يديها إلى نبتون ضارعة متوسلة أن يرفق بها، أجاب دعوتها وحولها صيادًا، فعادت إلى أبيها ليعود إلى بيعها فتعود إلى الآلهة ضارعة وحولها صيادًا، فعادت إلى أبيها ليعود إلى بيعها فتعود إلى الآلهة ضارعة فيرفقون بها ويحولونها فرسًا أو طيرًا أو ثورًا أو غير ذلك، فتعود إلى أبيها مخلصة مشفقة فيعود إلى بيعها، ولكن ثمنها ما كان ليشبع جوعه، وتمنى في شدة آلامه، وعنفوان شقائه، لو كان في قدرته أن يهب قصره وملكه لمن يستطيع أن يعيد شجرة البلوط وغيرها من أشجار الغيضة إلى الحياة، ولكن ما فقد لا يرد، فالأشجار المقطوعة لا تعود إلى الحياة، وسيريس نفسها لا تقدر أن تعيد إلى غيضتها أشجارها، أو أن تبعث في حور الأشجار الحياة بعدما قضت الفأس عليهن.

واضطر الطاغية أخيرًا إلى أن يأكل أعضاءه، ويشبع جوعه بجسمه، وما زال على هذه الحال حتى أراحه الموت من غضب سيريس وجرم قطع الأشجار[1].

---

(١) من خرافات اليونان الرائعة أن لكل شجرة إلهة أو حورية تحرسها

شجرة الغار... أسطورة شعبية من اليونان

كان يا ما كان في قديم الزمان كان أبوللو يسير على ضفة أحد الأنهار، وقد لعب به الكبر والإعجاب بعد رجوعه من قتل حية الظلام، فرأى كيوبيد يلعب بسهامه الصغيرة على ضفة النهر، فأخذ يفتخر عليه قائلًا: اترك الأسلحة للأيدي القوية التي تستحقها أيها الطفل المدلل واقنع بمشعلك، فتألم كيوبيد وهزه الإباء وقال: تستطيع أن ترمي بسهامك الأبطال يا أبوللو، ولكن سهامي ستجد منفذًا إلى قلبك، ثم طار إلى قمة جبل بارناسوس وأخذ يفتش عن صيد له، وسهام كيوبيد نوعان لبعضها: رؤوس دقيقة من الذهب، وللآخر رؤوس دقيقة من الرصاص، أما الأولى فمن أصابه سهم منها وقع في أول من يراه حب الجنون، وأما الثانية فمن أصابه سهم منها كره الحب وفر منه فرار الملسوع من الحية.

والتفت كيوبيد فرأى دافن بنت بيناس إله النهر ورأى فيها هدفًا صالحًا لرد كيد أبوللو، وكانت دافن من أجمل نساء عصرها حتى أن الأزهار النائمة كانت ترفع رؤوسها وتفتح أكمامها عند رؤيتها، فأخذ كيوبيد سهمًا من الرصاص ورماها به فكرهت الحب وخافت من المحبين، ثم أخذ سهمًا من الذهب ورمى به أبوللو فدخل الحب قلبه ورأى الفتاة فناجاها آيات الحب والغرام وهربت منه فتبعها، وكان شعرها الذهبي على كتفيها يستهويه ويغويه، ويداها وذراعاها العاريتان تفتنه، أما عيناها فنجمتان تتألقان، وأما شفتاها فسحر الآلهة المبين، ولكن كان في واد والفتاة في واد، فهو محب مفتون وهي تكره الحب كره الموت.

وجدت الفتاة في الهرب فتبعها، وتلتفت خائفة مذعورة فيردد: جوبيتر أبي، وأنا إله دلفي أعلم الحاضر والمستقبل، وأنبئ بالغيب وبما سيكون، وسهامي لا تخطئ هدفها، ولكن سهمًا قاتلًا أصاب قلبي فأعياني، إنني إله الطب وأعرف كل بنات نافع شاف، ولكنني أتألم من مرض لا شفاء له.

وظل الإله يجد في أثر الفتاة حتى كاد يدركها، فصرخت تستنجد بأبيها: يا أبي، افتح الأرض لتنطبق علي، أو غير هيئتي، هذه الهيئة التي كانت وبالًا وشؤمًا علي، وكانت السبب فيما أنا فيه الآن من خطر مهلك مميت، وما كادت تنتهي من كلامها حتى تصلبت أعضاؤها، أخذت قشرة رقيقة تحيط بصدرها، وأصبح شعرها ورقًا وذراعاها أغصانًا، وغارت قدماها في الأرض جذورًا، وصار رأسها رأس شجرة ليس له من شكله الأول غير جماله.

ومد أبوللو يده إلى الجذع فشعر باللحم يرتجف تحت القشرة الجديدة، وضم الأغصان بين ذراعيه وقلبها فتلصقت تحت شفتيه، وعندما أفاق من ذهوله ورأى أن حوريته انقلبت

شجرة تألم وقال: بما أنك لن تكوني زوجتي الحبيبة فكوني شجرتي المفضلة المحبوبة، وسأصنع من أغصانك تاجًا أزين به رأسي، وعندما يتقدم الفائزون إلى سدة النصر تكونين تاجًا من الغار على رؤوسهم، وكما أن الشباب الدائم من صفاتي فستكونين خضراء دائمًا ولن يذبل ورقك.

وصنع أبوللو من ورق الغار تاجًا ولبسه إكرامًا لحبيبته وذكرى دائمة لحبها، أمر أن تزرع شجرة الغار قرب هيكله، ولذلك كانت شجرة الغار أشرف الأشجار، أما كيوبيد فكان ينظر إلى حسرة أبوللو ودموعه... فرحًا متشفيًا[1].

ذنب الطاووس... أسطورة شعبية من اليونان

كان ياما كان في قديم الزمان كانت أم الآلهة قد رأت يومًا أن الظلام يغمر الكون فجأة، فلم تشك في أن زوجها قد أثار سحابة يخفي بها بعض أعماله التي تخجل من النور، فعمدت إلى السحابة فبددتها، ورأت زوجها على ضفة نهر صاف وإلى قربه عجلة جميلة، فعلمت جونو أن في الأمر لعبة ولم تشك أن وراء العجلة حورية حسناء، ولم تخطئ لأن العجلة لم تكن إلا آبو ابنة ايناخوس وكان جوبيتر يغازلها، فلما شعر باقتراب زوجته غير شكلها ليستر عمله.

أخذت أم الآلهة تعجب بجمال العجلة وتثني على أناقتها ثم طلبتها من زوجها هدية فعز على جوبيتر أن يتخلى عن عشيقته لزوجته، ولكنه لم يجد وسيلة لرد طلب يبدو تافهًا كهذا الطلب دون أن يثير شكوك زوجته، فاضطر إلى إجابة طلبها أهدى إليها العجلة.

ووضعت جونو العجلة تحت مراقبة عيون أرغوس، ولأرغوس هذا مائة عين في رأسه ينام باثنين وتظل العيون الباقية واعية ساهرة، ولذلك كان الأمل ضعيفًا في نجاة آبو منه؛ لأن أرغوس ربطها وجعل عيونه عليها ليل نهار.

وتألمت آبو وتعذبت وكثيرًا ما كانت ترغب في أن تمد ذراعيها إلى أرغوس متوسلة مسترحمة، ولكن أنى لها الذراعان فقد كانت عجلة وكان صوتها خوارًا يخيفها، وكثيرًا ما مر أبواها وأخواتها بها فلم يعرفوها، بل كانوا يطعمونها العشب ويربتون على ظهرها معجبين

(١) يستعمل الغار في بعض أنحاء لبنان سقوفا للخيام في الصيف، كما أن أوراقه توضع في الماء وتغلي به الثياب المغسولة فتكتسب رائحة طيبة.

بجمالها، أرادت أن تخبر أبويها بأمرها فكتبت اسمها على الرمل بحافرها، فعلم أبوها بأمرها وبكى ورثى لها وضم عنقها بين ذراعيه وقال: لو مت لكان حزني أخف منه الآن.

وعرف أرغوس ما دار بين آبو وأبيها فنقلها إلى جبل بعيد وشدد عليها المراقبة وزاد في تعذيبها، ألم جوبيتر ما حل بعشيقته ولم يجرؤ على تخليصها جهارًا أمام عيون أرغوس، وذكر هرميس ومهارته في سرقة قطيع أخيه وهو ما يزال طفلًا، فعزم على تكليف أمير اللصوص بسرقة العجلة من أرغوس.

ورأى هرميس في هذا العمل تسلية لا مركبًا وعرًا، أسرع في خلع قبعته المجنحة وحذاءيه المجنحين، وتزيا بزي راع جبلي وحمل عصاه في يده وسار ينفخ في مزماره، ورأى عنزات ترعى في الطريق فساقها أمامه حتى وصل إلى حيث كان أرغوس يقوم بحراسة العجلة، وقد كان قد أخذ يمل الوحدة واليقظة الدائمة ويتوق إلى شخص يكلمه، فلما رأى هرميس رحب به ودعاه إلى الجلوس معه في ظل الشجرة، وطلب منه أن ينفخ له بمزماره ويحدثه، فجلس هرميس بقرب أرغوس على حجر وأخذ ينفخ بمزماره ألحانًا شجية كحنين الأغصان يداعبها النسيم، وكان الطقس حارًا، والشجرة ظليلة، وموسيقى هرميس فاتنة ساحرة، أخذت عيون أرغوس تنام الواحدة بعد الأخرى ولم يبق منها إلا اثنتان، فاستعان هرميس بأحاديثه وحكاياته وموسيقاه وسحره حتى نامت العيون كلها، فحمل آبو وذهب بها.

وعرفت جونو بخلاص العجلة قبل جوبيتر فأرسلت لها ذبابة مؤلمة تعذبها أخذت آبو تهرب من الذبابة وهي تتبعها من مكان إلى مكان، وقد مرت في بحر ايجي فسمي باسمها، ووصلت إلى سهل البريا ومضيق تراقيا فسمي البوسفور ومعناه (مجاز العجلة أو البقرة)، وظلت تهرب من الذبابة والذبابة تتبعها حتى وصلت إلى النيل، وأخيرًا أشفق جوبيتر عليها ورق له قلبها فوعد زوجته بهجرها، وطلب منها أن تسامحها، فعفت وسامحت وردتها إلى شكلها وأعادتها إلى أبويها.

أما أرغوس فقيل أن هرميس قتله عندما نام، وقيل أن أم الآلهة غضبت عليه وحكمت أنه لا يستحق عيونه، فأخذتها منه ووضعتها في ذنب طاووسها المدلل، ومنذ ذلك الوقت أصبح للطواويس عيون في أذنابها.

الدب الأكبر والدب الأصغر.. أسطورة شعبية من اليونان

كانت كالستو امرأة جميلة أحبها أبو الآلهة فاستثار هذا الحب غيرة زوجته وعزمت على القضاء عليها وما زالت حتى رأتها فقالت: سأذهب بهذا الجمال الذي تسبين به زوجي. وخافت المرأة وركعت على يديها وركبتيها أرادت أن تمد ذراعيها ضارعة متوسلة ولكن الشعر الأسود غطاهما، وإذا بيديها قد استدارتا ونبت لهما مخالب معقوفة، أما فمها الذي كان يصفه جوبيتر بالعذوبة والفتنة والحلاوة فقد أصبح فكين قاسيين، وصوتها الناعم الرقيق تحول زئيرًا مخيفًا، وانقلبت دبًا لا تستطيع أن تخبر جوبيتر بأمرها، وبعدما كانت تضطرب خوفًا من ذكر الغابات أصبحت تقضي لياليها فيها خائفة ترتعد من الكلاب والحيوانات المفترسة التي أصبحت مثلها.

وكانت كالستو يومًا على عادتها تهيم في الغابات، فرأت شابًا جميلًا فتيًّا عرفت فيه ابنها، فتقدمت إليه لتضمه بين ذراعيها، فخاف منها ونفر وسدد سهمه يريد أن يرميها به، ولكن جوبيتر رآهما في هذه الحال، أشفق عليهما وانتشلهما إلى السماء ووضعهما بين النجوم خالدين هناك، فكان الدب الأكبر والدب الأصغر.

وساء هيرا أن تنال مزاحمتها هذا الشرف الخالد، أسرعت إلى إلهي البحار غاضبة وقالت: أتعجبان لماذا تركت أنا ملكة الآلهة السماء وانحدرت إلى الأعماق؟ إن مكاني أعطى لامرأة أخرى التفتا عندما يستر الليل العالم بسدوله تريا عدوي في ذلك القسم من السماء حيث تصغر دائرة الفلك عند القطب، فما يردع من يريد الأذى لهيرا بعد هذا؟ فإذا كنتما ترقان يا والداي لحالي فإنني أتضرع إليكما أن تمنعا هذين الجانبين من النزول إلى مياهكما، فإنكما على ذلك لقادران.

أجاب سيدا البحار رجاء ابنتهما ملكة الآلهة، ولذلك يدور الدب الأكبر والدب الأصغر في السماء، ولكنهما لا ينزلان إلى مياه البحار كما تنزل سائر النجوم.

كان هرميس وهو ابن مايا كبرى الأخوات السبع اللواتي تحولن نجومًا يعيش مع أمه في كهف بين الجبال، وفي ذات يوم وهو لا يزال طفلًا صغيرًا خرج من الكهف ليلعب في نور الشمس فرأى صدفة سلحفاة أعجبه منظرها فأخذها إلى الكهف، وثقب فيها ثقوبًا وربط قصبًا مجوفة في داخلها ووصل الثقوب بقدد من الجلد والخيطان فكان له قيثارة جميلة، وهي أول قيثارة في السماء والأرض.

وفي تلك الليلة خرج هرميس يتسلل من فراشه وأمه نائمة، وذهب إلى المراعي حيث تنام قطعان أبوللو البيض وسرق خمسين عجلة من أجملها، ثم رمى حذاءه الصغير في البحر، وربط رجليه بألياف من شجر الأثل حتى لا يعرفه من يرى آثاره على الرمل. وأخذ يذهب ويجيء بالقطيع وهو يغني، ثم انحدر به إلى سفح الجبل، ولكن من يرى الآثار يظن أن القطيع ذهب إلى قمة الجبل لا إلى السفح، وكان في تلك الناحية فلاح في كرمة فرأى طفلًا صغيرًا يسوق قطيعًا من البقر وكاد لا يصدق ما رأى، أما هرميس فوضع القطيع في كهف وذهب إلى سريره ونام كأنه لم يفعل شيئًا ولم يترك سريره.

وأفاق أبوللو ليرى قطيعه قد سرق منه، فذهب يفتش عنه، والتقى بالرجل، الذي رأى هرميس، فسأله عما إذا كان قد رأى أحدًا يسوق قطيعًا فوصف الرجل لأبوللو الطفل وما صنعه من الدوران بالقطيع حتى لا تقتفى آثاره.

ورأى أبوللو الآثار المشوشة، وعرف أن الطفل الوحيد الذي يستطيع أن يفعل ذلك هو أخوه هرميس، فذهب إلى كهف مايا ووجد أخاه يغط في نوم عميق، فأيقظه واتهمه بسرقة قطيعه الأبيض، ففرك هرميس عينيه ونظر إلى أخيه أبوللو نظرة السذاجة والبراءة، وقال: إنه لا يعرف ما القطيع ولم يسمع بهذه الكلمة من قبل، ولكن أبوللو أبى أن يصدقه وطلب أن يذهب معه إلى جوبيتر للمحاكمة.

ولما وقف الأخوان أمام أبي الآلهة أصر هرميس على الإنكار وقال: إنه لم ير في حياته قطيعا قط ولا يدري كيف يكون، ولكنه في إنكاره غمز جوبيتر غمزة خبيثة سرت أبا الآلهة

أضحكته كثيرًا. ولما رأى هرميس دلائل الغضب على وجه أخيه وعلائم الجد والوقار تهيمن على جو المجلس، أصلح قيثارته وابتدأ يضرب عليها، فسمعت الآلهة ألحانًا لا عهد لها بها من قبل، وكانت موسيقى هرميس جميلة إلى حد أن حبس الآلهة أنفاسهم لئلا يفوتهم شيء من جمالها، وإلى حد أن نسر جوبيتر القاسي حنى رأسه لجمال أوزانها، ولم يقل طرب أبوللو عن طرب سائر الآلهة فأعلن أن هذه الموسيقى تفوق بجمالها قيمة القطيع المسروق، ولذلك يتنازل عن حقه بها، وسر هرميس برضا أخيه فوهبه القيثارة.

وأعجب أبوللو بالقيثارة فأهدى إلى هرميس قضيبًا من الذهب فيه القدرة على النوم والأحلام والثروة والسعادة، وقد أفرخ لهذا القضيب بعد ذلك جناحان في رأسه، والتف عليه حيتان من ذهب، وتصافح الأخوان، وسلم أبوللو أخاه رعاية القطيع كله، فرد هرميس القطيع، وما يزال إلى اليوم سائق المواشي البيض في السماء.

كيف خلقت الضفادع... أسطورة شعبية من اليونان:

غارت هيرا ملكة الآلهة من الآلهة لاتونا فطاردتها في الأرض من مكان إلى آخر لا تسمح لها ببقعة صغيرة ترتاح فيها تطعم توأميها، وما زالت تنتقل من مكان إلى مكان تحمل طعام ولديها على ذراعيها وتطعمهما سائرين حتى وصلت بهما يومًا إلى مكان قرب ينبوع من الماء وقد أنهكها التعب والعطش، فتقدمت إلى الماء وركعت لتشرب وتروي عطشها، وما كادت تفعل حتى أسرع إليها بعض القوم هناك ومنعوها، فابتسمت ابتسامة الألم وقالت: لماذا تمنعون عني الماء؟ أليس الماء مشاعًا للجميع؟ إن النور والماء والهواء ملك لجميع الآلهة والناس، وعلى الرغم من حقي فيه أطلبه منكم منحة وهبة، أتوسل إليكم مسترحمة أن أشرب وأسقي ولدي، إنني لا أريد أن أغتسل مع أنني متعبة وفي حاجة إلى الراحة، بل أريد أن أبل فمي الجاف، ونقطة من الماء ترياق لي ولهذين الصغيرين ترد علينا الحياة، ألا يثير شفقتكم هذان الولدان يمدان أيديهما متضرعين؟.

ولكن هذه الكلمات التي يلين لها قلب الصخر الأصم لم تحرك من القوم وتر الشفقة في القلوب، بل ازدادوا قحة وقساوة، وهددوها بالقتل إذا لم تنصرف عنهم؛ ولكي يزيدوا في غيظها وآلامها نزلوا إلى الينبوع وأخذوا يثيرون الوحل بأرجلهم حتى لا يصلح الماء للشرب، فاشتد غضب الآلهة ولم يجدها اللطف والاسترحام، فرفعت يديها إلى السماء وطلبت من الآلهة

أن يظل هؤلاء القوم في الماء طول حياتهم عطاشى يشربون فلا يرتوون، فاستجابت السماء طلبتها، وحل غضب الآلهة على القوم القساة، فظلوا في الماء لا يبرحونه، وكانوا يتمرغون في الوحل ويهبطون أحيانًا إلى الأعماق ويرفعون رؤوسهم أحيانًا فوق سطح الماء، ويخرجون أحيانا إلى اليابسة حتى إذا رأوا ما يخيفهم قفزوا إليه مسرعين، ومع أن الماء ظل ملكًا لهم يعيشون فيه، فقد كانوا يتذمرون ويضجون وينقون، حتى خشنت أصواتهم، وانتفخت حناجرهم، وتقلصت أعناقهم، واختفت واتصلت رؤوسهم بأجسامهم، واخضرت ظهورهم، وابيضت بطونهم، وبكلمة واحدة صاروا ضفادع.

شجرة سنديان وشجرة ميس... أسطورة شعبية من اليونان

كان في واد خصيب قرية هادئة جميلة، ولكن سكان القرية كانوا قومًا أشرارًا، فلا يمر بالقرية غريب حتى يلاقي الأمرين منهم، فإذا كان جائعًا تعبًا والتفت إلى أبواب الدور كأنه يلتمس الضيافة أغلقت الأبواب في وجهه وسمع أطيط مساميرها وقرقعة ارتجتها، وكثيرًا ما كان الأولاد يرمونه بالحجارة، والكبار يستهزئون به ويسخرون منه، وما زال شر سكان القرية يعظم ويزداد حتى بلغ الآلهة في جبل أولمبوس.

وفي ذات ليلة من ليالي الشتاء، سوداء الجلباب، بيضاء الصقيع، قارسة الجليد، مر في القرية رجلان غريبان، وأخذا يقرعان أبواب القرية بابًا بابًا يطلبان الاحتماء من شر الصقيع، فلم يفتح في وجهيهما باب، ولما سدت الأبواب كلها في وجهيهما، رأيا بيتًا منفردًا واقعًا في طرف القرية، فقصدا إليه، ولم يبق في القرية كلها غيره، ولما وصلا إليه وجداه كوخًا صغيرًا يتألف من غرفتين، وكان مسقوفًا بالأخشاب والأعشاب، فطرقا بابه وطلبا الدخول، وكان صاحبا الكوخ زوجين شيخين، وكانا على غير عادة أهل القرية، رجلين صالحين لا يفكران بالسخرية من الغرباء أو رميهم بالحجارة، أو إطلاق الكلاب عليهم أو إغلاق الأبواب في وجوههم، وما سمعا الطرق على باب كوخهما حتى فتحاه ورحبا بالغريبين القادمين.

وكان باب الكوخ منخفضًا اضطر معه أحد الغريبين الضيافة خفض رأسه عندما دخل، وكان قاع البيت يدل على فقر صاحبيه، ولكن فيليمون وبوسيس استقبلا الغريبين بالسماحة والبذل، وعمدت بوسيس الضيافة النار فأشعلتها ووضعت فوقها قدرًا، وجاءت ببعض الخضار من بستانها ووضعته في القدر يغلي، ووضعت فوقه قطعة من قديد اللحم. ثم جاءت بوسيس بمائدة قديمة، ودعمت إحدى قوائمها، ووضعت عليها شيئًا من التين

قطفته من بستانها، ورغيفًا أسمر وشيئًا من الخمر التي صنعتها بيديها، ولما نضج اللحم والخضار أضافت إليهما شيئًا من البيض، ودعت الغريبين الضيافة العشاء، ولولا الغريبان لم يزد طعام الرجل وزوجته على الخبز الأسمر والخمر وشيء من قديد اللحم، ولكن للضيافة واجباتها.

وما شرع الأربعة يأكلون، حتى رأى الشيخان أمرًا عجيبًا، فإن كأس الخمر ما كان ينقص منها شيء عندما كانت تنتقل من يد الضيافة يد مهما شرب منها الشاربون، وما رأى فيليمون وبوسيس ذلك حتى علاهما الخوف والاضطراب، فقد سمعا بأشياء كهذه تحدث عندما يضيف البشر الآلهة، ولكنهما لم يريا شيئًا من ذلك قبل، وما حدقا بوجهي ضيفيهما حتى شعرا أن للطويل منهما وجهًا مهيبًا جليلًا، أما الآخر فقد بدا في عينيه شيء من القسوة والأذى، أول فكر طرأ عليهما معًا أنهما قد قصرا بضيافتهما، فوثبت بوسيس عن كرسيها وركضت وراء إوزة لهما لم يبق للضيافة غيرها، أسرع فيليمون لمساعدتها، ولكن الإوزة فاتتها، ونشرت جناحيها، أخذت تطير من مكان الضيافة، حتى دخلت الضيافة الكوخ وعاذت بالضيفين فأمناها.

وأخيرًا أخبر الضيفان الرجل وزوجته أنهما جوبيتر وهرميس، وأنهما سمعا بشكوى الغرباء من سكان القرية فأتيا ليحققا في الأمر، فوجدا أن الأمر صحيح، وأن من الواجب معاقبة القرية، وأما فيليمون وبوسيس فإنهما صالحان ولذلك كتبت لهما النجاة، وطلبا منهما أن يرافقهما الضيافة سفح الجبل، وما لبث القمر حتى أطل من وراء الجبل فبدت القرية جلية واضحة، والتفت الشيخان الضيافة القرية وإلا بالدور تغب عن النظر، وتغوص في الأرض كأنها حجارة تلقى في الماء، وإذا بالقرية تنقلب بحيرة ساكنة هادئة، فإذا لم يكن هناك قرية أو بشر.

أما كوخ فيليمون وبوسيس فقد ظل في مكانه راسيًا كالجبل، ولكن سقفه الحشيش ابتدأ يصفر، وإذا به يصبح ذهبصا، وإذا بالجدران تتحول عاجًا أبيض، وإذا بالكوخ يصبح هيكلًا من العاج الأبيض مسقوفًا بالذهب الوهاج.

أمر جوبيتر وهرميس الشيخين أن يطلبا ما يشاءان وكل طلبة لهما تعطى، ولم يفكر الشيخان بالمجد والغنى والعظمة بل طلبا أن يموتا في وقت واحد حتى لا يحزن أحدهما على الآخر.

وأصبح فيليمون وزوجته كاهنا للهيكل يعبدان الآلهة، فيزورهما الناس ليقدموا لهما الاحترام وللهيكل الهدايا.

وعاش الكاهنان بالهناء والراحة سنين طويلة، وفي ذات يوم تقدم بعض الفلاحين بهدية من البيض الجديد للشيخين، فوجدوا أمام الهيكل شجرتين كبيرتين لا عهد لهما بهما من قبل، فاستغربوا الأمر، وكان وجود الشجرتين العاليتين معجزة تنبئ بشيء عجيب، ودخلوا الضيافة الهيكل فلم يجدوا الكاهنين، ولم يقف أحد لهما على أثر بعد ذلك.

وكبرت الشجرتان وعظمتا وعلتا وعاشتا عصورًا كثيرة وأجيالًا عديدة، وظلتا هناك بعد خراب الهيكل، وكانتا تظللان الغرباء والمسافرين، فيجلسون تحتها يقصون حديث فيليمون وبوسيس وسكان القرية الأشرار.

ذات القبعة الحمراء... أسطورة شعبية من ألمانيا

ذات مرة كان هناك فتاة صغيرة ترتدي دومًا قبعةً صغيرةً حمراء، ولذلك لم يكن أحد يعرف لها اسمًا إلا "ذات القبعة الحمراء".

وفي يومٍ من الأيام أرسلتها أمها بالفطائر والعصير إلى جدتها المريضة التي كانت تعيش على أطراف الغابة، وفي الطريق قابلها الذئب، ولكن ذات القبعة الحمراء لم تكن تعرف خُبث ومكر هذا الحيوان، ولذلك لم تخف منه، وحكت له عن جدتها المريضة، فأشار عليها أن تذهب إلى الغابة وتقطف من هناك بعض الزهور الجميلة من أجل جدتها المريضة، ففعلت ذات القبعة الحمراء ذلك، ولكن الذئب الشرير توجه مباشرةً إلى بيت الجدة والتهمها، ولبس ملابسها، ووضع قلنسوتها (طاقيتها) على رأسه، ونام في سريرها، وأغلق الستائر. ولما وصلت ذات القبعة الحمراء إلى بيت الجدة تعجبت أن الباب مفتوح، وأن الجدة لم تقل لها صباح الخير بلطفٍ كالمعتاد، ثم توجهت إلى السرير، وفتحت الستائر، حيث ترقد هنا الجدة مسدلةً القلنسوة على وجهها بشدة، ويبدا شكلها غريبًا جدًّا، ودار بينهما الحوار التالي: جدتي، ماذا حدث لك؟ وما أعجب أذنك الكبيرة هذه؟!

– حتى أستطيع أن أسمعك جيدًا يا بنيتي.

– وما أعجب عينيك الكبيرتين؟!

– حتى أستطيع أن أراك جيدًا.

- جدتي، ما أغرب يديك الكبيرتين؟!

- حتى أستطيع أن أمسك بك بقوةٍ.

- ولكن يا جدتي، وما لفمك الكبير المخيف هذا؟!

- حتى أستطيع أن ألتهمك.

ولم يكد الذئب يتم كلامه هذا حتى قفز من السرير، وانقضّ على ذات القبعة الحمراء المسكينة، والتهمها هي الأخرى، ثم رقد في السرير مرةً أخرى ونام.

وبعد قليل مر صيادٌ، وأراد أن يرى كيف حال الجدة، فدخل الحجرة، ولما اقترب من السرير وجد الذئب راقدًا فيه، وهو ممتلئ البطن، وفي نومٍ عميقٍ، فأخذ مقصًا، وبدأ يقص بطن الذئب، وبمجرد أن فتح بطنه خرجت ذات القبعة الحمراء وكذلك الجدة وهما لا يزالان على قيد الحياة، وبسرعةٍ شديدةٍ أحضروا بعض الأحجار، وملئوا بها بطن الذئب، ثم خيطوا بطنه مرةً أخرى.

ولما استيقظ الذئب أراد أن ينهض من السرير ويقفز كالمعتاد، ولكن الأحجار كانت ثقيلةً جدًا لدرجة أنه سقط في الحال ومات.

وعندئذٍ فرح الثلاثة جميعًا بموت الذئب الشرير، وأكلوا الفطائر معًا وشربوا العصير، وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

الفلاح والملاح... أسطورة شعبية من ألمانيا

كان هناك فلاحٌ لا تعجبه شجاعة البحارة والملاحين، بل وكان يعتبرها حماقة وليست من الشجاعة في شيء، فهم يأتمنون خشبًا ضعيفًا على أجسامهم ونفوسهم، وغالبًا ما يفقدون كل شيء إذا اصطدمت سفنهم بصخور البحر القوية، ولذلك سأل ملاحًا أين مات أبوه، فقال الملاح: في البحر، فسأل الفلاح ثانيةً: وأين مات جدك وأبوه؟ فقال الملاح: في البحر أيضًا. فرد عليه الفلاح مستنكرًا: أفي البحر أيضًا؟! وكيف تستطيع أنت الآخر أن تكون أحمق إلى مثل هذا الحد، وتسلم نفسك للبحر الذي أخذ أباك وجدك وجد جدك؟! فقال الملاح: وأنت، أين مات أبوك وجدك؟ فرد الفلاح قائلًا: على السرير. فقال الملاح: ولم تكون أحمق إلى هذا الحد حتى أنك تنام كل ليلةٍ على السرير، الذي مات عليه أبوك وجدك؟! اسمع أيها الفلاح: لا يهم أين يموت الإنسان، المهم أن يموت على طاعة الله.

العصافير... أسطورة شعبية من ألمانيا

ذات مرة تم ترميم بناء قديم كان به شقوقٌ وفجواتٌ كثيرةٌ وفر العديد من الأعشاش للعصافير، ولما ظهر البناء في رونقه الجديد عادت العصافير لتبحث عن مساكنها القديمة، ولكنها لم تجدها، بل وجدت كل الشقوق والفجوات مُغلقةً بمواد البناء، فصرخت العصافير قائلةً: ما الفائدة الآن من هذا البناء الضخم يا تُرى؟! تعالوا، واتركوا هذا التل من الأحجار العديمة النفع..

الضفدع والفأر... أسطورة شعبية من ألمانيا

كان هناك فأرٌ يريد أن يعبر نهرًا، ولكنه لم يكن يجيد السباحة، فذهب إلى ضفدعٍ، وطلب منه أن ينصحه ويساعده، ولكن الضفدع كان خبيثًا وشريرًا، فقال للفأر: اربط رجلك برجلي، وسأسبح بك هكذا حتى أعبر بك النهر.

فاتفقا على ذلك، ولما أصبح في داخل الماء غطس الضفدع تحت الماء، وأراد بذلك أن يُغرق الفأر، وبينما كان الفأر يبذل كل جهده ويكافح من أجل إنقاذ حياته كان طائر الرُّخ يطير نحوهما، فأمسك الطائرُ بالفأر وأخرجه من الماء، وشد معه أيضًا الضفدع المربوط مع الفأر، ثم التهمهما معًا.

الفلاح والشيطان... أسطورة شعبية من ألمانيا

في يومٍ من الأيام كان هناك فلاحٌ يعمل في حقله، وبعد ذلك أراد أن يعودَ إلى بيته حيث كانت الشمس قد غربت، وعندئذ لاحظ وجود كوم من الفحم المشتعل في منتصف الفحم، فتوجه إليه وهو متعجبٌ جدًا، فوجد شيطانًا أسود وقصيرًا جالسًا على وهج نار الفحم، فسأله الفلاح قائلًا: يبدو هكذا أنك جالسٌ على كنز؟

فأجاب الشيطان: نعم، أجلس على كنز أكثره من الذهب والفضة لم ترَ مثله في حياتك من قبل.

فقال الفلاح: ولكن هذا الكنز موجودٌ في حقلي، وعلى ذلك فهو من حقي.

فقال الشيطان: إذن سيكون من نصيبك على أن تعطيني لمدة عامين نصف المحصول الذي ينتجه حقلك، فأنا لدي من المال ما يكفيني، ولكني أشتهي أن آكل من ثمار الأرض. فوافق الفلاح على ذلك، وقال له: وحتى لا ينشأ بيني وبينك خلافٌ عند التقسيم فإن لك

ما فوق سطح الأرض، ولي ما تحت سطح الأرض. فحاز هذا الاقتراح على إعجاب الشيطان، وكان الفلاح الذكي قد زرع بطاطس.

ولما حان وقت الحصاد جاء الشيطان، وأرد أن يأخذ نصيبه من المحصول، ولكنه لم يجد شيئًا سوى أوراقًا صفراء، أما الفلاح فكان يحفر في الأرض بسعادةٍ بالغةٍ ليستخرج نصيبه من محصول البطاطس.

فقال الشيطان: لقد أخذت الفائدة والمنفعة كلها من المحصول في هذه المرة، ولكن ذلك لن يكون أبدًا في المرة القادمة، بل سيكون لك ما فوق الأرض، ولي ما تحت الأرض.

فلما جاء الربيع لم يزرع الفلاح بطاطس مرةً أخرى، بل زرع قمحًا، وبعد ذلك نضج المحصول، فذهب الفلاح إلى الحقل، وجني سنابل القمح حتى سطح الأرض، وترك الجذور في مكانها تحت سطح الأرض، فلما جاء الشيطان لم يجد شيئًا سوى الجذور، فغضب ورجع إلى جهنم غاضبًا، فضحك الفلاح، وقال: هذا ما يجب أن يكون في مثل هذه الظروف والأحوال، ثم ذهب واستخرج الكنز.

القصر... أسطورة شعبية من ألمانيا

ذات مرة بنى أحد الملوك واحدًا من أكبر وأفخم القصور، وذي عددٍ لا يُعد ولا يُحصى من الحجرات، ولكنه لم يكن لهذا القصر إلا بوابة واحدة مفتوحة، ولما كان البناء قد انتهى، أعلن أنه على جميع الأمراء الحضور أمام الملك، الذي كان يجلس على عرشه في آخر حجرةٍ من حجرات القصر، ولكنهم لما دخلوا القصر رأوا أن كل الأبواب مفتوحةً على كل الجهات، ومن هذه الأبواب المفتوحة تقود بعض الممرات المتعرجة إلى أماكن بعيدةٍ جدًا، ثم تنتهي هذه الممرات إلى الأبواب مرة أخرى، ولا توجد نهاية أو هدف تلوح أمام عيونهم الحائرة، وعندئذٍ جاء ابن الملك، فرأى أن كل التيه مجرد سراب، واستطاع أن يرى والده وهو جالس أمامه في البهو.

بنات شجرة البرتقال... أسطورة شعبية من فرنسا

كان يا ما كان في قديم الزمان، ملك مرض ولده فجأة مرضًا خطيرًا فقال: لئن شفي ولدي من مرضه لأملأن بئرًا في حديقة عسلًا وزبدًا ليغرف الفقراء منها ما يشاءون. وبعد أيام عدة شفي الأمير، فملئت البئر عسلًا وزبدًا بأمر الملك، ولما علمت عجوز فقيرة أن كل

الناس في إمكانهم الذهاب والاغتراف من العسل والزبد بادرت بالذهاب إلى البئر وما معها سوى قشرة بيضة، وحين لمحها الأمير المتماثل للشفاء من النافذة انفجر يضحك إذ رأى أنها لم تجلب معها سوى تلك القشرة، وما كان منه إلا أن أخذ قوسه وأرسل سهمًا كسرها به، فالتفتت العجوز إليه وخاطبته تقول: يا بني بما أنك حاذق في الرمي بالسهام فالواجب أن ترحل لغزو بنت شجرة البرتقال، فسألها الأمير: ماذا تعنين؟ قالت: هناك شجرة برتقال تتوسط حديقة في بلاد الجن، وفي قلب كل حبة برتقال فتاة جميلة، إلا أن ألوف الجن يحرسون تلك الشجرة لذا لم ينجح أي شخص في قطف ولو حبة منها؛ لأنهم ينقضون على من يريد أخذ أي حبة ويذبحونه بلا رحمة. قال الأمير: أنا أهل لهذه المأثرة.

ورمى إلى العجوز قطعة ذهبية فقالت له: إذا كنت حقًا تريد أن تقدم على هذه المغامرة فاحذر أتم الحذر قطف حبات البرتقال بيدك، ولا تنس أن تأخذ معك على كل حال حفنة ملح وعلبة دبابيس، ففيهما فائدة كبيرة لك.

شكر الأمير العجوز على نصائحها، وفي الغد، قبل طلوع الشمس، ركب جواده وارتحل سريع الخطى، وبعد ترحال طال عدة أيام بلغ بلاد الجن، فقيد جواده إلى شجرة، ووفق إلى ولوج حديقة البرتقال دون أن يلمحه أحد من الجن الذين كانوا في نوم عميق. دنا من الشجرة متلطفًا واقتطف منها حبة مستعملًا مقصًا حديديًا، فسُمِع صوتٌ في الحال يقول: إنه يقطف! إنه يقطف! فسأل جني دون أن يصحو تمامًا: من الذي يقطف؟ قال الصوت: الحديد. رد الجني: حماقة! الحديد لا يمكنه أن يقطف. وتابع نومه، قطف الأمير برتقالة أخرى مستعملًا هذه المرة عصا، فصرخ الصوت: إنه يقطف! إنه يقطف! سأل الجني دون أن يفتح عينيه: من الذي يقطف؟ أجاب الصوت: الخشب، غمغم الجني: حماقة! الخشب لا يمكنه أن يقطف، وعاود نومه.

وهكذا استطاع الأمير قطف ست برتقالات، إلا إنه ازداد جرأة فقطف السابعة بيده فصرخ الصوت: إنه يقطف فسُئل: من يقطف؟! فرد: اليد وعندئذٍ صحا كل الجن وأرادوا الانقضاض على السارق، إلا إنه وثب بحيوية على ظهر جواده وفر سريع الخطى، كان الجن أسرع من الحصان، وفي الحال أدرك الأمير أنه غير قادر على الإفلات منهم فأسقط وراءه علبة الدبابيس التي جلبها معه حسب مشورة العجوز، وفي ثانية احتشدت تلك الدبابيس وانتصبت حاجزًا في درب المطاردين.

شعر الجن بأنهم ملزمون بقطع ذلك الحاجز، بيد أن الدبابيس كست أجسادهم خدوشًا، وإن نجحوا في الاقتراب من السارق الآبق، ولحظتها أسقط وراءه حفنة الملح التي أحضرها معه وفق مشورة العجوز، صارت تلك الحفنة جدارًا رغب الجن في اجتيازه غير أن الملح اخترق خدوشهم فماتوا كلهم محترقين. وحالما تخلص الأمير من متعقبيه تابع دربه مشي الهوينى، حتى إذا بلغ أبواب مدينته ترجل على شط النهر وشق حبة برتقال، فرأى فتاة تخرج منها في فيض ابتهاج صائحة:ارحمني، هبني ماء وخبزًا! فلم يقدر الأمير على وهبها شيء، فشحب وجهها وهوت ميتة، إن كل حبة برتقال شقها كانت تهب الحياة لفتاة فتانة الحسن ماتت حالما طلبت الماء والخبز. عند ذاك اتخذ الأمير احترازاته قبل أن يشق الحبة السابعة، فحط فوق صخرة إناء مملوءًا ماء وحط جواره شريحة خبز، فلما خرجت الفتاة السابعة من الحبة المشقوقة مد لها ما طلبته، فكتبت لها الحياة. نظر الأمير إليها فرآها أخاذة الحسن إلا أنها تلبس ثوبًا أسود، فسألها: لم تلبسين ثوبًا أسود؟ أجابت محزونة: حدادًا على أخواتي الست، فواساها أصدق المواساة وقال لها: سأعود إلى قصر والدي الملك لأخبره بوصول خطيبتي، وليعدوا لها استقبالًا يليق بها، وبعد ثلاثة أيام سأعود لإحضارك، تسلقي هذه الشجرة في انتظاري! قال ذلك وابتعد عنها.

كانت فتاة مسرفة الدمامة تعمل خادمة في قرية مجاورة اعتادت القدوم لجلب الماء من النهر، وأثناء امتياحها الماء نهار ذاك اليوم رأت وجهًا في حسن البدر تنعكس صورته في صفحة الماء، فخالت تلك الصورة انعكاسًا لوجهها هي، فكسرت جرتها وعادت مختالة إلى منزل مخدوميها، قالت لسيدتها: لم أعمل عندك وأنا في كمال الحسن وأنت في كمال القبح؟!

لم تصدق السيدة سمعها في البدء أمام هذه الإساءة الكبيرة، فأخذت مرآة وأبانت للخادمة وجهها الحقيقي، فاستشعرت هذه المهانة، ورجعت إلى النهر لترى ثانية وجهًا في حلاوة طلعة البدر، قالت: لا أفهم شيئًا! في المنزل قبيحة، وعند النهر في بهاء البدر!

ولما سمعتها بنت شجرة البرتقال تتكلم على تلك الشاكلة انفجرت تضحك، هنالك أبصرت الخادمة من كانت تنتظر داخل الشجرة، فسألتها أن تراها بصورة أدنى، فأعانتها بنت شجرة البرتقال على تسلق الشجرة، فسألتها هذه حين رأت حسنها الأخاذ عمن تنتظره، فحدثتها بنت شجرة البرتقال دون حذر بكل ما حدث لها، استبدت غيرة مهولة بقلب الخادمة فلم تتردد في قتل بنت شجرة البرتقال، ونبذ جثتها في النهر إلا أن الدم الذي سال من

الضحية البائسة بِعِلّةِ تلك الغيرة المخبولة انبجس من الثرى شجيرة بديعة تحمل أزهارًا من ذهب، استقرت الخادمة في دخيلة الشجرة مطرح بنت شجرة البرتقال، وعاد الأمير بعد ثلاثة أيام مثلما وعد الفتاة يليه موكبه وسائر أعيان البلاد لإحضار خطيبته، ويا للهلع الذي دهاه حين رأى في الشجرة فتاة سوداء البشرة ذات دمامة مقززة! وإزاء الهلع والتقزز اللذين أبانهما الأمير قالت الخادمة في صوت جهدت ليكون رخيمًا: ألا تعرفني؟! أنا بنت شجرة البرتقال، وأنت ذهبت إلى قصر والدك الملك لتعلن خبر قدومي.

سأل الأمير: لم صار جسدك شديد السواد؟!

– أحرقتني الشمس في انتظارك.

– ما سبب شدة خشونة صوتك؟

– قدم غراب إلى الشجرة وشق لساني بمنقاره.

– أين غدائرك المديدة؟

– لم يمشطني أحد فسقطت.

لم يدر الأمير ما عساه يقول، ولم يستطع فهم كيف آلت الفتاة الفاتنة المحبوبة التي تركها هنا إلى هذه البشاعة، لكنه عزم على مواجهة حظه السيئ بطيبة قلبه، فأنزل الخادمة عن الشجرة، وسار بها إلى قصر والده حيث قدمها بوصفها زوجة المستقبل، وبعد أيام قدمت غسالة القصر لغسل الملابس على شط النهر حيث الشجرة الذهبية الأزهار، فراقها حسن تلك النبتة التي لم تعهد لها مشبهًا من قبل، فقطعت غصونًا منها لتزيين بيتها حتى إذا عادت إليه مساء وضعت تلك الغصون في مزهرية. وفي الغد ذهبت إلى عملها حسب العادة، ولما عادت في المساء ألفت حجرتها منظفة وطعامها معدًّا، وإذ عجزت عن تفسير ذلك اختبأت يومًا وراء ساتر لترى من الذي أساء لها هذه الإساءة الكبيرة. انتظرت لحظات ثم رأت أغصان الشجرة تنقلب فتاة فذة الجمال شرعت تنظف البيت وتعد الطعام، وحين تهيأت لترجع شجيرة خرجت الغسالة من مخبئها، وأمسكت بيدها وصاحت: أيتها الرائعة! قولي لي من تكونين؟

ردت المجهولة: بنت شجرة البرتقال. وحكت للمرأة كل ما وقع لها.

أحيانًا كانت بنت شجرة البرتقال تطلب من الغسالة ألا تنطق لها كلمة قصد تعليمها بل تترك لها كامل حريتها. تعلمت منها فن تطريز الثياب تطريزًا لا نظير لروعته، كانت الغسالة تحمل الثياب إلى السوق لبيعها، وبعد وقت يسير عرض بعض تلك الثياب على الخادمة التي حلت محل الفتاة الجميلة في قصر الملك، فأصرت في الحال صائحة صيحة مدوية بأنهم يجب أن يطرزوا لها ثيابًا جميلة أيضًا، وفي الغد دعا الأمير إلى القصر كل مطرزات اللؤلؤ في المدينة لتطريز ثياب لزوجة المستقبل، وحضرت إلى القصر أيضًا بنت شجرة البرتقال، ولما ألفت نفسها بين مطرزات اللؤلؤ الأخريات قالت لهن: اسمعنني جيدًا سأحكي لكنَّ قصة أثناء العمل، وشرعت تحكي قصتها فسمعتها الخادمة وعرفتها فامتلأت حنقًا، وتناولت هراوة لقتلها، حضر الأمير على الصراخ والصخب، فلما دخل القاعة التي تشتغل فيها النسوة المطرزات ارتمين كلهن على قدميه يسألنه حمايتهن من ثورة غضب الخادمة. أراد الأمير معرفة علة تلك المعركة الغريبة، فطلب من أجمل المطرزات أن تحكي قصتها، وقبل أن تنهيها عرف في شخصها خطيبته الحقيقية، فقادها داخل المقاصير الأميرية وبعد قليل تزوجها، أما الخادمة فشدت إلى ذيل بغل متوحش شرد بها إلى الصحراء، ومن يومها ما سمع لها أحد ذكرًا.

علي بابا والأربعين حرامي... أسطورة شعبية فارسية

يُحكى أنّه كان في بلاد فارس أخوان شقيقان، يُدعى الأكبر قاسمًا والثّاني علي بابا، كان والدهما تاجرًا من أغنياء التُّجار. ترك بعد موته ثروةً طائلةً مؤلّفةً من قصورٍ فخمةٍ ومالٍ وفيرٍ وأراضٍ واسعةٍ وبضائع ثمينةٍ، استولى قاسم على هذه الثّروة الكبيرة، وأصبح تاجرًا غنيًا، وترك أخاه علي بابا في فُقرٍ شديدٍ، بل كثيرًا ما كان يعامله معاملةً قاسيةً، لا رحمةً فيها ولا شفقةً.

وزاد في فقر علي بابا أنّه كان يعيل أسرةً كبيرةً مؤلّفةً من زوجةٍ وستة أولادٍ، وكان حطّابًا ماهرًا، يذهب كلّ صباحٍ إلى الغابة، فيقطع الأخشاب ثمّ يحملها على حماره ويعود إلى المدينة فيبيع الحطب ويشتري بثمنه طعامًا لأولاده.

وكعادته كلّ صباحٍ، انطلق علي بابا يومًا ومعه حماره الهزيل ليحتطب في الغابة، فإذا به يسمع ضجّةً شديدةً آتيةً من بعيدٍ، أخذت الأصوات تقترب وتعلو، فخاف وارتبك فتسلّق شجرةً كثيفةً واختبأ بين أغصانها وأوراقها بعد أن خبأ الحمار في حفرةٍ مجاورةٍ، التفت علي بابا إلى مصدر الأصوات، فشاهد غبارًا يتصاعد إلى عنان السّماء، ثم انجلى هذا الغبار عن أربعين

فارسًا يتقدّمهم قائدهم، كان الفرسان يلبسون الثّياب الزّاهية الملوّنة ويمتطون خيولًا قويّةً أصيلةً، وفي أيديهم رماح لامعةٌ في أشعة الشّمس، وعلى خصورهم سيوفهم في أغمادها. وكان يبدو على هذه الجماعة مظاهر البَأسِ والقوّة، عندما وصل الفرسان إلى صخرةٍ كبيرةٍ في وسط الغابة، قُربَ شجرةٍ من أشجار جوز الهند، ترجّلوا عن خيولهم وتقدّم قائدهم وصاح بأعلى صوته مُخاطبًا الصّخرة: افتح يـا سمسم! يا لهول المفاجأة! لقد زلزلت الأرض وانشقت الصّخرة وثار غبارٌ في الجوّ، وعندما انجلى الغبار، ظهر مكان الصّخرة كهفٌ كبيرٌ، له باب واسع، دخل إليه القائد وتبعه الفُرسان بعد أن ربطوا خيولهم بجذوع الأشجار المجاورة، وما لبث الباب أن انغلق وراءهم.

مكث الفرسان في الكهف بعض الوقت ثم خرجوا وركبوا خيولهم ومضوا من حيث أتوا، حتّى غابوا عن الأنظار، بعد أن سمع علي بابا قائدهم ينادي بأعلى صوته: أغلق يـا سمسم!

نزل علي بابا من أعلى الشّجرة والدّهشة تكاد تعقد لسانه، وقف أمام الصّخرة يتأمّلها: هل من الممكن أن تتحرّك هذه الصّخرة الهائلة فور النّطق بهذه الجملة؟

نادى علي بابا بأعلى صوته: افتح يا سمسم!، فإذا بالصّخرة تنشقّ مرّةً ثانيةً عن كهفٍ كبيرٍ مُعتّم؛ فالتقط غُصنًا يابسًا وأشعله ليُنيرَ به طريقه داخل الكهف، دخل الكهف والخوف يتملّكه، فأخذ يتنقل من قاعةٍ إلى أخرى داخل الكهف حتّى وصل إلى قاعةٍ فسيحةٍ، وَجَد فيها كميّات لا تُحصى من الذّهب والفضّة والأحجار الكريمة والثياب المُزركشة. فَرَكَ علي بابا عينيه ليوقظ نفسه من الحلم الجميل، ولكنّه تأكد أنه لا يحلم، بل هو في الحقيقة داخل كهف هؤلاء الفرسان الذين هُم لصوص أشدّاء يُخبّئون ما يسرقون داخل هذا الكهف السّحري الكبير.

لم يُضيّع علي بابا الفرصة، بل أخذ يحشو جيوبه بما تصل إليه يداه من الذّهب والجواهر، ثم خرج ونادى بأعلى صوته: أغلق يا سمسم! أفرغ علي بابا جيوبه من المجوهرات الّتي استطاع الحصول عليها من مخبأ اللّصوص، ووضعها فوق ظهر حماره ثم غطّاها ببعض الحطب، وعاد إلى منزله ليُخبّئ كنزه في مكانٍ أمينٍ، عندما رأت زوجته كلّ هذه المجوهرات، عَقَدت الدّهشة لسانها واضطربت، وقالت له بصوتٍ غاضبٍ: من أين أتيت بهذه الجواهر الثّمينة، وكيف سرقتها؟

فأجابها علي بابا، وهو يُهدّئ من غضبها: أنا لم أسرق هذه الكنوز وإنّما عثرتُ عليها في كهف جماعة اللّصوص. ثم قصّ عليها قصّة الأربعين لصًا الذّين يُودِعُون ما يسرقونه في كهفٍ اتّخذوه في باطن الجبل في وسط الغابة.

هدأت زوجة علي بابا وانفرجت أساريرها وأرادت أن تعرف ما قيمة الثّروة التّي أصبحوا يملكونها الآن، ولكنّها لم تستطع أن تعدّ النّقود لكثرتها؛ ولهذا طلبت إلى زوجها أن يذهب إلى بيت أخيه قاسم ويستعير منه المِكيال لتزن به المجوهرات.

ذهب علي بابا إلى منزل أخيه قاسم وطلب إلى زوجة أخيه أن تعيره المكيال، استغربت زوجة قاسم هذا الطلب؛ لأنّها تعرف أنّ شقيق زوجها فقيرًا لا يملك شيئًا يزنه بالمكيال، دبّت الغيرة في قلب زوجة قاسم وقالت في نفسها: ماذا عساه يكيّل هذا الرّجل الفقير؟ لا بُدّ لي من معرفة ذلك، ثم مضت ووضعت في قعر المكيال شيئًا من العسل وأعطته إلى علي بابا، طالبةً إليه ألاّ يتأخّر بإعادته فور الانتهاء منه.

وزنت زوجة علي بابا الأحجار الكريمة والنّقود الذّهبية، ولشدّة سرورها لم تنتبه إلى العسل في قعر المكيال، ولم تنتبه إلى الأحجار الكريمة التي علِقَت في قعره أيضًا، ثمّ وجدت زوجة قاسمٍ في قعر المكيال القطع الكريمة العالقة، فدبّت الغيرة في قلبها.

ولّما جاء زوجها في المساء، أخبرته أنّ أخاه الفقير علي بابا أصبح يُكيّل الذّهب بمكيال الحُبوب، ثم أرته القطعة الثّمينة التي علقت في المكيال.

في الصّباح، قصد قاسم منزل أخيه علي بابا وأخذ يتودّد إليه على غير عادته، ويسأله عن الطّريقة التي حصل بها على الذّهب بعد أن كان حطّابًا بائسًا فقيرًا، لم يجد علي بابا أمام إلحاح أخيه قاسم بُدًّا من أن يخبره بكهف اللّصوص وكلمة السّر "افتح يا سمسم".

في صباح اليوم التّالي، ذهب قاسم قاصدًا كهف اللّصوص ومعه عشرة بغالٍ مُحمّلة بصناديق فارغةٍ لكي يملأها بشتى الجواهر والأحجار الغالية، وقف قاسم أمام الصّخرة ونادي بأعلى صوته: افتح يا سمسم! فإذا بالصّخرة تنشقّ عن كهفٍ عظيمٍ. دخل قاسم ودوابه إلى قاعة المجوهرات، فبَهَر عينيه بريق الجواهر، وأحسّ بالذّهول ولم يشعر بباب الصّخرة وهو يغلق وراءه، بل اندفع إلى الدّاخل يجمع كلّ ما تستطيع يداه أن تصل إليه ويضعه في الصّناديق التّي أعدّها لهذه الغاية.

لمّا امتلأت الصّناديق بالكنوز النّادرة، ساق دوابه نحو الصّخرة ليخرج، لكنّه وقف أمامها حائرًا، فقد أنساه جشعه كلمة السّر "افتح يا سمسم". فأخذ يُنادي: افتح يا شعير، افتح يا حمّص، افتح يا قمح، ولكن من دون جدوى، فقد ظلّت الصّخرة مغلقةً، فدبّ الخوف إلى قلبه وأقلقه الهمّ والجزع، وأخذت نفسه تحدّثه بسوء العاقبة بعدما أوصله الطّمع إلى هذا المصير المُؤلم.

مضى عليه وقت ليس بالقصير، وإذا به يسمع وقع حوافر خيول اللّصوص وقد عادوا إلى كهفهم، وصوت قائدهم يُدوي في الخارج: افتح يا سمسم.

فتذكّر عندئذٍ كلمة السّر، ولكن بعد فوات الأوان، وارتعدت فرائصه فانزوى في أحد أركان الكهف، ولكن كيف يستطيع النّجاة، وبغاله المحمّلة بالنفائس الغالية ما تزال في مكانها داخل الكهف؟

ما كاد اللّصوص يرون قاسمًا وبغاله داخل كهفهم حتّى ثار فيهم الغضب، فقبضوا عليه وأعملوا فيه سيوفهم ولم يتركوه إلاّ جثّةً هامدةً مقطوعة الذّراعين. عندئذ أمرهم قائدهم بوضع الجثّة على باب الكهف ليكون عبرةً لغيره مِمّن تُحدّثه نفسه باقتحام مخبئهم.

طالت غيبة قاسم عن المنزل، فقلقت زوجته وخافت أن يكون قد مسّه سوء أودى بحياته. فذهبت إلى منزل أخيه علي بابا تشكو له مخاوفها، فطمأنها علي بابا وقال لها: سأذهب في الصّباح الباكر إلى الغابة لاستجلاء الأمر.

استيقظ علي بابا باكرًا وذهب إلى كهف اللّصوص، ويا لهول المفاجأة، لقد رأى أخاه جثّةً هامدةً عند باب الكهف، رفع علي بابا جثّة أخيه ووضعها على ظهر حماره بعد أن غطّاها بالحطب وعاد إلى المنزل حزينًا.

ما كادت زوجة قاسم ترى جثّة زوجها حتّى أصابها الذّهول وصارت تبكي بحرقةٍ وألمٍ، فأخذ علي بابا وزوجته يُخفّفان عنها ويحثّانها على الصّبر والتسليم بقضاء الله وقدره، ثم راحوا يفكّرون في طريقةٍ لدفن الجثة المُقطّعة من دون أن يثيروا فضول النّاس، ويصل الخبر إلى اللّصوص.

كان لدى قاسم جارية ماهرة ذكيّة الفؤاد تُدعى مرجانة، وقد أدركت حيرة أهل البيت وقلقهم، فأخبرتهم بأنّها تستطيع أن تصل الذّراعين بالجثة وتخيطهما من دون أن تثير الشكّ في نفوس النّاس.

ذهبت مرجانة باكرًا إلى سوق الخيّاطين، فشاهدت خيّاطًا يُدعى مصطفى يرتقُ ثوبًا على باب دكّانه، فحيّته وسألته بلطفٍ: كم تربح في اليوم من عملك هذا؟ فأجابها الخيّاط: إنّي أربح دينارين.

فاقتربت منه وقالت له: إنّي مستعدّة أن أعطيك عشرة دنانيرٍ إذا ذهبت إلى البيت لتخيط لي شيئًا عزيزًا عليّ.

فَرِحَ الخيّاط بهذا الرّبح الوفير، ثم قام وأغلق باب دكّانه وسار وراء الجارية مرجانة التي لم تكد تبتعد قليلًا حتّى أخرجت منديلًا وعصبت عينيه لئلا يهتدي إلى مكان البيت، خاط مصطفى الخيّاط جثة قاسم ثم عاد إلى دكانه فرحًا بما أخذه من مالٍ، في حين كان علي بابا وزوجة أخيه يقومون بدفن الجثّة.

عاد اللّصوص إلى المغارة مساءً، وكم كانت دهشتهم كبيرة حين لم يجدوا أثرًا لجثّة قاسم، فغضبوا وثاروا وعلموا أنّ له شريكًا يعرف مخبأهم السّريّ هذا.

بينما كانت مرجانة عائدةً من السّوق، رأت علامةً بالطّباشير على باب المنزل، فأدركت أنّ اللّصوص اهتدوا إلى المنزل، فأسرعت وأحضرت قطعةً من الطّباشير ووضعت على أبواب جميع المنازل المجاورة علامةً مماثلةً.

جاء اللّصوص لتنفيذ خطّتهم وقتل علي بابا، ولكنّهم أخفقوا. فقد وجدوا منازل الحيّ جميعها تحمل تلك الإشارة المميّزة، فعادوا يجرّون أذيال الخيبة، وأخبروا رئيسهم بذلك، فغضب غضبًا شديدًا، ثمّ أخرج سيفه وضرب به عنق لص منهم فأرداه قتيلًا، ثم ذهب بنفسه مُتنكّرًا وأعاد الكرّة مع الخيّاط مصطفى حتى اهتدى إلى منزل قاسم.

أعدّ رئيس اللّصوص خطّته للتّخلص من علي بابا، فأحضر أربعين خابيةٍ كبيرةٍ وأمر كلّ لصٍ أن يختبئ في خابيةٍ وخنجره بين أسنانه، وقال لهم: عندما أقوم بإشارةٍ مُعيّنةٍ تخرجون من مخابئكم وتهجمون على الرجّل ومَن يكون عنده، وتفتكون بهم من غير شفقةٍ أو رحمةٍ.

ملأ خابية اللّص المقتول زيتًا، ثم سدّ الخوابي كلّها سدًا مُحكمًا، وحمّلها على عربةٍ كبيرةٍ يجرّها جوادٌ، وسار معها بعد أن تنكّر بزيّ التُّجار الغُرباء حتّى وصل إلى منزل علي بابا، وقت الغروب، قَرَعَ قائد اللّصوص باب منزل علي بابا ورجاه أن ينزل في ضيافته بعد أن دهمه الظّلام، لاسيّما وأنّه تاجرٌ غريبٌ لم يسبق له أن زار هذه المدينة من قبل.

رحّب به علي بابا ودعاه إلى النّزول في ضيافته، ثم نقلوا الخوابي بمساعدة الخدم إلى فناء الدّار بعد أن رُصَّت إلى جانب بعضها باعتناءٍ وترتيبٍ.

انصرفت مرجانة إلى المطبخ لإعداد الطّعام، فوجدت أن المصابيح في حاجةٍ لأن تُملأ بالزّيت. ولمّا لم تجد في البيت زيتًا، ذهبت إلى الفناء لأخذ بعض الزّيت من إحدى الخوابي. وكم كانت دهشتها عظيمةً حينما فتحت إحدى الخوابي فوجدت في داخلها رجلًا تظهر عليه إمارات الشّراسة، وقد حمل خنجرًا بين أسنانه. فأسرعت وغطّت فوهة الخابية لكيّ لا يتمكّن الرّجل من الخروج. ثم راحت تدقّ على كلّ خابيةٍ دقًا خفيفًا فتسمعُ همسًا رقيقًا، حتّى وصلت إلى الخابية الأخيرة ففتحتها فوجدت فيها زيتًا.

عندما أدركت مرجانة أن الزّيت قد اشتدّ غليانه، استأذنت ودخلت إلى المطبخ ثم أحضرت وعاءً ملأته زيتًا مغليًا، وذهبت إلى الفناء، ففتحت الخوابي وصبّت فيها الزّيت المغلي. وكانت كلّما صبّت في خابيةٍ زيتًا سمعت الرّجل يصرخُ من الألم، ثم يخبو صوته ويختفي حتّى قضت على جميع اللّصوص حرقًا بالزّيت.

عادت مرجانة إلى قاعة الاستقبال، وراحت ترقص وقد أمسكت بيديها الاثنتين خنجرًا حادًا وراحت تتمايل كأنّها تُحيّي الضّيوف. وفجأةً، انقضّت على رئيس اللّصوص وطعنته طعنةً قاتلةً، فارتمى على الأرض لا حراك به.

دُهش علي بابا، وصَرَخ في مرجانة: لماذا قتلتِ ضيفي يا جارية السّوء؟ فأجابت مرجانة: أنا لم أقتل ضيفك، وإنّما قتلت زعيم اللّصوص، ثمّ قصّت على الحاضرين ما فعلَت وأخبرتهم أنّها قتلت أيضًا رجاله التّسعة والثلاثين، وهم مُختبئون في خوابي الزّيت. ابتهج الحاضرون بذكاء مرجانة وحُسن تصرّفها، وكان الابتهاج أعظم وأكبر عندما زوّج علي بابا الجارية الذّكية الشّجاعة من ابنه الكبير، عرفانًا منه بفضلها وحُسنِ تصرّفها.

خطاف رفاي (خاطف النساء)... أسطورة شعبية من الإمارات

يحكي أنه في الليل يظهر مخلوق مخيف في البحر على شكل زورق له عدة أشرعة، وله أطراف تساعده على اللحاق بضحاياه إلى البر يدعى خطاف رفاي، ودائمًا يحمل بيده حبل يلوح به بيديه، محاولًا اختطاف من يراه أمامه وخاصة النساء اللواتي يخرجن من البيت ليلًا، لقضاء بعض الحاجات، وغالبًا ما يفشل في مسعاه، بسبب هروب النساء وقراءتهن آيات من القرآن الكريم، وهو لا يخاف إلا من الرجال وخاصة الأقوياء منهم، أو عندما يكونون في مجموعة، كانت هناك مجموعة من النساء تسير خارجًا في المساء، عندما اعترض طريقهن شبح أسود، تحول فجأة إلى قارب، ولما حاول أن يمسك بهن، بدأن بالصراخ والركض إلى أن وصلن إلى البيوت القريبة، وقد سمع صراخهن وطلبهن للنجدة أحد الرجال فخرج من منزله واستطاع أن يمسك الحبل الذي كان بيد خطاف رفاي ويأخذه منه، ولكن الشبح تمكن من الهرب وترك الحبل خلفه، ولكونه لا يستطيع العيش بدون الحبل، فقد عاد في الليل إلى منزل الرجل متوسلًا أن يعيده إليه، وواعدًا إياه بعدم الظهور ثانية في هذا المكان إن أعاد له الحبل، فصدقه الرجل وأعاد إليه الحبل، وبالفعل لم يشاهده أحد منذ ذلك الوقت[1].

بو درياه (أبو البحر)... أسطورة شعبية من الإمارات

استيقظ جاسر من نومه مذعورًا خائفًا على أخيه حامد، فقد تحسس مكان نومه على الشاطئ فلم يجده، هل معقول هذا؟ هل يمكن أن يفعلها حامد بمفرده؟ لا أظن فحامد يسمع كلامى ولا ينزل البحر إلا معى، لابد أنه ذهب لقضاء حاجته وسيعود في الحال، كان جاسر يتكلم مع نفسه وهو يتمشى على شاطئ البحر، ومضى وقت طويل ولم يعد حامد مما زاد مخاوف جاسر من أن يكون حامد قد نزل البحر بمفرده لصيد اللؤلؤ، لازال في الليل ساعة ولم يخرج حامدًا من البحر، طيب بس لما تطلع هوريك هكذا كان جاسر يتحدث مع نفسه، ومضت الساعة ولم يظهر حامد ولم تظهر له أى علامات على ظهوره، أسرع جاسر إلى كبير الصيادين وأخبره أن حامد كان ينام بجواره وبحث عنه ولم يجده، قال له كبير الصيادين: ولماذا لم تخبرنى من الأول، حتى يكون لدينا الوقت الكافى للبحث عنه، لقد أخطأت يا جاسر

(١) واحدة من القصص النموذجية، التي استخدمها الأهالي لإبقاء أولادهم، بعيدًا عن المتاعب، بتخويفهم من الاختطاف على يد مخلوق شيطاني مرعب هو "خطاف رفاي".

أنت تعلم أن نزول البحر فيه خطر على من يكون بمفرده، فهناك الأسماك المتوحشة التى تهاجمنا، وعندما نكون سويًّا نستطيع التغلب عليها، هل نسيت العام الماضى عندما هاجمتنا وفقد أحد الصيادين ذراعه؟ الأمر خطير، قال له جاسر: لقد خوفتنى على أخى حامد آآآآه يا حامد أين أنت الآن يا أخى، قال له الريس منصور: تماسك يا جاسر، ولا تفعل هذا الأمر الذى تفعله النساء، أنت رجل فكن متماسكًا أكثر من هذا ولا تلعب بأعصابى وأعصاب الصيادين حتى نتمكن من البحث يا رجل عن أخيك، قال له جاسر: وماذا سنفعل الآن يا ريس؟! اجمع الصيادين يا جاسر حتى نسألهم عن أخيك ربما شاهده أحد منهم وهو ينزل إلى البحر، قال أحد الصياين: ربما ذهب إلى البيت ياريس! هل أنت متأكد من ذلك؟! لا ولكنه مجرد احتمال، نحن لا نريد احتمالات، يا رجاله من يعرف شيئا عن حامد يجي جنبى هنا ويقولى، شق الصفوف صياد تظهر على ملامحه ريشة الزمن فقد رسم الزمن على وجهه تجاعيد كثيرة وإنحناءات يرتدى جلبابه الذى رفعه على وسطه وربطه بحزام من القماش يرتدى عمامة لفت بإحكام يدخن سيجارته بشرهٍ قائلًا: وأنا نايم سمعت صوت حامد فيما يشبه الحلم يستغيث ويقول إلحقونى إلحقونى إلحقونى فظننت أننى أحلم وبعدها نمت نومًا عميقًا، قال الريس منصور هيا يا رجالة لا داعى لهذه الخزعبلات كل مجموعة تذهب إلى جهة وتبحث عن أى شيء يدلنا عليه، لم يطل البحث كثيرًا حتى عادت تلك المجموعات سريعًا، قال لهم الريس منصور: ماذا وجدتم يا رجالة؟!

رد أحدهم: وجدت حذاءه ياريس وعليه آثار الدماء، وقال الثانى: بالقرب من صديقى الذى وجد الحذاء وجدت هذا الشال وأظن أنه شال حامد، نظر الريس منصور إلى الشال وإذا به مضرج بالدماء، تساءل قائلًا: معقول تكون هذه الدماء هى دماء حامد؟!

وما إن سمع جاسر هذه الكلمات من الريس منصور حتى انتابه الجنون وبدأ يصرخ كالمجنون قائلًا: أين أنت يا حامد؟! أين أنت يا أخى؟! جلس الريس حامد على شاطئ البحر وبدأ يفكر في الأمر، ولكنه لم يصل إلى شيء، وذهب كل لحال سبيله يبحث عن رزقه بينما ظل اختفاء حامد لغزًا يحير الجميع.

رجع الصيادون من البحر على مراكبهم ولكن هذه المرة بدى الأمر مختلفًا فقد رجعوا مبكرين وخائفين وكأن اختفاء حامد ألقى بنحسه عليهم جميعًا، فقد فقدوا أحد الصيادين ومركبه في عرض البحر، قال لهم الريس منصور: ماذا حدث؟!

قال أحد الصيادين: كنا في سعادة برزق اليوم، وكنا نغنى ونحن عائدين من عرض البحر، وفجأة سمعنا شخصًا لم نتبين ملامحه يصرخ ويقول: أنقذونى أنقذونى أنقذونى أنقذونى، فنزل إليه أحد الصيادين لينقذه، وماذا بعد.. هكذا تكلم الريس منصور قال أحد الصيادين: وانتظرناه يخرج فلم يخرج وبعد فترة وجيزة من الزمن لاحظنا العجب العجاب، انتشرت الدماء على صفحة الماء ولم يبن له أى أثر، وما هى إلا لحظات حتى وجدنا مركبه ينقلب من تلقاء نفسه ويغوص في وسط البحر، فرجعنا مسرعين خائفين ومذعورين، قال الريس منصور: الله أكبر الآن عرفت من السبب في هذه الكوارث التى حلت بنا، نظر إليه الصيادين مذهولين، يقول أحد الصيادين إنها اللعنة ياريس منصور، يرد منصور قائلا: ولا لعنة ولا شيء، إنه بو درياه، هذا الجنى اللعين الذى خطف أخو جاسر من بين ظهرانينا، وقتل الصياد وأغرق مركبه، هكذا حكى لى جدى والظاهر أن الأمر بدأ يتكرر ويبدأ بو درياه يظهر من جديد بعد أن نسيناه ونسينا قصصه الدامية، قال أحد الصيادين: وماذا سنفعل الآن ياريس منصور؟!

قال الريس منصور: الأمر غاية في البساطة، أولًا يجب أن نكون منتبهين لقدوم هذا الجنى اللعين، فهو له صوت غريب وأحيانًا ينادى على أحدكم بصوت نسائى ناعم، فلا تستجيبوا له، وارفعوا أصواتكم كأنكم تنادون عليّ أن أحضر المنشار والقدوم يا ريس منصور، وعندها سيهرب ولن يعود إلا في اليوم الثانى، قال أحد الصياين: ونحن في البحر ماذا نفعل ياريس؟!!

قال لهم الريس منصور: وأنتم في البحر سيظهر لكم على هيئة شخص يستغيث من الغرق فلا تعيروه هتمامًا، واقرأوا ماتيسر من القرآن عندها سيختفى تمامًا(١).

سلامة وبناتها... أسطورة شعبية من الإمارات

يحكي أن إحدى السفن التي كانت تبحر من أحد الموانئ إلى الهند مارة بمضيق هرمز، تعرضت لدوامات شديدة في عرض البحر وكادت تغرق، فقال ربان السفينة للركاب أن

(١)ينتمي "بابا درياه" إلى عالم الجن، وقد عرفت عنه حكايات الرعب والايذاء بين سكان الإمارات الذين يعيشون على ساحل البحر، وخصوصًا من قبل البحارة والصيادين وغواصي اللؤلؤ، أما اسمه فيعني في الفارسية "أبو البحر" مما يدل على أن منشأ الاسطورة فارسي.ويبدو أن الأهالي استخدموا هذه الحكاية لتخويف أولادهم وخاصة الشباب، وذلك لمنعهم من الذهاب ليلًا إلى البحر.

هناك جنية ضخمة في قاع البحر ومعها بناتها يعانين من الجوع، ويمكن استرضاؤها إذا رمى كل راكب شيئًا مما يحمله لتسد به جوعها وتشبع، وبالفعل قام الركاب الخائفون على حياتهم برمي ممتلكاتهم عملًا بنصيحته، مما جعل السفينة أخف وسهل حركتها، وعلى الرغم من الأمواج العاتية، نجت السفينة من الغرق وتمكنت من عبور المضيق إلى المحيط الهندي، وهذا ما عزز صدق رواية الربان، وهكذا انتشرت الحكاية وتناقلها سكان الساحل، وباتوا يحملون معهم الماعز والأغنام لإطعام سلامة وبناتها، من أجل أن تترك السفن وركابها يمرون دون أن تتعرض لهم[1].

أم الدويس... أسطورة شعبية من الإمارات

يحكى أن أم الدويس امرأة شديدة الجمال، ولكن من يدقق النظر فيها يلاحظ أن لها عينًا قط تميزها عن الإنسان، وهي في مقتبل العمر، تشبه القمر في ليلة البدر، شعرها طويل منسدل على كتفيها وجمالها آسر لا يقاوم، تفوح من جسمها رائحة المسك والعنبر، وتتزين بالذهب، صوتها ناعم لا يستطيع الرجال مقاومته، عندما تصادفهم تطلب منهم أن يتبعوها، وما إن يصبحوا أمامها حتى تتحول إلى عجوز مرعبة، تقتل كل من انجذب إليها[2].

---

(١)تعود جذور هذه الحكاية إلى الصعوبات التي كان البحارة يواجهونها عند عبورهم مضيق هرمز نتيجة كونه ممرًا ضيقًا يقع بين الخليج العربي والمحيط الهندي، وتحيط به الجبال والمنحدرات العالية، التي تؤدي إلى زيادة حركة المد والجزر والأمواج العالية، التي تسبب اضطراب المياه وحدوث الدوامات مما يهدد سلامة السفن المارة ويعرضها للغرق، ولابد أن الخوف من الأمواج العاتية في هرمز قد أثارت خيال البحارة مما أدى إلى نسج القصص الخرافية، ومنها سلامة وبناتها. وتزعم الحكاية أن سلامة جنية عملاقة تسكن مع بناتها في قاع البحار في منطقة مضيق هرمز، وما إن تلمح سفينة قادمة حتى تبدأ في الدوران حول نفسها بقوة، فتتشكل الأمواج العاتية والدوامات البحرية التي تسحب السفن بقوة وتغرقها بمن فيها، وكعادة كل الخرافات التي تشير إلى تقديم القرابين، يقوم البحارة وركاب السفن عندما يصلون إلى مضيق هرمز ويشعرون باقتراب الدوامة بإلقاء الأغنام والماعز التي يحضرونها خصيصًا لهذ الغاية في المياه على أمل أن تشبع جوع سلامة وبناتها فتتركهم وشأنهم.

(٢)هذه الحكاية هي النسخة الإماراتية من حكاية تنتشر في معظم ثقافات الشعوب وتدعو إلى مقاومة كل الإغراءات مهما كانت جاذبيتها لأنها تقود إلى التهلكة، ويطلق لقب أم الدويس اليوم في الإمارات على كل امرأة تكثر من الزينة والعطور، وكأنها تقصد بها إغواء الرجال، كما أنها أصبحت رمزًا للجمال والقبح في آن= معًا، وباتت تستخدم لتخويف الأطفال إذا ما أساؤوا التصرف والسلوك، وهذه قصة من أقدم القصص النمطية التي تنتشر في كل المجتمعات وتعكس خوف وقلق الزوجات من النساء الجميلات اللواتي يشكلن بجاذبيتهن تهديدًا للاستقرار العائلي، كما تصور الحكاية أن الجمال الخارجي يمكن أن يخفي وراءه شرًا كامنًا، وخاصة عندما تستخدمه صاحبته لإغواء الآخرين بعيدا عن الفضيلة.

أم الهيلان... أسطورة شعبية من الإمارات

في صباح أحد الأيام، وبينما كنا مجتمعات عند صديقة لنا كعادتنا في تمضية الوقت، ونتحدث في أمور شتى، ظهرت فجأة ودون استئذان امرأة غريبة في فناء الدار، وفي بداية الأمر ظننا أنها متسولة وجدت الباب مفتوحًا فدخلت تطلب صدقة، وعندما سألناها ماذا تريد؟ قالت أنها جاءت من قرية بعيدة للتسوق في بلدتنا، وأنها كانت تمر من أمام المنزل الذي كنا به عندما شعرت بالتعب والعطش، فدخلت تطلب كأسًا من الماء وأن تستريح قليلًا، وأخذت تتحدث عن الكثير من الأمور التي لا تحمل معنى، ودون توقف، وكانت تنتقل في حديثها من موضوع إلى آخر دونما رابط، فيما كانت تجول بنظرات قاسية على كل شيء في البيت، وفجأة غادرت البيت بنفس الطريقة الغريبة التي ظهرت بها، وكأنها تهرب من أمر ما، مما أثار حيرتنا وشكوكنا، والذي زاد من غرابة الأمر، أنها لم تشرب كأس الماء الذي كانت قد طلبته، كما أنها لم تكن تحمل معها أي مشتريات تشير إلى أنها كانت تتسوق، وفوق كل هذا انتبهنا بعد أن غادرت إلى أن حجتها عن التسوق تثير الريبة كون البيت الذي كنا نجتمع به لم يكن قريبًا من السوق، وفي نفس اليوم ليلًا مرضت صاحبة البيت مرضًا شديدًا بدون أي أعراض سابقة، وبقيت طريحة الفراش لمدة يومين، حتى وافتهاالمنية، كنا نعرف آنذاك أن تلك الزائرة الغريبة لم تكن سوى أم الهيلان [1].

---

(١)تجسد هذه القصة في ثناياها المعتقدات التي تتناول "العين الشريرة" أو "العين الحاسدة" والتي تعتبر من مكونات الثقافة السائدة في منطقة الشرق الأوسط، وكذلك أوروبا...ويعرف بأن الحسد يستهدف أمورًا كثيرة منها الثروة والممتلكات، فضلًا عن الجمال والصحة والشهرة، ومن المعتقد أن لدى الحاسد القدرة على إلحاق الأذى الشديد بالضحايا وسلبهم كل ما يتمتعون به من نِعَم، والتفريق بين الناس وبث البغضاء بينهم...وتصف الحكاية أم الهيلان بأنها امرأة ذات وجه مشوه وينبع من عينيها الشر والحسد وإيذاء الآخرين، وربما تكون جنية أو امرأة عادية، في حين تصفها روايات أخرى على أنها ساحرة مخادعة، لاتخطىء عينيها أحدًا إن نظرت إليه فتسبب له الأذى. وأم الهيلان كانت امرأة عادية ولكن تلبستها روح شيطانية، وباتت تدخل بيوت الناس بلا استئذان، ولاتترك البيت الذي تدخله إلا وتصيبه بالحسد.

أخوة في الإنسانية.... أسطورة شعبية من هنغاريا

كان يا مكان فتاة جميلة اسمها لوسيندا، تلعب في الغابة ببالوناتها الخمس الملونة، وفجأة هب الهواء آخذا معه البالونات الخمس من يد لوسيندا، غضب الثور من البالون البرتقالى الذى علق في قرنيه، ابتلعت الأفعى البالون الأخضر، أعجب العصفور بالبالون الصفر، وانسجمت الغربان مع البالون الأزرق، بقى البالون الأحمر الذى أخذ يطير ويبتعد، فتشت عنه لوسيندا في زهرة زرقاء ولم تجده فيها، فتشت عنه في كوب الشيكولاته ولم تجده فيه، فتشت عنه في بوق كبير ولم تجده فيه، فتشت عنه في غيمه بيضاء ولكنها أيضًا لم تجده فيها، أين أنتي يا بالونتى الحمراء؟! قالت لوسيندا حزينة: كنت حمراء كتفاحة حمراء آه،نعم! عرفت أين سأفتش، صرخت لوسيندا ها هو بالونى الأحمر في شجرة التفاح الأحمر، وفى نفس الوقت وصلت أربع فتيات في عمر لوسيندا.

قالت الفتاة الهندية: كم أتمنى اللعب بهذا البالون الأحمر، قالت الفتاة الخلاسية: كم أتمنى اللعب بهذا البالون الأحمر، قالت الفتاة الإفريقية: كم أتمنى اللعب بهذا البالون الأحمر، قالت الفتاة الصينية: كم أتمنى اللعب بهذا البالون الأحمر، هذا البالون لي وحدي فقط قالت لوسيندا، قالت الفتاة الإفريقية:ألن تدعينا نشاركك اللعب، قالت الفتاة الصينية: هل السبب أننا لا نشبهك، قالت الفتاة الهندية: أم لأن لون بشرتك يختلف عن لون بشرتنا؟! قالت الفتاة الخلاسية: حتى وإن كان كذلك فكلنا أخوة.. لا؟!

قالت لوسيندا: أخوة؟!! صحيح تذكرت، جدي قال لي مرة: بأنه لا فرق بين إنسان وآخر، فالكل.. الكل أخوة في الإنسانية!

واشتركت الفتيات كلهن باللعب بالبالون الأحمر بفرح وبهجة[1].

افضل زوج في العالم.... أسطورة شعبية من آسيا:

كان يا ما كان فأرة صغيرة وجميلة تعرف كل شيء ينبغي على فأر صغير معرفته، كانت الفأرة الصغيرة تعرف كيف تخرم ثقبًا، وتعرف كيف تتسلق الأرفف المرتفعة أو تنحشر داخل الأماكن الضيقة، أراد والدها أن يزوجها فأرًا صغيرًا وذكيًّا ولكن أين هذا الفأر الذكي الذي سيصبح زوجًا مناسبًا لابنته؟!!

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

وتحدث يوما مع أمها في هذا الأمر، وباح لها بما يكنه في صدره، ولكن الأم كان لها رأي آخر، فقالت له: ابنتي أفضل من أي شيء آخر في العالم، إنها لن تتزوج فأرًا، فقال لها: لقد رفضتي العرض الذي قدمته لك والاقتراح الذي اقترحته عليك، فماذا تقترحين؟ قالت الأم: لن أزوج ابنتي إلا للشمس العظيمة.

وذهب الثلاثة في رحلة إلى قصر الشمس، وبادرت الأم قائلة: أيتها الشمس العظيمة، إن ابنتنا غالية علينا، ومميزة جدًا، ونريدها أن تتزوج أعظم من كل الآخرين، قالت الشمس العظيمة: هذا شرف لي يا سيدتي ولكن يوجد من هو أعظم مني، قالت الأم: ومن أعظم منك؟! أجابت الشمس: اذهبي إلى السحابة فهي أقوى مني، فهي تغطي وجهي وتحجب مني الأشعة، أسرع الثلاثة إلى السحابة يطلبون ودها ويعرضون عليها أن تتزوج الفأرة الصغيرة صاحبة الضفائر الطويلة.

قالت السحابة: أنا لست قوية يا سيدتي بالقدر الكافي حتى أكون الزوج المناسب لابنتك الصغيرة صاحبة الضفائر الطويلة، ولكن يوجد من هو أقوي مني وأعظم قدرا مني، قالت الأم: ومن أعظم منك؟ إنك أقوى من الشمس تغطين وجهها وتحجبين ضوءها، قالت السحابة: اذهبي إلى الرياح فهي تلعب بى وتفعل بى الأفاعيل وتدفعني هنا وهناك في أنحاء السماء، أسرع الثلاثة إلى الرياح يطلبون ودها ويعرضون عليها أن تتزوج الفأرة الصغيرة صاحبة الضفائر الطويلة. قالت الرياح: هذا شرف لي يا سيدتي ولكن يوجد من هو أعظم مني، قالت الأم: وهل هناك من هو أعظم منك؟! إنك أقوى من الشمس وأقوى من السحابة التي تغطى وجه الشمس وتحجب ضوءها، قالت الرياح: نعم هذا صحيح ولكن هناك من هو أقوى منى، الحائط أعظم منى فلديه القدرة على إيقافي ومنع تقدمي هنا وهناك، ذهب الثلاثة إلى الحائط يطلبون وده ويعرضون عليه أمر زواجه من الفأرة الصغيرة صاحبة الضفائر الطويلة، قال الجدار: هذا صحيح يا سيدتي ولكن هناك من هو أعظم منى، تعجبت الأم من هذا الكلام وقالت للجدار:ماذا تقول؟! أنت أعظم من قابلنا، ألست أقوى من الشمس، ألست أقوى من السحابة التي تغطي وجه الشمس وتحجب ضوءها، ألست أقوى من الرياح التي تفعل بالسحابة الأفاعيل وتقطعها إربا إربا وتدفعها يمينا ويسارا؟! قال الجدار: هذا صحيح يا سيدتي ولكن هناك من هو أقوى منى وأعظم فصحيح أنا أستطيع إيقاف الرياح التي تدفع السحاب الذي يستطيع أن يغطى وجه الشمس، ولكن هناك من

يمكنه التغلب عليَّ.. إنه: الفأر، قالت الأم: وكيف؟! قال الجدار: يستطيع الفأر المرور من خلالي، ومن أسفل منى ويستطيع الفأر الجبار، أن يخرم الجدار، إن كنت تريدين لابنتك أفضل زوج في العالم فابحثي لها عن فأر!

رجع الفئران الثلاثة إلى منزلهم وكلهم قناعة أن الفأرة الصغيرة صاحبة الضفائر الطويلة لابد أن تتزوج الفأر الجبار الذي يخرم الجدار، وتزوجت الفأرة من الفأر.

وعاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات، توت توته.. خلصت الحدوتة.. حلوة.. ولا ملتوتة ؟![1]

الكلب الطماع... أسطورة شعبية إغريقية

كان يا ما كان كلب يدور ويبحث عن طعام، فألقى إليه الجزار قطعة من اللحم فأخذها وأمسكها بأسنانه ولاذ بالفرار، وسار إلى منزله.

وهو في طريقه إلى المنزل سار علي شاطئ البحيرة القريبة، وهو يسير علي الشاطئ نظر نظرة داخل البحيرة، فوجد صورته منعكسة علي سطح الماء وصورة قطعة اللحم التي بين أسنانه، اعتقد الكلب أن هناك كلبًا آخر يمسك بقطعة ثانية من اللحم، وقف الكلب مشدوهًا يتأمل قطعة اللحم الشهية التي في الماء، وقال لنفسه: لماذا يأكل ذلك الكلب تلك القطعة الشهية من اللحم؟! لابد أن أحصل علي تلك القطعة الثانية أيضًا، فتح الكلب فمه ليخطف قطعة اللحم الثانية، فسقطت من فمه القطعة الأولى والثانية، فوضع زيله بين ساقيه وفرَّ هاربًا وهو يعض أنامل الندم، ووصل إلى بيته، جلس في ركن من أركان منزله يعتصره الجوع، يقول وهو يبكي: الطمع قلَّ ما جمع[2].

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

(٢) حكايات أيسوب الرمزية هي حكايات عن الحيوانات كان يرويها قدماء الإغريق منذ ما يقرب من ٢٥..سنة ماضية، وهي عن حيوانات أو طيور تتكلم وتتصرف مثل البشر، وتخبرنا كل حكاية منها بحقيقة مفيدة عن حياتنا اليومية، وتسمى تلك الحقائق المفيدة بالأخلاقيات.

الثعلب وعنقود العنب... أسطورة شعبية إغريقية

كان يا ما كان ثعلب يتمشى في الغابة يتبختر ويهز ذيله ويتمختر، ينظر إلى الأشجار ويمتع ناظريه بالثمار، فرأى عنقودًا من العنب يتدلى من كَرْمة عنب، فقال لنفسه: وهو فرحان هذا ما يحتاج إليه ثعلب عطشان، فظل حول الشجرة يدور ويفكر كيف يصل إلى هدفه وفي لحظات قفز الثعلب عاليًا، ليقطف العنقود، ولكنه لم يصل إليه، كرر المحاولة عدة مرات، ولكن دون جدوى، فكل مرة يخطئ العنقود، قال الثعلب معزيًا نفسه: كل العناقيد العالية فاسدة في عرف بنات آوى.

فأر الريف وفأر المدينة... أسطورة شعبيه من أوربا

كان يا مكان، فأر صغير يعيش في الريف، وكان يعمل بكل جد لتخزين الغذاء لقدوم فصل الشتاء، جمع الفأر ما يكفيه من الطعام، وقال في نفسه يومًا: سوف أدعو ابن عمى لزيارتى، حتى يستمتع بالأجازة معي، وبالفعل حضر ابن عمه من المدينة ورحب به ترحيبًا كبيرًا وعلى الغداء سال فأر المدينة ابن عمه قائلًا: هل هذا كل ما تأكله؟ قليل من الجوز؟! أومأ فأر الريف برأسه بتواضع قائلًا: نعم، وفى اليوم الثاني استيقظ فأر المدينة يرتعش وقال لابن عمه: أعانك الله على هذا البرد القارس، لقد بردت حتى كدت أن أتجمد من البرد، لقد مرت على تلك الليلة ثقيلة جدًا ولم يحدث لي ذلك من قبل، أنا أدعوك لزيارتي في المدينة فهناك يمكن أن نعيش حياة رغد ودافئة، فلدي مكان دافئ وجميل يمكن أن ننام فيه.

ذهب الفأران إلى المدينة، ووصلا إلى البيت الكبير متأخرين، وكانت هناك مأدبة لأصحاب المنزل في ذلك اليوم، وما زال على المائدة أطعمة طيبة كثيرة قال فأر المدينة لابن عمه: اجلس هنا وسوف أحضر لك حالًا بعض الأطعمة الشهية، عند ذلك فتح أحدهم الباب، ودخل أصحاب المنزل بسرعة، ومعهم ثلاثة كلاب كبيرة تنبح وتتشمم، تعالت الأصوات: من الذي كان يجلس أمام هذه المائدة؟

أسرع الفأران وهما يبحثان في الغرفة عن جحر، حتى وجدا ثقبًا صغيرًا في الحائط فدخلا فيه؛ ليختبئا، وبعد ساعات غادر أصحاب المنزل وكلابهم الغرفة، فخرج فأر المدينة بحذر.

قال فأر المدينة لفأر الريف: هيا لقد خرجوا تعال لنتناول ما لذ وطاب من الطعام، هيا.. هيا.

قال فأر الريف: أشكرك علي كرم ضيافتك، ولكن سأرحل حالًا، قال فأر المدينة: ترحل هذا لا يمكن أنت لم تجلس معي، لن أتركك ترحل، قال فأر الريف: يا ابن عمي سوف أرحل، أنا أفضل الجوز الذي لم يعجبك، ومنزلي الذي تلعب به الرياح، وبرده القارس، عن طعامك الفاخر ومنزلك الفاره الدافئ، ففي منزلي أستطيع النوم في سلام وراحة، أما هنا: فالخوف الدائم يجعلك تفقد شهيتك[1].

الوصفة السحرية... أسطورة شعبية من الصين

يحكى أن سيدة عاشت مع ابنها الوحيد في سعادة ورضا حتى جاءه الموت، حزنت السيدة جدًّا لموت ولدها، وذهبت إلى حكيم القرية تطلب منه وصفة سحرية لتعيد ابنها للحياة، أخذ الشيخ الحكيم نفسًا عميقًا وشرد بذهنه ثم أردف قائلًا: أنت تطلبين مني وصفة سحرية حسنًا، ولكن عليك أولًا أن تحضري لي حبة خردل واحدة بشرط أن تكون من بيت لم يعرف الحزن قط، بكل همة ونشاط أخذت السيـدة تدور على بيوت القرية كلها تبحث عن حبة الخردل في بيت لم يعرف الحزن قط.

طرقت السيدة أحد الأبواب، ففتحت لها امرأة شابة، فسألتها السيدة قائلة: هل عرف هذا البيت حزنا قط؟ ابتسمت المرأة في مرارة وأجابت: وهل عرف بيتي هذا إلا كل حزن؟ وأخذت تحكي لها حكايتها، فزوجها توفى منذ سنة وترك لها أربعة من البنات والبنين ولا تجد مصدرًا لإعالتهم سوى بيع أثاث المنزل الذي لم يتبق منه إلا القليل، تأثرت السيدة جدًا لهذه الحكاية المؤلمة والمحزنة وحاولت أن تخفف عنها أحزانها وفي نهاية الزيارة لم تدعها تذهب إلا بعد أن وعدتها بزيارة أخرى، ولم لا وقد انقضت مدة طويلة منذ أن فتحت قلبها لأحد تشتكي له همومها، وقبل الغروب دخلت السيدة بيتًا آخر، ولكن الإحباط سرعان ما أصابها عندما علمت من سيدة الدار أن زوجها مريض جدًّا، وليس عندها طعام كاف لأطفالها منذ فترة، فذهبت إلى السوق واشترت بكل ما معها من نقود طعامًا وبقولًا ودقيقًا وزيتًا ورجعت

---

(١) هذه القصة من كتاب القصص الخيالية والأساطير والحكايات الشعبية/ مكتبة الشروق الدولية / بتصرف.

إلى سيدة الدار وساعدتها في طبخ وجبة سريعة للأولاد، واشتركت معها في إطعامها، ثم ودعتها على أمل زيارتها في مساء اليوم التالي، وفي الصباح أخذت السيدة تطوف من بيت إلى بيت تبحث من جديد عن حبة الخردل وطال بحثها، لكنها لم تجد ذلك البيت الذي لم يعرف الحزن قط؛ كي تأخذ من أهله حبة الخردل؛ ولأنها كانت طيبة القلب كانت تساعد كل بيت تدخله وتشارك في أفراحه وأتراحه، وبمرور الأيام أصبحت السيدة صديقة لكل بيت في القرية، نسيت تمامًا أنها كانت تبحث في الأصل عن حبة الخردل في بيت لم يعرف الحزن قط، ذابت في مشاكل ومشاعر الآخرين ولم تدرك قط أن حكيم القرية قد منحها أفضل وصفة للقضاء على الحزن حتى ولو لم تجد حبة الخردل التي كانت تبحث عنها، فالوصفة السحرية قد أخذتها بالفعل يوم دخلت أول بيت من بيوت القرية[١].

ثقب الخشب لإشعال النار... أسطورة شعبيه من الصين

كان الإنسان البدائي لا يعرف النار ولا يعرف استخدامها، وكان الظلام يلف كل شئ في الليل.

وكان إله كبيرا اسمه (فو شي) شعر بالحزن الشديد لرؤية الناس على الأرض يعيشون بصعوبة، وقرر تعريفهم استخدام النار، أبرقت الدنيا وأرعدت حيث سقط الرعد على الأشجار وأشعل النار فيها وامتدت النار لمسافة كبيرة.

كان الناس يشعرون بخوف شديد، لكن شابًا شجاعًا اقترب من النار، وشعر بالدفء، وقال للآخرين بسعادة: اقتربوا إن النار غير مخيفة، إنها دافئة ومنيرة، حينئذ وجد الآخرون حيوانات برية مشوية، فتجمعوا بجانب النار وتمتعوا بلحوم الحيوانات البرية المشوية حيث أدركوا أهمية النار، فجمعوا الأغصان للحفاظ على توقد النار، لكن النار خمدت بسبب إهمال الشخص المناوب، وعانى الناس من جديد من الظلام والبرد.

---

(١) هذه الأسطورة ليست مجرد وصفة اجتماعية لخلق جو من الألفة والاندماج بين الناس، إنما هي دعوة لكي يخرج كل واحد من أنانيته وعالمه الخاص ليحاول أن يهب من حوله بعض المشاركة التي تزيد من بهجته في وقت الفرح وتعزيه وتخفف عنه في وقت الحزن إلى جانب أن هذه المشاركة لها فائدة مباشرة عليك ليس لأنها ستخرجك خارج أنانيتك ولا لأنها ستجعل منك شخصية محبوبة إنما لأنها ستجعلك إنسانًا سعيدًا أكثر مما أنت الآن.

الإله فوشي كل هذا وتراءى للشاب الذي وجد أهمية النار في الحلم وقال له: هناك دولة (سويه مينغ) في أقصى الغرب توجد فيها شعلات النار، يمكنك الذهاب إلى هناك للحصول على الشعلات، واستيقظ الشاب وقرر الذهاب إلى دولة (سويه مينغ) للبحث عن النار.

وصل الشاب إلى دولة (سويه مينغ) بعد التغلب على صعوبات كثيرة، لكنه لم يجد شمسًا، ولا ليلًا ولا نهارًا، ووجد الظلام يلف كل مكان، ولا توجد نار على الإطلاق.

شعر الشاب بخيبة الأمل واستراح جالسًا تحت شجرة تدعى سوى مو، وفجأة رأى عدة عصافير تنقر الشجرة بحثًا عن طعام وخلال نقرها كانت شرارات تتطاير من الجذع الصلب لذلك، أسرع الشاب إلى جمع بعض الأغصان الحادة وأخذ يحاول ثقب جذع الشجرة كما فعلت العصافير، لم يتطاير الشرر في البداية لكن الشاب واصل عمله مثابرا إلى أن ظهرت النار أخيرًا، ونزلت دموع السعادة من عيني الشاب.

وعاد الشاب إلى مسقط رأسه بالنار التي لن تخمد، عاد بوسيلة إشعال النار بثقب الخشب، وشكره الناس كثيرًا وجعلوه زعيمًا لهم وأطلقوا عليه اسم سوى رن يعنى مشعل النار[١].

إمبراطور السماء... أسطورة شعبيه من الصين

كان الناس يعيشون في سلام، وفي يوم من الأيام انشقت السماء والأرض، وانبثق من جوف الأرض لهب شديد أحرق الغابات، وتدفقت الفيضانات وجرفت الجبال، واستبدت الأشباح والشياطين والوحوش وعانى البشر من وضع مأساوي جدًا.

وسمعت الآلهة نيوى وا دعاء البشر فقتلت الأشباح والشياطين والوحوش وهدأت الفيضانات، وبعد ذلك بدأت مشروعًا عظيمًا ... ترقيع السماء.

فجمعت قصبًا كثيرًا وراكمته حتى علا نحو السماء، وبعد ذلك بدأت تبحث عن الأحجار الزرقاء التي يشبه لونها لون السماء، لكنها لم تجد أحجارًا زرقاء كافية على الأرض، فاضطرت إلى جمع الأحجار البيضاء والصفراء والحمراء والسوداء ووضعتها فوق القصب وأشعلته لصهر الأحجار وملأت الأحجار المنصهرة شق السماء.

---

(١) تهدف هذه الأسطورة أن يعتمد الإنسان على نفسه، ولا ينتظر الهبات من الآخرين بل عليه أن يبحث عن الحلول لمشكلاته من خلال الاختراعات التي يصنعها هو بنفسه، وقديمًا قالوا لا تعطني كل يوم سمكة بل علمني كيف أصطاد.

ورغم نجاحها في سد الفجوة السماوية لكن السماء لم تعد مثلما كانت عليه، حيث مالت نحو الشمال الغربي فذهبت الشمس والقمر إلى هناك تلقائيًّا، وانهار جنوب شرق الأرض حتى تشكلت حفرة كبيرة، لذلك جرت مياه الأنهار والجداول إلى جنوب شرق الأرض، وتشكل محيط هناك.

وفي شرق بحر بوهاي هاوية لا قاع لها تدعى قوى شيوى (هاوية العودة)، وفي هاوية قوى شيوى خمسة جبال سحرية وهى داى يوى ويوان تشياو وفانغ هو وينغ تشو وبنغ لاي، ويبلغ ارتفاع كل جبل ثلاثين ألف لي وتصل المسافة بين كل جبل وآخر سبعين ألف لي، وعلى هذه الجبال قصور ذهبية يسكنها آلهة كثيرون.

وكانت كافة الطيور والحيوانات على هذه الجبال السحرية بيضاء، وتنمو عليها العديد من الأشجار العجيبة ذات الثمار المشابهة للأحجار الكريمة واللآلئ، وإذا أكلها الناس العاديون، عاشوا إلى الأبد، ويلبس الآلهة ملابس بيضاء خالصة، ولكل منهم جناحان صغيران فيمكنهم الطيران بحرية فوق البحر الواسع وتحت السماء الزرقاء مثل الطيور، كما يمكنهم زيارة الأقارب والأصدقاء بين هذه الجبال الخمسة، وكانت حياتهم سعيدة جدًّا.

لكن هناك مشكلة صغيرة، هي أن هذه الجبال السحرية تعوم على سطح البحر، وليس لها جذور، وسبب عدم الاستقرار هذا صعوبات لحياة الآلهة، فذهبوا إلى إمبراطور السماء ليشكوا من هذه المشكلة، وأمر إمبراطور السماء إله البحر يوه تشيانغ بإرسال ١٥ سلحفاة كبيرة لحمل الجبال السحرية الخمسة، وبهذا، استقرت هذه الجبال، وعادت الحياة السعيدة إلى الآلهة.

لكن في عام من الأعوام، جاء عملاق من بلد العمالقة بلد لونغ بوه إلى هاوية قوى شيوى لصيد الأسماك، لكنه صاد ست سلاحف من البحر، وأخذها معه، لهذا، ابتعد جبلًا داى يوى ويوان تشياو إلى القطب الشمالي وغرقا في البحر، فاضطر الآلهة الذين كانوا يسكنون على هذين الجبلين إلى نقل منازلهم.

وغضب إمبراطور السماء غضبًا شديدًا بعد معرفته بهذا الحادث، وصب جام غضبه على أبناء بلد العمالقة لونغ بوه فقصر قاماتهم حتى لا يثيروا مشاكل أخرى، وظلت الجبال الثلاثة الأخرى آمنة ومستقرة على بحر الصين الشرقي بفضل السلاحف.

رحلة تشانغ أيه إلى القمر... أسطورة شعبيه من الصين

كان يا ما كان في قديم الزمان زوجان يعيشان في سعادة ونعيم وفي رضى بما قسم الخالق العظيم، كانت الزوجة تحاول جاهدة أن تتعايش مع الظروف الصعبة التي يمر بها زوجها ومع مرور الأيام، شعر الزوج (هو يي) بالأسف الشديد تجاه زوجته الحزينة، وسمع أن على جبل (كونلون) عشبًا سحريًّا ويستطيع الإنسان إذا تناوله الصعود إلى السماء ليصبح إلهًا، لذلك توجه إلى جبل كونلون وجلب ذلك العشب، لكنه مع الأسف لم يكف الاثنين، وكان هو يي لا يريد الصعود إلى السماء وحده، فحمل العشب إلى البيت وخبأه.

لكن زوجته تشانغ أيه لم تعد تحتمل الحياة الفقيرة والصعبة، وعثرت على العشب السحري عندما خرج زوجها من البيت وتناولته، وفجأة، شعرت بأنها خفيفة جدًّا ورفرفت نحو السماء ووصلت إلى القمر في النهاية، ودخلت قصرًا يدعى (قوانغ هان قونغ) وأصبحت صاحبته.

وبقى (هو يي) وحده حزينًا جدًّا في عالم البشر، ويعيش اعتمادًا على الصيد وتعليم الصبيان إطلاق السهام، وكان بينهم شخص اسمه (فنغ منغ) يتقدم بسرعة، وشعر فنغ منغ بأنه لن يصبح الأول في العالم طالما ظل أستاذه هو يي حيًّا، لذلك سولت له نفسه قتل معلمه فقتله وهو سكران.

أما تشانغ أيه فظلت تعيش وحدها في القمر الهادئ واللطيف حتى اليوم، وتشتاق إلى زوجها وحياتها السعيدة بين حين وآخر، خاصة في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن القمري حيث يصبح القمر بدرًا جميلًا[1].

---

(١) يعتبر عيد تشونغ تشيو في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن حسب التقويم القمري الصيني من أكبر الأعياد التقليدية الصينية، وعادة ما يتجمع كافة أفراد العائلة ويأكلون كعكة القمر والفواكه ويتمتعون بالبدر التام المشرق الجميل.

أقراص دروبا الحجرية... أسطورة شعبيه من الصين

كان يا ما كان في قديم الزمان في عام ١٩٣٨م، وفي جبال (بايان - كارا - أولا) على الحدود بين الصين والتبت، كانت البعثة الاستكشافية بقيادة البروفيسور (تشي بو تاي) من جامعة بكين تتوغل عبر الطرق الوعرة بين جبال الهملايا حيث عثروا على بعض الكهوف التي تبين لهم أنها كانت مسكونة منذ زمن بعيد، لكن هذه الآثار لم تكن آثارًا عادية على الإطلاق!

كان أول ما لاحظوه هو أن الكهوف كانت محفورة بإتقان وكانت تشكل نظامًا معقدًا من القنوات وغرف التخزين، وجدرانها كانت مستقيمة إلى حد بعيد. بداخل الغرف كانت توجد بعض الآثار وأماكن مرتبة خاصة للدفن ووجدوا بداخلها هياكل عظمية لأناس ذوي هيئه غريبة، كانت الهياكل تشير إلى أن أطوالهم تزيد قليلًا عن أربعة أقدام (١٢٢ سم)، كانت العظام هشة والجمجمة كبيرة بشكل غير متناسق مع الجسم.

أحد أعضاء فريق الاستكشاف اقترح أنها تعود لنوع من القرود، غير أن هذا الاقتراح رفضه البروفيسور (تشي بو تاي) تمامًا، إذ أن أحدًا لم يسمع من قبل عن قرود تدفن موتاها أو تقوم ببناء هذا النظام المعقد، كما أن مزيدًا من الاكتشافات داخل الكهوف أضافت مزيدًا من الصحة لفرضية البروفيسور.

وجد الفريق على جدران الكهوف نقوشًا تصويرية للشمس والقمر والنجوم والأرض، وكانت هناك خطوطًا من النقاط تربط بينها، غير أن أهم اكتشاف على الإطلاق كان أقراصًا حجرية وجدوها مدفونة في أرضية الكهف.

كان القرص ذو قطر يبلغ ٩ إنشات (٢٢.٨ سم) وعمق يبلغ٧٥٠٠ إنش (١.٩ سم)، وفي الوسط تمامًا ثقب كامل الاستدارة يبلغ قطره ٧٥٠٠ إنش (١.٩ سم)، ووجدوا على وجه القرص نقشًا محفورًا بدقة يظهر خارجًا من الثقب في الوسط ليدور وينتهي عند إطار القرص.

تم العثور على ٧١٦ قرصًا، كانت الأقراص تعود إلى ١٠٠٠٠٠ - ١٢٠٠٠٠سنة مضت، أي أنها أقدم من الأهرامات في مصر، وكل قرص يحوي مجموعة من الأسرار! حيث أن

النقش على وجه كل قرص لم يكن أبدًا نقشًا عاديًا، إنها أظهرت الأبحاث أنه خط متواصل من الكتابة الهيروغليفية!.

كانت الكتابة صغيرة جدًا، أو حتى (ميكروسكوبيه)، في العام ١٩٦٢م، استطاع عالم صيني آخر أن يفك شفرة الكتابة الموجودة على الأقراص، كانت تحوي معلومات غريبة جدًا، لدرجة أن قسم ما قبل التاريخ في جامعة بكين منع نشرها!

ماذا تقول لنا أقراص دروبا الحجرية؟

في العام ١٩٦٢م، كان الدكتور (تسوم أم نيو) يتحسس وجه أحد الأقراص ويتساءل عما يكون وماذا يخبئ؟ أخذ الدكتور يتذكر كيف تم اكتشاف هذه الأقراص عام ١٩٣٨م كانت هناك العديد من المحاولات لفك أسرارها وكانت جميعها فاشلة.

قام الدكتور بنسخ ما يراه على وجه القرص في ورقة، كانت الكتابة على القرص صغيرة وصعبة القراءة اضطر معها الدكتور للاستعانة بعدسة مكبرة، كانت المهمة صعبة جدًا فالأقراص مضى على وجودها ١٢٠٠٠سنة كان الدكتور يتساءل عن ماهية الناس الذين صنعوها، من كانوا؟ كيف استطاعوا كتابة الرموز بهذا الخط الصغير جدًا؟ وما الغرض أساسًا من كتابة الرموز على مئات الأقراص؟

عندما انتهى الدكتور من نسخ ما في الأقراص على ورق، بدأ في ترجمتها وفك أسرارها، كلمة كلمة، جملة جملة، وسطرًا سطرًا، حتى استطاع في النهاية فك الشفرة كاملة! ماذا تحكي لنا الأقراص؟

كانت الشفرة مكتوبة من قبل أناس يدعون أنفسهم (دروبا)، ولكن ما كانوا يحكونه عبر الأقراص كان شيئًا صعب التصديق، كانت الأقراص تحكي عن مركبة فضائية قادمة من كوكب بعيد هبطت متحطمة على الأرض قبل ١٢٠٠٠عام، من كانوا على متنها (الدروبا) وجدوا في كهوف الهملايا ملاذًا آمنًا لهم، ولكن وعلى الرغم من أن الدروبا هم قوم مسالمون إلا أن قبيلة (هان) التي كانت تسكن في كهوف قريبة من كهوف الدروبا خافوا في البداية منهم وقتلوا بعضهم.

وتستمر الأقراص في إخبارنا حكاية الدروبا حيث تذكر أنهم لم يستطيعوا إصلاح مركبتهم الفضائية وبالتالي لم يستطيعوا العودة إلى كوكبهم، فبقوا على كوكب الأرض، ولكن إن كان هذا صحيحًا، فهل أحفادهم موجودون للآن؟

في يومنا الحاضر، يسكن في تلك المنطقة المعزولة قبيلتان تدعوان أنفسهما (هان) و(دروبا)، لكن العلماء لم يستطيعوا تصنيف هاتين القبيلتين، فهم ليسوا من قبائل الصين ولا من قبائل التبت. كلتا القبيلتين من الأقزام ذوي البشرة الصفراء والأجسام النحيلة ولهم رؤوس كبيرة، أجسامهم تشبه الهياكل التي عثر عليها البروفيسور (تشي بو تاي) عام ١٩٣٨م، ولهم عيون واسعة زرقاء شاحبة اللون لا تشبه العيون الأسيوية بأي حال من الأحوال.

في العام ١٩٦٨م قام العالم الروسي سايتسو بدراسة العناصر المكونة للأقراص الحجرية، حيث وجد أنها صخور جرانيتية تحتوي تركيزًا عاليًا من الكوبالت وبعض العناصر الأخرى مما يجعلها من أشد الصخور صلابة بحيث يصعب على القدرة البشرية العادية حفر مثل هذه النقوش عليها، خصوصًا بحجم الخط الموجود على الأقراص! كما وجد لها خصائص كهربائية حيث اعتقد أنه من الممكن استخدامها كوصلات كهربية!

وفي يومنا الحاضر مازالت أقراص دروبا تشكل لغزًا محيرًا للعلماء، هل قصة مجيئهم من كوكب آخر حقيقية؟ أم هي مجرد أسطورة؟ لا أحد يعلم حتى الآن[١].

أسطورة الملك آرثر والسيف المسحور... أسطورة شعبيه من بريطانيا:

كان يا ما كان في قديم الزمان ملك لبريطانيا يدعى أوثر بندراجونUther Pendragon ذبح هذا الملك في معركة من المعارك وقام الساحر ميرلين بأخذ ولده الرضيع وإخفائه ثم إيداعه عند أحد النبلاء، يتربى الولد آرثر على أنه خادم إسطبل ومتعهد خيول، أما عمن يعتلي كرسي الحكم، فقد قام أوثر بغرز سيفه وسط صخرة معلنًا قبل موته أن من يفصل السيف عن الصخرة هو الذي يستحق أن يصبح ملكًا. وفي أحد الأيام اجتمع النبلاء لحضور مسابقة بين الفرسان واللوردات، ولما طلب النبيل الذي يخدمه آرثر سيفه، أخذ آرثر يبحث عن السيف الذي أضاعه دون جدوى، وعندما وجد السيف المسحور على الصخرة، سحبه بسهولة، وأحضره إلى سيده.

---

(١) أقراص (دروبا) الحجرية، استطاع العلماء فك بعض رموزها، والتي سردت لنا قصة تاريخية غريبة، لو تم إثباتها فستكون من أهم الاكتشافات التاريخية إن لم تكن أهمها على الإطلاق!.

وعندما علم النبلاء بذلك قام الجدل بينهم، وأخذوا يحتجون كيف ينصبّون هذا الخادم ملكًا عليهم! ليأتي الساحر ميرلين ويعلن أن آرثر هو ابن الملك أوثر بندراجون، عندها بايع جميع النبلاء آرثر ملكًا، وعاهدوه على محاربة أعدائه لتوحيد بريطانيا. بنى آرثر قلعته الشهيرة بـ كاميلوت؛ ولكي يساوي بين فرسانه صنع طاولةً مستديرة يتساوى عليها جميع من يجلس حولها، ولذا سمي فرسانه بفرسان الطاولة المستديرة. هناك الكثير من القصص والأساطير المنسوجة حول كل فارس من فرسان الملك آرثر، وبالأخص لانسلوت، الذي وقع في غرام الملكة جنيفير زوجة آرثر؛ ليقعا في علاقة غرامية آثمة، يتصارع فيها واجب الصداقة وقوة الحب في قلب لانسيلوت.

تنتهي أسطورة آرثر بالفصل الشهير عن الكأس المقدسة the sacred chalice والذي يذهب فرسان آرثر جميعًا للعثور عليها دون جدوى، وعندما تقع المعركة الأخيرة بين آرثر وابنه الغير شرعي يقتل الملك آرثر، ويطلب من أحد فرسانه أن يأخذ السيف المسحور إكسكاليبور ويرميه في البحيرة المجاورة كي يعيده لسيدة البحيرة، ولكن الفارس المذكور في كل مرة يتهيب رمي سيف نفيس مثل هذا ويرجع زاعمًا أنه رماه، وعندما يسأله آرثر ماذا رأى؟ يفشل الفارس في الجواب، حتى رماه في المرة الأخيرة؛ ليرى يدًا تخرج فجأة من وسط البحيرة لتتلقف السيف وتغطس ببطء.

وفي الأخير، يأخذ الفارس ملكه آرثر ويضعه في قارب، ويدع أمواج البحيرة تأخذه بعيدًا، حينها تظهر الجنيات وسيدات آفالون Avalon في القارب؛ ليدارين الملك القتيل، ويأخذونه بسلام إلى آفالون[١].

النداهة... أسطورة شعبيه من مصر

كان يا ما كان في قديم الزمان امرأة جميلة غريبة وعجيبة اسمها النداهة، كانت تتشكل بأكثر من شكل وأكثر من حجم، وعندما يحل الظلام ويسكن الناس وتهدأ الحركة، كانت تأتي إلى قرية من القرى وتنادي على بعض الأشخاص بأسمائهم، فيستيقظون من نومهم،

(١) أسطورة الملك آرثر وفرسان الطاولة المستديرة من أشهر الأساطير الانجليزية على الإطلاق، وأحد أكثر المواضيع طرقًا من الناحية الفنية، فقد غذت هذه الأساطير الخيالية مخيلات الكثير من الفنانين؛ ليتحفونا بالأشعار والملاحم والروايات، وليرسموا أحلى اللوحات التي تصور هذه الأساطير، ولينظموا المقطوعات الموسيقية والأوبرات التي تتناول مواضيعها.

ويردون عليها، وبذلك تكون قد ألقت بحبالها عليه، وتكون قد سحرته ويصبح كالمأسور وتظل تنادى عليه وهو يتبعها بدون تفكير كأنها سحبت إرادته، أو أوقفت عقله، وفى يوم من الأيام كان عم مندور في البيت بمفرده، فزوجته كانت في منزل والدها الذي توفي في ذلك اليوم مما اضطره لأن يبيت تلك الليلة في البيت بمفرده، على أن يذهب في الصباح ليحضر مراسم الدفن، وفي تلك الليلة ذهبت إليه النداهة وندهت عليه وغيرت صوتها بصوت زوجته، فقام من النوم مفزوعًا وفتح الباب، وظل يبحث عن زوجته فلم يجدها، والتي ظلت تنادى عليه وهو يتبع الصوت، لم يجد نفسه إلا وهو وسط المزارع وينزل ترعة ماء ويخرج منها لينزل في خارج ماء ويخرج منه تارة أخرى، وظل علي هذا الحال حتى أذن الفجر ليجد نفسه ملقى به على أحد الجسور، ذهب عم مندور بعد كل الذي حدث له مشتاطًا من الغيظ يلملم أذيال الخيبة إلى منزله ليغير ملابسه التي اتسخت وتمزقت بسبب النداهة ليحضر مراسم العزاء، وبعد مراسم العزاء حكى عم مندور الحكاية لأحد أصدقائه الشيوخ الذي ظل يضحك عليه ويقول له يا رجل: كان في يدك فرصة لقتلها وتخليص البشرية منها، قال له: كيف ذلك؟ أجابه الشيخ: بذكر الله أو رش الملح عليها، مع عدم النظر إلى وجهها وعدم الرد على ندائها.

وبينما هو يحكي للشيخ إذا بصوت وقع أقدام تهرول بجانب البيت منهم من يقول: قتل باسم وجدوه مخنوقًا علي رمش الماء ...سترك يا رب. قال الشيخ الحمد لله على سلامتك يا عم مندور ربما كان مصيرك هو نفس مصير الشاب باسم، ولكن هل تعرف لماذا قتلته؟! قتلته لأنها كانت تحبه، لقد اختفى باسم منذ شهور عن القرية، الظاهر راح معاها للعالم السفلى والظاهر عندما أراد التخلي عن هذا العالم السفلى قتلته ...لماذا؟ حتى لا يكشفها ويكشف أسرار ذلك العالم السفلى؛ لذلك يموت البعض في اليوم التالي أو يصاب بالجنون أو يختفي تمامًا[1].

السلعوة... أسطورة شعبية من مصر

كان يا ما كان في قديم الزمان أحد أفراد قرية من القرى تزوج امرأة كسائر البشر، وكان لها أخت في قرية مجاورة وهذه المرأة كانت تتحول بالليل إلى سلعوة وتذهب إلى أختها ليقمن

---

(١) أسطورة النداهة من الأساطير الريفية المصرية، حيث يزعم الفلاحون أنها امرأة جميلة جدًا وغريبة تظهر في الليالي الظلماء في الحقول، لتنادي باسم شخص معين فيقوم هذا الشخص مسحورًا ويتبع النداء إلى أن يصل إليها ثم يجدونه ميتًا في اليوم التالي.

بنبش القبور وأكل الجثث وذات يوم افتقدها زوجها، فخرج في ذات الاتجاه الذي تحركت فيه ناحية القرية المجاورة وهناك انتظر حتى خرجت هي وأختها وتابع السير خلفهم وانتظر من بعيد دون أن يلحظوه وسمع إحداهن تقول للثانية: إن من بالقبر صعب إخراجه فأشارت إليها أختها بكسر رقبته حتى تتمكن من إخراجه، عندها تأكد الزوج من حقيقة زوجته وسبقها إلى البيت وأوى إلى فراشه وعادت هي واغتسلت مما لحق بها في هذه الليلة واستيقظ الزوج فطلب منها أن تحضر له كوب ماء، فقالت: له أنا أخاف أن أضع الكوب في الزير؛ لأنه يخرج أصوات عند امتلائه فرد عليها بسخرية، ولم لم تخافي وأنت تنصحي أختك بكسر عنق من في القبر، عندها اكفهر وجهها وتتطاير الشرر من عينيها وعلمت أن أمرها انكشف، فقالت له: لولا محمد ومحمدين (أولادها) لأصبح دمك شربة ماء صغيرة، ولأصبح لحمك لقمة في فمي إلا أنني لأجلهما أتركك، وأوصيك بهما خيرًا، أسرعت خارج الدار لتذهب لأختها وتعلمها بانكشاف أمرهما، الأمر الذي تحتم معه الرحيل دون عودة ومن يومها لا أحد يعرف عن هاتين المرأتين شيئًا ويقال: إنهم تركوا خلفهم ذرية كبيرة وكلهم يفتخرون بأن جدتهم سلعوة[1].

العنقاء... أسطورة شعبيه فارسية

كان يا ما كان في قديم الزمان هناك بعيدًا في بلاد الشرق السعيد البعيد تفتح بوابة السماء الضخمة وتسكب الشمس نورها من خلالها، وتوجد خلف البوابة شجرة دائمة الخضرة، مكان كله جمال لا تسكنه أمراض ولا شيخوخة، ولا موت، ولا أعمال رديئة، ولا خوف، ولا حزن.

وفى هذا البستان يسكن طائر واحد فقط، العنقاء ذو المنقار الطويل المستقيم، والرأس التي تزينها ريشتان ممتدتان إلى الخلف، وعندما تستيقظ العنقاء تبدأ في ترديد أغنية بصوت رائع.

(٢) السلعوة مخلوق غامض يهاجم السكان في قرى ومدن مصر، تكرر ظهوره في قرى الصعيد بمصر وكان له بعض الظهور بالمدن المصرية بعد أن ظن الجميع لمئات السنين أنه خرافة ويعتبر أحد الألغاز الغامضة حتى الآن، وحيوان السلعوة ليس حيوانًا رسميًّا مصنفًا من قبل علماء الحيوان، بل هو اسم دارج يطلق على مخلوق غامض يهاجم السكان في قرى ومدن مصر، ويعتبره البعض كما يعتبره الأهالي هجين من الذئب والثعلب والكلاب البرية أو ابن آوى.

وبعد ألف عام، أرادت العنقاء أن تولد ثانيـة، فتركت موطنها وسعت صوب هذا العالم واتجهت إلى سوريا واختارت نخلة شاهقة العلو لها قمة تصل إلى السماء، وبنت لها عشًا.

بعد ذلك تموت في النار، ومن رمادها يخرج مخلوق جديد، دودة لهـا لون كاللبن تتحول إلى شرنقة، وتخرج من هذه الشرنقة عنقاء جديدة تطير عائدة إلى موطنها الأصلي، وتحمل كل بقايا جسدها القديم إلى مذبح الشمس في هليوبوليس بمصر، ويحيي شعب مصر هذا الطائر العجيب، قبل أن يعود لبلده في الشرق(١).

أسطورة أنمر كار... أسطورة شعبية عراقية

كان يا ما كان في قديم الزمان مدينة عظيمة تسمي أورك كانت الموطن المقدس للإلهة (إيننا) أو (عشتار) ربة الحب والحرب والجمال وأم قدماء العراقيين، أخوها أنمر كار ابن أوتو إله الشمس الذي أراد بمشيئة أخته إيننا أن يأمر أهل إرتا وهي ولاية في جنوب إيران بتقديم الذهب والفضة وأحجار اللازورد لبناء معبد آبسو في مدينة أريدو جنوب العراق وقد أرشدته بأن يختار رسولًا ينوب عنه ليفاوض حاكم إرتا بالطرق السلمية لتنفيذ إراداته، وعلى الرسول أن يكون قويًا شديد البأس يتحمل مشاق السفر، ويتمكن من عبور جبال انشان المتاخمة لأروك وأنها على يقين أن أهل إرتا سيلبون الطلب. فعل انمركار ذلك وانتخب رسوله، وقبل أن يسافر زوده برسالة يهدد بها ولاية إرتا وأنه سيجعلها موحشة إذا لم ينصع حاكمها لمشيئته ويقدم الذهب والفضة والبرونز لبناء المعبد المقدس وعلى الرسول أن يردد تعويذة انكي في الشدائد، ويخبره أن انكي إله المياه والأمطار والزوابع وضع السلطة في يده وأن الذهب والفضة ومسالك الأرض هي للإله إنليل إله الهواء.

مضى الرسول من أروك حتى وصل ولاية إرتا بعد رحلة شاقة عبر فيها سبعة جبال وهناك سلم رسالة سيده إلى حاكمها، فكان نصيبها الرد بأن الإلهة الأم إيننا لم تكن ملكة لـ أروك وهي التي وعدت أخيها أنمر كار بأن إرتا ستخضع إليه وتقدم ما يريد، فقفل الرسول

---

(١) العنقاء أو الفينكس هو طائر طويل العنق لذا سماه العرب عنقاء أما كلمة الفينكس فهي يونانية الأصل وتعني نوعًا معينًا من النخيل، وبعض الروايات ترجع أصل تسمية الطائر الأسطوري إلى مدينة يونانية أخذ المصريون عنها تلك الأسطورة وقد ضاعت مصادر الرواية الأصلية في زمن لا يأبه سوى بالحقائق والثوابت، ولكن الثابت في القصة هو وجود هذا الطائر العجيب الذي يجدد نفسه ذاتيًا.

راجعًا إلى أروك وأخبر سيده انمركار، فثار وأرعد وهدد بالحرب والخراب خاصة بعد أن علم أن ولاية إرتا تشكو ندرة الطعام، وأن حاكمها أراد كمية من الحنطة بدل الذهب والفضة وأن إرتا ستكون خاضعة لأمره، ولكن إيننا تعرف ذلك ولم تعترف لأخيها بالأمر الواقع، وقامت المفاوضات على قدم وساق.

وذات مرة عاد الرسول إلى أروك كعادته وسلم الرد إلى سيده في بلاطه المحتشد، وقبل أن يفضه صلى وقام ببعض الطقوس الدينية، وبمساعدة إلهة الحكمة السومرية نيدابا أخبر مستشاريه بأن حاكم إرتا يريد الحنطة بدل الذهب والفضة فوافق رجاله وقرروا إرسال الحنطة إلى إرتا وأن أنمر كار سيرسل أيضًا صولجانه وعصى السلطة بعد أن يقدم الذهب والفضة والعقيق وحجر اللازورد.

مضى الرسول هذه المرة من أروك ومعه شحنة الحنطة فاستقبله سكان إرتا بكل فرح وبكل سرور واخبروه أنهم على استعداد لتقديم الذهب والفضة والعقيق وحجر اللازورد لبناء المعبد المقدس. إلا أن حاكم إرتا استشاط غيظًا؛ لأن صولجانه لم يصل إليه وأنه لا يريد أن يكون خاضعًا الخضوع التام لأروك فقفل الرسول بسرعة إلى بلاده وأخبر سيده أنمركار بالأمر فغضب وتشاءم وقرر الذهاب إلى غابة شوسيها التي تجلب الضوء والظل والتي يأتي منها الظل والضياء طلبا للنجدة.

وبعد عشر سنوات على هذه المفاوضات أرسل أنمر كار رسوله الرابع فكان الفشل نصيبه لتعنت الجانبين، وذات مرة وضع انمركار الصولجان في يده وتأهب للحرب ليقيم في إرتا، إلا أنه رجع إلى (شتامو) حيث وضح الأمر وذكر إرتا يطلب فيه النزال والصراع معه أو مع أحد من رجاله الخمسين، فتساءل حاكم إرتا، ما نوع هذا الرجل المنتخب للنزال؟ أسود أم أبيض أم أسمر أم أصفر أم مرقط، أو كل رجاله يظهرون مرة واحدة؟ عليه أن يفكر قليلا عندما يتكلم إلا أن انمركار أرسل رسوله هذه المرة إلى حاكم إرتا وبيده هذه الشروط.
-يأمر انمركار حاكم إرتا للنزال وعليه أن يرسل أحد محاربيه في إرتا، يطلب انمركار من حاكم إرتا أن يعد له الذهب والفضة وقطع الحجارة إلى الإلهة إيننا في أروك، وسيهدد ويدمر إرتا إذا لم يعد حاكمها حجر الجبل ويبني ويزين معبد آبسو في أريدو. وقد دونها على رقيم طيني؛ لأن الرسول سيجد صعوبة في ترديدها.

أخذها الرسول ومضى بها إلى إرتا، ولكن على حين غفلة إن الإلهة السومرية (أشكور) آلهة المطر والزوابع جلبت لإرتا بقولًا وحنطة ففرح حاكم إرتا ورد الرسالة بكل شجاعة وأمر الرسول المفاوض أن يرجع إلى أروك ويخبر سيده بذلك، أحدثت الإلهة إيننا الطوفان في ولاية إرتا فدمرها وأحل بها الخراب[1].

(١) تعد أسطورة أنمركار من أقدم الأساطير التي عرفت حتى الآن وأنها أول نوع من أنواع الشعر السياسي الذي يضم أول إشارة للمفاوضات الدبلوماسية وفض المنازعات بالطرق السلمية بين الأقطار المجاورة للعراق، مؤلفة بالشعر وباللغة السومرية، مدونة بالخط المسماري على عشرين كسرة من الطين، عدد أبياتها (٦٣٧) بيتًا محفوظة الآن في المتحف الوطني باسطنبول.

أسطورة الملكة الآشورية سميراميس... أسطورة شعبية عراقية

الملكة الآشورية سميراميس التي يعرفها قدماء العراقيين باسم سمي رمات، وسمي تعني محبوبة ورمات حمام، فيكون اسمها محبوبة الحمام وقصة حياتها فريدة أقرب إلى الخرافة، تزوج أبوها سرًّا من معبودة سماوية، أوجنية لطيفة مقدسة صارت حديث الناس في البلد فحاولت عبثًا أن تستر العار الذي لحقها؛ لأنها تزوجته سرًّا فقررت الذهاب إلى الصحراء حينما دنت إلى وضع ابنتها سميراميس.

فتركتها هنا بعد ولادة مؤلمة، وكان من حسن حظ الطفلة أن تلتف حولها الطيور من كل صنف ونوع، فقامت بتغذيتها طوال عام واحد ثم عثر عليها الرعاة بطريق الصدفة فشبت بين أحضانهم لطيفة فارعة الجمال، وقد شاهدها أحد الضباط الآشوريين العظام مينونيس الذي كان حاكمًا في سورية فشغف بها حبًّا وتزوجها وكان هذا الضابط يصطحبها في كل معركة وغزوة حربية يقوم بها.

فأصبحت ذات ميول عسكرية تجيد فنون القتال في الحرب، وكانت تساعد الجنود في المعارك وتدلهم على نقاط الضعف والاقتحام حتى ذاع صيتها في البلاد، فأحبها الملك الآشوري ووقع بها، فكان ينعم عليها الهدايا، وذات يوم أمر زوجها الضابط أن يتنازل عنها ويتركها له ويزوجه من ابنته سوزان إلا أن الضابط مينوس أبى أن يتنازل عن محبوبته سميراميس وذات مرة عاد الملك الآشوري وهدده بقسوة وحاول أن ينزل به العقاب ويفقأ عينيه، فانصاع الضابط رغم إرادته وسلمه حبيبة القلب والزوجة المخلصة سميراميس.

وفضل الضابط الانتحار فمات ثم أتلفت جثته وبعد ذلك تزوج الملك الآشوري منها ونادى باسمها إمبراطورة على مملكة آشور، ولكن سميراميس كانت حزينة دومًا تبكي زوجها الضابط في السر، طلبت سميراميس من الملك الآشوري زوجها بأن تحكم وتمارس السلطة ولو لأربعة أيام، فانصاع لها الملك وقلدها السلطان، ولكن سرعان ما دست إليه السم فمات واستولت على العرش وأصبحت وصية لأبنائه الأربعة.

وقامت بإصلاحات عظيمة وفتوحات واسعة وصلت بغزواتها حتى صحارى ليبيا وشواطئ الهند، ثم شيدت بابل بعد انتصاراتها وأقامت لها أسوارًا منيعة ثم أنشأت على نهر الفرات قنطرة تعبر من تحت الماء. وكذلك قامت بتشييد هيكل فخم للإله ببلوس أبي زوجها الأول مينونيس الذي كان الإغريق يخلطون بينه وبين الإله جوبتر، وأن الحدائق المعلقة في

بابل التي ذكر عنها داريوس أنها من عمل أمير من نسل الملكة سميراميس حبيبة الشعب الآشوري، ولم تتزوج بعد وفاة زوجها الملك خوفًا لضياع زمام الحكم من يدها، واختفت سرًّا واستحالت إلى حمامة فحزن عليها الشعب الآشوري، حتى أنهم صاروا يقدسون كل الحمام؛ لأن روح سميراميس قد حلت به، ويحكى أن الملكة سميراميس أمرت بأن يحفر على قبرها بعد الممات هذا القول العجيب: إن الطبيعة خلقتني امرأة ولكن أعمالي ساوتني بأشجع الرجال، فلقد جلست على عرش نينوى الذي يمتد ملكه شرقًا إلى نهر هينامانيس، وجنوبًا إلى بلاد البخور والمر، وشمالًا إلى حدود بلاد الساس وسوجديان، ولم يتح لآشوري قبلي أن يرى البحار أما أنا فرأيت منها أربعة لم يمخر أحد لبعدها وجعلت الأنهار تجرى حيث أريد، في كل مكان نافع، فأصبحت الأرض كثيرة الخصب، وكذلك أنشأت القلاع والحصون المنيعة، وشققت بحديدي في الصخور طرقًا ومسالك لمركباتي لم تقع عين حي، حتى الحيوانات المفترسة على مثلها ومع ذلك لم تمنعني هذه المشاغل من أن آخذ قسطي أيضًا من اللهو والحب.

هويلة الليل(مرعبة الليل)... أسطورة شعبية مغربية

كان يا ما كان في قديم الزمان فتاة غنية لها العديد من الأموال وكانت تتاجر بها وفي يوم أحبت أن تسافر في قافلتها بالليل، وفي الصحراء مرت عليها العواصف والبرد والشتاء، وفي يوم من الأيام اقتربت من وادي من الوديان وضربت حمارها حتى يسير بسرعة، فانقلبت هي والحمار في الوادي، واختفى كل من كان في قافلتها ومات.

انقلبت على أميرة جن عظيمة، فحولت تلك الفتاة والحمار إلى إنسانة نصفها حمار ونصفها إنسان، ويقال أنها مسخت من رب العالمين؛ لأنها ضربت الحمار بقسوة، وأصابتها لعنة الجنون، وفقط الجزء السفلي منها حمار.

ويقال أن حمارها جني تلبس فيها فإحدى أرجلها سليمة والأخرى رجل حمار مسخت بشكل غير بشري وتنادي كل من يسافر لوحده ويسكن لوحده باسمه حتى إذا تمكنت منه قتلته بالدغدغة بمعنى أنها تضحكه حتى يموت، فحينها لا ينام الطفل توهمه أمه بأن هويلة الليل تناديه ويتوهم الطفل بذلك فيخاف، وقتلت هويلة الليل في إحدى المزارع، وهي ابنة ١٦ سنة وتم قتلها على يد مزارع مؤمن، فإذا كنتم في البيت فرادى وسمعتم أحدا يناديكم بأسمائكم اعلموا أنها.. هويلة الليل.

العفاريت ذات الأنوف الطويلة... أسطورة شعبية من اليابان:

كان يا ما كان في قديم الزمان... كان هناك عفريتان لهما أنفان طويلان، يعيشان في الجبال العالية في شمال اليابان، كان أحدهما عفريتًا أزرق والآخر عفريتًا أحمر. وكان الاثنان فخورين بأنفيهما اللذين يستطيعان مدهما مسافات بعيدة عبر الحقول، وكانا دائمًا يتجادلان عمّن أنفه هوالأجمل.

وفي أحد الأيام، كان العفريت الأزرق يستريح على قمة الجبل، حين شمّ رائحة زكية تنساب من مكان ما في السهول. حينها قال لنفسه: ياه، ثمة شيء له رائحة زكية، ياترى ماذا عساه يكون؟ ثم بدأ يمد أنفه أطول فأطول مقتفيًا أثر الرائحة الزكية، وتمدد أنفه حتى عبر سبعة جبال وهبط إلى السهول، وأخيرًا انتهى به المطاف عند قصر لأحد الأثرياء في داخل القصر كانت ابنة السيد الأميرة الزهرة البيضاء تقيم حفلة، وكانت قد دعت إلى تلك الحفلة العديد من صديقاتها الأميرات الصغيرات الأخريات وكانت الأميرة الزهرة البيضاء تعرض أمامهن كل ما لديها من ثياب نادرة وثمينة وجميلة. وكانت الأميرات قد فتحن كنز الملابس وأخرجن ما فيه من قطع القماش الرائعة، تلك التي كانت تعطرها روائح البخور الفواحة. ذلكم هو العطر الذي شمّه ذلك العفريت الأزرق. في تلك اللحظة، كانت الأميرة تبحث عن مكان تعلق عليه تلك الأقمشة لتراها الأميرات على نحو أفضل. وحين رأت أنف العفريت الأزرق قالت: انظروا، انظروا، إن أحدهم قد نصب لي قضيبًا أزرق في الشرفة. لنعلق عليه الأقمشة ودعت الأميرة وصيفاتها فعلّقن قطع القماش الرائعة على أنف العفريت.

وشعر العفريت الذي كان يستلقي بعيدًا على قمة الجبل أن شيئًا يدغدغ أنفه. فأخذ يسحبه إلى حيث هو هناك على قمة الجبل. وحين رأت الأميرات قطع القماش الجميلة تطير في الهواء، دُهشن كثيرًا وحاولن الإمساك بها ولكن بعد فوات الأوان، وحين رأى العفريت الأزرق القماش الجميل معلّقًا على أنفه فرح كثيرًا، وجمع الأقمشة وأخذها معه إلى البيت.

ثم قام بدعوة العفريت الأحمر، الذي يعيش في الجبل المجاور لزيارته وقال له: أنظر إلى أنفي الرائع. لقد جاءني بكل هذا القماش الجميل. شعر العفريت الأحمر بالحسد عندما رأى ذلك وتمنى من شدة الحسد لوكان بإمكانه أن يتحول إلى عفريت أخضر، ذلك أن العفاريت الحمراء لا يمكن أن تُصبح عفاريت خضراء، وبانفعال قال العفريت الأحمر موجهًا كلامه

للعفريت الأزرق: سأريك أن أنفي مازال هوالأفضل، ما عليك إلا أن تنتظر وسوف ترى منذ ذلك الوقت والعفريت الأحمر ظل يداوم على الجلوس على قمة جبله كل يوم، يدعك أنفه، ويتشمم الهواء. مرت أيام عديدة ولكنه لم يشم أية روائح عطره، نفذ صبره، وقال: حسنًا لن أنتظر أكثر من ذلك، سأمد أنفي إلى السهول ومن المؤكد أنني سأعثر على شيء ذي رائحة زكية هناك، بدأ العفريت الأحمر يمد أنفه أطول فأطول حتى عبر سبعة جبال وهبط إلى السهول، وأخيرًا استقر به المطاف عند قصر الثري نفسه. وفي تلك اللحظة كان ابن الثري الأمير الشجاع وأصدقاؤه الصغار يلهون في الحديقة، وحين رأى الأمير الشجاع أنف العفريت الأحمر هتف: أنظروا إلى هذا القضيب الأحمر الذي وضعه أحدهم هنا، هيا بنا نتأرجح عليه وأخذوا حبالًا قوية وربطوها بالقضيب الأحمر وصنعوا منها عدة أرجوحات. وراحوا يلهون ويلهون! بل كان عدد من الفتيان يتعلقون بأرجوحة واحدة ويحلقون بها عاليًا نحوالسماء. وكانوا يتسلقون على القضيب الأحمر ويتقافزون عليه صعودًا ونزولًا، بل إن أحدهم بدأ يحفر بالسكين على ذلك القضيب الحروف الأولى من اسمه.

كم كان ذلك يسبب من الألم الشديد للعفريت الأحمر المستلقي على قمة جبله! لقد أضحى أنفه ثقيلًا لدرجة أنه أصبح لا يتمكن من تحريكه.

ولكن حين بدأ ذلك الفتى يحفر عليه حروف اسمه سحب العفريت الأحمر أنفه بكل ما لديه من قوة ونفض عنه جميع الفتيان.

ثم سحبه إلى الجبل بأكبر سرعة ممكنة. ضحك العفريت الأزرق، وظل يضحك ويضحك على هذا المنظر، بينما العفريت الأحمر دعك أنفه قائلًا: هذا جزائي بسبب حسدي للناس. لن أمد أنفي إلى السهول مرة أخرى .

السيد قشة المحظوظ... أسطورة شعبية من اليابان

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هناك شاب اسمه شوبي يعيش في قرية في ريف اليابان. وفي أحد الأيام، لما كان عائدًا إلى بيته من العمل في الحقل، تعثرت قدمه بحجر، وسقط يتدحرج على الأرض، وبعد أن توقف عن التدحرج، اكتشف أن قشة قد علقت بيده، قال: حسنًا، إن القشة شيء لا قيمة له، ولكن يبدوأنه قد كتب لي أن ألتقط هذه القشة، ولذلك فلن أرميها. وبينما كان يمضي في سبيله ماسكًا القشة بيده، جاءت حشرة اليعسوب تحلق

وتنزل فوق رأسه بصوت مزعج، قال شوبي: يا لها من حشرة مزعجة! سألقن هذا اليعسوب درسًا لن ينساه أمسك باليعسوب، وربط القشة حول ذنبه، ثم واصل السير ماسكًا اليعسوب، حتى التقى بامرأة تمشي مع طفلها الصغير وحين رأى الطفل الصغير حشرة اليعسوب، أرادها لنفسه، بإلحاح وقال: أماه، أرجوك أن تحصلي لي على ذلك اليعسوب. أرجوك، أرجوك!

قال شوبي، معطيًا القشة للطفل الصغير: خذ أيها الصغير، سأعطيك اليعسوب أعطت أم الطفل إلى شوبي ثلاث برتقالات، مما كانت تحمله معها تعبيرًا عن امتنانها له. شكرها شوبي، ومضى في سبيله. ولم يمض وقت طويل، حتى التقى شوبي ببائع متجول يكاد أن يُغمى عليه من شدة العطش. ولم يكن ثمة ماء في الجوار، أشفق شوبي على البائع وأعطاه كل البرتقالات ليتمكن من شرب عصيرها. كان البائع شديد الامتنان، وردًا للجميل، أعطى شوبي ثلاث قطع من القماش.

مضى شوبي حاملًا القماش، والتقى بأميرة تستقل عربة جميلة يحرسها عدد كبير من الخدم والحشم، نظرت الأميرة من نافذة العربة، إلى شوبي، وقالت: آه، يا له من قماش جميل هذا الذي تحمله. أرجوك أن تعطيني هذا القماش، أعطى شوبي القماش للأميرة، وهي بدورها أعطته مقابل ذلك مبلغًا كبيرًا من المال.

أخذ شوبي ما حصل عليه من مال، واشترى به حقولًا عديدة. وزّع الحقول على سكان قريته، أصبح لدى كل واحد منهم قطعة أرض خاصة به. عمل الجميع في حقولهم بجد ونشاط.

ازدهرت القرية وشُيد فيها الكثير من المخازن الجديدة، كان الجميع تنتابهم الدهشة حين يتذكرون أن كل هذه الثروة جاءت من القشة الصغيرة التي كان شوبي قد التقطها.

أصبح شوبي أكبر وجهاء القرية. كان يحظى باحترام كبير من جميع سكانها، وظل كل أهالي القرية ينادونه طيلة حياته السيد قشة المحظوظ .

امتنان التماثيل... أسطورة شعبية من اليابان

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هناك رجل وامرأة طاعنان في السن يعيشان في إحدى قرى اليابان، كانا فقيران فقرًا مدقعًا، يمضيان كل يوم في حياكة قبعات كبيرة من القش. وكلما انتهيا من حياكة بعض القبعات، كان الشيخ يأخذها ليبيعها في أقرب مدينة لقريتهم، في يوم من الأيام، قال الشيخ لزوجته العجوز: إن عيد رأس السنة الجديدة يُصادف بعد غد، كم أتمنى لو أن لدينا بعض كعك الرز لنأكله في عيد رأس السنة الجديدة! يكفينا حتى كعكة صغيرة واحدة أو اثنتان. فمن دون كعك الرز لا يتم الاحتفال بالسنة الجديدة. قالت زوجته العجوز: حسنًا إذن، بعد أن تبيع هذه القبعات، لماذا لا تشتري بعضًا من كعكات الرز وتجلبها معك؟ في وقت مبكر، من صباح اليوم التالي، أخذ الشيخ العجوز القبعات الخمس الجديدة التي صنعاها، وذهب إلى المدينة ليبيعها، لكنه حين وصل إلى المدينة، لم يتمكن من بيع أي واحدة منها، ومما زاد الطين بله، أن الثلوج بدأت تتساقط بغزارة. كان الشيخ حزينًا جدًّا عندما بدأ يجر قدميه عائدًا إلى قريته وقد أنهكه التعب.

كان يسير بمحاذاة الجبل وحيدًا وفجأة وجد صفًا من ستة تماثيل حجرية لـ جيزو حامي الأطفال، وقد غطاها الثلج، قال الشيخ: يا إلهي! أليس هذا ما يدعو إلى الأسى، صحيح أن هذه ما هي إلا تماثيل حجرية لـ جيزو، ولكن لابد أنها تشعر مع ذلك بشدة البرد وهي تقف هنا يغطيها الثلج قال الشيخ فجأة لنفسه: إني أعرف ما يجب أن أفعل، وتقديري أن ذلك هوالعمل الصحيح، ثم فك القبعات الخمس الجديدة من على ظهره، وبدأ يربطها قبعة بعد أخرى على رؤوس تماثيل الجيزو. وحين وصل إلى التمثال الأخير، أدرك أنه لم يعد لديه قبعات، فقال: آه ليس لدي قبعات كافية، ولكنه تذكر حينذاك قبعته التي على رأسه، فخلعها، وربطها على رأس تمثال الجيزوالأخير.

ثم مضى في سبيله عائدًا إلى البيت، وحين وصل بيته، كانت زوجته العجوز تنتظره قرب الموقد، ألقت عليه نظرة سريعة ثم هتفت: لابد أنك تكاد تموت من شدة البرد. أسرع! تعال قرب نار الموقد، ماذا فعلت بالقبعات؟ نفض الشيخ ما علق بشعره من ثلج واقترب من

النار، وحكى لزوجته العجوز كيف أعطى جميع القبعات الجديدة، وحتى قبعته، إلى تماثيل الجيزو الستة.

وأخبرها أنه يأسف لعدم تمكنه من جلب أي من كعكات الرز. قالت المرأة العجوز: كان عملًا طيبًا هذا الذي عملته لـ جيزو، كانت فخورة بزوجها الشيخ العجوز، وأضافت: إن عملًا طيبًا كهذا خير من كل كعكات العالم، ستتدبر أمرنا من دون كعك لـرأس السنة الجديدة، كان الوقت قد بلغ ساعة متأخرة من الليل، فآوى الشيخ وامرأته العجوز إلى الفراش. وقبيل بزوغ الفجر، وفيما كانا لا يزالان نائمين حدث شيء رائع جدًّا، فلقد تعالت فجأة من بعيد أصوات تنشد:

شيخ طيـــب شيخ طيـــب
يمشي، يمشـــي تحت الثلـــج
يعطي جيـــزو يعطي الدفء
فله منا كل الحب كل الحـــب!

اقتربت الأصوات أكثر فأكثر، حتى بات من الممكن أن يسمع وقع أقدامها على الثلج. اتجهت الأصوات نحو البيت الذي ينام فيه الشيخ وزوجته، ثم انفجر صوت عالٍ وكأن شيئًا ضخمًا سقط أمام البيت. هب الزوجان العجوزان من فراشهما وركضا إلى مدخل الدار. ليجدا ما لم يكن بالحسبان! وجدا أمام الدار حصيرة وضعت عليها بعناية وذوق رفيع كعكة رز لم يشاهد الزوجان كعكة بحجمها وجمالها وطراوتها. قال الزوجان العجوزان وهما يتلفتان حولهما: من يا ترى جلب هذه الهدية الرائعة؟ شاهدا بعض الآثار في الثلج تتجه بعيدًا عن البيت، وكان الثلج مصطبغًا بألوان الفجر، وبعيدًا في الأفق كانت تماثيل جيزو الحجرية الستة تمشي على الثلج وهي لا تزال ترتدي القبعات التي أعطاها لها الشيخ العجوز. قال الشيخ: إن جيزوهوالذي جلب لنا هذه الكعكة الرائعة قالت زوجته العجوز: لقد عملت لهم معروفًا حين أعطيتهم قبعاتك فجلبوا لك هذه الكعكة عرفانًا منهم بالجميل، بهذه الكعكة الرائعة كان احتفال الزوجين العجوزين بعيد رأس السنة الجديدة احتفالًا رائعًا لا مثيل له.

الرخ... أسطورة شعبية من اليابان(١)

كان يا ما كان في قديم الزمان رجل سافر مع بعض التجار في إحدى السفن فألقت بهم الريح على شاطئ جزيرة عظيمة واسعة الأرجاء.

فخرجوا من السفينة ليتزودوا بالماء والحطب ومعهم الفؤوس والحبال والقرب فشاهدوا في الجزيرة قبة عظيمة بيضاء تلمع في أشعة الشمس، فدنوا منها فوجدوا أنها بيضة الرخ، فأخذوا يضربونها بالفوؤس وينهالون عليها بالصخور وجذوع الأشجار حتى انشقت عن فرخ الرخ، فتعلقوا بريشة من جناحه وانتزعوها وقتلوا فرخ الرخ وحملوا معهم جانبًا من لحمه ووضعوه على الجمر لينضج وأكلوا منه، وكان فيهم بعض الشيوخ لحاهم بيضاء وعند الصباح وجدوا أن لحاهم اسودت، وصعدوا إلى السفينة وانطلقوا بها في عرض البحر وبينما هي تسير بهم إذا بالرخ يحلق فوقهم كسحابة عظيمة ويحمل بين قدميه قطعة هائلة من الصخور وعندما حاذى السفينة ألقى عليها بالصخرة، وأسعدهم الحظ فأفلتوا من الموت بأعجوبة إذ كانت السفينة تسير بسرعة كبيرة فوقعت الصخرة في البحر وكان لوقوعها دوي عظيم أما هم فنجوا من الهلاك.

الغرنوق الأبيض... أسطورة شعبية من اليابان

عاد الرجل العجوز إلى البيت، وبينما كان يحدث زوجته عن الغرنوق، سمع طرقًا على الباب، وسمع أحدهم يقول بصوتٍ رقيق: هل أستطيع الدخول؟ فتحت المرأة العجوز باب البيت فوجدت فتاة صغيرة حلوة لطيفة. قالت الفتاة الصغيرة: "لقد ضللت الطريق. أرجوكما أن تسمحا لي بالبقاء الليلة في بيتكما فرح الزوجان العجوزان فرحًا شديدًا بوجود مثل هذه الفتاة اللطيفة في بيتهما، وحين أخبرتهما أنها يتيمة الوالدين، طلبا منها أن تكون بمثابة ابنتهما، وأن تعيش معهما على الدوام، وهكذا بقيت الفتاة الصغيرة معهما، وفي أحد الأيام قالت الفتاة الصغيرة لوالديها الجديدين: إذا وعدتما ألا تنظرا إلى أبدًا حين أعمل، فإنني سوف

(١) الرخ طائر هائل الحجم يقال أن طول جناحه الواحد عشرة آلاف باع. قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ تسع قربة ماء.

أحيك لكما بعض القماش على النول الموجود في غرفة النسيج ومنذ ذلك الحين كانا يسمعان صوت النول كل يوم: تون.. كا.. را.. ري، تون.. كا.. را.. ري وفي بداية كل ليلة كانت الفتاة الصغيرة تعطيهما قطعة قماش جميلة حاكتها في ذلك النهار، كانت أجمل الأقمشة في العالم كله، وكان يتوافد جميع الجيران لرؤيتها. استبد الفضول بالمرأة العجوز، وقالت لنفسها: كيف بحق السماء، يمكن لهذه الفتاة الصغيرة أن تحيك مثل هذه الأقمشة الجميلة؟ وأخيرًا، وذات يوم اختلست النظر إلى داخل غرفة النسيج، يا له من مشهد عجيب ذلك الذي رأته! إن الجالس أمام النول لم يكن تلك الفتاة الصغيرة وإنما غرنوق أبيض جميل، يستخدم ريشة الأبيض الناعم لحياكة القماش.

وفي ذلك المساء، حين عاد الرجل العجوز إلى بيته، خرجت الفتاة من غرفة النسيج وقالت: إنني الغرنوق الذي أنقذته، لقد كنت أحيك القماش لأرد بعضًا من معروفك الذي تفضلت علي به في ذلك اليوم منذ زمن بعيد، ولكن الآن وقد اكتشفتما أمري، لم يعد بمقدوري البقاء معكما، ندمت المرأة العجوز على فعلتها باختلاس النظر، وبكى الرجل العجوز بدموع حارة، ولما عرفا أن ابنتهما لم تكن في الواقع سوى غرنوقًا، فقد تفهما أن عليها أن تعود إلى بيتها، هناك في أعالي السماء. قالت الفتاة: وداعًا، وداعًا، وحظًا سعيدًا لكما، وفجأة تحولت إلى غرنوق أبيض ساحر جميل، وحلقت بخفة نحوالسماء بجناحيها الأبيضين الجميلين.

الهاون السحري... أسطورة شعبية من اليابان

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هناك شقيقان يعيشان في قرية صغيرة في اليابان. كان الأخ الأكبر يعمل بدأب طوال الوقت ولكن الأخ الأصغر كان كسولًا لا يصلح لشيء، وفي أحد الأيام، توجه الأخ الأكبر إلى الجبال للعمل هناك. وفيما كان منهمكًا في العمل أقبل إليه رجل عجوز وأعطاه هاونًا مصنوعًا من الحجر، والذي يستخدم لطحن الرز أوالحنطة. قال الرجل العجوز: إن هذا هاون سحري، سيعطيك كل ما تتمنى. أرجوك أن تأخذه معك إلى البيت، كان الأخ الأكبر سعيدًا للغاية. أخذ الهاون وعاد مسرعًا إلى البيت. وقال له:

أرجوك أن تعطيني رزًا، إننا بحاجة إلى رز، وبعد أن قال ذلك، حرك العصا داخل الهاون، وفي الحال بدأ الرز ينهال، وأضحى لديه منه كميات كبيرة حتى أنه أخذ يعطي رزًا لكل من في القرية.

هذا رائع! هذه مساعدة كبيرة، شكرًا جزيلًا لقد كان القرويون سعداء جدًا، أو بالأحرى أن الجميع كانوا سعداء ما عدا الأخ الأصغر الكسول، فقد تمتم مع نفسه قائلًا: أتمنى لوكان لدي ذلك الهاون، لكنت استخدمته استخدامًا أفضل وفي أحد الأيام سرق الهاون السحري وهرب به.

فكر الأخ الأصغر وهويركض باتجاه الشاطئ: لن يدركني أحد، إذا ما بلغت المحيط وحين وصل إلى الشاطئ عثر على زورق صغير، فأخذه وراح يجدف بقوة إلى أعالي البحر، وسرعان ما ابتعد وأصبح في وسط الأمواج العاتية.

توقف عن التجديف وبدأ يفكر ماذا عساه يريد أن يطلب من الهاون وجدتها! أريد كثيرًا من الكعك الحلو الصغير اللذيذ -قال ذلك- وبدأ يحرك العصا داخل الهاون. أعطني كعكًا! أعطني كعكًا! وأخذ الكثير من الكعك الأبيض اللذيذ يتدحرج خارجًا من الهاون. قال: "آه، يا له من كعك لذيذ! آه كم لدي الكثير منه! التهم كل الكعك. أكل منه الكثير. كان الكعك حلوالمذاق جدًا لذلك شعر بالرغبة في تناول شيء مالح المذاق لإزالة الحلاوة الشديدة من فمه. هكذا شرع يطحن في الهاون من جديد قائلًا: أعطني ملحًا هذه المرة. أريد ملحًا. أريد ملحًا، فأخذ الملح يتدفق من الهاون، ملح أبيض ولامع، واستمر الملح بالتدفق، صرخ: كفى! لدي ما يكفي! قف ولكن الملح ظل يتدفق ويتدفق وامتلأ به الزورق فبدأ يغرق. وفيما كان يغرق مع الزورق كان يصرخ: كفى! كفى! ولكن الهاون استمر يعطي ملحًا، بل والمزيد من الملح، حتى عندما وصل إلى قاع المحيط، ومازال يفعل ذلك، وذلك هو السبب في أن ماء البحر مالح!!

الأميرة كاجويا... أسطورة شعبية من اليابان

كان يا مكان في قديم الزمان يعيش حطاب وزوجته في حالة يرثى لها من الفقر، في كل صباح يخرج الحطاب إلى الغابة ليأتي بالقليل ليعتاش به هووزوجته، في إحدى المرات توجه

الحطاب كعادته في الصباح الباكر إلى الغابة ليقطع أخشاب البامبو كما تعود، وإذا به يرى شجرة بامبو تضيء بلون ذهبي من بعيد، فاستعجب الحطاب وذهب ليرى الخبر. ما إن تقدم الحطاب إلى الشجرة حتى قطعها ليرى سبب توهجها فإذا به يرى طفلة صغيرة في المهد، ففرح فرحًا شديدًا إذ لم ينعم هو وزوجته المسنان بالأولاد.

تعهد الرجل وزوجته بتربية الطفلة الصغيرة وأسموها الأميرة كاجويا، ومنذ ذلك اليوم كان الحطاب يذهب إلى الغابة ليجد قطعة ذهبية مكان شجرة البامبو المقطوعة فأصبح فاحش الثراء جراء ذالك. بعد ٣ أشهر شبت الأميرة كاجويا لتصبح أجمل الجميلات في المملكة وقد تعجب الجميع بهذا الخبر، تقدم الكثير من الشبان لخطبت الأميرة كاجويا ولكن دون جدوى، لقد كانت ترفض كل من يتقدم لخطبتها.

لم يتبق من الشبان الكثر إلا خمسة نبلاء لم ييأس أحد منهم؛ لذلك أقدمت الأميرة كاجويا على طلب لم يكن موجودًا حتى في الأرض كلها كجهاز عرسها فعجز الخمسة على تلبية طلبها وتسلل اليأس في قلوبهم. سمع الإمبراطور عن الأميرة كاجويا وافتتن بجمالها وأمر الجنود بإحضار الأميرة كاجويا إلى القصر لتكون زوجة له، فأجبرت الأميرة كاجويا على المثول أمام الإمبراطور ولكنها اختفت أمام ناظريه، لتبوء جميع محاولاته بالفشل.

موني ميخالا وريم إيسو...أسطورة شعبية كمبودية[1][2]

كان ياما كان في قديم الزمان كانت (موني ميخالا) من الآلهة وكان (ريم إيسو) عملاقًا من العماليق يدرس على يد معلمة تتميز بالحكمة البالغة، وكانت مونى تدرس هى الأخرى على يد تلك المعلمة، وبعد بضع سنوات قررت المعلمة الحكيمة أن تعقد مسابقة بينهما، وطالبت كلا منهما أن يحضر لها كوبًا كبيرًا مملوءًا بالندى في صباح اليوم التالي، ومن يحضر لها الكوب أولًا، سينال كرة سحرية جائزة له، فاستيقظ الاثنان مبكرًا جدًا، وذهبا ليجمعا الندى، شعر ريم إيسو بالزهو بنفسه: حتمًا فكرتي بالتقاط الندى من على أوراق الأشجار، فكرة رائعة، ولكن مونى ميخالا كانت قد بدأت العمل منذ الليلة السابقة، فوضعت وشاحًا

---

(١) طبقا لأسطورة هنود شمال أمريكا كان هناك طائر يدعى طائر البرق، وكان هوالمسئول عن هطول الأمطار وكان البرق يسقط من منقاره، وصوت الرعد يسقط بفعل حركة جناحيه القويين.
(٢) بإمكاننا أن نسمع قعقعة الرعد، ونرى البرق بينما يتساقط عرق إيسو كالأمطار على الأرض.

على الحشائش. قالت مونى ميخالا بينها كانت تعصر الوشاح الذي تجمع به الندى داخل الكوب: لقد نجحت الفكرة.

وفازت مونى بالكرة السحرية، بينها فاز العملاق بفأس سحرية كجائزة ثانية لتلك المسابقة، وشعر ريم إيسو بالغيرة من مونى ميخالا فرماها بالفأس، وأصدر طيران الفأس فى الهواء فعقعة صوتًا عاليًا.

سمعت مونى ميخالا ذلك الصوت فأمسكت بكرتها السحرية التي أطلقت على العملاق شرارات من نار شديدة السخونة، حتى تساقطت قطرات كبيرة من عرقه على الأرض.

سر ذيل الكانجارو... أسطورة شعبية استرالية

كان يا ما كان في قديم الزمان كانت هناك صداقة تجمع بين الكانجارو والومبات (حيوان يشبه الدب الصغير وله جراب مثل الكانجارو). وكان كل منهما يعيش ويلعب مع الآخر في حب ووئام حيث كانا يقضيان اليوم معًا.

ولكن ما أن يحل المساء كان ينام كل بطريقته، فكان الومبات يفضل النوم داخل منزله، حيث الدفء والراحة والخصوصية، بينها كان الكانجار ويفضل النوم في الهواء الطلق تحت النجوم المتلألئة وكان كل منهما يعتقد أن طريقة نومه هي الأفضل.

وحدثت ذات ليلة أن هبت عاصفة قوية، وثارت رياح شديدة وأغرقت الأمطار الغزيرة الأرض، فصار الكانجارو بالخارج في حالة يرثى لها بسبب البرد والمطر، فطرق باب منزل الومبات، وطلب منه أن يسمح له بالدخول في الدفء، ولكن الومبات فكر في أن حجم الكانجارو الكبير سيشغل حيزًا كبيرًا من منزله فرفض السماح له بالدخول.

غضب الكانجارو من الومبات وقال له: أنا في شدة وقد لجأت إليك فأنت صديقى الوحيد ويكون هذا موقفك؟ أين حق الصديق على صديقه إذن؟!

وظل الكانجاروعلي باب المنزل يعطيه درسًا في الصداقة الحقة ويعرفه بحق الصديق على صديقه ولكن لا حياة لمن تنادي، ورفض الومبات أن يدخل الكانجارو ويشاركه الدفء والخصوصية.

اشتاط الكانجاروغيظًا وأمسك بعصا غليظة ولكز بها الومبات قائلا له: افتح يا جبان افتح سوف أموت من البرد ومن شدة الرياح، ولكن الومبات كان يتقلب من جنب إلى جنب ولم يعطه أي اهتمام.

عندها غضب الكانجارو من الومبات غضبًا شديدًا التقط صخرة كبيرة، وألقى بها على سطح منزل الومبات وصاح في غضب قائلًا: الآن سيغرق منزلك أنت الآخر يا جبان، وبالفعل سقطت الصخرة على رأس الومبات فسطحتها، فألقى الومبات بدوره برمح فخرق ذيل الكانجاروتعلق به، حاول الكانجارو أن يتخلص من الرمح ولكن جهوده باءت بالفشل. وتمدد ذيله أكثر وأكثر ومنذ ذلك اليوم انتهت صداقة الومبات والكانجارو إلي الأبد، وحتى اليوم لا يزال للكانجارو ذيلًا طويلًا وينام فى الهواء الطلق، ولا يزال رأس الومبات مسطحًا وينام فى داخل حفرته. (١)

التوأم المختلف... أسطورة شعبية رومانية

بمجرّد أن انتهى بيرم ونورهان من مراجعة دروسهما حتى استأذنا أمهما للذهاب إلى لقاء عمي البحر من أجل حكاية جديدة، اصطحب الأخوان أختهما روزا واتجها نحو عمي البحر الذي كان متكئًا كعادته في أريكته الزرقاء العجيبة، رحّب بالأطفال ورقصت موجاته الصغيرة فرحًا بهم.

- كيف حالك عمي البحر؟ قالت روزا الصغيرة

- أكاد أطير شوقا للقائك يا عروسي الجميلة، وقلبي يخفق كجناحي عصفور ملائكي كلّما رأيتك تقبلين نحوي كغزال رشيق.

- ما أجمل كلماتك يا عمي البحر، كأنّك تقول شعرا! قالت نورهان باسمة.

- آه! نعم، يا صبيّتي، فحكاية اليوم عن شاعر قديم جدًّا عاش في ربوع خضرائنا المعطاء.

(١) لا ينام كل أنواع الكانجارو على الأرض، فبعضها يعيش على الأشجار، حيث ينام ويقضى وقتًا طويلًا عليها أكثر من الوقت الذى يقضيه على الأرض، وهذا النوع يفضل المشى على القفز عندما يكون على سطح الأرض.

– لكنك قلت في المرّة السابقة أنك ستحكي لنا عن القراصنة! علّق بيرم الذي يفضّل حكايات المغامرات والحروب.

– مازال لديّ آلاف القصص، وأكيد أنك ستشبع من قصص القراصنة والمعارك، أما اليوم فقد تذكرت قصّة مشوّقة عن التوأم المختلف.

– ماذا؟ توأم مختلف! صاح الأطفال بدهشة.

– نعم، لقد وقعت أحداث هذه القصّة في مدينة أوذنة التي أسسها الإمبراطور الروماني من أجل ابنته المريضة، فقد نصحه الأطباء باختيار مكان ذي طبيعة خلاّبة وهواء نقي ينعش الفؤاد، فاستشار الإمبراطور قوّاده ووزراءه فنصحوه بتلك الربوة بين مدينة زغوان والعاصمة، فهي تشرف على البحر وتنبت في أرجائها أجمل الأزهار والنباتات العطرية، لقد بنيت المدينة سريعًا بفضل آلاف العمال البربر والقرطاجيين، وهم من البنّائين المهرة، وكان كبير المهندسين تومرت من أم بربرية وأب قرطاجي، وكان لديه ابنان توأمان، في العاشرة من عمرهما، كان أحدهما اسمه رائد والثاني رامز.

– أين الشاعر؟ سألت روزا الصغيرة.

– يجب ألاّ تقاطعي شخصًا يتكلّم! همست نورهان لأختها مؤنبّة.

– دعيها وشأنها قال عمي البحر. لقد أطلت في المقدّمة، وكان الولدان يشبهان بعضهما حدّ التماثل، حتى أمهما كانت تضع لأحدهما عصابة زرقاء والآخر عصابة حمراء كي تميّزهما عن بعضهما، وكثيرًا ما كان يعبثان بتبادل العصابتين، كان هذا التشابه في الملامح والقامة يخفي اختلافًا كبيرًا في الطباع والميول، كان رائد طفلًا كثير الحيوية والنشاط، لا يكفّ عن الشغب والركض خلف الحيوانات التي تعتني بها أمه من دجاج وأرانب واللعب مع أطفال المدينة الآخرين، بينما كان رامز محبًا للوحدة والهدوء لا يكاد يتكلّم مع أحد إلا مضطرًا للرد على تحيّة أو سؤال. كان رائد محبوبًا من الجميع سريع الاستجابة لأي طلب من أمه أو من إحدى الجارات، بينما كان رامز لا يجيب نداء أمه إلا بعد وقت طويل؛ لأنه كثيرًا ما يشرد وهو يتأمّل زهرة صغيرة أوقبيلة نمل أوسربًا من العصافير التي تعبر سماء المدينة البديعة.

- غريب أمر هذا الطفل، تقول الأم لزوجها شاكية، على أن أعرضه على كاهن المدينة أو الحكيم، لعله يشكو من علّة ما.

- اتركي الولد وشأنه، إنه لا يشكومن شيء، هو مختلف ليس إلا.. يقول الأب مهدّئًا من روع الأم الخائفة على طفلها.

- لكن ألا ترى انشغاله الدائم وهذا الشرود المتواصل؟ عندما ينهض الأب صباحًا، يجد ابنه المختلف جالسًا في أعلى الربوة متأملًا الشمس التي بدأت تظهر من أقصى الشرق وهي ترسل أشعّتها الرقيقة على الكائنات، وتلوّن الأشياء بفرشاتها السحرية، ينتبه الطفل بعد وقت طويل لأبيه يتأمله فيبتسم له ويخفض رأسه، ثم يسأله بهدوء:

- أبي أين تقضي الشمس ليلتها؟

- ماذا؟ يقول الأب مستغربًا.

- سألتك، أين تقضي الشمس ليلتها؟

- آه! في البحر، إنها تنام في البحر، كل الناس تعرف هذا الأمر.

- لا يمكن! هذا أمر مستحيل!

- كيف ذلك يا بنيّ؟ يقول الأب حائرًا.

- الشمس كرة عملاقة من النار، كيف يمكن لها أن تغطس في البحر دون أن تنطفئ؟

- كرة من النار! من أخبرك بذلك؟

- لا أحد، ولكني فكّرت طويلًا فيها مادامت تضيء الأرض وتدفئ الكون فهي نار، ينهي الطفل كلماته بهدوء، ثم يخفض بصره متأمّلا عشبة خضراء تفتّح فوقها برعم أصفر، في حين يقف الأب حائرًا منتظرًا بقية التفسير.

يكبر الولدان بسرعة ككل أطفال الحكايات، ويبدو التميّز على رائد الذي يحفظ كل قواعد الهندسة الفرعونية ويبرع في العمليات الحسابية الأربع، كما يحفظ كل أعضاء الجسم

ووظائفها، في حين لا يحظى رامز إلا بشفقة المعلمين الذين يحترمون أباه باعتباره عضوًا في مجلس المدينة، لكن الفتى المختلف كان مقلقًا كثير الأسئلة الغريبة، لا يقنع بأيّ جواب حتى يفكّر فيه طويلًا، وأحيانًا يصمت غير راض لكنه يعود بعد يوم أو يومين، أو حتى أشهر ليثير نفس المسألة.

– انظري أمّاه! ما أجمل ذلك القوس الملوّن.

– إنّه عقد عشتار آلهة الخصب، تزيّن به جيدها.

– وأين جيدها؟ يقول رامز بعد فترة من الصمت. إن الألوان الخلابة تظهر فقط بعد نزول المطر وظهور الشمس.

– تتكوّن الزهرة، يقول معلّم الطبيعيات، من ساق وأوراق وتويج وبتلات.

– سيّدي، والعطر؟

– ماذا؟ ما به العطر، يا رامز؟

– العطر من مكوّنات الزهرة.

– لا. من أخبرك بذلك؟ العطر ليس من مكونات الزهرة.

– ولكن سيدي، الزهرة لا تكون زهرة أبدًا دون عطرها.

هكذا ظل رامز تلميذًا مقلقًا وطفلًا غريبًا، لم يرغب أبدا في تعلّم الهندسة ولا ركوب الخيل واستعمال الأسلحة التي برع فيها أخوه، حتى كان اليوم الذي رأى الحكيم بيرام الأوراق التي لا تفارق الشاب وطلب منه أن يطلع عليها، مدّ رامز الأوراق بخجل كبير وتردّد؛ لأنه لا يمكن أن يعصي للحكيم أمرًا، اتسعت عينا الحكيم وهويقرأ الكلمات المنتقاة بعناية، والأسئلة التي لم يتوصل هوالحكيم إلى طرحها فما بالك بالإجابة عنها: النهر الرّاكض بلا قدمين والحبّة الصغيرة إذ تخرق الصخر والطير الذي يعرف طريق العودة إلى العش، المطر النازل من سحاب كالقطن وخفقان قلب الأم وكذلك البرق الذي يمزق جسد الفضاء،

كلها وأكثر تعبر خاطري حينما تمرّ ربما أمامي في طريقها إلى المعبد، العصفور الذي يخشى الصيادين ويرهب الثعابين النائمة بين الأغصان ويخاف الرعد والبرق، العصفور الذي يؤثر راحة القفص على مغامرة الحرية كان يجب أن يبقى في البيضة، عطر الزهرة لا علاقة له بالأشواك صهيل الخيول لا ينتمي للفارس الذي يمسك سيفًا وهدير الأمواج غناء البحر لبحّارة كبروا دون رؤية عروس البحر، انظر إلى النمل وتعلّم كلما التصقت بالأرض كلما باحت لك بأسرارها.

- ما هذا يا بنيّ؟ صاح الحكيم ببهجة.

- لا شيء أيها الحكيم الجليل، مجرّد خواطر أدوّنها من حين لآخر وأنا أجلس أمام البحر أرنو له ينتقل من الهدوء إلى الهياج وأعجب لعظمته وغموضه.

- ستكون مساعدي ومستشاري منذ اليوم، أيها الفتى الشاعر.

- شاعر؟

- نعم شاعر. الشاعر هو ضمير هذا الكون والمتحدث باسم جميع الكائنات، عدّل عمّي البحر من جلسته ونفخ بعض الزّبد الفضّي وواصل: هكذا أصبح الفتى المختلف مستشارًا لأعظم شخصية في مدينة أوذنة العظيمة وأبدى حكمة كبيرة في حل المشاكل التي تطرأ بين المتساكنين، أو بين المدينة والمدن المجاورة. حتى إن الإمبراطور نفسه استشاره في بعض المسائل المتعلّقة بشؤون الدولة ووجد عنده النصيحة والرأي السديد، ورغم الحروب التي خاضها رائد والانتصارات التي حقّقها فإن اسمه نادر ما يذكر، لكن أخاه التوأم ظل ذكره دائمًا بفضل حِكمه المنقوشة على جدران المعابد، وكذلك بفضل القصائد التي تتغنى بالجمال والخير والعدالة وقد رآها الآلاف تغنّى على مسارح قرطاج وأوذنة والجمّ؛ لأن الكلمة الطيّبة هي ما يتبقى حينما نرحل جميعنا.

ايزيس ... أسطورة شعبية فرعونية

يحكى أن أوزوريس كان رجلًا طيبًا أخذ يعلم الناس ما يحتاجونه من أمور دنياهم فى الحقول بينما كانت إيزيس برفقته تقوم بمهامها بين الناس فى البيوت وبين النساء. فلما مات ملك البلاد اختار الناس أوزوريس؛ ليكون حاكمًا للبلاد. وبحكم أوزوريس عم البلاد الخير والرخاء إلى أن ظهر أخوه ست وبدأت معه تظهر بعض المصائب، وست كان قبيح الخلقة مشروم الشفة تظهر أنيابه منها ولعل هذا يغفر عدم ذكر السبب الأساسي لكره ست لأخيه أوزوريس، فدائمًا الفشل يكره النجاح، والقبح يكره الجمال.

ويحتال ست على أخيه فيعطيه هدية نفيسة، عبارة عن عباءة من قماش نفيس جدًّا يجوز إعجاب الملك، ثم يدعوه إلى سهرة فتظهر إيزيس عدم اطمئنانها إلى هذه الدعوة ولكن أوزوريس لم يلتفت إلى أحاسيس زوجته الوفية التى تتراقص أمامها أشباح المكيدة دون دليل واضح، وفى الاحتفال الذى أعده ست لأخيه دارت الكؤوس ومعها الرؤوس ثم عرض ست التابوت الذى كان قد أعده مسبقًا وعرضه على الجمع الذى أعجب به وقال إنه سيهدى هذا الصندوق البديع الصنع المزخرف بالنقوش والموشى بالذهب إلى الشخص الذى يطابق الصندوق مواصفات جسده وبعد أن جرب كل الموجودين فى الاحتفال الصندوق اتضح أنه لا يوافق جسد أى منهم، أشار ست على أخيه الملك بأن يجرب لعله يفوز بهذا الصندوق الجميل، وبعد أن أعرض الملك فى البداية عن الفكرة انصاع لرغبة أخيه وقام من مجلسه ومشى فى خطوات ثابتة إلى التابوت وهو لا يلحظ هذا الشرر الذى يخرج من عينى أخيه. وما أن جلس أوزوريس فى التابوت وقبل أن يظهر الحاضرون عجبهم من المطابقة الشديدة. أخذ ست الغطاء وأغلقه على جسد أخيه وأغلق الأقفال وصب عليه الرصاص السائل لإحكام الأقفال قام ست بمحاولة الاستيلاء على المدينة، لكن إيزيس دافعت عن مدينتها وسلامة شعبها إلى أقصى ما تستطيع لكن الأيام دول، تمكن الغادر من دخول المدينة وظن أنه سينال من الملكة، لكن التعاويذ التى تعلمتها إيزيس من كبير الألهة جاء وقتها وعندما دخل ست إلى قصرها كانت تتلو إحدى التعاويذ القوية التى تحولت بواسطتها إلى طائر صغير استطاع أن يفر من خلال النافذة بينما يقف ست مبهوتًا خائب الأمل، حينما طارت إيزيس عن القصر لم تكن قد حددت وجهة معينة؛ لتبحث فيها عن زوجها وحبيبها لكنها كانت تهبط من وقت لآخر إلى الأرض تسأل من تستشف فيه أن تجد لديه العون، ولكن انقضت أيام طويلة ولم تعثر على أثر لجسد الحبيب.

وفيما هي تطير فوق النهر وجدت امرأة بجوار النهر فتجسدت إيزيس ونزلت تسألها عن التابوت فقالت لها المرأة: إن الجنيات قد ظهرن لزوجها وأخبرنه أنهن رأين تابوتًا يطفو على وجه الماء ويشع من حوله النور وأخبرنه أن هذا الصندوق يحتوي على جسد الملك أوزوريس، ولكن زوجها لم يصدق ذلك؛ لأن الملك موجود فى طيبة وهنا اغرورقت عينا إيزيس بالدمع وأخبرت المرأة بما حدث وأنها تبحث عن حبيبها ومليكها. الآن عرفت إيزيس أن التابوت مر من هنا وأصبحت تعرف الاتجاه الذى ستمضي فيه وأخذت تطير بالقرب من سطح النهر إلى أن وصلت إلى الدلتا حيث يتفرع هناك النهر إلى فرعين وهنا وجدت إيزيس فى نفس حيرتها السابقة فمع أى فرع تمضي.

فيما هى فى حيرتها وقعت عيناها على مجموعة من الأطفال يلعبون، ولكنها لاحظت أن هناك طفلًا يبكي فتجسدت فى صورتها البشرية الجميلة ونزلت تسأله عن سبب بكائه وبعد محاولات عديدة أخبرها أنه كان يريد الصندوق الذى كان يسبح على صفحة النهر.

سألته وأين ذهب الصندوق؟ فأخبرها عن اتجاه مسير الصندوق ودعت إيزيس الطفل الصغير بعدما وعدته بإحضار صندوق جميل يستطيع أن يحمله بدلًا من الآخر الذى لم يستطع إخراجه من الماء.

وبعد مسيرة طالت على إيزيس قابلت بس كبير الجنيات فسألته عن الصندوق، فقال لها: إن الصندوق قد نزل إلى البحر وتقاذفته الأمواج إلى أن مال تحت شجرة من أشجار الحور التى احتوت الصندوق ونما جزعها بسرعة ودارى الصندوق، سألته: هل سأجد الصندوق هناك فقال لها: إن الأمر ليس بهذه البساطة فقد جاء ملك بيبلوس وقطع الشجرة ليضعها عنده فى البهو وهى الآن تحمل سقفًا به قصرملك بيبلوس، وكافأته إيزيس بأن أجابت له كل طلباته التى أرادها مستخدمة قواها وتعاويذها السحرية، ثم تابعت رحلتها الطويلة فى صبر منقطع المثال، وعندما وصلت إلى بيبلوس قامت بتمريض ابن الملكة حتى تستطيع أن تنال الحظوة لديها ولم تمض أيام ثلاثة حتى كان الطفل يجرى فى أنحاء القصر، واتخذت الملكة من إيزيس كبيرة لمربيات القصر ولعل هذا كان من أكبر ما تحملته إيزيس، فبعد أن كانت ملكة أصبحت مجرد مربية، ولكن كل شيء يهون فى سبيل الحبيب والزوج والملك وقد حاولت أن تصل بهذا الغلام إلى الخلود الأبدي ولكن لهفة أمه وجزعها عليه أفسدت محاولتها.

عندما عاد الملك من رحلته إلى القصر روت له الملكة الكثير، والكثير عن أفعال إيزيس الطيبة وأوضحت له أن المرأة ليست سوى ملكة وأنها يجب أن تلقى التكريم اللائق بها وتمضى إلى حال سبيلها، وتعجب الملك من الأمر فكيف يمكن أن يكرم هذه الملكة ويوفيها حقها؟

ذهب الملك إلى إيزيس وركع بين يديها وقبل اليد الممدودة إليه، وقال لها فى أدب جم: إنه يشكرها لتشريفها لهم واهتمامها بالطفل الصغير، وسألها إن كان فى مقدوره أن يقدم لها أية خدمة من الخدمات. طمأنته إيزيس على زوجته وأخبرته أن ميعاد رحيلها قد دنى إنها تطلب منه منة لا تنسى فقال لها الملك: طلباتك مجابة منذ الآن، فقالت إيزيس: الدعامة الموجودة فى البهوالكبير، إنني أطلبها منك، لم يكن الملك يتوقع منها هذا الطلب، لكنه لم يكن ليرفض لها أى طلب مهما كان. انقضى النهار بطوله والعمال فى جد يقومون بخلع الدعامة وإيزيس تقف فى انتظار بكل الشوق والحب تتابع الموقف فى ترقب شديد، فقد طال الانتظار لرؤية الحبيب وبعد أن أتم العمال انتزاع الشجرة من مكانها، قامت إيزيس بشق اللحاء فظهر التابوت وبعد القيام بكل مراسم التقديس والإجلال، حمل العمال التابوت فوق القارب الذى ستبحر به إيزيس، وهكذا انتهت رحلة إيزيس بعد طول عناء بأن وجدت محبوبها، فقد كافأها الإله الكبير رع وأعاد إليها حبيبها.

وعندما وصل القارب إلى حيث شاء الرب قامت إيزيس بمحاولات عديدة لفتح التابوت وبعد عناء شديد تمكنت من إزالة الرصاص ثم قامت بفتح الأقفال أخيرًا، رأت جسد الحبيب أمام عينيها، إنها الآن تستطيع أن تلمس أوزوريس الحبيب ولكن عليها الآن أن ترجع إلى التعاويذ لتعرف ما يجب عليها أن تفعله، وبالفعل قامت بذلك وعلى الرغم من إنها لم تكن فى حاجة حقيقة لمذاكرة التعاويذ أو مراجعتها إلا أنها رأت أن تفعل ذلك فهو أوزوريس الذى تحاول إنقاذه؛ ولذا فهى لا تقبل أن يكون هناك أى احتمال للسهو أو الخطأ بدأت إيزيس فى تلاوة التعاويذ والأدعية، وألحت على الإله وأعادت مرات ومرات، بل وقامت بترتيل أقوى التعاويذ وهى التعويذة القادرة على إعادة الحياة وبالفعل استجاب الإله لدعواتها وعادت الروح إلى الحبيب الذى طال انتظاره، وسعدت إيزيس بحبيبها أوزوريس وعاشا فى هناء لا يعرف مثيله إلا من حرم من محبوبه حرمانًا حقيقيًا ثم رد إليه، إن الحبيبين عاشا فى هناء لعامين أو أكثر أنجبت خلالها الابن الجميل حورس الذي شب على عين أبيه يعلمه كل ما يعلم على صغر سنه صيد الأسماك واستخدام الشباك والحراب والأسهم.

وكان أوزوريس لا يغيب عن أسرته السعيدة إلا فى الضرورة القصوى للبحث عن الصيد وسعى وراء الطعام للأم والطفل الصغير، وتحملت إيزيس ضيق العيش مع الحبيب أوزوريس وعاشت فى كوخ صغير ليس فيه من متع العيش إلا القليل جدًّا، بل أحيانًا كان لا يحتوى على شيء من مصادر الإسعاد غير وجود محبوبها وصغيرها، كانت تقبل أى شيء إلا أن يغيب عنها حبيبها، ولكنها قبلت ذلك عندما أخذ الحبيب فى الخروج للبحث عن الصيد على ألا يتأخر أكثر من يوم، وذات مرة خرج الحبيب للصيد وتأخر وطال الانتظار ولم يعد وعندها شعرت إيزيس أنها لن ترى حبيبها ثانية. عند ذلك ذهبت إلى القارب الذى حضرت به إلى هذا المكان النائي هي وحبيبها منذ سنوات ويا لهول ما رأت إنه الشرير ست وقد جلس فى القارب وأخذ يعده للرحيل وعندما رآها أخبرها أنه سيأخذها هي والصغير إلى طيبة وعندما سألته عن الحبيب أخبرها بكل البرود أنه استطاع أن يقتله ويقطع جسده إلى أجزاء ويودع كل جزء فى طرف من أطراف البلاد حتى لا تستطيع أن تقوم بإعادة الحياة إليه بواسطة التراتيل والرقى.

حزنت إيزيس أشد الحزن على المفقود ولم تعر ست الشرير أى انتباه حتى عندما عرض عليها ملك طيبة وأنه يريد أن يجعلها ملكة مرة أخرى، ثارت عليه وقالت: أنها لا تأبه بكل عروش الدنيا وأنها تستطيع أن تدمره، ولكنه سخر منها ثانية وأخبرها أنه اتخذ كل احتياطاته حتى لا يؤثر فيه سحرها وفاجأها بالكثير من أعوانه الذين غلبوها على أمرها ووضعوها فى القارب، وبدؤوا رحلة العودة إلى طيبة حيث قام بإيداعها أحد القصور الخاصة وأوصى بأن يظلوا بهذا المكان ولا يسمح لهم بالخروج منه. وبعد طول الحبس وكثرة التوسل لرع كبير الآلهة أخيرًا استجاب لها وأرسل لها توت إله المعرفة الذى عاونها على الخروج من الحبس، الذى وضعها فيه ست وقد وعدها توت أكثر الآلهة حكمة بأنها لابد ستجد جسد أوزوريس وستتمكن من إعادته إلى الحياة، وبعد أن تركها وجدت معها سبعة عقارب أسفل قدميها، وبدأت إيزيس رحلة جديدة من البحث، وكانت كلما تذكرت أن ست الشرير سيطاردها عندما يكتشف هروبها يدفعها ذلك إلى الإسراع والجد فى المسير إلى أن أخبرتها العقارب السبعة بأنه يجب عليها أن تقيم فى هذه المدينة إلى أن يقضي رع أمره. وعندما وصلت إلى مدينة تب دخلت إلى قصر الأمير، ولكن زوجة الأمير طردتها لأنها خافت من العقارب وخرجت إيزيس إلى القرية وعانت الكثير، حتى وجدت من يقبل استضافتها خاصة بعد أن طردتها

الأميرة، وحتى عندما وجدت امرأة آوتها قامت الأميرة لطردها وهنا كان لابد لإيزيس أن تستخدم قواها لإجبار الأميرة على أن تقبلها، ولعلها لم تصل إلى الفكرة قبل أن يذب العقارب السبعة وقاموا بلدغ الطفل ابن الأميرة، وهنا هرعت إيزيس لإنقاذ الطفل، وبعد تراتيل عديدة تمكنت إيزيس من إنقاذ الطفل، وقد دفع هذا الأميرة إلى التراجع عن قرارها المتعسف لطرد المرأة وطرد إيزيس أيضًا، وبعد هذا كانت هناك مفاجأة كبيرة تنتظر إيزيس حيث قام الخبيث ست بإرسال أحد العقارب الشريرة فقام بلدغ الصغير حورس الذى لم يستطع مقاومة السم وعندما جاءت إيزيس كان الأوان قد فات ولم يعد فى إمكان أحد إنقاذه الصغير.

والآن إيزيس تبكى ويقطع أنينها صمت الليل الآن قام ست بقتل زوجها الحبيب أوزوريس وتشريدها فى الأرض، وقام أخيرًا بسلب طفلها الوحيد وصرخت فى لوعة: أعده إليّ ثانية أيها الإله رع، أنت يا من تملك مفاتيح الحياة والموت استمع لصلاتي ولا تدع ولدي الوحيد يؤخذ منى على هذا النحو، وأخيرًا أجابها توت إله المعرفة وأخبرها أن الصغير حورس لن يلحق به أذى وأخذ توت يتلو كلمات السحر التى تكمن فيها القوة وعندئذ بدأت الحياة تدب ثانية فى الطفل، وقفزت إيزيس إلى مهد الطفل وضمته إليها ثم تذكرت أنها لم تؤد فروض الشكر إلى ذلك الذى استجاب لصلاتها فاستدارت إليه لتشكره ولكن توت قد انصرف دون انتظار الشكر كعادته.

آن الأوان لتبدأ إيزيس رحلة البحث من جديد عن جسد أوزوريس، ولكن هنا مظهر آخر من مظاهر الوفاء فعلى إيزيس أن تجد مكانًا لأبنها وابن حبيبها قبل أن تذهب للبحث، وبالفعل تركته عند الكاهنة التى تعيش فى الجزيرة المسحورة واستأنفت هى رحلة البحث، وبعد طول عناء أخيرًا وجدت رأس حبيبها وتبع ذلك تجميع باقى أجزاء الجسد إلى بعضها البعض وقامت إيزيس بتلاوة التعاويذ وتم للمرة الثانية هذا العمل فى جو من الرهبة الحزينة والجلال الرهيب وتكلل هذا كله بالرقى والتعاويذ، فعاد أوزوريس مرة أخرى إلى الحياة، وانتقم حورس لأبيه وأمه واستعاد الملك بل وقتل ست الشرير.[1]

---

(١) هذه القصة تعد من أروع قصص الفراعنة، فيها تجسد الوفاء والحب والإخلاص والتضحية، حيث نرى أنه بالرغم من المصاعب التي واجهت إيزيس إلا أنها لم تتخل عن دورها كزوجة وأم بالعكس تحدت المصاعب وتحدت أشر المخلوقات لتنقذ زوجها وتنقذ ابنها فهي هنا مثال للأمومة والمحبة.

قصة الملاح التائه... أسطورة شعبية فرعونية

يحكي أن بحارًا اصطدم بجزيرة زاهرة بعرض البحر المتوسط اصطدامًا هائلًا، فقد أبحر ومعه ٥٠٠ من أشجع البحارة المصريين وأكثرهم حنكة، على ظهر سفينة ضخمة، يزيد طولها عن مئة قدم وعرضها عن الثلاثين. في بعثة إلى المناجم، وبينما هم مبحرين، هبت عليهم رياح هوجاء، وعاصفة مهلكة واصطدمت السفينة بأمواج عاتية يصل ارتفاعها إلى ثلاثين قدمًا، فهلك العديد من الرجال سقطوا في البحر وفي النهايه تبعتهم السفينة نفسها.

وألقى بحارنا، الذي ظل يجاهد للبقاء على قيد الحياة، بنفسه من فوق المركب الذي بدأ في الغرق، وتشبث بلوح من الخشب، وظل التيار يجرفه وهو متشبث باللوح الطافي لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفي اليوم الرابع طرحته موجة عملاقة على شاطئ جزيرة غريبة وغامضة؛جزيرة كا.

فزحف لاهثًا إلى مأوي تحت شجرة، بعد أن استراح قليلًا، قرر أن يستكشف ما حوله ويبحث عن ناجين آخرين. وتسمر من هول المفاجأة عندما رأي قدرًا هائلًا من الكروم والشجيرات التي تحمل العنب، والتين، والتوت. وشاهد حيثما وجه بصره فيضًا من الحياة: القمح والشعير وكل الثمار والطيور والحيوانات كلها تجول في جزيرة غير مأهولة بالبشر وبعد أن ملأ معدته بالفاكهة قرر أن يحفر حفرة ويشعل فيها النار، وشرع في طهي بعض اللحم والسمك لنفسه وقدم قرابين مشوية للآلهة امتنانًا من أجل سلامته وحسن حظه، وسرعان ما بدأت الأرض تهتز، والأشجار تضطرب. وفجأة برز ثعبان عملاق جسمه مكسو بحراشف ذهبية، رافعًا رأسه نحو البحار المتلئ رعبًا. وفتح الثعبان فكيه، وتحدث بصوت هادر، سائلًا البحار عن المكان الذي جاء منه، وقال إنه إذا كانت إجابة البحار مغايرة لما كان الثعبان قد سمعه فعلا من قبل فسيلتهمه، وحكى البحار وهو يرتعد رعبًا قصة العاصفة وموت كل زملائه، وطمأنه الثعبان وأكد له بأنه آمن؛ لأنه جاء للجزيرة عبر البحر، وأنه كان الناجي والمختار الوحيد من الكارثة التي أهلكت العديد من الرجال العظماء، وكشف الثعبان أنه واحد من ٧٥ ثعبانًا عاشت على الجزيرة، بالإضافة إلى فتاة صغيرة جاءت مؤخرًا عندما سقط نجم، وأخبر الثعبان البحار أن لديه نعمة القدرة على التنبؤ، وتنبأ له بأن سفينة إنقاذ

ستصل خلال أربعة شهور لتعيده إلى بلده نونظرا لإحساسه الغامر بالامتنان، تعهد البحار بالعودة إلى الجزيرة ومعه كنوز وقرابين، عطور، بخور، وحيوانات من مصر كهدايا للثعبان وضحك الثعبان فلم تكن جزيرته بحاجة لأي شيء يمكن أن يحضره البحار. وأضاف أن جزيرة كا سوف تغرق في البحر الذي جاءت منه بعد أن يرحل البحار، ولن تظهر نفسها مرة أخرى إلا للتائه المختار التالي، وبعد مرور أربعة أشهر وصلت السفينة. وأهدى الثعبان للبحار هدايا من العاج، والكحل والعطور الفاخرة، ونبات السنا، والتوابل، والأخشاب، والذهب، والفضة، والزراف، والقرود، ليأخذها معه إلى مصر. وأمضى هو ورفاق السفينة الجدد شهرين مبحرين، وشاهد الجزيرة تتضاءل وتتضاءل حتى اختفت من مجال البصر تمامًا كما أخبره الثعبان وتأثر الوزير بهذه القصة للغاية ونقلها إلى الفرعون الذي أمر بدوره رئيس الكتبة آمون آمونا بتدوينها على البردي. وكوفئ البحار بمنصب كبير موظفي القصر، تعويضًا له عن محنته ومكافأة عن روح المغامرة أو ربما لإبداعه في اختراع هذه القصة لتفسير الكيفية التي أصبح بها ثريًا. (١)

قصة سنوحي... أسطورة شعبية فرعونية

يحكى أنه كان في عصر تالٍ لاخناتون، طبيب مصرى مشهور اسمه سنوحي، كان والده يعمل بالطب، وتعلم منه سنوحي تلك المهنة، حتى صار طبيبًا بارعًا بالرغم من صغر سنه، وترقى حتى صار طبيبًا خاصًا للفرعون. اشتهر سنوحي بإجراء الجراحات الصعبة وبعلمه الغزير، ولكن هناك أقاويل حول نشأته، حيث قيل إنه من أبناء فرعون من إحدى جواريه ولكن أمه خافت عليه من بطش الملكة فألقت به في النهر في قارب وعثر عليه والداه اللذان ربياه حتى صار شابًا يافعًا. كان سنوحي قريبًا جدًا من فرعون، ولكن توفي الملك نتيجة بعض المؤامرات، وخاف سنوحي من اتهامه بالاشتراك فيها، فهرب مسرعًا من البلاد إلى الشام، وتنقل هناك بين المدن وعاونته شهرته كطبيب على الوصول إلى مكانة عالية، لكن بعد أن

(١)هذه القصة نقشت على برديه ترجع إلى نحوعام ١٨٠٠ قبل الميلاد، تمثلت الشجاعة وأهمية الصدق للنجاة، من كتاب روح مصر القديمه- تاليف آنا رويز- مكتبة الأسر٢٠٠٦- ترجمة إكرام يوسف.

تقدم به العمر، استبد به الحنين لموطنه، وأرسل لفرعون مصر يستعطفه كي يعود لبلاده؛ ليموت ويدفن في أرضها، وعفا عنه فرعون، وعاد سنوحي لبلده. وصل مبعوث من مصر إلى بلاد الشام، وبينما كان يتحدث مع الحاكم طلب الحاكم من سنوحي أن يتحدث إليه فقال المبعوث مندهشًا: سنوحي؟ لكن هذا اسم مصري، أمونينشي: إنه مصري، لقد عثرت عليه وهومشرف على الهلاك من العطش والخوف منذ ثلاثين عامًا مضت، وبقي معنا وتعلم كيف يرعى الغنم ويحميها من الأسوُد، لكن بذور الخوف مازالت مزروعة بداخله، وممّ يخاف؟ سوف يخبرك هو بنفسه وبعد دقائق معدودات، رأى باحور رجلًا عجوزًا رمادي الشعر هزيلًا متغضن الوجه، إليك ما سمعه من هذا الرجل: اسمي سنوحي رافقت سنوسرت الابن الأكبر وولي عرش الفرعون أمينمحات، حيث عسكرت قوات فرعون التي كانت تحت قيادة سنوسرت على الحدود مع البدو، ولكن في إحدى الليالي، اختفى سنوسرت صقر السماء مع أقرب أصدقائه وأخلص حاشيته، لم يعرف أحد من الجيش إلى أين ذهب، ونادتني الروح الشريرة التي تسمي الفضول وحثتني أن أقترب من إحدى الخيام، وسمعت أصواتًا تقول: إن فرعون محيا السماء وطلعتها البهية اختفى وراء الأفق، فقد ارتفع حاكم مصر العليا والسفلى إلى السماء ولحق بالشمس، وإن هذا الذي لا أريد أن أنطق باسمه هو الذي وقع عليه الاختيار وعليه أن يسرع إلى البلاط قبل أن يصل إليه سنوسرت، وحينما سمعت ما كانوا يقولونه، ارتجفت من أعلى رأسي إلى أخمص قدمي، فلسوف ينشب في العاصمة نزاع وتثور فيها فتنة وتحل بها الكارثة، واختبأت بين الأغصان، بينما الجنود يتدافعون ذهابًا وإيابًا. ظننت أنهم يبحثون عني أنا من علمت السر، ومن ثم لبثت في مخبأي. وعندما حل الظلام، انطلقت في طريقي، ووصلت إلى نهر النيل، عبرته في قارب. وعاونتني الريح الغربية. وسرعان ما وصلت إلى جدار مبني كحائط صد ضد البدو. وزحفت إلى ما ورائه من بين الأغصان؛ لأنني لم أرد أن يراني الحراس، وإلى جانب البحيرة السوداء العظيمة أحسست بالعطش. وكانت الرمال تحشو ما بين أسناني، وهذا هو ما اعتقدت أنه طعم الموت، ثم سمعت ثغاء الأغنام، فعاد قلبي إلى ما بين ضلوعي، وأعطاني الرعاة البدو الماء لأشرب ثم الحليب المغلي.

وتنقلت من أرض إلى أرض، حتى وصلت إلى أملاك القائد أمونينشي. وطلب مني البقاء، ووثقت فيه، وزوجني ابنته الكبرى، وتركني أختار قطعة أرض، طرحت عنبًا وتينًا. ورزقت بثلاثة أبناء. إنهم الآن رجال، وكل منهم شيخ قبيلة، لكن قواي تخور وتضعف، ووهن العظم مني، وفقدت عيناي البريق، وأنا لا أريد أن أموت في بلد أجنبي، فوفقًا لعادات أهل هذه الأرض، يقذف بجثث الموتى للضباع الكاسرة والطيور الجارحة. قال المبعوث: إن قسمتك ونصيبك يدعوان إلى الرثاء يا سنوحي، إنك كثور تائه في قطيع غريب عنه، إن قلبي ليأسى لك، فهنا لن تكون لك مقبرة وسوف تشارك البدو مصيرهم. خر سنوحي على الأرض، وجسده يهتز من النشيج ويرتج بالنحيب. قال باكيًا وهو يتعلق بقدمي المبعوث: اعمل لي معروفًا أبلغ الرب أنني علمت سرًا ملكيًا عن طريق الصدفة، لكنني حملته معي إلى أرض بعيدة، ولم أسبب ضررًا لأي أحد.

قال المبعوث وهو يطلب من الرجل أن ينهض: الرب رحيم، وهو سيغفر لك ذنبك إذا ساعدتني على أن أعود إلى مصر. صرخ سنوحي في سعادة بالغة: نعم، نعم.. سأفعل كل شيء تقول به، مرت سنة وأتت قافلة تجارية إلى أرض ريجنو. أتت معها رسالة موجهة إلى سنوحي. قرأ الرجل العجوز لفافة البردي التي أُعطيت إليه، وانهمرت الدموع على خديه. تقول الرسالة: لقد سافرت بعيدًا، دفعك قلبك الخائف إلى أن تهرب من بلد إلى آخر. عشت سنوات كثيرة مع البدو، وكنت مثل بدوي أنت نفسك. لكننا نتذكرك كما كنت في يوم من الأيام؛ لذلك عد إلى العاصمة وقَبّل ترابها، ولسوف تعود قذارة جسدك إلى الصحراء، سوف تُعطى ملابسك إلى هؤلاء الذين يعيشون وسط الرمال، ولسوف يدهن جسدك ويضمخ بالزيوت العطرية ويُلف بالكتان المندى، لن تموت في الخارج، سيصنع من أجل مومياوتك صندوق من خشب الأرز، ويوضع جسدك على عربة تجرها الثيران المخصية، وتتقدمها مسيرة المنشدين، ويرقص الأقزام على باب مقبرتك. فهيا عد يا سنوحي، هيا ارجع.[1]

---

(١) تعد هذه القصة من أشهر القصص في الأدب الفرعوني بالإضافة الى قصة إيزيس وأوزوريس وترجمت قصة سنوحي إلى العديد من اللغات وقدمت أيضا في فيلم.

قصة الصدق والكذب... أسطورة شعبية فرعونية

كان ياما كان في الزمن الذي كان رع يحكم فيه مصر كبشر، عاش شقيقان: الصدق وهوطاهر من الخطايا، بينما يمتلك شقيقه الكذب أكثر القلوب سوادًا، وفي أحد الأيام طلب الصدق من أخيه الكذب أن يستعمل سكينًا من سكاكين أخيه. وتردد الكذب لكنه وافق. وعند انتهاء اليوم اكتشف الصدق أنه أضاع سكين أخيه، فرجاه أن يسامحه ووعده بأن يعوضه بدلًا منها بأفضل منها، لكن الكذب أصر بأن السكين كان سكينًا غير عادي، ولا يمكن تعويضه، لكن الصدق مَن جانبه أصر بأنه كان عاديًا وأنه سيعطي أخاه واحدًا أَحَدّ منه، وأكبر حجمًا لكن الكذب تعلق بسكينه الذي أصبح فجأة غير عادي، وشعر الصدق بالعجز أمام أخيه الكذب، أحضر الكذب أخاه الصدق أمام تاسوع آلهة لونو؛ ليحكموا بينهما وأصر على ادعاءاته، بينما الصدق مأخوذًا بمدي زيف شقيقه ووقف في رهبه، بينما حكمت الآلهة لصالح شقيقه؛ لأنه عجز أن يدافع عن نفسه، وحينما طلبت الآلهة من الكذب أن يحدد العقوبة التي يراها ردًا لحقه، أجاب بأن تؤول جميع ممتلكات أخيه إليه وأن يعمل الصدق خادمًا عنده بعد أن تقتلع عيناه، بعد أن تم تنفيذ الحكم وشاهد الكذب شقيقه أعمى، شعر للمرة الأولى بالذنب، ولم يستطع تحمل الشعور، فأمر بقتل الصدق، وشعر رجال الكذب بالشفقة على سيدهم السابق فقرروا أن يتركوه وسط الجبال الوعرة مع بعض المؤن، وأن يتركوا مصيره للآلهة.

وتلمس الصدق طريقه عبر الجبال، بينما يتناقص ما لديه من مؤن، ورقد ليستريح متمنيًا الموت ليتخلص مما هو فيه، وبعد وقت قصير مرت امرأة جميلة وخادمتها، فعثرت على الشاب العاجز الكفيف، وهو علي شفا الموت وأخذته إلى عزبتها، وأمرت له بحمام من الزيتون وأطعمته أفخر الطعام وألبسوه ملبس من الكتان، ثم منحته وظيفة حارس الباب، ولكن سرعان ما أصبحا عشيقين، ونتيجة لذلك ولدت منه طفلًا كبر ليصبح رجلًا قويًا ووسيمًا، وفي أحد الأيام تساءل مَن أبوه وتوسل إلى أمه كي تخبره فأشارت إلى الصدق الذي كان يجلس كفيفًا حارسًا للباب، وأخبرته أنها أحبته حبًا حقيقيًا لكن القوانين تمنع زواج سيدة من النبلاء بواحد فقير كفيف.

اشتد غضب الشاب على نحو بالغ، وتحدث إلى أمه بتحد للمرة الأولى، وأعلن أن والده لن يجلس بعد اليوم كخادم وحارس على البوابات، وذهب إلى الصدق وأخذ بيده إلى

العزبة، وألبسه ملابس النبلاء، وشعرت الأم بفخر شديد وأقامت حفلة وأعلنت فيها أن الصدق لم يكن فقط والد ابنها، وإنما كان أيضًا حب عمرها.

هنا تعجب الابن من معاناة والده ولم يكن أمام الأب إلا أن يخبر ابنه بالقصة كاملة فتعهد ابن الصدق بالثأر، وفي اليوم التالي اختار الابن أفضل الثيران وأكبرها واتجه إلى عزبة الكذب وفي طريقه توجه إلى راع للغنم وأقنعه أن لديه عملًا يستغرق منه بضعة أيام، ولن يستطيع أن يأخذ الثور معه، وطلب منه أن يأخذ الثور عنده وأعطاه مبلغًا من المال نظير رعاية الثور ووافق الراعي، خلال هذا الوقت مر الكذب بالراعي لينتقي ثورًا لوليمة سيقيمها في بيته فأعجبه الثور فاختاره فأخبره الراعي بأنه ليس للبيع وأنه يعتني به لحساب آخر سيعود، لكنه أزعن للأمر في النهاية وأعطاه الثور، وفي اليوم التالي أتى ابن الصدق ليأخذ الثور وحاول الراعي أن يعطيه أي ثور بدلًا منه لكنه أبى ورفض، واشتد سخطه ورفع دعوى إلى آلهة لونو التسعة قائلًا بأن ثوره ليس له أي مثيل بين الثيران وأنه يبلغ من الطول عشرة أقدام وأنه لا يوجد أي بديل أو شبيه له، لكن الكذب أكد أنه كان فقط يزيد قليلًا عن باقي الثيران، كما أنه وآلهة لونو التسعة دهشوا من وصف الابن لثور عملاق لم يره أي إنسان أبدًا، وهنا رد الإبن وكشف عن شخصيته قائلا:وهل رأي أحد سكينًا كالتي وصفها الكذب هنا قبل سنوات؟ ففضح خداع وأكاذيب عمه أمام الآلهة التسعة.

حول الآلهة أنظارهم إلى الكذب الذي طلب المغفرة، ولأنه متأكد أن الصدق قد قتل على أيدي رجاله اقترح في دهاء أنه لوكان الصدق حيًا فإنه يقبل أن يعاني نفس المصيرالذي كان على أخيه أن يواجهه، وسرت الآلهة بهذا الاعتراف واختيار العقوبة، وأرسلوا من يبحث عن الصدق وأحضروه أمام الجمع، ففزع الكذب لمرأى أخيه وفزع أكثر عندما وجد أنه يجر إلى عقوبة الموت التي نطقها بلسانه، أما الصدق فلم يستعد أملاكه فحسب بل إن الآلهة كانوا رحماء به فردوا إليه بصره، ولما استعاد وضعه كرجل نبيل مضى قدمًا كي يتزوج من أم ابنهما الرائع.[1]

(١) قصة من الادب الفرعوني، ولكنها تدور كلها في عالم من الخيال وفيها العديد من العظات والتي كانت توجد في العديد من القصص الفرعونية، حيث كان الهدف الاساسي لقصص عديدة هو إيصال حكمة مغلفة بأسلوب أدبي أنيق لا ينفر - عن كتاب/روح مصر القديمه - مكتبة الأسره ٢٠٠٦ - تاليف أنا رويز- ترجمة إكرام يوسف.
ليس في أعرافنا ولا في الدين الإسلامى ما يبيح إقامة علاقة مع المرأة دون أن يعقد عليها.

أسطورة دمار البشر... أسطورة شعبية فرعونية

كان ياما كان في قديم الزمان حيث كان الآلهة والملوك يعيشون سويًا على الأرض، كان رع يحكم مصر، حيث بدأ رع يشيخ مما جعل البشر يتآمرون حوله، ولكنه أدرك ما في نيتهم فدعا الآلهة للمشاورة حول هذا الأمر، واتفقت الآلهة على أن يرسل رع عينه (التي هي الشمس في مظهر الآلهة حتحور) لكي تسحق المتآمرين، وقد أظهرت قدرتها وشدتها على المتآمرين فلقبت بسمت أي القوية ثم عادت مرة أخرى مصممة على القضاء عليهم، لكن رع أشفق على البشر، فأرسل رسله إلى جزيرة الفنتين؛ لإحضار قدر كبير من فاكهة حمراء تسمى دي دي، وأمر رع بتحضير سبعة آلاف إبريق من الجعة مزجت بالفاكهة حتى تظهر الجعة كأنها دمًا. وفي اليوم الذي ذهبت فيه حتحور لتدمير البشر أمر رع بصب الخمر في الحقول، وعندما قدمت الإله وعبت منها أصبحت ثملة تمامًا، مما جعلها تنسى مهمتها بفضل رع، وعلى الرغم مما فعله رع للبشر لم يكف بعضهم عن فعل الآثام فضاق صدره بآثامهم فذهب إلى السماء ممتطيًا ظهر البقرة السماوية تاركًا الإله تحوت ممثلًا عنه على الأرض.

لعنة الفراعنة... أسطورة شعبية فرعونية

الهدوء الذي يسبق العاصفة عندما كانت الشمس في كبد السماء، جلس عالم الآثار تحت مظلته يتأمل الرمال البديعة التي تحمل في باطنها أقدم حضارة عرفها التاريخ، فوق مكتبه كم هائل من الخرائط العلمية لقبر الملك توت عنخ آمون، يعقد كفيه خلف رأسه، ويحلم باليوم الذى يكتشف فيها تلك المقبرة، ويصل إلى قبر الملك، حلم ظل يراود كارتر عدة سنوات، يتردد على هيئة الآثار المصرية طلبًا للمساعدة، وظل قرابة العام يستخدم الخرائط التى وقعت تحت يده للبحث عن مكان المقبرة، وأخيرًا حدد المكان الذى يظن أنه مكان المقبرة، اتفق مع العديد من عمال الحفر للقيام بالمهمة، حدد لهم مكان الحفر، وبدأ العمال فى القيام بالمهام المنوطة بهم، فهل يصل العمال إلى المقبرة؟ وهل سينجح العالم كارتر في تحقيق أمنيته أم أن هناك العديد من المفاجآت التي تنتظره؟!

ذهول

ظل العمال يعملون بجد منقطع النظير، وفجأة الأرض لم تعد تستجيب لمعاول العمال الذين أصبحوا فى ذهول، يحاولون ويحاولون دون جدوى، ماذا وجدوا ياترى وما الذى أعاق عملهم؟! صخرة كبيرة من الجيرانيت التى كانت تصنع منها التوابيت عندما أزاحوا عنها التراب ظنوا فى البداية أنهم وصلوا إلى المقبرة وهللوا وكبروا علامة على الانتصار كعادة المصريين، سمع كارتر حركة غير عادية فى المكان فظن هوالآخر أن العمال قد توصلوا للسر الذى ظل يبحث عنه لعدة سنوات، وأنه سيكون له السبق فى اكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون، وستكتب عنه الجرائد المحلية والعالمية، وحلم بانتصار منقطع النظير، فتوجه إلى المكان بسرعة غير عادية كأنما يسابق الريح، وما أن وقعت عيناه على حجر الجرانيت انفرجت أسارير وجهه وخلع نظارته ليمسحها ويعاود لبسها من جديد، تحسس الحجر، وأزاح عنه التراب وطلب من العمال إزاحة باقي التراب ولكن بلطف، أمر العمال بعدها بالانصراف لحين إشعار آخر ليبحث فى أمر هذه الصخرة التى لم تكن فى الخرائط، أخذ الخرائط المصاحبة له وتوجه إلى منزله، حيث زوجته عالمة الآثار لينا التى أحبها وتزوجها بعد قصة حب عنيفة أثناء بحثهم عن الآثار الرومانية، شغوفة بحب الآثار، وهبت حياتها للآثار والبحث عنها رغم ما تحمله من وجه جميل يسر من ينظر إليه، كأنما تنظر إلى القمر ليلة تمامه، جرس الباب يدق بشدة، تسرع لتفتح الباب وإذا بكارتر زوجها يقبلها قائلًا: اتركي ما في يدك وتعالي هنا فى حجرة المكتب بسرعة، هناك العديد من المفاجآت هذا اليوم، وأريد أن تشاركينى الرأى فيما توصلت إليه اليوم بعد عدة أيام من الحفر، تركت ما فى يدها وأطفأت البوتاجاز عن الطعام الذى كانت تعده وغسلت يديها وتوجهت كالسهم صوب حجرة المكتب، تقول وهى قادمة على عجل: ماذا حدث يا كارتر؟!

ـ لقد حدثت مفاجأة لم تكن فى الخاطر.

ـ وما هى ياترى؟!

ـ لقد واجهتنا اليوم مشكلة عويصة ولا أعرف كيف أحلها ولم تكن فى الحسبان.

ـ كل عقدة ولها حلال، أخبرنى بالمشكلة وسوف نتوصل حتمًا إلى حلها معًا.

ـ المشكلة فى تلك الصخرة الهائلة التى قابلت العمال أثناء الحفر، إنها من الجرانيت الأسود الذى يحتاج إلى شهور عدة لتفتيتها والقضاء عليها تمامًا.

ـ عندى لك فكرة جهنمية، ما رأيك لو استخدمت الديناميت لتفتيت تلك الصخرة.

ـ ولكن الديناميت يحدث خللًا بالقشرة الأرضية وربما أضر بالمقبرة، وبذلك يضيع الحلم ونرجع بخفي حنين كما يقول المصريون.

ـ هناك احتمال آخر هو الخطأ فى تحديد مكان المقبرة، فالخرائط التى رأيتها معك وتدارسناها سويًّا لم يكن بها صخورًا أصلًا.

ـ معقول هذا، أيمكن هذا، وهل بعد كل هذه الدراسات تقولين هناك خطأ؟!

ـ الخطأ وارد وهذا ليس بعيدًا فلقد تعلمنا من الدراسة العلمية أن يكون هناك ولو واحد فى الألف نسبة خطأ، فليس بعيدًا أن نكون قد وقعنا فى هذا الواحد من الألف، كل شيء ممكن.

ـ لا لا لايمكن هذا، من الصباح سوف أجمع العمال وسوف أحاول تفتيت الصخرة بالسائل الكيميائى العجيب الذى صنعته فى معملي الخاص، هذا السائل قادر على تفتيت أقسى الصخور، ولكن هناك مشكلة كبيرة تحول دون تنفيذ تلك الفكرة.

ـ وما هى؟!

ـ السائل الذى معى ليس كمية كافية لتفتيت تلك الصخرة الكبيرة، وعلي تجهيز كمية كبيرة هذه الليلة تكفي لتذويب تلك الصخرة.

ـ وأنا سوف أسهر معك لتحضير تلك التركيبة العجيبة.

يسهر عالم الآثار كارتر طوال ساعات الليل هو وزوجته لينا لتحضير السائل العجيب الذى سيضعه العمال على الصخرة للقضاء عليها، هل سينجح العمال فى التخلص من الصخرة والوصول إلى المقبرة أم ستبوء محاولاتهم بالفشل؟!

السائل السحرى

بدأ العمال فى التجمع من جديد، وحملو السائل العجيب ووضعوه على قمة تلة من الرمال وأوصلوا الخرطوم إلى الصخرة العملاقة انتظارًا لإشارة بدء صب السائل العجيب على الصخرة، وفعلًا أعطى كارتر الإشارة للعمال لبدء العمل، اندفع السائل على الصخرة كالفيضان الذى أحدث بها شقوقًا رهيبة ويذيب كل شيء يقابله، يسقط السائل عموديًا محدثًا فتحة كبيرة ذات قطر يصل إلى عشرة أمتار، وفجأة يخرج منها دخان رهيب يملأ المكان، الدخان لونه أحمر وكأنه جاء من جهنم، يترك العمال المكان مهرولين خائفين فلم يحدث هذا معهم من قبل، ينظر العمال خلفهم وهم مسرعين وإذا بمارد عظيم يخرج لهم، عيناه يتطاير منها الشرر، يجرى نحوهم، وهو يقول: لقد أقلقتم راحتى، والموت لكم جميعًا على هذه الفعلة الشنعاء، وأخذ العملاق يدوس العمال الواحد تلوالآخر حتى قضى عليهم جميعًا وتركهم جميعًا جثثًا هامدة، أنا المارد العملاق الحارس الأمين لجثة الفرعون العظيم والموت لكل من فكر فى إزعاجى وإزعاج الفرعون فى جنته، بينما هرول الدكتور كارتر والدكتور شريف عالم الآثار ومساعدوه هانى ومحمود إلى السيارة التى قادها محمود بعيدًا عن مكان الحفر لينجو هو ومن معه بأعجوبة.

انسحاب مؤقت

رجع الدكتور كارتر والدكتور شريف ومساعدوه هانى ومحمود والخوف يتملكهم جميعًا، قال الدكتور كارتر للدكتور شريف: أنت عالم آثار ممتاز وأريد منك تفسيرًا علميًا لكل ما شاهدناه اليوم.

الدكتور شريف: إن ما حدث أمر لا يصدقه عقل ولم أشاهده طول حياتى المهنية، الخوف يادكتور كارتر أن يكون حدث ما أشيع أخيرًا.

الدكتور كارتر: وما هذا الشيء الذى أشيع، فبعض الشائعات قد تكون حقيقية، ولكن حتما لا يمكن أن نلغي عقولنا التى وهبها لنا الخالق.

الدكتور شريف: أخشى يا دكتور كارتر أن تكون أصابتنا لعنة الفراعنة.

الدكتور كارتر: لعنة الفراعنة، لعنة الفراعنة!

لملم الدكتور كارتر أوراقه وخرائطه وحمل حقائبه عائدًا إلى بلاده، وقد عزم النية على شيء لم يظهره للآخرين، فهل سيكمل الدكتور كارتر رحلته فى البحث عن مومياء توت عنخ آمون؟! أم إن الخوف الذى تملكه سيقصيه عن السير قدمًا لإتمام هذا المشروع الذى أفنى فيه حياته؟!

الهدف المدمر

مر عام والدكتور يبحث عن السر فيما حدث لا يثنيه ذلك فى البحث عن مكان المقبرة الفعلي وكذلك زوجته الباحثة النشطة فى الآثار، جمع الدكتور كارتر كل المعلومات من جديد عن المقبرة وجهز العدة للذهاب إلى مصر تارة أخرى فى تصميم غير منقطع النظير للوصول إلى هدفه الذى أفنى فيه سنوات عمره، وأقنع العديد من العمال للعمل معه فى مشروع حياته، ولكنه لم ينس تلك الحادثة التى مرت به فى العام الماضي، وهذا المارد الذى ظهر لهم فجأة، اتصل بمساعديه هانى ومحمود ليخبرهم بوصوله، واتصل بالدكتور شريف ليحضر حالًا، قال كارتر للدكتور شريف الذى جاء مسرعًا بسيارته: غدًا سوف نصل إلى مقبرة الملك توت عنخ آمون، لقد توصلت لمكان التابوت الحقيقي ولن يثنينى أى شيء عن الوصول إليه.

قال له الدكتور شريف: أرجو ألا تحدث مفاجآت، كما أرجو ألا يكون هدفك للوصول إلى المقبرة هدفًا مدمرًا نندم عليه جميعًا، وكفى ما لاقيناه من رعب فى العام الماضي، وعلى كل حال سنخوض غمار هذه المحاولة مهما لاقينا من متاعب وسيشهد لنا التاريخ أننا قمنا بعمل عظيم يستحق المغامرة، على بركة الله وموعدنا غدًا.

المكان الذى حدده الدكتور كارتر للعمال يشهد حركة غير عادية من العمل الدؤوب، المعاول تنزل على التربة فتحولها إلى فتات، يجمعه العمال ويزيحونه بعيدًا، يظهر أمام العمال سلم صخري، يستدعون الدكتور كارتر الذى جاء مسرعًا ليرى بداية حلمه يتحقق، السلم من حجر الجرانيت، ينتهى إلى بوابة من الجرانيت التى نقشت عليها نقوش فرعونية بديعة، ولكن بلغة لم يفهمها.

استدعى الدكتور كارتر الدكتور شريف ليحل له هذا اللغز ويفسر له تلك اللغة، يقول الدكتور شريف: لقد نجحنا يادكتور كارتر هذه بالفعل مقبرة الملك توت عنخ آمون، وهنا بالفعل يرقد الملك داخل تابوته الملكي، وما علينا إلا أن نفتح هذا الباب لنصل إلى التابوت.

الشمس تلملم رداءها للرحيل ويذهب العمال إلى منازلهم على أن يعودوا فى اليوم التالي، فهل ينجح العمال فى فتح هذا الباب الموصد، وماذا ينتظرهم خلف هذا الباب من أسرار؟!

الأفعى الملكية

وبدأ العمال فى العمل فى محاولة منهم لفتح باب المقبرة، أوحتى زحزحته لمعرفة السر الذى يختبئ خلفه، انتصف النهار، وهم يحاولون ويزيحون الأتربة من حول إطاره المستطيل، ولكن دون جدوى، لقد أخذوا تنبيهات من الدكتور كارتر بعدم العنف فى فتح الباب، ولابد من الرجوع إليه عندما يواجهون أى صعوبات، أتى الدكتور كارتر على عجل وتفحص الأمر ولكن دون جدوى، استدعى الدكتور كارتر الدكتور شريف ليسأله عن السر فى عدم فتح باب المقبرة، قال الدكتور شريف: انظر ياسيدى إلى هذه الفتحة المستديرة، انها المكان السرى لفتح المقبرة، فهناك قطعة صخرية مماثلة لهذه الفتحة وبدون العثور عليها لن نتمكن من فتح المقبرة، أمر الدكتور كارتر العمال البحث عن هذه القطعة الصخرية الدائرية بجوار الباب حسب توجيهات الدكتور شريف، وبدأ الدكتور شريف فى عملية بحث مستمرة عن المفتاح السري للمقبرة، ونجح أخيرًا فى الوصول إليه، وقام منتصبًا فى زهو كمن عثر على كنز ثمين، والتف الجميع حوله فى فرح غامر، يريدون معرفة كيف سيفتح الدكتور شريف الباب الذى استعصى على أعتى العمال بمعاولهم الحديدية الصلبة، وضع الدكتور شريف القطعة الصخرية الدائرية فى مكانها وقام بإدارتها لتستقر فى مكانها الطبيعي لتحدث المفاجأة التى أثارت انتباه الجميع.

بدأ الظلام يلف المكان بعباءته السوداء الكالحة، وما أن وضع الدكتور شريف القطعة الصخرية وثبتها فى مكانها حتى أحدثت صوتًا مروعًا وأضاء باب المقبرة بالأنوار التى أحالت المكان كلية إلى نهار، وانزاحت البوابة من مكانها بطريقة عجيبة، لم يعد للباب أى أثر غير الأنوار التى تنبثق منه وكأنه باب سحرى فقد أصبح شفافًا للغاية وتحرك جانبًا بطريقة أتوماتيكية عجيبة، المقبرة يخرج منها أنوار عجيبة، أنوار لم يرها أحد من قبل، ولكنها مركزة فى اتجاهين متوازيين وكأن مصدر الهالتين من الضوء الساطع متقارب للغاية، بل قد يخيل للناظر أن المصدر يكاد يكون واحدًا، رأى الدكتور شريف تلك الأنوار العجيبة فازداد خوفًا ورهبة، ورفض الولوج إلى داخل المقبرة حتى يتبين له الأمر ويصبح المكان آمنًا، أمر الدكتور

شريف أحد العمال بالدخول وما أن وصل إلى باب المقبرة المفتوح وهمَّ بالدخول حتى تراجع في الحال كالمذعور، فقال له: إن قلبك ضعيف تنح جانبًا، وأمر آخر بالدخول واستطلاع الأمر ولكنه كان حاله كحال الأول بل أشد هلعًا وخوفًا وذعرًا، توجه الدكتور كارتر ومساعدوه بسرعة إلى العمال الذين تراجعوا عن تنفيذ الأوامر لاستيضاح الأمر ومعرفة سبب إحجام العمال عن الدخول إلى المقبرة، نظر الدكتور كارتر داخل المقبرة حذرًا ومعه الدكتور شريف الذى استجمع قوته ولملم أعصابه وسبق الدكتور كارتر، ماذا وجدوا وهم على باب المقبرة؟ وما الذى جعلهم يتراجعون فجأة؟ وهل سيتقدمون إلى الداخل؟ أم يتركون المكان بلا رجعة؟!

المنظر الذى رآه الدكتور شريف اليوم لم ير مثيلًا له من قبل، ما هذا يادكتور شريف؟! هكذا سأل الدكتور كارتر الدكتور شريف الذى أخذ يلهث ويبلع ريقه كمن جرى ليوم كامل، ويقول: إنها الأفعى الملكية على ما يبدو يا دكتور كارتر، ولن نتمكن من الدخول إلى المقبرة إلا بعد القضاء على تلك الأفعى الملكية الرهيبة، وكما رأيت فإن النور الذى رأيناه كانت هى مصدره، فعيناها تتطاير شررًا وتضيء المكان بأكمله، أدار الدكتور شريف بسرعة القرص الحجرى دورة كاملة لتغلق المقبرة من جديد.

ـ كيف سنقضي على هذه الأفعى؟!

ـ هذه الأفعى خطيرة جدًّا، ولن نقضي عليها إلا إذا وجدنا كتاب الموتى.

ـ ولماذا كتاب الموتى بالذات؟!

ـ كتاب الموتى يا دكتور كارتر يحتوي على تعاويذ فرعونية تحول هذه الأفعى إلى صديق وبدون أن نجد هذا الكتاب وهذه التعاويذ ستظل عدوًا يفتك بكل من تطوله وسنفقد على الأرجح كل العمال إن حاولنا الدخول إلى المقبرة بدونه.

ـ الأمر إذن خطير ولابد من البحث عن هذا الكتاب ولكن أين نبحث عن هذا الكتاب العجيب يا دكتور شريف؟!

ـ لقد وجدنا حشرات غريبة فى الكثير من المقابر، ولكل حشرة أوحيوان تعاويذ مختلفة، أنا أملك العديد من أوراق هذا الكتاب ولكن تعاويذ الأفعى أنا لست متأكدًا إن كانت به أم لا.

ـ وماذا تنتظر يادكتور شريف اذهب الآن وأحضر هذه الأوراق ربما وجدنا ما يحل لنا المشكلة.

يقلب الدكتور شريف فى الأوراق التى يحتفظ بها فى مكتبته ويحاول أن يتذكر أين وضع هذه الأوراق التى كتبت على ورق البردى ولكن دون فائدة، كأن يدًا خفية أتت قبل أن يأتى وأخذت هذه الأوراق فى محاولة لوأد التقدم داخل المقبرة.

ـ ماذا فعلت يادكتور شريف؟ هل وجدت كتاب الموتى الذى أخبرتنا به؟

ـ الحقيقة يادكتور كارتر، لقد بحثت بحثًا دؤوبًا عنه ولكنى لم أجده على الرغم من أننى كنت أحتفظ به فى مكتبتى وفى مكان خاص جدًّا، وكأن يدًا خفية أخذته قبل أن أصل إليه.

ـ ما هذا يا ربي كلما تقدمنا خطوة تأخرنا خطوات وكأن يد القدر تحول بيننا وبين الدخول إلى هذه المقبرة.

ـ معك حق يا دكتور كارتر الأمور تسير ضد ما نريد، وكأن القدر يعاندنا ولكن لا تجعل اليأس يتسرب إلى نفسك وستحل هذه المعضلة.

ـ كيف ستحل هذه المعضلة وقد سرق كتاب الموتى من مكتبتك الخاصة؟

ـ لا عليك فلكل مقبرة كتابها الخاص بها وسوف نبحث عن كتاب الموتى لهذه المقبرة وسوف نجده إن شاء الله.

على بعد مئة متر من المقبرة وبعمق خمسة أمتار وجد الدكتور شريف كتاب الموتى، أسرع بإدارة القرص الصخرى وفتح باب المقبرة التى انطلق منها فحيح كفحيح الأفاعى الشرسة، وظل يقرأ التعاويذ التى كتبت باللغة الهيلوغريفية والكل ينظر إليه، ويترقب ماذا تسفر عنه تلك التعاويذ، الضوء الذى كان منذ قليل منبثق من المقبرة بدأ فى الخفوت، صوت ارتطام شديد داخل المقبرة، أعقبه دخان كثيف يزكم أنوف كل العمال والمهندسين وعلماء الآثار القريبين من باب المقبرة، هرع الجميع للنظر حذرًا داخل المقبرة، ليجدوا الأفعى الملكية وقد أحالتها التعاويذ إلى كومة من الرماد، فهلل الجميع بهذا النجاح الباهر للتخلص من هذه العقبة الكؤود التى تقف حجر عثرة فى طريق تقدمهم داخل المقبرة.

دخل الدكتور شريف والدكتور كارتر من باب المقبرة ينظرون هنا وهناك لهذا الإبداع الفنى الذى ليس له مثيل، اللوحات لا زالت كما هى من آلاف السنين وكأن فنانًا قد فرغ منها فى التو، اللغة الهيروغليفية كتبت بيد مبدع فنان فى تناسق يسر الناظرين، حياة الملك مغامراته الحربية زوجاته التى تزوجها والتى أحبهم ولم يتزوجهم، موسوعة من العبارات التى تحتاج إلى الأيام بل الشهور لفك طلاسمها وترجمتها لمعرفة سر هذا الراقد فى تابوته يعيش حياته الأبدية، انبهر الجميع من هذا الفن الذى ليس له مثيل، يبحثون عن الدكتور شريف والدكتور كارتر لسؤالهما عن خطة العمل وياهول المفاجأة لم يعد لهما أى أثر داخل المقبرة، أين ذهب الدكتور شريف والدكتور كارتر؟! هل انشقت الأرض وابتلعتهما؟! وهل سينجح العمال فى العثور عليهما أم أن حادثًا ما حدث لهما ولن يرجعا أبدًا.

وما إن وضع الدكتور شريف والدكتور كارتر قدميهما فى الرماد دون دراية منهما، وإذا بقوة خفية تجذبهما إلى داخل ممر عجيب زرع بكافة أنواع الأشجار الخضراء، التى تعج بفاكهة من كل الأنواع، بنايات على الجانبين بنيت بطوب من الذهب والفضة، لبنة من الذهب ولبنة من الفضة، ومن أسفل هذه البنايات تجرى الأنهار من الماء العذب تارة وتتحول إلى العسل تارة أخرى، وتارة تتحول هذه الأنهار إلى اللبن الأبيض الرائق التى تشتاق إليه النفس، يظهر لهما العملاق فيحملهما على كفيه ويسير بهما فتشق رأساهما السحاب فى عنان السماء، يصرخ الدكتور شريف إلى أين تأخذنا أيها العملاق، أنزلنا نريد أن نرجع من حيث أتينا، هه يطلقها العملاق فى وجهيهما رجوع هه الذى يأتى هنا لا يرجع أبدًا، إلا إذا أراد الفرعون.

ـ وأين نحن الآن؟!

ـ أنتم فى العالم الآخر.

ـ العالم الآخر يعنى فى الآخرة؟!

ـ نعم أنتم هنا فى جنة الفرعون.

ـ وأين نحن ذاهبون؟!

ـ نحن ذاهبون إلى الفرعون؛ لينظر فى أمركما.

ـ وماذا سيفعل بنا؟!

ـ أنتم من فتحتم باب المقبرة أليس كذلك؟

ـ نعم نحن علماء وكنا نبحث عن مقبرة الملك.

وأخيرًا وصلا إلى كرسي الملك، الكرسي ليس كرسيًا عاديًا إنه سرير من الذهب محمول على بخت فوق بحيرة من الزئبق، تلتف حوله الحوريات يرتدين الزى الفرعوني الجميل، يجلس الفرعون على كرسيه المرصع بأنفس الجواهر يقول للمارد أحضرهما هنا، يقول لهما: أتدرون ماذا فعلتم اليوم وطيلة الأيام المنصرمة؟!

لقد أقلقتم راحتى وأنا أشعر بكم وبكل ما تقومون به من حفريات والآن أصبحتم فى قبضة يدى ولن أترككم ترحلون أبدًا إلا بعد أن تحققوا أغلى أمنية لى فى الحياة، أتدرون ما هى؟! أريد منكم أن تعيدوا روحي التي أكلمكم بها إلى جسدى الذي عندكم فى المقبرة؛ لأننى أريد أن أحكم مصر من جديد ومنها سوف أحكم العالم كله، هذا ما كنت أتمناه فى حياتي التى انتهت بسرعة البرق، وإذا عجزتم أن تعيدوا روحي فى جسدي فلن يحدث لكم خيرًا، وسوف أنتقم منكم شر انتقام.

يرد الدكتور شريف على الملك قائلًا: ياسيدى الملك أنت الآن مت وأنت فى العالم الآخر وطالما خرجت روحك من جسدك الفاني فلا يمكن أن ترد الروح إلى الجسد مطلقًا إلا بأمر الله سبحانه وتعالى.

ـ وأنا الإله وأنا آمرك بأن تعيد روحي فى جسدى وإلا لن يحدث لكم أى خير.

ـ يا مولاى الملك قلت لك هذا مستحيل.

ـ ألست أنت الدكتور شريف عالم الآثار الذى تكلمت عنك الجرائد ووكالات الأنباء العالمية، وتكلمت عن السائل السحرى الذى يعيد الحياة فى الأموات ويطيل العمر، ويعطي الطاقة الدائمة ويعيد الشباب! سوف أسمح لك بتجهيز هذا السائل هنا، وإلا سوف أقضي عليك وعلى هذا العالم الذى جاء من بلاد الفرنجة ليقلق راحتي هنا فى أرض مصر المحروسة أم الدنيا.

ـ لا يمكن تحضير هذا السائل هنا يا مولاي، فقط دعني أرحل وسوف أحضر لك السائل السحرى الذى تكلمت عنه من معملي الخاص، وسوف أرجع لك حالًا

ـ هه حالًا هه هه، أنت تكذب أنا أعرف ذلك، ولكن إن لم ترجع فسوف تكون نهايتك مؤلمة، أنت ومن معك جميعًا، ولو عدت وصدقت فسوف أجعلك ملكًا من الملوك المقربين وسوف يكون لك شأن عظيم.

ـ ولكن يا مولاى لا يمكن أن يعمل السائل السحرى إلا بعد معرفة أسباب الوفاة.

ـ سوف أسمح لك بفتح التابوت أيها الفرعون الصغير لتعرف سبب وفاتي ولكن لست مسئولًا عما يحدث لك من جراء فتح التابوت الملكي، سوف تجد تهشمًا فى ساقى اليسرى وقد تتخيل أن ذلك سببا لوفاتي، ولكن هذا وهم وسيقول به جمع غفير من العلماء لديكم، وعند الكشف عن جمجمتى ستجدون بها ثقبًا كبيرًا فى مؤخرتها، وستقولون أن الملك قد تلقى ضربة على رأسه مما أفقده ذلك الوعي وأودت بحياته، وأنتم بذلك تكونون واهمين؛ لأن هذه الفتحة كان يقوم بها علماء التحنيط لحفظ الجثة من التعفن، ولكن لو حللتم الجثة فستعلمون أن سبب الوفاة كان شيئًا لم يخطر على بالكم، لقد دس أحد المقربين السم لى فى الشراب، لقد تعرضت إلى خيانة من أقرب المقربين.

يشير الملك ناحية الشمال بإصبعه السبابة فيأتى طائر ضخم يرفر بجناحيه فيحدث صوتًا ارتعد منه الدكتور شريف والدكتور كارتر الذى لا يفهم شيئًا مما يدور حوله غير أنه والدكتور شريف تعرضا لمحاولة اختطاف مبهمة وغير مفهومة، تمنى الدكتور شريف والدكتور كارتر العودة إلى سطح الأرض حتى لو كذبا على الفرعون، المهم أن يصلا إلى سطح الأرض وينفدا بجلديهما، ولكن هل يتركهما الملك فى حال سبيلهما ويعودا أدراجهما، أم أنه فى حال تركهما قادر على الإتيان بهما وإلحاق أقصى العقاب فى حال مخالفتهما أمره بإعادة الروح إلى جسده؟!

أشار الملك إلى الطائر الذى فهم لغة الإشارة، وقام بحمل الاثنين بمخالبه وطار بهما بعيدًا بعيدًا، وعندما بدأ الطائر فى حملهما بين مخالبه، قال لهما الفرعون: لا تنسيا ما اتفقنا عليه، أنا فى انتظاركما وأنا قادر على الإتيان بكما فى حال عصيتم أمرى، فلا تظنان أنكما فى منأى عن مخالبي فلدي جواسيس رهيبة تعرف كل شيء. وأنا قادر على معرفة مكانكما ولو كنتم فى بطن حوت وسط المحيط، فسوف آتي بكما وأوقع بكما أشد العقاب.

لم يشعر الدكتور شريف والدكتور كارتر بنفسيهما إلا عندما ألقاهما الطائر العجيب فى قوته على قمة جبل وسط صحراء قاحلة ورمال شديدة الحرارة، نظر الاثنان والرهبة تملأ قلبيهما ولا يعرفان كيف سيتخلصان من هذا المأزق، ولا كيف يرجعان إلى مكان المقبرة.

الحشرات العجيبة

ظل الدكتور شريف والدكتور كارتر يسيران فى الصحراء على غير هدى، تلهب رؤوسهم حرارة الشمس، وتغلي أرجلهم العارية من لهيب الرمال المستعرة، تنتفخ أقدامهم كبالون نفخ فيه إلى أقصى ما يتحمل جلده اللدن، والأمل لا زال يعشعش فى عقولهم للعودة بسلام، ينامون على الرمال ليلًا طويلًا لا يجدون ما يلتحفون به غير السماء، الجوع والخوف جعلهم لا يهنأون بطعم النوم، فعواء الذئاب يشرخ الصمت المخيم على جو الصحراء التى لا تجد بها غير الرمال والرياح التى تحركها، يقترب منهم ذئب من الذئاب الضارية، يتملكهم الخوف، الرعب نفض أجسامهم بشدة بالغة، وأدركوا أنها النهاية لا محالة، ولكن الله سلم عندما أخرج الدكتور شريف ولاعته وأشعلها، فعندما رأى الذئب النار ولى هاربًا ولولا هذه الولاعة لقضى كل منهما نحبة ولضاعا وأصبحا الآن فى خبر كان، يقول الدكتور كارتر للدكتور شريف: لقد تهنا فى الصحراء يا دكتور شريف.

ـ ماذا نفعل يادكتور كارتر هذا قدرنا.

ـ هل معنى كلامك أننا سنموت هنا دون أن يعلم بنا أحد.

ـ الموت هذا بيد الله ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها وأجلها.

ـ أنا لا أفهم هذا الكلام الذى تقوله، أريد منك أن تفكر فى حل للخروج من هذا المأزق، وإلا سيقضي علينا الجوع والعطش فى هذه الصحراء الجرداء التى لا زرع فيها ولا ماء.

ـ هل لديك فكرة عن علم الفلك يا دكتور كارتر؟!

ـ يا لك من عبقرى يا دكتور شريف، وكيف غابت عنا هذه الفكرة الجهنمية، نحن عن طريق النجوم نستطيع تحديد الاتجاه الذى سوف نسير فيه، ونصل إلى الطريق ونستقل إحدى السيارات التى تقلنا إلى بيوتنا.

ـ نعم نحن نستطيع تحديد اتجاه الشمال ونستطيع الوصول إلى أقرب مكان للعمران، ومع بزوغ ضوء الفجر بدأ الدكتور شريف والدكتور كارتر يلملمون أعصابهم ويسيرون فى اتجاه الشمال، وتستمر الرحلة ولكن ليس أمامهم غير سجادة منبسطة من الرمال الصفراء الممتدة إلى ما لا نهاية، الجوع والعطش يكاد يقضي عليهما، يقول الدكتور كارتر للدكتور

شريف الذى لم يعد يرى أمامه شيئًا: أسرع يادكتور شريف لقد وجدت الماء، الماء هناك ألا ترى هذه البئر من المياه التى تعكس آشعة الشمس؟

ـ أنا لم أعد أرى شيئًا فعيونى تعبت من الشمس ومن العرق الذى أصابها بالتقيحات، كل ما أنا متأكد منه أن فى هذه الأماكن لا يمكن أن يوجد أى ماء.

ـ أسرع فقط وستجد أن كلامى صحيحًا.

لم يتمكن الدكتور كارتر من بلوغ الماء الذى زعم أنه هنا وأنه قريب جدًا.

ـ وما الذى رأيته يا دكتور شريف؟

ـ ألم أقل لك، فلا يوجد هنا غير السراب يا دكتور كارتر!

ـ انظر يا دكتور شريف، انظر إلى هذا الوادى الأخضر، الماء يجرى به وهناك أشجار كثيرة، وحتمًا سيكون هناك بشر ينقذوننا من الهلاك الذى نحن مقدمون عليه لا محالة.

ـ يا كرم الله الظاهر أننا اقتربنا من العمران، ولكن للذهاب إلى هذا الوادى علينا السير لمدة يوم كامل، ولن نستطيع المشي ونحن جائعان وعطشى.

ـ ما رأيك أن نتدحرج إلى أن ننزل إلى الوادي.

ـ فكرة رائعة منك يا دكتور كارتر ولكن ألا تجد أن ما سنفعله مجازفة ليست محسوبة.

ـ ليس أمامنا غير هذا وإلا متنا قبل أن نصل إلى هذا الوادى الذى ربما كان السبب فى نجاتنا.

ـ على بركة الله يا دكتور كارتر ولكن من الذى سيبدأ أولًا؟

ـ أنت طبعا يا دكتور شريف وأنا وراؤك.

تدحرج الدكتور شريف من قمة الجبل الرملي ككرة أوكما يقولون كجلمود صخر حطه السيل من عل ليستقر فى الوادى فاقدًا الوعي.

ـ يا دكتور شريف، يا دكتور شريف، هل تسمعنى، ما هى الأخبار عندك؟!

لم يتلق الدكتور كارتر أى جواب، فظن أن الدكتور شريف لم يسمعه وهذا سبب عدم رده عليه، وقرر أن يلقي بنفسه من على قمة الجبل الرملى هو الآخر، فسقط ولكن فى سرعة

رهيبة ولم يشعر بنفسه هو الآخر فقد أصابته إغماءة وأغمى عليه هو الآخر، ليرقد بجوار الدكتور شريف كميتين.

أفاق الدكتور شريف والدكتور كارتر ولم يصدقا ما حدث فقد كانت تلك المجازفة الغير محسوبة أشبه بالحلم الذى تحقق فجأة، ولم تدم سعادتاهما وهما ينظران إلى تلال الهياكل العظمية التى وقعوا عليها، لم يصدقا ما وقعت عليه عيونهما، وكأنهم وقعوا فى وادى الموت لتبدأ مشكلة جديدة أمامهما لم تكن فى الحسبان، فهما لا يعرفان شيئًا عن هذا الوادى الذى ألقيا بجسديهما طواعية فيه.

ـ ما هذه الجماجم يا دكتور شريف؟!

ـ العلم عند الله، الظاهر أن هذا الوادى غير مأهول بالسكان وإلا لدفنت هذه العظام ولم تترك فى العراء للغربان والحشرات وعوامل التعرية.

ـ الظاهر يا دكتور شريف أن هؤلاء الناس حاولوا نفس محاولاتنا ولكنهم لم ينجحوا وماتوا هنا، ولم ينتبه لهم أحد كما قلت فلم يدفنوهم وماتوا وحدهم.

ـ جسدى يتكسر يا دكتور كارتر ويدى تورمت ولا أستطيع تحريكها الظاهر أننى أصبت بكسر، آه يا ربى يدى لم أعد أقدر على حملها.

ـ لا تحركها يا دكتور شريف وسوف أعمل لك جبيرة وستكون بخير لا تقلق.

ـ ما هذا الذى بوجهك يا دكتور كارتر، وجهك تملؤه التشققات والجروح ولابد من تطهيره وغسله على الأقل، انظر إلى هذه البحيرة، أتمنى أن تكون مياهًا عذبة فنروي ظمأنا، ريقى تحجر ولا أستطيع أن أبلع ريقي.

ـ عندك حق وأنا كذلك أكاد أموت من العطش.

شرب الدكتور شريف من الماء أولًا وتبعه الدكتور كارتر، وظلا يمشيان على شاطئ البحيرة ليجدا الكثير من أنواع الفاكهة والخضار فظلا يأكلان منها حتى شبعا، ولكنهما لا يعرفان إلى أى وجهة يتوجهان، وفجأه يظهر لهما من بعيد عملاق بعين واحدة ويا للعجب إنه يرتدى ملابس فرعونية تمامًا مثل المنحوتة على المعابد، فتعجب الدكتور شريف وأبدى الدكتور كارتر دهشته، أين نحن الآن يا دكتور شريف، ولكن الدكتور شريف لم ينطق ببنت شفة، وأدارا ظهريهما وانطلقا يريدان الهرب من هذا العملاق ذو العين الواحدة الذى يتطاير

من عينه الشرر، وما أن رآهما يجريان، حتى جرى وراءهما يريد الإمساك بهما، وبمنتهى البساطة استطاع اللحاق بهما والإمساك بهما، وهما يحاولان الإفلات من قبضة يده دون جدوى، وباءت محاولاتهما بالفشل.

ـ من أنت؟ وماذا تريد منا؟

ـ أنا العملاق الحامي لهذه الجزيرة التى يأتى إليها الفرعون ليستحم كل فترة، فلا تخافا، لقد صدرت التعليمات لتوصيلكما للمقبرة؛ لتأتوا بالسائل السحرى، فالملك فى انتظاركما؛ كي تعيدوا إليه جسده الذى عندكم فى المقبرة، ولقد عاقب الملك الطائر الذى رمى بكما فى المكان الخطأ وحرمه من الطيران إلى الأبد وأتى بطائر غيره يعرف كيف يتلقى الأوامر.

ـ ولكن من الذى أعلمك بما دار بيننا وبين الفرعون؟!

ـ الفرعون لا يثق بأحد غيرى ويطلعنى على كل أسراره ووعدنى أن أكون من خدامه المقربين بمجرد عودته للحياة، ولكن إذا لم تنفذا أوامره سيحولني إلى فك مفترس وستكون نهايتكما على يدي، فهو قادر على تحويلى كيفما يشاء، فمن الممكن أن يجعلنى كما ترون وديعًا، أو يحولنى إلى شرس أقضي على من يعانده ويشاكسه.

ـ ولكن كيف توصلنا إلى المقبرة ونحن فى هذه الجزيرة النائية؟!

ـ لا عليكما فهناك السرداب السحرى الذى لا يعلم أحد به غيري، وهوموجود أسفل هذه البحيرة، ولن نستغرق وقتًا طويلًا للوصول إلى المقبرة، ولكن لن تتمكنا من النزول في البحيرة وتصلا إلى السرداب السحري إلا عند اكتمال القمر الذى يفتح السرداب تلقائيًّا بمجرد اكتمال القمر فى ليلة البدر، ومن حسن حظكما أنه لم يتبق إلا ساعات ويكتمل القمر.

حمل العملاق الدكتور شريف والدكتور كارتر ومع اكتمال القمر شق بهما البحيرة، فتجمدت المياه على الجانبين وظهرت فتحة السرداب، الذى تتخلله آشعة الشمس بطريقة هرمية، وقذف بهما العملاق وأغلق باب السرداب، الهواء داخل السرداب يدفع الدكتور كارتر والدكتور شريف وكأنهما يركبان كبسولة فضاء، ولم يشعرا بنفسيهما إلا والرمال تغطي جسديهما على مقربة من باب المقبرة.

لم ينس الدكتور شريف والدكتور كارتر ما قاله الفرعون من أن مفاجآت ستحدث لهما أثناء فتحمها للتابوت.

فهل سينجح الدكتور شريف والدكتور كارتر فى فتح التابوت؟!

أم أن الخوف المسيطر عليهما سيحول دون ذلك؟!

وقف الدكتور كارتر والدكتور شريف أمام التابوت فى قمة الخوف والهلع، يقتربان من التابوت، يدوران حوله، يفكران بعمق فيما ينتظرهما عند البدء فى فتح التابوت، قررا عدم فتحه فى هذا اليوم العصيب الذى مر بهما، يتفقان على وضع خطة محكمة للبدء فى فتح التابوت ولكن بعد أسبوع، لدراسة الأمر وتحسبًا للأهوال التى تنتظرهما على حد قول الفرعون.

عزم الدكتور شريف على خوض المغامرة هو والدكتور كارتر ومعاونوه ومجموعة من العمال المهرة الأشداء، دخل الجميع المقبرة وتوجهوا للتابوت للكشف عن أسراره، وما أن دخل الجميع حتى أغلق عليهم باب المقبرة فجأة، لا يعرفون فى الحقيقة من الذى أغلق هذا الباب ولا من أوصده، ولكنهم لم يفطنوا إلى غلق الباب فأشعة الشمس كانت تتخلل من فتحات خاصة فى المقبرة الأمر الذى جعلهم لا ينتبهون لغلق باب المقبرة، توجه الجميع إلى التابوت، عازمين النية على فتحه مهما كلفهم الأمر، يلتفون حول التابوت، كمن يلتف حوال قصعة من الطعام، يريدون أن يلتهموها، وقد لعب الجوع ببطونهم، فلا يهمهم سوى التهامها وملأ بطونهم بها.

أمر الدكتور شريف بعض العمال برفع الغطاء الذى يغطي التابوت، ولكن أمرهم أن يرفعوا الغطاء برفق، وما أن بدأ العمال فى رفع الغطاء، حتى خرجت من التابوت حشرات عجيبة، لونها أسود فى أزرق تشبه الخنافس فى شكلها فقط تلتصق بجسد العمال وتدخل تحت جلدهم وتغوص في الجلد كله كلاعب محترف يلعب الكرة فى الملعب الذى تدرب فيه، فتصيب العمال بآلام رهيبة، جعلت الواحد منهم يتأوه آه آه آه.

ثم يرتمي على الأرض فاقدًا الوعى والحياة فى آن واحد، وما أن رأى الجميع تلك الحشرات حتى تعالت أصواتهم بالصراخ وطلب النجدة، وجرى الجميع، منهم من جرى ليخبط فى الآخر، ومنهم من جرى صوب الباب يريد أن يهرب بجلده وينقذ حياته، ومنهم من تمكنت منه الحشرات فأردته قتيلًا، الباب لا زال مغلقًا، فوجئ به من حاول الهرب من الباب وكان أولهم الدكتور شريف الذى رشق المفتاح الحجري فى مكانه من الخلف وفتح الباب بمنتهى السرعة، فمن حسن حظه أن المفتاح الحجري لا زال بقبضة يده، فقد حمله وهو

في طريقه إلى الداخل صوب التابوت، وما أن فتح الباب حتى فر الدكتور شريف هاربًا، فلم تتمكن الحشرات من لدغه وإصابته، بينما الدكتور كارتر كان سيء الحظ فقد لصقت حشرة بإصبع قدمه وما هي إلا لحظات وتدخل جسده وتقضي عليه، أخرج مدية من جيبه وقطع إصبع قدمه الكبير وفر هاربًا.

لم يتبق من الفريق سوى الدكتور شريف والدكتور كارتر بعد فقده إصبعًا من أصابع قدمه، نظرا سويًا ليجدا الحشرات قد تراجعت للخلف.

ـ الحمد لله على سلامتك يا دكتور كارتر، لولا تصرفك السريع لقضت عليك تلك الحشرات اللعينة، يا إلهي لقد بدأت لعنة الفراعنة تصيبني، كدت أفقد حياتي.

ـ هذه الحشرات لم أر مثلها من قبل يا دكتور شريف.

ـ وأنا لم ألاحظ تلك الحشرات العجيبة الشكل، إنها تشبه الخنافس ولكن ما يميزها تلك البقعة الحمراء وسط ظهرها.

ـ وما الحل فى هذه الحشرات يادكتور شريف؟!

ـ لقد قابلتنا العديد من المشكلات عند فتح بعض المقابر، ففى إحدى المقابر واجهتنا مجموعة من العناكب الخطيرة، ولقد استخدمنا ضدها نوعية خاصة من المبيدات الحربية، وتمكنا من القضاء عليها، بعد أن قضت على العديد من العمال.

ـ وما رأيك لو جربنا مع هذه الخنافس نفس المبيد؟

ـ فكرة رائعة ولكن إن لم ينفع ذلك المبيد، سنضطر إلى استخدام العملية رقم ٢.

ـ وما هى العملية رقم٢؟

ـ العملية رقم ٢ تتلخص فى حرق المقبرة، ولكن لهذه العملية آثارها السلبية، فعملية الحرق ستؤثر على الرسومات التى على الجدران، وسنفقد تلك اللوحات النادرة إلى الأبد، وما نخاف منه فى الواقع أن يتضرر التابوت من أثر تلك الحرائق وقد تتأثر المومياء وتصل إليها ألسنة اللهب فنكون كمن رجع بخفي حنين، ولكن دعنا نجرب المبيد الحشري ولكن بعد تماثلك للشفاء.

ظل الدكتور شريف أمام اللاب توب يبحث عن أصل تلك الحشرات ذات البقعة الحمراء على ظهرها، يا إلهى هذه الحشرات غير موجودة بمصر أساسًا، فمن أين جاءت وهل كانت موجودة فى الماضي السحيق؟!

الحشرات العجيبة موطنها الأصلى الصحراء الأمريكية، ياربى ما هذه الأمور التى تجرى، وكيف حدث ذلك، إنه لشيء محير حقًا، اتصل الدكتور شريف على الفور بزملائه فى جامعة كاليفورنيا والذين يعملون بقسم الحشرات، يسألهم عن هذه الحشرات العجيبة التى التهمت العمال وأودت بحياتهم جميعًا، قالوا له إن هذه الحشرات من أخطر الحشرات على وجه الأرض، ولكن للقضاء عليها لابد من تخديرها أولًا، ثم رشها بمبيد حشرى قوي وفعال.

وما أن فتح الريبوت باب التابوت حتى هجمت عليه كالطوفان، ومن خلف الريبوت الذى استخدمه الدكتور شريف للحفاظ على حياة العمال، بدأت الراشاشات برش المخدر على تلك الحشرات، فصنعت فى أرض المقبرة سجادة سوداء بخطوط حمراء، وهجم العمال بالمبيد الحشرى الفعال وقاموا برش أرضية المقبرة جيدًا ليتخلصوا من تلك الحشرات القاتلة إلى الأبد.

أمر الدكتور شريف والدكتور كارتر العمال بتنظيف أرضية المقبرة من هذه الحشرات اللعينة، وحفروا حفرة بالخارج وأضرموا النار بها لتشتعل وتحترق وتصبح كالرماد.

المفاجأة الكبرى

عثر الدكتور شريف والدكتور كارتر فى الصالة المستعرضة على الكثير من قطع الأثاث والأواني الحجرية والعجلات الحربية وحاويات الطعام التى اعتقد كارتر عند رؤيتها أنه عثر على مخزن أو خبيئة كنوز وادي الملوك التى جمعت وأنقذت من لصوص العصور القديمة، إلا أنه اتضح بعد ذلك أن هذا الأثاث لشخص واحد هو توت عنخ آمون المسجل اسمه على أغلب هذه القطع الأثرية وهذا ما جعل كارتر يكتب فى مذكراته: أن هذا اليوم هو يوم الأيام، وأعظم ما عشت، ومن المؤكد أننى لا آمل أن أعيشه مرة أخرى.

فالملك يدفن معه كل متعلقاته الشخصية التى كان يستعملها فى حياته منذ كان طفلًا، فهناك لعب الأطفال التى تتحرك أجزاؤها، وهناك لعبة الضاما وعصى الصيد المقوسة (البوميرانج) وأدوات الكتابة من أقلام وألواح وألوان، وهناك الملابس والاكسسوارات والحلى التى تستعمل فى الحياة اليومية وفى رحلته للعالم الآخر، وضمن أثاث المقبرة كرسي العرش، كما وجدت هناك الصولجانات ورموز القداسة والحكم، والعجلات التى كانت تجرها الخيول وأدوات القتال من سيوف وخناجر وأقواس وحراب، وهناك التابوت الذهبي

للملك الذى يزن أكثر من ١١٠ كيلوجرامات، والقناع الذهبي المرصع بالأحجار شبه الكريمة ووزنه أحد عشر كيلو جرامًا، والذى كان يغطى وجه المومياء، كما يوجد تابوتان آخران من الخشب المغطى بالذهب وهناك ٣١٤ تمثالًا من التماثيل المسماة المجيبة (الشوابتى) والتى كانت توضع فى المقبرة؛ لكى تقوم بالعمل بدلًا من الملك فى العالم الآخر. كما يوجد ٣٢ تمثالًا للملك وآلهة العالم الآخر من الخشب المذهب، وعثر فى المقبرة أيضًا على كثير من الصناديق المزخرفة بالمناظر الحربية ومناظر الصيد والترفيه والمقاصير الكبيرة من الخشب المذهب التى ملأت حجرة الدفن ونقشت عليها مناظر من كتب العالم السفلى تصور علاقة الملك مع الشمس والمعبودات المختلفة، وهناك فى المقصورة الكبرى قصة هلاك البشر التى تبشر بغفران الرب لعباده، حتى العاصين منهم، ومن الآثار الهامة التى عثر عليها فى مقبرة الملك الشاب توت عنخ أمون مجموعة من ١٤٣ قطعة من الحلى الذهبية المرصعة بأحجار شبه كريمة أغلبها يمثل معبود الشمس بأشكاله المختلفة والقمر أيضًا، فهناك الأساور والأقراط والخواتم والصدريات والدلايات، بل هناك درع صنع للملك من الذهب ورصع بالأحجار والزجاج الملون وزخرف بأشكال المعبودات التى تحمى الملك وترعاه فى حياته وبعد وفاته، كما عثر هناك على مجموعة هائلة من الأواني التى صنعت من الألبستر أهمها بالطبع ذلك الإناء الذى يمثل علامة الوحدة بين شطري البلاد يربطهما معبود النيل، كما يوجد هناك مصباح ليلى (أباجورة) من الألبستر صنع بطريقة فنية رائعة تظهر صورة الملك مع زوجته عند إضاءته، ولمساعدة الملك فى رحلته للعالم الآخر أيضًا، صنعت له ثلاثة أسرة جنائزية لتحمله فوق ظهرها وتصعد به الى السموات البعيدة. فرح الدكتور كارتر بهذا الكنز الذى كان لا يحلم به، فمن المقرر حسب القوانين السائدة أن المكتشف له نصف ما يجد من مقتنيات، ففرح فرحًا كبيرًا بهذه الغنيمة التى تجعله يعيش طوال حياته فى نعيم دائم.

ولكن هناك شيئًا غريبًا لفت انتباه الدكتور شريف والدكتور كارتر النقوش التى تقول: «سيذبح الموت بجناحيه كل من يحاول أن يبدد أمن وسلام مرقد الفراعنة» هذه هي العبارة التي وجدت منقوشة على مقبرة توت عنخ آمون أصابت شريف وكارتر بالرعب، وما هى إلا أيام ويبدأ الاحتفال الرسمي بافتتاح المقبرة، وفى تلك الساعات الحاسمة، والتى كان ينتظرها الدكتور كارتر بفروغ الصبر، أصيب بحمى غامضة لم يجد لها أحد من الأطباء تفسيرًا، وفي منتصف الليل تمامًا توفي في القاهرة، والأغرب من ذلك أن التيار الكهربائي قد انقطع في

القاهرة دون أي سبب واضح في نفس لحظة الوفاة وقد أبرزت صحف العالم نبأ وفاته، وربطت صحف القاهرة بين وفاته وإطفاء الأنوار وزعمت أن ذلك تم بأمر الملك توت عنخ آمون.

وبعد أن ذهب الدكتور شريف إلى منزله حتى ارتعدت فرائصه هو الآخر، وأصيب بحمى، وأثناء نقله إلى المستشفى توفي فى الحال قبل أن يصل إليها، وتوالت حالات الوفاة ليصيب الفرعون الشاب بلعنته كل من شارك فى اكتشاف هذه المقبرة، وظلت لعنة الفراعنة لغزًا يحير العلماء إلى يومنا هذا، وظل الملك منتظرًا هناك ذلك السائل السحري الذى يعيد إليه الحياة ليحكم مصر من جديد.

نوت.... أسطور شعبية فرعونية

فى عام ١٠٠٠ ق. م فى مدينة طيبة الفرعونية هبط جسم دائرى ضخم يحمل هرمًا ضخمًا واختار معبد الكرنك ليهبط فيه ثم انفتح باب فضي لامع لتخرج منه أميرة فرعونية جميلة ظلت جالسة فى بهو المعبد وهى تبكي وتنتحب حيث تركها هذا الجسم الغريب وطار إلى السماء مرة أخرى، لم تمض غير دقائق قليلة حتى جاء كبير الكهنة الذى رأى الموقف بأكمله من خلف أحد الأعمدة، انحنى الكاهن بحركة سريعة تشبه السجود للأميرة وصاح هاتفًا: أيتها الربة المقدسة نوت يا إلهة السماء، وما لبث أن جاء الكهنة جميعهم ليشاهدوا الموقف الغريب.

وبعد ثلاثة آلاف عام: يا لها من مفاجأة سوف تقلب تصورتنا عن التحنيط لدى الفراعنة رأسًا على عقب بهذه الجملة هتف الدكتور نور أستاذ علم المصريات وهو يقف أمام مومياء لأميرة مصرية تم اكتشاف مقبرتها فى وادى الملكات، كانت المومياء تحتفظ بكل ملامحها على نحو لم يسبق له مثيل، كانت لفائف الكتان تلف جسدها الرشيق تاركة رأسها مكشوفًا وعلى جبينها إكليل بديع من زهور اللوتس، كانت ملامحها تحتفظ بكل حيويتها ورونقها وكأنها حية لن تلبث حتى تستيقظ من نومها لتشكر الدكتور نور على القيام باستخراج جسدها من المقبره، كانت المومياء داخل تابوت بديع من الخشب الملون عليه كتابات هيروغليفية وبالقرب من رأس المومياء كانت هناك أحجار شفافة على شكل أهرمات صغيرة والغريب أنها كانت مضيئة تسلط ضوؤها على رأس المومياء فتبدو أكثر بهاءً، وقف الدكتور نور مبهورًا بهذه المفاجأة المدهشة وأخذ يقلب عينيه يمينًا ويسارًا فى التابوت عله يجد اسم هذه الأميرة وأخيرًا وجد اسمها مكتوبًا داخل إطار أزرق، تمعن الدكتور نور فى تلك

الرموز تمكن من قراءتها بسهوله (ن- و- ت) نوت كان هذا هو اسم الأميرة الفرعونية، نظر الدكتور نور إلى الدكتور سمير أستاذ علم التشريح قائلًا: هل يمكن أن تظل هذه المومياء محتفظة بصورتها على هذا النحو بدون سر ما؟ رد الدكتور سمير: بالتأكيد هناك سر وراء هذا الأمر الغريب، لا يمكن للجسم البشرى أن يظل محتفظًا بصورته بهذا الشكل طيلة هذه القرون.

الدكتور نور: الغريب أن أكثر مومياء محتفظة بشكلها الخارجي هى مومياء رمسيس الثاني، وهى ليست على هذه الهيئة التى عليها مومياء الأميرة، الدكتور سمير: ألم تفكر فى سر هذه الأحجار الهرمية المضيئة التى تتناثر حول رأس المومياء؟ الدكتور نور: لم نعثر على مثل هذه الأحجار فى أى مقبرة فرعونية من قبل! والتفت الدكتور نور لمساعده الدكتور هاني قائلًا: ألا توجد أى تعاويذ داخل اللفائف الكتانية؟ الدكتور هاني: معك حق فقد تساعدنا تلك التعاويذ على حل هذا اللغز، ثم أدار الدكتور هاني عينيه فى جسد المومياء عله يجد أى تعاويذ مستترة، وفجأة وجد قطعة نحاسية عليها رموز هيروغليفية غائرة تمعن قليلًا ثم بدأ فى قراءتها: أيها القادم من خلف النجوم، أيها القادم عبر السماء، خذ أهرامات النور وألقها فى البحر العظيم لتطفو أرضك فوق البحر كما تطفو سفينتك فوق صفحة النيل.

تبادل ثلاثتهم النظرات الحائرة المندهشة، وفجأة ظهر ثعبان ضخم وسط المقبرة، ظهر من ناحية التابوت وظل زاحفًا نحو العلماء الثلاثة يمد رأسه نحوهم ويطلق فحيحه المخيف، والتفت الدكتور نور نحو باب المقبرة، كان الوقت قد فات فقد أغلق الباب وظلوا يواجهون مصيرهم المشؤم، ولم تمض دقائق معدودة حتى خرت قوى الثعبان وأحنى رأسه للأسفل، ثم مات تاركًا جسده بجانب التابوت تنفس العلماء الثلاثة الصعداء، ثم قال الدكتور نور لمساعده هاني: ما هذا هل بدأت تطاردنا لعنة الفراعنة؟

رد الدكتور هانى: لا أدرى! غادر الثلاثة المقبرة وكلهم إصرار على حل هذا اللغز. رن هاتف الدكتور نور فأسرع بالرد، كانت المكالمة من معمل التحاليل الكيميائية تخبره بنتيجة تحليل الأحجار الهرمية التى وجدت فى مقبرة نوت، فغر الدكتور نور فاه وارتفع حاجباه، لقد كانت مفاجأة مدهشة مفاجأةً مدهشة بحق، ولم تمض نصف ساعة حتى رن الهاتف مرة أخرى كانت المكالمة هذه المرة من الدكتور هاني يخبره بعثوره على مجوهرات تحمل اسم الأميرة نوت والغريب أنها كانت مضيئة، يبدو أنها مصنوعة من نفس المادة التى صنعت منها الأهرامات الصغيرة.

هل يعقل أن تكون تلك الأحجار المضيئة مصنوعة من مادة ليست موجودة على سطح الأرض؟ نطق الدكتور نور بهذه العبارة فرد مساعده هاني: معقول! ثم أردف هانى قائلًا: ألا تعتقد أن هذه المادة شبيهة جدًا بمادة الأوليجارخ التى تحدث عنها أفلاطون؟ الدكتور نور: هل لك أن تحدثنى عن الأوليجارخ هذه، الدكتور هاني:لقد تحدث أفلاطون عن قارة أطلانطس المفقودة وتحدث أيضًا عن مادة مضيئة على سطحها يستخدمها سكان أطلانطس فى بناء قلاعهم وحصونهم، الدكتور نور: ولكن ما علاقة أطلانطس بهذا اللغز الغامض، الدكتور هانى: إذا كانت هناك علاقات بين مصر القديمة وأطلانطس إذا صح وجود أطلانطس أساسًا فقد أقتربنا من الحل، الدكتور نور: أعتقد أن الحل الوحيد هو تحليل جثمان المومياء، «مستحيل لا توجد بصمات بشرية على أصابع المومياء» بهذه العبارة نطق الدكتور سمير أستاذ علم التشريح، أستقبل الدكتور نور هذه العبارة كاستقبال الصاعقة وصاح: ماذا يعنى هذا؟! رد الدكتور سمير: باختصار شديد نوت ليست كائنًا بشريًا إنها كائن آخر! الدكتور نور:ماذا تكون إذن؟ لقد وجدنا مقبرتها فى وادى الملكات وكل الشواهد تؤكد أنها أميرة فرعونية، ماذا فى الأمر؟ الدكتور سمير: صدقنى يا دكتور أنا مندهش مثلك تمامًا ومن جهتى سأحاول التوصل إلى مزيد من النتائج بخصوص المومياء.

ذهب الدكتور نور بمرافقة الدكتور هاني إلى المقبرة وذلك لإلقاء نظرة نهائية قبل نقل محتويات المقبرة إلى المتحف، أدار الدكتور نور عينيه فى أنحاء المقبرة وفى ركن بجانب التابوت وجد صندوقًا مرمريًا فتحه الدكتور نور فوجد الأواني الكانوبية الخاصة بالأميرة نوت (أواني خاصة بحفظ أحشاء المتوفى) أربعة أواني برؤوس أبناء حورس الأربعة وفجأة بدأت الأوانى الأربعة فى التضخم وبدأ حجمها يزداد، ويزداد، ويزداد إلى أن ملأ حجمها فضاء المقبرة بكاملها، وفجأة دبت الروح فى الأواني الأربعة وخرج لكل منها يدان وقدمان واتجهوا جميعًا إلى العالمين اللذان أنتابهما الرعب آنذاك ثم وجدا نفسيهما يغرقان فى سبات عميق. فتح الدكتور نور عينيه فوجد نفسه داخل غرفة كبيرة مربعة الشكل سقفها وجدرانها على شكل هرم، ثم وجد شخصان يقفان فى الغرفة كانا يبدوان وكأنهما من المصريين القدماء ظهر هذا من هيئتهما الموحية بذلك حيث كانا يضعان شعرًا مستعارًا بنفس الطريقة التى كان يستخدمها الفراعنة وفوق هذا الشعر المستعار كانا يضعان خوذة شفافة فوق رأسيهما بالإضافة إلى بذلة فضية مزخرفة برموز هيروغليفية وكان كلًا منهما يمسك بمسدس غريب يطلق أشعه ليزر.

نظر الدكتور نور إلى رفيقه هاني فوجده نائمًا، أقترب منهما أحد الكائنين الغريبين ثم ابتسم وقال بلغة مصرية صحيحة:أهلًا بك فى سفينة إيجوبتس ٣٠٠٠ .

رد الدكتور نور قائلًا:مرحبًا أين نحن؟ رد قائلًا: كما أخبرتك سابقًا، نحن فى سفينة إيجوبتس ٣٠٠٠ ثم أسترسل قائلًا: إن مولاى الفرعون يريد التحدث إليكما.

استيقظ الدكتور هاني ثم ذهب مع الدكتور نور إلى الفرعون يقودهما هذا الكائن الغريب، ضغط الكائن الغريب على زر فانفتح باب فضي لامع انفتح بدوره على حجرة ضخمة تحيط بها أعمده على شكل زهرة اللوتس المتفتحة، وفى نهاية الغرفة كان يوجد شخص يجلس على كرسى فضى لامع كان يرتدي غطاء الرأس الملكي المعروف لدى الفراعنة (النمس) وفوقه كان يرتدي خوذة شفافة بالإضافة إلى حلة فضية لامعة ثم نطق قائلًا: أهلًا بكما فى سفينة إيجوبتس ٣٠٠٠، هل تسمحا بمساعدتنا فى أمر ما؟

ألتفت الدكتور نور مندهشًا من لغتة المصرية السليمة ورد عليه بلغة مصرية أيضًا: على الرحب والسعة.

الفرعون: نحن نبحث عن مومياء لأميرة مصرية ماتت منذ ثلاثة آلاف عام تدعى نوت صكت الكلمة الأخيرة أذن الدكتور نور ورد قائلًا: نوت، ولكن لماذا.. لماذا تحتجونها؟

رد الفرعون فى لمحة حزن: نحن جئنا من قمر بعيد عن مجرتكم يدعى خع سبا قمر خع سبا كان يدور حول كوكب يدعى إيجوبتس ٤٠٠٠ ومنذ ثلاثة آلاف عام نزلنا إلى كوكبكم وكونا مستعمرة فى قارة أطلانطس، كان سر وجود كوكبنا هو مادة مضيئة تسمى الأوليجارخ ويسبب نفاذ كمية الأوليجارخ على كوكبنا تعرض كوكبنا كما تعرضت أطلانطس إلى الدمار، لم يكن أمامنا سوى أن نرمي بالأميرة نوت إلى سطح الأرض ومعها البقية الباقية من الأوليجارخ حتى يتمكن سكان أحد أقمار الكوكب من إستعاده الأوليجارخ وإستعادة قارة أطلانطس.

الدكتور نور: ولماذا ألقيتم أميرتكم على أرض مصر بالتحديد؟

الفرعون: لأن سكانها يشبهوننا إلى حد كبير وبالتالى لن تجد الأميرة صعوبة فى العيش معهم كما أنها تلقت معاملة شديدة الاحترام من قبل أجدادكم، لقد عبدوها كإلهة للسماء.

الدكتور نور: ماذا؟ عبدوها كإلهة للسماء؟ هل يمكن أن تكون إلهة السماء نوت المعروفة لدى قدماء المصريين هى الأميرة نوت التى نتحدث عنها؟!

رد الدكتور هاني: ربما كان هذا صحيحًا، فلطالما عرف عن المصري القديم ربطه لمعبوداته بالظواهر الطبيعية، فعندما وجد الفراعنة نوت تنزل عليهم من السماء قدسوها واعتبروها ألهة للسماء!

رد الفرعون: تمامًا المطلوب الآن هو أن نسترجع أحجار الأوليجارخ لنتمكن من استعادة أطلانطس من جديد.

وضع الدكتور نور يديه على رأسه وقال: يا إلهى، هل نحن فى حلم؟ أتدرى يا هاني أن مادة الأوليجارخ هى الأهرامات المضيئة التى رأيناها فى مقبرة نوت، وأن التعويذة الغريبة التى رأيناها فى مقبرة نوت هى من صنع هذه الكائنات التى جاءت من إيجوبتس ٤٠٠٠ كعلامة على وجود الأوليجارخ، ثم التفت إلى الفرعون وقال:ولكن لماذا كان يجب عليكم إلقاء نوت فى مصر أما كان عليكم وضع كمية الأوليجارخ فى مكان آمن وحسب.

رد الفرعون: لا إن أحجار الأوليجارخ ينتهى تأثيرها عندما لا يكون بجانبها شخص ينحدر من الدم الملكي، كما أنها تحافظ على ملامح هذا الشخص بعد موته فلا يتحلل أبدًا.
الدكتور نور: وما سر الثعبان الضخم الذى وجدناه فى مقبره نوت؟

الفرعون: إنه خدعة صنعناها بواسطة أشعة الليزر لإخافة كل من يفكر فى سرقة المقبرة
رد الدكتور سمير: آه.. لقد فهمت كل شيء، عرفت سر اللغز الذى حيرنا جميعًا، حسنًا سأمنحك أحجار الأوليجارخ أيها الفرعون.

اتجه الدكتور نور والدكتور هاني إلى المقبرة وأخذوا الأهرامات الصغيرة المصنوعة من الأوليجارخ ووضعوها فى أيدي الفرعون الفضائي الذى شكرهم على مساعدتهم إياه، انحنى الفرعون بحركة سريعة إلى الدكتور نور وقال: شكرًا لكما لقد أنقذتما حياتنا إلى الأبد ثم أخرج من بدلته الفضية قلادة مضيئة محفور عليها اسم نوت ثم قال: هذا تذكار بسيط لما قدمتموه لنا من مساعدة.

رد الدكتور نور: شكرًا لك أيها الفرعون، سأتذكرك كلما نظرت إلى القلادة، كما سأتذكر نوت، هذا الإسم الذى لن أنساه ما حييت.

يحكى أن الإله الذى أوجد نفسه عندما كان ملكًا على الآلهة والناس جميعًا وقد دبر له بنو البشر مؤامرة، وقد كان جلالته وقتئذ متقدمًا فى السن وكانت عظامه من فضة ولحمه من ذهب وشعره من اللازورد الحقيقي (يبدو أن هذه كانت مظاهر كبر السن عند الآلهة). ولكن جلالته قد فطن لما يدبره ضده بنو البشر وعند ذلك قال جلالته لمن كانوا فى حاشيته: تعالوا وفادوا الى عينى وكذلك شو وتفنوت وجب ونوت ومعهم الآباء والأمهات الذين كانوا فى صحبتي عندما لا أزال فى نون (المحيط الأبدي) وكذلك نادوا إلهي نوت نفسه ودهوه يحضر حاشيته معه ويجب عليكم أن تحضروهم سرًا حتى لا يراهم بنو البشر فيأخذ قلوبهم الفزع ويجب عليكم أن تحضروا معهم إلى القصر العظيم حتى يمدونى بنصيحتهم.

من أجل ذلك حضر هؤلاء الآلهة، وهؤلاء حضروا أمامه ولمسوا الأرض بجباهم فى حضرة جلالته لأجل أن يقول كلماته فى حضرة والد أكبرهم سنا نون ذلك الذى سوى بنى البشر وملك الناس.

فقالوا لجلالته: تحدث إلينا حتى نسمع حديثك. فقال رع للإله نون: يا أسن إله به جئت للوجود وأنتم الآلهة الأقدمون انظروا إلى بني البشر الذين أتوا للوجود بعيني فقد دبروا مؤامرة ضدي فأخبرونى ما عساي أفعل فى ذلك، تأملوا فإني لا زلت أبحث ولن أذبحهم حتى أسمع رأيكم فى ذلك. عندئذ قال جلالة نون يا بنى رع أنت أيها الإله الذي هو أعظم من الذى خلقه وأسن من الذين سووه ابق حيث أنت فإن الخوف منك سيكون عظيمًا إذا التقت عيناك بمن تخيل لك سوءًا، فقال جلالة رع: انظر إنهم قد هربوا إلى الصحراء؛ لأن قلوبهم فى وجل مما قالوا. وعندئذ قالوا لجلالته: أرسل عينك لتذبحهم لك لتذبحهم لك عندما تنزل بصورة حتحور.

وهكذا عادت هذه الآلهة بعد أن قتلت بنى الإنسان فى الصحراء وقال جلالة هذا الإله:مرحبًا مرحبًا يا حتحور. لقد فعلت ما أرسلتك من أجله. فقالت له هذه الآلهة: بحياتك لقد تغلبت على بنى البشر وقلبي فرح لذلك.

وقال رع: تعالوا نادوا رسلي المسرعين فى العدو حتى يعدوا مثل ظل الجسم. وقد أحضر هؤلاء الرسل، فقال لهم جلالة هذا الإله: أسرعوا الى الفنتين (أسوان) وأحضروا لى كمية عظيمة من الطين الأحمر فأحضر له هذا الطين الأحمر، ثم أن جلالة هذا الإله العظيم أمر

الإله ذو الذؤابة الذي فى عين الشمس أن يطحن هذا الطين الأحمر. ثم أعدت الخادمات شعيرًا للجعة وأضيف له هذا الطين الأحمر فصار يشبه الدم البشري.

ثم جهز ٧٠٠٠ إبريقًا من الجعة، ثم حضر جلالة الملك رع ملك الوجهين القبلي والبحري وبصحبته هؤلاء الآلهة ليروا هذا الشراب وانفلق صبح اليوم الذى كانت ستذبح فيه الآلهة بنى الإنسان فى وقت ذهابهم الى النهر. وقال جلالة هذا الإله: إنها حسنة جدًا سأحمي بها بني الإنسان. وقال رع: إحملوها الآن إلى المكان الذي قالت عنه إنها ستقتل فيه بنى الإنسان. وبكر جلالة رع ملك الوجه القبلي والوجه البحري في أعماق الليل؛ ليصب هذا الشراب المنوم والحقول التى قد ملئت بالشراب بقوة جلالة هذا الإله. وفى الصباح ذهبت الآلهة ووجدتها غطيت بالفيضان وكان وجهها جيلًا فيه (أى فى الفيضان) فشربت وكان الشراب لذيذًا إلى قلبها فسكرت ولم تعِ بني الإنسان (أى لم تؤذه).[1]

قصة الغريق... أسطورة شعبية فرعونية

يقول تابع خادم حاذق: كن فرحًا أيها الأمير، انظر لقد وصلنا إلى مقر الملك. وقد أخذت المطرقة ودقت أوتاد المرسى وألقيت حبالها على البر. وكان الثناء والشكر لله وقد عانق كل فرد زميله وقد وصل ملاحونا سالمين أصحاء ولم نفقد من جنودنا أحدًا، وقد وصلنا إلى أقصى واوات ومررنا بسنموت. تأمل! لقد عدنا بسلام ووصلنا إلى بلادنا. أصغ إلي أيها الأمير إننى فرد خاو من المبالغة. اغسل نفسك وصب الماء على أصابعك وأجب عندما تحيا وتكلم إلى الملك وأنت مالك لشعورك وأجب فى غير تلعثم. وإن فم الإنسان هو الذى ينجيه، وكلامه هوالذى يجعل الناس يرفقون به وستفعل ما يحلو لك وعلى ذلك فالكلام معك غير مجدي.

ومع ذلك سأقص عليك شيئًا مماثلًا لقصتك، فقد حدث لى شخصيًا عندما أقلعت إلى إقليم مناجم الملك يقلع من البحرالأحمر إلى سيناء زاهيًا فى البحر فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولًا

(١) تمثل لنا هذه القصة نوعًا من الشعر القصصي الذي يدور حول الإله حتحور إله السماء والإله رع إله الشمس وقد حفظت لنا بتوفيق غريب إذ أنها كانت قد نقلت فى كتاب تعويذات سحرية، وقد نقش هذا الكتاب على جدران مقبرة رمسيس الثالث من الأسرة العشرين. كما وجدت مكتوبة على ناووس توت عنخ آمون الخشبى. غير أنه من النقشين الأولين وإن وجدا مهشمين استطعنا أن نحصل على نص كامل تقريبًا لهذه القصة. ويرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى تاريخ الدولة الوسطى ١٩٩٠ – ١٧٩٠ ق. م والمرجح أنها كتبت فى بدايتها.

و٤٠ عرضًا وكان فيها ١٢٠ بحارًا من نخبة مصر. وكانوا يتعرفون السماء وكانوا يتعرفون الأرض وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود وكانوا يتنبئون العاصفة قبل حدوثها والزوبعة قبل أن تمر.

وقد هبت عاصفة ونحن مازلنا فى البحر وقبل أن نصل الأرض وقد قامت الريح فضاعفت من شدتها وجاءت موجة ذرعها ثمانية ارتفاعًا وقد حملت من على سطح السفينة مع الصارى. وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يبق إلا واحد من بين الذين كانوا فيها، وقد رمت بي موجة إلى جزيرة وقد قضيت ثلاثة أيام وحيدًا ولم يكن لى رفيق إلا قلبي ونمت في خباء من الخشب وإحتضنت الفيء يحتمل بحثت عنه ثم وقفت على قدمي؛ لأجد ما يمكنني وضعه فى فمي، فوجدت تينًا وعنبًا هناك وكل أنواع الخضر الجميلة، وكان هناك فاكهة كاو ونكوت وخيار كأنه مزروع، وكان هناك سمك وطيور ولم يكن هناك شيء لا يوجد بها وعندئذ أشبعت نفسي وتركت بعضها على الأرض؛ لأن حمله كان ثقيلًا على ذراعي ثم أخذت زنادًا وأوقدت نارًا لنفسي وقدمت قربانًا مشويًا للآلهة.

وبعد ذلك سمعت صوت رعد وظننت أنها موجة بحر فتكسرت الأشجار وزلزلت الأرض ولما كشفت عن وجهى -كان واضعًا يديه على وجهه من الخوف- وجدت أنه ثعبان يقترب منى وكان ذرعه ثلاثين ذراعًا طولًا ولحيته يزيد طولها على خمسة أذرع وكان جسمه مرصعًا بالذهب وحاجباه من خالص اللازورد -يتصور الكاتب الثعبان كأنه أحد آلهة المصريين- وقد كان فى غاية العقل ثم فغر فاه لى حينما كنت ملقى على بطنى أمامه وقال لى: من أحضرك هنا؟ من أحضرك هنا أيها الصغير؟ من أحضرك هنا؟ وإذا تأخرت عن إجابتى عمن أحضرك إلى هذه الجزيرة جعلتك لا تجد نفسك إلا ترابًا وتصير كالذى لم يكن قد رأى الثعبان المقدس ينفث نار فيحرقه ويحيله رمادًا، فأجبت: إنك تتحدث إلي ومع ذلك لم أسمع ما تقول. إنى فى حضرتك ولكن حواسى قد ذهبت.

وبعد ذلك أخذني في فمه وأحضرنى إلى حجرة ووضعني دون أن يلمسني وكنت صحيحًا ولم يمزق شيئًا مني -أى لم يؤذينى- وفغر فاه لي عندما كنت ملقى على بطني أمامه، وقال لى: من أحضرك الى هنا؟ من أحضرك الى هنا أيها الصغير؟ من أحضرك الى جزيرة البحر هذه التى يحيط بها الماء من الجانبين؟ وقد أجبته وذراعاي مثنيتان -دليل الخضوع- فى حضرته وقلت له: إنى فرد ذهبت إلى المناجم فى أمر للملك فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولًا و٤٠ عرضًا وكان فيها ١٢٠ بحارًا من نخبة مصر وكانوا يتعرفون السماء ويتعرفون الأرض وكانت

قلوبهم أثبت من قلوب الأسود وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث وكان كل واحد منهم شجاع القلب قوي الساعد أكثر من زميله ولم يكن بينهم أحمق. وقد هبت عاصفة ونحن لا نزال فى البحر قبل أن نصل للأرض وبعد ذلك غرقت السفينة بمن كانوا عليها ولم يبق غيرى. وتأمل! فإنى هنا بجانبك وقد أحضرت إلى هنا بموجة البحر. عندئذ قال لي: لا تخف لا تخف أيها الصغير ولا تدع محياك يصفر مادمت جئت الى! انظر لقد حفظك الإله حيًّا ليحضرك إلى جزيرة الطعام الوفير التى لا شيء إلا وينمو فيها؛ لأنها مفعمة بكل شيء حسن. وانظر ستمضي الشهر بعد الشهر فى هذه الجزيرة إلى أن تتم أربعة أشهر، ثم تأتي سفينة من مقر الملك تحمل بحارة تعرفهم وستذهب معهم إلى مقر الملك وتموت فى نفس بلدك. ما أشد فرحة الذي يقص ما جرى له بعد أن تمر الكارثة، وهكذا سأقص عليك شيئًا مماثلًا لهذا قد حدث فى هذه الجزيرة، وذلك أننى كنت فيها مع إخوتى وأطفالي فى وسطهم وكان كل عددنا ٧٥ ثعبانًا أولادي وأخوتي هذا غير بنت إمراة مسكينة كانت قد أحضرت إلي ثم انقض شهاب فذهب هؤلاء فى النار بسببه -أي بسبب الشهاب- وقد حدث ذلك وأنا لست مع المحرقين ولم أكن بينهم وقد كدت أموت من أجلهم عندما وجدتهم كومة من الجثث.

فإذا كنت شجاعًا فأكبح جماح قلبك، على أنك ستضم أطفالك وتقبل زوجتك وترى منزلك وهذا أحسن من كل شيء وستصل إلى مقر الملك وتسكن هناك فى وسط أولادك.

وعند ذلك ألقيت بنفسي على بطني ولمست الأرض فى حضرته وقلت له: سأتحدث للملك عن قوتك وأعلمه بعظمتك وسأعمل على أن يجلب لك إبى وحنكو وأدنب وخسعلت (أنواع من العطور النقية) وكذلك بخور المعابد التى يسر لها كل إله وسأقص ما حدث لى وما قد شاهدت، وستشكرنى المدينة أمام ضباط الأرض كلها وسأذبح لك ثيرانًا قربانًا مشويًّا وأضحى لك الأوز وسأرسل لك سفنًا محملة بكل بضائع مصر الثمينة كما يجب أن يفعل لإله يحب الناس فى أرض نائية لا يعرفها الناس.

عندئذ ضحك مني ومما قلت كأن ذلك سخافة لقلبه وقال لى: ليس عندكم عنتيو (أهم أنواع العطور) بكثرة ولا تملكون إلا البخور. ولكننى أمير والعطور متاعي الخاص. أما من حيث حنكو الذي تقول عنه إنك ستجلبه إلى فهو أهم حاصلات هذه الجزيرة، ولكن الواقع أنك لن ترى قط هذه الجزيرة بعد سفرك لأنها ستصير ماء.

وبعد ذلك أتت هذه السفينة كما تنبأ وذهبت وتسلقت شجرة طويلة ورأيت أولئك الذين كانوا فيها وذهبت لأخبره فعلمت أنه قد عرف ذلك من قبل، وقال لى: بسلام بسلام للوطن أيها الصغير وشاهد أطفالك واجعل لي اسمًا حسنًا فى مدينتك. اسمع فإن هذا كل ما أبغى.

وعندئذ ألقيت بنفسى على بطني وثنيت ذراعي فى حضرته وأعطانى حمولة عنتيو وحنكو وإيدنب وخسلت وتشبس وشاش وكحل وذيول زرافات وكمية عظيمة من البخور وسن الفيل وكلاب صيد وقردة ونسانيس وكل الذخائر الجميلة (كان المصريون يستوردون كل ذلك من إثيوبيا) وأنزلتها فى السفينة.

ولما ألقيت بنفسي على بطني لأشكره قال لى: انظر ستصل الحاضرة بعد شهرين وستضم أولادك فى حضنك وتصير شابًا ثانيًا فى مقر الملك ثم تدفن (أى تدفن دفنًا طيبًا). وذهبت الى الساحل حيث كانت السفينة وحييت الفرقة التى كانت فى هذه السفينة وأثنيت على رب الجزيرة على الساحل وكل من كان فى السفينة فعل كذلك.

ثم سحنا شمالًا إلى حاضرة الملك ووصلنا الى العاصمة فى شهرين كما قال ومثلت أمام الملك وقدمت له هذه الذخائر التى أحضرتها من هذه الجزيرة وقد شكرني أمام كل ضباط الأرض قاطبة وعينت حاجبًا وكافأنى ببعض حشمه.

انظر إلي بعد أن وصلت الأرض وبعد أن شاهدت ما لاقيته (أى استفد من تجربتى). اسمع لما أقول. انظر إنه من الخير للناس أن يصغوا.

فقال لى (أى الأمير): لا تلعبن دور الحكيم يا صديقى. فإن ذلك كالذى يعطي عند الفجر ماء لطائر سيذبحه مبكرًا فى الصباح (أى أني مقضي علي بالموت عندما أقابل فرعون وعلى ذلك فكلامك المطمئن لا فائدة منه). (١)

---

(١) تعد هذه القصة من القصص النادرة التى وصلت إلينا كاملة غير منقوصة فقد جاء فى نهايتها (لقد كتب هذا الكتاب من البداية الى النهاية) على عادة الكتاب المصريين. فلم يفقد إذن من نهايتها شيء كما أن بدايتها ليست مهشمة أوممحوة لذلك فالقصة على ما نعتقد كاملة. وليس من المستبعد أن تكون القصة واحدة من سلسلة قصص متتابعة الحلقات على غرار قصة ألف ليلة وليلة فقد كان مع الأمير أتباع كثيرون كل واحد منهم يقص قصة فيها تخفيف لآلام الأمير وتسرية عن قلبه. وقصة الغريق تعتبر قطعة أدبية ذات أسلوب رشيق ترمى إلى أهداف سامية وتعبر عن عواطف مختلفة. ولكن يعيب عليها التكرار فى العبارات.

قصة الملك خوفو والسحرة... أسطورة شعبية فرعونية

نهض الأمير حردادف ليتكلم فقال: إنك لم تسمع إلى الآن غير أمثلة لسحرة سبقونا والإنسان لا يستطيع أن يتبين فيها الصدق من الكذب. غير أنه فى زمنك هذا زمن خوفو يوجد ساحر.

فقال جلالته: من هو يا حردادف يا بنى؟ فأجاب الأمير حردادف: يوجد مدني اسمه ددى يقطن فى دد – سنفرو (شمال مدخل الفيوم) بلغ من العمر مائة وعشرة (كان المصريون يعتبرون هذا آخر حد لعمر الإنسان) ويأكل خمسمائة وخمسين رغيفًا من الخبز وفخذ ثور من صنف اللحم ويشرب مائة إبريق من الجعة إلى يومنا هذا (أى أنه مازال صحيح الجسم). وهو يعرف إلى الآن كيف يركب ثانية رأسًا قد قطع ويعرف كيف يجعل الأسد يتبعه وحبله يجر على الأرض، وهويعرف عدد الأقفال التى يحتوى عليها معبد تحوت واتفق أن جلالة الملك خوفو كان دائمًا يبحث عن أقفال معبد تحوت ليعمل لأفقه مثلها (الأفق هو هرم الملك الذى يظن أنه يغرب فيه مثل الشمس) وعندئذ قال جلالته: أنت بنفسك يا بنى حردادف ستحضره لي.

وأعدت سفن للأمير حردادف وسافر صاعدًا إلى دد–سنفرو وعندما رست السفن على الشاطئ سافر برًّا جالسًا فى محفة من الأبنوس قوائمها مصنوعة من خشب سسنم ومطعمة بالذهب.

ولما وصل إلى ددى وضعت المحفة على الأرض ووقف يسلم عليه فوجده جالسًا على حصير على عتبة بيته وكان رأسه قد أمسك به خادم مملسًا عليه وكأن آخر يدلك قدميه. وقال الأمير حردادف: إن حالتك الآن كحالتك قبل التقدم فى السن وقبل الكبر وهو بيت الداء ومكان الكفن ومحل الدفن وأنت لا تزال رجلًا ينام إلى مطلع النهار معافى من المرض وبدون أن تتقدم فى السن المشينة (يرمى القاصي إلى أسلوب راق ولكن صعب فهمه). تحياتى أيها المحترم! لقد أتيت إلى هنا فى طلبك برسالة من والدى خوفو حتى تأكل أطيب الأشياء التى يعطيها الملك وهى مأكولات من فى خدمته وحتى يوصلك بعد عمر طويل إلى آبائك الذين فى عالم الأموات.

فقال ددى هذا: فى سلام يا حردادف أنت يا ابن الملك الذى يعزه والده! ليت والدك يكافئك وليته يرفع مكانتك بين الكبار! وليت روحك تحارب قرنك!

وليت روحك تعرف الطريق الى باب من يخبئ الضعف (بواب فى العالم السفلى) مرحبا يا ابن الملك.

ومد الأمير حردادف إليه وساعده على القيام وبعد ذلك ذهب معه إلى شاطئ النهر آخذا بيده طوال الوقت. وقال ددى: أمر بسفينة لي لتحضر إلي الأطفال (يقصد تلاميذه) وكتبي معًا. فوضعت فى تصرفه سفينتان ونواتيهما أما ددى فإنه انحدر فى النهر فى سفينة الأمير، ولما وصل الأمير إلى مقر الملك دخل ليقدم للملك خوفو تقريره. فقال الأمير: أيها الملك سيدى: لقد أحضرت ددى فقال جلالته إذهب وأحضره لى.

ثم ذهب الملك إلى القاعة ذات العمد فى القصر وأحضر ددى إليه. وقال جلالته: كيف كان ذلك يا ددى ؟! إنى لم أراك قط من قبل؟.

فقال ددى: إن من يطلب عليه أن يحضر. إن الملك طلبنى وها أنا قد أتيت، فقال جلالته: أصحيح ما يقال من إنك يمكنك أن تركب ثانية رأسًا قد قطع؟ فقال ددى: نعم أعرف ذلك يا أيها الملك يا مولاي.

فقال الملك: أحضروا لى سجينًا من السجن حتى يوقع عليه عقابه. فقال ددى: ولكن ليس على رجل أيها الملك يا مولاي انظر أليس من الخير أن يجرب شيئًا مثل هذا على الماشية السامية (يقصد ماشية الملك).

فأحضرت إليه أوزة ثم فصل رأسها ووضعت الأوزة فى الجانب الغربى من القاعة ورأسها فى الجانب الشرقى منها وتلا ددى تعويذة سحرية فوقفت الأوزة ومشت وكذلك فعل رأسها. ولما وصل أحد الجزئين إلى الآخر وقفت الأوزة وصاحت. وأحضرت إليه بطه وعمل فيها بالمثل.

وأحضر له جلالته ثورًا وجعل رأسه يسقط على الأرض وتلا ددى تعويذة سحرية فوقف الثور وراءه على حين أن حبله سقط على الأرض فقال الملك خوفو: يقال إنك تعرف عدد أقفال معبد تحوت فقال ددى: معذرة فإني لا أعرف عددها أيها الملك يا مولاي ولكنى أعرف أين هى.

فقال جلالته أين هى؟ فقال ددى: يوجد صندوق من الظران فى حجرة تسمى فهرس هليوبوليس أنظر إنها فى الصندوق، أيها الملك يا مولاي انظر لست أنا الذى يأتي بها إليك، فقال جلالته: من يأتى بها إذن؟ فقال ددى: إنه أكبر ثلاثة الأطفال الذين فى بطن رد- ددت هو الذي سيحضرها لك. فقال جلالته ولكني أرغب أن تقول لى من هى رد – ددت هذه. فقال ددى إنها زوجة كاهن رع فى بلدة سخبو (فى منطقة عين شمس) وهى التى حملت فى ثلاثة أطفال لرع رب سخبو وقد أخبرها أنهم سيتولون هذه الوظيفة الكبرى (أى سيصبحون ملوكًا) فى كل هذه البلاد وأن أكبرهم سيكون الكاهن الأعظم فى عين شمس.

وعندئذ استولى الحزن على قلب الملك من أجل ذلك. فقال ددى: استمحيك عفوًا ما هذه الحالة يا مولاي؟ أمن أجل الثلاثة أطفال؟ وعلى ذلك أقول لك ابنك ثم ابن ابنك وبعد ذلك واحد منهم. فقال جلالته: ولكن أخبرنى فى أي وقت ستضع رد- ددت هذه؟ فقال ددى: ستضع فى اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الشتاء. فقال جلالته: هى (كلمات ناقصة) إقليم؟ قناة السمكتين وأنا بنفسي سأضع قدمي هناك وسأرى معبد رع رب سخبو. فقال ددى: إذن سأجعل الماء يقف على عمق أربعة أذرع فى إقليم قناة السمكتين.

وبعد ذلك رجع جلالته إلى قصره وقال جلالته: رع يخبر بأن يقيم ددى فى بيت الأمير حردادف ليسكن معه. واجعل جرايته ألف رغيف من الخبز ومائة إناء من الجعة وثورًا واحدًا ومائة حزمة من الكراث. وقد نفذ ما أمر به جلالته.

والآن إتفق أن رد – ددت كانت فى آلام المخاض فقال جلالة رع رب سخبو عندئذ إلى إيزيس ونفتيس ومسخنت (ألهة الولادة) وحكت وخنوم (صانع بنى الإنسان): قفن واذهبن أنتن وخلصن رد – ددت من ثلاثة الأطفال الذين فى فرجها وهم الذين سيتولون هذه الوظيفة الممتازة فى هذه الأرض قاطبة. إنهم سيبنون معابدكن وسيمدون موائدكن بالطعام وسيملأون موائد شرابكن وسيجعلون قرابينكم عظيمة، وعندئذ ذهبت هؤلاء الآلهات وقد تزين بزى الراقصات وكان خنوم معهن يحمل محفتهن (أى فى صورة نساء مسافرات فى صحبة رجل فى خدمتهمن) وأتين إلى بيت رع وسر (زوج رد – ددت) ووجدنه واقفًا وقميصه متدل. وبعدئذ قدمن له عقودهن ودفوفهن (أى غنين ورقصن أمامه) فقال لهن: يا سيداتي انظرن إن هنا سيدة فى المخاض. فقلن له: دعنا نراها حقًا إنا نعرف فى الولادة. فقال لهن: أحضرن.

وعندئذ سبقن رد – ددت وأغلقن باب الحجرة عليهن وعليها. وجلست، إيزيس أمامها ونفتيس خلفها وأسرعت حكت فى عملية الوضع. وقالت إيزيس تخاطب الجنين: لا تكونن شديدًا فى فرجها كاسمك وسر – كاف. فانزلق هذا الطفل إلى الخارج على يديها وطوله ذراع قوي العظم وكان لقبه الملكي مكتوبًا على جسمه بالذهب (أعضائه الذكرية) ولباس رأسه من خالص اللازورد فغسلنه وقطعن حبل سرته ووضعنه على رقعة من النسيج فوق قالب من اللبن واقتربت منه مسخنت وقالت: ملك سيتولى الملك فى البلاد قاطبة، ومنحه خنوم الصحة فى جسمه، (وقد قصت ولادة الطفلين الآخرين بنفس الألفاظ والتفاصيل مع اختلاف العزائم السحرية) لا تقتربن من فرجها كما ستسمى حقيقة ساحو– رع ولا تكونن مظلمًا فى فرجها كما ستسمى حقيقة ككو (كاكو) وهى أسماء ملوك الأسرة الرابعة الحقيقية، ثم خرجت هؤلاء الإلهات بعد أن خلصن رد – ددت من الأطفال الثلاثة ثم قلن: ليكن قلبك فرحا يا رع وسر انظر لقد ولد لك ثلاثة أطفال. فقال لهن: يا سيداتى ماذا يمكننى أن أفعل لكن؟ أرجو منكن أن تعطين هذا الكيل من الشعير لحامل محفتكن وخذن لأنفسكن فى أوانيكن أجرًا. فحمل خموم الشعير. ولما ذهبن فى طريقهن من حيث أتين قالت إيزيس لهؤلاء الإلهات: ما معنى أننا أتينا إليها ولم نأت بأية أعجوبة لهؤلاء الأطفال حتى نخبر بها والدهم الذى أرسلنا إلى هنا؟

وعلى ذلك صنعن ثلاثة تيجان ملكية ووضعنها فى الشعير وجعلن العاصفة والمطر يحدثن فى السماء وعدن إلى البيت (لكى تكون عذرًا لإرجاع الشعير) وقلن: نرجو منكم أن تدعونا نضع الشعير فى حجرة مغلقة إلى أن نعود ثانية. ووضعن الشعير فى حجرة مغلقة. وطهرت رد – ددت نفسها طهور الأربعة عشر يومًا (كانت تعتبر المرأة نجسة بعد الولادة) وقالت لخادمتها: هل أعد البيت؟ فأجابت: لقد أعد كل شيء جميل أللهم إلا الأواني فلم يمكن إحضارها. قالت رد – ددت: لماذا لا يمكن إحضار الأواني؟ فقالت الخادمة: لا يمكن عمل شيء ما هنا إذ أن شعير الراقصات قد وضع فى حجرة عليها خاتمهن. فقالت رد–ددت: إذهبى وأحضرى بعضًا منه وسيكافئهن رع – وسر بعد عودته. وعلى ذلك ذهبت الخادمة وفتحت الحجرة وسمعت فى الحجرة غناء وموسيقى ورقصًا وفرحًا وكل ما يفعل احتفالًا بالملك، فعادت وأخبرت رد – ددت بكل ما سمعت. فذهبت رد – ددت إلى الغرفة ولكنها لم تر المكان الذى يحدث فيه ذلك ثم وضعت جبهتها على صومعة الغلال ووجدت أنه فيها

فوضعتها فى صندوق ثم وضعت هذا فى خزانة أخرى وربطتها بجلد ووضعتها فى حجرة صغيرة تحتوى على أوانيها وأغلقت الباب عليها. ولما عاد رع- وسر من الحقل قصت عليه رد – ددت هذا الأمر ففرح كثيرًا وجلسا وأخذا فى أسباب السرور.

وبعد أن مضت أيام معدودات غضبت رد – ددت على خادمتها لسبب ما وعاقبتها بالضرب فقالت الخادمة للقوم الموجودين فى البيت: هل ستفعل؟ لقد ولدت ثلاثة ملوك وسأذهب وأخبر جلالة الملك خوفو بذلك. وعلى ذلك ذهبت ووجدت أخاها من أمها (كان المصريون ينسبون أبناءهم للأم) يربط خيوط الكتان فى الجرين فقال لها: إلى أين تذهبين أيتها العذراء الصغيرة؟ وعندئذ قصت عليه هذا الأمر فقال لها أخوها: وعلى هذا فقد أتيت إلى لكى أشترك معك فى الخيانة وأخذ من الكتان وضربها ضربة مؤلمة. وبعدئذ ذهبت الخادمة لتحضر لها شيئا من الماء فقبض عليها تمساح، وعندئذ ذهب أخوها ليخبر رد – ددت بما حدث فوجد رد- ددت جالسة ورأسها على ركبتيها وقلبها مكتئب جدًا.

فقال لها: لماذا أنت مضطربة كذلك؟ فقالت له: إن هذه البنت التى قد نمت فى هذا البيت خرجت الآن قائلة: سأذهب لأفشى السر. فحنا رأسه وقال: يا سيدتى لقد أتت وقالت لى بجانبى وضربتها ضربة مؤلمة وقد ذهبت لتجلب لنفسها شيئًا من الماء فقبض عليها تمساح. (وهنا كسرت الورقة البردية)[1]

أنانسي ووعاء الحكمة... أسطورة شعبية من غانا

كان العنكبوت أنانسي معروفًا بين الحيوانات فى كل مكان بأنه أحكم الحيوانات، فكانوا جميعًا يأتون إليه بمشكلاتهم وأسئلتهم ليجدوا عنده حلولًا لها.

وبعد برهة من الزمن، تعب أنانسي من الإجابة عن هذه الأسئلة وفكر فى أن عليه أن يفعل شيئًا حيال ذلك، ليسترجع من جديد الهدوء إلى حياته، فوضع الحكمة كلها التى يمتلكها فى وعاء ضخم، وربط الوعاء ببطنه، وخطط أن يحمل الوعاء معه ليعلقه بفرع شجرة عالية، حيث يمكن لجميع الحيوانات الحضور إلى الشجرة للحصول على إجابات وافية

(١) تتكون القصة من ثلاث قصص يرويها أبناء الملك خوفو الثلاثة لتسليته. والقصص للأسف غير مكتملة فالأولى لا يوجد منها غير نهايتها فقط والقصة الثالثة نهايتها غامضة ولكن يمكن استنتاج نهايتها وهى التى نقلتها هنا.

لأسئلتهم، وكان الوعاء يعيق حركة رجليه عند صعوده الشجرة ويبطئ من حركته، ورأى ابنه نتيكومو ذلك، فاقترح عليه أن يربط الوعاء بظهره حتى لا يعيق حركته، غضب الوالد غضبًا شديدًا من أن يكون لأحد أبنائه فكرة أفضل من أفكاره، فأمسك بالوعاء وألقى به بقوة على الأرض ليتحطم إلى ألف قطعة.

ومنذ ذلك اليوم، تبعثرت الحكمة فى كل أرجاء العالم، ليجدها الكثير ممن يبحثون عنها.

محكمة القرد... أسطورة شعبية نيجيرية

كان يا ما كان فى قديم الزمان كان هناك شابان يسيران فى الصحراء على أقدامهما، إلا أن شدة الحرارة وبعد الطريق جعلهما يشعران بالعطش والجوع معًا، فوجدا شجرة كثيرة الخضرة باسقة وفروعها ممتدة من كل جانب فقال أحدهما للآخر: هذه الشجرة الجميلة لابد أن نستظل بظلها من حرارة الشمس، وربما وجدنا بقايا طعام أوشراب نخفف به جوعنا ونخفف به عطشنا.

وهما ينظران هنا وهناك وجدًا قطعة لحم كبيرة باقية من شواء لازالت ناره مستعرة، هم كل واحد منهما لأخذ اللحم ولكن باءت محاولتهما بالفشل، حيث أمسك كل واحد منهما يد الآخر ومنعه من التقاط قطعة اللحم الكبيرة، وقال أحدهما للآخر: أنا الذى رأيتها أولا، قال الثاني: لا بل أنا الذى رأيتها أولًا، وكاد يقع بينهما خلاف لا يعلم نهايته إلا الله ولكنَّ الله سلم، وعلى الرغم من يقين كل منهما أن الصواب أن يتشاركا فيها إلا أن كلا منهما أراد أن يحصل على النصيب الأكبر منها.

فاتفق الاثنان أن يذهبا بنزاعهما إلى محكمة القرد، أدرك القرد أنها فرصة جيدة له، فتصنع وجهًا يوحى بالحكمة، وأنصت صابرًا لسماع قصتهما، وعندما فرغ الشابان من حديثهما، قال القرد: سأقسم قطعة اللحم بينكما، قام القرد بشطر قطعة اللحم إلى نصفين، إلا أنه وجد أن القطعتين غير متساويتين تمامًا فأخذ قضمة من القطعة الكبيرة وأكلها، ولكنه وجد أن القطعتين غير متساويتين تمامًا مرة ثانية، فأخذ قضمة أخرى من القطعة الأكبر.

وعلى الرغم من محاولات القرد فى كل مرة أن يساوي بين الجزئين إلا أن جزءًا منهما كان دائمًا أكبر قليلًا من الآخر.

وفى النهاية لم يتبق سوى قطعتين صغيرتين من اللحم، وهنا قال القرد: آن الأوان لأن آخذ نظير أتعابى من الحكم فى هذه القضية، وتكفينى هاتان القطعتان الصغيرتان من اللحم.

وهنا ذهب الشابان الجائعان إلى حال سبيلهما بعد أن أصبح كل منهما أكثر حكمة من هذه التجربة، وبعد أن لقنهما القرد درسًا فى عواقب الطمع.(١)

ذكاء ابن آوى الخارق... أسطورة شعبية من قبيلة زولو

كان يا ما كان فى قديم الزمان. كان ابن آوى معروفًا بذكائه الذى يستخدمه لخداع بقية الحيوانات، وكان يستمتع على وجه الخصوص بممارسة ألاعيبه على الأسد ملك الغابة، وكاد الأسد أن يضع حدًّا لحيل ابن آوى جميعها.

وفى يوم من الأيام كان ابن آوى يسير معتدًّا بنفسه وهو يفكر كيف خدع الضبع وفاز بوليمته، ولم يكن فى خلال سيره منتبهًا إلى الطريق الذى يسلكه، فقد كان يضحك بسعادة وفخر منتشيًّا بمدى ذكائه.

وعندما فات الأوان اكتشف ابن آوى أنه قد دخل إلى منطقة الأسد، وكان على وشك التراجع والركض، ولكنه اكتشف أن الأسد واقف على بعد خطوات منه، وهو يحدق فيه بنظرات كلها عداء، وأدرك ابن آوى حجم المشكلة التى وقع فيها، حيث لا يمكن له أبدًا أن يسابق الأسد، وهوقريب منه إلى هذه الدرجة، ولكن ابن آوى لم يفقد أعصابه، وبدأ بدلًا من ذلك فى الصياح والدبدبة على الأرض قائلا: أيها الأسد ماذا عسانا أن نفعل؟! ستتساقط تلك الحجارة علينا وحتما ستسحقنا.

ونظر الأسد بسرعة نحو الصخور، وكان منظرها يوحى بأنها ستسقط من طريقة ميلها، حيث لم يلحظ الأسد من قبل شكل الصخور، ولم يدرك قط أن هذا هو شكلها الذى كانت عليه طويلًا من قبل، ثم أضاف ابن آوى: أسرع أيها الأسد واستخدم قوتك الهائلة لتمنع الصخور من السقوط علينا، بينما أبحث أنا عن قطعة كبيرة من الخشب لنسندها بها.

---

(١) يظهر القرد وسائر الحيوانات فى الحكايات الإفريقية أكثر ذكاء من البشر الذين يتصرفون بحمق فى غالب الأحوال فى أحداث هذه الحكايات.

وسند الأسد كتفه الضخم على الصخور ليمنعها من السقوط بكل قوته، ولا يسعنا أن نحدد إلى متى ظل الأسد هناك، قبل أن يدرك حقيقة أن ابن آوى قد خدعه مرة أخرى، إذ ربما مايزال قابعا هناك حتى الآن.(١)

الأرنب الذي ألقى بفردة صندله... أسطورة شعبية أمريكية

كان ياما كان كان هناك أرنب من أكثر الحيوانات حكمة على الإطلاق، ولهذا تم تنصيبه عمدة عليها. يشهد له الجميع بحسن قيادته، غير أنه لم يكن محبوبًا، فقد اعتاد أن يستغل ذكاءه فى حيل يخدع بها بقية الحيوانات.

وذات صباح، قررت الحيوانات التخلص من الأرنب ومن ألاعيبه، فتجمعت خارج جحر الأرنب، وفى نيتها أن تمسك به، وتقطعه إربًا إربًا فور خروجه. ولكن الأرنب سمعها، وهى تهمهم بخطتها فناداها: سأخرج فور عثورى على صندلي. وكان الظلام لا يزال يلف المكان، فلم تكن الشمس قد أشرقت بعد.

وبدأت الحيوانات المتجمعة تصيح، أيها الأرنب هيا أسرع، إننا بحاجة إلى مساعدتك، فرد عليهم الأرنب قائلًا: لقد وجدت فردة واحدة من صندلي، إلا أنها ممزقة وستستغرق مني وقتًا طويلًا لإصلاحها.

وكان النمر القابع بالخارج قد نفد صبره فقال: ألقها هنا لأصلحها لك بينما تبحث أنت عن الفردة الأخرى، وأمسك النمر بالشيء الذى ألقاه الأرنب، وألقى به بعيدًا بين الشجيرات.

وصاح حيوان آخر: ما الذى يؤخرك أيها الأرنب؟!ولكن ليس هناك مجيب.

---

(١) ابن آوى مثل كثير من الشخصيات الإفريقية المشهورة بالخداع ذكى، ولكنه أصغر وأضعف من خصومه، وخصمه فى هذه القصة الأسد قوى ولكنه بطيء التفكير.

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فالمؤمن فَطِنٌ لا يخدعه أحدٌ مرتين، وأول من قال ذلك هورسول الله] لأبي عزة الجمحي الشاعر، وذلك أنه أسر يوم بدر فقال: يا محمد، إني رجل مُعِيل، وإنما خرجت معهم ليعطوني ما أعود به على عيالي، فمنَّ عليه النبي] بنفسه، وحذَّره من العودة لهجائه أومحاربته، فضمن ألا يكثر عليه أحدًا ولا جمعًا. فلما كان يوم أحد، خرج فيمن يحرِّض الناس على محاربة المسلمين، وقد وقع أسيرًا ولم يُسْتَأْسَر في ذلك اليوم غير أبي عزة فقال: "يا محمد، عيالي.. مُنَّ عليَّ.. فإني حُمِلْتُ على الخروج إليك ". فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا يُلْدَغ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين "، ومعنى الكلام أن المؤمن فَطِنٌ لا يخدعه أحدٌ مرتين.

فقال النسر أيها الثعبان ازحف داخل هذا الجحر، واكتشف ما الذي يؤخر الأرنب هكذا. وفعل الثعبان تمامًا مثلما قال له النسر، ولكنه سرعان ما اكتشف أنه وحده الموجود فى الجحر.

فصاح: لا يوجد أحد هنا، لقد اختفى الأرنب. ثم سمع الجميع الأرنب وهو يقهقه من بين الشجيرات، وأدرك الجميع أنهم قد خدعوا مرة أخرى، فمن شدة تلهفهم على خروج الأرنب، لم يلحظ أحد منهم أن الأرنب قد ألقى بنفسه بدلًا من الصندل.[1]

الخشاب العملاق... أسطورة شعبية أمريكية

كان يا ما كان فى قديم الزمان كان هناك خشاب عملاق اسمه بول بونيان والخشاب هورجل يكسب رزقه من قطع الأشجار.

كان هذا الخشاب ضخمًا جدًّا، وقويًّا جدًّا، لدرجة أنه كان يستطيع إنشاء تلال وبحيرات وأنهار وقتما يشاء، كان بول ضخمًا لدرجة أنه إذا عطس، تسقط كل أشجار الصنوبر على جانب التل، ولذلك كان جوعه شديدًا بقدر ضخامته، وكان يحب فطائر الكعك، وكان الإناء الذى يستخدمه لعمل فطائر الكعك واسعًا لدرجة أن الناس كانت تتزحلق عليه بعد دهن أقدامهم بالزيت لتنظيفه.

وفى إحدى ليالى الشتاء سمع الخشاب حيوانًا يبكي وعندما نظر صوب الصوت وجد أذنين بشعيرات زرقاء تظهر فى الثلج فجذب بول الأذنين مرارًا وتكرارًا، حتى خرج من تحت الثلج ثور وليد أزرق أخذه الخشاب معه وسماه (باب)

---

(١) كثيرًا ما يظهر الأرنب فى الحكايات الشعبية للعديد من الثقافات المختلفة. فعلى سبيل المثال شخصية الأرنب (الأخ برير) فى الحكايات الأمروأفريقية (أى الأمريكية من أصل أفريقي).
مستوحاة من الشخصية الإفريقية للأرنب هار. وكلاهما ذكي مثل الأرنب الذى تصوره أحداث هذه القصة التى جاءت من شعب المايا والذى كان يعيش فى أمريكا الوسطى.

وعندما كبر الثور أصبح فى حجم الجبل الصغير، وكان بالمدينة طريق به الكثير من المنحنيات، حتى أن الناس الذين يسيرون فيه لا يعرفون إلى أى اتجاه هم سائرون؟

ضحك الخشاب بول وأمسك بإحدى نهايتى الطريق، وربطها فى الثور، وشد باب الطريق بقوة، حتى استقامت منحنياته.(1)

ضوء النهار للعالم... أسطورة شعبية من قبيلة إنيوت

كان ياما كان فى قديم الزمان كان شمال العالم يعيش فى ظلام دائم ودامس، تمنى الناس هناك أن يروا نورًا، وهنا برز الغراب لهم قائلًا: لقد رأيت ضوء النهار فى رحلاتى الكثيرة التى أقوم بها.

وما أن سمع الناس هذا الكلام حتى هموا إلى الغراب متوسلين ليحضر لهم ضوء النهار.

استجاب الغراب لرغبة الجمع الغفير من الناس، وطار أميالًا كثيرة، وعندما أحس أنه لن يستطيع أن يطير أكثر من ذلك، فجأة رأى ضوء النهار أمامه، عندها هبط على غصن شجرة ليستريح وأثناء راحته، جاءت ابنة الرئيس، فحول الغراب نفسه إلى حفنة من التراب، وهبط على سترة الفتاة، فسمع الغراب صوت بكاء طفل، سألت الفتاة أخاها الأصغر: ماذا حدث؟ هنا اندفع الغراب إلى أذن الوليد وهمس له أن يخبرها أنه يريد كرة من ضوء النهار ليلعب بها، وعندما بدأ الطفل يلعب بكرة الضوء، عاد الغراب سيرته الأولى وتحول ثانية إلى طائر، وخطف الكرة من خيطها وطار بعيدًا.

وعاد الغراب إلى منزله، ولما رآه الناس هللوا فرحين وقالوا: أصبح لدينا ضوء النهار، الآن يمكن رؤية العالم كله.

عندها حذرهم الغراب قائلًا: إنها مجرد كرة صغيرة من ضوء النهار، وهذه الكرة تحتاج إلى راحة من وقت إلى آخر، ولهذا لن يكون لديكم ضوء النهار طوال العام.

ولذلك يرى الناس فى الشمال ضوء النهار ونصف السنة فقط، وفى النصف االثانى يعيشون فى ظلام دامس.

---

(1) إذا أخبرك أحد أن خشابًا عملاقًا أنشأ مدخلا عرضه ١٦٠ كم ليدخل ألواح الخشب إلى موضع فهل تصدقه؟ فى الغالب لن تصدقه، مثل هذه الحكايات نسميها حكايات لا تصدق.

الذئب الصغير يحضر النار... أسطورة شعبية هندية

كان يا ما كان فى قديم الزمان، كانت النار عند الناس أصحاب النار فقط، الأمر الذى كان يسبب مشكلة للحيوانات أثناء الشتاء، عندما تهب الرياح الباردة، ولذلك اجتمعت الحيوانات فى سنة من السنين لحل المشكلة.

قال السنجاب: إذا لم نحصل على النار هذا الشتاء، فسوف يموت الكثير من أجدادنا كبار السن، هيا بنا نسأل الذئب فهو ذكى ولديه دائمًا من الخطط ما تبهر العقول، وما أن سمع الذئب هذا المديح، حتى برز مسرعا وأخبرهم أن لديه فكرة.

وقفت الحيوانات مشدوهة تسمع للذئب الذى قال: كل ما أطلبه منكم هوأن تكونوا مستعدين لأن تصدروا ضوضاء عالية عندما أهز ذيلى، وسار الذئب وخلفه الحيوانات إلى التلال التى يعيش فيها أصحاب النار.

وفى ضوء النهار تسلل الذئب وحده إلى معسكر أصحاب النار، وعندما رآه من بعيد أحد أصحاب النار قال له: من هناك؟ فرد عليه صاحبه الذى يجلس بجواره: القادم من بعيد يا صديقى مجرد ذئب حزين.

وعندما ساد الهدوء المكان، ولم يعبأ أصحاب النار لهذا الذئب الذى بدا حزينًا، هز الذئب ذيله، وعلى الفور ساد العويل والضجيج كل أنحاء المعسكر، فقد اعتقد أصحاب النار أن هجومًا عليهم قد وقع ولابد من الدفاع عن أنفسهم، وهنا اقتنص الذئب قطعة من النار بفمه وجرى مسرعًا أسفل التل، فجرى وراءه أحد أصحاب النار، وأمسك بذيله، فلسعه حتى ابيض ذيله، وبسرعة ألقى الذئب النار إلى السنجاب الذى كان منتظرًا، وكاد الناس أصحاب النار أن يمسكوا به، وأدت حرارة أجسامهم إلى سخونة ذيل السنجاب حتى تجعد، وبسرعة فائقة سلم السنجاب النار إلى الخشب الذى ابتلعها، وعجز أصحاب النار استردادها.

وفيما بعد بين الذئب للحيوانات كيف يمكنهم الحصول على النار حينما يريدون، بحك عصوين إحداهما بالأخرى، وسوف يشعل الخشب النار لهم.[1]

(١) الذئب مثل العديد من الحيوانات فى الحكايات الشعبية فى الثقافات المختلفة، شخصية مخادعة، والمخادعون عادة أذكياء، وغالبا ما يقعون فى المشاكل بسبب خيانتهم.

نجرا بلانت(negra plant)... أسطورة شعبية فرعونية

في جزء من الصحراء الغربية كان فريق من علماء الآثار نائمين في خيامهم وفي أعلى التلال كانت سيارتان جيب - لونهما رمادي- تسيران ببطء نحو الخيام كما أن السائقين أطفؤوا أضواء السيارتين والمحركات أيضًا كانت ساكنة.

لقد توقفت السيارتين على بعد ٢٠٠ متر بعيدًا عن الخيام وخرج أربعة رجال وبالرغم من أن السيارتين كانتا تحملان لوحات معدنية مصرية ولكن الرجال كانوا أجانب. ومشى الرجال حوالي ٥٠ مترًا في الظلام ثم اختفوا في جدار صخري. خلف الجدار نزل الرجال إلى نفق (ممر تحت الأرض) كان عرضه ٢ متر وارتفاعه ٢ متر. لم ير الرجال أي شيء لذلك أضاؤوا كشافاتهم فرأوا على الجدران رسومات لإله القدماء المصريين يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ عام مضت.

نزل الرجل العجوز أولًا ثم تبعه رجل نحيف حجمه صغير مرتديًا نظارة وحاملًا آلة تشبه كاميرا كبيرة ثم تبعه رجلان: واحد منهم كان طويلًا ويحمل جهاز كمبيوتر صغيرًا والآخر كان حجمه كبيرًا وضخمًا ولكنه ليس طويلًا ويحمل حقيبة كبيرة.

توقف الرجل العجوز عند مدخل حجرة ولقد كان في هذه الحجرة خمس مومياوات مصرية قديمة ثم أكمل الرجال مسيرتهم حتى توفوا عند مدخل حجرة ثانية ولكنها كانت فارغة ثم قال الرجل العجوز: فريق من علماء الآثار المصرية اكتشف تلك الحجرتين الأسبوع الماضي، والحجرة الثانية كانت تحوي ذهبًا وكنوز أخرى وتلك الكنوز أرسلها علماء الآثار إلى المتحف في القاهرة أمس وغالبًا لا أحد يعرف شيئًا عن هذا الاكتشاف حتى الآن، ثم سأل الرجل الطويل: وكيف حصلت على هذه المعلومات؟

ابتسم الرجل العجوز فقط ثم استمر في كلامه وقال: احتمال أن يوجد كثير من الحجرات هنا ولو كانت تحوي ذهبًا أيضًا فسوف نصبح أثرياء؛ لأن علماء الآثار لم يكتشفوهم حتى الآن وسوف نجدهم أولًا، ثم استدار إلى الرجل النحيف وقال له: حان دورك الآن، فقال الرجل النحيف: لو وجدت حجرات هنا فسوف تكتشفها هذه الآلة في دقائق، ثم قام بتوصيل سلك بين الآلة والكمبيوتر، ثم أدار بعض الأزرار فأضاءت الشاشة ثم بعد ذلك بدأ الرجل النحيف يمشي ببطء على طول الممر، بينما الرجل الطويل يحمل جهاز الكمبيوتر خلفه.

ماذا تفعل هذه الآلة؟ سأل الرجل الطويل، إنها تبين ما خلف الجدران قال الرجال النحيف، أعرف ولكن كيف؟ إنها ترسل موجات تخترق وحينما تصطدم الموجات بشيء ما في الجانب الآخر تعود مرة أخرى إلى الآلة ثم بعد ذلك يحول جهاز الكمبيوتر تلك الموجات إلى صورة، آه مثل جهاز الرادار في الطائرة؟، نعم هذا نوع من أجهزة الرادار التي تستطيع أن تخترق الصخور، أتستطيع اختراق الصخور؟ بعض الأنواع من الصخور. إنه يسمى جهاز GPR أي جهاز اختراق الأرض، ثم قال فجأة انظر تستطيع أن ترى صورة على الشاشة الآن وترى صخورًا هنا وهناك، إذا لماذا لم يستخدم علماء الآثار هذا الجهاز؟، لقد حاولوا ولكن ليس كثيرًا؛ لأن الجهاز مكلف جدا.

نظر الرجل الطويل مرة أخرى إلى الشاشة ولقد كان في الشاشة أشكال مظلمة فسأل: ما هذا؟ هل هذه صخرة؟ لا إنها ليست رملًا ولا صخورًا إنها مكانًا فارغًا، هل تقصد أنها حجرة؟ نعم إنها حجرة كبيرة إنها في الجانب الآخر من هذا الجدار.

بسرعة تفحص الرجال هذا الجزء من الجدار فلقد كان شكله لا يختلف كثيرًا عن باقي الأجزاء الأخرى وكانت مغطاة بالرسوم والكتابة الفرعونية القديمة. بدأ الرجال عملهم فأخرج الرجل الضخم فأسًا ومطرقة ثقيلة من الحقيبة الكبيرة وبدأ يحطم الجدار وفي أقل من دقيقة كان قد حطم الرسومات التي كانت موجودة من آلاف السنين. كان خلف الجدار باب مدخل مسدود بالصخور، فأزال الرجل الضخم الصخور، ثم تسلق الرجال إلى داخل الفتحة ثم إلى الحجرة التالية ولكنها لم تكن حجرة لقد كانت ممرًا آخر ولكنه أوسع وأطول عن الأول فلقد كان يشبه شارعًا تحت الأرض، وكان هناك الكثير من العناكب المعلقة فى سقف الممر. وبعد أن مشى الرجال حوالي ٥٠ مترًا رأى الرجال أن ممرات أخرى تعبر هذا النفق وممرات أخرى تعبر تلك الممرات السابقة، مثل الشوارع في أي مدينة، ولكن الممرات الأخرى كانت أصغر لذلك تبع الرجال الممر الرئيس.

إنها شبه مدينة تحت الأرض مثل مدينة أموات (مقبرة) قال الرجل النحيف.

ليس لدينا الكثير من الوقت يجب علينا إيجاد ما نريده ثم نخرج قبل الصباح، قال الرجل العجوز، انظروا! صرخ الرجل النحيف، فلقد كان مصباحه مصوبًا ناحية جزء في نهاية النفق الرئيسي فقام الآخرون بتصويب كشافاتهم أيضًا فرأوا عند نهاية النفق بابين من الذهب.

في أقل من خمس دقائق قام الرجال بتحطيم البابين، ثم دخل الرجل العجوز أولًا وعندما بدأ يدخل من الباب غطى وجهه وجسمه شيئًا ما وحاول أن يتحدث ولكن هذا الشيء كان فوق فمه فأزالها من عليه واكتشف أنها نسيج كبير من العنكبوت فأزالها ودخل الحجرة وعندما أضاءت الكشافات في الحجرة كانت الحجرة مليئة بالصناديق والأواني وأشياء كثيرة من الذهب وفي الوسط كانت هناك مومياوتان وكل واحدة عليها قناع من الذهب، ولك أن تتخيل مدى فرحة الرجال عندما أخرجوا الكنوز إلى الممر الكبير، ولقد كادوا أن ينتهوا عندما صرخ الرجل الضخم من الألم فبسرعة وجه الرجال كشافاتهم إليه فوجدوه واقفًا بجوار الباب يضرب في عنقه وأذرعه وقال: خلصوني منهم.

ورأى الرجال العناكب تلدغ الرجل الضخم فلقد لدغوه عدة مرات وكل مرة كان الرجل يشعر بأنيابهم تخترق جلده فعلى الفور خلع الرجل الطويل جاكته وبدأ يضرب العناكب أربع أوخمس مرات ثم في نفس الوقت شعر الرجل النحيف بلدغة في ساقه فلقد لدغه عنكبوت ثلاث أو أربع مرات قبل أن يقتلها ووجه كشافه إلى الأرض فوجد العديد من العناكب المنتشرة هنا وهناك وقال الرجل النحيف: هيا نخرج من هنا، فعلى الفور جرى كلهم نحوالممر الكبير وصرخ فيهم الرجل العجوز: احصلوا على الذهب ثم دعونا نخرج.

فحملوا كلهم الذهب والكنوز إلى سياراتهم ثم ألقوا كل الأشياء في حقيبة السيارات وقادوا بأقصى سرعة وبمرور الوقت كان كل الرجال قد لدغتهم العناكب فحاول الرجل العجوز أن يهدأ من روعهم فقال لهم: لا تقلقوا فإنه لا توجد عناكب قاتلة في مصر فربما سوف نصاب ببعض الإعياء ولكننا لن نموت.

كيف عرفت؟ فربما تكون من فصائل عنكبوتية غير معروفة، سأل الرجل النحيف.

لا هذا غير محتملا، قال الرجل العجوز.

بلى إنه من المحتمل أو لم تسمع عن الأسماك التى وجدت في جنوب أميركا؟

ما تلك هذه الأسماك؟

اكتشف بعض العلماء بعض الأسماك في بحيرة تحت الأرض وكانوا مختلفين عن الأسماك العادية فلقد كانت تعيش في تلك البحيرة ولا تزال تعيش منذ آلاف السنين ولا أحد يعرف عنهم أي شيء.

أنا لا أعتقد ذلك، هتف الرجل العجوز.

أتمنى أن تكون محقا لأنني أشعر بالإعياء الشديد، تمتم الرجل النحيف، بينما كان الرجال يقودون سياراتهم في الصحراء بدأ يزيد الألم والإعياء وشعروا بالألم في جميع أنحاء جسدهم ولم يستطيعوا أن يقودوا السيارات ولم يكن معهم الكثير من الماء وكانوا عطشى جدًّا ولم يستطيعوا أن يتنفسوا بسهولة وفي الصباح الباكر رأى الرجل الضخم العناكب في الصناديق في شنطة السيارة وقال: إنهم في السيارة، ولكنه لم يستطع أن يتحرك واستطاع الرجل الطويل أن يزحف خارج السيارة ووقع على الرمل بجانب السيارة ثم بعد ذلك ساد الصمت.

لم يقطع هذا الصمت إلا في وقت الظهير عندما كانت الشمس في كبد السماء فلقد كانت هناك طائرة هليوكوبتر تحلق كان يستقلها مهندس اتصالات والطيار وفني صيانة وفي الخلف كانت هناك بعض المعدات الإلكترونية وكانوا في طريقهم إلى إصلاح محول في الصحراء به بعض المشاكل الفنية.

وعندما رأى الطيار السيارات تحتهم طار بالطائرة إلى الأسفل وشاهدوا جثة الرجل الطويل في الرمل فحينئذ هبط الطيار بالطائرة وجروا كلهم نحو السيارات حاملين زجاجات المياه وتفحص الطيار والمهندس وفني الصيانة الرجال الأربعة فلقد كانوا كلهم موتى ولم ير أى أحد منهم العناكب التي بخلف السيارة الثانية وكانت العناكب تراقبهم ولقد كادت يد الطيار أن تقترب منهم وكانت العناكب تستعد للهجوم.

- إن المياه كلها نفذت فربما قد ماتوا من العطش، قال الطيار.

- من الأفضل أن تتصل باللاسلكي، قال المهندس.

إن تلك الكلمات التى قالها المهندس أنقذت حياة الطيار فلقد غادر الطيار على الفور السيارة وعاد إلى الطائرة وأحضر اللاسلكي.

مرت ساعات قليلة قبل أن يصل البوليس من أقرب مدينة وأثناء هذا الوقت سخنت حرارة الشمس السيارتين حتى أصبحت كالأفران ولا يستطيع أي كائن حي أن يعيش في هذه الحرارة فلقد ماتت كل العناكب الصغيرة. ثم قاد البوليس السيارتين وسياراتهم إلى المدينة وهي مدينة جديدة اسمها حماية تقع في جنوب غرب القاهرة وعندما وصل الركب توقف عند قسم البوليس وهو في وسط المدينة وفي الشارع كانت الناس تبيع وتشتري والأطفال يلعبون ومن خلف إحدى السيارتين كان هناك شيء ما يراقب الأطفال فقلد كانت أكبر العناكب لاتزال على قيد الحياة.

لم يمر وقت طويل قبل أن يكتشف البوليس الكنوز التي بالسيارات فرجل الشرطة الذي فتح الصندوق الأول لم يصدق عينيه، وبينما كان يهرول لكي يخبر رئيسه عن الذهب هربت العنكبوت المميتة ولم يكن الشرطي يعرف أنه كان قاب قوسين من الموت. وقفزت العنكبوت من السيارة ثم إلى الشارع ثم اختفت. فالبنسبة لأي عنكبوت كل المباني بها الآلاف من الأماكن السرية حيث تستطيع الاختباء فيها حيث تحب العناكب أن تعيش داخل الجدران وبين الأدوار (الأسقف) ويمكن أن تنتقل من بيت إلى بيت بسهولة باحثة عن مكان مظلم وآمن.

ولقد كان البيت الذي بجوار قسم البوليس مليء بالأضواء والضوضاء وكان ملكًا لعائلة حسن وأصغر عضو في العائلة هي نجاة وعمرها ١٠ سنوات، وأكبر الأبناء هو أيمن عمره ٢٠ سنة وبين أيمن ونجاة لمياء عمرها ١٢ سنة ومحمد ١٦ سنة. ولقد كان أيمن يحب أخوته جدًّا ولكنه كان يشعر بسعادة كبيرة؛ لأن له حجرة كبيرة خاصة في سطح البيت وفي هذه الحجرة كان يمتلك كمبيوتره الخاص والذي كان ملك عمه والذي اشترى واحدًا جديدًا ثم أهدى القديم إلى أيمن. وهواية أيمن الإنترنت وأحيانًا كان يستخدمه في دراسته الجامعية والتعارف على أصدقاء من بلاد مختلفة وكان يتحدث مع أصدقائة عبر الكمبيوتر كل يوم، وهؤلاء الأصدقاء منهم من يعيش في إنجلترا وأميركا ودبي واليابان والعديد من الدول المختلفة، ولكنه لم يقابلهم في حياته ولكنه كان بعضهم جيدًا، وكانت المحادثات مثل المكالمات التليفونية المكتوبة ولكن تلك المحادثات كانت أرخص من المكالمات التليفونية، ويمكن أن يشترك فيها أكثر من شخصين، وعلى شاشة كمبيوتره المحادثة كانت تشبه الحوار في الكتاب.

وبينما أيمن كان يجري حواره كانت العنكبوت تزحف على أرضية الحجرة بالأسفل ومن الناحية الأخرى من الحجرة كانت أختاه الصغيرتان نجاة ولمياء تلعبان وكانت العنكبوت بالقرب من الباب عندما نادت أم البنتين عليهما، وعبرت البنتين عبر الحجرة إلى الباب ولم يشاهدوا العنكبوت على الأرضية وكادت قدم نجاة تهبط بالقرب من العنكبوت والتي تحركت لكي تهاجم ولكن القدم تحركت بعيدًا ثم بعد ذلك بحثت العنكبوت عن مكان ما آمن فتسلقت الشباك ثم هبطت إلى الحديقة حيث هنا رآها أيمن، بينما كان ذاهبًا إلى المحلات. وجرت العنكبوت أمام أيمن في الحديقة ثم توقفت عندما وصلت إلى ركن من أركان الحديقة واندهش أيمن من سرعتها وحجمها وفي الحقيقة الكثير من الناس يخافون من

العناكب ولكن أيمن كان على النقيض، مهتم وليس خائفًا فلقد اقترب من العنكبوت فكان لونها أسود وعلى ظهرها خطين لونهم أصفر وكانت أكبر عنكبوت رآه أيمن في حياته فحجمها كان مثل تفاحة صغيرة.

فجأة استدارت العنكبوت لتواجه أيمن فرأى أيمن عينيها فلقد كان لها ثمان أعين مثل باقي العناكب واثنين منهم كان اتساعها أكثر من سنتيمتر وحاول أيمن أن يقدر طول أرجلها فكان أطول ساق بها طوله مثل طول قلم رصاص، وفجاة فتحت العنكبوت فمها فرأى أيمن نابين كل واحد طوله حوالي سنتيمتر. فقفز أيمن إلى الخلف وفي الحال تسلقت العنكبوت جدار الحديقة واختفت في حديقة البيت المجاور الذي كان فارغًا.

وعندما رجع أيمن من التسوق كان لا يزال يفكر في هذا العنكبوت فاتصل بصديق يدرس في علم الحيوان في نفس الجامعة معه، ووصف أيمن له العنكبوت وبحث صديقه عن هذا العنكبوت في كتاب يدعى عناكب شمال أفريقيا، ولكن لم يكن هناك عنكبوت أسود وله خطان أصفران في الخلف، ثم ذهب أيمن إلى الكمبيوتر الخاص به ودخل على الإنترنت الذي يعتبر أهم جزء فيه هو الشبكة العالمية الكبيرة وهذه الشبكة كانت مثل مكتبة كبيرة ولكن المعلومات ليست في كتب أو جرائد ولم تكن في مكان واحد فالمعلومات تتحرك بين الآلاف من أجهزة الكمبيوتر حولَ العالم وخطوط الاتصالات بين هذه الاجهزة مثل شبكة عنكبوتية كبيرة.

– ياله من أمر مضحك أن العناكب تستخدم شباكها لاصطياد فرائسها، ولكني سوف أستخدم الشبكة لكي أجد عنكبوتًا. قال أيمن لنفسه عندما جلس إلى جهازه.

أولًا فتح أيمن صفحة بحث ثم كتب عنكبوتًا أسود وأصفر في صندوق البحث ثم ضغط على الزر فظهرت له العديد من المواقع التي تحوي الوصف ثم ظهرت له قائمة من عشرين صفحة. ضغط أيمن على القائمة الأولى وبعض لحظات ظهرت صفحة من المعلومات وصورة على الشاشة أظهرت الصورة عنكبوتًا نحيفًا طويلًا به العديد من البقع السوداء والصفراء وموطنه في أندونيسيا، ولكنه لم يكن مثل العنكبوت الذي رآه أيمن، ثم في الصفحة التالية كان هناك عنكبوت آخر من الولايات المتحدة الأمريكية، وأظهرت عنكبوتا للحدائق أصفر وأسود، ولقد كان هذا العنكبوت صغيرًا وله سبع بقع صفراء، ثم ظهر في الصفحة التالية عنكبوت لونه ذهبي ثم عنكبوتان من استراليا ولكن لم يكن أي منهم يشبه

العنكبوت الذي رآه أيمن. لم يكن في الصفحة التالية صورة ولكنها كانت مثيرة لقد كانت ترجمة انجليزية لنص مصري قديم وكان عن مدينة في مصر القديمة وهذه هي الترجمة:

مئات الناس ماتوا بسبب العناكب السوداء بالأصفر في هذه المدينة، ولقد كانت هذه العناكب خطيرة جدًّا لدرجة ان أهل المدينة قرروا أن يحرقوها. وظلت النار مشتعلة لمدة ست أيام وليالٍ حتى أنه لا يمكن لأي شيء أن يبقى على قيد الحياة ولكن العناكب وجدت لها طريقا للفرار عبر مقابر تحت الأرض لقد كان أهل المدينة يدفنون موتاهم في هذه المدينة منذ آلاف السنين لذا العديد من هذه المقابر كانت في أماكن غير معروفة لذا أصبحت العناكب في أمان حيث لا يستطيع أي أحد أن يجدهم.

ترجمت بواسطة الدكتورة شيرين فخري قسم علم المصريات جامع إكسفورد.

القصة ربما تكون حدثت بالفعل أو لا.

من فضلك إذا وجدت أي معلومات عن هذه المدينة أو العناكب المذكورة اتصل بهذا البريد الالكتروني s. fakhry@oxford. ac. uk.

وفي الحال كتب أيمن بريدًا إليكترونيًّا إلى الدكتورة شيرين فخري بجامعة إكسفورد وفيه:

الدكتورة شيرين: أنا طالب جامعي مصري ولقد قرات الترجمة التي قمتي بها عن العناكب السوداء بالأصفر التي كانت في العصر القديم فهل تعتقدين أن هذه القصة حقيقية؟ فلقد رأيت عنكبوتًا كبيرًا أسود بأصفر ولم أستطع التعرف عليه فلقد كان له خطان أصفران على ظهره فهل لديك صورة لهذا العنكبوت مع هذا النص؟

أيمن حسن

وفي اليوم التالي استلم أيمن إيميلًا من الدكتورة شيرين:

أيمن: شكرًا للإيميل الذي أرسلته وأعتقد أن المدينة حقيقية، ولكن لا أحد يعرف مكانها بالضبط فالعديد من المدن القديمة اندثرت منذ ٢٠٠٠ عام مضت؛ لأن المناخ في مصر أصبح جافًا ولقد اختفت المدن والقرى تحت الرمال وقصة العناكب ربما تكون مجرد قصة. أتمنى لك التوفيق في التعرف على العنكبوت.

شيرين فخري

خلال هذين اليومين ماذا يا ترى قد حدث للعنكبوت الذي رآه أيمن في الحديقة؟ فلقد وجد العنكبوت مأوى له ولقد كان هذا المكان سريًا حيث كان هادئًا ومظلمًا، ولقد كان مكانًا حيث لا يستطيع أي أحد أن يزعجه فيه ولقد كان مليئًا بالطعام ولقد اختار العنكبوت هذا المكان بعناية شديدة؛ لأنه كان يحتاج إلى مكان آمن ليس لنفسه فقط ولكن لعائلته الجديدة وذلك لأن العنكبوت كانت أنثى وكانت تستعد لأن تضع البيض.

وفي هذه الليلة وضعت العنكبوت بيضها ليس أربع أوخمس بيضات مثل الطيور فالعنكبوت تبيض أكثر من ذلك فبينما الناس كانوا نيامًا وضعت العنكبوت الأسود بالأصفر حوالى ٢٠٠٠ بيضة ولقد غلفتهم بعناية في أربع أكياس من الحرير الأبيض ثم بدأت الانتظار الطويل.

في إحدى الأمسيات بعد أسبوع من استلام إيميل أيمن كانت الدكتورة شيرين فخري عالمة المصريات بجامعة أكسفورد في مكتبها في الجامعة ولقد كان هذا في نهاية التيرم في الجامعة، يومان قبل أن تبدأ الإجازة ولقد كان المطر ينقر زجاج نافذة الحجرة بينما كانت هي تنظر إلى مدينة إكسفورد فلقد كان منظرًا بديعًا فوق الأشجار والمباني المبنية بالطوب العسلي (يشبه لون عسل النحل) وتنتظر إلى الأبراج والتلال الخضراء عن بعد.

ثم توجهت إلى جهاز الكمبيوتر وتفحصت بريدها الإليكتروني ولقد وجدت هناك رسالة في انتظارها من عالم آثار في مصر: ردا على على طلبك في الحصول على معلومات عن العناكب المميتة في مصر القديمة أرسل لك صورة قديمة وجدت في مقبرة قديمة بالقرب من مدينة باويتي العام الماضي كما ترين هذه الصورة تعرض صورة لعنكبوت أسود بأصفر مثل الذي كان في نصك.

بينما كانت تنتظر الدكتورة شيرين ظهور الصورة على الشاشة تذكرت الوصف الذي ذكره أيمن عن العنكبوت الكبير الذي رآه فلقد قال: أن العنكبوت كان له خطان كثيفان على ظهره، ثم بعد ذلك ظهرت الصورة على الشاشة وحينها شعرت الدكتورة بقشعريرة باردة في الجزء الخلفي من رقبتها فلقد كان على الشاشة صورة لعنكبوت أسود كبير له خطان أصفران كثيفان على ظهره.

وفي الحال أرسلت الدكتورة الصورة إلى أيمن وأرسلت رسالة شكر إلى عالم الآثار وبعد دقيقة تلقت الدكتورة شيرين طلبًا للحوار من أيمن وهذا هوالحوار الذي دار بينهما:

شيرين: أهلًا أيمن ما رأيك في الصورة.

أيمن: إنها نفس العنكبوت الذي رأيته.

شيرين: ربما قد اى العنكبوت من باويتي الى مدينتكم

أيمن: وهناك احتمال آخر فهناك موقع أثري جديد بالقرب من مدينتا، فبالامس قبل أن أرى العنكبوت أحضر البوليس صناديق من الموقع إلى قسم البوليس فربما كانت بتلك الصناديق.

شيرين: لقد قرات عن هذا في الجرائد.

أيمن: ولا يمكن ان تكون هذه العناكب قاتلة مثل التي ذكرت في النص القديم.

شيرين: ولم لا؟

أيمن: لأنه لا توجد عناكب قاتلة في مصر الحديثة.

شيرين: أتمنى أن تكون محقًّا ولكن أعتقد أنه يجب عليك أن تخبر البوليس عن كل ذلك.

أيمن: إذا قلت إنني رأيت عنكبوتًا كبيرًا خطرًا فسوف يسخر مني كل واحد.

شيرين: حسنًا ولكن إذا رأيت هذا العنكبوت مرة ثانية من فضلك حاول أن تلتقط له صورة فأنا أريد أن أتعرف عليه.

أيمن: حسنًا سأفعل.

شيرين: شكرًا مع السلامة الآن.

فيما بعد في نفس المساء استلمت الدكتورة شيرين إيميلًا من عالم مصريات ألماني والذي فيه أخبرها عن نص عمره ٢٠٠٠ سنة قام بترجمته ولقد كان عن دواء مصري والشيء الشيق في هذا الدواء أن اسمه الحبة السوداء ولقد قال النص: إن هذا الدواء مفيد للدغات العنكبوت الأسود بالأصفر القاتل ويصنع هذا الدواء من جذور نبات الحبة السوداء.

جلست الدكتورة شيرين وأخذت تفكر في هذا وسألت نفسها ماذا يعني هذا؟ إن العناكب الأسود بالأصفر ذكرت في نص طبي قديم، إذًا فمن المحتمل أن تكون هذه

العناكب حقيقية ولو كانت هذه العناكب حقيقية إذًا القصة عنهم ربما تكون حقيقية، فالعنكبوت الأسود بالأصفر الذي كان بالصورة كان يشبه إلى حد كبير العناكب القاتلة وربما تشبه إلى حد كبير العنكبوت الذي رآه أيمن.

وفي صباح اليوم التالي ذهبت الدكتورة شيرين لرؤية صديقة لها في الجامعة اسمها سوزان ولقد كانت عالمة في الحيوان ونظرت سوزان إلى صورة العنكبوت، ولكن لم تستطع التعرف عليه وقالت لشيرين: لا تقلقي فسوف نجده في أسطوانة البيانات ثم التقطت سوزان قرصًا مرنًا وقالت: في هذا القرص قائمة لكل الفصائل المعروفة للعناكب في العالم، ثم وضعت القرص في جهاز الكمبيوتر.

- كم عدد الفصائل الموجود في هذا القرص؟ سألت الدكتورة شيرين.

- حوالي ٣٠٠٠٠ والأعداد تزداد طوال الوقت.

- تقصدين أنه تكتشف فصائل من حين لآخر؟

- نعم بالطبع فإن البروفيسور جونز يجد ثلاث أو أربع من الفصائل الغير معروفة كل عام خلال رحلاته في جنوب أفريقيا وجنوب أميركا.

- البروفيسور جونز؟

- نعم البروفيسور مالكوم جونز فإنه رئيس قسمي فإنه عالم عناكب مشهور ولقد كتب العديد من الكتب عن العناكب والفصائل العنكبوتية الأخرى.

وبدأت سوزان تكتب وصف العنكبوت، ثم انتظرت فظهرت ست صور على الشاشة: هؤلاء العناكب السوداء بالأصفر هي التي توافق وصفك يا دكتورة شيرين، قالت سوزان.

نظرت الدكتورة وسوزان إلى الصور الست ولكن ولا واحدة منهم كانت تشبه العنكبوت الذي كان في الصورة القديمة المرسلة من مصر.

- أعتقد أنه يجب علينا التحدث مع البروفيسور جونز. قالت سوزان.

لقد رحب البروفيسور جونز بالسيدتين عندما أتوا لرؤيته ولكن في نفس الوقت رن جرس تليفونه في الحجرة الأخرى، وبينما كان البروفيسور جونز يرد على التليفون تجولت سوزان والدكتورة شيرين في المكتب حيث كانوا ينتظرون، فلقد كانت الجدران مغطاة بفصائل العناكب الميتة ومعظمها كان من العناكب والعقارب محفوظة في صناديق من الزجاج

وعلى الأرفف كانت هناك المئات من الكتب عن العناكب، وبينما كانوا يتجولون بالمكتب سمعوا البروفيسور يتحدث بغضب في التليفون في الحجرة الأخرى وعندما رجع إلى المكتب قال: كلام فارغ يجب علي أن ألغي رحلتي القادمة.

- آسفة يا دكتور أن أسمع هذا الخبر. قالت سوزان.

- لقد كنت مستعدًا للذهاب إلى جنوب أميركا غدًا والآن لن أستطيع الذهاب إنه لأمر سيء! قال البروفيسور بغضب.

- هل تريد منا أن نأتي في وقت آخر؟ سألته سوزان.

- لا لا على الإطلاق أنا آسف لأني لم أكن مهذبًا معكم. أليس كذلك؟ ثم ابتسم البروفيسور وقال: آسف فلقد كنت متشوقًا لهذه الرحلة فأنا أدرس العناكب لمدة ٢٥ سنة ولكني لا أزال أتشوق لإيجاد فصائل غير معروفة فلا يوجد لدي أي شيء مشوق في الحقيقة! ثم نظر إلى الدكتورة شيرين وابتسم إليها وقال: يبدوا أنك لا تحبين العناكب. أليس كذلك؟

- وكيف عرفت ذلك؟ سألت الدكتور شيرين باستغراب.

- ضحك البروفيسور وقال: من النظرة التي علّى وجهك.

- نعم أنت محق. اعترفت الدكتورة شيرين، فأنا لست أميل إلى العناكب.

- الكثير من الناس لا يحبونها، قال البروفيسور، ولكن العناكب حيوانات مفيدة لأنها تأكل الحشرات ولو لم يكن هناك عناكب فسوف يكون هناك الكثير من الذباب والناموس والآفات الأخرى، فالعناكب هى أصدقاء للإنسان وعلى أي حال ماذا يمكنني أن أقدمه لكم؟

بعد أن أخبرنا البروفيسور عما وجدته الدكتورة شيرين فخري عرضت عليه الدكتورة صورة ونظر البروفيسور إلى الصورة وقال: رائع لم أر أي شيء مثل هذا من قبل ولا توجد هذه في أسطوانة البيانات؟

- لا لم توجد في اسطوانة البيانات. قالت سوزان.

بدا على البروفيسور الاندهاش وقال: إن هذا الشاب الذي يدعى أيمن المصري هل رأى الصورة أولًا أم هل وصف العنكبوت قبل أن يرى الصورة؟

قالت الدكتورة فخري: لقد وصف أيمن العنكبوت قبل أن يرى الصورة ولقد قال: إنه كبير جدًّا وإنه أسود ذوخطان أصفران على ظهره ثم بعد ذلك جاءتني هذه الصورة، ياله من أمر شيق. إنه أمر شيق جدًّا.

- هل تعتقد أن أيمن قد رأى بالفعل هذا العنكبوت؟ سألت الدكتورة فخري.

- محتمل، ولكن إذا رآه لماذا لم ير أي شخص أي من هذه العناكب من قبل؟

- ربما لأن هذه العناكب تعيش في جزء بعيد من الصحراء فربما أنها تعيش في مكان أكثر رطوبة من الصحراء التي من حولهم ربما تحت الأرض ولم يتركوا هذا المكان؛ لأن الصحراء من حولهم حارة جدًّا وجافة جدًّا ولكن الآن هناك مدينة جديدة بالقرب منهم والناس قد أزعجوا العناكب وفجأة هذه العناكب خرجت إلى العالم مرة ثانية.

- وكيف استطاعت العيش تحت الأرض لمئات السنين؟ أقصد كيف استطاعت أن تبقى على قيد الحياة؟

عرض البروفيسور عليهم صندوقًا به عقرب في الداخل وقال: هذا العنكبوت يسمى الكران تارتاروس عقرب من جنوب أميركا وهذه العقرب كانت تعيش في كهوف على بعد ٨٠٠ متر تحت الأرض.

- ولماذا كانت هذه العناكب تعيش في مكان واحد؟ سألت الدكتورة فخري.

- ربما لأن العناكب الأخرى قد انقرضت عندما تغير المناخ من ٢٠٠٠ سنة مضت وربما أن هذه العناكب هي الناجية الوحيدة، قال البروفيسور.

- إذًا إن هذه العناكب ربما تكون التي رآها أيمن؟

- نعم.

- وهذا يعني أن أيمن وعائلته ربما يكونون في خطر.

- ليس فقط عائلته أو هو وإنما كل واحد في مدينة هداية ربما سيكون في خطر.

- ولكن المستشفيات تستطيع أن تتعامل مع لدغات العناكب أليس كذلك؟

- إن الدكتور يستطيع أن يعطيك حقنة مضاد للسموم والمضاد للسموم يعمل ضد السم، ولكن لا يوجد أي مضاد للسموم لهذه العناكب، أجاب البروفيسور جونز ولم لا؟

- لأن كل حيوان سمي لديه سم مختلف ومضاد ومصل عنكبوت لا يفيد مع سم أي عنكبوت آخر إذًا هذه العناكب من فصائل غير معروفة فلا يوجد لها مضاد لذا العلماء سوف يصنعون مصلًا (مضادًا) جديدًا.

- وكم يستغرق هذا؟

- ربما يستغرق العديد من السنوات لصنع مضاد آمن.

عندما سمعت ذلك الدكتورة شيرين صدمت وقالت: أتمنى أن أيمن يكون مخطئًا، ثم قال البروفيسور: وهناك شيء آخر إذا لم يكن أيمن مخطئًا، أقصد إن كان قد رأى بالفعل هذا العنكبوت لن تكون حماية فقط في خطر.

- ماذا قصد؟

- لقد قال أيمن أن العنكبوت كبير جدًا أليس كذلك؟ حسنًا عادة تكون الأنثى أكبر من الذكر وأعتقد أن هذا العنكبوت أنثى.

- وهل هذا أمر سيء؟

- نعم بالفعل إنه لأمر سيء فمعظم العناكب تضع الكثير من البيض وبعض الفصائل تضع أكثر من ٢٠٠٠ بيضة في الوقت الواحد وهذا البيض يفقس بسرعة أربع أسابيع على أقصى حد وبعض العناكب تفقس بعد أسبوع واحد وتخيلي ماذا سوف يحدث لو ١٠٠٠ أنثى عنكبوت وضعت ١٠٠٠ بيضة، ففي غضون أسابيع قليلة سوف يكون هناك الملايين من هذه، سوف ينتشرون إلى المدن الأخرى حيث آلاف من الناس التي يمكن أن تموت منهم ثم ماذا بعد ذلك؟ مصر هى نقطة الالتقاء بين القارات الثلاث، فما الذي سوف يوقف هذه العناكب من الانتشار فى قارة أفريقيا وأسيا وأوروبا؟

- ولكن يا بروفيسور لسنا متأكدين حتى الآن إن كانت هذه العناكب حقيقية أم لا.

- أعتقد أنها كذلك ولقد قررت للتو المكان الذي سوف أقضي فيه أجازتي فلو وجدت بالفعل فصائل غير معروفة في هذه المدينة فأنا أريد أن أجدها.

وفي اليوم التالي كان البروفيسور على متن الطائرة المتجهة إلى القاهرة وقبل أن يغادر كتب بريدًا إليكترونيًا إلى أيمن بسرعة ونسي أن يرسله إليه.

في جزء من مدينة أيمن في مكان مظلم وسري كانت العنكبوت الأنثى تحرس آلاف البيضات وبداخل كل بيضة كان هناك عنكبوت صغير يتحرك ولقد كانوا جاهزين.

وأيمن كان جالسًا على الكمبيوتر يدردش مع بعض اصدقائه في الإنترنت، ثم بعد ذلك لاحظ إميلًا جديدًا قد نسي أن يقرؤه في الليلة الماضية ولقد كان من الدكتورة فخري في إكسفورد: أيمن لقد ناقشت موضوع العنكبوت الأسود بالأصفر مع البروفيسور جونز الذي هو رئيس قسم الحيوان في جامعة اكسفورد ويعتبر البروفيسور واحدًا من أشهر علماء العناكب في العالم ولقد كان مهتمًا جدًّا بصورة العنكبوت الأسود بالأصفر والنص القديم، ولقد كان مهتمًا أيضًا بالعنكبوت الذي رأيته ويعتقد أن هذا العنكبوت من الفصائل الغير معروفة وهو الآن في طريقه إلى مصر، وسوف يكون في حمدايه في صباح الغد، ويعتقد البروفيسور أن هذا العنكبوت خطير جدًّا فمن فضلك كن حريصًا إذا رأيته مرة ثانية.

شيرين فخري

قفز أيمن من مقعده وقال: صباح غد! يعني الآن! إن البروفيسور ربما يصل إلى هنا في أي وقت، ثم قام أيمن بطبع هذا الإيميل ونزل إلى الأسفل به ولقد كان عمه وليد قد وصل للتو ولقد رحبت به الأسرة، وقال العم وليد لأيمن: أهلًا أيمن كيف حالك؟

وعندما جلس العم وليد ليشرب القهوة أخبره أيمن بكل شيء عن العنكبوت ولقد سمعت عائلته عن حكاية العنكبوت منه من قبل وفي رأيهم أن نصف هذه القصة ربما تكون حقيقية والنصف الآخر ربما من خيال أيمن.

إن الدكتورة شيرين تعتقد أنه يجب على أن أخبر البوليس عن كل شيء. قال أيمن عندما انتهى من سرد قصته.

ضحكت أخت أيمن عندما سمعت هذا ولكن عمه بدت عليه نظرة جدية، ثم قال: لا أعتقد أنه يجب عليك إخبار البوليس فلا داعي لإزعاج الناس بدون داع أليس كذلك؟

– لا بالفعل ولكن.. قال أيمن.

– ثم أكمل عمه: ثم أن هناك شيء آخر يجب أن تفكر فيه وهو أن القصص عن العناكب الخطيرة ليست جيدة للتجارة فهنا يوجد العديد من الفنادق والمطاعم ومصانع الأطعمة وأشياء اخرى من التجارة في المدينة ولو صدق الناس هذه القصص فلن يقيموا في الفنادق ولن يأكلوا في المطاعم ولن يشتروا منتجات الأطعمة فسوف تخسر الكثير من الأموال. هل فكرت في ذلك يا أيمن؟

- رد أيمن: لا لم أفكر في ذلك.

- لو كنت فقط متاكدًا أن هذه العناكب خطيرة هنا يجب عليك أن تخبر البوليس، ولكن يجب أن تكون متأكدًا ١٠٠ ٪.

- حسنًا لست متأكدًا تمامًا.

- لوكنت لست متأكدًا لا أعتقد أن ترعب الناس وأعتقد أنه يجب عليك أن تهدأ ولا تخبر أي أحد خارج العائلة.

واستوعب أيمن وجهة نظر عمه وقال: ربما عمي وليد يكون محقًا، ولكن لقد فات الأوان؛ لأن هناك عالم عالمي مشهور قد وصل إلى مصر من قبل، ياإلهي، تنهد أيمن: ماذا أفعل؟

- حسنًا أيمن ليست هناك أي مشكلة يا أيمن. قالت والدة أيمن.

- إنك لا تفهمين شيئًا. قال أيمن: أنا آسف يجب عليكم قراءة هذا الإيميل، ثم أعطى الإيميل إلى عائلته وعمه.

عندما قرأوه صدموا لدرجة أنه لا أحد تفهوه بكلمة، ثم بعد ذلك قال والده: أيمن ماهذا الذي فعلت؟

وفي هذه اللحظة وصل البروفيسور إلى المنزل وقال: صباح الخير أنا البروفيسور مالكوم جونز، قال ذلك عندما انفتح باب المنزل ثم بعد ذلك رأى أيمن وقال: لابد أنك أيمن، وسلم على أيمن وقال: هذا أمر مثير أليس كذلك؟

رحبت عائلة حسن بزائرهم وقدموا له الطعام والشراب واطمئنوا على رحلته إلى هنا من انجلترا وهنا لم يعرف أيمن ماذا يفعل أو يقول ربما أنه مخطئ في حكاية هذا العنكبوت ولكن لقد وصل الرجل الشهير على أي حال من انجلترا لكي يراه وربما سوف تنشر حكاية العنكبوت الآن في الجرائد وحينئذ سوف تخسر التجارة الكثير من الأموال وكل واحد في المدينة سوف يصبح خائفًا وتمنى أيمن أنه لم يبدأ هذا الأمر.

ولكن النقاط الضعيفة في حياة الإنسان يمكن أحيانًا أن تكون نقطة تحول أيضًا وهذا ما حدث مع أيمن، فبينما كانت عائلة أيمن تتحدث مع البروفيسور توقفت شاحنتين خارج قسم البوليس الذي بجوار منزلهم وكان هناك عشرة ضباط مسلحين في كل شاحنة ولقد نظر

كل من في الحجرة من النافذة فرأوا محمد، أخو أيمن الأصغر، يجري خارجًا من قسم البوليس ثم قال والد أيمن: إن ابني لديه صديق في قسم الشرط وسوف أساله عما يجري.

ونادى الأستاذ حسن على ابنه وسأله: ماذا يحدث؟

ورد الابن قائلًا: سوف يقومون بحراسة موقعًا أثريًا في الصحراء.

- ولكن لماذا هناك الكثير من الضباط؟

- لأنهم يقولون أن الموقع خطير ويريدوا أن يمنعوا أي أحد يقترب منه.

- لماذا؟

- لأن كل علماء الآثار في هذا الموقع وجدوا ميتين هذا الصباح.

- ميتين؟ ماذا قتلهم؟

- العناكب.

- العناكب! إن الناس لا يموتون من لدغات العناكب كيف...؟ وفجأة توقف والد أيمن في منتصف هذه الجملة، وساد صمت في الحجرة لثوان قليلة؛ لأن كل واحد قد بدأ يفهم ماذا يعني هذا، ثم تحدث الكل في وقت واحد ثم قام عم أيمن بعمل مكالمة تليفونية عاجلة إلى رئيس الشرطة العقيد ميخائيل وهو صديق له وتوقف حينئذ كل واحد عن الكلام واستمعوا إلى ما يقوله العم وليد: إذا هذا الأمر حقيقي؟ وعلماء الآثار ماتوا من لدغات هذه العناكب؟ سيادة العقيد ميخائيل هناك شيء آخر، إن من المحتمل أن الخطر قد انتشر الآن في المدينة، نعم لدي سبب مقنع لذلك لك لتصدقني، إن الشخص الأفضل الذي يستطيع أن يشرح هذا هوابن أخي أيمن حسن، سوف أجعلك تكلمه الآن، ثم ناول السماعة إلى أيمن ولقد كان أيمن لا يزال يلملم شتات نفسه من هذا الموقف المتحول فمن دقيقة مرت شعر أنه أحق والآن كل واحد يريد أن يستمع إليه وأخذ السماعة ولم يعرف من أين يبدأ، ولكن لأن العقيد ميخائيل كان يستمع اليه بدأ أيمن يتحدث بوضوح أكثر وأخبر العقيد كل شيء عن العناكب ونوه إلى أنه قد رأى العنكبوت بعد أن أحضر البوليس الصناديق من الموقع، ثم أخبره بعد ذلك أن هناك خبير في العناكب من جامعة إكسفورد معه الآن، طلب العقيد ميخائيل من أيمن والبروفيسور أن يحضرا إلى قسم الشرطة وعندما وصلوا قادهم ضابط إلى مكتب العقيد وفي الطريق رأوا رجالًا يحملون معدات من الشاحنات (ملابس واقية) قال

الضابط: لقد حصلنا عليها من قسم المطافئ فهم يستخدمونها عندما يكافحون النيران الكيميائية وسوف نرتديها لكي نقي أنفسنا من العناكب.

رحب بهم العقيد ميخائيل ولقد كانت شخصيته ودودة وهادئ، ولكن عينيه كانت سريعة وذكية وبينما كان يتكلم كانت عيناه تتفحص الرجلين الجالسين أمامه فبعد ثلاثين سنة في البوليس تعلم أن يحكم على إن كان هذا الشخص ذو فائدة أم لا بسرعة، وبعد عدة أسئلة قال العقيد ميخائيل إلى البروفيسور: إن رجالي سوف يكونون في خطر من هذه العناكب حتى نجد المصل المناسب، ولن نستطيع أن نفعل ذلك حتى نتعرف على هذه العناكب، ويمكنني أن أحضر خبيرًا من القاهرة ولكن سوف يستغرق هذا وقتًا، فهل يمكنك أن تجد لنا أحد هذه العناكب وتتفحصه؟

- لهذا السبب قدمت إلى مصر. قال البروفيسور: فإن كان من النوع المعروف فسوف أتعرف إليه.

- لدينا ملابس واقية فهل تحتاج أي معدات أخرى؟ سأله العقيد ميخائيل.

- رد البروفيسور: لقد أحضرت معي معداتي.

استدار العقيد إلى أيمن وقال: نريد أن نعرف إن كانت هذه العناكب قد وصلت إلى المدينة، وسوف تكون قادرًا أن تخبرنا بذلك يا أيمن وإذا وجد البروفيسور واحدًا من هذه العناكب يجب أن تخبرنا إن كانت هي نفس العناكب التي رأيتها.

- حسنًا. قال أيمن.

- حسنًا من فضلكم أحضر معداتك يا بروفيسور، فسوف تغادرا كليكما في غضون ثلاثين دقيقة مع الكابتن أحمد الشريف وشكرا لك يا بروفيسور وأنت يا أيمن.

وبينما كانوا يستعدون للخروج قال العقيد: بروفيسور مالكوم إذا كانت هذه العناكب من فصائل غير معروفة فهل يوجد لها مصل يمكن أن نستخدمه؟

أجاب البروفيسور: إذا كانت هذه العناكب من فصائل غير معروفة فلن يكون لها مصل لأن الأمصال الأخرى لن تكون محتوية على المضادات الصحيحة لذا فهي لن تجدي.

- فهمت، قال العقيد: دعنا نأمل أن تكون من فصائل معروفة.

أوصل أحد الضباط البروفيسور إلى الفندق ورجع أيمن إلى بيته حيث صعد السلالم لأعلى؛ لكي يحضر بعض الأشياء القليلة ثم رأى إيميلًا آخر على شاشته ينتظره من الدكتورة

شيرين فخري ولم يكن لديه وقت لكي يقرأه لذلك بسرعة طبعه وأخذ النسخة معه ليقرأها فيما بعد.

وبعد دقائق قليلة كان في سيارة مع البروفيسور جونز والكابتن أحمد وضابط آخر ولقد كانت الشاحنتان التي تحويان العشرين ضابطًا خلفهم وبينما كانت السيارات تغادر المدينة استدار الكابتن إلى البروفيسور وقال: لدينا ساعة قبل أن نصل إلى الموقع. أخبرني عن كل شيء عن العناكب. إن كان عليك أن تحارب عدوًا يجب عليك أن تفهم أولًا عدوك ولقد كان أحمد يعرف ذلك؛ لذلك كان يستمع إلى البروفسور جيدًا عندما كان يتكلم عن العناكب.

وبينما كانت السيارة وعربتا اللوري تقترب من الموقع الأثري في الصحراء سأل الكابتن: كيف يصنع المضاد الحيوي؟ ولماذا يستغرق وقتًا طويل؟ وشرح ذلك البروفسور ذلك قائلًا: أنت تعرف ماذا يحدث عندما تصاب بالبرد: أولًا فيروس البرد يدخل في الدم ثم بعد ذلك يقوم جسمك بعمل مضادات للسموم لمحاربة الفيروس فالعلماء يستخدمون نفس الطريقة لعمل المضاد الحيوي. أولًا يضعون كمية صغيرة من السم في جسم الحيوان وعادة تكون خيول أو أغنام ثم بعد ذلك تقوم الحيوانات بعمل مضادات لمحاربة السم حينئذ يقوم العلماء باستخراج المضاد من الحيوانات، ثم استمر البروفيسور قائلًا: ومع ذلك لو كانت هذه العناكب من فصائل غير معروفة فيجب على العلماء أن يطوروا مضادًا جديدًا وذلك سوف تكون طريقة صعبة وبطيئة ومليئة بالمشاكل، فأولًا يجب أن نحصل على السم من العناكب، ثم نرسل هذا السم إلى معمل للسموم حيث يستطيع العلماء بانتاج مضاد للسموم، ولكن يأتي الجزء الأصعب استخراج المضاد للسموم من الدم وجعله آمنًا للاستخدام وسوف يستغرق ذلك وقتًا طويلًا قبل أن ينتج مضاد للسموم بكميات كبيرة.

– وهل تعتقد أن هذه العناكب من فصائل غير معروفة؟

– يبدو ذلك.

– إذا لن تكون هناك أي حماية ضدهم لسنوات.

وفي هذه اللحظة تذكر أيمن الإيميل الذي وصله قبل أن يغادر المنزل. قرأه ثم عرضه على البروفيسور والكابتن.

أيمن أتوقع أن البروفيسور جونز قد وصل الآن، فهل أخبرك عن النص الطبي القديم؟ فالنص يصف دواء للدغات العناكب السوداء بالأصفر القاتلة ولقد صنع القدماء المصريون الدواء من جذور نبات يسمي الحبة السوداء، فلو سمحت يا أيمن تخبر البروفيسور

عن المعلومات التي وصلت عن نبات الحبة السوداء، فإنها في الغالب منقرضة وتنمو فقط في سيناء وتقوم باحثة قسم النباتات في جامعة القاهرة بدراسة ذلك النبات واسمها وفاء سلطان.

شيرين فخري

- ما رأيك في هذا يا برفسور؟

- أنا لا أعرف الكثير عن هذا النبات، قال البروفسور جونز: ولكن من يجب أن تسأله هو عالمة النبات التي تدعى وفاء سلطان فهي الشخص الوحيد الذي يسأل عن هذا.

وعلى الفور اتصل الكابتن بالكولونيل على جهاز اللاسلكي وبعد إخبار الكولونيل عن النبات قال الكابتن: هل تعتقد أنه يجب علينا أن نتحرى عن ذلك سيدي؟

- ما رأيك يا كابتن، سأل الكولونيل.

- حسنًا سيدي ليس لدينا أي شيء أفضل أن نفعله حتى الآن. أليس كذلك سيدي؟

- لا ليس لدينا وسوف أتصل بالجامعة وأجد هذه التي تسمى وفاء سلطان ولو كانت العناكب من فصائل غير معروفة فسوف نرسلها إلى سيناء؛ لكي تجلب لنا بعضًا من نبات الحبة السوداء.

واقتربت المركبات الثلاث من الموقع ووصلوا إلى سور كبير وبوابة، ولقد وقفا ضابطان أمام البوابة عندما رأى الكابتن وأدوا له التحية، ولقد وضع السور والبوابة بعد أن تسلل اللصوص إلى المقبرة من أسبوعين مضت، ولقد كان هناك بعض من المباني الخشبية التي كان يستخدمها علماء الآثار.

وتوقفت المركبات بالقرب من مبان خشبية وبدأ الرجال يفرغون حمولتهم: ملابس واقية وأسطوانات للمبيد الحشري وأسلاك شائكة وكشافات كبيرة وأسلحة ومعدات وأدوات بناء.

وبعد نصف ساعة كان أيمن والبروفيسور والكابتن والضباط الشباب على أهبة الاستعداد للوصول إلى المقبرة، ولقد كان كل رجل لابسًا بدلة سوداء ولكل بدلة نافذة شفافة سميكة فوق الوجه ولكن لم توجد هناك فتحات لدخول العناكب وكان الرجال يتنفسون من خلال فلتر يشبه قناع الغاز ولقد كانوا يشبهون أشياء من كواكب أخرى.

ولقد كان الضباط يحملون أسطوانات مبيدات رش حشرية كبيرة وكان البروفيسور جونز يحمل آلة تشبه البندقية موصلة بمحرك بالبنزين في النهاية وكان أيمن يحمل معدات للبروفيسور.

ولقد نزل الرجال إلى المقبرة المظلمة وأضاءوا كشافاتهم التي كانوا يرتدونها فوق رؤوسهم، ولقد تتبعوا نفس طريق اللصوص من قبل وعندما وصلوا إلى ممر واسع رأى البروفيسور جونز نسيج العناكب الضخمة التي رأها اللصوص من قبل وقال: هذا رائع، قال البروفيسور ببهجة، وأراد الكابتن أن يبدأ في مهمته وقال: برفيسور ما هو أفضل مكان لك نعد فيه معداتنا.

- هناك. أعتقد ذلك، وأشار إلى مكان حيث توجد فية الكثير من نسيج العناكب المعلقة من السقف.

وأمر الكابتن ثلاثة من الضباط الصغار لكي يحرسوا البروفيسور بينما هو يجمع معداته. أولًا أخرج البرفيسور ملاءة بيضاء من حقيبته ثم قام بفردها على الأرض، ثم أخرج بعض الأنابيب المعدنية الرفيعة، ثم قام بإلصاقها مع بعضها لعمل أربعة أرجل وإطار ثم ركب الملاءة فوق الإطار وأصبحت الملاءة الأن تبعد عن الأرض بضع سنتيمترات وجاهزة لاصطياد أي شيء يسقط عليها.

بعد ذلك أدار البروفيسور المحرك وبدأت الضوضاء من المحرك تعلو في الممر ثم هتف البروفيسور من وراء قناعه: حسنًا، ثم أكمل قائلًا: ارجعوا للوراء! فسوف أدير محرك الدخان، وضغط زر فخرج دخان ساخن سام وبدأت سحابة من الدخان الساخن تصعد إلى السقف.

وبعد لحظات بدأت تسقط الأشياء الميتة أولًا على الملاءة البيضاء ثم بعد ذلك أطفأ البروفيسور المحرك، ثم سمعوا أشياء تسقط مثل قطرات المطر؛ لأنه كان يسقط الكثير من الأشياء الميتة على الملاءة وبعد توقف الصوت، قال البروفيسور: حسنا. هيا نرى ما لدينا.

فلقد كان فوق الملاءة حوالي عشرون من الحشرات والعناكب الميتة، ثم قال البروفيسور ببهجة: انظروا، ثم التقط ثلاثة من العناكب الكبيرة فلقد كان حجمهم نصف حجم العنكبوت الذي رآه أيمن في المدينة ولكنهم كان لونهم أسود ذو خطين أصفرين على ظهورهم.

- إنهم نفس العناكب. قال أيمن.

- هل أنت متاكد. سأل الكابتن.

- نعم. إنهم نفس العناكب التي رأيتها في المدينة ولكن الذي رأيته كان حجمه أكبر، وأخرج البروفيسور عدسته المكبرة من حقيبته وأخذ يتفحص العناكب ثم قال: إنهم ذكور بالغة، ثم وضعهم في صندوق في حقيبته.

حينئذ سمع الحاضرون صوت شيء ميت يسقط على الملاءة والصوت كان أكبر وأثقل من العناكب الآخرين فلقد كان عنكبوتًا أسود ذا خطين أصفرين ولكنه كان أكبر حجمًا مرتين عن السابقين ولم يكن ميتًا ولقد قفزت على أحد الضباط الشباب وغطى جسمها قناع الرجل. وحاولت بأرجلها أن تتمسك بوجه الرجل وحاولت أن تقتل الرجل بأنيابها. وقام الضابط الثاني باستخدام المبيد الحشري وغطت سحب المبيد الحشري المميت العنكبوت ثم سقط العنكبوت على الأرض.

وتفحص البروفيسور العنكبوت وقال: إنها أنثى، وفجأة تحركت العنكبوت، فلقد كانت لا تزال حية لم تمت ثم رجعت نحو ركن مظلم واختفت وكان الضابط أثناء ذلك يسعل بشدة وجرى نحو الكابتن؛ لأنه سقط على الأرض.

وقال الكابتن: إن أنياب العنكبوت اخترقت قناعه! يجب علينا مغادرة هذا المكان بسرعة، ثم أمر الكابتن أحد الضباط يذهب أحدهم من الأمام والآخر من الخلف وقام هو وأيمن بحمل الرجل المصاب وحمل البروفيسور الحقيبة والثلاث عناكب الميتة.

وعندما خرجوا إلى الهواء الطلق قاموا بخلع بدلة الضابط، ولكن لم يكن هناك أي دماء على وجهه، سوف يكون على ما يرام. قال البروفيسور: وأعتقد أنه قد استنشق بعضًا من المبيد الحشري.

- هل تستطيع أن تتعرف على العناكب الآن؟ سأل الكابتن.

- أستطيع القول فقط أن هذه العناكب من فصائل غير معروفة. أجاب البروفيسور.

- هل أنت متأكد. سأل الكابتن.

- قبل أن غادرت أوكسفورد بحثت في قاعدة البيانات عن كل العناكب المعروفة ونظرت إلى كل العناكب السوداء بالأصفر المعروفة بقاعدة البيانات ولم أجد أي منهم يشبه هذا العنكبوت. رد البروفيسور.

ثم ساد الهدوء بينما كان يفكر الكابتن ثم قال: بروفيسور، ما هي أفضل طريقة نقضي بها على هذه العناكب؟

فنظر إليه البروفيسور كما لو أن أحدًا قد أطلق عليه الرصاص وفتح فمه، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة وأخيرًا قال: لن تستطيع أن تقضي عليهم!

- ولما لا؟

- كابتن، إن هذه العناكب من فصائل جديدة تعتبر اكتشاف علمي هام.

- برفيسور! أفهم اهتمامك العلمي، ولكن هناك عشرة أشخاص ماتوا من قبل ووظيفتي هي منع الكثير من الموت.

ولم ينطق البروفيسور بكلمة للحظة ثم قال: أنت محق ويجب أن تفعل الهام والضروري ولكن في رأي أن هذا مستحيل.

- لماذا؟

- لأن هذه العناكب تعيش تحت الأرض ونحن لا نعرف موقع كل الحجرات والممرات التي تحت الأرض ونحن لا نعرف حتى كم مساحة المنطقة ويمكنك أن تقتل بعض من هذه العناكب ولكن البعض منهم سوف يبقى على قيد الحياة لذلك الخطة لن تنجح ولكنك سوف تدمر موقع أثري هام.

وفكر الكابتن ثم قال: سوف أنقل رأيك إلى الكولونيل فهذا الأمر يجب أن يناقش على أعلى المستويات، ثم أعطى الكابتن أوامره إلى الضباط وقال: لا تسمحوا لأي شخص أن يقترب من الموقع ولا تسمحوا لأي شخص أن يغادر الموقع بدون تفتيش دقيق لا سيارة ولا صندوق ولا شيء، ثم دخل إلى إحدى الأكواخ الخشبية وتحدث إلى الكولونيل من خلال اللاسلكي وعندما خرج قال للبروفيسور وأيمن: إن الكولونيل يريدني أن أرجع إلى المدينة وأنت أيضًا ويجب أن نحضر معنا العناكب الميتة ونرسل أكياس سمومهم إلى معمل السموم، وهناك سوف يبدأ العلماء في تصنيع وتطوير مضاد للسموم.

– وماذا عن نبات الحبة السوداء؟ سأل أيمن.

– إن الكولونيل قد نظم ذلك الأمر فعالمة النبات في جامعة القاهرة سوف تغادر إلى سيناء بالطائرة الهليوكوبتر، وهناك سوف يأخذها البوليس إلى الجبال لكي تحصل على النبات وكذلك يجب علينا أن نجد العنكبوت الذي رآه أيمن في مدينة حماية.

– دعنا نأمل أن تكون العنكبوت الأنثى لم تنجب أي صغار حتى الآن. قال البروفيسور

بينما كانوا يقودون إلى المدينة كانت الشمس تغرب في الصحراء وعندما أشرفوا على المدينة كان هناك سياج عبرالطريق ودورية من البوليس أوقفتهم وواحد منهم شرح ذلك لهم وقال: لا يمكن لأي سيارة أن تعبر أو تغادر المدينة فمن فضلكم اتبعوني مشيًا من هذا الطريق ولقد كانت هناك سيارة أخرى في انتظارهم على الجانب الآخر.

وعندما وصلوا إلى قسم البوليس الذي بجوار بيت أيمن كانت الشوارع خالية وأوضح ذلك الكولونيل لهم قائلًا: لقد غادر كل واحد هذا الجزء من المدينة وغدًا سوف نقوم بالبحث ونجد العنكبوت الذي رأيته يا أيمن ولقد وصلت ضباط إضافية وأنت يا كابتن سوف تقود عملية البحث وأنت يا أيمن أريدك أن ترشدنا عن المكان الذي رأيت فيه العنكبوت وأنت يا بروفيسور أريد أن أشكرك على عملك اليوم ونرحب بك بالانضمام إلينا غدًا ولقد أمرت بجلب بدل واقية قوية وسوف تكون هنا غدًا.

– سأكون سعيدا أن أعمل ما في استطاعتي. قال البروفيسور.

– وعند بزوغ أول خيط في صباح اليوم التالي استدعى الكولونيل البروفيسور جونز وأيمن إلى مكتبه ولقد هناك الكابتن أحمد من قبل وبعد تحية أيمن والبروفيسور سأل الكولونيل قائلًا: بروفيسور، في رأيك، هل نحن نبحث عن عنكبوت واحد أو أكثر من عنكبوت؟

أجاب البروفيسور قائلًا: هناك احتمال أن هناك عنكبوتًا واحدًا أنثى في المدينة؛ لأن الإناث حجمها كبير وكذلك لم يبلغ أي أحد عن رؤية عنكبوت كبير إلا أيمن وهناك احتمال ضعيف أن هناك عناكب صغيرة، ولكن لا أعتقد ذلك لأنه لا يوجد من لدغ هنا، واستمر البروفيسور قائلًا: وعلي أي حال إن العنكبوت الأنثى أكثر خطورة بألف مرة عن الذكور.

– هل تقصد أن لدغتها أقوى؟

- ليس ذلك فحسب بل لو أن هنا عناكب صغيرة فإنها سوف تموت في الحال؛ لأن العناكب لا تعيش أكثر من أسابيع قليلة، ولكن من المحتمل أن يكون للعنكبوت الأنثى عش وربما قد فقست ١٠٠٠ أو ٢٠٠٠ من الصغار وربما قد أنجبتهم بالفعل من قبل وربما ينتشرون الآن في المدينة أثناء كلامنا.

- إذًا إن المهمة العاجلة الآن هي أن نجد عش العنكبوت الأنثى. قال الكولونيل: وأين تحب العنكبوت أن تبني عشها؟

- إن العش سوف يكون في مكان ما حيث الظلام والهدوء والرطوبة.

- أعطني مثالًا. سأل الكولونيل.

- في مبنى خال أو في حجرة تحت الأرض. قال الكابتن.

- في بيت خال! قال أيمن: إنه هناك حيث رأيت العنكبوت يذهب! لقد كان في منزلي ثم قفز إلى الحديقة ثم قفز نحو المنزل المهجور الذي بجوارنا.

- وفي خلال دقائق امتلأ الشارع الخالى بضباط الشرطة لابسين البدل الواقية وكل ضابط يحمل طلمبة مبيدات حشرية، ولقد انتشر الضباط تحت إمرة الكابتن وأحاطوا المنطقة التي بها منزل أيمن والبيت المهجور وكان في انتظارهم سيارتان للإسعاف مرسلتان من المستشفى القريبة.

وأثناء ذلك استراحت العنكبوت الأنثى في مكان مظلم وهادئ ورطب واسترخت لأنها قد انهت وظيفتها وهي الـ ٢٠٠٠ بيضة قد فقست، ثم في الظلام شعرت بشيء فالعناكب تستطيع أن تشعر بخطوات الأقدام قبل أن تسمعها أنت أو أنا ثم كان هناك الكثير من الأقدام ثم دخل الضوء في الحجرة ولقد كان الضوء يأتي من باب كان يفتح ببطء.

وبمجرد سقوط الضوء على أرضية الحجرة تحركت أرضية الحجرة مثل الأمواج في البحر وامتلأت الحجرة بالكثير من الضوء ولم تكن الأرضية المتحركة ماء ولكنها كانت الـ ٢٠٠٠ عنكبوت الأسود بالأصفر الصغيرة، ولقد توقف الرجال على مدخل الباب للحظات ثم امتلأت الحجرة بسحاب سام من المبيد الحشري الكثيف.

وفجأة أصبح البحر الهادئ إلى بحر هائج فلقد كانت العناكب تقفز على الجدران وعلى الرجال وبعض منهم قد مات في الحجرة والآخرين هربت من خلال الباب ولقد كانت تقفز

على الناس فى الصالة في الخارج كانت تهاجم الرجال محاولة إيجاد أي وسيلة لاختراق بدل الضباط الواقية وغطت العناكب أقنعة الرجال لذلك لم يستطع الرجال الرؤية إلا بصعوبة، ثم بدأت العنكبوت الأنثى في الهجوم فبدأت بالقفز على وجه أحد الرجال الواقفين على مدخل الباب ولكن لم تستطيع اختراق أقنعتهم الواقية فرفع الكابتن يده لكي يوقع العنكبوت على الأرض فوقعت العنكبوت على قدم ضابط آخر في الصالة.

- أمسكوا هذه العنكبوت. صرخ الكابتن، وبسرعة رفع الضباط أسطوانات المبيد الحشري ثم ألقاها بعنف على العنكبوت فقفزت العنكبوت إلى أحد أركان الحجرة ولكن لم تقع الأسطوانة إلا على أحد أقدامها الثمانية ولم تستطع العنكبوت التحرك ولكن في الحال وقعت على رأس الضابط مجموعة من العناكب الصغيرة وغطت قناعه الواقي لذلك بدأ مثل الأعمى وصرخ قائلًا: لا أستطيع الرؤية، وصرخ الكابتن قائلًا: لا تتحرك! فنحن قادمون لمساعدتك، ثم على الفور جرى الضابط وخلفه أيمن أيضًا، ولكن العنكبوت استخدمت أنيابها ليس ضد عدوها ولكن ضد نفسها فلقد استخدمت أنيابها الحادة لقطع قدمها ثم تركت قدمها عديمة الفائدة وقفزت بأقدامها السبعة على وجه أيمن فأفقدت الدهشة توازن أيمن فسقط على الأرض، ثم قفزت نحوه العناكب الصغيرة ووقعت عليه العناكب الميتة، ثم سحبه الكابتن وقال له: أيمن هل أنت بخير؟

- نعم. أعتقد ذلك.

- ولكن بدلتك ممزقة! اخرجوا من هنا! اخرجوا من هنا، ثم سحب الكابتن أيمن إلى السلالم ولكن كان الوقت قد تأخر، فلقد كانت العناكب تلدغ أيمن بشدة ثم دخلت العناكب إلى بدلته الممزقة وأخذت تلدغه مرات ومرات قبل أن تموت.

ثم حمل ضابطان أيمن إلى إحدى عربات الإسعاف التى كانت منتظرة والتى أخذته إلى إحدى المستشفيات القريبة.

وفي ذلك الوقت كان المبيد الحشرى قد قضى على كل العناكب التى في المنزل ثم أمر الكابتن رجاله أن يرشوا جميع أركان المنزل والمنطقة المحيطة أيضًا فكان من المستحيل أن يعيش أي شيء في مثل هذا الميد المرشوش بغزارة ولا حتى العنكبوت الأنثى الكبيرة ولقد أمر الكابتن رجاله أن يبحثوا عن جثة العنكبوت الأنثى ثم ذهب إلى المستشفى وتحدث إلى

الأطباء عن حالة أيمن، واتصل الكولونيل بالكابتن في المستشفى وقال له: هل تأكدت من موت العنكبوت الأنثى؟

- إن رجالي يبحثون عن جثتها الآن والبروفيسور يساعدهم. رد الكابتن قائلًا، ثم سأل الكولونيل: وكيف حالة أيمن الآن؟

- رد الكابتن: إن أيمن ليس لديه إلا ساعات قليلة لكي يحيا إذا لم تصل إليه نبات الحبة السوداء في الوقت المناسب. ما الموقف هناك في سيناء يا سيدي؟

- لقد وجودوا النبات والسيارات الآن في طريقها إلى العودة فسوف تحضر الطائرة الهليكوبتر وفاء سلطان والنبات وسوف تكون هنا في غضون ساعتين.

- هل من المحتمل أن تساعد تلك النباتات أيمن.

- لقد قالت وفاء سلطات إن بعض الفصائل من نبات الحبة السوداء كان مفيدًا في بعض لدغات العناكب ولكن هذا العنكبوت كبير فهى تقول إنه هناك احتمال ضعيف أن يفيد هذا النبات لهذه العناكب، ولكن من المحتمل أن يفيد فقط للدغات العناكب الذكور الصغيرة فهي ربما قد تنقذ أيمن.

- إذًا يجب أن يكون النبات هنا بأسرع وقت.

- فقال الكولونيل: هي تقول إن الحبة السوداء لن تفيد في لدغات الأنثى لأن لدغات الأنثى قوية لذلك يجب أن نتأكد أن العنكبوت الأنثى قد ماتت.

- حاضر سيدي سوف أخبر رجالي أن يجدوها بأسرع وقت.

وبينما كان الضابطان يتحدثوا جاءت للكولونيل مكالمة من سيناء والضابط الذي استقبل المكالمة اتجه إلى حجرة الكولونيل وقال له: هناك مكالمة من سيناء فهناك عاصفة سيئة في هذه المنطقة لذلك لن تستطيع الطائرة الهليوكوبتر الوصول إلى السيارات لذلك سيكون لزاما عليهم أن يقودوا سياراتهم عبر العاصفة وسوف يستغرق ذلك وقتا كبيرًا، وبدا على الكولونيل الجدية وخطورة الموقف وقال: أيمن ليس لديه وقت لكى يعيش.

كان السحاب الأسود الذي يغطى الجبال الإشارة الأولى لسوء الطقس فعندما بدات العربات فى رحلة العودة نازلة من الجبال بدات العاصفة وكانت وفاء سلطان تستقل السيارة الأولى مع عالم نبات آخر اسمه فاروق وضابط شرطة يدعى كابتن أسامة، وكان في العربة

الثانية التي تليهم ضابطان آخران وكانت سيارة جيب خفيفة وكانت السيارة الثالثة تشبه السيارة الأولى فلقد كانت تحوي على ضابطين آخرين والنبات الذي جمعه الفريق.

لقد كان الطريق إلى أسفل ضيقًا لذا كانت السيارات تتقدم ببطء وإذا حاول السائقون القيادة بسرعة فسوف تنزلق السيارات وتنقلب في الهوة السحيقة.

بدأ البرق يعصف في السماء في منتصف الطريق ثم بعد لحظات بدأ الرعد وعندما بدأ المطر كان غزيرًا وأصبح ذلك الطريق الوعر الخطير كالنهر لذلك أضاء كابتن أسامة كشافات السيارة وكذلك فعلت السيارات الأخرى.

- إن هذا لأمر سيء. قال كابتن أسامة: ففي مثل هذا الطقس السيء سوف يختفي الطريق.

- يجب علينا أن نواصل. قالت وفاء: فلدينا حياة إنسان في أيدينا.

- إن الطريق ليس مشكلتنا فقط. قال الكابتن: إن المطر سوف يتساقط على الجبال ويفيض على الوديان بالأسفل فلو لم نصل إلى الوديان قبل أن يفيضوا فلن نستطيع عبورهم.

وبعد حوالي ثلاثين دقيقة كانوا على السهل وتركوا الجبال وأصبح المطر ينهمر بغزارة، وقال الكابتن: يجب علينا عبور الوديان الثلاثة فإنهم عادة ما يكونوا جافين، ولكن من المحتمل أنهم امتلأوا بالمطر الآن.

وعندما وصلوا إلى الوداي الأول وجدوه ممتلئًا بالماء ثم أوقف كابتن أسامة سيارته وأخذ يدرس تدفق المياه ثم تحرك إلى الأمام ببطء فلقد كان الماء يرتفع إلى منتصف عجلات السيارة، عبرت السيارات بأمان ثم بعد عشرين دقيقة وصلوا إلى الوادي الثاني وكان هذا الوادي أكثر اتساعًا والماء كان أكثر ارتفاعًا، ولكنهم كلهم عبروا بأمان، ثم فجأة أسود وجه الكابتن وبدا عليه القلق، وقال: نحن نستهلك الكثير من الوقت.

- ماذا تقصد بذلك. قالت وفاء.

- إن الوادي التالي يبعد حوالي عشرين دقيقة وأخشى أن يكون قد فاض بالمياه بمرور الوقت لأنه عميق.

- يجب علينا العبور. قالت وفاء.

- حسنًا! تشبثوا. قال الكابتن، ثم وضع قدمة بقوة على دواسة البنزين وكان الثلاثة يتخبطون من جانب إلى آخر بينما كانت السيارات تسرع على الطريق الصخري ولم يستطيعوا رؤية أي شيء بسبب المطر الغزير فلقد كانوا يسيرون بسرعه جنونية، ولقد كانوا على هذه الوتيرة لمدة خمس عشر دقيقة، وعندما وصلوا إلى الوداي الثالث أوقف الكابتن السيارة فلقد كان الوادي أمامهم على اتساع ٤٠ م وكان لون الماء بنيًّا داكنًا وسريعًا وعميقًا وبينما كانوا ينظرون وإذا بنخلة طافية مرت بجانبهم ثم ارتطمت بالصخور ثم استمرت في طريقها.

- هل نستطيع أن نفعلها؟ سألت وفاء.

- لا أعرف. قال الكابتن: ولكن هل لدينا أي خيار آخر؟

ولم ينطق أي أحد واستمر الكابتن في دراسة الماء بعناية ثم قال: نستطيع أن نفعلها إن شاء الله، ثم وضع السيارة في الغيار الأول القوي وتقدم ببطء للأمام، ثم تحركت السيارة بثبات عبر المياه وكان يعمل المحرك كذلك بثبات، ثم بدأت المياة تدخل من تحت الأبواب ولكن بدأت ترتفع ثم بعد ذلك انحسرت، وانتظر ركاب السيارة السيارة الثانية ورأوا السيارة الثانية تتحرك نحو المياه وكانت تتحرك ببطء نحو أعمق منطقة، ثم فجأة ارتفع جانب من جوانب السيارة، ثم بدأت تنقلبت السيارة وقال فاروق: إن الماء يجرفها.

- إنها خفيفة جدًّا. قال الكابتن.

وفجأة انقلبت السيارة على جوانبها وجرفها الماء بشدة وقفز كابتن أسامة وفاروق ووفاء من سياراتهم وجروا نحو حافة الوادي فلقد كانت السيارة الثانية تنجرف نحو الصخور ثم اصطدمت بهم وانقلبت على جانبها الآخر وأخذت تدور في المياه ثم انحشرت بين صخرتين وصاح الكابتن: أحضروا الحبال. صاح من خلال الضوضاء الصادرة من المياه. يجب علي أن أسبح إليهم.

- لن تستطيع. صاح فاروق.

- وهنا صرخت وفاء: أنظروا إنهم بخير، فلقد كان الرجال يسبحون في الماء ويتجهون نحو جزيرة صخرية، ولكن لم يكن هناك مخرج من الجزيرة فلقد كان الماء من حولهم عميق وسريع وكان من حولهم صخور حادة والتي سوف تمزقهم إربا لو حاولوا السباحة ثم نادى الرجال من بعيد قائلين: نحن بخير! تستطيعون الرحيل، لذلك وفاء وكابتن أسامة وفاروق رجعوا إلى سياراتهم، وكانت السيارة الثالثة منتظرة على الجانب الآخر وكان من الصعب الرؤية من خلال المطر الغزير ثم ترجل الكابتن إلى حافة الماء وصرخ: أنتم لديكم النبات يجب عليكم التقدم والعبور.

كانت وفاء واقفة خلفه وقالت: إن ذلك خطير جدًا. انظر ماذا حدث إلى السيارة الجيب الثانية.

قال الكابتن: إن سيارتهم أثقل من السيارة الجيب سيستطيعون العبور.

ولكن السيارة في الجانب الآخر لم تتحرك، إنهم لم يأتوا. قال فاروق.

- يجب عليهم أن يسلكوا الطريق الصحيح وأن يختاروا الغيار الصحيح فليس لديهم إلا فرصة واحدة لذلك أعطهم الفرصة. قال الكابتن، ثم وضع فاروق يديه أمام فمه وصاح: ليس لدينا وقت!

فقال الكابتن: انتظر فلقد كانت السيارة في الجانب الآخر قد بدأت في التحرك واستطاعوا سماع صوت المحرك ودخلت السيارة المياه البنية ببطء وتحركت للأمام وظل الصوت ثابتًا وبينما كانت السيارة تيسر في العمق بدأ الصوت في الخفوت في وسط ضوضاء المياه وكان الآخرن ينظرون بعصبية.

- إنهم في منتصف الطريق. قال فاروق، وفعلًا كادوا أن يصلوا إلى منتصف الطريق إلا وتوقف المحرك وحاول السائق أن يشغل السيارة مرات ومرات ولكن بدون فائدة.

وفجأة صرخ فاروق: احترسوا فلقد كانت هناك نخلة اصطدمت بالسيارة والتي انقلبت على جانبها الآخر وغاصت بعنف إلى أسفل مرة ثانية.

- يجب أن نخرجهم. صاح فاروق.

- والنبات هناك فيجب أن لا نفقدهم. قالت وفاء، ثم جرى كابتن أسامة إلى سيارته وأخرج حبلًا وربطه في نهاية سيارته وقال: فاروق تعال معي وأنت يا وفاء راقبينا واضغطي على بوق السيارة إذا رأيت شجرة قادمة نحونا، ثم دخل فاروق وكابتن أسامة المياه وفي لحظات وصلت المياه إلى منتصفهم، وكانت المياه ترفعهم ولكنهم أخيرًا وصلوا إلى السيارة ونادى كابتن أسامة على الرجال الموجودين داخل السيارة وقال لهم: ابقوا في السيارة يجب أن تبقى السيارة ثقيلة، ثم حاول الكابتن وفاروق أن يربطوا الحبل ولكن لم يصل الحبل إلى السيارة في المياه؛ لأن المياه كانت تدفع الحبل بعيدًا عن السيارة لذلك لم يستطيعوا أن يصلوا إلى السيارة، ثم نادى الكابتن: لا فائدة يجب أن تخرجوا لتساعدونا.

وخرج الرجلان من السيارة وأخيرًا سحب الرجال الأربعة الحبل إلى السيارة وربطوه وفي هذه اللحظة سمعوا صوت بوق سيارة كابتن أسامة ولم يكن لديهم إلا وقت قليل

ويتحركوا قبل أن تصطدم شجرة بالسيارة في الماء وانقلبت السيارة على الرجلين الذين كانوا قد خرجوا من السيارة واصطدم الكابتن وفاروق بالحبل وأمسك الحبل السيارة من التحرك بعيدًا ولكن المياه جرفت كل الرجال بعيدًا عن السيارة.

وجرت وفاء إلى حافة الوادي، مائتي متر كان المجرى المائي ولكن استطاع الرجال أن يتسلقوا الجزيرة الصخرية مع الرجلين الذين كانا في السيارة الجيب الثانية وكانوا كلهم أحياء، ونادى كابتن أسامة من بعيد: تصرفي بنفسك الآن يا وفاء. بالتوفيق.

وبسرعة جرت وفاء إلى السيارة عبر المطر الغزير وكان النبات في السيارة الثالثة والتي كانت مقلوبة على أحد جوانبها ودخلت سيارة الكابتن واختارت أقوى غيار للسيارة وحاولت أن تسحب السيارة الثالثة خارج المياه وبالكاد وصلت السيارة إلى حافة الأرض ولكن لم تتحرك ثانية ثم تسلقت وفاء السيارة الثالثة وفتحت الباب وأخرجت النبات ورجعت إلى سيارة الكابتن، ثم قادت السيارة بأقصى سرعة.

أصبح المطر أكثر غزارة ولم تستطع وفاء رؤية أي شيء أمامها ولا خلفها ولا يمينها أو شمالها وبدت كما لو أن العالم قد اختفى وشعرت بالوحدة الكاملة وأصبح صوت المطر يعلوا ويعلو وأخافها ذلك وكان ينقر المطر سقف سيارتها ويصطدم بزجاج السيارة وخافت أن ينكسر الزجاج وكان البرق والرعد ينفجران من حولها وكانت تقول لنفسها إن حياة شاب بين يديها وكانت تقول ذلك مرارًا وتكرارًا بينما كانت تقود خلال العاصفة والرعب والخوف.

تعمل الممرضات واحدة من ثلاث ورديات: وردية الصباح، ووردية بعد الظهر، ووردية الليل. أنهت هدى ورديتها بالليل عندما وصلت منى إلى المستشفى وبدأت وردية الصباح وكان يبدوا على الممرضة هدى الإرهاق.

- كيف حال أيمن حسن. سألت الممرضة منى.

- لايزال في العناية المركزة. قالت الممرضة هدى: ولقد توقف تنفسه في حوالي الساعة الوحدة صباحًا ولقد جعلناه يتنفس بالفلتر (بالتنفس الصناعي).

- هل وصل النبات.

- نعم ولقد كانت هناك عاصفة وأتلفت سيارتين وسبح ستة رجال إلى الوادي، ولكن استطاعت وفاء أن تصل بالنبات والرجال بخير والأطباء صنعوا بعض الدواء من النبات وأعطوه لأيمن في منتصف الليل تقريبًا.

- ألم يفيد ذلك؟

- إنه من العجلة أن نقول.

حينئذ دخلت ممرضة أخرى إلى الحجرة وقالت: أخبار عظيمة أيمن تحسن يتنفس طبيعيًّا مرة أخرى وسوف يتحسن.

- هذا رائع. قالت الممرضة هدى.

- هل تعرف عائلته بذلك؟ سألت الممرضة منى.

- نعم. وهم كلهم معه وسوف يكونون هناك عندما يفيق.

وبعد ساعات قليلة أفاق أيمن وكان والداه وأخوه وأختاه كلهم حوله وانتشرت الأخبار في جميع أرجاء المستشفي مثل النار وفي صباح ذلك اليوم شعر أيمن بالتحسن وبالرغبة في المشي حول الغرفة وبحلول الظهيرة أراد أيمن أن يخرج وكان للمستشفى بلكونة جميلة حيث كان المرضى يجلسون فيها ليستمتعوا بالهواء الطلق لذلك ذهب أيمن وعائلته إليها وكان أيمن لا يزال واهنًا؛ لذلك أمسك أخوه محمد بيده بينما كان يمشي.

كانت البلكونة فوق المكان التي كانت تقف فيه سيارة الإسعاف التي أوصلته وذكرته السيارة بيوم أمس وسأل أيمن: هل وجدوا العنكبوت الأنثى؟

- ليس بعد. قال والده: فإنهم يبحثون عنها الآن فهم يعتقدون أنها قد ماتت ولكن ربما تكون لا تزال حية لذلك يجب عليهم أن يبحثوا عنها.

- ولكن مغامرتك قد انتهت الحمد لله. قالت أمه.

- وكل واحد يتحدث عنك. قالت أخته لمياء.

- ولقد ظهرت لك صورة في الجرائد وفي التليفزيون وقالت الجرائد أنك أنقذت حياة المئات وقالت أيضًا: إنه كان من الممكن أن يموت هناك الآلاف بسبب العناكب القاتلة لو لم تحذر الشرطة. قال أخيه محمد.

وقالت أخته نجاة: يقول البروفيسور جونز أنك أنقذت العالم من العناكب.

- ضحك أيمن وقال: إن البروفيسور يفرح بسرعة جدًا، وقالت أمه: إن البروفيسور مالكوم يقول أنك تستطيع أن تذهب وتدرس في جامعة إكسفورد لو أردت ذلك، وأضاف والده قائلًا: إذًا لا يجب أن تقلق على الحصول على وظيفة جيدة بعد الآن، وقول عمك إن أفضل أصحاب الأعمال يريدون أن يشغلوا رجلًا مثلك.

قال أيمن: أشعر وكأني شخص جديد بمستقبل جديد.

- هيا نأخذ صورة عائلية بكاميرتك الجديدة. اقترحت لمياء، ولقد كانت الكاميرا هدية من بروفيسور جونز ولقد كان البروفيسور مسرورًا جدًا أنه قد اكتشف فصائل جديدة من العناكب ولقد أعطى الكاميرا لأيمن كتعبير عن الشكر ولقد كانت كاميرا جيدة وبها الكثير من المميزات وكانت محفوظة في صندوق من الألومونيوم الغالي.

أخرج أيمن الكاميرا ووضع الصندوق الألومونيوم على الأرض وبينما كان يفعل ذلك سأل: هل يعرف أحد ماذا سوف يحدث للعناكب في الصحراء؟

قالت لمياء: لا أعتقد أنهم يجب أن يقتلوا لأنهم يؤذون الناس لأن الناس أزعجتهم وإذا لم يذهب أحد إليهم فلن يؤذوا أي أحد.

وقال محمد: ولكنه موقع أثري هام وعلماء الآثار سوف يريدون الذهاب إلى هناك وكذلك السياح.

وقال أيمن: أعتقد أن العلم سوف يجد حلًا لذلك وحتى ذلك الوقت أنا متفق أننا لا يجب أن نؤذي العناكب.

حينئذ رأى أيمن شيئًا يتحرك بالقرب من كتف لمياء، فلقد كانت تجلس أمام الحائط وكانت العنكبوت الأسود بالأصفر على الحائط وعلى بعد سنتيمترات من رأسها كانت العنكبوت الأنثى ذات الأرجل السبعة التي كان كل واحد يبحث عنها على الحائط.

الكثير من الأفكار خطرت ببال أيمن كيف جاءت العنكبوت إلى هنا؟ فمن المؤكد أنها جاءت في سيارة الإسعاف التي أحضرته إلى هنا فماذا سيحدث لو لدغت أخته؟ فإنها ستموت فلن يفيد الدواء ضد لدغات الأنثى؟ هل يجب أن يخبر أخته أن تتحرك؟ لا، فهي يجب أن تظل ساكنة فلو تحركت ستلدغها العنكبوت ماذا يفعل؟ ما هو السلاح الذي يملكه؟ أيمن كان ماسكًا الكاميرا بيده فببطء رفع الكاميرا وتحرك ناحية أخته الصغيرة وقال لها: لا تتحركي يا لمياء أريد أن آخذ لكي صورة، ثم اقترب منها وقال: لا تتحركي، وكان قد اقترب من العنكبوت، ثم ضغط على زر الكاميرا فأضاء فلاش الكاميرا فأعمى الوميض

البراق العنكبوت للحظات، وبسرعة أوقع أيمن العنكبوت بيده في الصندوق الألومونيوم ثم أغلقه بسرعة وصرخت لمياء وجرت نحوها أمها ثم هنأ كل واحد أيمن ولكن التهنئة فجأة توقفت وظهرت نظرة رعب على كل واحد فلقد كان ينظر أيمن إلى يده ففي يده كانت هناك علامتان لونها أحمر حيث كانتا الموضع الذي لدغته فيها العنكبوت الأنثى.

أيمن كان من قبل مريضًا وكانت الصدمة والرعب لها تأثر كبير عليه فأغلقت عيناه وسقط على الأرض، بعد ساعات سمع أيمن شخص ما يتحدث وسمع اسمه وكان الشخص يتحدث عنه، ففتح أيمن عينيه فكان الضوء قويًا واستطاع أن يرى إناسًا وكان الصوت لا يزال يتحدث ونظر أيمن ناحية الصوت فرأى وجهه فلقد كان أيمن ينظر إلى شاشة التلفاز وكانت هناك صورة له ثم ظهرت بعد ذلك صورة الوزير وكان صوت المذيع يقول: ووصف الوزير أيمن بأنه رجل شجاع وعلى استعداد أن يعطى حياته لإنقاذ الآخرين، وقال أيضًا الوزير ولنا أيضًا أن نتخيل كم من الآلاف كانوا سيموتون بدون ذكاء وشجاعة هذا الشاب.

واستمر صوت المذيع قائلًا: ولكن الليلة كل الناس في مصر لا يمدحون أيمن فقط، ولكنهم أيضًا يحتفلون؛ لأن أيمن لا يزال حيًّا! ولكي نعرف لماذا لم تقتل العنكبوت الأنثى أيمن سألت الدكتور صلاح الذي يعمل في المستشفى الذي بها أيمن الآن، ثم استدار المذيع إلى الدكتور الذي بجانبه وقال: دكتور صلاح توقعت أن أيمن كان سيموت من لدغة العنكبوت الأنثى أليس كذلك؟

أجاب الدكتور: نعم بالفعل فلدغة العنكبوت الأنثى قوية جدًّا جدًّا وليس لدينا لها أي دواء.

- إذًا لماذا لم يمت أيمن؟

- حسنًا. عندما يدخل السم إلى جسم أي شخص أو حيوان فإن الجسم يصنع مضادات لمحاربة السم وهذا ما حدث لأيمن عندما لدغ فى المرة الأولى فلقد أنتج جسمة الكثير من المضادات في جسمه وعندما لدغ للمرة الثانية فلقد كان لديه من قبل مضادات في جسمه لذا كان للدغة تاثير قليل عليه ونحن نتوقع الآن أن أيمن سيفيق بسرعة.

- شكرًا يا دكتور صلاح. قال المذيع: وشكر خاص لأيمن حسن أشهر شاب في مصر اليوم [1]

---

(١)هذه القصة ترجمة لقصة spidel المقررة على الصف الثانى الثانوى بجمهورية مصر العربية.

القديس جرجس... أسطورة شعبية رومانية

جرجس كان ضابطًا رومانيًا. وفيما كان على رأس فرقته في بيروت ظهر في بحر المدينة تنين عظيم كان يأكل الناس. فجمع ملك المدينة أهل مشورته وبحثوا في كيف يتلافون فتكه، وقرروا أن يقدموا له نعجتين حتى إذا ما أكلهما وشبع يكف عن العباد شره. ولكن التنين كان يؤثر لحوم الناس فظل يفترس أي من ساقه سوء طالعه إلى الوقوع بين براثنه.

عاد الملك فعقد مجلسًا استطرد فيه البحث في كيف يحصر ضرر التنين. فقرَّ القرار على أن يقدم له كل يوم نعجة ومعها فتاة تنتخب بالقرعة من فتيات المدينة دون ما فرق بين الأشخاص والدرجات.

أصابت القرعة ذات يوم بنت الملك وكانت فتاة بارعة الجمال. فأحدث وقوع القرعة عليها ضجة كبيرة في المدينة ومشى الملك والناس وراءها إلى البحر وهم يودعونها ويبكون، ولكن ما إن مشت الفتاة إلى التنين الممدد على الشاطئ فاغرًا فاه لابتلاعها، حتى شاهدت الضابط جرجس يسبقها إليه وهو على ظهر جواده والرمح مشرع في يمينه يسدده إلى صدر التنين.

ظنت الفتاة أن الضابط الشاب يغرر بنفسه معرضًا ذاته للموت في سبيل جمالها، فأشفقت على شبابه ونصحته بالهرب، ولكنه لم يفعل، بل اقتحم التنين بقلب قُدّ من حديد ورشقه برمحه فأرداه قتيلًا.

ارتفعت هتافات الفرح من الملك والأهلين وتقدموا من الضابط يشكرونه وعرض عليه الملك تزويجه من الفتاة. فأبى قائلًا إنه فعل ما فعل قيامًا بواجب دينه. أما التنين فقد رموا جثته فى البحر يجرها سبعة فدادين. وأقاموا على اسم القائد جرجس بعد استشهاده كنيسة قرب المحلة التي قتل التنين فيها.[1]

(١) ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

بحيرة الدموع... أسطورة شعبية سويسرية



بحيرة Blausee بحيرة خيالية بسويسرا، لها لون خطير. بحيرة صغيرة جدًّا في أحد الوديان لكنها ذات لون ساحر تقع البحيرة الزرقاء أو بحيرة الدموع في قرية Mitholz على بعد ٢١١كم من جنيف وهذا مختصر الوصف لطريقها يحكى أن هذه المنطقة عاش بها زوجان عشيقان يحبان بعضهما حبًّا جامحًا بنيا منزلًا صغيرًا بين الأشجار الجميلة وعلى ضفاف بحيرة صغيرة، وفي يوم من الأيام استيقظت الزوجة لتجد زوجها النائم بجوارها قد فارق الحياة، ذهلت وفزعت ولم تصدق ما حصل وراحت تكسر كل شيء أمامها: المنزل الأشجار، لم يبق شيء وراحت المسكينة تبكي وتبكي ولم تتوقف عن البكاء والدموع تنهمر كالمطر وتنزلق لتستقر في البحيرة وهكذا تحول لون البحيرة للأزرق من كثرة ما ذرفت عيناها من دموع، ويوجد هناك تمثال للزوجة بداخل البحيرة.

ثمن الصبر... أسطورة شعبية موريتانية

ذات يوم سافر سبعة رجال على سبعة جمال تحمل ملحا للبيع فسقط ولد من أعلاها وأخذ يبكي؛ فأخذه رئيس القافلة ووضعه على فخذيه وأسكته ثم حمله على جمله وذهب به. ولكن الولد لم يزل يبكي بكاء شديدا، وبعد أن قطع الرجل مسافة قصيرة تهاوى جمله ميتا فحمل الطفل على الجمل السادس لكنه مات بعد خطوات فالخامس إلى أن بقي لهم جمل واحد!!

حار رئيس الرفقة فطلب من أصحابه أن يعودوا إلى القرية لإحضار جمال، وعندما بقي الرجل والولد وحدهما أمره الولد أن يضرب شجرة كانت أمامه بعصاه يمينًا ويسارًا، ثم يعود. ولما ضرب الشجرة وفتح الأكياس وجدها معبأة ذهبًا مكان الملح ففرح الرجل واغتبط. قال له الولد أنا مرسل إليك من ربك وهذا جزاء صبرك وتحملك، والآن اذهب إلى القرية لإحضار جمال أخرى تحمل عليها ذهبك وتتصرف فيه كما يحلو لك. (١)

(١) نقلًا عن كتاب موسوعة الحكايات والأساطير الشعبية الموريتانية، الحكاية تسعى إلى بث الطاقات الروحية في أفراد المجتمع لمواجهة إكراهات نحلة العيش الصحراوية التي تتسم بالقساوة والشظافة في معتادها فضلًا عن مفاجئاتها التي تقضي على الوسائل البدائية والبسيطة لدى السكان البدو(نموذج موت جمال القافلة). إن الحكاية الشعبية هنا منهاج تعليمي وتربية سلوكية هدفها غرس قناعات وأخلاق عملية لمواجهة المصاعب، إنها طريقة ينتهجها الخيال العام للتكيف النفسي والإيديولوجي مع عوائق البيئة.

إنسي وجني... أسطورة شعبية موريتانية

يحكي أن رجلًا كانت له زوجة شريرة تدعى فاطمة، وكانت تنغص عليه عيشه ببذاءة لسانها وسوء سلوكها. صبر على حاله زمنًا حتى عيل صبره فقرر أن يهرب من بلاد هي فيها. انتظر حتى كان ذات ليلة فأطلق ساقيه للريح، وبينما هو سائر رأى أمامه خيالًا يقترب منه، فاشتد فزعه حين سأله الخيال قائلًا: من أنت يا هذا؟ فأجابه على الفور إني إنسي وقد سئمت معايشة زوجتي وإيذائها لي فقررت الهرب.

تدخل الخيال قائلًا وأنا كذلك جني لي زوجة تدعى فاطمة، وقد بالغت في إيذائي فقررت الهرب فلنترافق إذن، سأحملك إلى أقصى مكان وستعاون على العيش، فعليك أنت أن تدعي البركة وتكون راقيًا خبيرًا للجنون، أما أنا فسأكون من يمس الناس إلى أن يصيبهم الجنون، وصل الرفيقان إلى مدينة وقدم الإنسي نفسه على أنه طبيب ماهر للأرواح الخبيثة، وفي كل مرة كان صديقه الجني يخالط رجلًا أو امرأة فيطلب الإنسي من ذويهما أن يعطوه ديتهما وحين تسلم الدية يكتب الراقي تميمة الشخص المجنون فيخرج الجني فورًا ويعود الشخص إلى صوابه، وهكذا بقيا على هذه الحال حتي حصلت لديهما أموال من أكثر من خمسة عشر شخصًا، وفي أحد الأيام أصيبت ابنة السلطان بالجنون وجاء تابعها الجني إلى صديقه الإنسي وحذره قائلًا: إياك أن تعرض لهذه الأميرة فإني أريدها لنفسي، رضخ الإنسي لتحذير صديقه، ولكن السلطان استدعاه وطلب منه أن يداوي ابنته فاعتذر الإنسي وقال: إن هذه الحالة متعذرة ولا أعرف رقيتها. غضب السلطان من الطبيب وهدده بقتله إن لم يشف ابنته، وحين عرف الرجل أنه مقتول لا محالة طلب من الملك أن يمهله حتى وقت صلاة المغرب فقبل الملك. ذهب الإنسي بعيدًا وجلس مليًا يفكر وقال في نفسه لقد أعطاني الله نعمة العقل فيكفي أني عاقل ولا أحتاج إلى هذا الجني الناقص العقل حتى أخلص منه المريضة وأتخلص منه، بقي سحابة يومه وحين افتقده الجني ذهب للبحث عنه حتى وجده فبادر قائلًا: لماذا أنت هنا؟ فأجابه الإنسي كنت أبحث عنك لقد وصلت الفاطمتان وأرسلتاني في طلبك ولا يمكن أن أرجع إلا وأنت معي، فزع الجني وقال له قل لهما إنك لم تعثر على وفر بعيدًا بعيدًا، ورجع الطبيب إلى المدينة وقد شفيت الأميرة وأجزل له أبوها العطاء وعاش متمتعًا بثروته الوفيرة.[1]

---

(١) نقلًا عن كتاب موسوعة الحكايات والأساطير الشعبية الموريتانية. إن الحكاية هنا مليئة بالإشارات المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الموريتانية القديمة سواء في توصيفها الظاهر لموقف الإنسي أو في محاولاتها لتبريره بموقف الجني وكأنها تريد أن تقول إن ظاهرة سيطرة الأنثى طبيعية وفي كل المخلوقات.

البنت والأسد... أسطورة شعبية موريتانية

يحكى أن حيًّا سكن قرب عرين أسد، وذهبت مجموعة من فتيات الحي يحتطبن فمررن قرب العرين وتقفى الأسد أثرهن وإذا بإحداهن غاية الجمال والملاحة فعدا عليها وأخذها معه وأسكنها في عرينه، ولما يئس منها أهلها ولم يعودوا يسألون عنها صار الأسد يتركها حتى تنام ويذهب للصيد، واعتاد على هذا حتى آنسته الفتاة وحل زمن صوحت فيه الأزمنة ورحلت الأحياء ولم يعد الأسد قادرًا على الرجوع من صيده إلا بعد ليلة ونهار، وبينما الفتاة الجميلة تتلهي قرب العرين إذ رأت غنمًا ترعى حولها فعرفت راعيها وذهبت معه إلى أهلها. عاد الأسد فإذا الفتاة قد هربت فاشتم أثرها وتبعه إلى خيمة أهلها وأراد أن يستعيدها فإذا هم يحيطون بها وهي تحدثهم بأن الأسد وحش كبير متين قبيح المنظر فخاطبها قائلًا: يا بغيتي ومرامي لا تفحشي في الملام فالجرح يشفي ويبقي نزيف جرح الكلام، وأخذها الناس مثلًا، ولم يزل الأسد يراقب الفتاة عن بعد ويتحين الفرص حتى انتهز يوم رحيل أهلها فاختطفها على حين غفلة منهم وأعادها إلى مغارته.[1]

بطل أتينا... أسطورة شعبية يونانية

كان يا ما كان فى قديم الزمان فى إحدى المدن اليونانية القديمة، على سفح جبل شاهق من جبال اليونان، ولد بطل أتينا وعاش طفولته قريبا من هذا الجبل الشاهق، وكانت أمه تحدثه دائمًا عن أبيه قائلة: لقد عهد إلى أبيك أن أقوم ساهرة على العناية بك، ليفرغ هو إلى العناية بالملك، والسهر على راحة الناس، وإقامة العدل بينهم، وهويعيش فى قصره الفاخر فى مدينة أتينا.

ـ وما بال أبى لا يأتى ليعيش معنا.

(١) نقلًا عن كتاب موسوعة الحكايات والأساطير الشعبية الموريتانية. هذه القصة والموغلة إلى حد أكبر في الأسطورية فهي بالطريقة الرمزية التي تناسب ميتودولوجيتها توحي بإحساس جماعي بوحشة البيئة وتأثيره في فقدان الأمن والتعرض الدائم للضياع مما يخلق شعورًا بالتطلع إلى معايشة مصادر الخطر ومهادنتها "نموذج الأسد في القصة" كما يقرأ من خلال الحكاية ذلك الحرص الفطري في مجتمع محافظ على البنت وصونها من الأخطار وهواجس الشرف وصون الذمار تلك المشاعر التي تدفع إلى غرس قيم الحيطة والحذر والاحتشام في نفوس البنات.

ـ إن أباك مشغول بسياسة الملك، وإقامة العدل بين الرعية، ولا يستطيع أن يترك هذا الواجب المقدس.

ـ صدقت يا أمي، ولكنى أريد أن أذهب إلى أبى فقد وحشنى كثيرًا، فما الذى يمنعنى من الذهاب إليه؟!

ـ الوقت لم يحن بعد، فأنت لا تزال طفلًا، فاصبر حتى تكبر وتقوى، عندها سوف آذن لك بالسفر، فالطريق وعرة وأخطارها عظيمة ومخيفة.

ـ ومتى تأذنين لى يا أمي ودونها خوف علي؟

ـ لن أسمح لك بالسفر إلا حينما تتمكن من رفع هذه الصخرة التى نجلس عليها الآن على سفح هذا الجبل.

ـ آه يا أمى إنها ثقيلة جدًّا ولن أستطيع الآن أن أرفعها.

ـ أرأيت يا ولدي كيف عجزت عن تحريك تلك الصخرة من مكانها؟ فاصبر يا بني حتى تكبر ويشتد عودك وعندها ستتمكن من رفع الصخرة بأقل مجهود، وسترى بنفسك ما خبأناه لك تحتها من عتاد السفر، وعند ذلك سأسمح لك بالذهاب إلى أبيك.

وبعد عدة أعوام قال بطل أتينا لأمه: لقد أصبحت الآن رجلًا شديد البأس وعندى القدرة لرفع تلك الصخرة فهل أحاول يا أمى؟

ـ أظن أن الوقت قد حان فحاول يا بنى وكلى ثقة فى أنك قادر على ذلك، وفقك الرب. وكانت الصخرة منغرسة فى الأرض، وبذل البطل كل ما فى وسعه حتى زحزح الصخرة من مكانها، بعد أن بلغ به التعب مبلغه، وقلبها على جانبها الآخر، ونظر إلى أمه، فرأها تبتسم، واغرورقت عيناها بالدموع، إنها دموع الفرح لانتصار ابنها ونجاحه ثم قالت: سلمت يا بنى أيها الفارس المغوار، لا تلبث فى المدينة لحظة واحدة واذهب إلى أبيك وحقق حلمك، ولكن انظر ماذا ترك لك والدك أسفل هذه الصخرة

ـ آه يا أمى لقد ترك أبي لى هنا سيفًا مقبضه من الذهب ونعلًا أظنه نعل أبى.

- حقًا يا بنى إنه سيف أبيك ونعله، فاذهب إلى مملكته، وجدد شبابه فيك، وأعد سيرة أبيك المقدام.

فصاح البطل قائلًا: حان الوقت لتحقيق الأمنيات.

وعندما ذهب إلى البيت ورآه جده منتشيًا فرح به فرحًا شديدًا وقدم إليه النصيحة قائلًا: أنت الآن على أهبة الاستعداد للسفر يا بنى وأنا فخور بك، فكن بطلًا فى مواجهة الأخطار وحقق حلمك فى أن تكون بطلًا مغوارًا تدين لك الأرض من مشارقها إلى مغاربها، وأمامك طريقان يا بنى: طريق البر ويحمل الأخطار من وعورة وقطاع طرق، وطريق البحر وهو طريق آمن فانظر أى الطريقين تسلك، واجبي أن أنصحك وأوضح لك، وبعد ذلك لك الخيار.

- سأختار طريق الأخطار يا جدى العزيز، فكلي شوق للقاء الوحوش ومحاربة اللصوص، ولقد تغلب على كل الأخطار والمصاعب وذاع صيته حتى لقب بفارس العصر وبطل أتينا القادم.

وكان للملك أتينا أولاد أخ يحسدونه ويترقبون موته يومًا بعد يوم، ليرثوا ملكه العظيم من بعده، فلما سمعوا بقدوم هذا البطل الشجاع، تبددت أحلامهم، وأيقنوا باستحالة تحقيق أحلامهم، ودفعهم الحقد والحسد لتدبير مؤامرة لقتله ومعهم ساحرة أتينا.

وقالوا له ناصحين: خير لك أن تخفى اسمك عن أبيك، وتقابله فى بادئ الأمر كأنك غريب عنه، حتى يتعرف عليك وحده، ويكون للمفاجأة أطيب الأثر فى نفسه.

- حسنًا... الرأى ما ذهبتم إليه أيها الرفاق المخلصون، وذهبوا وتركوه وذهبوا إلى الملك مسرعين ومثلوا أمامه قائلين: لقد جاءك بطل أتينا وهو يريد قتلك والقضاء عليك والاستيلاء على ملكك، وأشاروا عليه بقتله.

- الرأى ما رأيتم يا أولاد أخى.

قالت الساحرة: أرى يا مولاى أن تسقيه من هذه الكأس المسمومة فيموت فى الحال.

- الرأى ما رأيت، وبعد قليل حضر بطل أتينا إلى قصر الملك مستأذنًا فى المثول بين يديه.

قالت الساحرة: ائذن له يا مولاي ولتكن هذه النهاية؛ ليستريح العالم من شره إلى الأبد.

ـ حسنًا أدخلوه، ومد الفتى يده وأخذ الكأس، وهم بتناولها.

قال الملك: حذار أن تشرب قطرة واحدة من هذه الكأس المسمومة وإلا هلكت لساعتك وقال له مرتعدًا: من أين لك بهذا السيف؟!

ـ لقد خلف أبى لى هذا السيف وهذين النعلين.

ـ ومن قال لك ذلك.

ـ أمى أيها الملك من أخبرتنى بذلك.

ـ وأين وجدتها؟!

ـ تحت الصخرة يا مولاى، ثم قص عليه قصته كلها، فصاح الملك فرحان مسرورًا: ابنى ابنى ابنى، ثم أقبل عليه يعانقه ويقبله وحمد الله على نجاة ولده.

وعاش الملك وولده وشعبه مدة طويلة من الزمن فى هناء وصفاء، ولم يعلموا ما يخبؤه لهم القدر من مصائب وأحداث.

ـ ما هذه الضجة يا أبى؟!

ـ إنه يوم الحداد.

ـ وما هذا اليوم يا أبى؟!

ـ هذا هو اليوم الأسود، يوم الهول، نجمع فيه الضحايا من خيرة شبابنا لنقدمهم إلى عجل مينو، قربانًا له.

ـ وما عجل مينو هذا هو الآخر؟!

ـ إن عجل مينو غول هذا العصر، ومصدر إزعاجنا وهو يعيش فى جزيرة كريت، نصفه الأسفل نصف إنسان ونصفه الأعلى نصف ثور، وقد بنى ملك تلك الجزيرة، لهذا الغول قصرًا فاخرًا، وهو يسهر على راحتها.

ـ وما ذنب هذه الضحايا؟!

ـ الحقيقة يا بنى أن ملك كريت وقعت بيننا وبينه الحرب فانتصر علينا فصالحناهم وكان من شروط الصلح أن نقدم لعجل مينو كل عام سبعة فتيان وسبع فتيات فى زهرة الشباب ليأكلهم هذا الوحش.

ـ وأين يعيش هذا الوحش؟!

ـ إنه فى قصره الفخم فى كريت.

ـ لقد جاء وقت التضحية يا أبى سأذهب مع هؤلاء الشباب فأنا السابع.

ـ ماذا تقول يابنى ولمن تتركنى وأنا قد بلغ بى العمر أرذله؟!

ـ لقد أخذت قرارًا يا أبى بعد إذنك ورضاك ولا رجعة لى فيه، وحانت ساعة الوداع والدموع تنهمر من الجميع حتى الملك، وسارت بهم السفينة فى ريح طيبة.

ـ ما هذا الآدمى الهائل الجسم إنه بطول النخلة، إن جسمه يشبه النحاس فى لمعانه، إنه يحمل على كتفيه عصا ضخمة من النحاس!

ـ قال الربان: هذا هوالعملاق النحاسى يا مولاى، إنه يطوف بالجزيرة ثلاث مرات، ثم يقف على هذا المضيق حيث تمر كل سفينة تحت قدميه.

ـ قال العملاق: من أى البلاد قدمتم أيها الغرباء؟

ـ من أتينا قدمنا.

ـ ولأى غرض جئتم أرضنا؟!

ـ لقد أحضرنا الضحايا لـ عجل مينو.

ـ ادخلو الميناء إذن وسيروا فى طريقكم آمنين.

قال بطل أتينا لملك كريت: أنت ملك ظالم ولابد أن ينقشع الظلم يومًا.

قال الملك: هذا شاب وقح قدموه غدًا قبل رفاقه لعجل مينو ليكون أول الضحايا وكانت حسناء المدينة ابنة الملك حاضرة هذا الحوار، فأعجبت بهذا الفارس الجريء، فارتمت على قدمى أبيها تستعطفه من أجل هؤلاء المساكين دون جدوى وفى منتصف الليل فتحت باب السجن خلسة وقالت لبطل أتينا: لقد جئت لأنقذك من الهلاك.

ـ لقد آليت على نفسى أن أقتل عجل مينو.

ـ أسرع لأدلك على القصر المشؤوم، وخذ سيفك ينصرك الرب.

ـ ما هذا القصر يا حسناء المدينة؟!

ـ إنه قصر التيه.

ـ شكرًا لك يا حسناء المدينة.

وما أن دخل قصر التيه حتى سمع فرقعة وجلبة عاليتين، وكان يتوقع أن يباغته العجل بين الفينة والأخرى، وما أن رآه العجل حتى اشتد هيجانه، وكاد أن ينطحه بقرنيه، ولكن الله سلم، فاصطدم رنه بالجدار فانكسر القرن، وعندها قفز فى الهواء قفزة هائلة، وضرب العجل ضربة قاتلة، فانفصل الرأس عن الجسد، وسقط العجل بعد معركة ضروس على الأرض غارقًا فى بركة من دمائه.

وهكذا خلص الناس من شرور ذلك الوحش، وأول ما فكر فيه بعد الانتصار، تخليص أصحابه من سجنهم والعودة الفورية، قالت له حسناء الجزيرة بعد عودته منتصرًا: أسرع بالعودة مع رفاقك إلى بلدك قبل أن يطلع الفجر، فينتقم منك أبي أبشع انتقام.

فذهب معها وأيقظا الأسرى وما أن وصلوا إلى السفينة شكرها كثيرًا على حسن صنيعها، وطلب منها أن تعود معه إلى بلده، فقالت له: لا عليك فأبى ليس له إلا أنا ولا يمكن أن أعصيه، وسوف يسامحنى بعد ذلك، ثم أبحر بالسفينة هو ورفاقه، بينما ينتظره والده على قمة جبل أعلى البحر، ولما رأى السفينة شرع ينظر إلى أشرعتها فوجدها لا زالت سوداء، فعلم أن ابنه قد هلك، فقد قال له إذا عدت منتصرًا بدل أشرعة السفينة السوداء بالأشرعة البيضاء ولكنه مع فرحة الانتصار نسى ذلك، فسقط والده الملك من قمة الجبل فى بحر الأمواج العاتية ليبتلعه البحر فى بطنه.

وما أن وصل حزن حزنًا شديدًا واختلطت دموع الحزن بدموع الفرح، ولكن الأيام تنسى المصائب، كما تنسى المسرات، فلم يمض زمن كبير حتى هدأت النفوس، وأحضر والدته، وظل يعمل بنصيحتها ولا يعصى لها أمرًا، فأصبح حبيبًا إلى النفوس وصار مضرب الأمثال بين ملوك عصره فى الرفق بالرعية، والبر بالناس، وإقامة العدل وتوخى الإنصاف.[1]

(١) أساطير العالم / بطل أثينا / كامل كيلانى / دار المعارف... بتصرف

عقلة الإصبع... أسطورة شعبية مصرية

كان حطاب فقير وزوجته حزينين لأنهما لم ينجبا أطفالًا، قال الرجل: سوف أكون سعيدًا حتى لوحصلت على طفل بحجم عقلة الأصبع. وبعد عدة أيام رزقا بطفل صغير، كان حجمه غريبًا لم يتجاوز حجم الإبهام، فأسموه عقلة الأصبع وأحبوه كثيرًا. على الرغم من ازدياد عمر عقلة الأصبع إلا أن حجمه لم يكبر، وفي يوم من الأيام ذهب عقلة الإصبع مع الحصان لكي يحضر والده وجلس بين أذني الحصان.

ظن صاحب السيرك أن الحصان ذكي جدًّا، وأراد أن يشتريه، ولكنه عندما رأي عقلة الإصبع، عرض كيسًا كبيرًا من الذهب لكي يشتري عقلة الأصبع بدلًا عن الحصان.

لم يشأ والد عقلة الإصبع أن يبيع ابنه الوحيد، ولكن عقلة الإصبع قال له: أرجو أن تبيعني إلى السيرك يا أبتي ولا تقلق سوف أعود إلى المنزل قريبًا، وبعد عدة أسابيع، هرب عقلة الإصبع من السيرك، ولكن فى طريق عودته، وبينما كان نائمًا على كومة من العشبي أكله ثورًا، ومن داخل معدة الثور كان عقلة الإصبع ينادي: ساعدوني.. اخرجوني من هنا خاف الثور مذعورًا.

سمع أحد الفلاحين صراخ عقلة الإصبع فخاف أيضًا وقتل الثور ورمى بمعدته فى الغابة، وعندها أتى ذئب جائع وابتلع المعدة. ناداه عقلة الإصبع من داخل المعدة، وقال: أيها الذئب، أنا أعرف مكانًا ستجد فيه طعامًا ألذ. قاد عقلة الإصبع الذئب إلى منزله، ونادى والديه، فقتل الأب الذئب وحرر عقلة الإصبع وكان سعيدًا جدًا بالعودة إلى منزله. (1)

الغلام المسحور... أسطورة شعبية مصرية

كان غلام يخدم لدى أحد السحرة، خرج ذات يوم إلى الصحراء فالتقى راهبًا من الرهبان كان يتعبد وحيدًا في صومعته في قلب الصحراء، ولما اطلع الغلام على أحوال الراهب ومعارفه وجدها خيرًا مما لدى الساحر، فبدل الغلام خدمة الراهب بخدمة الساحر لما علم الساحر بذلك سحر الغلام فصار شجرة يابسة لا تخضر أبدًا، ولكن الراهب لما علم بأمر سحر الغلام بكى بكاءً مريرًا فجرت الدموع من عينيه وحتى الشجرة اليابسة التي هي في الأصل غلام مسحور فارتوت الشجرة واخضرت بعكس ما أراد الساحر.

---

(١) هذه الحكاية الشعبية تنمي المهارات اللغوية للطفل ولكن هناك تحفظات شديدة على القيم التى تحتويها القصة كالغش والخداع

ومرت ذات يوم بتلك الشجرة المخضرة التي هي في الأصل غلام مسحور فتاة بارعة الحسن والجمال، ففتنت الفتاة بتلك الشجرة ولم تشأ أن تغادرها أبدًا، ووالد تلك الفتاة كان من الأمراء فأمر ببناء قصر لابنته بجوار تلك الشجرة، وبينما هي تروي الشجرة كل يوم كانت تسمع صوت بكاء وأنين لا تدري مصدره.

أما العالمون بأمر الحكاية فيقولون أنه بكاء الغلام الذي صار شجرة، ويقولون: أن حريقًا شب ذات ليلة داخل قصر الفتاة فالتهمت النيران كل شيء بالقصر إلا الشجرة المخضرة التي هي في الأصل غلام مسحور، ويقول الناجون من الحريق أن النيران كانت تحوط الشجرة من كل جانب دون أن تحرق منها غصنًا أو ورقة. ويقولون أن أهل البلدة لما علموا بأمر الشجرة الناجية من الحريق فتنوا بها وصاروا يطوفون حولها ويقدمون لها العطايا والهبات.

والراهب الذي بكى ذات ليلة فكان بكاؤه سببًا في اخضرار شجرة يابسة كانت في الأصل غلام مسحور دعا ربه وهو يتعبد وحيدًا في صومعته في قلب الصحراء أن يعفي أهل البلدة من فتنة تلك الشجرة، وفعلًا أهل البلدة استيقظوا ذات ليلة على صوت قارع ومهيب، فرأوا الشجرة تفلت جذورها من الأرض وتطير في السماء حتى غابت عن الأنظار.

بلاد العجائب... أسطورة شعبية أسبانية

جلست ثلاث شقيقات جميلات صغيرات السن يتحدثن ذات ليلة من ليالي الصيف عن أمل كل منهن في الحياة، وكان ذلك في شرفة صغيرة ببلاد الأندلس، في أسبانيا فقالت الكبرى: أتمنى من الله أن أتزوج طباخ الملك فتتم سعادتي؛ لأني سآكل حتى أملأ بطني من أفخر اللحوم والطيور المحمرة والمشوية التي يتفنن زوجي الطباخ الماهر في صنعها للملك فأسمن، ويزداد بياض لوني واحمرار خدي، وأفتخر أمام جميع النساء بمقام زوجي العظيم! فقالت الثانية ما هذه الشراهة؟ أما أنا فأتمنى أن أتزوج رجلًا آخر من رجال الملك: إنه صانع الحلوى، كي أتمتع بطعم البقلاوة المحشوة بالفستق، والقطائف المحشوة بالبندق والجوز، والفواكه المكسرة والشراب الحلو الذي تلدغ حلاوته لساني، ولن أكون أنانية، فسوف أدعوكما أحيانًا لتتذوقا هذه الحلوى الجميلة التي لا تقدم إلا للملك، إن سمح لي زوجي، ولكني واثقة بأنه سيسمح؛ لأنه طبعًا سيحبني ويعمل ما يرضيني وأنت يا أختنا الصغرى، ما لك ساكتة؟ ألا تتمنين الزواج من رجل عظيم مثلنا؟

فقالت الصغرى: أتمنى طبعًا أن أتزوج الرجل الذي أحلم به، قالتا لها: خبرينا من هو؟ حدثينا عنه! فجعلت الأختان تسخران منها حتى تكلمت قائلة: أتمنى أن أتزوج الملك! وسأحبه ولا أطلب منه شيئًا، فيكفيني أن يسمح لي بالحياة بقربه وسألد له ولدًا شجاعًا مثله، وبنتًا جميلة كالقمر، قالتا: يا لك من مغرورة! أين أنت من الملك؟ أتريدين أن تصبحي الملكة؟ ما هذا الجنون؟

وفي تلك الليلة كان الملك يتفقد الرعية، ليعرف أحوال أهل بلده الفقراء الذين يحكمهم، حتى يرفع عنهم الظلم ويحقق في شكاواهم، ووقف في أثناء سيره عند السور الحديدي الذي كانت الشقيقات جالسات خلفه يتحدثن عن آمالهن وسمع كلامهن كله، فوضع علامة على باب البيت كي يميزه عن غيره من بيوت الفقراء وفي الصباح بعث رسولًا وصف له البيت والعلامة التي تركها على بابه، وأمره أن يأتي إليه بالشقيقات الثلاث. فلما حضرن بين يديه في القصر الملكي، وهو جالس على عرشه، ومن حوله عظماء الدولة وأمراؤها، قال لهن: لا تخفن أنتن في أمان، وقد عرفت أنكن يتيمات لا أب لكن ولا أم، وأنكن فقيرات ولكني أريد أن أحقق لكل منكن رغبتها في الزواج ممن تتمنى الزواج به، فمن منكن التي تمنت الزواج من طباخي؟

فقالت له الكبرى: أنا يا مولاي! ومن منكن التي تمنت الزواج من صانع فطائري؟ فقالت الوسطى أنا أبقاك الله يا مولاي! اعلما إذن أن احتفال زواجكما من طباخي وصانع فطائري سيقام بعد أسبوعين، وفي هذه المدة يتم إعداد أفخر الثياب لكما والأثاث لبيتيكما الجديدين على حسابي الخاص، وسأمنح كلا منكما عشرة آلاف ريال مهرًا لها، فكادت الأختان المحظوظتان تطيران من الفرح، وقدمتا الشكر الجزيل للملك على كرمه وعطفه، وفكرتا في الانصراف، وفي ظنهما أن المقابلة الملكية قد انتهت، ولم يخطر ببالهما أن الملك يمكن أن يجازي أختهما الصغرى على غرورها الشديد بغير العقاب، أو علي الأقل بغير اللوم والتأنيب، ولكن ما كان أعظم دهشتهما عندما التفت الملك إلى الصغرى وقال لها بلطف: أعيدي على سمع هؤلاء السادة الحاضرين ما قلته لأختك بالأمس، كي أحقق لك هذا الأمل! فاحمر وجه الفتاة من شدة الخجل والارتباك، وظنت أن الملك يسخر منها، واندفعت الدموع إلى عينيها الجميلتين، فقال لها الملك: ألم تقولي أتمنى أن أتزوج الملك؟ فخفضت رأسها، وضحكت أختاها من الموقف الحرج الذي أوقعت نفسها فيه بغرورها، ولكن ما كان أعظم غيظهما حينما وقف الملك وتناول يدها وقال لعظماء مملكته الواقفين من حول عرشه:

ها هي ذي خطيبتي! وأقيمت حفلات العرس الثلاثة في يوم واحد، ولكن الأختين الكبيرتين كانتا في غم شديد، وقد كرهتا واحتقرتا ما ظفرتا به من تحقيق أمل كان منذ أسبوعين رمز السعادة التي لا حد لها، ولم يعد في قلبيهما إلا الحسد والحقد على أختهما الصغرى التي صارت ملكة البلاد، أما هما فزوجتان لرجلين من خدمها. وكسبت الملكة الصغيرة بسرعة محبة جميع رعاياها لطيبة قلبها ورقتها وتواضعها. أما زوجها الملك فكان حبه لها يزيد كل يوم بما لمسه فيها من إخلاص ووفاء، ولطاعتها التامة له وحرصها على كل ما يرضيه وابتعادها عن كل ما لا يعجبه.

وبعد سنة اضطر الملك للسفر إلى حدود بلاده حيث كانت الحرب قائمة بينه وبين مملكة مجاورة له، وبعد سفره ببضعة أيام ولدت الملكة طفلين توأمين: أحدهما ولد، والآخر بنت، وكان جمالها باهرًا كنور الشمس، فلا غرابة أن أختي الملكة اللتين لم ترزقا أطفالًا شعرتا بنيران حسدهما وحقدهما تزيد اشتعالًا، فانتهزتا فرصة نوم الملكة وخطفتا الطفلين سرًا، فلم يشعر بذلك أحد من أهل القصر، ووضعتاهما في سلة صغيرة، وقذفتا السلة في النهر، ثم بعثتا رسولًا إلى الملك يخبره أن الملكة بعد أن ولدت بنتا وولدا أخفتهما في مكان مجهول؛ لأنها ساحرة شريرة ورجع الملك بسرعة إلى القصر، وسأل الخدم فقالوا كلهم: إن الملكة ولدت طفلين توأمين ولكنهما اختفيا بعد ذلك، ولا يدري أحد كيف حدث هذا، ولم يشك أحد في الأختين. أما الملكة المسكينة فلم تجد ما تدافع به عن نفسها إلا البكاء، فاعتقد الملك أنها مذنبة، ولكن قلبه لم يطاوعه على قتلها، وسجنها في حجرة بعيدة في القصر وأقسم ألا يراها طول عمره. أما السلة فشاءت رحمة الله ألا تغرق في النهر بل حملها التيار إلى مكان بعيد تحت شفة قصر تحيط به الحدائق الجميلة، يسكنه تاجر كبير السن طيب القلب يمتلك ثروة عظيمة جدًا. ورأى ذلك التاجر المسن السلة، فأمر خدمه بإخراجها من الماء وفتحها فأدهشه جمال الطفلين، ورق لهما قلبه، وحملهما على الفور إلى زوجته قائلًا: انظري ماذا بعث الله إلينا! ليس لنا أولاد، وهذان سيكونان مصدر سعادتنا في شيخوختنا كأنهما طفلانا. واختارا لهما اسم (جميل) و(جميلة) وأحباهما ورَبَّياهما بكل حب وحنان والطفلان يزيدان في كل يوم صحة وجمالًا، ويمرحان في القصر وحدائقه في سعادة وأمان وبعد خمس عشرة سنة ماتت زوجة التاجر، وأحس التاجر أيضًا أن عمره قارب نهايته، فأخبرهما بحقيقة أمرهما وكيف عثر عليهما طافيين في السلة فوق وجه الماء وطلب منهما أن يقسما له على الحياة في ذلك القصر، وألا يفترقا في أي وقت؛ لأنه ترك لهما كل ثروته ليعيشا في راحة وسعادة. فلما أقسما على ذلك قال لهما: وعندما تكبران حاولا أن تعرفا أبويكما الحقيقيين، وأوصيكما إذا عرفتماهما أن تكرماهما

وتحترماها وتحباها، وليسعدكما الله طول حياتكما مثلما ملأتما شيخوختنا بالبهجة والسعادة! وبعد بضعة أيام مات التاجر الشيخ وتركهما وحيدين. ولبث جميل وجميلة عامًا كاملًا لا يخرجان من قصرهما وفاء بعهدهما للشيخ ألا يفترقا. ولكن جميلة كانت تعلم مبلغ حب أخيها للصيد، فألحت عليه أن يخرج للصيد كما كان يخرج من قبل فأصر جميل على أن تصحبه. وفي إحدي رحلات الصيد التي ذهبا فيها إلى بعيد رأتهما خالتهما زوجة صانع فطائر الملك، ولاحظت على الفور أنهما يشبهان تمامًا أختهما الملكة فأسرعت إلى أختها الكبرى زوجة طباخ الملك وقصت عليها ما رأته، واستولي عليهما الخوف، وقد تأكد لديهما أن الطفلين لم يغرقا، وربما عرف بأمرهما الملك، فتعود أختهما إلى عرشها ويقتلهما الملك عقابًا لهما، هبتا إلى ساحرة عجوز كي تقضي على الأخوين وكانت جميلة قد تعبت من كثرة الخروج مع أخيها للصيد، فألحت عليه أن يتركها بعد ذلك ويخرج بمفرده وأطاعها جميل، وخرج ذات يوم، ولما ابتعد أتت امرأة عجوز تطلب مقابلة، وما أن رأتها حتى صاحت ما شاء الله! لقد كبرت وزاد حسنك إشراقًا! أنا صديقة أمك، رحمها الله ولم أرك منذ كنت طفلة صغيرة، وقد أحببت اليوم أن اطمئن عليك، وها أنا ذا أرى القصر أحسن وأنظف وأظرف مما كان، وهذا يدل على مهارتك وحسن ذوقك وكم أحب أن أرى بقية حجراته كي يتم فرحي بك يا ابنتي العزيزة.

وطافت معها جميلة أنحاء القصر، تبدي إعجابها بالأثاث، والأعمدة الرخامية والستائر الفاخرة المزخرفة بالذهب والفضة، ثم خرجت معها إلى الحديقة فقالت العجوز: هذه الحديقة بديعة، ولا ينقصها إلا شيء واحد كي تكون أجمل مما هي الآن ألف مرة! وما هو هذا الشيء يا خالة؟ الماء الفضي! وأين يوجد هذا الماء؟ سأشتريه مهما غلا ثمنه! إنه لا يباع حتى تشتريه، فهو لا يوجد إلا في جبل العجائب حيث نافورة الفضة، ويكفي أن تصبي قليلًا منها في هذا الحوض كي يتحول ماؤه إلى فضة سائلة فاطلبي من أخيك أن يذهب إلى جبل العجائب ويأتيك بشيء من الماء الفضي وانصرفت العجوز، وانتظرت جميلة عودة أخيها من الصيد، حتى إذا دخل من باب القصر توسلت إليه أن يذهب حالًا إلى جبل العجائب ليأتيها بالماء الفضي، فقال لها: وما حاجتنا إلى هذا الماء؟ إن قصرنا جميل جدًّا هكذا! بل ينقصه الماء الفضي! لقد وعدت ألا أفارقك، ولن أتركك وحدك، لأذهب إلى مكان لا نعرف عنه شيئًا! فبكت جميلة حتى رق لها قلب أخيها ورضي بالذهاب إلى جبل العجائب ليأتيها بالماء الفضي، فأخذ جرة صغيرة، وركب أفضل حصان عنده، وراح يسأل من يصادفه عن الطريق إلى جبل العجائب، ولما وصل إلى مسافة قريبة منه أبصر شيخًا أبيض الشعر جالسًا تحت شجرة، فألق عليه السلام، فقال له الشيخ من هذا العدو الذي يكرهك جدًّا حتي

أرسلك إلى هنا؟ إن أختي هي التي أرسلتني، وهي تحبني أعظم الحب، ولكن العجوز الملعونة جعلتها تشتهي الماء الفضي لتزين به نافورتنا، أنت فتي طيب القلب، وليس الطمع سبب حضورك إلى هنا، ولذا سأساعدك، ولكن اعلم أن جميع من ذهبوا إلى جبل العجائب لم يرجعوا! قال جميل: أتمنى يا عمي، أن تجعلني نصائحك أسعد منهم حظًا، قال الشيخ: اصعد بين الصخور، هذا الأسد هوحارس النافورة المسحورة، فإذا رأيت عينيه مقفلتين فقف مكانك؛ لأنه يراقبك متظاهرًا بالنوم، أما إن وجدت عينيه مفتوحتين فاعلم أنه نائم، وسر أمامه ولا تخف، وخذ من النافورة الماء الذي تريده وعد بسرعة قبل أن يستيقظ، لأن نومه خفيف! وشكر جميل الشيخ الطيب وأخذ يصعد الجبل، وبعد قليل لمح بين الصخور الخضراء الشفافة نافورة ماؤها يلمع كأنه الفضة، وإلي جانبها أسد مفتوح العينين، فمر جميل أمامه بخفة، وملأ الجرة وعاد بأقصى سرعة. ولما رأته جميلة يدخل عليها بالماء الفضي احتضنته وأخذت ترقص من شدة الفرح وصبت الماء في النافورة فصار ماؤها كله لامعًا كالفضة السائلة، لا تمل العين من النظر إليه والإعجاب به.

وفي اليوم التالي عادت العجوز لزيارة جميلة فقالت لها تعالي وانظري ماذا أحضر لي أخي بالأمس! وعندما أبصرت العجوز الماء الفضي اصفر وجهها من شدة الغيظ؛ لأنها كانت تأمل أن يفترس الأسد ذلك الشاب، ولكنها كتمت شعورها وتظاهرت بالإعجاب والفرح، ثم هزت رأسها وقالت: أتدرين يا بنتي أن نافورتك الآن لا ينقصها كي يتم حسنها إلا أن تغرسي بجوارها الشجرة ذات الأوراق الذهبية، بحيث ينبعث الشعاع الفضي متراقصًا من النافورة لتقابله الأشعة الذهبية الصادرة من أوراق الشجرة، فيكون لها أجمل منظر! قالت جميلة: وأين توجد هذه الشجرة يا خالة؟ في جبل العجائب يا جميلة! ليذهب جميل أخوك إلى هناك وسيجد بقرب النافورة الفضية شجرة ضخمة ذات أوراق ذهبية يأخذ منها فرعًا صغيرًا يغرسه هنا فينمو في ليلة واحدة ويصبح بسرعة شجرة تغني كل ورقة من أوراقها الذهبية لحنًا جميلًا عندما يداعبها النسيم.

سأبعث أخي لإحضار هذا الفرع يا خالة غدًا، حتى إذا عدت بعد بضعة أيام رأيت كل شيء كما وصفت، وانصرفت العجوز الماكرة، وتركت جميلة لا تفكر إلا في الشجرة التي تريدها من كل قلبها حتى أنها لم تعد تجد لذة في النظر إلى نافورتها الفضية، ولكن أخاها رفض في أول الأمر أن يذهب لإحضار الغصن السحري، إلا أن جميلة جعلت تبكي حتى لان قلبه، فركب حصانه واتجه إلى جبل العجائب ومر جميل من أمام الشيخ الطيب الذي سأله أين هو

ذاهب؟ فحدثه جميل بكل شيء، فقال ما دمت لم تأت إلى جبل العجائب هذه المرة أيضًا إلا بسبب محبتك لأختك، لا بسبب الطمع، فسوف أساعدك. اعلم أن الشجرة الذهبية لا توجد مثلها بين أشجار الجبل، وستجدها قرب النافورة الفضية، وبجوارها ثعبان هائل. قف وانظر إليه جيدًا، فان كان جسمه ملتفًا في حلقات ورأسه مختفيًا بين هذه الحلقات، فاعلم أنه يراقبك وابتعد، أما إن رأيته رافعًا رأسه، وكان عيناه المفتوحتان تحملقان في الشمس، فاعلم أنه نائم وانزع بسرعة فرعًا صغيرًا من الشجرة، وأنت على ظهر حصانك، واحذر أن تلمس قدمك الأرض، ثم عد بأسرع ما تستطيع قبل أن يستيقظ الثعبان.

وشكر جميل الشيخ الطيب، وصعد الجبل، ومر من أمام النافورة الفضية فرأى على مسافة قليلة منها شجرة ضخمة تغطي فروعها مساحة عظيمة جدًّا، وأوراقها الذهبية تلمع في الشمس ويعبث بها النسيم، فتصدر عنها موسيقى بديعة، وبقربها ثعبان هائل، رافع الرأس يحملق في الشمس، ولم يتحرك الثعبان عندما مر من أمامه جميل على حصانه وكسر فرعًا من الشجرة وأسرع عائدًا من حيث أتي. ولما مر جميل في طريق عودته بالشيخ الطيب، شكره جميل أجزل الشكر، ودعا له الشيخ أن يحفظه الله من مكايد الأشرار، وأن يقيه سبحانه وتعالى شر الحسد والطمع قائلًا له: إن الطمع يا بني من أخبث العيوب فإياك والطمع! واعلم أيضًا أن الحسد عيب كبير يدفع صاحبه إلى ارتكاب الجرائم وتدبيرها في كثير من الأحيان، وقد أحببتك لأنك فتي طيب شجاع، ولأنك لا تأتي إلى جبل العجائب طلبًا لما فيه من أشياء ثمينة يتلهف عليها معظم الناس، بل تأتي إرضاء لأختك الصغيرة التي لا تقتنع بشيء. وإني تقديرًا لطيبة قلبك أقدم لك هذه المرآة المسحورة هدية تنفعك إن شاء الله في وقت الشدة.

فما دمت في خير فهي صافية. أما إذا تعرضت لخطر كبير فسيسود الظلام والضباب. فخذها يا بني وتوكل على الله. فأخذ جميل المرآة السحرية من الشيخ الطيب، وشكره مرة أخري ومضى في طريقه مسرعًا نحو بيته واستقبلت جميلة أخاها بالأحضان والقبلات وغرست الفرع بجوار النافورة، وفي اليوم التالي وجدته قد صار شجرة كبيرة كثيرة الأغصان، وأوراقها الذهبية ترسل أعذب الألحان كلما داعبها النسيم، فقالت الآن يا أخي تمت سعادتي، ولن نفترق!

ولما عادت العجوز الخبيثة، ورأت الشجرة الذهبية، كادت تموت من الغيظ، ولكنها تظاهرت بالسرور، وقالت لجميلة: بديعة حقًّا هذه الشجرة ولا مثيل لها، ولكن حسنها لا يتم إلا إذا عاش بين فروعها الطائر السحري الرائع، إن لونه أبيض لامع كالثلج حين تشرق عليه

أشعة الشمس، وفي ذيله ريشة من ذهب وريشة من فضة، وهو يجيد الكلام، ولا يقول إلا الصدق، ويعرف كل شيء ومن ملكه عاش سعيدًا طول عمره.

وأين يوجد هذا الطائر السحري يا خالة؟ في جبل العجائب أيضًا يا بنتي، وسيعرف أخوك كيف يحصل عليه. وخرجت العجوز الشريرة وهي متأكدة هذه المرة أن جميلًا لا يمكن أن يعود سالمًا من هذه المغامرة الخطرة.

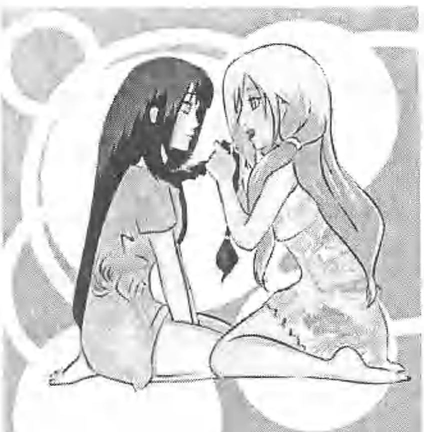
أما جميلة فبكت بدموع غزيرة حتى رضي جميل بصعوبة أن يذهب إلى الجبل للمرة الثالثة، ليحضر لها الطائر السحري، بعد أن حلفت له أنها لن تطالبه بشيء آخر بعد ذلك، وقبل أن يركب حصانه ويذهب في المغامرة قال لها اعلمي يا أختي أن جبل العجائب كثير المخاطر، وقد نجاني الله من مخاطره مرتين، ولولا إرشادات الشيخ الطيب لي لما نجوت ولكنت من الهالكين. وقد حذرني هذا الشيخ الطيب من الحسد والطمع. أما الحسد فليس من عيوبك. ولكنني للأسف الشديد أراك لا تقتنعين بشيء حصلت عليه، ومع هذا أراك مصممة على امتلاك هذا الطائر السحري، ولا أريد أن أرى وجهك حزينًا لأي سبب مهما كلفني ذلك من المشاق والأخطار، ولهذا سأتوكل على الله وأذهب مرة ثالثة إلى هذا المكان المخيف، ولكنني سأترك لك شيئًا يطلعك على أخباري. فخذي هذه المرآة المسحورة، وانظري فيها كل صباح فإن رأيت صفحتها مظلمة فاعلمي أني في خطر عظيم، وبكت الفتاة خوفًا على أخيها ولكن رغبتها في الحصول على الطائر السحري كانت أقوى من كل شيء، فتركت أخاها يذهب، ووجد جميل الشيخ الطيب جالسًا في مكانه المعتاد وحكى له ما طلبته منه أخته، وكيف بكت ووعدته أن هذا آخر طلب تطلبه منه، فقال له الشيخ الطيب ما أعظم حبك لأختك! لهذا سأساعدك، ولكن اعلم أن جميع من ذهبوا للحصول على هذا الطائر الذي ليس له مثيل لم يرجعوا. اصعد الجبل واترك النافورة الفضية والشجرة الذهبية إلى أن تدخل حديقة واسعة خالية من الشجر وفيها أحجار ضخمة. قف هناك وانتظر إلى أن ترى الطائر الذي وصفته لك أختك ينزل ويقف على صخرة ويغني بكلام مفهوم، ثم يضع رأسه تحت جناحه، فلا تلمسه إلى أن تتأكد أنه نام تمامًا؛ لأنه إذا تنبه وأفلت منك تحولت في الحال إلى قطعة حجر كبيرة مثل جميع من سبقوك! وفعل جميل ما نصحه به الشيخ الطيب، إلى أن رأى الطائر السحري يقف على صخرة كبيرة ويهز ذيله الذهبي والفضي ويغني أنا طائر الحقيقة! من يمسكني؟ إن لم يكن أحد يريدني هذا اليوم! سأنام! ووضع الطائر رأسه تحت

جناحه وسكت. وكان صبر جميل قد فرغ فلم ينتظر وقتًا كافيًا كما نصحه الشيخ الطيب، ومد يده ليمسكه فصاح الطائر وطار بعيدًا، وتحول جميل إلى حجر مثل بقية ما حوله من أحجار.
وفي ذلك الصباح رأت جميلة المرآة السحرية مظلمة جدًا، فأدركت أنها السبب في هلاك أخيها وجعلت تبكي إلى أن دخلت عليها العجوز الشريرة وقالت لها البكاء لا ينفع. إن كنت قلقة على أخيك فاذهبي وابحثي عنه! وكانت تقصد بهذا أن تهلك جميلة كما أهلكت أخاها جميلًا.
وركبت جميلة حصانًا وذهبت إلى جبل العجائب، فرآها الشيخ الطيب وسألها عن سبب حضورها، فحكت له كل شيء وهي تبكي فقال لها ألست تريدين الحصول على الطائر السحري؟ لا يهمني الآن شيء إلا إنقاذ أخي العزيز! سأساعدك يا ابنتي لأن حبك لأخيك هو سبب حضورك وليس الطمع. اعلمي أنك ستقابلين الأسد والثعبان، وأنهما سيهجمان عليك لتخويفك، فلا تخافي وتقدمي على حصانك إلى أن تصلي إلى حديقة الطيور وعليك أن تمسكي الطائر السحري لأنه وحده الذي سيقول لك ماذا يجب أن تفعلي لإنقاذ أخيك وتذكري جيدًا أنك يجب أن تصبري حتى ينام الطائر نومًا عميقًا قبل أن تمدي يدك إليه وإلا تحولت إلى حجر مثل أخيك. واعلمي يا بنتي أنك أنت التي تسببت في هلاك أخيك؛ لأنك أنت التي دفعته إلى هذه المخاطر، ولم تبالي بما يحدث له في سبيل إرضاء طمعك. فعليك الآن أن تبرهني على توبتك بما تظهرينه من الصبر حتي ينام الطائر وتتأكدي من أنه نام نومًا عميقًا. وأنا أعلم أن هذا الصبر امتحان صعب أشد الصعوبة على فتاة مثلك شديدة اللهفة على إنقاذ أخيها من الموت الذي كانت هي السبب فيه، ولكن هذا الامتحان الصعب هو الدليل الوحيد على توبتك، وقوة إرادتك، وعدم اندفاعك وراء رغباتك مهما كانت قوية، والآن اذهبي على بركة الله ولا تنسي وصيتي هذه. ونفذت جميلة نصائح الشيخ بدقة خطوة بخطوة، وبعد أن انتهى الطائر من غنائه ووضع رأسه تحت جناحه انتظرت جميلة وقتًا كافيًا لتتأكد من نومه نومًا عميقًا، ومدت يدها وقبضت عليه، وطلبت منه أن يخبرها أين أخوها، فقال لها: إنه حجر وسط هذه الأحجار لا يعود إلى شكله الأصلي إلا إذا رششته بماء النافورة الفضية، وأنت الآن سيدتي ومالكتي وسأخدمك بأمانة وإخلاص فهيا بنا إلى النافورة. ولما رأي الأسد الطائر فوق يد جميلة سجد تحت قدميها، وأرشدها الطائر إلي جرة من البلور وسط الصخور الخضراء فملأتها من النافورة وعادت فرشت من مائها على الحجارة وكلما رشت حجرًا تحول إلى فارس أو أمير على ظهر حصانه ولكن أخاها ليس بينهم، إلى أن رشت آخر ما تبقي من الماء الفضي على آخر حجر فتحول إلى أخيها وتعانقا بفرح عظيم، وشكرها

الفرسان والأمراء؛ لأنها أعادتهم إلى الحياة، وعادوا كلهم في موكب كبير، وجميلة تحمل على يدها الطائر السحري الذي صار ملكًا خالصًا لها، وصديقًا مخلصًا وفي القصر عشش الطائر السحري في الشجرة الذهبية وأخذ يغني بأعزب الألحان ولما حضرت الساحرة الشريرة لترى نتيجة مكيدتها صاح الطائر بها اخرجي أيتها الساحرة الملعونة وإلا نقرت عينيك وأكلت مخك! فخرجت العجوز تجري وهي تصرخ من الفزع، وماتت بعد يومين من شدة الغيظ، وقال الطائر للأخوين جاء الوقت لتعرفان فيه أباكما وأمكما. ليذهب جميل إلى قصر الملك فيدعوه ليشاهد ثلاث عجائب لا يوجد مثلها عند أحد في الدنيا كلها! وأطاعه جميل، وذهب فدعا الملك لزيارة بيته قائلًا: إني أعلم يا ملك الزمان أنك أعظم ملوك الدنيا كلها، وأن عندك من الأموال والأشياء الثمينة والتحف الغريبة، والمخلوقات العجيبة ما ليس له مثيل عند أحد على وجه الأرض. ولكن الله جل شأنه ليس لكرمه حدود قد أنعم سبحانه وتعالي على عبدين متواضعين من عباده، هما أنا وأختي جميلة، بأشياء ثلاث ليس لها نظير عند أحد ولما كنت أعلم يا ملك الزمان أنك تحب العجائب وتسر بمشاهدتها فقد أتيت وتجاسرت على دعوة جلالتكم لتشرفوا بيتنا المتواضع أعظم التشريف، ولتشاهدوا ما أنعم الله به على اثنين من رعاياك يحبانك أعظم الحب ويخلصان لك حتى الموت، فسر الملك من تهذيب جميل وحسن منظره، ورقيق كلامه، وذهب في اليوم التالي بموكب عظيم مهيب إلى بيت جميل، واستقبله الأخوان بأعظم احترام، وأجلساه تحت الشجرة الذهبية بجوار النافورة الفضية، وهو متعجب من جمال وغرابة ما يراه، وغنى له الطائر السحري منشدًا: مرحبًا بك وأهلًا يا ملك الزمان! فلم يصدق الملك أذنيه، وقال هذا حقًا شيء لا يصدقه العقل! فأجابه الطائر هناك شيء آخر أغرب من هذا كله يا ملك الزمان! ولكنك صدقته! وما هوأيها الطائر العجيب؟ أنسيت يا ملك الزمان زوجتك الملكة؟ كيف صدقت أن سيدة طيبة مثلها يمكن أن تقتل طفليها أوتسحرهما كما قالوا لك؟ الملكة بريئة يا ملك الزمان. وهذان الأخوان هما ابنك وابنتك وارتمى جميل وجميلة في أحضان الملك الذي أخذهما إلى قصره ليعتذر للملكة ويعيدها لعرشها، ويعيشوا كلهم في سعادة، ولكن الطائر السحري سبقهم إلى هناك ودخل على الأختين الشريرتين زوجة الطباخ وزوجة صانع الفطائر فوجدهما جالستن إلى المائدة تأكلان وصرخ فيهما بصوت أفزعهما: الملك وجد ابنه وابنته وهو يطلب حضوركما أمامه! وكانت زوجة صانع الفطائر قد وضعت في فمها زلابية كبيرة فوقفت في حلقها وماتت! أما زوجة الطباخ فخافت العقاب الذي تستحقه وأغرقت نفسها في بئر. اتجه الملك فورًا مع ابنه

وابنته، هذا عن يمينه وتلك عن يساره، إلى الجناح الذي كان قد حبس فيه أمهما الملكة فوجدوها عند دخولهم عليها راكعة تصلي ووقع نظرها عليهم والفرحة بادية على وجوههم، وكانت هذه أول مرة ترى فيها وجه الملك منذ سنوات طويلة جدًّا، ولكنها لم تترك صلاتها بل أتمتها على أحسن وجه. ولما فرغت منها ارتسمت على وجهها علامات السرور والدهشة العظيمة معًا. وفتحت فمها لترحب بالملك وتسأله من هذان، ولكن الفتى والفتاة لم يتركا لها فرصة للكلام، بل ألقيا بنفسيهما على صدرها وهما يصيحان أماه! أماه وقص عليها الملك قصتهما، وكيف هداه الله إليهما بفضله، وأثبت براءتها، ففاضت دموعها ودموع الفتى والفتاة سرورًا وشكرًا لله، وفاضت دموع الملك أيضًا وهو يسألها الصفح عنه، فصفحت صفحًا جميلًا.

ذات الشعر الأشقر... أسطورة شعبية أوربية



في يوم من الأيام أمسكت الساحرة رجلًا في حديقتها وهو يقطف بعض نباتات الخس، فقالت له: بخبث سوف أتركك تعيش إذا وعدتني أن تعطيني أول طفل يولد لك، وافق الرجل، وبعد سنتين، رزقت زوجة الرجل بطفلة صغيرة، كانا حزينين جدًّا عندما أتت الساحرة وأخذت الطفلة منهما، كان اسم الطفلة ذات الشعر الأشقر ولكن الساحرة غارت من جمال ذات الشعر الأشقر، وفي عيد ميلاد الفتاة الثاني عشر حبستها الساحرة في برج عال، له نافذة واحدة وليس له أبواب، وفي كل يوم كانت الساحرة تأتي لتزور ذات الشعر الأشقر، كانت تنادي: يا ذات الشعر الأشقر أنزلي لي شعرك وكانت الفتاة تنزل إليها ضفيرتها الطويلة، كانت الساحرة تتسلق الظفيرة الذهبية لكي تحضر لها الطعام، وفي أحد الأيام سمع أمير وسيم نداء الساحرة وراقبها وهي تتسلق الظفيرة، وبعد أن غادرت الساحرة نادى الأمير: يا ذات الشعر الأشقر أنزلي لي شعرك وتسلق الأمير وعندما التقيا أعجبا ببعضهما لكن الساحرة اكتشفت ما يفعله الأمير وفي اليوم التالي أتى الأمير ليتسلق شعر الفتاة قصت الساحرة شعرها وسقط الأمير وأرسلت ذات الشعر الأشقر إلى مكان بعيد ولحسن الحظ أن الأمير سقط على شجرة ولم يصب بأذى وبحث عن ذات الشعر الأشقر ووجدها وتزوجا وعاشا فى سعادة.

الفتاة والعرسان الثلاثة... أسطورة شعبية هندية

يحكى أنه في يوم من الأيام كان هناك فتاة صغيرة جميلة وبعد فترة من الزمن كبرت الفتاة الصغيرة وأصبحت عروسًا شابة جميلة جدًّا، وأصبح العرسان يطرقون بابها، وتقدم لخطبتها ثلاثة من أغنى وأوسم شباب القرية وكان لهذة الفتاة والد حكيم فسألته رأيه في العرسان الثلاثة، فقال لها: لقد كبرتي ففكري واختاري بقلبك ومرت الأيام والشهور والفتاة تفكر وتفكر وفي يوم من أيام الصيف الحارة مرضت الفتاة مرضًا شديدًا وكان القلق يعم المكان وماتت الفتاة بسبب المرض، وحزن والدها والعرسان الثلاثة حزنًا شديدًا فقرر كل من العرسان فعل أمور مختلفة، فقرر الأول أن يكون في خدمة والدها وأن يلبي احتياجاته، والثانى قرر المكوث بجوار قبرها لتلبية احتياجات روحها، أما الثالث فقرر السياحة فى الأرض لأنه لن يقوى على المكوث في مكان لا تتواجد فيه الفتاة وفي إحدي الأيام الغريبة صادف قرية فى مكان غريب لم يسمع عنه من قبل، فقرر مقابلة حكيم القرية فسأل على بيته وذهب اليه واستضافه الحكيم لتناول العشاء وأثناء العشاء كان حفيد الحكيم يبكى فأمره الحكيم بالسكوت فلم يسكت، فقام الحكيم من مكانه وألقى بحفيده فى نار المدفئة فقام الرجل من مكانه مفزوعًا فقال له الحكيم يا أخى أكمل عشاءك، فقال: لا أستطيع فقال له الحكيم لا تستغرب ما رأيت فسترى أغرب منه وجلس الرجل مرعوبًا وبعد العشاء قام الحكيم إلى المدفئة وألقى فيها بودرة سحرية، فقام حفيده من المدفئة ليس به أي ضرر كأنه كان نائمًا فتعجب الرجل مما حدث وطلب من الحكيم بعضًا من هذة البودرة فسألة الحكيم لماذا؟ فقص علية قصته والفتاة التى يحبها فأعطى له الحكيم ما طلب وذهب الرجل إلى بلده سعيدًا، وعندما ذهب اجتمع والد الفتاة والعرسان الثلاثة وحكي لهم الرجل ما حدث فقرروا أن يلقوا بالبودرة على الفتاة، وعندما تستيقظ يقصوا عليها ما حدث وماذا فعل العرسان الثلاثة وتختار هى عريسها، فقاموا بإلقاء البودرة على الفتاة فقامت واستيقظت وليس بها شيء فقصوا عليها ما حدث وماذا فعل العرسان الثلاثة في غيابها وتركوا لها الخيار لتقرر من يكون عريسها، فقالت للاول: لقد تصرفت كتصرف الأخ، وقلت للثانى: لقد تصرفت كعاشق، وقالت للثالث: لقد تصرفت كأنك حكيم وجلست الفتاة تفكر فيمن يكون عريسها؟! وأختارت الفتاة الشاب الثانى، لأنه فكر كعاشق.

الثروة والنجاح والمحبة... أسطورة شعبية بريطانية مترجمة

خرجت إمرأة من منزلها فرأت ثلاثة شيوخ لهم لحى بيضاء طويلة وكانوا جالسين في فناء منزلها لم تعرفهم، وقالت لا أظنني أعرفكم ولكن لابد أنكم جوعى! أرجوكم تفضلوا بالدخول لتأكلوا.

سألوها: هل رب البيت موجود؟

فأجابت:لا، إنه بالخارج.

فردوا: إذن لا يمكننا الدخول.

وفي المساء وعندما عاد زوجها أخبرته بما حصل، قال لها:إذهبي اليهم واطلبي منهم أن يدخلوا! فخرجت المرأة وطلبت إليهم أن يدخلوا.

فردوا: نحن لا ندخل المنزل مجتمعين.

سألتهم: ولماذا؟

فأوضح لها أحدهم قائلًا: هذا اسمه الثروة وهويومئ نحو أحد أصدقائه، وهذا النجاح وهويومئ نحوالآخر وأنا المحبة، وأكمل قائلًا: والآن ادخلي وتناقشي مع زوجك من منا تريدان أن يدخل منزلكم!

دخلت المرأة وأخبرت زوجها ما قيل. فغمرت السعادة زوجها وقال: ياله من شيء حسن، وطالما كان الأمر على هذا النحوفلندعوا الثروة!. دعيه يدخل ويملأ منزلنا بالثراء! فخالفته زوجته قائلة: عزيزي، لم لا ندعو النجاح؟

كل ذلك كان على مسمع من زوجة ابنهم وهي في أحد زوايا المنزل، فأسرعت باقتراحها قائلة: أليس من الأجدر أن ندعوا المحبة؟، فمنزلنا حينها سيمتلئ بالحب!

فقال الزوج: دعونا نأخذ بنصيحة زوجة ابننا! اخرجي وادعي المحبة ليحل ضيفًا علينا!

خرجت المرأة وسألت الشيوخ الثلاثة: أيكم المحبة؟ أرجوأن يتفضل بالدخول ليكون ضيفنا، نهض المحبة وبدأ بالمشي نحو المنزل، فنهض الإثنان الآخران وتبعاه! وهي مندهشة سألت المرأة كلا من الثروة والنجاح قائلة: لقد دعوت المحبة فقط، فلماذا تدخلان معه؟

فرد الشيخان: لوكنت دعوت الثروة أو النجاح لظل الإثنان الباقيان خارجًا، ولكن كونك دعوت (المحبة) فأينما يذهب نذهب معه.. أينما توجد المحبة، يوجد الثراء والنجاح.

A woman came out of her house and saw three old men with long white beards sitting in her front yard. She did not recognize them. She said "I don't think I know you، but you must be hungry. Please come in and have something to eat.

Is the man of the house in home? "they asked.

No "، she replied. "He's out.

Then we cannot come in "، they replied.

In the evening when her husband came home، she told him what had happened

Go tell them I am in home and invite them in.

The woman went out and invited the men in.

We do not go into a House together! "they replied

Why is that? "she asked.

One of the old men explained: "His name is Wealth، "he said as pointing to one of his friends، and said، pointing to another one ، "He is Success، and I am Love. "Then he added، "Now go in and discuss with your husband which one of us you want in your home.

The woman went in and told her husband what was said. Her husband was overjoyed. "How nice! "he said. "Since that is the case، let us invite Wealth. Let him come and fill our home with wealth!His wife disagreed. "My dear، why don't we invite Success?

Their daughterinlaw was listening from the other corner of the house. She jumped in with her own suggestion: "Would it not be better to invite Love? Our home will then be filled with love.

"Let us heed/follow our daughterinlaw's advice، "said the husband to his wife!

"Go out and invite Love to be our guest.

The woman went out and asked the three old men ، "Which one of you is Love? Please come in and be our guest.

Love got up and started walking toward the house. The other two also got up and followed him. Surprised، the lady asked

Wealth and Success: "I only invited Love ; Why are you coming in?

The old men replied together: "If you had invited Wealth or Success، the other two of us would've stayed out، but since you invited Love، wherever He goes، we go with him. Wherever there is Love، there is also Wealth and Success.

الكريم والشيطان... أسطورة شعبية هندية

يروى أن رجلًا كريمًا لقي الشيطان في عرض الطريق ولم يقدم له التحية، فغضب وسأله: لمَ لم تقدم لي التحية؟ فأجاب الرجل: لأنك علة كل شقاء وشر في العالم! فقال الشيطان: أخالك مخطئًا يا صاحب في هذا الزعم، فأنا لست كذلك تعال معي وانظر بعينيك وسار الاثنان إلى مكان السوق الخاصة بالبيع والشراء ودخل الشيطان دكان بائع الحلوى، وكان على الأرض وعاء من العسل الأسود، فوضع الشيطان إصبعه فيه ورسم علامة بالعسل فوق جدران الدكان، وحالًا أخذ الذباب يتجمع حول العسل ثم خرجت السحالي من مخابئها لتتلقف الذباب وتلتهمه، وبعد ذلك راحت قطة صاحب المحل تطارد السحالي وتطردها، وأبصر كلب الجيران القطة، فهم هو الأخر بمطاردتها، وقلب وعاء العسل وأساله فوق الأرض فاستشاط صاحب الدكان غيظًا من جاره صاحب الكلب، وانقلب النزاع باللسان لكمًا وضربًا، وانقسم أهل الحي فريقين مع الخصمين، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين انجلت عن عدد من القتلى والجرحى وخسائر مادية! والتفت الرجل الهندي إلى الشيطان وقال له: أرأيت؟ ألم أقل لك أنك علة كل شقاء وشر في العام؟

فأجابه الشيطان: أنا لم أفعل شيئًا غير نقطة العسل التي رسمتها بإصبعي على الجدار![1]

(١) في هذه القصة نرى حبك الشيطان لخططه، فهو يعلم أن الذباب يحوم حول العسل وأن السحالي تلتهم الذباب، وأن القطة تطارد السحالي وأن الكلب عدو القطة، وعلم أن هذه المعركة بين الحيوانات ستجر في أذيالها أهل القرية جميعًا، والشيطان ماكر خبيث، يجر بنا دائمًا بالأشياء التي نحبها والتي هي في طبائعنا، كما يحب الذباب العسل ويتساقط عليه، ولسنا نسقط في أي تجربة إلا إذا وجد الشيطان فينا شيئًا يلجأ إلى إثارته فينا، أومنفذًا سهلًا يدخل منه، فلنحذر الأشياء التي نميل إليها ونحبها.

الرجل والنهر... أسطورة شعبية هندية

استراح رجل تحت ظل شجرة وارفة في ضفة نهر وفجأة أدهشه منظر رجل يمشي على صفحة النهر، أخذ يفرك عينيه لكي يتأكد من المشهد وتابع الرجل وهو يمشي على الماء إلى أن وصل إليه وجلس جواره

ـ كيف تعلمت هذه المهارة؟

ـ لقد زاولت اليوجا وذهبت إلى أعلى قمة في جبال الهيمالايا كنت في النهار أقف على رجلي اليمنى وفي المساء أقف على رجلي اليسرى لمدة١٢ سنة وهكذا اكتسبت هذه المهارة.[1]

ديدالوس وإيكاروس... أسطورة شعبية يونانية

كان يا ما كان فى بلاد اليونان مهندس عبقري اسمه ديدالوس، عاش أولًا فى أثينا ثم رحل إلى جزيرة كريت وعمل فى قصر الملك مينوس.

طلب الملك يوما من ديدالوس أن يبنى متاهة يسجن فيها الوحش مينوتور، فبنى متاهة عظيمة لا يخرج منها السجين، فوضع الملك فيها الوحش وفرض على أهل أثينا أن يرسلوا إليه كل سنة مجموعة من الشباب قربانًا للوحش.

وفى إحدى السنين كان من بين الشباب القرابين القادمين من أثينا واحد من أعظم الأبطال اسمه تسيوس وهو ابن الملك إيجه، فلما رأته أريانا بنت الملك مينوس وقعت فى حبه وأرادت مساعدته على الخروج من المتاهة، فطلبت من ديدالوس أن يساعدها على ذلك ففعل.

نصح ديدالوس أن تهيىء أريانا بكرة تعطى تسيوس إياها فيفك هذا خيطها كلما تقدم داخل المتاهة، ففعل تسيوس ذلك حتى وصل إلى الوحش وقتله، ثم تبع الخيط ليعود من حيث دخل إلى المتاهة، وفر من الجزيرة ومعه أريانا.

---

(١) اليوجا تمرين تأمل نفسي جسدي من التمارين أو الطقوس الروحية التي يمارسها البراهما بالهند؟ أصبحت من ضمن التمارين الروحية العالمية؟ واليوجا نوع من التركيز الذهني مع التحكم العضلي بالجسد. وبطل الأسطورة أتعب نفسه؛ لأنه أراد أن يكون هو من يعبر النهر، وليس القارب، أراد أن يقود نفسه إلى وجهته بالطريقة التي يريد هو ويرتقي بروحه حتى علت فوق الماء، جميل أن نتعب من أجل ما نريد ولا ننتظر الآخرين يقودونا إلى حيث نريد، لو أننا منذ خمسة وخمسون عامًا ونيف تعلمنا أن نسير فوق نهرنا، لما استطاعت المراكب الأمريكية والصهيونية أن تفرض علينا ما تريد.

عندها ثار غضب الملك مينوس على ديدالوس وحبسه، هو وابنه إيكاروس فى المتاهة ذاتها، فصار ديدالوس يفكر فى طريقة الخلاص من سجنه، فصنع أجنحة له ولابنه ولصقها بالشمع، وطلب من ابنه أن يطير معه دون أن يرتفع كثيرًا ودون أن ينخفض أثناء الطيران، ثم طار الأب والابن معًا فى السماء وابتعدا عن المتاهة.

فرح إيكاروس بطيرانه إلى أبعد حد، ونسي ما أوصاه به أبوه، فارتفع شيئًا فشيئًا حتى اقترب من الشمس، فذاب الشمع، وسقط الشاب العزيز فى البحر غارقًا، بينما واصل ديدالوس طريقه حتى وصل إلى جزيرة صقلية، حيث قضى باقي عمره متأسفًا حزينًا على ما حصل لابنه الحبيب.

سميراميس... أسطورة شعبية عراقية

ذات يوم انسابت سيول عارمة على منابع نهر الفرات ففاض النهر، وتدفقت مياهه، وخرجت الأسماك تستلقي على الشاطئ. وكانت بين تلك الأسماك سمكتان كبيرتان حيث سبحت السمكتان إلى وسط النهر وبدأتا بدفع بيضة كبيرة طافية على السطح إلى ضفة الفرات، وإذ بحمامة بيضاء كبيرة تهبط من السماء وتحتضن البيضة بعيدًا عن مجرى النهر. ورقدت الحمامة على البيضة حتى فقست، ومن داخل البيضة خرجت طفلة رائعة الجمال من حولها أسراب من الحمام ترف بعضها عليها بأجنحتها لترد عنها حر النهار وبرد الليل. ثم بدأت الحمائم تبحث عن غذاء للطفلة، فاهتدت إلى مكان يضع فيه الرعاة ما يصنعون من جبن، وحليب، فتأخذ الحمائم منها بمقدار ما تحمل مناقيرها، لتقدمه للطفلة التي عاشت مع حمائمها سعيدة لا تعرف أبدًا طعم الشقاء. وقد تنبه الرعاة إلى جبنهم المنقور وحليبهم المنقوص، فقرروا ترك أحدهم ليراقب المكان وشهد الراعي الحمائم وهي تحط حول الجبن وتلتقط قطعه الصغيرة، وتملأ مناقيرها بالحليب وتطير به إلى مكان ليس ببعيد، فأخبر الراعي رفاقه فتبعوا الحمائم حتى وصلوا إلى حيث صبية ذات جمال رائع، فأخذوها إلى خيامهم، واتفقوا على أن يبيعوها في سوق نينوى العظيم . وفي صبيحة ذات يوم حملوا الفتاة وقد أطلقوا عليها اسم سميراميس، إلى سوق نينوى. واتفق أن كان ذلك اليوم يوم موسم للزواج الذي يقام كل عام، حيث تجتمع في السوق الكبير جموع الشبان والشابات قادمة من كل نواحي المملكة، ليتنقي كل شاب عروسًا شابة، أوينتقي صبية يحملها إلى داره فيربيها إلى أن تبلغ سن الزواج فيتزوجها أو يقدمها عروسًا لأحد أبنائه. كانت ساحة سوق نينوى تغص بالشيوخ الكهول والشبان. دخل الرعاة بالصبية الصغيرة الحسناء إلى حيث يعرضونها للبيع.

جلس الرعاة مع الصبية في أول الصف، فشاهدهم سيما ناظر مرابط خيول الملك، وكان عقيمًا لا ولد له فهفا قلبه إلى سميراميس ورغب في تبنيها، ودعا سيما الرعاة وساومهم على ثمنها، وعندما تمت الصفقة، عاد بها إلى منزله. ما أن رأت زوجته هذه الصبية ذات الجمال الرائع حتى فرحت فرحًا غامرًا واعتنت بها عنايتها بابنتها، وظلت ترعاها حتى كبرت واستدارت وبرزت أنوثتها كأجمل ما تكون النساء! وفي يوم ما كان أونس مستشار للملك يتفقد الجمهور المحتشد بأمر من الملك وإذا بعينه تقع على سميراميس وهي الآن في عمر مناسب للزواج، فيصعق مذهولًا من جمالها وبراءتها. قام بأخذها معه إلى نينوى وتزوجها هناك، وصار لهما طفلين ربما توأمين هما هيفاتة وهيداسغة. يبدو أنهما كانوا سعداء، أما سميراميس فكانت فائقة الذكاء حيث كانت تقدم لزوجها النصح والمشورة في الأمور الخطيرة فأصبح ناجحًا في كل مساعيه. أثناء ذلك كان ملك نينوى ينظم حملة عسكرية ضد الجارة باكتريا، فأعد جيشًا ضخمًا لهذا الغرض؛ لأنه كان يدرك صعوبة الاستيلاء عليها. بعد الهجوم الأول استطاع أن يسيطر على البلد برمته ما عدا العاصمة باكترا التي صمدت. شعر الملك بالحاجة إلى أونس ولذا أرسل في طلبه، لكن أونس لا يريد مفارقة زوجته الحبيبة فسألها إن كانت ترغب في مرافقته، ففعلت. هناك بعد أن تابعت سميراميس سير المعارك ودرستها بعناية وضعت العديد من الملاحظات عن الطريقة التي يدار بها الحصار. طلبت سميراميس إرسال مجموعة من الجنود المدربين على القتال في الجبال، إلى المرتفع الشاهق الذي كان يحمي الموقع، ففعلوا ذلك ملتفين حول خاصرة العدو المدافع وهكذا وجد الأعداء أنفسهم محاصرين ولا خيار لهم سوى الاستسلام.

في ثنايا هذه الأحداث صار الملك نينوس شديد الإعجاب بسميراميس لما أبدته من شجاعة ومهارة لحسم المعركة. منذ اللحظة أخذ الملك يتمعن في وجهها الساحر وجمالها المدهش، فأدرك أن قلبه غير قادر على مقاومة سحرها، ولذا طلب منها أن تكون زوجته وملكته. ثم عرض على أونس أن يأخذ ابنته بدلًا عنها، إلا أن أونس رفض ذلك. مما حدا بالملك أن يهدده بقلع عينيه، وتحت وطأة الخوف واليأس استسلم أونس لمطلب الملك، غير أنه أنهى حياته بعد فترة وجيزة من زواجها من الملك. هكذا أفلح نينوس بالزواج من سميراميس وصار لهما طفلًا أسمياه نيناس، بعد موت الملك اعتلت العرش كملكة لنينوى عاصمة بلاد النهرين.

كان زعيم قبيلة الفيل الأسود التي تنتمي إلى أجناس الموهرو يسمي نفسه الموهرورا ويسيطر على أقليم باجان من بلاد سرخستان. وكان هذا الزعيم شديد الهيبة مطاع الكلمة قاسي القلب يرهبه الجميع حتى أصغر أولاده العشرين، وترتعب لخشونته عند غضبه صغرى زوجاته الست والثلاثين. فكان إذا عطس أصيب ثلثا الشعب بالأنفلونزا، وإذا ابتسم وظهرت أسنانه الديناصورية للعيان تفتحت آذان الصمّ وأبصر العميان. وإذا رفع طرف ثوبه ليصعد درجات السلم حيث مخدع حريمه أطفأ الأهالي أضوية فوانيسهم وغطّوا في نوم حليم بالمجان.

ومن أكيد طباعه الطاغية على سلوكه العنيد المترسّخة في نفسه الصلبة العود وعقله البليد تعوّده افتراس كلّ طفل جديد يولد بين المغرب والعشاء فيأتونه به بعد أن يزن عِدله فضّة ينثرها الجند على أهله، ثم يقوم إلى بنت عذراء كعوب أكملت الخامسة عشر من عمرها مساء ذلك اليوم، كانت قد وصلت مخدعه بعد أن يضُمها إلى مجاميع حريمه وزوجاته ويزنها بالذهب.

وبقي الحال على هذا المنوال سنين وأعوامًا طِوال. إلاّ أن واحدًا من أولاد الموهرورا استاء من سياسة والده وطريقة إدارته لمملكته، فبدأ يعارضه في كثير من الأمور، حتى كانت جلسة خاصة أُحرقت فيها البخور ونوقشت قضية تلقيح الكِباش، فكان أن احتجّ الابن على ميزانية توالد النعاج وطريقة جباية الضرائب في أيام العجاج. فغضب منه الموهرورا الأب غضبًا شديدًا، وأراد إرساله إلى السجن، إلاّ أن الابن طلب العفو وأراد أن يدخل الدير لأنه قد زهد كما زعم في مباهج الدنيا وحبورها وحياة القصور وأُبهتها، فكان له ما أراد.

إلاّ أن الولد كان يضمر أمرًا جللًا أبعد مدىً وأكثر خطورة مما بدا. فقد تهيء له حياة الرهبنة الخلوة بالعقلاء وبالفطاحل من العلماء، ولقيا أهل التأمل والتصوّف والتبتّل والتعرّف، وحينما تم له بالحقيقة ما أراد، انشرح صدره وصفا له أمره، فعزم وخطط وشاور صفوة القوم وما أفرط.

وقد مال قلب الأمير إلى أشدّ الرهبان رزانةً وأعلاهم مرتبةً في العلم العفيف وأطرفهم حلاوةً في الكلام والحديث وأفصحهم في اللسان النظيف. فأسرّ الأمير إلى رئيس الرهبان في

ليلة صافية القمر بما أضمر، فما كان من ذاك إلاّ أن أسرع الخطى خِلسةً في الهزيع الخير من الليل ليصير على أبواب قصر الملك في الصباح فيحكي له الحكاية من أولها إلى آخرها، فيقبض الثمن توًّا ذهبًا وفضةً. وقد غضب الأب الموهرورا غضبًا شديدًا، وأرسل الجند ليجلبوا الابن في عسفٍ ويضعوه في قعر ظلماء نتنةٍ حتى ينظر في أمره بعد أن ينتهي من بنت الخامسة عشر، تلك التي لم ينثنِ عودها بعدُ، إذ كان قد مضى عليه أسبوعان وهو يعالج أمرها ويغفو، إذ لم تعد السنون ترعوي كما يحب ويصفو، حتى إذا كان اليوم التالي وعلت الشمس في كبد السماء، قرّر الموهرورا النظر في أمر الولد العاق، فاجتمعت جوقة الساحر والمأمور ورئيس الجند على التوالي، وبينما كان الجمع هائجًا ومنخبصًا، جاءت الأخبار بما لا تسرّ صديقًا ولا تصرف همًّا ولا تفرجُ كربًا بعد ضيق، فقد ساد الهرج والمرج سوق المدينة، وانتشرت الشائعات بين الناس انتشار النار في الهشيم، فلمّا أقبل المساء كانت طلائع قبيلة الفيل الأبيض قد انتشرت في أنحاء الإقليم واكتسحت البلاد وشرّدت العباد وأحرقت الزرع وأيبست الضرع.

ثم قبضوا على الموهرورا وجاءوا به إلى وسط سوق المدينة فأوقفوه موثوقًا يومين وليلة، بعدها قام كبير الحرس فقتله شرّ قتلة بعد أن فقأوا له عينيه أمام كل أولاده والجمع من زوجاته. وبعد أن استتبّ لقبيلة الفيل الأبيض الأمر جاءوا إلى الأمير المحبوس وهو في أشد حالة القلق والعبوس فعيّنوه أميرًا على الإقليم، وعساكرهم في البلاد شرقًا وغربًا تهيم. فرضي الأمير الجديد بالحال، ثم قام في اليوم التالي وهو إلى الأمر ميّال، فخطب في الناس حسب العرف والقياس، فهدّأ من روعهم وخفف من جزعهم، ورجاهم الرضا بما قدّر عليهم، وأوصاهم بالصوم أسبوعًا وبالنوم أسبوعين بسبب قلّة الذخيرة ولزوم النوم على الحصيرة، فأطاعته العباد كما أراد وأعطوه كلامًا معسولًا بلازم المراد.

ولأن الليل طال والوضع على حاله ما يزال، فلا وعود نفّذت، ولا حالة رفاهية تحققت، اجتمع الكهّان والعقلاء من شتى الأرجاء فتناقشوا في الأمر وأتمروا واتّفقوا وقرّروا إعلان العصيان بالموت على طريقة الطرشان في بلاد القهرمان، وذلك بأن دقّوا مقابض سيوفهم في الأرض كلّ أمام داره بشكل خازوق، وبعد أن فعلوا ذلك جلس كل واحد على سيفه حتى ماتوا جميعًا منتحرين وقضي الأمر ولم ينجُ سوى الأمير وشيخ الرهبان صانع الأساطير ومحدد الموعد والمصير.

حتى إذا انتهت فترة الحداد وجاءت المناسبات وطلّت الأعياد، قام الأمير الجديد إلى شيخ الرهبان العتيد، مفشي الأسرار وخائن الأمان فحلّفه اليمين على عهد جديد، ثم باشرا منصبيهما، الأول أمير على البلاد زعيمٌ وموهرورا قبيلة الفيل الأسود، والثاني بوظيفة رئيس الديوان وكاتم الأسرار والمندوب السامي لقبيلة الفيل الأبيض في المستعمرة الجديدة التي لم يعد لها عنوان.

وإذ مرّت الأيام والتأمت الجروح والآلام، وبعد التماسات ومفاوضات مع القوّاد الفاتحين العُتاة تم الاتفاق على انسحاب القبيلة الغازية بعدّتها وعديدها ونهبها وسلبها، فارتاح بال الأمير جُلّ ارتياح فأخذ ينام من بعد الظهر حتى الصباح، إلى ان هدأ روعه وصفا سمعه فبدأ يفكر في طريقة تعينه على جلب رعية جديدة بدلًا من تلك التي ماتت عن بكرة أبيها خطيّة. فاقتنع بخطة سديدة، إلاّ أن نصيحة رئيس الديوان جعلته يقلب الأوزان، فيشطبها من قاموسه الحالي لتُدرس في خطة خمسية قادمة حسبما يقتضيه الوضع المالي.

لكن ثعلبًا من سكان إقليم مجاور قصد قصر الأمير صائحًا مولولًا، ومستنجدًا من خطر فيل أحمر أخذ يعبث فسادًا في مملكة الغابة المجاورة التي شاخ أسدُها وغاب، فلم يعد يقدر حتى على كشّ الذباب، وصار خطر الفيل الأحمر وهو في طريقه إلى المملكة أمر لا شك فيه.

إلاّ أن محاولات الثعلب باءت بالفشل فلم يجد من يردّ عليه من سكان القصر، وقبل أن يفقد أمله عاقفًا ذيله في طريق العودة، أبصر نورًا يشعّ من نافذة تطل على الحديقة الخلفية للقصر. فتسلّق شجرة جوز ضخمة حتى أطلّ على ما يدور داخل القاعة الكبرى، فراعه ما رأى من غريب الحال، فقد لمح الأمير ينادمه رئيس ديوانه وهما في غاية السكر والثمالة شبه غائبين عن الوعي وأمامهما خروف مشوي وقد أُلتهم نصفه، فضلًا عن أربعة قناني ويسكي فارغة. ولحدّةٍ في بصر أبي الحصنين وقوة في سليقته اللغوية في الإنكليزية تمكّن من قراءة ما مكتوب على القناني فإذا هي سكوتش ويسكي – علامة الفيل الأبيض.

ولأن أبا الحصنين فقد الأمل في إمكان مخاطبة هيئة أركان قبيلة الفيل الأسود السكارى أو يحتمي بديارهم ويتزود، فقد هبطت معنويته وانحسرت عزيمته، فمضى خالي الوفاض، وقام يتجول في الجوار والحدائق والرياض.

وبينما هو كذلك لمح أرنبًا يجري مرتعدًا من الخوف، يتقافز من مكان إلى مكان بلا هوية ولا عنوان. فأراد الثعلب أن يستفهم من الأرنب عن الحال وما آل إليه السكان والعيال، إلاّ أن الأرنب كان في حالة بائسة لا تمكنه عن الإفصاح عمّا في جُوّاه ولا في فضِ مكنون قلبه ولا محتواه، لكن الثعلب تمكّن وبصعوبة بالغة وبإيماءة من الأرنب الاستدلال إلى لوح من خشب الجوز مركون جانب سياج الحديقة الداخلي وقد طلي بالدهان الأسود ومكتوب عليه باللون الأبيض وبالبنط العريض (الأقليم معروض للبيع، يصلح مزرعة للدواجن والحمام - المراجعة مع دلاّلية الفيل الأبيض).[1]

لماذا يطارد الثعلب الديك؟... أسطورة شعبية من أنجولا

في قديم العصر والزمان، كان الثعلب يهرب كلما رأى ديكًا لاعتقاده أن عُرفه الأحمر من مادة نارية وذلك لتشابه لون العرف بالنار. عُرف الديك كلما لاح للثعلب ولى هاربًا. الديك تملكته الدهشة ذات يوم، وسأل نفسه: لماذا يفر الثعلب أمامي عند رؤيتي؟

سأل الديك الثعلب ذات يوم: لماذا تهرب مني؟ ما أنا إلا حيوان مثلك!

قال الثعلب وهو يرتجف وعيناه محدقتان بعُرف الديك: إني أخاف النار التي فوق رأسك.

قال الديك: كلا هذه ليست نارًا، أأنت مجنون؟ كيف أستطيع أن أحمل نارًا فوق رأسي وأنا من لحم ودم؟

اطمأن الثعلب قليلًا وقال: حسنًا.. الآن عرفت ذلك.

فرد الديك ساخرًا: هيا أيها الثعلب، المس عرفي وهو ليس نارًا، لن يحرقك، لمس الثعلب عرف الديك آمنًا، ووجده طريًّا.

فكر الثعلب وقال في نفسه: صحيح أن هذا العُرف الناعم ليس نارًا، أليس هذا العُرف لذيذ الطعم عند أكله؟ حاول الثعلب ذات مرة ووجده كذلك.

ومنذ ذلك الوقت والثعلب يطارد الديك ليصطاد عرفه الأحمر.

---

(١)ذكرت مجلة بنجاب تيوزويك التي تصدرها في رسالبور جمعية المحافظة على أصول الأعراق (الهندو/ سنسكرو/ بشتية) أنه قد تمّ اكتشاف عظم فخذ فيل أسود اللون يعود تاريخه إلى المليون الرابع قبل الميلاد، وقد نقشت عليه هذه الأسطورة.

صياد كان ملكا... أسطورة شعبية من النيجر

في إحدى القرى، كان هناك صياد فقير، تعيس الحظ كلما خرج للصيد، عاد خالي الوفاض، ولشدة تعاسته قرر ذات يوم الإنتحار. ذهب الصياد ليستشير أحد الشيوخ في هذا الأمر ويخبره عن السبب جعله يفكر به.

الشيخ نصحه بالذهاب للصيد ليحاول مرة أخرى ويرضى بما قسمه الله له، ويرضى بما قسمه له القدر مهما كان ضئيلًا. في صباح اليوم التالي خرج الصياد باكرًا، اخترق الغابة ممسكًا ببندقيته وبلطته، بعد أن مرت ساعات على وجوده في الغابة رأى أمامه تمساحًا ولذا قرر ألا يتركه، تبعه لكن التمساح كان سريعًا فأسرع الصياد وراءه، إلا أن التمساح اختبأ في حفرة تحت الأرض.

جلس الصياد عند الحفرة وأخذ ينبش بفأسه حتى يخرج التمساح، منها، وفجأة غاص الصياد في الحفرة ولم يدر إلا وهو في مدينة غريبة، مدينة لا يقطنها إلا النساء. لم يكن فيها رجل واحد تحكم هذه المدينة امرأة هي الملكة. دخل الصياد إلى المدينة وكانت تحتفل بأحد أعيادها. انتبهت النساء ودهشن لأنهن بحياتهن في حياة المدينة كلها لم يروا رجلًا قط، أدخلن هذا الصياد إلى القصر الملكي حيث أمرتِ الملكة بإعداد حجرة له في قصرها. الملكة أحبت الصياد، وكانت كل يوم يمر يزداد حبها له وقابلها هو نفس الشعور، فتزوجها وأصبح الصياد ملكًا على المدينة دون أن يدري.

قالت الملكة: كل شيء في هذا القصر هو ملكك، وكل ما في المدينة لك، ما عدا مكان واحد فقط غير مسموح لك بالدخول فيه وأشارت الملكة: إلا هذه الحجرة! هي الوحيدة التي لا يسمح لك بدخولها، وبينما كان جالس ذات مرة تملكه حب الاستطلاع، فاتجه نحو ذلك الباب الممنوع عليه دخوله.

فتحه وكان أول ما رآه، أول ما رآه بعد دخوله أن وجد نفسه واقفًا في ذات المكان الذي كان يقف فيه لاصطياد التمساح، رأى بندقيته كانت ملقاة على التراب، وفأسه قريب من فوهة الحفرة، لم يعد يرى الملكة ولا القصر ولا المدينة ولا النساء، عاد فقيرًا معدمًا كما كان، ولم ينفعه الندم.

أسطورة الزمن والكون..

يحكى أن أورانوس التي هي السماء التقت بجايا الأرض. أنجب أورانوس من جايا الكولكلوبيس، ثم أنجب منها التياتن. ثار الكولكلوبيس ضد أبيهم الأورانوس، تمردوا عليه، غضب أورانوس منهم فضربهم ضربة واحدة أطاحت بهم إلى تارتاروس، مكان الظلمة الشديدة، البعيد عن عالم الأحياء، مكان بعيد، بعيد جدًّا، عميق جدًّا، موقعه العالم السفلي، يبعد عن الأرض بنفس المسافة التي يبعد بها سطح الأرض عن قبة السماء. المسافة بعيدة جدًا، تستغرق بين سطح الأرض وقاع تارتاروس رحلة ٩ أيام.

تخلص الوالد من أبنائه المتمردين وهم الكولكلوبيس. الأم جايا حزنت لفراق أبنائها. فلذات كبدها، هذه الأم الحنونة بكت، لكنها لم تستطع معارضة زوجها أورانوس ولا تقدر على معصيته، ولم تجرؤ على مقاومته، كما أنها لم تحرك ساكنًا لمساعدة أبنائها، إلا أن الأم كأي امرأة لجأت إلى الخديعة! الشر بالشر والبادئ أظلم. قالت لنفسها: إن كان زوجي أورانوس قد تخلص من ثلاثة من أبنائي، فلا يستبعد أن يتخلص من الأبناء الآخرين أوه ماذا أفعل؟ ماذا أفعل قالت جايا. ذهبت الأم خلسة إلى أبنائها الآخرين، التياتن السبعة، فحرضتهم ضد أبيهم، بعد أن شكت لهم ظلمه وجبروته وحثتهم على مهاجمة والدهم والقضاء عليه. تحرك الأشقاء السبعة بقيادة كرونوس الزمن أصغرهم، جايا الأم زودت كرونوس بمنجل من حجر الصوان؟ فاجأ الأبناء السبعة أباهم أورانوس أثناء نومه، قيدوه وشلوا حركته، صحا من نومه مذعورًا، حاول المقاومة، ولكنهم كانوا سبعة، كرونوس قام بغرز المنجل من حجر الصوان في قلب الأب أورانوس، استولى الفزع على الابن عندما شاهد ذلك المنظر المفزع، ألقى كرونوس بقلب أورانوس في البحر ومعه المنجل الحجري، وقد سقط القلب والمنجل بالقرب من قمة بحرية دريبانوم. تساقطت بضع قطرات من دم أورانوس على الأرض الأم جايا. انجبت الأم جايا الإيرينيات الثلاث، تلك الأرواح النسائية الثلاث اللائي ينتقمن ممن قتل أحد والديه. الإيرينيات الثلاث: الكتو، تسيفوني، ميجاريا هذه أسماؤهن. أيضًا من بضع القطرات التي سقطت من أورانوس، ولدت حوريات شجرة الدردار اللائي عرفن باسم الميلياي.

وبانتصار التياتن السبعة على أورانوس، أسرعوا إلى تارتاروس وأطلقوا سراح الكلوكلوبيس، احتفل الجميع بالنصر، منح الجميع السلطة إلى كرونوس الذي قادهم إلى

النصر وحقق رغبة الأم جايا والدتهم، ولكن كرونوس سار وراء شهوة السلطة، ونسي من ساعده في المعركة، لقد تنصل منهم، أعاد الكلوكلوبيس مرة أخرى إلى التارتاروس، ألحق العمالقة ذات المائة يد بهم أيضًا، واختار من بين شقيقاته زوجة له، اختار ريا، وأصبح حاكمًا على أليس. عاش كرونوس حاكمًا مطلقًا يأمر فيطاع في مملكته وبيته. نشوة السلطة أنسته النبوءة من والدته ووالده قبل موته أو أنه تناساهما، النبوءة تقول: سوف يأتي على كرونوس واحد من أبنائه، يأخذ وينتزع العرض منه. وضعت زوجته ريا طفلها الأول، وهنا طرأت على ذهن كرونوس فكرة، اعتبرها رائعة، حمل الطفل بين يديه، وتظاهر بمداعبته، وفجأة ابتلع الطفل! نعم ابتلع طفله، كرونوس ابتلع طفله. حاولت أمه المسكينة ريا فعل شيء، ولكنها لم تقدر سوى أن تخضع للأمر الواقع؛ لأنها لا تستطيع مقاومة زوجها، ولا تريد عصيانه. أنجبت ريا زوجته، طفل كل عام، وكرونوس يبتلع أولاده واحد تلو الآخر أنجبت ريا هستيا، ديميتر، هيرا، بوسيدون، ابتلعهم كرونوس جميعًا.

في يوم من الأيام، وعندما أحست ريا أن الجنين يتحرك في أحشائها تذكرت أطفالها الذين ابتلعهم زوجها كرونوس الظالم، فكرت ريا وفكرت، وقررت أن تفعل شيئًا، وعندما أحست بألم المخاض، تسللت في جنح الظلام إلى قمة جبل أوكاديوم في منطقة أركاديا. ذهبت إلى مكان لم تطأه قدم، ولا يستطيع أحد الوصول إليه، هناك في ذلك المكان وضعت وليدها غسلت جسده في نهر نيدا المياه المقدسة. سلمت ريا وليدها إلى الربة جايا الأرض، فوعدتها جايا بحمايته، فحملته إلى لوكتوس في جزيرة كريت. هناك اختبأ الوليد زيوس ZEUS في رعاية أدراستيا، حورية الدردار وشقيقتها إيو، وكلتاهما ابنتا أورانوس، تركته جايا الأم أيضًا في رعاية أمالثيا الحورية العنزة، لقد صنع مهد الوليد زيوس من الذهب الخالص، كان معلقًا بحبال من الذهب الخالص أيضًا. مهد الوليد زيوس لم يكن يمس الأرض، ولم يكن مرتفعًا إلى السماء، وكان بعيدًا عن البحر وذلك كله لحماية الوليد من الوالد كرونوس، كي لا يقوم بابتلاعه كأخوته، وحول المهد الذهبي وقفت جماعة الكوريتيس المتدرعين بالدروع المعدنية والحراب الغليظة. جماعة الكوريتيس كانوا يطلقون صيحات عالية حتى تضيع صرخات زيوس zeus الوليد وسط تلك الضوضاء فلا يسمعه الوالد كرونوس.

فكر زيوس zeus كيف يرد جميل الحوريات الثلاث؟ جعل زيوس من أمالثيا العنزة الحورية، نجمة في السماء، وأصبح لها برج يحمل رسمها برج الجدي عادت ريا إلى زوجها القاسي كرونوس وقدمت إليه وليدها فاختطفه على الفور. وابتلعه وهو يضحك بشراهة،

الأم ريا لم تحزن، بل كانت فرحة لأن ما قدمته لزوجها كرونوس لم يكن وليدها، لم يكن سوى قطعة من الحجر مغطاة بالثياب. بعد فترة شك كرونوس بالأمر، وطفق يبحث عن الوليد، بعث بنظره الثاقب من أعلى نقطة في العالم. مسح الأرض بمن عليها بنظراته الثاقبة وكاد أن يعثر عليه، لولا أن زيوس zeus كان أذكى من والده، فحول نفسه إلى ثعبان وحول الحوريات إلى دببة، عاش الطفل زيوس رغم أنف والده عاش الوليد زيوس zeus تحت هذه الرعاية كبر صار شابًا قويًا. كان ينتقل من كهف إلى كهف، وهناك قابل التنينة ميتيس، رحبت به عاونته، وثق بها زيوس، نصحته أن يذهب إلى والدته ريا، وبالفعل ذهب إلى والدته، قابلها خلسة، لم تسع الدنيا هناء ريا لرؤية فلذة كبدها في أحسن حال، لكن سرعان ما انتابها الخوف، والده لو رآه لقتله على الفور، ولكن طمأنها ولدها: لا تخافي، لقد جئت إليك بفكرة يا أماه. استمعت الأم ريا إلى الفكرة، سوف تقدمه إلى كرونوس ساقيًا يعد له الشراب، فقط عليها مساعدته في تنفيذ خطته، فشرح لها ما نصحته به التنينة ميتيس، وافقت الأم ريا طائعة راضية.

قدمته الأم إلى كرونوس ساقيًا، انشرح كرونوس له، وأمره بإعداد الشراب، طلب زيوس zeus من والدته؛ لأن تعد له كمية من الملح، وأخرى من الخردل، كما نصحته ميتيس. خلط الملح والخردل، مزجهما بالشراب ثم قدم الكل في كأس لكرونوس، ظل كرونوس يشرب كالمجنون الكاس وراء الكأس، سيطر الشراب على عقله دارت الأرض به، امتلأت معدته بالشراب، سرى الملح في جسده وأمعائه مع الخردل، تقلصت بطنه وأحس برغبة شديدة بالتقيأ، تقيأ كرونوس الثمل، قذف بكل محتويات معدته الضخم خارجًا، ثم خرج بعد ذلك أخوة زيوس الواحد تلو الآخر، خرجوا شبابًا مكتملي النمو، هلل الجميع إذ خرجوا جميعًا من غير سوء، قدموا جميعًا فروض الولاء إلى شقيقهم الأصغر زيوس zeus. اختاروه قائدًا عليهم في معركتهم ضد الوالد كرونوس، وضد حلفائه التياتن الأشرار، استمرت الحرب بين زيوس وكرونوس عشر سنوات، كانت الأم جايا تراقب الحرب وكانت تتمنى أن ينتصر زيوس وأخوته، ولذلك أطلقت نبوءة: إن النصر سيكون من حليف زيوس. ولكن بشرط، عليه أن يكسب إلى جانبه أعداء كرونوس الذين ألقى بهم في السجن في تارتارس وهم: كلوكلوبيس، والعمالقة ذو المائة يد، ويتوجب على زيوس أن يطلق سراحهم. ذهب زيوس خلسة إلى كامبي العجوز الشرسة التي تحرس بوابات سجن تارتاروس، وتسلل بالخفاء وفاجأها بضربة قوية قاضية قتلتها على الفور. انتزع زيوس مفاتيح السجن من حزام

العجوز، وعندما دخل فوجئ بأن الجميع جميع المساجين لا يقدرون على الحركة، كونهم منهكين من التعذيب والجوع والعطش. قدم زيوس لهم الطعام، وبعد أن أكلوا وشربوا، قويت أطرافهم واشتدت عضلاتهم، أخرجهم من السجن حيث انضموا إليه، منح الكوكلوبيس، مخلصهم زيوس سلاحًا فتاكًا وهو الصاعقة وبذلك باستطاعة زيوس zeus الآن أن يبعث بالصواعق الخارقة المدمرة، صواعق تقضي على أعتى المخلوقات وتصرع أقوى المقاتلين. كما منحوا شقيقه هاديس خوذة الظلام، التي متى ما وضعها. اختفى عن الأنظار، يرى الآخرين دون أن يرونه. ومنحوا شقيقه الثاني بوسيدون الشوكة الثلاثية التي بواسطتها يثير البحار والمحيطات، بضربة واحدة منها. عقد الجميع مجلس حرب، اتفقوا فيه على خطة محكمة للنصر، وضع هاديس خوذة الظلام على رأسه واختفى عن الأنظار، وأصبح يرى كل من حوله وهم لا يرونه، تسلل إلى حيث كان كرونوس، اقترب منه ولم يفطن به، انقض هاديس على الأسلحة، أسلحة كرونوس وسرقها كلها نقلها في خفية إلى حلفائه.

بوسيدون بدوره لوح بالشوكة الضخمة في الهواء، وضرب بها ضربة واحدة الماء، هاجت كل البحار والمحيطات، ارتفعت الأمواج، استولت الدهشة على كرونوس، ولم يتنبه لزيوس وهو يهجم عليه، انطلق نحوه زيوس بشراسة، أطلق نحوه وابلًا من الصواعق المتأججة، فأنهاه في الحال. أما العمالقة ذو المائة يد والبقية، فقد تكفلوا بالباقي، لقد هشموا رؤوس التياتن حلفاء كرونوس بالصخور، هزموهم شر هزيمة، ثم أصدروا أحكامهم عليهم: كرونوس ينفى بعيدًا. التياتن ينفونه إلى جزر بعيدة، تحت حراسة العمالقة، وأخيرًا تحققت النبوءة على كرونوس، وهنا تنتهي أسطورة كيف أصبح زيوس إلهًا.

أسطورة خلق الكون... أسطورة شعب البلاسجيين

في البدء كانت يورونومي ربة كل شيء وجميع الأشياء ولدت يورونومي من الخواء لم تجد شيئًا تقف عليه، لم تجد سوى الخواء والخواء هو الفراغ، لم تستطع نورونومي أن تعيش سابحة في الخواء، فبضربة قاسمة من يديها القاطعة، فصلت الماء عن السماء، طفقت ترقص وحيدة فرحة، في خفة ورشاقة فوق سطح الماء تعلو وتهبط من حركة الأمواج، اتجهت مسرعة برقصتها إلى الجنوب، نشأ خلفها فراغ كلما تحركت إلى الأمام، ازداد حجم الفراغ، امتلأ الفراغ بالهواء كلما زادت سرعتها، زادت سرعة الهواء، أصبح الهواء ريحًا نشطًا عاتيًا، وطفق الهواء يعدو خلفها من الجنوب إلى الشمال، وهكذا وجدت يورونومي مخلوقًا يؤنس وحدتها

ريح الشمال ظلت تحاوره. تفر منه إلى الأمام، ثم تعود فتسرع إلى الخلف، ريح الشمال يلازمها من حولها يمتلئ بجسدها العاري سرى الدفأ في جسد ريح الشمال، تحول الريح إلى أفعوان ضخم مفتول العضلات (الأفعوان أوفيون)، أعجبت يوررونومي بالأفعوان، أسرعت يوررونومي تتحرك في رشاقة فوق سطح الماء، تحولت إلى يمامة مرحة، تم اللقاء بينهما وحملت بين أحشائها ثمرة تلك اللقاء، مضى بعض الوقت واكتملت معالم تلك الثمرة، وضعت اليمامة يوررونومي بيضة، أمرت الأفعوان أن يلتف حول البيضة سبع لفات، سرى الدفأ إلى داخل البيضة، إلى عمق أعماق جوفها، فقسمت البيضة! انقسمت إلى قسمين خرج منها كل الكائنات.

خرج أطفال يوررونومي وأوفيون: الشمس والقمر، الكواكب والنجوم، الأرض بما عليها من أنهار وجبال وبحار وتلال، أقام يوررونومي وأوفيون مسكنًا لهما فوق جبل أولومبوس، سرعان ما استولى الغضب على يوررونومي، غضبت من أوفيون، فقد بدأ بالتعالي، وهي التي كانت السبب في وجوده، هي التي جعلت منه والدا ولولاها وما أنجبت الموجودات، ازداد غضب يوررونومي، انتشرت قوى الشر في أنحاء جسدها، وفي لحظة غضب عاتية داست يوررونومي بكعبها على رقبة أوفيون الأفعوان! ظلت تضغط بكل قوتها، كتمت أنفاسه، انتزعت أسنانه من داخل فمه، قذفت به سجينًا في كهوف مظلمة، في أعماق الأرض، مرت اللحظات حثيثة، شعرت يوررونومي بالوحدة، أو ربما أرادت أن تثبت قدرتها على الخلق، أنجبت ذاتيًا القوى الكوكبية السبع، نصبت على كل قوى من القوى السبع ذكرًا وأنثى من التياتن: ثيا وهيبربون على الشمس، فويبي وأطلس على القمر، ديوني وكريوس على كوكب المريخ، ميثيس وكويوس على كوكب عطارد، ثميس ويورروميرون على كوكب المشتري، تيثوث وأكيانوث على كوكب الزهرة، ريا وكرونوس على كوكب زحل، أما الإنسان الأول الذي ظهر على وجه الأرض فهو بلاسجوس، الجد الأكبر للبلاسجيين، نشأ من أعماق أرض أركاديا، ثم تبعه أفراد آخرون. علمهم بلاسجوس فيما بعد كيف يقيمون الأكواخ، كيف يتغذون على ثمار أشجار البلوط، وكيف يصنعون من الجلود أردية يغطون بها أجسادهم وعوراتهم، كما يفعل سكان يوبويا وفوكيس.[1]

---

(١) هذه الأسطورة لا أساس لها من الصحة وهي من نسج الخيال.

بعد أن قضى الصياد يومه في الغابه عاد خاوي الوفـــاض يحدوه الألـــم واليأس ومر بقرية مجاورة كانت تحتفل بأحد أعيادها. حضرت هذا الاحتفال امرأة جميلة يحيط بها بعض الرجال ذوي الشخصيات البارزة، شاهد الصياد فتيان القريـــة وهم يلقون حبات صغيـــره في الإناء الذي تحمله هذه المرأة. استفسر الصياد عن ذلك من الأشخاص الذين كانوا يجاورونه أثناء وقوفه هناك فعلم أن هذه المرأه قد وعدت بالزواج من أي فتى يستطيع أن يصيب الهدف من مسافة معينة.

قرر الصياد أن يجرب حظه فقد يعوضه ذلك عن يومه الذي قضاه بلا جدوى، وكان على الصياد كغيره من المتابرين أن يلقي ٣ حبات.

ألقى الصياد بالأولى فسقطت في الإناء مباشرة ونجحت رميته الثانية والثالثة أيضًا وعلى ذلك أصبح الصياد زوجًا لهذه المرأة الجميلة، وهذا ما أثار حقد شباب القرية عليه، عاد الصياد مسرورًا بهذه المرأة الجميلة إلى منزله وهو لا يعرف شيئًا عن هذه المرأة (حيث أنه لم يعرف أنها ساحرة) كان لهذا الصياد ٣ كلاب يقومون بحراسته، وفي منتصف الليل تحولت العروس إلى كتلة من الأسنان ولم تكن تشعر أن الكلاب تراقبها. وحين أستعدت لسفك الدماء ومضغ لحم الصياد نبح الكلاب الثلاثة نباحًا عاليًا، فأستيقظ الصياد من نومه وهو يتثاءب وسأل زوجته عما جرى، فقالت له زوجته: لا بد أن الكلاب قد أصابها الجنون.

عاد الصياد للنوم مرةً أخرى، فحاولت المرأة معاودة فعلتها ولكن الكلاب نبحت نباحًا أيقظ الصياد. أدرك المرأة الصباح ولم تنجح في تنفيذ خطتها. قالت للصياد في الصباح وهم يتناولون الفطور: أريد أن أصاحبك في صيدك وأنصحك أن تربط كلابك بالسلاسل.

وافق الصياد على ما قالته زوجته فربط كلابه الثلاث بالسلاسل واصطحبها معه للصيد في غابة منعزلة.

صاحت المرأة في الصياد: ستلاقي حتفك الآن، ثم تحولت إلى كتلة من الأسنان لتمضغ لحم الصياد وتهشم عظامه. فلما شعر الصياد بالخطر تسلق شجرةً قريبةً له فأخذت الأسنان تقرض الشجرة لتسقطها، رتل الصياد تعويذةً سحرية فالتقطته أغصان الشجرة المجاورة.

تابعت الأسنان قرض الشجرة تلو الأخرى وتسقطها والصياد يردد تعويذاته السحرية وأغصان الأشجار تتلقفه.

وفجأةً لمح الصياد طائرًا يتوجه نحو منزله فنادى الطائر وتضرع إليه متوسلًا إياه أن يذهب إلى بيته ويفك الكلاب من سلاسلها.

حضرت كلاب الصياد إلى الغابة وتلقت أمرًا من الصياد أن تفتك بهذه المرأة الساحرة، فقضت الكلاب على هذه الساحرة بعد أن نهشتها وقطعتها إربًا إربًا، وهكذا عاد الصياد إلى منزله مع كلابه الثلاثة.

كوشيساكي أونا... أسطورة الرعب اليابانية



يحكى أن امرأة شابة عاشت منذ مئات السنين، وكانت زوجة أو محظية أحد مقاتلي الساموراي، وقيل أنها كانت جميلة جدًا لكنها مغرورة أيضًا ومن المحتمل أنها كانت تخون زوجها وبالمقابل كان زوجها المحارب من الساموراي غيور ويشعر بالإهانة، وفي أحد الأيام هاجم زوجته وشق فمها بسيفه من الأذن إلى الأذن وكان يصرخ فيها: من سيظن أنك جميلة الآن؟.

تهيم تلك المرأة في الليل وخصوصًا في الأمسيات الضبابية ووجهها مغطى بقناع جراحي (كمامة)، اعتاد اليابانيون لبس ذلك القناع في أحوال الطقس البارد تجنبًا عدم انتشار الأمراض للمحيطين بهم لذلك لم يكن القناع شيئًا غير عادي. وعندما تلقى تلك المرأة المريبة أحد الأشخاص فإنها تسأله بخجل: هل أنا جميلة؟، وإن كانت إجابة الضحية: نعم، عندئذ ستخلع قناعها وتسأله نفس السؤال مجددًا فإن كانت إجابته: لا، عندها ستقوم بذبحه، يكون سلاحها زوجًا من المقصات، وإن أجابت الضحية بنعم أي أنها جميلة برأيه فأنها سوف تلحقه إلى سكنه أو مكان إقامته ومن ثم تذبحه عند عتبة الباب.(١)

(١) تخدم الكثير من أساطير الشعوب هدفًا نبيلًا وهو المحافظة على القيم الأخلاقية أو أمن الأسرة، فأسطورة أوشيساكي أونا قد تثير الخوف في الأطفال وتجنبهم الابتعاد عن المنزل خصوصًا في وقت متأخر من الليل لئلا تقوم بعض العصابات باختطافهم وكذلك هي الحالة في أسطورة أم الدويس في الموروث الشعبي الإماراتي فهي أيضًا تجنب الشباب اليافع الاندفاع في الرذيلة أوالخروج عن الأسرة.

ينابيع الفراش... أسطورة شعبية صينية

يحكى أن فتاة أنيقة كانت تعيش في مكان اسمه بحيرة عميقة بلا قاع موجود أسفل جبل - تشانغ شان- بينما يعيش في قمة الجبل صياد شاب وسيم يدعى شيا لانغ، ولكن أميرًا من مملكة باى كان يحب الفتاة ون قو فأمر أتباعه باختطافها إلى داخل القصر، فحدث ذلك، ثم اشتاقت الفتاة إلى من تحب كثيرًا.

وفي ليلةِ يومٍ من الأيام تسلل الصياد الشاب إلى القصر وأنقذ حبيبته، لكن عندما هربا إلى جانب الينابيع بأسفل الجبل (أي البحيرة العميقة بلا قاع) طوقهما المطاردون، فلم يجدا خيارًا وتماسكا يدًا بيد ورميا بنفسيهما في البحيرة أو كما تسمى الآن ببحيرة الينابيع، فجأة طارت من قاع البحيرة فراشتان ملونتان جميلتان، وظلتا ترفرفان بأجنحتهما وترقصان حول البحيرة، وبعد قليل طارت إلى البحيرة من نواح عديدة أنواع كثيرة من الفراش لتشاركهما الرقص؛ ومن أجل ذكرى الشاب شيا لانغ والفتاة ون قو أطلق الناس على هذه البحيرة اسم ينابيع الفراش، وصار اليوم الخامس عشر من إبريل كل سنة حسب التقويم القمري الصيني يوم اجتماع الفراش.(١)

راما ساجا وملك الشياطين... أسطورة شعبية هندوسية

يحكى أنه في ذات يوم خرج الأمير راما للصيد في الغابة الملكية وراح يطارد الأيائل ذات القرون الذهبية عندما زار بيته رافينا ملك الشياطين ذو القلب الأسود والعين الحاقدة الحسودة والنفس الخبيثة والسطوة الرهيبة، وعندما رأي ملك الشياطين الأميرة الجميلة سيتا زوجة الأمير راما حدثته نفسه الشريرة واستغل رافينا أن الأمير غير موجود فاستطاع أن يؤثر

(١) عرفت ينابيع الفراش بينابيع الحب في داخل الصين وخارجها وتتمتع هذه الينابيع برقصات الفراش المختلفة ورائحة الأزهار الزكية العطرة وعندما يحل يوم اجتماع الفراش يأتي إلى هناك الكثير من الشبان والشابات من قومية باى وهم في أزياء زاهية للرقص والغناء ويبحثون عن عشاقهم ويتمتعون بسعادة الحب مع الفراش الجميل، مئات الفراشات بأعداد كبيرة تأتي إلى هذه البحيرة وتتعلق بغصون الأشجار من الرأس إلى القدم باتجاه عرض بحيرة الينابيع مما يشكل عددا من عقود الفراش التي تعجب المشاهدين من الزوار لهذه المنطقة.

على زوجة الأمير بقواه الشريرة وأن يخطفها من قصر الأمير، عندما علم الأمير بما حدث هب لنجدة زوجته الحبيبة وراح يطارد رافينا إلى أن وصل إليه فأطلق الأمير سهما على ملك الشياطين ولكن السهم تحول إلى ثعبان والتف حول الأمير وأسره وهكذا يكون ملك الشياطين قد أخذ الأمير وزوجته ولكن الآلهة عندما علمت بذلك هبت لنجدة وإنقاذ الأمير وأرسلت الطير الرمزي جارودا الذي جمع جيوش من القرود التي أنقذت الأمير والأميرة من براثن رافين.

أسطورة أبوللوودافني... أسطورة شعبية إغريقية

يحكى أن أبوللو إله الضياء ورمز الشمس والبهاء استهان بكيوبيد ابن فينوس والمكلف بمهمة إلقاء الحب في القلوب، ووصفه بأنه طفل ضعيف وليس له أهمية تذكر، استثار كيوبيد كلام أبوللو حفيظته وأصر على الانتقام من أبوللو وقد ترقب حتى مرت الحسناء دافني أمام أبوللو فوجه سهم الحب وألقاه إلى صدر أبوللو والذي وقع من فوره في حب وهيام دافني وراح يطاردها في كل مكان لينال ودّها وقتها.

استغل كيوبيد الفرصة فألقى بسهم الكره الرصاصي إلى قلب الفتاة فصارت لا تطيق أن ترى أبوللو حتى أنها صارت لا تراه إلا وحشًا كاسرًا أوشيئًا كريهًا فصارت كلما تراه تطلق الصيحات والصرخات وتهرب منه ويظل أبوللو يطاردها في لوعة وغرام مترجيًا إياها أن تعطف عليه ولكن الفتاة لا تطيق حتى أن تراه، فتهرب منه إلى أن تصل دافني إلى حافة النهر فتتوسل إلى النهر أن ينقذها من مطاردة أبوللو لها فيقبل النهر الوقور الهادئ أن يخفيها عن عيني أبوللو وينشق النهر ليحتضنها ويخفيها عن عيني أبوللو الذي وقف على حافة النهر وراح يبكي في أسى ولوعة، هنا يظهر كيوبيد محلقًا بأجنحته فوق رأس أبوللو وينفجر في ضحكة شريرة قائلًا لأبوللو: أرأيت يا ابن هيرا؟ هل تعترف بقدرتي؟ فيقول أبوللو بذل وانكسار: أعترف بقدرتك يا ابن فينوس ولكن أرجوك خلصني مما أنا فيه وأعدك ألا أكررها وهنا ينطلق سهم رصاصي من كيوبيد يسقط في صدر أبوللو فيشفي من غرامه في الحال.

كيف تم القضاء على أخيل... أسطورة شعبية رومانية

كان أخيل واحدًا من أشجع أبطال الأساطير الإغريقية فمنذ ولادته قررت أمه أن تجعله محاربًا فذًا قوي الشخصية يتفوق على أقرانه من أبطال الأساطير لذا كانت كل يوم تذهب به إلى نهر ستيكس وهوالحد الفاصل بين مملكة الأحياء وهيز مملكة الأموات وكانت تجرده من ملابسه ثم تدليه مرارًا في الماء وبعد ذلك تخرج جسده الصغير وتقوم بتنشيفه، كبر أخيل وصار جسده منيعًا وحين نشبت حرب طروادة وجد أخيل نفسه مدفوعًا لخوض هذه الحرب والتي أبلى فيها بلاء حسنًا فهو الذي قام بقتل هكتور ولم يجد الأعداء لأخيل هذا حل إلا أن أحدهم تذكر القصة وتذكر أن الجزء الذي لم يمسه الماء هو كعب أخيل فيسدد سهمًا مسمومًا إلى كعب أخيل وتكون السبب في موته.

طيور الهاربي... أسطورة شعبية إغريقية

يحكى أن طيور الهاربي ألعن طيور في التاريخ وأخبثها على مستوى الأساطير كانت تعيش في تركيا ولم يكن لها هم سوى تنغيص حياة رجل عجوز ضرير اسمه فينوس، كان فينوس هذا أعمى لا يستطيع الإبصار ولا يستطيع أن يحمي نفسه من هجمات هذه الطيور اللئيمة، والتي تمادت في ظلمها وطغيانها فكلما حاول فينوس المسكين أن يأكل شيئًا أو يشرب شيئًا أو يمسك بشيء إلا خطفته منه هذه الطيور حتى كاد فينوس أن يموت من الجوع والظمأ.

وهنا ظهر أحد أبطال الأساطير الإغريقية وهو جاسون البطل العظيم صاحب القوة الخارقة والعضلات المفتولة استطاع أن يهزم هذه الطيور ويكسر شوكتها كما أنه قتل عددًا كبيرًا منها وراح يطارد هذه الطيور إلى أن هربت إلى جزيرة ستروفيد وبعدها لم تظهر هذه الطيور لفينوس أبدًا وهذه تأخذ شكل الطائر ولكن لها رؤوس آدمية كاملة التكوين وتستطيع التحدث فيما بينها.

ارتباط الحب بالجنون... أسطورة شعبية إغريقية

في قديم الزمان حيث لم يكن على الأرض بشر بعد، كانت الفضائل والرذائل، تطوف العالم معًا، وتشعر بالملل الشديد، ذات يوم وكحَل لمشكلة الملل المستعصية، اقترح الإبداع لعبة وأسماها الاستغماية، أحب الجميع الفكرة، وصرخ الجنون: أريد أن أبدأ، أريد أن أبدأ، أنا من سيغمض عينيه، ويبدأ العدّ، وأنتم عليكم مباشرة الاختفاء، ثم أنه اتكأ بمرفقيه على شجرة وبدأ واحد اثنين ثلاثة، وبدأت الفضائل والرذائل بالاختباء وجدت الرقة مكانًا لنفسها فوق القمر وأخفت الخيانة نفسها في كومة زبالة دلف الولع بين الغيوم، ومضى الشوق إلى باطن الأرض، قال الكذب بصوت عال: سأخفي نفسي تحت الحجارة، ثم توجه لقعر البحيرة، واستمر الجنون: تسعة وسبعون ثمانون واحد وثمانون، خلال ذلك أتمت كل الفضائل والرذائل تخفيها، ما عدا الحب كعادته لم يكن صاحب قرار، وبالتالي لم يقرر أين يختفي، وهذا غير مفاجئ لأحد، فنحن نعلم كم هو صعب إخفاء الحب، تابع الجنون: خمسة وتسعون سبعة وتسعون، وعندما وصل الجنون في تعداده إلى مائة، قفز الحب وسط أجمة من الورد، واختفى بداخلها، فتح الجنون عينيه، وبدأ البحث صائحًا: أنا آت إليكم أنا آت إليك كان الكسل أول من أنكشف؛ لأنه لم يبذل أي جهد في إخفاء نفسه، ثم ظهرت الرقّة المختفية في القمر، وبعدها، خرج الكذب من قاع البحيرة مقطوع النفس، وأشار على الشوق أن يرجع من باطن الأرض، وجدهم الجنون جميعًا واحدًا بعد الآخر، ما عدا الحب، كاد يصاب بالإحباط واليأس، في بحثه عن الحب، حين اقترب منه الحسد وهمس في أذنه: الحب مختف في شجيرة الورد فالتقط الجنون شوكة خشبية أشبه بالرمح، وبدأ في طعن شجيرة الورد بشكل طائش ولم يتوقف إلا عندما سمع صوت بكاء يمزق القلوب، ظهر الحب، وهو يحجب عينيه بيديه، والدم يقطر من بين أصابعه، صاح الجنون نادمًا: يا إلهي ماذا فعلت؟ ماذا أفعل كي أصلح غلطتي بعد أن أفقدتك البصر؟ أجابه الحب: لن تستطيع إعادة النظر لي، لكن لا زال هناك ما تستطيع فعله لأجلي، كن دليلي، وهذا ما حصل من يومها إلى يومنا هذا يمضي الحب الأعمى، ويقوده الجنون.

الرؤية... أسطورة شعبية عربية

مر رجل على قرية ووجد ببابها امرأة عجوز فسألها كيف هم أهل القرية؟ قالت: كيف تركت أهل قريتك؟

قال: تركتهم قومًا جائرين بخلاء أهل سوء.

قالت: فكذلك أهل هذه القرية أهل سوء، فذهب في حال سبيله ولم يدخل القرية.

جاء بعده رجل آخر، وسألها: كيف هم أهل القرية؟

قالت: كيف تركت أهل قريتك؟

قال: تركتهم قومًا كرماء خيرين يحبون كل خير.

قالت: فكذلك أهل هذه القرية أهل خير.

فدخل القرية وأخذ حاجته.[١]

مرحول والجني... أسطورة شعبية سعودية

يحكى أن مرحول رجل يخرج من القبر يطلق صرخة قوية أشبه بعواء الذئب، وما إن يقترب أحد من المقبرة حتى يختفي الصوت، كان مرحول يتنقل بين سراديب القرية آخر الليل والناس في نومهم، وبعد صلاة العشاء يخرج من القبور بشعره الطويل المغبر ثم يقف أمام نوافذ وأبواب المنازل فيطلق عواء مخيفًا، ومرحول كان يتعذب في قبره يسمع صوته وأنينه الناس وكان يهرب من عذاب القبر إليهم.

ويظل مرحول يتنقل في الطرقات الضيقة في أرجاء القرية تارة يطلق عواءه في جانب من القرية وبسرعة ينتقل إلى جانب آخر في أقصاها، وتارة يتوقف في وسط ساحة القرية ثم يعود إلى قبره خائفًا.

---

(١) أعد نظرتك لمن حولك كن أكثر إنصافًا، كل مجتمع يوجد به الكثير من الأمراض النفسية الحقد والضغينة وكذا يوجد الحب والطيبة والأخلاق الحسنة، لكن لتكن نظرتك ثاقبة تصوب بدقة، فلا تنخدع ولا تخدع، ترى الطيبة وترى الشر، نظرة متوازنة، لا تتعالى على الآخرين، ولا تنخدع بهم.

الخروف المسحور... أسطورة شعبية سعودية

كان أحد أبناء قرية من القرى في سالف العصر والزمان عائدًا وهو يركب حماره فلم تكن هناك سيارات، كان يحمل معه قطع من اللحم أعطاه إياه رجل مقتدر، كي يتناوله مع عائلته لأنه فقير ومحتاج، كان الرجل يسير في طريق مظلم قبل أن يصل إلى قريته وفي هذا المكان سمع أصواتًا غريبة، أنينًا ثم صراخًا ثم ضحكات، يتوقف قليلًا ثم يواصل سيره، لكن الأصوات تتعالى والخوف يتملكه، وفجأة وقف عند سفح الجبل فشاهد خروفًا يقف دون حراك بجوار صخرة كبيرة.

فرح الرجل وأراد أن يأخذ الخروف ليذبحه لأسرته فقطع اللحم التي كان يحملها تقترب على الانتهاء، اقترب الرجل من الخروف ولما دقق في ملامحه، فإذا بأقدامه أقدام رجل ويفتح فاه فإذا أسنانه أسنان رجل، وجسمه جسم خروف عرف الرجل أنه جني في حقيقة الأمر فتسمر أمام حماره من هول المنظر وصار يتمتم بكلمات غير معروفه، تعوذ من الشيطان وواصل سيره مع الحمار إلى القرية، وقبل إن يصل فإذا بنفس الخروف يقف بجوار صخرة أخرى ويضحك ضحكات هستيرية، تحولت الضحكات إلى عواء ذئب ثم تحولت إلى صوت معزة وهكذا فأدرك الرجل أنه جان، فقام يقرأ مما حفظ آية الكرسي والمعوذات بكثرة حتى اختفى الخروف، وظل يردد المعوذات حتى وصل إلى بيته وقد ترك ما تبقى معه من لحم للجن.

الحنش... أسطورة شعبية سعودية

كان هناك حنش كبير، وكان يقوم في أوقات الليل المتأخرة ويدخل البيوت فيأكل الحيوانات وإن أراد أحد به سوءًا من سكان البيت يختفي فيعود في ليلة أخرى ليأكل من أراد أن يقتله، كان الثعبان ضخمًا جدًّا يدخل البيت ويلتهم الرجل كله بفمه والرجل يصرخ ويستغيث بينما يخاف الناس الاقتراب منه.

حكاية ودّ العجلة (بالفصحى الذي خلخل وتد العجلة) من التراث الشعبي الشفوي

عندما كبر ابن إبليس وكان واقفًا على تل مع أبيه قال لأبيه: أريد أن أنطلق، أريد أن أقتل أخرب أدمر، فقال له أبوه: مهلًا لا تفعل ذلك دع دع الآخرين يفعلون عنك وأنت تتفرج، فقال الولد: كيف، فنظر إبليس على سفح تل قريب فرأى بقرة ترعى العشب وقد ربطت بحبل طويل في نهايته وتد مدقوق بالأرض وبعيد عنها بمسافة ابنتها عجلة ترعى العشب أيضًا، وقد ربطت بحبل طويل في نهايته وتد مدقوق بالأرض وقربها بيوت فلاحين.

فقال إبليس لابنه: اذهب وخلخل وتد العجلة قليلًا وارجع إليّ كي نتفرج على الذي سيحدث، ففعل ابن إبليس ما قال له أبوه ورجع إلى التل كي يتفرج مع أبويه، بعدها خلعت العجلة الوتد (المخلخل) ووصلت أمها (البقرة) ورضعتها، فحضرت زوجة الفلاح كي تحلب البقرة فلم تجد فيها حليبًا. فحضر الفلاح من الحقل بعد حوالي ست ساعات عمل يدوي شاق كي يتناول طعام غدائه، فسأل زوجته أن تقدم له طعام الغداء فقالت له: لا يوجد غداء، فسألها: لماذا؟ فقالت: لم أجد حليبًا بالبقرة فقد رضعتها العجلة، فقال لها: أنت لم تدقي وتد العجلة جيدًا بالأرض، فأقسمت الزوجة اليمين وقالت له: والله العظيم إنني دققت وتد العجلة جيدًا فلم يصدقها وقال لها: كذابة! وضربها ضربة قاتلة (من التعب والجوع) فماتت فدب الصراخ والعويل، فهجم إخوانها فقتلوه، فهجم إخوانه وقتلوا اثنين من إخوانها، واستمر الصراع بين العائلتين، وامتد إلى الأقارب فالأباعد. سالت دماء كثيرة وحصدت أرواح بريئة كثيرة وإبليس وابنه يتفرجان على رأس التل.

حكاية الفخار والمطر... أسطورة شعبية فلسطينية

يحكى أن شخصًا من مدينة جنين (وكانت بلدة زراعية) بفلسطين رزقه الله بابنتين، ولما كبرتا كان نصيب الابنة الأولى أن تتزوج من شاب من قرية الجلمة، وكان نصيب الابنة الثانية أن تتزوج من شاب من قرية جبع.

تقع قرية الجلمة في مرج بني عامر ويعتمد أهلها في معيشتهم على زراعة المحاصيل البعلية (المطرية)، بينما تقع قرية جبع في جبل نابلس (هضبة السامرة) ويعتمد أهلها في معيشتهم على زراعة الزيتون والرعي وصناعة الفخار لوجود تربة صلصالية في أرضها تصلح لصناعة الفخار، وكان الفخار من المستلزمات الأساسية لحياة الناس وأصبح الآن للذكرى فقط.

بعد مدة من الزمن كونت الابنتان أسرتين كل أسرة تتكون من ٤ إلى ٥ أطفال.

ذات مرة أراد الأب أن يتفقد ابنتيه ليقف على أحوالها؛ لأنه كما قال المثل: همّ البنات للمات، فركب حماره وسافر إلى البنت الأولى المتزوجة في قرية الجلمة، وكان ذلك في منتصف شهر ١٢، فلما وصل سألها عن أحوالها فأجابت: لقد تأخر نزول المطر تأخرًا خطيرًا

ونخشى من المحل (القحط) على موسم هذا العام، ونتضرع إلى الله ليل نهار أن يمن علينا بالغيث وينزل المطر كي لا يموت أولادي من الجوع، فهم وكما تراهم أمامك عبارة عن كوم من اللحم لا حول لهم ولا قوة ولا أحد منهم يستطيع مساعدتنا في شيء ولا أن يساعد نفسه وإن أكبر واحد فيهم لا يزيد عمره عن ثمان سنوات، وأن زوجي لا صنعة له سوى الزراعة البعلية (المطرية) وأضافت: يا ربي مالي باب غير بابك.

رجع الأب إلى بلدته جنين، وبعد أسبوعين هطلت السماء أمطارًا غزيرة استمرت أسبوعين كاملين لم ينقطع لها خيط، ففرح لفرح ابنته المتزوجة في قرية الجلمة والتي كانت قد شكت له من قلة المطر، فاستبشر خيرًا وقرر أن يزور ابنته الثانية، فاستغل أول توقف بسيط للمطر وسافر إلى جبع ليطمئن على أحوال ابنته الثانية وكان ذلك في منتصف شهر ١، فلما وصل سألها عن أحوالها فأجابت: لقد صببنا وجبة الفخار التي تراها أمامك تملأ الغرفة الواسعة منذ أسبوعين ولم تجف للآن والدنيا تمطر المطر الغزير (المطر كبّ من الربّ) ونحن نتضرع إلى الله ليل نهار أن يتوقف المطر كي يجف الفخار ونبيعه ونشتري بثمنه القمح كي نصنع الخبز للأطفال الذين تراهم أمامك عبارة عن كوم من اللحم لا حول لهم ولا قوة، وأن زوجي لا صنعة له سوى الفخار وليس له أرض زراعية ولا يوجد أمامه باب للرزق سوى الفخار وكما قال المثل: يا ربي ما لي باب غير بابك، فليس أمامي غير الدعاء لله عز وجل أن يوقف المطر ليجف الفخار ونبيعه ونشتري للأولاد قمحا يأكلونه كي لا يموتوا من الجوع.

رجع الأب إلى بلدته، فسألته زوجته (أم البنات) عن أحوال ابنتيها فقال لها: إن أشتت الطمي، وإن أصحت الطمي، إن أشتت الطمي على ابنتك التي في جبع، سوف يموت أولادها من الجوع؛ لأن الفخار لا يجف بسبب المطر، وإن أصحت الطمي على ابنتك التي في الجلمة، سوف يموت أولادها من الجوع؛ لأن الزراعة تعتمد على المطر.

حكاية سعد الذابح... أسطورة شعبية فلسطينية

في الماضي وقبل السيارات والطرق المعبدة والجسور على الوديان، كان الناس يسافرون على الحيوانات وفى طرق موحلة وكانوا يمتنعون عن السفر في أربعينية الشتاء لخطورتها، فكانوا يقولون: بين كانونين لا تسافر يا شقي (كانون أول شهر ١٢ وكانون ثاني شهر١). فما أن انتهت الأربعينية حتى عزم سعد على السفر، فركب ناقته وسافر وبعد يومين من السفر واجهته الريح القطبية الباردة، ونظرت والدته شمالًا فرأت الغيوم الشمالية العالية المتقطعة كشحم الإبل ولفحتها الرياح القطبية الباردة فخافت على ولدها سعد، فأخذت تقول وتردد:

إن ذبح سعد فقد سلم، إن ذبح سعد فقد سلم فأحس سعد بهاجس كأنه يسمع كلام أمه، فقام بذبح الناقة وبقر بطنها وأخرج كرشها وجلس مكانه داخل بطن الناقة، وأخذ يأكل من كبد الناقة ولحمها مدة ثلاثة أيام حتى انتهت الرياح القطبية الباردة (اللاسعة)، فخرج من بطن الناقة، وقفل راجعًا إلى بيته بعد أن خسر رحلته وراحلته لكنه لم يخسر حياته.

حكاية القبرة والفيل... أسطورة شعبية فارسية

يحكى أن القبرة اتخذت عشًا وباضت فيه على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد إليه، فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القبرة وهشم بيضها وقتل أفراخها، فلما نظرت ما ساءها منه علمت أن الذي نالها من الفيل لا من غيره، فطارت فوقعت على رأسه باكية، ثم قالت: أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت أفراخي وأنا في جوارك؟ أفعلت هذا استضعافًا منك لأمري واحتقارًا منك لشأني؟!

قال: هوحملني على ذلك، فتركته وانصرفت إلى جماعة من الطير فشكت إليهن ما نالها من الفيل، فقلن لها: وما عسى أن نبلغ منه ونحن طيور؟

فقالت للعقاعق والغربان: أحب منكن أن تصرفن معي إليه فتفقأن عينيه، فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى، فأجبنها إلى ذلك وذهبن إلى الفيل فلم يزلن ينقرن عينيه حتى ذهبن بهما وبقى لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلا ما يقمه من موضعه. فلما علمت القبرة ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت إليهن ما نالها من الفيل، قالت الضفادع: ما حيلتنا نحن في عظم الفيل وأنّى نبلغ منه .

قالت: أحب منكن إن تصرفن معي إلى وهده (حفرة) قريبة منه فتنقنقن فيها وتضججن، فإنه إذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي فيها.

فأجبنها إلى ذلك واجتمعن في الهاوية فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش فأقبل حتى وقع في الوهدة (الحفرة) فاعتطم (هلك) فيها وجاءت القبرة ترفرف على رأسه وقالت:أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لأمري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك.(1)

---

(١) لقد استعملت القبرة الصغيرة الحيلة البسيطة التي أدت إلى قتل الفيل الضخم حيلة بسيطة لكن مفعولها ضخم فقد انتقمت القبرة الصغيرة من الفيل الضخم وقتلته وكما قال المثل: يضع سره في أضعف خلقه وسره تعود على الله عز وجل أي أن الله عز وجل يضع سره في أضعف خلقه، حيث ولدت القوة من الضعف، أي ولدت القوة التي قتلت الفيل الضخم من طائر القبرة الضعيف، والضعف يولد من القوة – موت الفيل الضخم القوى بعد أن اعتدى على القبرة – وهذا العدوان يعد عاملًا من عوامل الهدم الذاتي للقوة.

حكاية الأسد والإنسان....أسطورة شعبية أردنية

يحكى أن الأسد أوصى ابنه الشبل فقال له: لا تخف من أي حيوان على وجه البسيطة إلا الإنسان، فعندما تسمع بوجوده بأرض اتركها بسرعة كي لا يلحق بك الأذى.

سمع الشبل كلام أبيه الأسد، ولكنه عندما كبر وقويت عضلاته، وأخذ يفتك بالحيوانات وأضخم حيوان أضحى يطرحه أرضًا ويأكله، دفعه الفضول ليرى الإنسان الذي خوفه (أخافه) أبوه منه، فأخذ يمشي في السهول ويتجه نحو العمران البشري يبحث عن الإنسان، إلى أن وجد إنسانًا بيده حبل فوقف أمامه، وسأله: أنت الإنسان؟

فقال له الإنسان: نعم أنا الإنسان.

فقال له: لقد خوفني أبى منك كثيرًا، وأنا أرى أني لو ضربتك ضربة أطرحك أرضًا وأقطعك تقطيعًا، وكيف يخوفني أبى منك. فقال له الإنسان: أنت لا تقدر علي لو معي سلاحي.

فقال له الأسد: اذهب واحضر سلاحك وبارزني.

فقال الإنسان: إذا ذهبت وأحضرت سلاحي فسوف تهرب من هنا ولن أجدك.

فقال الأسد: أعدك بأن لا أغادر مكاني.

فقال الإنسان: لا أثق بوعدك؛ لأنك حيوان، وليس لك كلمة، وأبوك خوفك (أخافك) مني.

فقال الأسد: ماذا تريد مني غير الوعد.

فقال الإنسان: أريد أن أربطك بجذع هذه الشجرة بهذا الحبل الذي معي.

فقال الأسد (وقد تقدم نحو الجذع): اربط.فربطه الإنسان بجذع الشجرة بالحبل ربطة قوية في رقبته، لصق رقبته بالجذع وقطع فرعًا غليظًا من الشجرة، وأخذ يهوي بها على رأس الأسد إلى إن مات.

في يوم من الأيام، توجه فلاح شاب يتصف بالأمانة إلى الحقول الجبلية ليحتطب، فعثر علي غرنوق جريح يعاني الآلام. قال الفلاح وهو يقبل على الطائر يعالج جرحه: طائر مسكين، من الذي يطاوعه قلبه ليسقط مثل هذه المخلوق الجميل؟وذات مساء، بعد مرور عدة أيام، دقت باب بيت الفلاح الشاب فتاة صغيرة جميلة، سألته أن يأويها الليلة، فالظلام يهبط، وقد أعياها السير فلم تعد تقوى على مواصلته، ولم يلبث الشاب أن وقع في حبها من أول نظرة، وسألها أن تبقى إلى الأبد، لتكون زوجة له، فوافقت على استحياء.

عاشا معًا في سعادة غامرة، لم يعكرها إلا فقر الشاب، وكان الشتاء يقترب وليس لديه من المؤن ما يكفي لمواجهته حتى يأتي الربيع. وحدث أن الزوجة عرضت أن تشتغل بالنسيج الحريري إلى عاصمة البلاد، وبيعها إلى تاجر كبير، مقابل مبلغ مجز من المال. وكان التاجر مسرورًا بحصوله على الحرير الجميل، وطلب من الشاب أن يأتيه بلفافة أخرى. نقل الشاب رغبة التاجر إلى زوجته، فقالت: لا أعرف إن كان ذلك بإمكاني أم لا، غير أنني سأحاول. وعلى أية حال، من فضلك، لا تدخل عليَّ أو تحاول النظر إليَّ وأنا أعمل أمام النول. وعدها الزوج بما طلبت، غير أنه عجز أمام شدة الفضول عن الوفاء بوعده فاسترق النظر إليها من خلال ثقب بباب غرفة النسج. فهل لك أن تتصور ما رأته عيناه؟ لم تكن زوجته اللطيفة هناك تعمل أمام النول، ولكن غرنوقًا رشيقًا أبيض اللون! كانت الغرنوق الأنثى قد فقدت نصف ريشها، وكانت تنزع ريشها الأبيض وتنسجه فيستحيل حريرًا أبيض لامعًا. فزع الزوج وانطلقت منه عن غير قصد صرخة فأدركت أنثى الغرنوق أن زوجها قد حنث بوعده، وابتعدت بجسمها الممشوق عن النول، قائلة: وحيث أنك قد اكتشفت حقيقتي، فيستحيل عليَّ أن أبقى معك بعد الآن، إنني أنا طائر الغرنوق الذي أنقذته في منطقة الجبال، وقد أتيت لأردَّ لك صنعك وإحسانك، غير أنني يتحتم عليَّ الآن أن أغادرك. ولم يلبث الطائر أن انطلق صاعدًا إلى السماء الزرقاء.

الأميرة والثعبان...أسطورة شعبية يابانية

كان لآمر حصن ابنة جميلة تدعى كوروهيم. وذات مساء ربيعي، اصطحب آمر الحصن ابنته الأميرة في رحلة خلوية للاستمتاع بقطف بشائر الكرز. كانت الطبيعة ساحرة، حيث بدت ذرى الجبال البعيدة وقد غطتها الثلوج، بينما افترشت أشجار الكرز ذات الثمار القرمزية التلال المحيطة بتلك الجبال. وكان آمر الحصن يحتسي بعضًا من كؤوس الساكي، منتشيًا بما يراه من مناظر خلابة، عندما لمح ثعبانًا أبيض صغيرًا يعترض طريق الأميرة كوروهيم ويتطلع إليها في إعجاب. انتابته الدهشة، فأشار لابنته أن تعطي الثعبان كأسًا من الساكي، فشرب الثعبان.وفي وقت متأخر من ليلة اليوم ذاته، استيقظت الأميرة على صوت في مخدعها، ولما فتحت عينيها وجدت محاربًا شابًا أنيقًا جالسًا بالقرب من فراشها، بادرها بالكلام كما لو كان يتوسل إليها: أيتها الأميرة كورهيم، إنني الثعبان الذي قدمت له الساكي، وأرجوك أن تقبلي فتكوني زوجة لي! قالت الأميرة: ما أعجب أمرك! ما كان يجب أن تتقدم إليَّ على هذا النحو. فمن فضلك، اذهب، إلى أبي. فقال الشاب: سأفعل.ولم يمض غير أيام قليلة حتى كان محارب شاب حسن المظهر يزور آمر الحصن، ويسأله الموافقة على زواجه من ابنته، وكان مظهره وسلوكه وهيئته على درجة من الكمال جعلته ينال إعجاب الآمر، غير أن ذلك الأخير عندما علم بأن المحارب هو في حقيقته ثعبان، استشاط غضبًا، وحذَّر من أن تقع عليه عيناه مرة ثانية، إلا أن الشاب لم يخف غضب آمر الحصن، وكرر المحاولة مائة مرة، وأخيرًا قال له الآمر: عد في الغد، حيث سأقوم بالدوران حول الحصن على صهوة جوادي إحدى وعشرين مرة، فإن استطعت مجاراتي في الدوران حتى النهاية، ستكون ابنتي من نصيبك.

فانصرف الشاب منتعشًا بتجدد الأمل إلا أن آمر الحصن جعل رجاله يزرعون مئات السيوف حول الحصن، ونصالها موجهة إلى أعلى. وفي الصباح المحدد لذلك السباق، حوَّل الشاب نفسه إلى ثعبان، ومضى خلف آمر الحصن الذي كان يعتلي ظهر فرسه، فكانت نصال السيوف فالتفت إليه آمر الحصن وقال له في سخرية بالغة أنه من المستحيل أن يعطي ابنته الجميلة لثعبان قبيح مخيف مثله، وفي تلك اللحظة، تمكن الغضب من الثعبان، فانقلب إلى تنين، وخطف الأميرة، وفرَّ بها.الحادة تقطع جسم الثعبان، فأخذ ينزف بغزارة، حتى أنهى السباق في حالة يرثى لها.

يحكى أنه كان هناك رجل وامرأة عجوزان، وكانا جد فقيرين، ولكنهما طيبين وأمينين. وذات يوم، خرج الرجل العجوز إلى الجبال ليحتطب، وعند الظهر، فتح صندوق الطعام ليتناول كريات الأرز التي أعدتها زوجته، وكان متعجلًا، فسقطت منه واحدة من تلك الكريات، وتدحرجت لتسقط في حفرة بالأرض، على بعد بضعة أقدام منه. تقدم العجوز ونظر في الحفرة لعله يتمكن من استعادة كرة الأرز، ولكن الحفرة كانت عميقة ومظلمة.وبعد دقائق قليلة، أطل فأر من الحفرة، وهتف محييًا الرجل العجوز: عمت مساء أيها العجوز، وشكرًا جزيلًا على كرم ضيافتك، الذي أقابله بدعوتك إلى بيتي الكائن تحت الأرض، فاتبعني من فضلك! فسأله العجوز: وكيف لي أن أمرَّ من هذه الفتحة الصغيرة؟ أجاب الفأر: مسألة سهلة للغاية، كل ما عليك أن تغلق عينيك وتمسك بذيلي! ولم يلبث العجوز أن وجد نفسه في بيت الفأر، حيث استقبله عدد من الفئران بالتحية، وعملوا على إبهاجه وتسليته بالمعزوفات والرقصات، وقدموا له ما لذ من طعام، وهم يغنون: لمائة من السنين، لمائتي سنة، بل إلى الآبدين، لن يطرق سمعنا مواء القطط بعد الآن. وعندما عزم العجوز على مغادرتهم بعد بضع ساعات مفعمة بالسرور، قدمت له الفئران هدية وداع، عبارة عن قطع من النقود الذهبية. وهكذا تحول العجوز وزوجته من فقراء إلى موسرين، وحدث أن كان للزوجين العجوزين جار غير حميد الصفات زري الهيئة، ما إن وجد جاريه قد أمسيا غنيين، حتى قرر أن يصبح مثلهما، وفعلًا وصل الرجل إلى بيت الفئران، تحت سطح الأرض، وكان ذلك الجشع قد نوى أن يفزع الفئران لتفر تاركة كنوزها، فيستولي عليها وحده، إذا سمعوا مياو !. وصاح الرجل: مياو، فساد المكان هرج ومرج وجلبة وصراخ، ثم انطفأت الأنوار، ووجد الرجل نفسه وحيدًا في ظلام أبدي، في جوف الأرض.

البنت أوكوما وأسماك السالمونفي...أسطورة شعبية يابانية

في إحدى القرى الجبلية البعيدة كانت تعيش فتاة جميلة تدعى أوكوما؛ وكان يحلو لها أن تقضي أوقاتًا جالسة بالقرب من النهر، لا تفعل شيئًا غير مراقبة سريان مياهه الصافية. وذات يوم، انقضَّ نسر عملاق، فاختطف أوكوما وحلَّق مبتعدًا بها. حزن والدا الفتاة وبلغ بهما الألم مبلغه؛ وكانا يقضيان الأيام والليالي في بكاء مستمر. ولم يظهر للفتاة أي أثر، فاستسلما لليأس، واستقر لديهما أنهما قد فقدا ابنتهما، وذات ليلة، سمعا صوت خرير مياه في مطبخ البيت، وكان

في مواجهة النهر، ووجدا ابنتهما المحبوبة واقفة هناك صامتة، أقام الأبوان الاحتفالات بهذه المناسبة المفرحة، ولكن الفتاة أبت إلا أن تتكتم عن مكان اختفائها، وكيفية إيابها للبيت، واكتفت بالقول: لقد كان الأمر أشبه بالحلم، لا أكثر. ومرَّت أيام قليلة، ثم حلَّ بالمنزل زائر يطلب من والدي أوكوما الموافقة على زواجه منها، دون أن يوضح لهما من هو، أو ماذا يكون، ومن أين جاء. وتكررت زيارته للمنزل لأيام متتالية، حتى ضجر الوالد منه، فلم تجد أوكوما بدًّا من أن تفضي بكل الحكاية، قالت: أسقطني النسر فوق بحيرة عميقة في منطقة الجبال، فانشقت المياه عن سمكة سالمون تعطي لنفسها اسم دايسوكي، أنقذتني من الغرق. والأكثر من هذا أن دايسوكي هي التي أعادتني إلى البيت في تلك الليلة، حيث وجدتموني في المطبخ، وليس الشاب الذي تتكرر زيارته لنا إلا سمكة السالمون دايسوكي، ومقدَّر عليَّ أن أكون زوجة له، فينبغي عليَّ أن أمضي إليه(1).

حيوان الغرير والغلاية...أسطورة شعبية يابانية

يحكى أنه في سالف العصر والأوان، كان يعيش زوجان عجوزان بقرية جبلية صغيرة، وأنهما كانا جدُ فقيرين، حتى أنهما لم يكن لديهما ما يستقبلان به العام الجديد. وفيما كان الرجل العجوز يسير خائر النفس مغتمًا عائدًا إلى بيته، بعد أن ظل يحتطب في الجبال طول اليوم، برز له من بين الأشجار الكثيفة (غُرير) بادره بالسؤال: أيها العجوز، مالي أراك حزينًا؟ فشرح له العجوز حاله؛ فقال الغرير: دعني أقدم بعض العون، إن كاهن القرية بحاجة إلى غلاية جديدة، وسوف أجعل نفسي غلاية، تقوم أنت ببيعها له. ولم يكد حيوان الغرير ينتهي من كلامه حتى اختفى عن الأنظار وحل محله غلاية بهية المنظر. وكان كاهن معبد القرية شديد الحرص على طقوس تقديم الشاي التقليدية، وأراد أن يتباهى أمام أصدقائه بالغلاية التي اشتراها حديثًا، فطلب من أحد تلاميذه أن ينظفها، فلما بدأ الكاهن الصغير في دلك الغلاية، هالهُ أن يسمع دمدمة شكوى تصدر من الغلاية: ما أقساك! ترفق بي! فنقل الواقعة العجيبة إلى كاهنه، فلم يجد لديه إلا اللوم والتعنيف، وليكف عن أحلام اليقظة تلك، ولم يلبث الكاهن أن بدأ يعد الشاي، فصب الماء في الغلاية، ووضعها على النار، فلما سخن الماء فوجئ

---

(1) ومنذ ذلك الحين، ينعم سكان القرية بصيد وفير من أسماك السالمون، في كل موسم صيد؛ أما عائلة أوكوما وخلفاؤهم، فقد حرَّموا على أنفسهم أكل السالمون، منذ ذلك الوقت.

الكاهن وضيفه بالغلاية تقفز من فوق النار صارخة: ساخن جدًّا، ساخن جدًّا! وظهر للغلاية رأس غرير، ثم ذيله، ثم أطرافه الأربعة، عادت الغلاية غُريرًا، انطلق من فوره متخذًا طريقه إلى الجبال.

السيد قشة المحظوظ...أسطورة شعبية من اليابان

يُحكى أنه في قديم الزمان، كان هناك شاب اسمه شوبي يعيش في قرية في ريف اليابان.

وفي أحد الأيام، لما كان عائدًا إلى بيته من العمل في الحقل، تعثرت قدمه بحجر، وسقط يتدحرج على الأرض. وبعد أن توقف عن التدحرج، اكتشف أن قشة قد علقت بيده. قال: حسنًا، إن القشة شيء لا قيمة له، ولكن يبدو بأنه قد كتب لي أن ألتقط هذه القشة، ولذلك فلن أرميها. وبينما كان يمضي في سبيله ماسكًا القشة بيده، جاءت حشرة اليعسوب تحلق وتئز فوق رأسه بصوت مزعج.

قال شوبي: يالها من حشرة مزعجة! سألقن هذا اليعسوب درسًا لن ينساه أمسك باليعسوب، وربط القشة حول ذنبه، ثم واصل السير ماسكًا اليعسوب، حتى التقى بامرأة تمشي مع طفلها الصغير.

وحين رأى الطفل الصغير حشرة اليعسوب، أرادها لنفسه بإلحاح وقال: أماه، أرجوك أن تحصلي لي على ذلك اليعسوب أرجوك، أرجوك! قال شوبي، معطيًا القشة للطفل الصغير: خذ أيها الصغير، سأعطيك اليعسوب أعطت أم الطفل إلى شوبي ثلاث برتقالات، مما كانت تحمله معها تعبيرًا عن امتنانها له.

شكرها شوبي، ومضى في سبيله، ولم يمض وقت طويل، حتى التقى شوبي ببائع متجول يكاد أن يُغمى عليه من شدة العطش، ولم يكن ثمة ماء في الجوار أشفق شوبي على البائع وأعطاه كل البرتقالات ليتمكن من شرب عصيرها.

كان البائع شديد الامتنان وردًا للجميل، أعطى شوبي ثلاث قطع من القماش. مضى شوبي حاملًا القماش، والتقى بأميرة تستقل عربة جميلة يحرسها عدد كبير من الخدم والحشم.

نظرت الأميرة من نافذة العربة، إلى شوبي، وقالت: آه، ياله من قماش جميل هذا الذي تحمله. أرجوك أن تعطيني هذا القماش. أعطى شوبي القماش للأميرة، وهي بدورها أعطته مقابل ذلك مبلغًا كبيرًا من المال.

أخذ شوبي ما حصل عليه من مال، واشترى به حقولًا عديدة. وزّع الحقول على سكان قريته. أصبح لدى كل واحد منهم قطعة أرض خاصة به. عمل الجميع في حقولهم بجد ونشاط. ازدهرت القرية وشُيد فيها الكثير من المخازن الجديدة كان الجميع تنتابهم الدهشة حين يتذكرون أن كل هذه الثروة جاءت من القشة الصغيرة التي كان شوبي قد التقطها.

أصبح شوبي أكبر وجهاء القرية. كان يحظى باحترام كبير من جميع سكانها. وظل كل أهالي القرية ينادونه طيلة حياته السيد قشة المحظوظ.

حكاية السلطان الكذاب...أسطورة شعبية مصرية

في قديم الزّمان، عاش سلطان يحبّ الكذب حبًا جمًا، فكان لا ينطق بأية كلمة إلاَّ إذا تأكد من كذبها حتّى إنّه كان لا ينطق بحرف الصاد كي لا يذكّره بكلمة صدْق. باختصار، كان الكذب يسري في عروقه.

مرّة أحسّ أن أكاذيبه أصبحت مكرّرة، لذا أعلن عن مسابقة للكذب ليرفع من سويّة كذبه، وجعل جائزة أكبر كذبة صندوقًا كبيرًا مطعمًا بالصدف غير أنه لم يكشف عن محتوياته. وحان موعد المسابقة، وتجمهر النّاس وأشار السّلطان للمتسابق الأوّل بالكلام، فقال: -كنّا، يا سلطان الزّمان، ثلاثة، هاجَمَنَا المَحْلُ صرنا ستة، عاش من عاش ومات من مات، أصبحنا اثني عشر. ذات يوم ذهبنا إلى حمَّام السوق فانزلقنا في سواقيها، رجعنا ثلاثة، الأول أطرش، الثاني أعور، الثالث أعرج.

قال الأطرش: أنا أسمع صوت بعوضة في أعلى سمائها.

قال الأعور: صحيح، فعيني تراها.

قال الأعرج: هيًا لنركض وراءها.

ركضنا، فوجدنا برغوثًا يسلخ جملًا، وقفنا عنده، قلنا: ألا تعطينا فخذًا؟ قال حصّلوها وخذوها.

المهم، حصّلنا الفخذ، وقصدنا عجوزًا مشطها في جيبها زيّن الله شيبها، قلنا لها: ألا تطهين لنا هذه الفخذ؟ قالت عندي طنجرة (شرقه، مرقه) تأكل اللحم وتترك المرق، أعطيناها الفخذ، جئنا بالخبز، فتتناه في صينيّة كبيرة، دلقنا فوقه المرق، ورحنا نأكل بالمغارف، حتّى إننا لم نترك فيها لقمة واحدة.

ضحك السلطان فور انتهاء المتسابق من سرد كذبته، قال: أين الكذب؟ إنّك لم تذكر حتى كذبة ضئيلة بحجم رأس الدبّوس، هيا اذهب وأفسح المجال للمتسابق الثاني.

ويتقدم رجل أحمر الشّعر، يرتدي ثيابًا ريفيّة، يحيّي السّلطان ويقول: يا سلطان السلاطين، ذهبتُ البارحة إلى البيدر، فرأيت الفلاّحين يحصدون البيض، يكوّمونه ويدرسونه قلت لحالي: لماذا لا آتي بالجحش وأملأ خرجه بالبيض؟ أي والله، ركضتُ مثل الريح، جئت بالجحش وملأت عِدْلَي الخرج بالبيض، ولحسن الحظ كان عِدْلا الخرج مثقوبين، والبيض يقع على الأرض، ينكسر، يتحول إلى دجاج ويركض ورائي، حتّى إنني عندما وصلت إلى البيت وجدت خلفي دجاجًا كثيرًا، فتحت له الباب (ادخل، بيت، بيت) دخل الدّجاج، نظرت إلى الخرج، وإذا ببيضة كبيرة، مددت يدي لأمسكها، وقعت وفقست جملًا، أنخت الجمل، وضعت عليه حملًا ثقيلًا، فانعقر سنامه، أخذته إلى البيطار، قال: ضع له قشرة جوز مكان العقر، وضعت له القشرة، وإذا بشجرة جوز كبيرة تنبت فوق سنامه، فجأة، أزهرت الشجرة وأثمرت، قطفتها فجمعت قنطارًا، لكن بقيت حبة جوز في رأسها، أمسكت طينة وضربتها، وإذا بالطينة تتحوّل فور ملامستها حبّة الجوز إلى أرض (حمرا نفرا ما فيها حشيشة خضرا) قلت: سأحرث الأرض. أحضرت مقلاعًا، وضعت فيه الثور ورميته، وضعت عُدّة الحراثة ورميتها، ثمّ وضعت نفسي ورميتها، حرثت الأرض وزرعتها بالسمسم، مرّ أحدهم، قال: أخطأت، المفترض أن تزرعها بالبطّيخ، قلت: بسيطة: سأزرعها بطيخًا، ناديت أولاد الجيران ورحنا نلمّ السمسم المبذور، وفور انتهائنا وجدته ناقصًا حبة، بحثنا عنها، هنا، هناك، أخيرًا وجدناها في فم نملة، أمسكنا الحبّة، شدّت شددنا، انعفست الحبّة فغرق أولاد الجيران كلّهم في بحر السّيرج، تركتهم وجئت إلى هنا.

قطّب السّلطان جبينه، نظر إلى الرجل بقسوة، قال: يا لك من رجل أحمق، الظّاهر أنّك لا تفهم الكلام، أنا أقول لك أريد سماع كذبة كبيرة، وأنت تسرد عليّ حكايات لا تحوي حرفًا كاذبًا، هيا استدر واغرب عن وجهي.

استدار الرّجل مكسور الخاطر، ومَثَلَ أمامه رجل لمّاع العينين.

- أيُّها السّلطان المبجّل، عندي كذبة مُتَبّلة.

نظر السلطان إليه، قال: هاتِ أسمعني.

- احم، احم، منذ ثلاثين سنة استدان والدكم السلطان الأعظم جرة مليئة بالذهب الخالص من والدي، فتح السلطان فمه دهشًا، قال: ماذا تقول يا مجنون! والدي أنا يستدين من والدك جرّة مليئة بالذهب؟

- مولاي، إن كنت كاذبًا، فقد فزت وأصبح الصندوق من حقّي، وإن كنت صادقًا، ردّ لي مال أبي.

حكّ السلطان جبينه، قال لنفسه: فِعلًا إنه لكذّاب محترف، لكنه أبدًا لن يكون أكذب من السلطان.

ثم صاح: هيه أنت، لقد فزتَ بالمسابقة، واستحققت لقب أكبر كذّاب في البلاد، هيا تقدم وخذ الجائزة.

نظر الرّجل إلى الصندوق بعين حالمة، تراءت أمام عينيه صور اللؤلؤ والمرجان والفيروز والذهب والفضة وركض نحوه فرحًا، نزع القفل، فتح الغطاء. وشهق مذعورًا. هرع الناس إليه مستفسرين، نظروا داخل الصّندوق، وقعت عيونهم على الحجارة والحصى، فشهقوا واجمين.

أمّا السلطان فكان الوحيد الذي يقهقه، وكأن أحدًا يدغدغ خاصرتيه.

ظلم الحكام... أسطورة شعبية مصرية

يحكى أنّ ملكًا ظالمًا شديد البطش قد أمر رعيته بأن يحصدوا الهواء، فاحتار الناس في أمره وأمرهم، وذهب أحد الشباب ويدعى أحمد إلى والده، وأخبره بالطلب الغريب الذي طلبه الملك. فقال له والده غدًا عندما يقترب الملك منك أُفرك يديك ثم كُل؟؟ وإذا سأل الملك ماذا تأكل؟ فقل له آكل الذي حصدته.

وفي صباح اليوم التالي فعل أحمد كما قال له أبوه. ولما سأله الملك ماذا يأكل؟؟ أجابه كما نصحه أبوه أيضًا، فقال له الملك من الذي علمك هذا؟؟ فأجاب أحمد : أبي، فأمر الملك أن يقتل كلّ شاب أباه، والذي لا يفعل سيقتل هو وأبوه. فقتل الشباب أبوتهم إلا أحمد فقد وضع أباه في بئر عميقة، وكان كل يوم يأخذ له الطعام والشراب خفية عن الناس. وبعد مدة أمر الملك الناس أن يأتوا إليه في الصباح راكبين ماشين، حفاة منتعلين، وأن يُحضر كل واحد منهم صديقه وعدوه وحافظ أسراره معه، ومن لا يفعل ذلك منهم سيُقطع رأسه. ذهب أحمد إلى أبيه عابسًا مهمومًا، وأخبره بطلب الملك، وطلب منه النصيحة، فقال له الأب: هذه مسألة سهلة، خذ معك الجحش الصغير وأمه، واخلع نعل حذائك وانتعله وبهذا تكون حافي القدمين منتعلا، وخذ امرأتك والكلب أيضًا، وعندما تقترب من الملك اركب الجحش فستكون قدماك على الأرض، وبهذا تكون راكبًا ماشيًا. واضرب الكلب أمام الملك فأنه سيهرب، ثم ناد عليه فسيأتيك وهو يهز ذنبه فرحًا، وقل له هذا الكلب صديقي، ثم قل له عن امرأتك هذه عدوتي، وإذا قال لك كيف يكون ذلك؟؟ فاضربها كفًّا أمامه فأنها ستقول لو كنت عدوك لأخبرت الملك عن مكان أبيك، وبالتالي فإنه سيقطع رأسك، وإذا أراد أن يعرف من هو كاتم أسرارك فأره الحمارة وقل له إنها كاتمة أسراري لأنها لا تتكلم. وفي اليوم الثاني ذهب أحمد إلى الملك وفعل مثلما نصحه أبوه، فقال له الملك: إذن أنت لم تقتل أباك وهو الذي نصحك بعمل كل هذا، فأجاب أحمد بالإيجاب. فأعجب به الملك وعينه وزيرًا عنده ثم أمر: كل شخص ليس له كبير عليه أن يشتري له كبيرًا.

الأرانب الأولى...أسطورة شعبية يابانية

كلّ أطفال السماء يبكون بووو هووو قال أحدهم. بووو هووو، قال آخرٌ. بووو هووو. قالت البقية.

- يا صغار يا صغار، ماذا هنالك؟ سألت أم السماء العفريتة.

- ليست هنالك لعبةٌ لنلعب. ردّ أحدهم، ليس هنالك ما نفعله. قال آخر، لا نستطيع اللعب ؛ لأنه لا شيء لنفعله. قالت البقية.

- لماذا لا تشعلون النجوم؟ سألت أم السماء العفريتة.

- أنوار النجوم كلها مطفأة. قال أحدهم منتحبًا، الشمس ناصعة والنجوم انطفأت. انتحب آخر، لا نستطيع أن نشعل النجوم حين تسطع الشمس و تنطفئ النجوم. انتحبت البقية.

- لماذا لا تدقون طبول الرعد؟ سألت أم السماء العفريتة.

- طبول الرعد كلها مكسورة. تنهد أحدهم، لقد ضربنا كل الرعد خارج الطبول. تنهد آخرٌ، لا نستطيع أن ندق طبول الرعد لأن الرعد قد اندقّ كله خارجًا. تنهدت البقية، لماذا لا تهزون الثلج الذي في غربال الثلج؟ سألت أم السماء العفريتة. لن يهتز في الغربال. قال أحدهم، لقد صنعنا من الثلج كراتٍ. قال آخر، لا نستطيع أن نهز الثلج خلال الغربال حين يكون الثلج كله مكورًا. قالت البقية.

- لماذا لا تدحرجون كرات الثلج؟ سألت أم السماء العفريتة.

- أوه! سنفعل! صرخ أحدهم. نعم سنفعل. صرخ آخر، بالطبع سنفعل. صرخ البقية.

بعيدًا ركضوا ناحية حقل كرات الثلج. لنقذفهم. قال أحدهم، لنرميهم قال آخر، لنلتقطهم قالت البقية.

لأعلى لأسفل، بهذه الطريق و بتلك، للأمام و للخلف، رقصت و طارت كرات الثلج!

- أوه! حسنًا! إنها تسقط من سطح السماء. صرخ أحدهم، إنها تسقط خلال ثقوب النجوم المشعة. قال آخر، إنها تسقط خلال الثقوب إلى الأرض. قالت البقية، بعيدا قفزت وطفرت كرات الثلج. وبدأ كل أطفال النجوم بالبكاء مرةً أخرى. حينها فقط أتت أم السماء العفريتة بمشعلٍ لتضيء مصابيح النجوم. تبكون ثانية!؟ قالت: ما المشكلة الآن؟ كراتنا المصنوعة من الثلج سقطت من سطح السماء. قال أحدهم، سقطت خلال ثقوب النجوم المشعة. قال آخر، سقطت من الثقوب إلى الأرض. قالت البقية. يا لكرات الثلج الشقية! قالت أم السماء العفريتة.

ثم رمت مشعلها وراء كرات الثلج ولكنه لسع ذيولها السوداء الصغيرة فقط وسميتموهم أنتم أيها الأطفال: أرانبًا.

في اليابان العتيقة، ومنذ عهد بعيد جدًا، كان هناك جبل يدعى جبل الدموع، وفي قمته وادٍ ضيّق يُحْمَلُ إليه الشيوخ والعجائز من القرى المجاورة عندما يبلغون سن الستين، هناك يتمّ التخلي عنهم ويتركون للموت. بالطبع، كانت هذه عادة وحشية جدًّا وسببت الكثير من الحزن للناس ولكنها كانت قانونًا قديمًا ولا أحد يجسر على خرقه. في إحدى القرى كان هناك فلاح يدعى يوشي يعيش مع أمه التي تدعى فوميكو في كوخ صغير بائس، حيث يكدّ الاثنان كدًّا محاولين توفير القوت من قطعة أرضهما الصغيرة. في صباح بارد، عندما كان الاثنان في الخارج يقطعان الخشب للموقد، قالت فوميكو: غدا هو أول أيام الربيع، فرد يوشي: نعم يا أماه هناك الكثير من العمل لننجزه في الأسابيع المقبلة، ولأننا بقوة وصحة فإننا في هذه السنة مع قليل من الحظ سنحظى بحصاد وفير. قالت أمه: لا يا يوشي، في أول يوم من أيام الربيع قبل ستين سنة مضت، جاءت بي أمي إلى هذا العالم وغدا كما تقتضي العادة، ينبغي عليك أن تحملني إلى قمة جبل الدموع، وتتركني هناك لأموت.

هنا أُثقل قلب يوشي بالهمّ، فقضى بقية النهار في صمت كئيب محاولًا أن يدرك سبب العادات القديمة، في المساء التالي، عندما جلس يوشي وفوميكو لتناول آخر عشاء لهما معًا، فإنّ العجوز لم تأكل، وقالت: الليلة، يا ولدي، ستأكل نصيبي أيضًا، فأنا لن أحتاج إلى الطعام طويلا، وينبغي أن يكون لديك المزيد من القوة لتحملني إلى قمة الجبل.

هكذا ألحّت على ولدها ليأكل، ولكن كان الطعام مثل التراب في فمه فلم يستطع أن يتناول لقمة أخرى.

عندما أشرقت الشمس استعد الاثنان للقيام برحلتهما، نزعت العجوز شالها وغطت به كتفي ابنها، وقالت: الليلة، يا ولدي، ستدّثر بشالي، فريح الليل رطبة وباردة، وأنت يجب أن تبقى دافئًا خلال رحلة عودتك إلى البيت، وعند الباب نزعت قبقابها الخشبي ووضعته علي الأرض، وقالت: الليلة يا ولدي لن أحتاج إلى استخدام القبقاب، فخذه واحفظه إلى اليوم الذي يصبح فيه قبقابك باليا، هنا بدأ قلب يوشي بالتمزق ألمًا.

ثم صعدت فوميكو فوق ظهر ابنها، وهكذا بدأت الرحلة الحزينة، حيث على الأقدام تسلقا الممر أعلى فأعلى باتجاه قلب الجبل. بزغ القمر عاليًا فوق أشجار الصنوبر، وكان

التعيسان يشكلان ظلًّا كظل حيوان غريب برأسين، في منتصف الطريق الجبلي اختفى الممر، فكان على يوشي أن يجد طريقه الخاص وعندما مشى خلال الأشجار والشجيرات فإنّ فوميكو كسّرت نهايات الأغصان سأل يوشي : ما الذي تفعلينه يا أماه؟ هل تسمين أثرًا كي يمكنك أن تجدي طريقك إلى البيت ثانية؟ أجابت : لا يا يوشي، أنا أسمُ هذا الأثر من أجلك. عندما سمع هذه الكلمات، فإن قلب يوشي انشقّ إلى نصفين فقال: أماه، أنا لا أستطيع أن أتركك فوق جبل الدموع، ورغم أن القانون يُحرّم ذلك فإنني سآخذك إلى البيت، أنتِ عجوز ولكنك قوية وطيبة القلب وحتى لو كنت واهنة ضعيفة فإنني لن أتركك هنا كي تموتي. وهكذا رجعا معًا إلى البيت في تلك الليلة؛ ولكي يتأكد أن ليس من أحد عرف ما الذي قد فعله فإن يوشي أخفى أمه تحت سقيفة باب كوخهما.

قَدِمَ الربيع فقضى يوشي جميع نهاراته في حقول الأرز مشتغلا بكد ضعف شغله لأنه اشتغل وحده، وفي كل ليلة كان ينسل تحت سقيفة الباب حاملًا الطعام والشاي لأمه، هناك في الظلمة يقضيان معا بعض لحظات أثيرة.

وفي أحد الأيام دعا مالك أرض المقاطعة الديميو جميع فلاحي القرية إلى قلعته. كان الديميو رجلًا جبارًا يبتهج بعض الأوقات عند أمر فلاحيه بعمل فروض غاية في الصعوبة، في هذا اليوم أخبرهم : يجب أن يجلب كل واحد منكم حبلًا مجدولًا من الرماد، فإن لم يستطع عمل ذلك فسيُغرّم بوشلا من الرز.

رجع الفلاحون المساكين إلى بيوتهم يمشون ببطء وقد عرفوا أنهم لن يقدروا على جدل حبل كهذا، وحين دبَّ يوشي تحت سقيفة الباب في تلك الليلة فإنه أخبر أمه بكل ما حدث. رشفت فوميكو شايها، وفكرت لحظة ثم قالت: يمكن عمل ذلك، أولًا يجب أن تجدل حبلًا من خيط قنبي بكل ما تستطيع من قوة ضعه فوق صخرة ملساء وسخنها بمنتهى العناية إلى أن يتحول الخيط القنّبي إلى رماد، بعدئذ يمكنك أن تحمل الصخرة مع حبل الرماد إلى القلعة، عمل يوشي كما أخبرته أمه تمامًا. وفي اليوم التالي حيث تجمع الفلاحون ثانية في القلعة كان هو الوحيد الذي عنده حبل مجدول من الرماد، سرّ الديميو كثيرًا بيوشي لكنه أمر أتباعه بعمل فرض آخر ليرى إن كان الشاب بارعًا حقًّا كما بدا، فقال (يجب أن تجلبوا محارة بخيط وَلجَ كلّ حلزون من حلازينها، أما أولئك الذين لا يستطيعون إكمال الفرض فينبغي أن يُغرّموا بوشلًا آخر من الرز.

من جديد عاد الفلاحون مُجهدين إلى بيوتهم ومحبطين، كيف يمكن لأيّ كان أن يخيط محارة؟ ومن جديد أخبر يوشي أمه بكل ما قد حدث، فكرت فوميكو لحظة ثم قالت: يمكن عمل ذلك، أولًا يجب أن تضع حبّة رز عند نهاية الخيط، أعط الحبة إلى نملة ما واجعلها تدبّ إلى النهاية العريضة من المحارة، وجّه النهاية الضيقة نحو الضياء، فالنملة ستدبّ نحوها مجتازة كل حلزون في طريقها إلى الخارج، وعندما تصل النملة إلى النهاية فإن محارتك ستكون مخاطة.

فعل يوشي كما أخبرته أمه، وفي اليوم التالي تجمع الفلاحون كان يوشي هو الوحيد الذي استطاع أن يخيط المحارة، كان الديميو متأثرًا للغاية فدعا يوشي إلى جانبه قائلًا له: أخبرني، أيّها الفلاح الشاب، كيف استطعت أن تنجز مثل هذه الفروض الصعبة.

في حضرة مالك أرض جبار كهذا، فإن قلب يوشي بدأ يخفق بسرعة، وخاف على أمه، ولكنه كان رجلًا فاضلًا فأجاب بصدق: اغفرْ لي لأنني قد خدعتك حين لم أطع قوانين شعبنا، في أول يوم من أيام الربيع كان يُفترض عليَّ أن أحمل أمي إلى قمة جبل الدموع وأتركها هناك كما تقتضي العادة، ولكنها أم طيبة القلب حقًا فشعرت بالأسى الشديد من أجلها لذا أرجعتها إلى البيت وأخفيتها تحت أرضية كوخنا. وعندما أمرتنا أن نعمل مسائل صعبة كهذه، سألت أمي طلبا للنصيحة، فكانت هي من أخبرني كيف أصنع الحبل وأخيط المحارة. تأثر الديميو تأثرًا شديدًا بقصة يوشي حيث تذكر الحزن الذي قد شعر به هو كذلك حين حمل والده ووالدته إلى قمة جبل الدموع، قال: أيها الفلاح يوشي إنها لحقيقة أنك لم تطع قوانين شعبنا وأعرافه، لقد كان واجبك يقتضي بأن تتخلى عن أمك ففشلت في ذلك، لكنّ حكمة أمك علمتنا درسًا قيّمًا.

رفع الديميو صوته لكي يستطيع سماعه جميع الفلاحين: يوما ما سيهرم كل واحد منكم، بعضكم سيصبح ضعيفًا وغير قادر علي العمل في الحقول، سيصبح فمًا إضافيًّا لتناول الطعام، ومصدرًا للهم بالنسبة لأطفالكم، ولكن بعضكم سيغدو حكيمًا في تلك السنين، وحكمة الشيوخ شيء نفيس لا يمكن قياسه ببوشلات من الرز، لذلك أعلن عن نهاية قانون التخلي في جبل الدموع.

عندما رجع يوشي إلى كوخه في تلك الليلة، قاد أمه من تحت السقيفة المظلمة إلى قنديل كوخهما، ثم احتفلا ــ الأم وابنها ــ بلقائهما العائلي البهيج(١).

علية وعلوية.... أسطورة شعبية عربية

كـان ياما كان في قديم الزمان كان يعيش في قرية من القرى الصغيرة، أناس طيبون، وكانت تعيش في هذه القرية أرملة عجوز، قد مات زوجها وترك لها في الدنيا ابنتين: الأولى تسمى علية والثانية تسمى علوية، وكان لدى الأم كلب ترعاه وتهتم به وتعطف عليه. ومضت الأيام والأيام، وكانت الأم تعاني من مرض خطير ليس له علاج وقبل أن تموت الأم، أوصت كلبها بأن يحافظ ويرعى علية وعلوية، وعندما توفيت الأم، عمل الكلب على تحقيق رغبتها فكان يقوم بجلب الطعام للابنتين في كل وجبه، ويحضر كل طلباتهما وعلى مر الأيام كانت الصغيرة علوية تتساءل بينها وبين نفسها، من أين يحضر الكلب الغذاء لهمـا، مع أنه مجرد حيوان لا يتكلم ولا يفهم؟

وكان الكلب يسير وعلوية تسير خلفـه، حتى خرج من المدينة، وسـار في الصحراء، وعلوية تتبعه، حتى وصل إلى صخرة، فرفعها ودخل في غار تحتها، فاقتربت علوية من الصخرة فسمعت صوت امرأة تخاطب الكلب وتقول له: يامهنا يامهنا وين رحت اليوم عنا فرد الكلب قائلًا: بين علية وعلوية زينات المبسم سوية.

اكتشفت علوية الحقيقة وعرفت أن الكلب الذي يخدمهما إنما هو كلب جني فتملكها الخوف، فعادت إلى البيت، قبل أن يكتشف الكلب أنها تبعته، ومن الخوف لم تستطع علوية أن تنطق بكلمه، وانعقد لسانها عن الكلام وتظاهرت أمام أختها بأنها تعبة، وتركت أختها، قبل أن تشاهد على وجهها علامات الخوف، وذهبت لكي تنام؛ ومرت الأيام، ونسيت علوية الحادثة، وفي إحدى المرات كانت علوية تتأرجح على الأرجوحة، والكلب قد استلقى بالقرب منها، فنست علوية نفسها وأخذت تغني: يامهنا يامهنا وين رحت اليوم عنا، بين علية وعلوية زينات المبسم سويه» انتبه الكلب إلى كلام الأغنية، وانتصبت أذناه من الغضب، فقال لها الكلب مزمجرًا بغضب: علوية، علوية لحقتيني وعرفتي السر!

خافت علوية من بطش الكلب، وصاحت بصوت مرتفع من الخوف وقالت: سأتوب: سأتوب لن أعود إلى ملاحقتك، ولن أكشف السر، لكن الكلب لم يتراجع عن

(١) البوشل: مكيال للحبوب يساوي ثمانية غالونات.

غضبه، فلعق رجلها بلسانه فتحولت رجلها إلى رجل حمار، ثم حملها مسافة بعيدة إلى مدينة تبعد عن مدينتهم ورماها فوق المزبلة التي يرمي فيها السكان مخلفات بيوتهم، وفي تلك اللحظة، كانت إحدى خدم حاكم المدينة تنظف سفرة الطعام في نفس المكان فسمعت صوتًا يقول: لا تنثري السفرة على الساس، في الزبالة توجد فتاة، فسارعت الخادمة إلى البيت، وأخبرت سيدتها بالذي سمعته فجاءت سيدة البيت إلى المكان وسألت قائلة: «أنت إنسية ولا جنية؟ فردت عليها علوية: أنا إنسية، ومن أطيب الإنس.

فعندما خرجت علوية من بين أكوام الزبالة، ورأت السيدة جمال الفتاة قررت أن تزوجها من ابنها، لكن أهل المدينة، غاروا من هذه الفتاة الغريبة التي تأتي من مكان بعيد لا يعرفونه، ولا يعرفون أصلها، وتتزوج ابن الحاكم الذي كانت كل أم في المدينة ترغب به زوجًا لابنتها؟ وحاول سكان المدينة معرفة كل شيء عن هذه الغريبة حتى يعرفوا عيوبها، لدرجة أنهم سألوا الماشطة التي تقوم بتزيينها للزواج أن تعرف لهم حتى الأشياء الدقيقة عن هذه الفتاة الغريبة، فقالت الماشطة: إنني لا اعرف أي شيء عنها، حتى أنني أقوم بتمشيط شعرها، وهي جالسه لا تتحرك من مكانها.

فقالت النساء للماشطة: غدًا حاولي أن تسقطي المشط من يدك، ودعيها تحضره بنفسها، وفي اليوم الثاني، أسقطت الماشطة من يدها المشط وقالت للفتاة علوية: من فضلك أحضري لي المشط، الذي سقط من يدي، فأنا امرأة كبيرة بالسن ولا استطيع أن أتحرك من مكاني، فعندما نهضت علوية من مكانها، كشف الفستان عن ساقها، فشاهدت أن ساق علوية هي رجل حمار، وعندما خرجت الماشطة من القصر، نشرت الخبر في جميع أنحاء المدينة أن رجل الفتاة الغريبة التي سيتزوجها ابن الحاكم هي رجل حمار، أرادت نساء المدينة الانتقام من الفتاه الغريبة بعمل سباق للجري بين النساء فقط، حتى تنكشف ساقها، وتعرف نساء المدينة الحقيقة، وأخبروا ابن الحاكم بأنهم يودون أن تشارك زوجته بهذا السباق بمناسبة احتفالات السباق التي سيقيمنها، فلم يمنع ابن الحاكم أن تشارك زوجة المستقبل معهن، وأدركت علوية بأن سرها سينكشف وسينفضح أمرهـا، وهي تفكر بطريقة تتخلص منها من هذه الورطة.

ومن تعب التفكير والسهر، غفت عيناها غفوة قصيرة، ثم صحت فجأة، فشاهدت أختها عليه وزوجها مهنا، الذي كان كلبًا فتحول إلى رجل، وعندما شاهدها مهنا زوج أختها قال لها: «لقد انتهى العقاب يا علوية!

ثم لحس رجلها، وردها إلى أصلها، وقامت أختها بصبغ رجلها بالحناء ثم رحلا عنها.

الشيطان والمرأة..... أسطورة شعبية عربية

كان من عادة الشيطان أن يأتي عند قرية من أجل أن يفتن أهلها، وهذه القرية كان يتواجد بها فقيه عالم مؤمن يعلمهم ما قال الله وما قال الرسول ﷺ، فقال الشيطان: إذا بقيت هذه القرية في هذا الصلاح فمن سيدخل معي جهنم؟ لابد لي من ابتكار حيلة ما من أجل إفسادهم.

فيأتي بأعوانه فلا يستطيعون شيئًا أمام إيمانهم القوي، فيقطع الشيطان رؤوسهم إلى أن بلغ أربعين شيطانًا من أعوانه.

وذات يوم التقى بعجوز شمطاء تمشي على ثلاث -يعني العكاز- فسألته: ماذا تفعل هنا؟ فقال لها: أريد أن أشتت شمل هذه القبيلة و أبعدهم عن الإيمان. فقالت: و إذا فعلت ماذا تعطيني؟ قال لها: اطلبي ما تمنيتي. الآن قبل أن تفعلي. قالت: أريد بُلْغة ولباسًا وسأفعل ما تريد.

فقال: المهم في هذه القبيلة هو الفقيه العالم وزوجته فإن قدرت عليهما هان الأمر لك. قالت: هذا أمر سهل.

ذهبت العجوز عند زوجة العالم وقالت لها: السلام عليكم، ردت المرأة: وعليكم السلام، فقالت العجوز: ما هي مهنة زوجك؟ قالت المرأة: هو فقيه عالم، قالت العجوز: لن أخفي عنك الأمر يا ابنتي فزوجك متزوج من امرأة أخرى. صدمت المرأة وولولت ، لكن العجوز هدأت من روعها وأخبرتها أنه باستطاعتها مساعدتها و تطليق الزوجة الثانية منه. قالت المرأة: وكيف ذلك؟ ردت العجوز: أريد منك أن تحضري لي سبع شعيرات من لحية الفقيه زوجك ، انتظري إلى أن ينام ثم اقطعي الشعيرات بالسكين وهذا كفيل بإبعاده عن الأخرى. شكرت المرأة العجوز و عزمت على تنفيذ ما أخبرتها به.

ذهبت العجوز هذه المرة عند الفقيه العالم- الزوج- وابتدأت بالسلام وقالت: هل أنت هو الفقيه؟ قال: نعم. قالت له: إن زوجتك تريد قتلك. قال لها: أنت تكذبين فزوجتي امرأة تقية تصلي وتعرف ربها. قالت: أقسم لك أنها ستغدر بك وتقتلك. قال: وما دليلك؟ قالت: إذا لم تصدقني ، تظاهر اليوم بالنوم وستراها تحمل سكينا تريد قتلك به. وفي المساء

استلقى الفقيه على فراشه وتظاهر بالنوم، جاءت الزوجة وهي تحمل سكينا تريد قطع السبع شعيرات من لحيته وهي تعتقده نائمًا، أما الفقيه فقد اعتقد أنها تنوي قتله فأخذ السكين منها وقتلها.

عند ذلك ذهبت العجوز عند أهل الزوجة و أخبرتهم أن الفقيه قد قتل ابنتهم دون ذنب، فأتوا بعصيهم مجتمعين للنيل منه و أخذوا في ضربه حتى الموت، فما كان من العجوز إلا أن ذهبت عند أهل الفقيه وأخبرتهم أن أنسباءهم تحالفوا ضد ابنهم وقتلوه دون ذنب، فاجتمعوا وأخذوا أسلحتهم و ذهبوا للثأر ممن قتل ابنهم وما هي إلا لحظات حتى قتل من قتل وشب النزاع والخلاف في القرية بعد أن كانوا قوم صلاح وإيمان وتقوى. ذهبت العجوز إلى الشيطان لتأخذ ما وعدها به فأخذ الشيطان قصبة طويلة وعقد في نهايتها رزمة الملابس التي أرادتها العجوز ومدها إليها، فسألته أن يقترب منها فقال: لا أحرقتني نارك وأنت بعيدة فكيف إذا اقتربت منك؟

أبناء السلطان....أسطورة شعبية عربية

سلطان له زوجتان، واحدة شريرة شغلها الشاغل أن تضمن وراثة العرش لابنها بعد وفاة زوجها المريض، في حين أن الزوجة الطيبة كان همّها العناية بزوجها السلطان المريض، ولهذا فإن الزوجة الشريرة لجأت إلى كبير السحرة طالبة المساعدة في تحقيق هدفها فأعطاها طائرًا سحريًّا كي تذبحه وتطبخه وتطعمه لابنها، وعند موت السلطان فإن طائر السعادة الذي سيطلقه الناس سيحط على رأس الابن الذي أكل الطائر السحري وبالتالي سيصبح هو السلطان.

وعندما ذهب ابن الشريرة للصيد مع إخوته مصطحبًا الطائر السحري المطبوخ، لم يكن جائعًا، فأكله أخوته. وعندما تفرقوا للصيد بعد مقابلة امرأة عجوز لم تنحز بنصيحتها لأيّ منهم. وصل كبيرهم سالم إلى مدينة عامرة بسكانها المجتمعين لاختيار سلطان وريث لسلطانهم المتوفى، وعندما أطلق كاهنهم طائر السعادة حطّ على رأس سالم فكرروا محاولتهم أكثر من مرة وكانت النتيجة واحدة، فسلطنوا سالمًا عليهم.

أما الابن الثاني سلمان فقد وقع في فخّ قبطان سفينة على شاطئ بحر، فدعاه إلى جولة بحرية وفي نيته أن يلقيه في البحر كي تسير سفينته بسلام، وفي السفينة التقى بشاب حبيس

غرفة شبيهة بالسجن، فأخبره بنية القبطان، فهربا من السفينة بقارب نجاة حتى وصلا جزيرة أقزام سكانها يقتتلون، فانضما إلى الفريق الأكبر وهزما الفريق الآخر، وأصبح سلمان ملك الأقزام والسجين الآخر وزيرًا عنده، في حين وصل الابن الثالث سويلم إلى غابة كثيفة، فرأى عربيدًا أسود يطارد أفعى، فقتل العربيد، وكافأته الأفعى بأن أعطته نايًا، إذا عزف عليه وصل إلى ما يتمناه، ومشى في طريقه حتى وصل مدينة فيها قصر من جماجم البشر، وسبب ذلك أن للسلطان بنتًا لا تضحك، ومن لا يستطيع إضحاكها يقطع رأسه ويضيف جمجمته إلى جماجم الآخرين، واستطاع سويلم أن يضحكها عندما استحضر بواسطة الناي السحرية طفلة بثلاثة أنوف. وعلى الفور أمر السلطان بإقامة حفل زواج كبير، ومنح زوج ابنته مالًا وقصرًا فخمًا، أما الابن الرابع مُسلّم ويعتقد أنه ابن الشريرة، فقد وصل إلى سلطنة أخيه سالم الذي زوجه أجمل فتيات سلطنته.

وبعد شهر التقى الأخوة عند شجرة الخروب التي تفرقوا من عندها، وعادوا إلى بلادهم، فوجدوا أن الزوجة الشريرة قد استولت على العرش بعد وفاة أبيهم وتزوجت من وزيره، جلسوا معًا وتذاكروا في الأمر، قال سالم مخاطبًا أخاه الصغير: يا أخي إنها أمّك وأمّنا جميعًا ولا سبيل إلى عمل شيء الآن، سندعو الناس إلى حضور انتخاب الملك الجديد، وسنقبل بأي شخص يحط على رأسه طير السعادة، وفي اليوم التالي حطّ طير السعادة على رأس سالم فرضي به الجميع ملكًا وعاش الجميع في هناء وسرور.

كيد النساء... أسطورة شعبية عربية

تاجر من التجار عز عليه أن يكون الكيد للحريم فقط، كيف لا وهو يعيش في بيئة ذكورية وثقافة فحولية يعز عليها أن تمتاز الحرمة بشيء ولو كان كيدًا على السيد الفحل، فكتب على باب متجره لافتة تقول: الكيد كيد الرجال!! فأثارت تلك اللافتة امرأة باذخة الجمال والكيد متأصل في جنسها كما ذكره القرآن فذهبت إلى صاحبنا صاحب المتجر فخضعت في قولها وأخذت تلاطفه حتى أصابت سهام دلها سويداء قلبه وأخذت ترغبه في الزواج بها حتى ذهل ولم يصدق وكأنه في حلم وقالت له: أنا ابنة فلان الفلاني وجيه وعلى قدر كبير من الشرف والحسب والنسب، وبيتنا في المكان الفلاني وإذا تقدمت لخطبتي فاعلم أن أبي سيقول لك: إني معاقة ولا أصلح لك كزوجة وأنني لا أناسبك لكي لا يزوجني إياك،

ولكن أنت وافق على جميع الشروط ولو ذكروا لك أن بي كل عيوب الأرض فقل إني: موافق على الزواج بها، وها أنا ذا أمامك فانظر ما بي من العيوب، فذهبت بلبه وأغلق متجره دكانه وذهب إلى البيت الذي وصفته له وتقدم لخطبتها، فقال أبوها: إنها لا تناسبك وإنها معاقة ولا تصلح للزواج، فقال في نفسه: هذا مصداق كلامها، وقال: إنني موافق رغم كل ما ذكرت ولو قلت أن بها عيوب الأرض لم أتزوج إلا بها فطلب عليه طلبا كبيرا كصداق مهر وكذلك طلب مؤخرا باهظًا؛ لكي يضمن حياة ابنته وانتهى التاجرالعريس من الشروط وأمور الزواج التي تسبقه عادة وأصبح لا يرى بين عينيه إلا صاحبته التي ذهبت بلبه وغيرت حاله من لحظة رؤيتها، وتاقت نفسه للحظة لقاء محبوبته حتى إذا ما تم الزواج وكانت ليلة الفرح ودخل عليها فوجد ما أذهله!! وجد امرأة معاقة مقعدة على كرسي متحرك وصورتها مشينة، فذهل وبقي أيامًا لا يفيق من هول الصدمة، ولم يفتح متجره (دكانه) تلك الأيام مما حدا بصاحبتنا التي أتت إليه في بادئ الأمر أن تبحث عنه؛ لكي ترى حاله وتستكمل ما في نفسها فوجدته في حال يرثى لها فما إن رآها حتى طفق إليها يوبخها ويتهمها بخيانته، ويذكر لها الوضع المأساوي الذي وضعته فيه، والحالة المزرية التي أوقعته فيها، فعرضت له خدماتها للتوصل لحل مناسب لهذه المصيبة التي قد لا يكون المؤخر الباهظ أشدها، ولكن علقت حلها الذي ستقدمه بشرط لا بد أن ينفذه فعاهدها وواعدها أن يفعل أي شيء تريده مقابل تخليصه من هذه الورطة التي هو فيها، وكان شرطها أن يبدل صيغة تلك اللافتة ويكتب: الكيد كيد الحريم.فصدق في وعده إياها ولبى شرطها وأعطته الحل وقالت اذهب إلى أقرب جزار (قصّاب) واشتغل عنده واحرص على أن يصل هذا الخبر إلى أب زوجتك وستجد بعد ذلك أن أبا زوجتك (الوجيه، صاحب الأصل والفصل) يطلبك طلاقها ويحرص على ذلك بوضع يمكنك من أن تملي شروطك عليهم وفعل ما أمرته فلم يلبث إلا وقد أتاه أبو زوجته يطلبه أن يطلق ابنته، وكلمه بشدة مستنكرًا أنه لم يخبرهم بأصله ومهنته فرد تاجرنا بأنهم لم يسألوه ولم يكن هناك ما يستدعي ذلك، وقال: بأن هذه المهنة هي مهنة جده وأبيه من قبله ومهنته كذلك وإنما جمع من هذه المهنة بعض المال وعزم على الاتجار به وفتح متجره، وعندما ساءت أحواله المالية رجع إلى مهنته التي يكتسب منها عيشه، فألح أبو زوجته على أن يطلق فرفض وقال: لن أطلقها وأنا أطمع منها بولد أكتسب منه (الأصل والفصل) لا سيما وأنكم من نسب عريق، فثارت ثائرة الأب وقال له: اطلب ما شئت من الأموال وغيرها على أن تطلق! فطلب التاجر ضعف ما دفع إليهم وأعطوه، وتم الطلاق وأخذ ما أعطوه وذهب به إلى صاحبتنا الأولى –

التي أوقعته في الورطة- قائلا لها: هو بالنصيفة بيننا، يومئ إلى أن تتزوجه فرفضت وكان غاية ما طمحت إليه أن تثبت عظم كيد النساء وتثبت صدق الله جل وعلا: إن كيدكن عظيم.

أبناء الملك.....أسطورة شعبية عربية

كان لأحد الملوك ثلاث بنات وثلاثة صبيان، وقد عني بتربيتهم، وحرص على أن يغرس فيما بينهم المودة والتفاهم، ولما حضرته المنية أوصى أبناءه الثلاثة أن يزوجوا شقيقاتهم لأول خاطب يطلب الزواج منهن، فوعده الإخوة بتحقيق ذلك، وبعد وفاته تولى الابن الكبير الملك، وعين أخاه الأوسط وزيرًا للميمنة، والصغير وزيرًا للميسرة، وسارت لهم الأمور على خير ما يرام.

وذات يوم تقدم إليهم رجل رث الثياب، زريّ الهيئة، يطلب الزواج من أختهم الكبرى، ولما سأله الأخ الكبير عن عمله، أجاب بأنه يعمل وقّادًا في حمام، في بلد بعيد، فغضب الأخ، وأقسم لن يزوجه أخته، ولو سلخوا جلده، وشايعه الأخ الأوسط وأقسم لن يزوجه إياها ولو فرموا لحمه، وتدخل الأخ الصغير، فذكّر أخويه بوصية الوالد، وطالبهم بتنفيذ وعدهم له، فأحس كل من الأخوين بالإحراج، واضطرا للموافقة، وفي أيام تم تجهيز البنت الكبرى، وزفافها إلى الغريب، الذي لم يلبث سوى أيام، حتى أخذها معه إلى بلاده البعيدة.

وفي يوم آخر قدم غريب آخر، فكان من أمره ما كان من أمر الأول، ثم قدم غريب ثالث، فكان من أمره أيضًا ما كان من أمر الأولين، وهكذا تزوجت الأخوات الثلاث على كره من الأخوين، الكبير والأوسط، وبموافقة من الأخ الصغير، تنفيذًا لوصية الوالد. وبدأ الأخوان الكبير والأوسط يحسان بالضيق من أخيهما الصغير، وأخذا يكيدان له، حتى أصبح لا يطيق الإقامة معهما في القصر، فقرر اعتزال الحكم والتخلي عن المشاركة فيه، وما كان منه إلا أن هجر القصر، وتاه في البلاد، لا يستقر به المقام في بلد، حتى ينتقل إلى سواه، وكان دائمًا يتمنى أن يدخل بلدًا تكون فيه إحدى شقيقاته، لعله يلتقي بها، ويطمئن على حالها، وهو لا يعرف في أي البلاد مقرهن.

وذات يوم، وهو في الفلاة، يسير وحده تائه الخطا، لاحت له غزالة، اقترب منها، فلم تجفل، فاقترب أكثر، فإذا هي تنطلق وتحييه بفصيح الكلام، فدهش لأمرها، وقد فتنته بحور

عينيها، وجيدها الأتلع، وشعر بالأنس في قربها، وأخذ لا يفارقها، يسير حيث تسير ويقيم حيث تقيم.

ولما تأكدت الغزالة من تعلقه بها، عرضت عليه صحبتها، ووعدته بأن تحقق له ما يتمناه، فوعدها أن يظل وفيًا لها مدى العمر، ثم تمنى عليها أن تحمله إلى شقيقته الكبرى، فطلبت منه أن يبقي أمرها سرًا، وألا يبوح بشيء عنها، مهما حاولت أخته وزوجها استدراجه إلى ذلك، ثم حملته على ظهرها وقفزت بضع قفزات، وإذا هو أمام قصر شاهق، قعد في ظله، لا يعرف ماذا يفعل، وهو غير مصدق أن تكون أخته فيه، ولما طال قعوده، أخذته سنة من نوم، فأغفى ونام.

وخرجت إحدى الجواري في القصر، فرأت شابًا وسيمًا، بهي الطلعة، يشبه سيدتها الشبه كله، فأسرعت إلى سيدتها تخبرها بأمره، وقد وصفته لها، ثم قالت: عينه عينك، ووجهه وجهك، ولاشك أنه أخوك أو ابن عمك، فدهشت السيدة، وأرسلت الخدم لإحضاره ولما دخل عليها أسرعت إليه تعانقه وتبكي، وتعجبت لتمكنه من حضوره إليها، وسألته إذا كانت الغزالة قد أحضرته، فنفى ذلك، فحذرته منها، فأكد أنه لم يلتق بغزالة، ولا يعرف من أمرها شيئًا.

وأعدت الأخت لأخيها أطايب الطعام، وفرحت به، وسعدت بلقائه، ثم فجأة عمّ الكون قتامة سوداء، وقصف الرعد، وزمجر، فسرى الخوف في أوصال الأخت، فعجب أخوها للأمر، فأخبرته أن زوجها قادم، فسألها: ومن زوجك؟!، فأجابته: ملك الجان الأحمر، ثم نفخت على أخيها فحولته إلى قطعة حلوى صغيرة، خبأتها في ثوبها. ودخل الزوج غاضبًا، وبادر إلى سؤالها عمن في زيارتها من الإنس، فأنكرت فأكد لها أنه يشتم رائحة الإنس، ولا داعي للإنكار، فأقرت بوجود أخيها، فازداد غضبه، وأكد أنه سوف يسلخ جلده، إن كان أخاها الأكبر، وسيمزق لحمه، إن كان أخاها الأوسط، أما إذا كان أخاها الأصغر، فإنه يرحب به خير ترحيب، فاطمأنت الأخت، وأعادت أخاها إلى حالته الأولى، فرحب به زوجها، وعانقه، ثم سأله إن كانت الغزالة قد أوصلته إلى القصر، فنفى ذلك، فاطمأن إليه، ودعاه إلى الحلول في القصر ضيفًا. وأقام الأخ في قصر أخته أيامًا، سعد فيها بلقاء أخته، ولما عزم على الرحيل زوده زوج أخته بثلاث شعرات، أوصاه أن يحرقها إذا ما وقع في مأزق.

وخارج القصر، وجد الغزالة في انتظاره، فامتطى ظهرها، فقفزت ثلاث قفزات، فإذا هما في الغابة حيث كانا من قبل، وسألته الغزالة إن كان قد حدث أخته أو زوجها عنها، فنفى ذلك، وأكد إخلاصه لها، ووعدها ألا يتخلى عنها أبدًا.

ثم طلب منها أن تحمله إلى أخته الوسطى، ففعلت، وكان من أمره معها ماكان من أمره مع أخته الكبرى، وقد عرف أن زوجها ملك الجان الأخضر، وقد زوده قبل وداعه بثلاث شعرات، أوصاه فيها، أن يحرقها إذا وقع في مأزق.

ثم زار أخته الصغرى، فكان من أمره معها أيضًا ماكان من أمره مع أخته الكبرى والوسطى، وقد عرف أن زوجها ملك الجان الأزرق، وقد زوده قبل وداعه بثلاث شعرات، أوصاه أن يحرقها إذا ما وقع في مأزق. وقد أوصته أختاه الأخيرتان كما أوصته أخته الكبرى بالحذر من الغزالة، وأنكرتا عليه أن تكون هي التي حملته إليها، ولكنه نفى ذلك، وأكد أنه لا يعرف الغزالة.

وكان لما خرج من قصر أخته الصغرى قد وجد الغزالة بانتظاره، فامتطى ظهرها فقفزت ثلاث قفزات، فإذا هما معًا في الغابة، حيث كانا من قبل. وأعادت عليه الغزالة سؤالها، إن كان على استعداد للبقاء معها، والوفاء لها، فأكد ذلك، ووعدها ألا يتخلى عنها مدى العمر كله، وكان ما يزال ممتطيًا ظهرها وهي تسير به، فقفزت فجأة قفزة قوية، فحلق في الهواء، ثم وقع، فإذا هو في خضم البحر.

وبهت، وكاد يشرف على الغرق، ولكنه أخذ يسبح نحو الشاطئ، بكل ما أوتي من قوة، حتى بلغه بعد عناء شديد، فألقى نفسه على الرمال، ونام.

ولما استيقظ رأى حمامتين تختصمان، وكل منهما تقول للأخرى: الطاقية لي، الطاقية لي، ثم تنبهت إحداهما إليه، فقالت للأخرى: تعالي نحتكم إلى هذا الإنسي، ثم قدمتا إليه، وطلبتا منه أن يحكم بينهما في طاقية اختلفتا فيها لمن تكون، فقد ورثتا عن أبيهما بساطًا، وعصًا، وطاقية، وقد أخذت إحداهما العصا، وأخذت الأخرى البساط، ثم اختلفتا في الطاقية، فوعدهما أن يحكم بينهما، وما كان منه إلا أن التقط من الأرض حجرًا وقذفه بقوة، ثم طلب من الحمامتين أن تسرعا إلى الحجر، ومن تحضره منهما، تكون لها الطاقية. وأسرعت الحمامتان وراء الحجر، وقد تركتا عنده الطاقية والبساط والعصا، فمد البساط وقعد فوقه، ووضع

الطاقية على رأسه، ثم حمل العصا، وأشار إلى البساط طالبًا منه أن يوصله إلى حيث الغزالة، تاركًا الحمامتين.

وحط به البساط في قصر الغزالة، فمضى إليها في مخدعها، والخدم لا يرونه، لأنّ الطاقية على رأسه، فلما صار أمامها، وضع الطاقية، فسألته عن سبب مجيئه إليها، فأكد لها وعده بعدم التخلي عنها، فسرت به، وصدق عندها وفاؤه، فجعلت له جناحًا خاصًا في قصرها، ليقيم فيه. ثم سلمته أربعين مفتاحًا، لأربعين غرفة، وأذنت له في دخولها جميعًا، ماعدا غرفة واحدة، رجته ألا يدخلها أبدًا، فأمضى في القصر أيامًا وهو يتفرج على الغرف وما ضمته من جواهر وعقود، ونفسه تراوده بفتح الغرفة الأربعين.

وذات يوم وجد نفسه مدفوعًا إلى الغرفة الأربعين، ففتحها ودخل، وإذا رجل معلق من يديه في جدارها، وهذا الرجل طوله شبر واحد، ما إن رآه حتى أخذ يتوسل إليه راجيًا منه أن يفك قيده ويطلقه، فأشفق عليه، فأطلقه، فإذا الغزالة قد حلت محله على الفور. وهم بقتل الرجل القصير، ولكن هذا ضحك ساخرًا، وقال له: هيهات لا يمكنك قتلي، فروحي محفوظة في قلب فيدوس، صاحب سبعة رؤوس، وأخذت الغزالة تبكي وتتوسل إلى الفتى ترجوه أن يبذل جهده كله ليحصل على روح الرجل القصير من قلب فيدوس، وعلى الفور مدّ الفتى البساط، وطلب منه أن يحمله إلى حيث فيدوس.

وحطّ به البساط في ظاهر بلدة، قرب بيت صغير، قرع بابه، فخرجت له عجوز، طلب منها شربة ماء، فعجبت لأمره وأدركت أنه غريب، ثم أخبرته أن الماء قد نضب من آبار البلدة كلها، وأن سواقيها قد جفت، والناس ينتظرون وصول ابنة الملك إلى فيدوس حتى تصل المياه إلى الآبار والسواقي، فقد تسلّط على البلدة، وسد بقدمه نبع الماء في الجبل، وقد اعتاد الناس أن يقدموا له في كل ربيع أجمل فتاة في البلدة، فيشغل بافتراسها عن سد النبع، فينبجس الماء، ويتدفق نحو البلدة ليملأ آبارها وسواقيها، وقد وقع اختيار الضحية هذا العام على ابنة الملك. ولما علم الفتى بذلك، أسرع إلى البلدة، فرأى فيها هرجًا ومرجًا، وفيها أناس يندبون ويبكون، لتقديم ابنة الملك ضحية، وأناس يرقصون ويغنون، فرحًا بقرب وصول الماء إلى آبارهم، ثم رأى موكبًا يخرج من قصر الملك، وفيه فتاة صبية، في أبهى حلة، يقودها فارس ملثم، فأدرك على الفور أنها ابنة الملك، تقاد إلى حيث فيدوس، فتتبع الموكب إلى أن غادر البلدة، وأخذ يصعد الجبل، ولما اقترب الموكب من القمة توقف المرافقون، ومضى الفارس

الملثم، يقود ابنة الملك وحدها، إلى حيث فيدوس، فلما ابتعد بها عن الأنظار، برز له الفتى، مشهرًا سيفه، طالبًا منه ترك ابنة الملك، ليتولى هو بنفسه قيادتها، فتركها الفارس على الفور، ومشى بها إلى فيدوس.

ولما بلغ مغارته، ناداه طالبًا منه الظهور، فعجب فيدوس للأمر، وهو الذي لم يعتد على ذلك من قبل، فرد عليه طالبًا منه ترك الضحية وحدها، ولكن الفتى أصر طالبًا منه الظهور، فمد فيدوس رأسه من المغارة، فهوى عليه بالسيف، فقطعه، فغضب فيدوس، ومد رأسه الثاني، فهوى عليه بالسيف أيضًا، وهكذا حتى أتى على رؤوسه السبعة، ثم التفت إلى ابنة الملك، وطلب منها أن تعود من حيث جاءت، وألا تخشى شيئًا. ثم دخل المغارة، فشق صدر فيدوس، وأخرج قلبه، وفتحه، فعثر فيه على صندوق صغير، فخبأه تحت قميصه، ورجع إلى البلدة.

وكان الماء قد انبجس من النبع، وجرى ممتزجًا بدم فيدوس، ليملأ السواقي والآبار، وفرح به الناس فرحًا شديدًا، ثم ازداد فرحهم حين رأوا ابنة الملك قادمة من الجبل سليمة معافاة، وأقام الملك الزينات، وأعلن الأفراح، ودعا الناس جميعًا إلى ولائم أقامها في الساحات، ثم أعلن أنه سيزوج ابنته من قاتل فيدوس، وتقدم شبان كثيرون، يدعي كل منهم أنه هو الذي قتله، ولكن ابنة الملك كانت تكذبه، فيرتد مدحورًا. وبينما هي جالسة في شرفتها، إلى جانب أبيها، تنظر إلى الناس مقبلين على الولائم المقامة في الساحات، رأت الفتى، فعرفته على الفور، وأشارت إليه، وهي تقول لأبيها: هذا هو قاتل فيدوس.

وأرسل الملك على الفور جنده، فأحضروا الفتى، فسأله إن كان هو حقيقة قاتل فيدوس، فأجاب: نعم، فشكره الملك على ذلك، وأخبره أنه يرغب في تزويجه ابنته. وجددت الأفراح، كما جددت الولائم، وتزوج الفتى ابنة الملك، وسعد بها، كما سعدت به، ومرت عليهما أيام وشهور، كادت تصير إلى عام، حملت فيها الزوجة، وبدأت تستعد لاستقبال المولود.

وذات يوم عثرت الزوجة على العلبة الصغيرة، وكان الزوج قد خبأها في مكان أمين، فعجبت لأمرها، ولما سألته عنها، تذكر الغزالة والرجل القصير، فراوغ في الجواب، ثم ألحت عليه أن يفتح العلبة، واضطر أمام إلحاحها إلى فتح العلبة، فطار منها عصفور صغير، وأدرك على الفور خطر ما أقدم عليه، فأشعل ثلاث شعرات، فحضر على الفور زوج أخته الكبرى،

فطلب منه أن يحضر له ذلك العصفور، فأحضره إليه، فأعاده إلى العلبة. ومرة أخرى ألحت عليه، ففتحها، ومرة أخرى استنجد بزوج أخته الصغرى، فأعاد إليه العصفور، وكرة ثالثة أعاد الأمر نفسه، ثم أدرك أن إرادته قد ضعفت، وأنه يوشك أن يودي بالغزالة، فعزم أمره على الرحيل.

وذات صباح، وبينما زوجته في المخاض، قدم لها عقدًا، وطلب منها أن تلبسه للمولود في عنقه إن كان أنثى، وفي معصمه إن كان ذكرًا، ثم مدّ البساط، وقعد فوقه، وطلب منه أن يوصله إلى حيث الغزالة. وحط به البساط أمام الغزالة، والرجل القصير يضربها بالسوط، وعلى الفور فتح العلبة، وأمسك بالعصفور، فأخذ القصير يرجو منه إطلاقه، في حين أخذت الغزالة ترجوه أن يبادر إلى فصل رأسه عن جسده. وكادت نفس الفتى أن تضعف، ولكنه أسرع ففصل رأس العصفور عن جسده، فوقع الرجل القصير على الأرض، جثة هامدة، لا حياة فيها، ثم نظر إلى الغزالة المقيدة إلى الجدار، وإذا هي صبية حسناء، في ربيع العمر، فبادر إلى فك قيودها، وإطلاقها.

ولما لامته الغزالة على تأخره عنها، اعتذر لها، وأكد عزمه على البقاء بجانبها، فأخبرته أنها ملكة على سبعة بلاد، وأن ذلك الرجل القصير هو الذي مسخها غزالة، ثم حملته، وحطت به في قصرها، فإذا هي ملكة متوجة، يحف بها الخدم والوزراء.

ولما عرضت عليه الزواج منها، وافق، فتزوجته، وتنازلت له عن الحكم، وأصبح ملكًا يتصرف في شؤون البلاد والعباد.

أما ما كان من أمر زوجته، ابنة الملك التي أنقذها من فيدوس، ثم تركها وهي في المخاض فقد وضعت ولدًا ذكرًا، ربته في حجر جده الملك، وكان لا يعرف لنفسه أبًا سواه. ثم كبر الولد، فوضعت أمه في معصمه الطوق الذي كان قد أهداها إياه أبوه، وأخذت تبدو على الولد ملامح الذكاء.

وذات يوم كان يلعب مع ابن الوزير، فإذا ابن الوزير يعيب عليه أنه لا يعرف من أبوه، فأنكر ذلك، ولكن ابن الوزير أكد له أن من يدعوه أباه ليس إلا جده لأمه.

وسأل الولد بعض المقربين عن الأمر، فأكدوا له ما قاله ابن الوزير، فما كان منه إلا أن ترك القصر، وهام على وجهه في البلاد، يبحث عن أبيه.

وتقلبت به البلاد، كما تقلبت به الأعمال، حتى بلغ البلد الذي يحكمه أبوه، ففتح فيه مطعمًا، وأخذ يصنع أطايب الطعام، حتى بلغت شهرته قصر الملك، فجرب طعامه يومًا، فأعجب به، وأصبح الملك لا يتناول طعامًا إلا من صنعه، وكان لا يتردد أحيانًا عن زيارته في مطعمه مساءً لتناول طعام العشاء، وقضاء السهرة معه.

وكان يحدث زوجته عنه، ويصفه لها، حتى أنها عشقته على السماع، وأخذت تتمنى لقاءه، ثم قررت أن تصل إليه، مهما كلفها الأمر، فأرسلت وراء البنائين، فطلبت أن يحفروا لها نفقًا تحت الأرض يصل مابين قصرها ومطعمه، وأن تشاد وراء المطعم غرفة خاصة ليتم لهما اللقاء، ولما تم لهما ذلك، أخذت تزوره كل مساء، تأنس بحديثه، وترتاح إلى لقياه. وذات يوم قدم إليه الملك مساءً، لتناول طعام العشاء، وتزجية الوقت، وبينما هما معًا، وإذا الملك يسمع قرعًا على باب في عمق المطعم، فسأل عن الأمر، فأجاب الولد أن الخدم والطباخين يغسلون الصحون والقدور، ثم توجه نحو الباب وهمس طالبًا عدم إحداث الضجيج، معلنًا عن وجود الملك في المطعم.

ومرت ساعة وبضع الساعة، وإذا القرع يتكرر ثانية، فدهش الملك، فعلل الولد ذلك بما علله في المرة الأولى، ومرت ساعة أخرى، وإذا القرع يتكرر ثالثة، فشك الملك في الأمر، وقام إلى الباب بنفسه، ففتحه، وإذا زوجته وراء الباب، ودخل الغرفة فرأى النفق، وعرف حقيقة الأمر، فاقتاد زوجته والولد إلى القصر، وأمر الجلاد بضرب عنق الولد على الفور. وتوسلت إليه الزوجة، ترجوه العفو عن الولد، وأكدت له براءتها وبراءته معًا، ولكن الملك لم يصغ إليها، وأشار إلى الجلاد، يأمره بتنفيذ مهمته.

وتقدم الجلاد، يصحبه الخدم، فبادر هؤلاء إلى خلع قميص الولد عن جسده، وأحضروا الأغلال لتقييد يديه، فرأى الملك العقد الذي أهداه إلى زوجته في معصم الولد، فأشار إلى الخدم أن كفوا عنه، ثم بادر إليه يسأله عن حقيقة أمره، فروى له الولد حكايته بالتفصيل، فعرف فيه الملك ابنه، فضمه إليه وعانقه، وعفا عنه.

ثم أرسل إلى زوجته أم الولد التي كان قد خلصها من فيدوس، وكان أبوها قد توفي، وكانت قد ورثت العرش من بعده، فأحضرها إليه، وأفرد لها جناحًا خاصًا في القصر وضم بلادها إلى بلاده، وعين ابنه حاكمًا عليها، وقد أصبح ملكًا على ثمانية بلاد.

ثم سمع ببلد مجاور لبلده يقتتل فيه أخوان على الحكم، فخشي أن يكونا أخويه، فأرسل إليهما يدعوهما إليه، فإذا هما أخواه، فلما عرفاه اعتذرا له، وتنازلا له عن الحكم، فضم بلادهما إلى بلاده، وعينهما وزيرين له، وعاش يحكم في الناس بالعدل، إلى أن وافاه الأجل.

الليرة الذهبية...... أسطورة شعبية عربية

يُحكى أنَّ رجلًا ميسورًا، كان له ولد وحيد، بالغت أمُّهُ في تدليله والخوف عليه، حتى كبر، وأصبح شابًّا، لا يتقن أيَّ عمل، ولا يجيد سوى التسكع في الطرقات، واللهو واقتراف الملذَّات، معتمدًا على المال الذي تمنحه إيَّاه أمُّهُ خفيةً، ودون علم والده!

وذات صباح، نادي الأب ولده، وقال له: كبرت يا بني، وصرتَ شابًّا قويًّا، ويمكنك، منذ اللحظة، الاعتماد على نفسكَ، وتحصيل قوتِكَ بِكَدِّكَ وعرق جبينك. قال الابن محتجًّا: ولكنني لا أتقنُ أيَّ عملٍ يا أبي! قال الأب: يمكنك أن تتعلَّم، وعليكَ أن تذهب الآن إلى المدينة وتعمل، وإيَّاكَ أن تعود منها قبل أن تجمع ليرةً ذهبيةً، وتحضرها إليَّ!

خرج الولد من البيت، وما إن تجاوز الباب، حتى لحقت به أمُّه، وأعطته ليرة ذهبية، وطلبت منه أن يذهب إلى المدينة، ويعود منها في المساء، ليقدِّم الليرة إلى والده، ويدَّعي أنَّهُ حصل عليها بعمله وكَدِّ يده!وفعل الابن ما طلبت منه والدته، وعاد مساءً يحمل الليرة الذهبية، وقدَّمها لوالده قائلًا: لقد عملتُ، وتعبتُ كثيرًا حتى حصلت على هذه الليرة. تفضل يا أبي!

تناول الأب الليرة، وتأملها جيِّدًا ثم ألقاها في النار المتأججة أمامه في الموقد، وقال: إنَّها ليست الليرة التي طلبتها منك. عليكَ أن تذهب غدًا إلى المدينة، وتحضر ليرةً أخرى غيرها! سكتَ الولد ولم يتكلَّم أو يحتج على تصرُّف والده!

وفي صباح اليوم الثاني، خرج الولد يريد المدينة، وما إن تجاوز الباب، حتى لحقت به أمه، وأعطته ليرة ثانية، وقالت له: لا تعد سريعًا. امكث في المدينة يومين أو ثلاثة، ثم أحضر الليرة وقدِّمها لوالدك.

تابع الابن سيره، حتى وصل إلى المدينة، وأمضى فيها ثلاثة أيام، ثم عاد، وقدَّم الليرة الذهبية لوالده قائلًا: عانيتُ وتعذَّبتُ كثيرًا، حتى حصلتُ على هذه الليرة. تفضَّل يا أبي!

تناول الأب الليرة، وتأملها، ثم ألقى بها بين جمر الموقد قائلًا: إنها ليست الليرة التي طلبتها منكَ، عليكَ أن تحضر غيرها يا بني! سكتَ الولد، ولم يتكلم!

وفي صباح اليوم الثالث، وقبل أن تستيقظ الأمُّ من نومها، تسلل الابنُ من البيت، وقصد المدينة، وغاب هناك شهرًا بأكمله، ثمَّ عاد يحمل ليرة ذهبية، وقد أطبق عليها يده بحرص كبير، فقد تعب حقًّا في تحصيلها، وبذل من أجلها الكثير من العرق والجهد. قدَّم الليرة إلى أبيه وهو يبتسم قائلًا: أقسم لكَ يا أبي أن هذه الليرة من كدِّ يميني وعَرَقِ جبيني، وقد عانيت الكثير في تحصيلها!

أمسك الأب الليرة الذهبية، وهمَّ أن يُلقي بها في النار، فهجم عليه الابنُ، وأمسكَ بيده، ومنعه من إلقائها، فضحك الأب، وعانق ولده، وقال: -الآن صِرتَ رجلًا، ويمكنك الاعتماد على نفسكَ يا بني! فهذه الليرة هي حقًّا ثمرة تعبكَ وجهدك، لأنَّكَ خفتَ على ضياعها، بينما سَكَتَّ على ضياع الليرتين السابقتين، فَمَنْ جاءهُ المال بغير جهد، هان عليه ضياع هذا المال.

قمر الزمان....أسطورة شعبية مصرية

يُحكَى أنَّ الملك الذي كان يحب الأذكياء، ويقرِّبهم إليه دائمًا، ويسعد بمجالستهم واختبارهم بأسئلته الذكيَّة كان في أحد الصباحات يتنزَّه مع وزيره في حديقة القصر الواسعة، فمرًّا ببحرة رائعة تزيِّنها تماثيل أسود يخرج الماء العذبُ من أفواهها بطريقةٍ مُعْجِبَةٍ وساحرة. شعر الملكُ بالعطش، وطلب من الوزير أن يسقيه شربة ماء، فتناول الوزير طاسة فضية كانت على كانت على الحافة، وملأها، ثم سقى الملك، وأعاد الطاسة إلى مكانها. نظر الملك إلى الطاسة بعد أن استقرَّت في مكانها، ثم التفت إلى الوزير، وقال: أيها الوزير! لقد تكلَّمتِ الطاسةُ، فماذا قالت؟!

وجمَ الوزيرُ، وكسا التعجُّبُ ملامِحَهُ، ولم يدرِ بماذا يجيب.فالطَّاسة جماد، ولا يمكن لها أن تتكلم، ولكن هل يجرؤ على قول هذا للملك؟!

ولَمَّا طال صمتُ الوزير ووجومُهُ، صاح به الملك: أُمهِلُكَ ثلاثة أيام لتأتيني بما تفوَّهت بِهِ الطاسة، وإلاَّ نالكَ منِّي عقابٌ قاسٍ!

عاد الوزير إلى بيته مهمومًا حزينًا، ثم دخل غرفته، وأغلق على نفسه بابها، وراح يفكِّر ويفكِّر، ولكنه لم يهتدِ إلى حلٍّ أو جوابٍ مقنعٍ، وراح يتساءل: ترى ماذا يقصد الملك بسؤاله؟، هناك جوابٌ، ولاشك، يدور في خلده، ولكن ما هو؟!.

طالت خلوةُ الوزير في غرفته، فقلقت عليهِ ابنته الوحيدة قمر الزمان، فاقتربت من باب الغرفة، ونقرت عليه بلطف، ثم استأذنت بالدخول، فأذن لها. قالت قمر الزمان لأبيها: مضى عليكَ يومان وأنتَ معتكفٌ في غرفتكَ، وأرى الهمَّ واضحًا على وجهكَ، فماذا جرى يا أبي؟! قال الوزير: حدثَ أمرٌ جَلَلٌ يا ابنتي! لقد طرح عليَّ الملكُ سؤالًا صعبًا ومستحيلًا، وأمهلني ثلاثة أيام لأجيبه عليه، وإلاّ عاقبني عقابًا قاسيًا قالت (قمر الزمان): وما السؤال يا أبي؟ قال الوزير: سَقَيْتُهُ الماء في طاسة، ولمّا أعدتُ الطَّاسةَ إلى مكانها، قال لي: لقد تكلَّمتِ الطَّاسةُ، فماذا قالت؟ ضحكتْ قمر الزمان وقالت: إنَّه سؤالٌ ذكيٌّ، وجوابُهُ يجب أن يكون ذكيًّا أيضًا! صاح الوزير بلهفة: وهل تعرفينَ الجوابَ يا ابنتي؟ قالت قمر الزمان : طبعًا. فالطَّاسةُ قالتْ: صبرتُ على النَّار، وطَرْقِ المطارِقِ، وبعدها وصلتُ إلى المباسِمِ، وما مِنْ ظالمٍ إلاّ سَيُبْلَى بِأظْلَم!

وعلى الفور، لبس الوزير ثيابه، وقصد مجلس الملك، ثم نقل إليه الجواب كما قالته له ابنته.

أُعجِبَ الملك بالجواب الذي كان أذكى من السؤال، ولكنَّه شكَّ في أن يكون الوزير هو الذي اهتدى إليه،.

وفي صباح اليوم التالي، فاجأ الملكُ الوزيرَ قائلًا: أيُّها الوزير! أريدك أن تأتي إلى مجلسي غدًا لا راكبًا ولا ماشيًا،وإن فشلتَ، فإن عقابكَ سيكون قاسيًا، وقاسيًا جدًّا!

صعق الوزير للطلب المُعْجِزِ، وانصرف من مجلس الملكِ مهمومًا، وعندما وصل إلى بيته، استنجدَ بابنته قمر الزمان، وحدَّثها عن طلب الملكِ، وطلبَ منها الحل.ابتسمت قمر الزمان وقالت لأبيها: وهذا أيضًا حَلُّهُ هَيِّنٌ يا أبي!

وفي صباح اليوم التالي، أَحْضَرَتْ (قمرُ الزمان) لأبيها دابَّةً صغيرةً، فركب عليها، وذهب إلى قصر الملكِ، وهو راكب على الدَّابةِ، وقدماه على الأرض.

ذهلَ الملكُ لِحُسْنِ تصرُّفِ الوزيرِ ودَهاءِ حَلِّهِ، فأدناهُ منهُ، وهمسَ له: قُلْ لِي مَنْ يقولُ لكَ ذلكَ، ولكَ الأمانُ! قال الوزير: إنَّها ابنتي قمر الزمان يا مولاي! قال الملك: أحضِرها لي في الحال!

ولما مثلت قمر الزمان بين يديِّ الملك، أعجبه جمالها، ولكنَّ ذلكَ لم يثنِهِ عن اختبارها في سؤالٍ مُعْجِزٍ، تكون الإجابةُ عليهِ مستحيلة. قال الملك: سأتزوَّجكِ الليلةَ يا قمر الزمان، وأريدكِ أن تحملي منِّي في الفورِ، وأن تَلِدِي الليلةَ ولدًا يكبرُ في ساعات، ويغدو في الصباحِ ملِكًا يجلس على عرشي!

ابتسمت (قمر الزمان)، وقالت: أمركَ يا مولاي! واقتربت من النافذة المطلَّة على جزء كبير من الحديقة لا زرع فيه، ثمَّ التفتتْ إلى الملكِ، وقالت: أريدُكَ يا مولايَ أن تحرثَ هذه الأرض الليلة، وتزرعها الليلة، وتقطف الزرع الليلة، وآكل من ثمارها في الصُّبح!

ذهل الملكُ، ونهض صائحًا: هذا غير معقول!!

قالت قمر الزمان: كيف تريدني إذن أن أُنجِبَ لكَ ولدًا الليلة، ويكبر في ساعات، ويغدو في الصباح ملكًا؟!

سُرَّ الملكُ من جواب (قمر الزمان)، ثمَّ عقد قِرانه عليها، وأصبحت ملكة إلى جواره، وعاشا معًا حياةً هانئةً سعيدة.

الساقي... أسطورة شعبية مصرية

كان هناك ساق اسمه محمد، يبيع الماء للناس وهو يتجول بجرته الطينية في الأسواق، وقد أحبه كل الناس لحسن خلقه ولنظافته. ذات يوم سمع الملك بهذا الساقي فقال لوزيره: اذهب و أحضر لي محمد الساقي.

ذهب الوزير ليبحث عنه في الأسواق إلى أن وجده وأتى به الملك.

قال الملك لمحمد: من اليوم فصاعدًا لا عمل لك خارج هذا القصر ستعمل هنا في قصري تسقي ضيوفي وتجلس بجانبي تحكي لي طرائفك التي اشتهرت بها.

قال محمد: السمع والطاعة.

عاد محمد إلى زوجته يبشرها بالخبر السعيد وبالغنى القادم، وفي الغد لبس أحسن ما عنده وغسل جرته وقصد قصر الملك، دخل الديوان الذي كان مليئا بالضيوف وبدأ بتوزيع الماء عليهم وكان حين ينتهي يجلس بجانب الملك ليحكي له الحكايات والطرائف المضحكة، وفي نهاية اليوم يقبض ثمن تعبه ويغادر إلى بيته.

بقي الحال على ما هو عليه مدة من الزمن ، إلى أن جاء يوم شعر فيه الوزير بالغيرة من محمد، بسبب المكانة التي احتلها بقلب الملك.

وفي الغد حين كان الساقي عائدًا إلى بيته تبعه الوزير وقال له: يا محمد إن الملك يشتكي من رائحة فمك الكريهة. تفاجأ الساقي وسأله: وماذا أفعل حتى لا أؤذيه برائحة فمي؟ فقال الوزير: عليك أن تضع لثاما حول فمك عندما تأتي إلى القصر.قال محمد: حسنًا سأفعل. عندما أشرق الصباح وضع الساقي لثامًا حول فمه وحمل جرته واتجه إلى القصر كعادته. فاستغرب الملك منه ذلك لكنه لم يعلق عليه ، واستمر محمد يلبس اللثام يومًا بعد يوم إلى أن جاء يوم وسأل الملك وزيره عن سبب وضع محمد للثام، فقال الوزير: أخاف يا سيدي إن أخبرتك قطعت رأسي. فقال الملك: لك مني الأمان فقل ما عندك. قال الوزير: لقد اشتكى محمد الساقي من رائحة فمك الكريهة يا سيدي.

أرعد الملك وأزبد وذهب عند زوجته فأخبرها بالخبر ، قالت: من سولت له نفسه قول هذا غدا يقطع رأسه ويكون عبرة لكل من سولت له نفسه الانتقاص منك. قال لها: ونعم الرأي.

وفي الغد استدعى الملك الجلاد وقال له: من رأيته خرج من باب قصري حاملا باقة من الورد فاقطع رأسه.

وحضر الساقي كعادته في الصباح وقام بتوزيع الماء وحين حانت لحظة ذهابه أعطاه الملك باقة من الورد هدية له، وعندما هم بالخروج التقى الساقي بالوزير فقال له الوزير: من أعطاك هذه الورود؟ قال محمد: الملك. فقال له: أعطني إياه أنا أحق به منك. فأعطاه الساقي الباقة وانصرف ، وعندما خرج الوزير رآه الجلاد حاملا لباقة الورد فقطع رأسه.

وفي الغد حضر الساقي كعادته دائمًا ملثمًا حاملًا جرته وبدأ بتوزيع الماء على الحاضرين، استغرب الملك رؤيته لظنه أنه ميت،فنادى عليه وسأله: ما حكايتك مع هذا اللثام؟ قال

محمد: لقد أخبرني وزيرك يا سيدي أنك تشتكي من رائحة فمي الكريهة و أمرني بوضع لثام على فمي كي لا تتأذى. سأله مرة أخرى: وباقة الورد التي أعطيتك؟ قال محمد: أخذها الوزير فقد قال أنه هو أحق بها مني. فابتسم الملك وقال حقًّا هو أحق بها منك، وحسن النية مع الضغينة لا تلتقيان.

ذكاء امرأة... أسطورة شعبية عربية

ملك سأل الشعب سؤالًا وقال اللي يجاوب عليه صح راح أعطيه فلووس مرة كثير وكل شي يبغاه. والسؤال، ايش أكثر شي وايش أكبر شي؟؟

راح الخادم على بيته وقعد يفكر، جته بنته وقالت: ايش فيك؟؟

قال اليوم سأل الملك الشعب سؤال وقال اللي يجاوب عليه راح يعطيه فلوس وكل اللي يبغاه. وأنا مو عارف الاجابة.

البنت: ايش هو السؤال؟

الخادم: ايش أكثر شي وايش أكبر شي؟؟

البنت: روح عند الملك وقله أكبر شي أرضك واكثر شي مالك.

راح الخادم عن الملك وقاله: يا ملك أنا لقيت إجابة لسؤالك.

قال الملك: تفضل.

الخادم: أكثر شي مالك وأكبر شي أرضك.

الملك: مين قلك الاجابة؟؟

الخادم: بنتي.

الملك: طيب روح قلها لابسة ومهي لابسة، ماشية ومهي ماشية، هدية ولا مو هدية؟؟

الخادم راح عند بنته وقالها: الملك يقولك. لابسة وماهي لابسة، ماشية ومهي ماشية، هدية ولا مو هدية؟؟

قالت البنت. طيب روح جيب لي شبكة، وغنمة، ولحمة.

استغرب الأب الخادم من الطلبات بس راح وجابها.

لبست البنت الشبكة وركبت الغنمة، ومسكت اللحمة وراحت.

ودخلت عند الملك، وقالت: ياملك، أنا لابسة شبكة ومو لابسة. وماشية بس مو على رجولي على غنمة.

وهذي لحمة أنت تعتبرها هدية ولا مو هدية.

الملك، أعجب بذكاء البنت وقالها تتزوجيني؟؟

تزوج الملك بنت الخادم وعاشو في سبات ونبات، وخلفوا صبيان وبنات.

المهم بعد سنين، كان في خادم من الخدم أعطاه الملك حصان هدية. وفي يوم نام الخادم ونسى يأكل الحصان قام هاج الحصان. فجاه الملك وطرد الخادم وقاله هات الحصان ورووح، راح الخادم وهو زعلان المهم شافته الملكة،وقالتله ايش فيك؟ قال لها: الملك طردني وأخذ مني الحصان.

قامت وقالت له: خذ صنارة واقعد اصطاد بالحديقة على العشب.

ولو جاك الملك وقالك: ايش تسوي؟ قله إذا أنت ما رزقتني يمكن ربي يرزقني. سوا الخادم زي ما قالتله الملكة. جاه الملك،وقاله ايش قاعد تسوي؟؟

الخادم: إذا أنت ما رزقتني يمكن ربي يرزقني. قام الملك قاله: مين قلك تقول كذا. الخادم: الملكة.

عصب الملك. وطفش من ذكاء البنت، وراح لها وقالها: شوفي يابنت الناس، لمي أغراضك وروحي على بيت أهلك.

بس قبل ماتروحي، سويلي شاي، وخذي اغلى شي عندك.

المهم قامت البنت سوت له شاي وحطت له فيه منوم. المهم صحي الملك، ولقى نفسه في بيت الخادم (أبو البنت).

قام قال: ايش اللي جابني هنا!!

البنت: مو أنت قلت لي روحي بيت أهلك وخذي أغلى شي عندك!!

وأنت أغلى شي عندي.

حكاية الطير الأخضر...أسطورة شعبية عربية

يحكى أن رجلًا تزوج امرأة قاسية القلب بعد وفاة زوجته وكان له ولدان. في أحد الأيام سمعت ابنته زوجة أبيها تتوعد بذبح الولد، وأخبرت أخاها بذلك فوصاها أن تدفن عظامه تحت شجرة في حديقة المنزل.

مرت الأيام وتحولت العظام إلى طائر أخضر جميل، والذي طار حتى وصل إلى الكندرجي، فغنى له ما حدث معه وطلب أن يعطيه كمية من المسامير. رجع الطائر إلى بيت والديه فرأى زوجة أبيه جالسة مع جمع نساء، فقام بوضع بعض من المسامير في فمها فماتت. وكذلك الأمر مع أبيه الذي مات أيضًا. أما في فم أخته فوضع الحلوى وأخبرها أنه أخوها فقد تحول إلى طائر، فذهبت إلى المكان الذي دفنت عظامه فيها فوجدتها تحولت إلى ذهب.

حكاية العنزة....أسطورة شعبية عربية

يحكى أن عنزة لها ثلاثة أولاد، خرجت ذات يوم كعادتها في الصباح لإحضار العشب لأولادها، حضر الذئب أثناء غيابها ودق الباب وقال للأولاد أنا أمكم ولكنهم عرفوه من شكل يده، ولم يفتحوا الباب، وعندما عادت الأم حدثوها بما حصل فحذرتهم من الذئب. في اليوم التالي خرجت الأم وجاء الذئب وكان قد وضع على يده جلد عنزة فظنه الأولاد أمهم ففتحوا الباب فانقض عليهم وأكل اثنان منهم. عندما رجعت الأم عرفت ما جرى وصارت تأخذ ابنها الثالث معها أينما ذهبت.

زوجة الأب... أسطورة شعبية عربية

يحكى أن رجلًا تزوج من امرأة فولدت له بنتا وماتت، فسمى البنت تماثيل وأحبها حبًا جمًا، ثم تزوج أخرى فولدت له بنتًا لم يحبها مثل تماثيل؛ لأنها كانت أقل ذكاء وفطنة منها. ولما كبرت البنتان كانت تماثيل أكثر جمالًا وأدبًا وأخلاقًا من أختها، فحسدتها زوجة أبيها. وفي أحد الأيام مرّ بائع تفاح ينادي بأن التي ستأكل من تفاحه سوف تحبل وتنجب طفلًا، فاشترت منه الزوجة وأطعمت تماثيل، ولم تطعم ابنتها، فحملت تماثيل المسكينة، ولما مرّ على حملها ثلاث شهور، أخبرت زوجة أبيها أبا تماثيل بأن ابنته حامل، فلم يصدق ما سمعت أذناه، ولكنه تحقق في النهاية من صحة كلام زوجته فأراد التخلص منها، فأمر زوجته بأن تضع له من كل أنواع الطعام كالرز والعدس والسمن والزيت في أكياس كي ترحل تماثيل

ويضعها في مكان مقفر، ويتخلص منها، فوضعت زوجته بدلًا من الرز روث أغنام، وبدل العدس حجارة صغيرة وبدل الطحين ترابًا، وبدل الزيت بولًا.

وحمل ابنته وسار بها إلى أن وصل إلى كهف يقع في مكان مقفر. وتركها فيه بعد أن قال لها بأنه سيعود بعد هنيهة، وبعد أن انصرف أبوها حضر إلى الكهف شيخ أبيض اللحية والثياب، فرحبت به وفرشت له منديلها، وسألها عما يوجد في الأكياس التي بجانبها فقالت: رز، عدس، طحين، فكان يقول الشيخ إن شاء الله وفعلًا انقلبت إلى ما قالت، وأخبرها عن قصتها وسبب إتيان أبيها بها إلى هذا المكان لأنها لم تكن تعلم شيئًا. وقال لها بأن هذ الكهف بيت لمجموعة من النسور وأنها تأتي إليه كل مساء، وهي تحمل نسرًا هرمًا دخل في إحدى رجليه مسمار، ولم يعد قادرًا على الطيران، وطلب منها أن تخرج المسمار من رجله فور وصولهن، وأن تضمدها بقطعة من منديلها، وعندما حضرت النسور أخرجت تماثيل المسمار من رجل النسر الهرم، وضمدت له جرحه، ولفته بقطعة من منديلها، ففرحت بها النسور الأخرى، وتركت النسر الهرم عندها، وكانت تذهب وتصطاد طعامًا لنفسها وتحضر طعامًا للنسر الهرم ولتماثيل، ولما ولدت تماثيل أنجبت طفلا من تحت إبطها،وبقدرة قادر رُقع المكان الذي ولدت منه بقطعة من ذهب، وأتتها النسور بأحسن اللباس له، كما احضرت لها كمية من الذهب ملأت كيسًا كبيرًا.

ثم طارت النسور وحلقت فوق بيت أبي تماثيل، ورأين زوجته تقوم بغربلة القمح. فهبطن ليأكلن. فرفعت يدها تريد طردهن فقالت: لا هشة ولا نشّة يا مقطوعة القشة حبلت تماثيل من دهن العصافير البنت اللي في العراق جابت صبي من تحت الأباط وارتقعت برقعة ذهب. فسمع والدها ما قالته النسور، وذهب ليرى ابنته، فرحبت به أجمل ترحيب، وحملها هي والذهب الذي وجده عندها، وعاد بها إلى البيت، وأثناء عودتهم كانت تقول له بأنها نسيت مشطها، وتريد أن تعود لإحضاره، وعندما تعود كانت ترضع ابنها وتقبله ثم تتركه، ولما كررت فعلتها قال لها والدها بأنه يعرف قصتها وأعطاها الأمان، وطلب منها أن تحضر ابنها دون خوف، ولما وصلوا الى البيت ورأت زوجة ابيها حالة السعادة التى عاشتها تماثيل، طلبت من زوجها أن يرسل ابنتها الى المكان الذي وضع تماثيل فيه. وجهزت لها رزًّا وعدسًا وطحينًا وزيتًا حقيقيًّا. وأخذها والدها إلى نفس الكهف وتركها هناك وانصرف.

وهناك جاءها الشيخ ذو اللحية والملابس البيضاء فقالت له: لا أهلًا ولا سهلًا. وسألها عما يوجد في أكياسها فقالت له: زبل، وروث، وتراب، فقال الشيخ: إن شاء الله، فتحول ما بالأكياس إلى الذي قالته، ثم قال لها الشيخ بأن هذا البيت للنسور كما قال لأختها تماثيل، وأضاف: عندما تصل تلك النسور وهي تحمل النسر الهرم فقومي واضربيه بعصاك على رأسه فور أن ينزلنه. وعندما جاءت النسور فعلت بالنسر الهرم كما قال لها الشيخ فانقضت عليها النسور وافترستها، وبعد مدة أرسلت والدتها أباها ليحضرها فلم يجد إلا عظامها.

الغولة وابن الملك... أسطورة شعبية عربية

كان لأحد الملوك ثلاثة أولاد في غاية الجمال والأدب، وقد بنى لهم قصرًا من زجاج ووضعهم فيه، ولم يسمح لهم بالخروج خوفًا عليهم، وكانت إحدى الخادمات تأتيهم بطعامهم في كل يوم، وهو عبارة عن بيض لا قشر فيه، ولحم لا عظم فيه، وفجل لا ورق فيه، وظلت هذه الخادمة تأتيهم بطعامهم وتخدمهم فترة طويلة، ثم توفيت وصارت تأتيهم بطعامهم خادمة جديدة فأتت لهم بالبيض وقشره فيه ، واللحم وعظمه فيه، والفجل وورقه فيه، فقالوا لها: لماذا تأتينا بالطعام على هذه الصورة، وقد تعوّدنا أن يصلنا البيض ولا قشر فيه، واللحم لا عظم فيه، والفجل لا ورق فيه، فقالت لهم: تُقشِّرون البيض فتتسلون بتقشيره، وتأكلون اللحم وتمصمصون العظم فتتسلون بذلك، وقد يعجبكم ورق الفجل فتأكلون منه، فقالوا لها: نِعم الرأي فعلتِ، وأنت على حقّ في ذلك، واستمرت الخادمة تأتيهم بطعامهم على هذه الطريقة مدة من الزمان، وفي إحدى المرات رمى أحدهم بالعظم فكسر زجاجة من القصر وعمل فجوة صغيرة، فنظروا من خلالها إلى العالم الخارجي، وإذا هناك بيوت وأناس ودواب وأراضٍ خضراء، فأعجبهم ذلك المنظر، وقالوا لماذا نحن في هذا السجن، وعندما أتتهم الخادمة قالوا لها قولي لأبينا، إذا كنا بنات نريد أن نتزوج وإذا كنا أولادًا نريد أن نتزوج، وإذا كنا زرعًا نريد أن نُحصد.

فأبلغت الخادمة أباهم بذلك، فذهب إليهم وقال لهم: سأزوجكم ، وغدًا سآمر جميع بنات المملكة بالمرور من تحت القصر ، وإذا أعجبت أحدكم واحدة منهن فليرمها بحبة تفاح، وسوف أزوجها له.

ومرّت البنات، جميع بنات المملكة مررن من تحت القصر، وكان أولاد الملك يتفحصون بأنظارهم تلك البنات، ورمى أكبرهم واحدة بحبة تفاح، وبعد فترة، رمى أوسطهم حبة

التفـاح على فتـاة أخـرى، أما الصغير فلم يرمِ بحبة التفاح التي كانت معه، وأمر الملك البنات أن يمررن مرة أخرى ففعلن، ولكن الابن الأصغر لم يرم إحداهن بتفاحته وكانت هناك فتاة تخلّفت عنهن فأمرها الملك بالمرور فمرّت، فرمى ابن الملك تفاحته عليها، فكانت البنتان التي رماهما الأخوان الأكبر والأوسط ابنتي عميهما، أما التي رماها الابن الأصغر فكانت غولةً.

وزوج الملك أبناءه ودخل الأخوان الأكبر والأوسط على عروسيهما وخرجا للناس، أما الأصغر فلم يخرج وبقي ثلاثة أيام دون أن يخرج فقلق والده الملك وأهله عليه، وفي الليل تسلل أبوه ونظر من خلال فتحة في القصر فرأى ابنه مرميًا على ظهره وعلى صدره رحىً ثقيلة وغولة عيونها صفراء كالنار تجْرُشُ عليها، ففزع الملك مما شاهدت عيناه وفرّ هاربًا، وأمر جميع قبيلته بالهروب في جنح الظلام، ولم يبقَ خلفهم سوى فرس عجوز هرمة، وعندما أتى الصباح لم يبقَ لهم أثر في المكان، وعاد الابن الأصغر إلى وعيه وطلب من زوجته الغولة أن تسمح له بالخروج ليرى النور، فقالت: لا تحاول أن تهرب؛ لأنك لو هربت خمسة أعوام فأنا أقطع هذه المسافة في خمسة أيام، وسمحت له بالخروج فرأى النور ولم يرَ أحدًا من أهله وقبيلته فتعجّب لذلك، ورأى الفرس الهزيلة وأراد أن يركبها ويهرب من المكان، فنطقت الفرس وتكلمت وقالت له: أنا فرس هزيلة ولا أستطيع الجري، وإن هربنا فسوف تلحقنا الغولة وتأكلنا معًا، فتعال شقَّ بطني واخرج منها مُهرةً واركبها، وستكلمك المهرة كما كلمتك أنا، وخذ معك هذه العيدان الثلاثة، وهي عود أسود، وعود أحمر، وعود أبيض، وعندما تلحقك الغولة ارمِ بالعود الأسـود، فينبت بينك وبينها شوكٌ كثيف يعوقها إلى حين، فتبتعد عنها، وعندما تلحقك مرة ثانية ارمِ بالعود الأحمر، فتهب نيران بينك وبينها تعوقها إلى أن تبتعد عنها، وعندما تلحقك للمرة الثالثة ارمِ بالعود الأبيض فيصبح بينك وبينها سبعة بحور وهكذا تتخلص منها نهائيًا.

وفعل الابن الأصغر ما أشارت به الفرس فشقَّ بطنها، وأخرج المهرة وركبها وأخذ العيدان الثلاثة وهرب.

وانتظرت الغولة أن يعود زوجها ولكنه تأخّر وأبطأ عليها فخرجت تبحث عنه وعندما تأكد لها أنه هرب منها، لحقت به مسرعة حتى اقتربت منه، فرمى بالعود الأسود فسدّ بينه وبينها شوك كثيف وما استطاعت أن تخلّص نفسها منه إلا بعد جهد، وقد أصبح على مسافة بعيدة عنها، ولحقت به للمرة الثانية وعندما اقتربت منه رمى بالعود الأحمر، فشبّت نيرانٌ

عالية وحالت بينها وبينه، وما أطفأت قسمًا منها، وفتحت ممرًا لها، حتى أصبح على مسافة بعيدة عنها وعندما لحقت به للمرة الثالثة واقتربت منه، رمى بالعود الأبيض فسدَّ بينه وبينها سبع بحور، وهكذا تخلص منها نهائيًا.

سار ابن الملك على مهرته وحيدًا في البراري بعد أن أمن شرَّ الغولة ، وأثناء سيره وجد ريشة طير مكتوبًا عليها: مَن يأخذني يندم ومَن يتركني يندم، فقال في نفسه إذا تركتها فانا نادم وإذا أخذتها فانا نادم ، فآخذها وأندم أفضل من أن أتركها وأندم، وهكذا أخذها، وسار حتى وصل إلى أقرب بلد وبات فيها ، وكان مبيته قريبًا من قصر ملك تلك البلاد، وفي الليل غنّت الريشة غناءً شجيًّا، وطرب ابن الملك لغنائها، وسمع ملك تلك البلاد ذلك الغناء الشجيّ فقال آتوني بالمغنّي، فبحثوا عن مصدر الغناء وسألوا الناس القريبين من المكان عن مصدر هذا الغناء، فأنكروا خبره، وقال بعضهم: إنه لم يسمع به، وأخيرًا قال أحدهم: ربما يكون مع هذا الغريب، وعندما سألوه قال نعم، إنها هذه الريشة، وهي التي كانت تغني في الليل بذلك الصوت الشجي، فأخذوه للملك، وعندما عرف الملك بأن الريشة هي التي كانت تغنّي، قال لها: غنِّ يا ريشة، فقالت لا أغني حتى تأتوني بطَيْري، فقال الملك: ومن يستطيع أن يأتي بطيرك؟ فقالت الذي أتى بي يستطيع أن يأتي بطيري، فقال ملك تلك البلاد لذلك الغريب: أمهلك ثلاثة أيام وثلث اليوم على أن تأتيني بطيرها، وإن لم تفعل، فسوف أقطع رأسك، فخاف ابن الملك الصغير وندم على حمله لتلك الريشة وقال هذا أول الندم، وذهب ابن الملك على وجهه، والهمّ يعتصره ويأكل قلبه ، ورأته المهرة وهو على هذه الحالة، فقالت له: ما الذي جرى لك، ولماذا أنت قلق ، فأخبرها بالقصة، فقالت له، لا تقلق فهذا من أسهل الأمور، فقال لها: كيف ذلك، فقالت: اذهب إلى الملك واطلب منه قفصًا، وحبّةً سوداء وتعال إليّ، فذهب للملك فأعطاه ما طلب، وعاد فدلته المهرة على مكان يضع فيه القفص ويضع فيه الحبة السوداء، وجاء الطير، ودخل في القفص وأخذ يأكل من الحبة السوداء، فأغلق ابن الملك عليه القفص ، وأخذه إلى الملك ، فقال الملك: غنِّ يا ريشة، فقالت: لا أغنّي حتى يُغنّي طيري، فقال غنِّ يا طير فقال: لا أغنّي حتى تأتوني بزوجي، فقال الملك ومن يستطيع أن يأتيك بزوجك، فقالت: الذي أتى بالريشة، وأتى بي هو الذي يستطيع أن يأتي بزوجي ، فقال الملك: أمامك ثلاثة أيام وثلث اليوم، لتأتي به، وان لم تأتِ أقطع رأسك، وسار ابن الملك على وجهه، وهو حيران قلق، والحزن ينهش قلبه، ورأته المهرة وهو على هذه الحال فقالت ما

بك هكذا، وما الذي أصابك فأخبرها بقصتـه، فقالت: وهذا هيّن أيضًا ، فقال لها: وماذا أفعل، فقالت: عُد إلى الملك واطلب منه عربتين مملوءتين بالألبسة وتعال إليّ، فعاد إلى الملك وأعطاه ما طلب، فقالت المهرة اذهب الآن إلى السوق وبع هذه الألبسة بنصف الثمن وعندما يأتي زوج الطير سأدلك عليه، فأغلق عليه الباب وأمسك به. وذهب ابن الملك إلى السوق وذهبت معه المهرة وصار يبيع الملابس بنصف الثمن وأقل من النصف، وتهافت عليه الناس وبدأوا يزدحمون حوله ، وأقبل زوج الطير وأراد أن يشتري فقالت له المهرة هذا هو فقال له ابن الملك ادخل واختر ما تريد من الملابس، فدخل، وعندها أغلق ابن الملك عليه الباب، وحمله وسار به إلى الملك، فقال الملك: غنِّ يا ريشة فقالت لا أغني حتى يغني طيري، فقال: غنِّ يا طير، فقال: لا أغني قبل أن يغنّي زوجي، فقال: غنِّ يا زوجها، فقال لا أغني حتى تأتوني بخاتمي، فقال الملك: وأين هو خاتمك، فقال: سقط في البحر، فقال: ومن يستطيع أن يأتيك به؟ فقال الذي أتى بالريشة والطير وبي، هو الذي يستطيع أن يأتي بخاتمي، فقال الملك أمامك ثلاثة أيام، إذا أحضرت خلالها الخاتم عفوت عنك، وإذا لم تحضره أقطع رأسك.

فذهب ابن الملك وهو يكاد يجنّ، وهو يضرب كفًا بكف وقد بدا القلق على وجهه وهو يقول: كيف أستطيع أن أُحضر خاتمًا قد سقط في البحر، وأين أبحث عنه يا إلهي، وفي أي مكان من البحر؟!

ورأته المهرة وهو على هذه الحال، فسألته عما حدث له فأخبرها بما طلب منه الملك، فهدأت من روعه وقالت وهذا أيضًا أمر هيّن، عد الآن إلى الملك واطلب منه سفينتين مليئتين باللحم وتعال إليّ، فذهب إلى الملك وأعطاه ما طلب، وعاد إلى المهرة فقالت أنزل الآن بسفينتيك إلى البحر وارمِ قطع اللحم هنا وهناك في أماكن مختلفة من البحر حتى يخرج إليك ملك السمك وهو الذي سيعطيك مرادك إن شاء الله، فنزل إلى البحر وصار يرمي قطع اللحم هنا وهناك والسمك يلتهمها بنهم، ورآه ملك السمك فخرج إليه وقال له: ما بك أيها الرجل ولماذا ترمي هذه اللحوم إلى البحر؟ فقال إني أبحث عن خاتم لي سقط في البحر؟ فقال ملك السمك انتظر قليلًا وسأدعو جميع السمك الذي في البحر، فدعا السمك وأمرها جميعًا أن تقذف ما في بطونها، ففعلت الأسماك جميعًا ما أمرها به ملكها ولكنهم لم يجدوا الخاتم، وأخيرًا رأوا سمكة متأخرة يبدو عليها التعب والإعياء، وعندما قذفت ما في بطنها وجدوا الخاتم، فأخذه ابن الملك وعاد إلى الملك بعد أن شكر ملك السمك، وأعطى الخاتم للطائر

وسأله: هل هذا خاتمك؟ فقال: نعم، فقال الملك إذن غنِّ يا ريشة فقالت لا أغني حتى يغني طيري فقال: غنِّ يا طيرها، فقال لا أغني حتى يغني زوجي، فقال غنِّ يا زوجها فقال لا أغني حتى تشعلوا نارًا ثلاثة أيام ويدخلها الذي أتى بي إليك ويقف فيها ثم يعود ويخرج إلينا دون أن تمسّه النار بأذى. وأعطى الملك مهلة ثلاثة أيام وثلث لابن الملك التعيس الحظ ليهيئ نفسه للدخول في النار والوقوف فيها، وشعر ابن الملك بأن نهايته قد اقتربت، وقال في نفسه لا مفر من الموت في هذه المرة، ولن أنجو كما نجوت في المرات السابقة.

وأمر الملك بإشعال النار فأشعلوها حامية عالية، ورأت المهرة آيات القلق والخوف والحزن ترتسم على وجه ابن الملك فسألته عما حدث له، فأخبرها بقصة النار، فقالت: أحضِر إناءً واملأه من عَرَقِي واغسل به جسمك قبل أن تدخل النار بقليل، وادخل النار فلن تؤذيك بعون الله تعالى، وعندما جاء اليوم المحدّد غسل ابن الملك جسمه بعرق المهرة ودخل النار أمام الجميع، ووقف داخلها عدة دقائق فلم تؤثر فيه ولم تؤذه بالمرة، ثم خرج منها سليمًا معافى، فقال الحاضرون: إذا كان هذا الصعلوك الفقير يدخل النار ولا تؤذيه فكيف أنت يا ملك الزمان، فتجرأ الملك أمام شعبه ودخل النار ولكنه لم يخرج منها فقد أحرقته والتهمته ألسنتها الحامية، وأراحت الناس منه ومن ظلمه، وعندها قال الشعب بلسانٍ واحد، لا يليق بالمُلك علينا إلا هذا الشاب الذي فعل الأعاجيب ودخل النار ولم تحرقه، ونصبوه ملكًا عليهم، وغنّت له الطيور في كل يوم وأدخلت الفرحة على قلب الملك الجديد، وفرح سكان البلدة بملكهم الذي أحبهم، وحكم بينهم بالعدل والمحبة.

نعل الملك....أسطورة شعبية عربية

يحكى أن ملكًا كان يحكم دولة واسعة جدًّا. اراد هذا الملك يومًا القيام برحلة برية طويلة. وخلال عودته وجد أن أقدامه تورمت بسبب المشي في الطرق الوعرة، فأصدر مرسومًا يقضي بتغطية كل شوارع المملكة بالجلد ولكن أحد مستشاريه أشار عليه برأي أفضل وهو عمل قطعة جلد صغيرة تحت قدمي الملك فقط فكانت هذه بداية نعل الأحذية(١).

---

(١) إذا أردت أن تعيش سعيدًا في العالم فلا تحاول تغيير كل العالم بل اعمل التغيير في نفسك ومن ثم حاول تغيير العالم ما استطعت.

الإعلان والأعمى... أسطورة شعبية عربية

جلس رجل أعمى على إحدى عتبات عمارة واضعًا قبعته بين قدميه وبجانبه لوحة مكتوب عليها: أنا أعمى أرجوكم ساعدوني. فمر رجل إعلانات بالأعمى ووقف ليرى أن قبعته لا تحوي سوى قروش قليلة فوضع المزيد فيها. ودون أن يستأذن الأعمى أخذ لوحته وكتب عليها عبارة أخرى وأعادها مكانها ومضى في طريقه. لاحظ الأعمى أن قبعته قد امتلأت بالقروش والأوراق النقدية، فعرف أن شيئًا قد تغير وأدرك أن ما سمعه من الكتابة هو ذلك التغيير، فسأل أحد المارة عما هو مكتوب عليها فكانت الآتي: نحن في فصل الربيع لكنني لا أستطيع رؤية جماله.

غير وساءلك عندما لا تسير الأمور كما يجب حكاية النسر... أسطورة شعبية عربية

يُحكى أن نسرًا كان يعيش في إحدى الجبال ويضع عشه على قمة إحدى الأشجار، وكان عش النسر يحتوي على ٤ بيضات، ثم حدث أن هز زلزال عنيف الأرض فسقطت بيضة من عش النسر وتدحرجت إلى أن استقرت في قن للدجاج، وظنت الدجاجات بأن عليها أن تحمي وتعتني ببيضة النسر هذه، وتطوعت دجاجة كبيرة في السن للعناية بالبيضة إلى أن تفقس. وفي أحد الأيام فقست البيضة وخرج منها نسر صغير جميل، ولكن هذا النسر بدأ يتربى على أنه دجاجة، وأصبح يعرف أنه ليس إلا دجاجة، وفي أحد الأيام وفيما كان يلعب في ساحة قن الدجاج شاهد مجموعة من النسور تحلق عاليًا في السماء، تمنى هذا النسر لو يستطيع التحليق عاليًا مثل هؤلاء النسور لكنه قوبل بضحكات الاستهزاء من الدجاج قائلين له: ما أنت سوى دجاجة ولن تستطيع التحليق عاليًا مثل النسور، وبعدها توقف النسر عن حلم التحليق في الأعالي، وآلمه اليأس ولم يلبث أن مات بعد أن عاش حياة طويلة مثل الدجاج(١).

---

(١) إنك إن ركنت إلى واقعك السلبي تصبح أسيرًا وفقًا لما تؤمن به، فإذا كنت نسرًا وتحلم لكي تحلق عاليًا في سماء النجاح، فتابع أحلامك ولا تستمع لكلمات الدجاج (الخاذلين لطموحك ممن حولك!) حيث أن القدرة والطاقة على تحقيق ذلك متواجدتين لديك بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى. واعلم بأن نظرتك الشخصية ذاتك وطموحك هما اللذان يحددان نجاحك من فشلك! لذا فاسع أن تصقل نفسك، وأن ترفع من احترامك نظرتك لذاتك فهي السبيل لنجاحك، ورافق من يقوي عزيمتك.غير التكتيك المعتاد عندما تسير الأمور كما تريد! قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

زهرة الملك...أسطورة شعبية صينية

حوالي العام ٢٥٠ قبل الميلاد ، في الصين القديمة ، كان أمير منطقة تينغ زدا على وشك أن يتوّج ملكًا ، ولكن كان عليه أن يتزوج أولًا ، بحسب القانون. وبما أن الأمر يتعلق باختيار إمبراطورة مقبلة ، كان على الأمير أن يجد فتاةً يستطيع أن يمنحها ثقته العمياء.

وتبعًا لنصيحة أحد الحكماء قرّر أن يدعو بنات المنطقة جميعًا لكي يجد الأجدر بينهن. عندما سمعت امرأة عجوز، وهي خادمة في القصر لعدة سنوات، بهذه الاستعدادات للجلسة، شعرت بحزن جامح لأن ابنتها تكنّ حبًا دفينًا للأمير.

وعندما عادت إلى بيتها حكت الأمر لابنتها، تفاجأت بأن ابنتها تنوي أن تتقدّم للمسابقة هي أيضًا.

لف اليأس المرأة وقالت: وماذا ستفعلين هناك يا ابنتي؟ وحدهنّ سيتقدّمن أجمل الفتيات وأغناهنّ. اطردي هذه الفكرة السخيفة من رأسك! أعرف تمامًا أنكِ تتألمين، ولكن لا تحوّلي الألم إلى جنون! أجابتها الفتاة: يا أمي العزيزة، أنا لا أتألم، وما أزال أقلّ جنونًا، أنا أعرف تمامًا أني لن أُختار، ولكنها فرصتي في أن أجد نفسي لبضع لحظات إلى جانب الأمير، فهذا يسعدني حتى لو أني أعرف أن هذا ليس قدري في المساء، عندما وصلت الفتاة، كانت أجمل الفتيات قد وصلن إلى القصر، وهن يرتدين أجمل الملابس وأروع الحليّ، وهن مستعدات للتنافس بشتّى الوسائل من أجل الفرصة التي سنحت لهن.

محاطًا بحاشيته، أعلن الأمير بدء المنافسة وقال: سوف أعطي كل واحدة منكن بذرةً، ومن تأتيني بعد ستة أشهر حاملةً أجمل زهرة، ستكون إمبراطورة الصين المقبلة.

حملت الفتاة بذرتها وزرعتها في أصيص من الفخار، وبما أنها لم تكن ماهرة جدًا في فن الزراعة، اعتنت بالتربة بكثير من الأناة والنعومة؛ لأنها كانت تعتقد أن الأزهار إذا كبرت بقدر حبها للأمير، فلا يجب أن تقلق من النتيجة، مرّت ثلاثة أشهر، ولم ينمُ شيء. جرّبت الفتاة شتّى الوسائل، وسألت المزارعين والفلاحين فعلّموها طرقًا مختلفة جدًا، ولكن لم تحصل على أية نتيجة. يومًا بعد يوم أخذ حلمها يتلاشى، رغم أن حبّها ظل متأججًا. مضت الأشهر الستة، ولم يظهر شيءٌ في أصيصها. ورغم أنها كانت تعلم أنها لا تملك شيئًا تقدّمه للأمير ، فقد كانت واعيةً تمامًا لجهودها المبذولة ولإخلاصها طوال هذه المدّة ، وأعلنت لأمها أنها ستتقدم إلى البلاط في الموعد والساعة المحدَّدين. كانت تعلم في قرارة نفسها أن هذه

فرصتها الأخيرة لرؤية حبيبها، وهي لا تنوي أن تفوتها من أجل أي شيء في العالم. حلّ يوم الجلسة الجديدة، وتقدّمت الفتاة مع أصيصها الخالي من أي نبتة، ورأ ت أن الأخريات جميعهن حصلن على نتائج جيدة، وكانت أزهار كل واحدة منهن أجمل من الأخرى، وهي من جميع الأشكال والألوان.

أخيرًا أتت اللحظة المنتظرة. دخل الأمير ونظر إلى كلٍ من المتنافسات بكثير من الاهتمام والانتباه، وبعد أن مرّ أمام الجميع، أعلن قراره، وأشار إلى ابنة خادمته على أنها الإمبراطورة الجديدة. احتجّت الفتيات جميعًا قائلات إنه اختار تلك التي لم تزرع شيئًا.

عند ذلك فسّر الأمير سبب هذا التحدي قائلًا: هي وحدها التي زرعت الزهرة تلك التي تجعلها جديرة بأن تصبح إمبراطورة، زهرة الشرف. فكل البذور التي أعطيتكنّ إياها كانت عقيمة ، ولا يمكنها أن تنمو بأية طريقة.

المزارع والحصان....أسطورة شعبية عربية



وقع حصان أحد المزارعين في بئر مياه عميقة ولكنها جافة بدأ الحيوان بالصهيل، واستمر هكذا عدة ساعات كان المزارع خلالها يبحث الموقف ويفكر كيف يستعيد الحصان؟ ولم يستغرق الأمر طويلًا كي يقنع نفسه بأن الحصان قد أصبح عجوزًا وأن تكلفة استخراجه تقترب من تكلفة شراء حصان آخر هذا إلى جانب أن البئر جافة منذ زمن طويل وتحتاج إلى ردمها بأي شكل.

وهكذا نادى المزارع جيرانه وطلب منهم مساعدته في ردم البئر كي يحل مشكلتين في آن واحد: التخلص من البئر الجاف، ودفن الحصان، وبدأ الجميع بالمعاول والجواريف في جمع الأتربة والنفايات وإلقائها في البئر في بادئ الأمر، أدرك الحصان حقيقة ما يجري حيث أخذ في الصهيل بصوت عال يملؤه الألم وطلب النجدة وبعد قليل من الوقت اندهش الجميع لانقطاع صوت الحصان فجأة وبعد عدد قليل من الجواريف، نظر المزارع إلى داخل البئر وقد صعق لما رآه فقد وجد الحصان مشغولًا بهز ظهره فكلما سقطت عليه الأتربة يرميها بدوره على الأرض ويرتفع هو بمقدار خطوة واحدة لأعلى وهكذا استمر الحال الكل يلقي

الأوساخ إلى داخل البئر فتقع على ظهر الحصان فيهز ظهره فتسقط على الأرض حيث يرتفع خطوة بخطوة إلى أعلى وبعد الفترة اللازمة لملء البئر اقترب الحصان للأعلى وقفز قفزة بسيطة وصل بها إلى خارج البئر بسلام.(١)

راحت حبة عيده بقفا اسعيده...أسطورة شعبية عربية

كان لرجل جاريتين -أيام الجواري التي انقضت- إحداهما صارخة الجمال وتدعى عيده والثانية زنجية سوداء، وتدعى اسعيده، وكان يعشق البيضاء عيده أكثر من السوداء اسعيده، وعلى ما يبدو أن عيده واسعيده كانتا لا تجدان مؤهلات الرجل الكامل بالسيد الذي يمكن أن يشتري أجسادًا يتملكها، ولكن هيهات أن يتملك قلوبًا ليس له سلطان عليها!!!

وحدث أن كان بين العرب حاوي، وهو الذي يمتص السم من الجسد الملدوغ، ثم يبصقه، وكان الكل على استعداد لفعل ذلك، خصوصًا إذا اللذعة في مكان لا يُربط، مثلما تربط الأطراف.

واتفق أن عيده المعشوقة كانت هاوية للحاوي، ولم تكن تلك الخيانة مستغربة بالجارية التي تباع وتشرى بسوق النخاسة، وهي طوع وملك يمين من يدفع ويشتري، إذ هي بضاعة لا أكثر!! لذلك طوَّعت لها نفسها بالاتفاق مع الحاوي أن عقربًا لدغ خدها، فأتى الحاوي الذي كان ينتظر النداء بفارغ الصبر، ووضع فمه على خدها، وهو بيت القصيد وزعم أنه يمتص السم، حتى ارتوى من خد عيده الشهي!

وعندما رأت اسعيده حيلة ومكيدة عيده والحاوي، قررت أن تلقنه درسًا لا ينساه العمر كله، فزعمت أن عقربًا لدغها في مكان ما من جسدها، وصارت تصرخ وتستنجد سيدها ليأمر الحاوي ليمتص لها السم قبل أن يودي بحياتها!

---

(١) كذلك الحياة تلقي بأوجاعها وأثقالها عليك كلما حاولت أن تنسى همومك فهي لن تنساك وسوف تواصل إلقاء نفسها وكل مشكلة تواجهك في الحياة هي حفنة تراب يجب أن تنفضها عن ظهرك حتى تتغلب عليها وترتفع بذلك خطوة للأعلى انفض جانبًا وخذ خطوة فوقه لتجد نفسك يومًا على القمة لا تتوقف ولا تستسلم أبدا مهما شعرت أن الآخرين يريدون دفنك حيًا اجعل قلبك خاليًا من الهموم اجعل عقلك خاليًا من القلق عش حياتك ببساطة أكثر من العطاء وتوقع المصاعب توقع أن تأخذ القليل توكل على الله واطمئن لعدالته.

وأمام رفض الحاوي اضطر الشيخ إلى هز السيف، فقام الحاوي بامتصاص السم المزعوم من (قفا) اسعيده، ونفث حزنه حسرات وقال قولته المأثورة التي سطرها لنا التاريخ درسًا لنا لعلنا نتعلم وهو: راحت حُبّة (بوسة) عيده في قفا اسعيده.

حكماء بنيار السبعة... أسطورة شعبية باكستانية

في قديم الزمان، خرج سبعه رجال من بنيار، تاركين خلفهم أحراش بلدهم وباحثين عن حظوظهم. وعندما جاء المساء جلسوا القرفصاء تحت شجرة ينشدون الراحة. فقال أحدهم: تعالوا نحسب أنفسنا لنتأكد أن جميعنا هنا.

وبدأ العد: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة. ونسي أن يحسب نفسه قال في قلق: أين سابعنا؟ نفتقد أحدنا.

قال الثاني: لا تكن مغفلًا، وبدأ الحساب وهكذا توقف على الرقم ستة. وأعاد كل منهم الحساب ونسي أن يحسب نفسه. فزاد قلقهم وفزعوا من أعمال الشيطان. فرسموا خطة للبحث عن الشخص الضائع.

وفى رحلة بحثهم قابلهم راعى غنم، قال لهم مالكم محبطين هكذا؟ هل حلت بكم معضلة؟

- نعم. لقد ضاع أحدنا. لقد بدأنا رحلتنا ونحن سبعة، والآن هنالك ستة منا فقط؟ أين السابع؟ هل رأيت سابعنا؟

- ولكن إني أراكم سبعة، لابد أنني وجدته. وراح يعدهم واحد، اثنين،حتى الرقم سبعة.

فشكروه قائلين: لقد وجدت أحدنا المفقود. هذا فضل عظيم منك، سنرد لك الجميل. نحن مصرين على ذلك. يمكنك أن تطلب منا رد الجميل. نحن تحت أمرك لمدة شهر. وفرح الراعي فرحًا عظيمًا وأخذ الرجال السبعة إلى داره.

كانت للراعي أم مسنة، وعاجزة عن الحركة. ولما جاء الصباح طلب من أحد الحكماء القيام بخدمة أمه. بينما أشار إلى الثاني بأخذ أغنامه إلى الرعي تحت التل حتى يقبل الليل. وطلب من الباقين الانتظار حتى تنتهي مهام الرجلين الأولين.

وجد الرجل الأول وهو يقوم بخدمة الأم العاجزة، إن وقته كله كان عملًا متواصلًا. فالذباب المتكاثر حول وجهها يزعجها ولا تستطيع أن تهشه، وكان عليه أن يلاحق هذا الذباب ويطرده طول الوقت حتى نال منه الملل كثيرًا. وأخيرًا دبر خطة لقتل ذبابة إثر الأخرى. فتأمل واحدة كبيرة وهى تحط على رقبة العجوز، وحمل صخرة كبيرة فى يده وجاء بكل هدوء حتى صارت له عن كثب، وفى اللحظة المناسبة قذف بالصخرة على عنق المرأة، فصمتت إلى الأبد. وأصاب الراعي الهلع عندما رأى أمه وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة وصاح بالحكيم: ماذا فعلت أيها الرجل الغبي؟ الذبابة نجت وأما أمى فقد قتلتها.

فى هذا الوقت كان الرجل الحكيم الثانى يحرس الأغنام وعندما أحس بالجوع، جلس على الأرض وأخرج طعامه وبدأ يأكل فى هدوء. جلست الأغنام كلها حوله فى دائرة قبالته. وبينما كانت الأغنام تجلس هناك كانت تحدق فى وجهه وتجتر طعامها وتلوكه. تبادر إلى ذهنه أن الغنم كانت تلوك مثلما هو يلوك طعامه وأنها كانت تقلده. فانتصب واقفًا وقال لها: لأننى أتناول طعامى، تقلدننى وتضحكن على؟ طاش عقله وسل سيفه وصار يضرب حوله بعصبية. وسمع الراعى صيحة الرجل الحكيم وجاء إلى المشهد، ليجد انه قد قتل البعض وهربت بقية الأغنام فى كل أنحاء الوادى وفى أعلى الجبل.

- ماذا تفعل أيها المغفل؟ ووجد نفسه يبكى وينتحب من شدة الحزن والغضب. وصار ينعى حظه فى تلك الليلة ويندم على تسرعه واعتماده على هؤلاء الأغبياء.

وفى الصباح أتاه اثنان منهما وبكل أدب تقدما له: اليوم هو يومنا، ماذا تريدنا أن نفعل لنرد لك الجميل؟

- لا يا أصدقائي، لقد رد لى صديقاكما الجميل كاملًا، الذي أريده الآن وبحق الآلهة أن تذهبوا كلكم فى حال سبيلكم وتتركونى فى حال سبيلي.

فرح الرجال السبعة بهذا العتق وواصلوا رحلتهم.

أبو زيد الهلالى....أسطورة شعبية عربية

مأساة رزق



كان رزق بن نايل بن جرامون بن عامر بن هلال، قائد الهلاليين وفارسهم وقائدهم والذي بلغ من العمر عتيًا دون أن

يرزقه الله بالابن الصالح الذي يخلف والده في قيادة جيش قبائل الحلف الهلالي ويرث السيف والاسم والتاريخ.

وظل عدم الإنجاب يؤرق رزق وكل عرب بني هلال فحملوا مأساة قائدهم في قلوبهم ولم يجد رزق أمامه سوى الصلاة والدعاء لله، و امتطاء فرسه للجبال لمطاردة الغزلان والهروب من أفكاره.

وفي أحد الأيام وأثناء وجوده في الصحراء أتاه هاتف من السماء قال له: يا رزق إذا كنت تريد الإنجاب تزوج من أرض الحجاز، قص رزق ما حدث له لابن عمه سرحان الذي نصحه بالحج إلى بيت الله لعل الله يوفقه في الزوجة الصالحة التي تنجب له وتحقق ما فشل فيه من تزوجهن من قبل.

ذهب رزق بالفعل في ثمانين فارس للحج إلى بيت الله الحرام وتحمل تكاليف كل من ذهب للحج هذا العام، وانقضت المناسك دون أن يعثر على زوجة، وتصادف في تلك السنة أن يحج الأمير قُرضة الشريف حامي الحرمين وحامل مفتاح الروضة الشريفة وكان لقُرضة ابنة جميلة تحفظ القرآن وأشعار العرب وتاريخهم وأيامهم رفضت كل من تقدم لخطبتها فقرر قُرضة وزوجته طيبة بنت منصور أن يذهبوا جميعا للحج لعل الله يفك عقدتها.

خضرة ورزق

رأت خضرة رزق فأعجبت بخلقه وشهامته وفروسيته وسهره على القوافل طوال الطريق.

عندما يعرف الأمير قُرضة أن رزق يريد الزواج لكي ينجب ابنًا يرث سيفه واسمه قبل أن يموت عرض عليه الزواج من ابنته قائلًا: عِندي بنيّه، صبيّة الرِّيق يِبْري السِّماتي تحاكي النَجمة البَدرّية تفوق القمر في السَّماتي.

يتفاءل رزق بحديث قُرضة ويقول له: إسأل أمها تُبلِغها عَنّي يمكن هَية اللّي قَسْمنالي وهيه اللي قُرّة عَنّي وهيه اللي أم عيالي دخلت الأم طيبة لتسأل خضرة عن رأيها في الزواج من رزق منبهة إياها لكونه أكبر منها في السن.

قالت طِيبة: بس ده مُسِنّ يا خضرة، وأنتي غَضّة، قالت: حيكون أحنّ مِن أميّ اللي ربّت، وقُرضَة وتحققت نبوءة الهاتف وتزوج رزق من خضرة على الرغم من فارق السن الكبير بينهم والذي يصل لـ٤٥ عامًا وعاد بها إلى نجد.

ضرب طبلهم يوم ما وَصَل لِبَعض، زفوّا التهاني بالفرح والعز أوصال في النجع عِلِتِ الأغاني

أنجبت الأميرة خضرة ابنتها شيحة ففرح بها رزق وحمد الله قائلًا هذه المرة أنجبت الأنثى وفي المرة القادمة تنجب الذكر.

محجوبة فعال البنيّة عَلَى الكِتْف محلى الوشيحة رُزِق رِزْق منْها بنْية معَ الفرْح سمّاها شِيحَة، قال البطل: الحمد لله عجبني أمر الوَلادي رضيت بها قَسَمَهُ الله الأُنثى وراها الوِلادي.

توقفت خضرة عن الإنجاب لمدة ١١ عامًا فبدأ اليأس يدب في قلب الأمير رزق والذي يريد الولد لكي يرث أمواله وخيوله وجماله.

لقي المال شمال ويمين إيشي خيول وإيشي جمالي قال: يا مال بَعْدي يورثَك مين وأنا عديم العيالي؟

الطائر الأسود وبركة الطير

ذهبت خضرة مع نساء بني هلال إلى بركة الطير وهي بركة للأمنيات تنزل عليها الطيور من كل لون ونوع وهناك تقف النساء وتتمنى كل منهن طفلًا في صفات الطائر الذي يعجبها، ووقفت خضرة مع جاريتها سعيدة وباقي نساء الهلايل، وتمنت كل واحدة منهن ولدًا في مواصفات أحد الطيور، ووجدوا الكثير من الطيور مختلفة الأشكال والألوان منها أبيض وأخضر وأحمر وأسود، تمنت كل واحدة من النساء الثمانين طفلًا وقبل منهم الرحمن وقالوا لخضرة: تقدمي يا خضرة يا شريفة وتمني مثلنا.

احتارت خضرة أي طائر تتمنى ولم يعجبها أي طائر من أي لون وظلت واقفة مع جاريتها سعيدة.

وفِضْلوا اللّتنين فاضلين خضرة ليها دمع سارح بتتلفت شمال ويمين وضايْقة عليها المطارح شوية ونزلوا جوز طُيور فيهم العجبْ والعَجِيبي من وجههم ساطِع النور فيهم طير أسمر زبيبي، لم يعجب خضرة سوى الطائر الأسود الذي قهر جميع الطيور فتمنت أن يهبها الله طفلًا فيه صفات ذلك الطائر الأسود، كما تمنت سعيدة هي الأخرى ابنًا به صفات الطائر الأخر ليكون تبعًا لأبن سيدتها خضرة.

اتمنيت ع الطير لاسْمَر ده شريف يليق بالشريفة وقت النَّيا يصْلُب ويُسْمُرْ يارب جود بالخليفة، أنجبت الثمانون امرأة في ليلة واحدة ثمانين طفلًا وأنجبت خضرة أيضًا، وجاريتها سعيدة، فرح نجاح زوج سعيدة بطفله وذهب يزف البشارة لسيده رزق بإنجاب أبنه، وأيضًا إنجاب فرسه.

أقام رزق طبعًا وَليمات تكفِّي الأربع قبايل عزم البلد واللَّمُومَات زغبَي ودريد، وهلايل بركات، سلامة، أبو زيد كعادة قبائل بني هلال أن يتم تسمية الطفل في وسط جمع من الأخوال والأعمام الذين يأتوا مباركين للطفل في ديوان السلطان وجمع الهلايل، وتتم تسمية الطفل على حسب الفأل فيستمعوا إلى كلمة يقولها أحد المارة فيتخذونها اسمًا للمولود مع تحريف بسيط للكلمة كي تصبح اسمًا، وأصبح اسم ابن رزق بركات، سلامة، أبو زيد.

سمعوا اتنين بيقولوا بركات وحياة كتاب الدلايل العرب قالوا: سموه بركات بركات رزق بن نايل عندما تم الكشف عن وجه الطفل في وسط الجمع وجدوه أسود اللون، فاتهموا خضرة بالزنا، وأشعل الأمير عسقل أخو الأمير رزق والأمير غانم بن سير الزغبي الأحمر الفتنة التي يتقرر بعدها طرد خضرة من منازل هلال.

جايب الولد عَبْد على طول يا سلام،خَرَبوا القبايل يا صاحب النظر بُص طل لا لون خضرة ولا وَلْد نايل ويقول عسقل لأخيه رزق أنه يجب أن يطرد خضرة ويرسلها لوالدها مِيتي الملوك بتجيب عبيد هي دي العايقة بنت أبوها؟ يا رزق الخلاص مش بالإيد دِلْوَك روحها لأبوها.

يذهب رزق في أوج غضبه إلى البيت يصب اللوم على خضرة ويأمرها بالذهاب إلى بيت أبيها يصح يا خضرة خلفتي عبيد؟ تعالي، نخبِّروكي ما عادْش الخلاص بالإيد قومي روِّحي بيت أبوكي، تدافع خضرة عن نفسها قائلة: وحياة النبي الزين وأنا قارية حروف الهجاية وخالية من الكدب والزين ما فيه زُول أنضر غطايا.

وتطالب خضرة بنصيب ابنها في مال أبيه ويقف إلى جوارها السلطان سرحان ويساندها في قسمة مال رزق، ويتجسد لها سيدنا الخضر في هيئة رجل نحيل فقير يرسل الرمح في الهواء فينال كل مال رزق وجانب من مال السلطان سرحان من إبل وخيول، تقود خضرة الشريفة وعبدتها سعيدة المال وتحمل كلتاهما طفلها الأسود وترحل.

خضرة في أرض العلامات

أخذت سعيدة طفلها وتبعت سيدتها بينما ظل زوجها نجاح مع سيده رزق، وفي الطريق تتعرض كل من خضرة وسعيدة لهجوم من عطوان العقيلي وعصابته من مخاليع قبيلة بني عقيل وحين تتم لها النجاة بواسطة الفارس سلمان ابن عم عطوان تواصل خضرة وجاريتها سعيدة المسير، وفي الطريق تقرر ألا تتجه بعارها إلى المدينة المنورة حيث دار أبيها وتتوقف أمام أبواب مدينة العلامات أو قبائل الزُّحلان.

كان حاكم مدينة العلامات الملك فاضل بين بيسم الزُّحلاني سلطان قبائل زُحلة قد رأى في منامه رؤيا تتعلق بالطفلين فخرج لاستقبالها وهو لا يعرف عن قضيتها شيئًا، ورحب شعبه بالضيفة الغريبة التي تقرر الإقامة في بلاده وحين يسألها عن بلادها تعنفه؛ لأن من عادة العرب أن يستضاف القادم سبعة أيام كاملة قبل أن يسأل عن حاجته وسبب مجيئه.

الملك فاضل رئيس الزحلان راجل زين،حافظ مَقامه هذا عِنَايه من الرَّحْمن ليلتها كان شاف رؤيا ف مَنامُه ويخلي لها السلطان الزحلاني قصرًا بين قصور زوجاته ويقاطع قصور زوجاته خوفًا تغير الغريبة، ويضم فاضل خيول أبو زيد إلى خيوله وتحتفظ خضرة بالحمرا فرس ابنها تطعمها بيديه وتدربها بنفسها انتظارًا ليوم معلوم.

وقبل ما اطُّل وابات طَلَبي اللي جايباه معايا وأهم من كل الطَّلَبات عندك كحُيله ركوبة ضنايا عوزاها عِنْدي تكون في القصر أسْقِي،واربِّي،بإيدي أنا لسةَ وَلَدي باعُه قَصْر لكن بُكره يكبر ياسيدي جابوا الحمرا بُشَارة نجاح ساعْتها بسْ زارها المنامي والهمّ،عنها مضى وراح وشكَرِتْ ربّ الأنامي أبو زيد في أرض العلامات

أبو زيد في مدرسة الأمراء

عاشت خضرة في منازل الزُحلان معززة مكرمة في كنف الملك فاضل بين بيسم رئيس أرض العلامات، ملتزمة قصرها الذي خصصه لها وسط قصور زوجاته لا ترى أحدًا ولا يراها أحد، وقد أمر الملك أن يبنى سور حول القصر ويوضع العسكر عليه حتى لا يزعج أحد الأميرة في عزلتها التي اختارتها لنفسها وأمر لها بالخدم لكي يلبوا طلباتها.

ظلت خضرة في منازل زُحلان مع خادمتها سعيدة وولديها أبو زيد، وأبو القمصان خمس سنوات، وشب أبو زيد ولا يعرف له والد سوى الملك فاضل، الذي عامله كابن له، في أي وقت كان أبو زيد يذهب لديوان الملك تفتح له الأبواب ويلتف حوله العبيد والخدم.

ده ولدي ولازم أربِّيه.... وأرْعَاه بِكل العِنَاية

دَه فَضْل من عِند رَبِّيه.... الأسمر ده نور عنايه

أخذت خضرة على عاتقها مهمة تعليم ابنها وتدريبه على فنون الفروسية، وعندما رأت أنها أعطت كل ما لديها من العلم أرسلت رسولًا إلى الملك فاضل يبلغه برغبتها في إلحاق ابنها بمدرسة الأمراء.

وبالفعل التحق سلامة بالمدرسة وهو يعتقد أنه ابن الملك فاضل، ولم يعلم شيئًا عن سر والدته وما حدث لها في قبائل هلال.

دخَل معَ ولاد السلاطين   ربَاية الرِّجَال الأفاضِل

من دُون الأولاد، مَتِيــن   زايد عَنْ وِلْد فاضـــل

سلامة وجودة

وكان سلامة طفلًا غزير العلم واسع المعرفة، يرد ببلاغة على كافة الأسئلة التي يسألها له معلمه الشيخ صالح العقيلي ففرح به وأعطاه جل اهتمامه مما أثار حفيظة باقي التلاميذ.

وفي أحد الأيام تحرش به جودة ابن الأمير سليم أخو الملك فاضل، وكان جودة قد عرف من أهله أن سلامة غريب هو ووالدته خضرة، فانتقم منه سلامة أمام أقرانها الذين فروا ليبلغوا الأهل في الدور بما حدث لجودة، وانتصر الملك فاضل لـ سلامة وناصره إذ لم يبدأ بالعيب، وعندما علمت أم جودة بما حدث لابنها جن جنونها.

يا جودة اللي يُضْرُبَكْ مين؟   دَه ما يعيش ولا يوم واحد

يِرُوح بالسلاح قِطْعَتــــين   أبوك،قَلْبُه ع الخِصْم جاحد

حرضت أم جودة الشيخ صالح على سلامة ووعدته بزيادة في أجره مقابل أن يهينه وينتقم منه فانقلب عليه المعلم وكذب، وضرب سلامة وأهانه، فجن جنون سلامة كيف يكون المعلم كاذبًا؟.

وعندما عاد للقصر وقص على والدته ما حدث له من الشيخ صالح، قالت له: يكفي ما نلته من التعليم ولا تذهب مرة أخرى، ولكن جاريتها سعيدة اعترضت على ذلك

وحرضت سيدها أبو زيد وسلحته سرًّا برأس حربة غرسه في صدر الشيخ صالح العقيلي وانتقم منه على كذبه وإهانته له.

الجارية قالت توصّــــيه	سكوتك ده،مُوش شِئ فاضل
إللي يئذيــــك، إئذيه	حت.. ولو ابن فاضــــل

وانتصر الملك فاضل لسلامة مرة أخرى، وفي العيد خرج الأولاد كلهم لكي يلعبوا، وأخذت الجارية سعيدة أبو زيد إلى فرسه الحمرا لكي يتسابق ويتبارز بالجريد مع أقرانه من الأولاد وكان بينهم جودة ابن سليم.

تبارز كل من جودة وأبي زيد بالجريد كل فوق فرسه وكأنهم في حرب وليست مجرد لعبة بين الأولاد، وحاول جودة أن ينال من أبي زيد ولكنه لم يتمكن وتفادى الأخير ضربته، ثم سدد له أبو زيد ضربه بالجريدة اخترقت جسده من الأمام ونفذت من الخلف.

ثَبّتْ رُجُولُه في لِاجْنَابْو ضَرَبْها ضربةٌ أسُوده

من الغَضَب جَزّ عَ النَاب	عدّت في بطن جوده

أخذ سليم جثة ابنه جودة وذهب به لديوان الملك فاضل، يريد أن يقتل أبا زيد مثلما قتل ابنه، ولكن الملك فاضل اعترض وأكد على أن جودة هو الذي أخطأ في حق أبي زيد وأنه كان يجب عليه أن يثأر لكرامته، ورفض شكوى سليم الذي قال:

إشْمِعْنَى إبني أنا، رخيص	ووَلدك أنت – العبد– غالي؟
اللي جايبه بشيء ما فيــش	وجوده من ضَهْرِي وحَلاَلي

حرب بني عقيل وأبو زيد

عندما علمت زوجة سليم برفض الملك فاضل الاستماع لشكواهم ونصرته لأبي زيد استعانت – وقد كانت من بني عقيل – بأخوتها وأبناء عمومتها، وبعثت لأخيها عطوان الذي تصدى لخضرة وهي وحيدة في الصحراء، لكي يقتل الملك فاضلًا ويرث زوجها سليم الحكم، ويقضي على أبي زيد.

وأرسل عطوان برسالة إلى الملك فاضل يهدده بالحرب ويأمره بدفع الجزية له وإرسال سلامة إليه.

وخاض سلامة حروبه الأولى ضد بني عقيل دون أن يدرى أنهم أعداء أهله بني هلال، قتل عطوان، وقتل جاسر وجسار وداغر وجايل الذي كان يسلط الجن ويأمره.

وبعد أن حقق العديد من الانتصارات، لم يجد فرسان بني عقيل سوى أن يستعينوا بفرسان بني هلال للقضاء على العبد الأسود فاستعان بهم مشرف العقيلي الذي أرسل خطاب للملك سرحان بن جرامون وشكا إليه أمر العبد.

هزيمة بني هلال

ومثلما هزم أبو زيد فرسان بني عقيل هزم فرسان بني هلال وقتل عمه – غير الشقيق- الأمير عسقل دون أن يعرف حقيقة الدور الدنيء الذي لعبه في طرده من قبيلته وهو بعد طفل صغير عمره سبعة أيام، وهزم كل من حسن بن السلطان سرحان ودياب بن غانم، وغانم.

ويضطر السلطان سرحان الهلالي أن يذهب إلى أبي زيد في جمع من فرسانه لطلب مهلة حتى يتم العثور على فارس هلال الكبير رزق بن نايل الذي هجر القبائل مصطحبًا ابنته شيحة وعبده نجاح وسكن مفترق الطرق في الصحراء البعيدة لمدة أربعة عشر عامًا يعيش على الصدقات التي يتلقاها عبده من الحجاج والتجار، وقد استطالت لحيته وأظافره وأصبح كالوحوش نتيجة لإحساسه بالذنب بعد طرد زوجته وابنه.

ويقول سرحان لنفسه:

ده بهدل رجال بني عقيل	تروح فين فيه الهلايـــــل؟
نهاري ضَلِّم بَقَى ليـــــل	أجيب منين رزق بن نايل؟

البحث عن رزق

ينطلق دياب بن غانم برسالة السلطان سرحان باحثًا عن رزق في الصحراء، وتشعر خضرة بأن كارثة على وشك الوقوع بعد أن علمت أن ابنها سوف يحارب أعمامه وأباه واستعانت برأي جاريتها سعيدة التي قالت لها يجب ألا يعلم أبو زيد بشيء.

رجع رزق بن نايل مع دياب وابنته شيحة ليرد لبني هلال كرامتهم ويحارب العبد الذي أذلهم.

برز ابن نايل ع المُهْرة كالغول	زمن ما طوَّح قنــاته
ع السَّرْج،جالِسْ معــــدول	العَربْ تحلف بحياته

وفي الحرب لا يهزم الوالد ولده ولا ولد والده ترتد الأيدي وتتعلق السيوف في الهواء.

ع الحال ده فِضْلُوا سبع أيام	لا فيهم مغلوب ولا غالب
حاجات.تحصل في الأحلام	ثمانين عدد المقـــــالب

يأسر سلامة أخته شيحة التي حاولت مساعدة أبيها في حربه ضد العبد، وفي القصر تعرف شيحة أن سلامة هو أخوها وتغيب وأمها في العناق والنشيج.

أخدت بنتها بالأحضان	لاتنين، وقعوا سكــارى
باست أيديها أم قمصان	سلامات يا بنت الإمــارة
شوفي يا ستي المقـــدر	سبحان اللي نشـــــاني
دنيا بتصغر وتكــــبر	وتجمّع الشمـــــل تاني

يعود أبو القمصان عبد سلامة وابن سعيدة بشيحة ليلًا إلى خيمة والدها دون أن يدرى سلامة شيئًا عن هذا وتقص شيحة على والدها ما حدث، ويكتشف رزق أن الفارس الأسود هو ابنه الغائب.

يعرف فاضل بعد أربعة عشر عامًا قصة الأميرة خضرة وابنها أبي زيد، وتقام الاحتفالات بعد أن عرف رزق أن أبا زيد هو ابنه ويخرج الهلايل فرحين، ويستقبل السلطان فاضل رزق ويرحب به، وعلى المأدبة يتجاهل سلامة والده وهو يوزع اللحم على العرب وحين يثور رزق يقول سلامة نسيتني في القماط نسيتك في السماط لتحس إهانة التجاهل والإنكار.

عودة خضرة إلى نجد

ويقرر سلامة أنه متنازل عن حقه لكنه متمسك بحق أمه ويقرر أن يسير جملها على الحرير من أرض العلامات حتى بيتها في نجد، وحين يعجز عرب بني هلال عن تحقيق ذلك يستعين السلطان سرحان بابنته الجازية الهلالية التي ترى أن يفرش العبيد أمام جمل خضرة

كل ما لدى القبائل من حرير يسير الجمل عليه ويطوى العبيد الحرير من الخلف ليفرشوه أمام جملها حتى تصل لمضارب القبائل ويصبح هذا اعترافًا علنيًا ببراءة خضرة والتي سوف يطلق عليها منذ الآن خضرة الشريفة.

حكاية صيد السباع....أسطورة شعبية نجدية

يحكى أنّ الأسد والذئب والثعلب قد خرجوا يومًا للصيد معًا فصاد الذئب حمارًا وصاد الأسد غزالًا وصاد الثعلب أرنبًا، وجاء وقت الغداء فإذا الأسد يلتفت على الذئب ويقول له اقسم بيننا فقال الذئب القسمة واضحة وسهلة الحمار لك والغزال لي والأرنب للثعلب، فصفعه الأسد فإذا هو ملقى على الأرض دون حراك، ثم التفت على الثعلب وقال له: اقسم بيننا، فقال له الثعلب: القسمة واضحة وسهلة، الحمار لغدائك والغزال لعشائك والأرنب ما بين ذلك. فقال له الأسد: من علمك هذا القسْم المنسمح. فرد الثعلب: هذا الذيب المنسدح[1].

العَمَى والمَحْسَوَل... أسطورة شعبية نجدية

شاع بين البادية أن سعلوًا يطوف في المنطقة التي يقطنونها وأنه لخبثه ومكره لا يختلف في هيئته عن بني البشر أي اختلاف ظاهر، وإنما يميزه كثافة في شعر صدره وأنه يستدير. فشدّ البدو على رحالهم وكان في الحيّ رجلان أما أحدهما فهو أعمى، وأما الآخر فمحسول لا يستطيع التحرك. غادر البدو بليل على عجل غير ملتفتين للرجلين، وليس غريبًا على بعض البادية ترك العاجز أو المريض بمرض فتاك معد والفرار عنه، فلما كان الصباح وأحس الرجلان بدفء الجو أنكر الأعمى هدوء ما حوله وفقد أصوات الدواب وأما المحسول فنظر يمينًا وشمالًا فلم ير أحدًا من القوم سوى هذا الأعمى فأدرك أن القوم قد فروا وأنهم لا محالة سيكونان طعامًا سهلًا للسعلو أو غيره من السباع الضارية. نادي المحسول الأعمى فجاء إليه مهتديًا بصوته يقوم مرة ويتعثر أخرى حتى وصل إليه. قال له المحسول: القوم شدّ بالليل

(١) تعبر الأسطورة عن ظلم الحكام ذوي القوة الغاشمة المستبدة وأن من يتخذ سبيل الحكمة ويطلب العافية يسلم وإن فاته من أمور دنياه ما فاته.

وكبّونا (تركونا) والحين ما لنا إلا الله ثم بعضنا بعض. أنت عمى ما تشوف طريقك وأنا محسول ما أقوم من مكاني؛ لكن وش رايك (رأيك) تشيلن (تحملني) على كتوفك وتمشي وأنا أدلّك. قال العمى: هذا الشور المبارك. حمل الأعمى المحسول على كتفيه وأخذ المحسول يرشد الأعمى يمنة ويسرة ويتتبع طريق سفر قومهما، وكان من تسليتهما الأحاديث والأخبار المتوالية يتبادلونها ليقطعوا بها الطريق وكان الأعمى جريئًا في حديثه حافظًا لكثير من الحكايات ويستمتع بالحديث المتواصل ويكفيه أن يسمع من صاحبه الردود البسيطة من قوله: نعم، وإيه، وما شابه. وبينما هم في طريقهم اعترضهما على غفلة منهما رجل غريب وبادرهما بالسؤال عن وجهتهما ففرح الأعمى به واسترسل يقص عليه ما سمعه من قصة السعلو ومن خبر قومهما الذين شردوا بليل وتركهما بلا حول ولا قوة ولم يدرك الأعمى أن المحسول فقد النطق ولم يعد يشاركه الكلام بل استمر في سرد تفاصيل حكايته على الرجل الغريب فلما جاء على ذكر وصف السعلو أمسك الرجل الغريب بيد الأعمى وقربها لتلامس صدره فأحس الشعر الكثيف المستدير وأحس على كتفيه بسائل ساخن أطلقه صاحبه المحسول. أدرك أنه بين يدي السعلو الذي لا محالة آكله فنفض عن كتفيه المحسول وهوى به أرضًا وجرى على غير هدى ولكن سياجًا من الأشجار كان له بالمرصاد فوقع فيه وسالت دماؤه ولكنه نهض للجري والسقوط وما زال يفعل ذلك والسعلو يضحك من فعله ضحكًا متواصلًا لم يستطع كبح جماحه فكلما قام الأعمى من كبوته ارتكس في أخرى ولا يزداد السعلو إلا ضحكًا حتى غشي عليه وسقط على الأرض بلا وعي. وهنا تمالك المحسول نفسه وصاح بالأعمى: على هونك السعلو مات، السعلو مات. ولكن الأعمى ضلّ يتخبط ويتجه يمنة ويسرة حتى صار في اتجاه ريح المحسول فأمكنه أن يسمع صياح المحسول وتبين مراده، ففُزّع عن الأعمى ورجع إليه رشده وتحامل على نفسه ورجع إلى صاحبه. ثمّ إنه اقترب من جسد السعلو وتحسسه فوجده يتنفس بعض النفس فأهوى على صدره بالسكين وانثنى إلى بطنه وبعجه حتى اطمأن إلأى أنه قد قضى عليه. وكان الجوع قد أخذ منهما كل مأخذ فهما لم يذوقا منذ الأمس زادًا، فجمع الأعمى من الحطب ما وصلت إليه يده والمحسول يرشده إلى ذلك ثم إنهما أوقدا نارًا عظيمة وألقيا السعلو في أتونها حتى بدأ ريح الشواء يداعب أنفيهما

فأقبلا عليه يأكلان منه ما يسد جوعها وكان سمينًا يقطر بالدهن فكانت يد المحسول زهمة فراح يدلك ساقيه بالدهن وأسفل قدميه وقد كانوا يفعلون ذلك لتليين الجلود وتطرية الأقدام المشققة ولكن المحسول بدأ يحس إحساسًا غريبًا ما كان يعهده من قبل، بدا له كأن النمل يسري في رجليه والحرارة تدب في ساقيه وما هي إلا دقائق حتى أحس أنه قد فك من عقال ورأى نفسه يعتمد على ساعديه وينهض شيئًا فشيئًا وتستقيم قامته وترتفع هامته وهو لا يدري أفي يقظة هو أم في منام ولكنه في يقظة بلا شك فهذه النار يحس بحرارتها وهذا الأعمى منهمك في عرمشة عظام السعلو وأدرك أن سمن السعلو كان فيه شفاؤه، فقال من فوره للأعمى أدهن عينيك لعلك تفتح (تبصر)، فأنا واقف على حيلي ما بي إلا العافيه طبت ما أنا محسول الحين. لم يلتفت الأعمى إلى قوله بل ظنه أصيب بالحمى أو أراد مداعبته ولكنه أيقن اليقين كله بصدق صاحبه لما اقترب منه لينغزه بقدمه ويحركه. طفق الأعمى يدّهن بسمن السعلو ويقطر في جفنيه فما لبث أن بدأ يحس بإزعاج ألسنة النار وضوئها الذي بدأ يأخذ طريقه إليه ولكنه بعد قليل بدأ يهلل ويكبر ويحمد الله أن ردّ له بصره والتفت ينظر إلى رفيق محنته وتعانقا بحرارة وفرح ثم واصلا طريقهما معًا متتبعين جادة قومهما حتى وصلا ليهب القوم لاستقبالهما ظنًّا منهم أنهما ضيفان لكن الدهشة عقدت الألسنة وهم يرون المحسول يمشي على رجليه والأعمى ينقل بصره بين الحضور ويسمي كل من يسمع صوته باسمه فرح القوم بهما أيما فرح وتواصلت الأفراح بما قصاه من أمرهما مع السعلو فكانت حكايتهما عبرة للمعتبر(١).

سندرلا النجدية...أسطورة شعبية نجدية

سبحان الله العظيم سبحان المعتلي مكانه، يقولون هاك البنت اللي(التي) بلغ من جمال وجهها وطول شعرها واعتدال قوامها أنها كانت تفتن كل من يراها، حتى إن كائنًا خرافيًا

---

(١) (المحسول) في لهجة نجد بمعنى المشلول المقعد. وقريب منه عندهم (المحرول) أيضًا غير أن هذا من تصلبت أرجله وانقبضت وإن كان يحسها. والمغزى العام للأسطورة يشير إلى كيفية رأب الصدع وسد النقص بالتكامل المثمر وأن بني الإنسان بتعاونهم خلاقون قادرون على فعل ما يعجز عنه أحدهم منفردًا.

يسمى (خضيّر) هام بها حبًا، وكان من شأنه أنه يتحول بأشكال مختلفة ليلازمها، ولكنها كانت تفلح كلَّ مرة في التخلص منه. يقال إنه سمع عن رغبتها في خواتم فطلب من صاحب له أن يتولى بيعه عند تحوله إلى خواتم إلى أخ الفتاة، وهكذا فرحت الفتاة بالخواتم اللماعة ولبستها، ولكنها ما لبثت تحس حكة في أصابعها أزعجتها أيما إزعاج فرمت بها إلى أخيها ليبيعها بأرخص الأثمان. وحين أقبل الحج خرج أخوها يطلب جملًا قويًا يحمل أخته عليه إلى مكة فسمع من ينادي ويقول: من يشتري البعير بملى اذنه شعير. فتزاحم القوم حوله كل يدفعه الطمع ليفوز بهذا البعير الرخيص، ولكن أحدًا من الناس لم يستطع الفوز به فهو يوالي ملء الأذن بالشعير وهي لا تمتلئ وتتابع الرجال واحدًا بعد واحد حتى استيأسوا وتفرقوا عنه وحسبوه لغزًا عصي الحلّ وكاد أخو الفتاة ينصرف عنه لمّا رأى صنيع القوم لولا نظرة تشجيع من البائع فأقدم وحاول أن يملأ أذن البعير بالشعير فامتلأت وفاز ببعير رخيص قوي ومضى به إلى أخته. وكان يوم الرحيل إلى مكة وزمت الحمول وشدت الرواحل واعتلت الفتاة ظهر عليّان وهو الاسم الذي أطلقته على جملها ومشى بها مع القوم وفي ظاهر البلدة وقفت القافلة لتسقي الرواحل قبل المضي في الصحراء وارتوت الرواحل وهموا بالمسير غير أن الفتاة تستمهلهم ليرتوي عليان الذي يعب من الماء ولا يكتفي حتى ضج الناس فقالوا: سنتقدم وأنت كوني في ساقتنا بعد أن يروى عليان، ولما غابت القافلة عن الأنظار تكلم عليان وقال لها ما لك مفرّ إن نزلت من رجلي اليمنى أو اليسرى صقلتك (رفستك) وإن نزلت من إيدي اليمنى أو اليسرى خبطتك وإن نزلت من رقبتي عضيتك. ما لك إلا إنك تزوجيني أو آكلك، فاختاري. أرتج على الفتاة وتحيرت في أمرها ولم تنبس ببنت شفه من خوفها وهلعها. وفي هذه الأثناء بصر بها أبا الحصين (الثعلب) وأدرك ما هي فيه من همّ وغمّ فقال لها: أساعدك ولي حقّ؟ (مكافأة)، قالت: لك ما تريد. فأخذ الثعلب يدلي ذيله في الماء ويرفعه وهو يغني فأدهش فعله عليان وأدام مراقبته وأشر الثعلب لها أن تنفخ قربة وترفعها فوق السنام ليكون لها ظل يخدع عليان، وهكذا فعلت وانسلت بهدوء وهو مشغول بمراقبة الثعلب. وبعد أن اطمأن الثعلب أنّ الفتاة بلغت مأمنها قال لعليان: وين (أين) صاحبتك؟ قال: فوق اظهري (ظهري)، ثم التفت وحرك جسده وفطن إلى الخدعة أما الثعلب فانتهز فرصة انشغاله وهرب إلى الفتاة ليطالب بحقه. وعاد الأخ إلى أخته التي أبلغته بخبرها وبخلوصها من شرّ

ذلك المخلوق. ولما كان أخوها في السوق ذات يوم رأى حصانًا بريًا نشيطًا فأعجبه فاشتراه وأسرع به إلى أخته ليكون عوضًا من ذلك البعير، وربطه في بيته وسافر في طلب الرزق على أن يعود لعسفه (ترويضه) وإعداده للركوب. أما الحصان فلم يكن سوى (خضيّر) بصورة حصان. وكان لا يفتأ يحاول الانفلات من أسره لينقض عليها فقد غضب منها وهددها بأن يلتهمها. فما كان منها إلا أن أمرت عبدتها بخفية أن تجمع ما خف من ثيابها وزينتها وهربتا. فلما علم بأمر هربها لاحقها وهما هائمتان في الصحراء وكانت الفتاة على يقين أنه ملاحقها فلجأت إلى شجرة عالية فتسلقتها لترى عن بعد من وراءها فكانت تقول لعبدتها: يا عبيدتي تكحلي وتنظري واشتافي وش تشوفين. فتتكحل عبدتها وتتنظر ثم تمد بصرها لترد: أشوف خضيّر. فتسلمها مرآة صغيرة لتلقيها في اتجاهه لتتحول إلى بحر من الماء يفصلها وتواصلان بعدها الهرب إلى أن تصلا إلى شجرة أخرى فتتسلقان ثم تقول لعبدتها: يا عبدتي تكحلي وتنظري واشتافي وش تشوفين؟ قالت: أشوف خضيّر يشرب الماء كل الماء وهو يركض، فأعطتها علبة الكبريت لترميها في اتجاهه فاشتعل ما بينهما نارًا، وأما خضير الذي امتلأ بالماء فصار يبول على النار ويردد وكأن معه من يعينه (زغّل وأنا أزغّل) أي:بل وأنا أبول معك، أما هما فهربتا حتى وصلتا إلى شجرة أخرى فتسلقتا وأمرت البنت عبدتها بالنظر كما فعلت من قبل فقالت: أشوف خضيّر زغّل على النار وجاء. ولم يكن باستطاعة الفتاة وعبدتها مواصلة الهرب فلزمتا الشجرة لشدة التعب. وصل خضيّر إلى الشجرة منهكًا ورمى بنفسه تحتها دون أن يعلم بأنهما فوقها وكان الخوف والهلع قد استولى عليهما فلم تتمالكا نفسيهما، فتساقط البول عليه، فقال والدهشة تملأ نفسه: سبحان الله العظيم تمطر وهي صحو. فضحكتا على قوله فانتبه إليهما ففتح فمه وقال للفتاة: هيا طبّي (اسقطي) وإلا رقيت الشجرة، فقذفت في فمه حقيبة من الحقائب فالتهمها وفتح فمه لها مرة أخرى، فما زالت تقذف بالأشياء إليه وهو يلتهمها بكل يسر حتى كادت تيأس من الخلاص منه، ولم يبق في يدى سوى المقصّ، فتناولت المقص وفتحته وألقته في حلقه فغص به ومات. نزلت الفتاة وبعجت بطنه وأخرجت ما التهمه من أشيائها، وواصلت هي وعبدتها الهرب حتى أجنهما الليل وأدركهما الجوع، فبصرتا بنار على البعد فأرسلت الفتاة عبدتها لتستطلع أمر تلك النار فلعل عندها من القوم من يعينهما، فذهبت العبدة وظلت الفتاة في انتظارها حتى مضى من الليل أكثره والعبدة غائبة،

فمضت الفتاة في ساقتها للبحث عنها حتى إذا وصلت إلى النار رأت عندها قومًا ذوي أشكال مرعبة قد أكلوا وناموا من شدة البطنة. ورأت رأس عبدتها ملقى غير بعيد وجلدها معلقًا على شجرة فأخذته ولاذت بالفرار حتى اهتدت بعد طول مسير إلى بلد في ظاهره غدير كبير تحيطه الأشجار، فشربت منه ثم لبست جلد عبدتها وسودت وجهها، وحفرت في الأرض حفرة أخفت فيها حقيبتها. مضت الفتاة بهيئتها القذرة ورائحتها التي بدأت تفوح من الجلد وقصدت أكبر بيوت المدينة فطرقت الباب ليفتح لها وتنهر وتزجر لولا أن ربة البيت أشفقت عليها وأدخلتها وأمرت لها بطعام، وكانت الفتاة لا تكف عن البكاء وهي تأكل وحاولت المرأة أن تفهم منها قصتها فلم تدرك منها سوى أنها لا أهل لها وهي لا تريد من الدنيا سوى المأوى واليسير من الطعام، فطيبت المرأة خاطرها وأبقتها في البيت وكلفتها برعاية طفل يتيم عليل كثير البكاء، واستمرت الفتاة في البيت تقوم بما تؤمر به بصمت ولم تسلم من سخرية كل من يعيش في البيت لما هي عليه من القذارة والهيئة المزرية والرائحة النتنة التي جمعت عليها الذباب، فهو يلاحقها أينما توجهت وعرفت بينهم بلقب أطلق عليها (دويدة أم الذبان). وكانت الفتاة صابرة على ما ينالها من الأذى حتى جاء يوم شهدت المدينة فيه عرسًا عند أحد الوجهاء دعي إليه أهل البيت الذي تعيش فيه حتى الفتى الذي تتطلع أمه إلى زواجه وترجو أن تصادف في العرس من تناسبه. ذهب أهل البيت رجالًا ونساءً وبقيت دويدة أم الذبان لترعى الصغار. مضى أول الليل وتعشى الأولاد وناموا. ثم إن دويدة انسلت بهدوء ومضت على عجل إلى البحيرة وأخرجت حقيبتها وخلعت عنها الجلد واغتسلت وتنظفت وتعطرت وتكحلت ومشطت شعرها وتزينت بأفخر ثيابها ومضت نحو العرس مسرعة وهي تضع في كمها الأيسر رمادًا وفي كمها الأيمن طيبًا فلما دخلت كثحت الرماد في أعين النساء، وكثحت الطيب على الرجال، ونزلت إلى ساحة الرقص فقفز إليها الفتى لا يعرفها وهي في بيت أهله، وشاركها في رقصها حتى إذا انتصف الليل خطفت خاتمه من يده وولت هاربة، فلحق بها ولكنه لم يدركها. مضت إلى الغدير وأعادت ملابسها إلى حقيبتها وأخفتها ولبست الجلد وسودت وجهها، وعادت إلى البيت ونامت إلى جانب الصغار. أما الفتى فطار لبه وتعلق بهذا الطيف الذي لا يعلم من أين جاء، ولم تستطع امرأة في المدينة معرفة تلك الفتاة.

ومرت أيام ساءت فيها حال الفتى فاستأذن والدته وأخوته ليسافر لعله ينسى ما جرى. وفي نهار السفر كانت أمه تعد له زاد السفر وهو أقراص تخبزها في التنور فجاءتها دويدة تطلب منها أن تخبز للولد اليتيم قرصًا فأعطتها مثيلتين فقرصتهما وجعلت الخاتم بينهما وأدخلتهما التنور ومضت ولما استوت القرصان جمعتها الأم في كيس وسلمته إلى ابنها الذي ودعها ومضى على فرسه فلما كان وقت غدائه نزل يستريح ويأكل فمد يده في الكيس فأخرج قرصًا وأكله ومد يده ليأخذ غيره فوقعت يده على قرص غليظ منتفخ فلم يعجبه شكله وناوله للفرس ليأكله وأخذ غيره وسمع بعد قليل بصوت غريب في فم الفرس فوضع كفه أمام فم الفرس فلفظ شيئًا تبين أنه خاتمه الذي فقده تلك الليلة. قفز الفتى فوق ظهر جواده ومشاعر الدهشة والفرح والترقب تملأ تضاعيف نفسه، وانطلق يسابق الريح نحو أهله ومضى نحو والدته التي امتلأت رعبًا لمقدمه على هذا النحو المفاجئ. قال لها: أحلفك بالله من خبز معك القرصان؟ فقالت: لم يخبز معي أحد. وحلفت له بالله ولكنه لم يقتنع بقولها وما زال بها حتى تذكرت أن دويدة أخذت منها مثيلتين لليتيم. وحينئذ قفز واقفًا وقال لها: يمه أبي أعرس على دويده. انقلب وجه أمه مرة وضحكت مرة أخرى إذ غلب على ظنها أنه يمازحها لولا نظرة الصرامة في وجهه وهي نظرة تعودت صدقها منه. تمعّر وجهها وحاولت نهره مرة وإقناعه بالحسنى مرة أخرى، ولكنه استل خنجره ووجهه نحو صدره وقال إما حياة مع دويدة وأما الموت، فقالت أمه: إن كان في هذا سعادتك فأنت وما ترى ولكن أخوتك سيقتلونك إن علموا بأمرك، فقال: لا يهم. نادت الأم دويدة وبلغتها بالأمر فطارت فرحًا وأمرت الأم أن تختبئ العروس في الروشن حتى تستميل أخوته. وتحت جنح الظلام مضت دويدة خفية إلى حيث أخفت ثيابها وخلعت عنها الجلد واغتسلت وتطيبت ولبست أفخر ثيابها وعادت متسللة إلى روشنها. في هذه الأثناء كانت الأم قد بعثت لمن جاء لعقد القران والشهادة وتمّ الأمر دون أن يعلم أخوة الفتى بشيء ونصحته أن يلحق بعروسه في روشنها فلحق بها ليطير من الفرح بما لقيه من حسنها وجمالها وطيب معشرها. أما الأخوة الذين عادوا من رحلة صيد ذلك اليوم فقد علموا برجعة أخيهم وبأمر المأذون الذي دخل بيتهم مع شاهدين. وتلطفت أمهم في نقل القضاء الذي لا مرد له ولكنها فشلت في فثء سورة

الغضب التي جاشت في نفوسهم فانتفخت لها أوداجهم واحمرت عيونهم واستلوا سيوفهم يريدون تمزيقه متى نزل من الدرج. تسللت أشعة الشمس على العروسين وهما في أهنأ حال فنهض الفتى يريد أن يمضي إلى أمه ليبشرها بما لقيه من دويدة هذه، فأمسكت به الفتاة وقالت له لا تنْزل فإنهم قاتلوك، ودعني أنزل قبلك. فوافقها على ما قالت، فأسرعت نازلة على الدرج بكل ما هي عليه من زينة بشعرها الطويل المسترسل وتظاهرت بأنها لم تر أحدًا أما الأخوة فقد صعقوا لما رأوا، أفي حلم هم أم في علم؟ وتمنى كل واحد منهم أن لو كان صاحب النصيب نزل الفتى وتلقته أمه في أحضانها وتلقاه أخوته بالفرح والسرور.(١)

جحا النجدي... أسطورة شعبية نجدية

كان جحا من أذكى الفتيان وأما والده فكان قاضي البلدة الذي تكن له التقدير والاحترام وبلغ من محبتهم له وثقتهم به وبأسرته أن قرروا أن يولوا ابنه القضاء من بعده، ولكن القاضي يشفق على ابنه من القضاء وتبعاته فأوصاه أن يراقبه عند المهات فإن جمدت عينه اليمنى قبل القضاء وإن جمدت عينه اليسرى رفض القضاء، فلما مات والده رأي جحا عين

---

(١)حكاية سندرلا العالمية معروفة لا يحتاج منا المقام أن نذّكر بتفاصيلها؛ ولكن هذه القصة تشابه في الجزء الأخير منها قصة سندرلا، وأما عنوان القصة عند أهل نجد فهو (دويده أم الذبّان). ومعنى دويدة أي ذات الرائحة النتنة فالشيء المدود الذي فاحت رائحته الخبيثة وهو في الأصل مأخوذ من الجلد المنتن الذي أكله الدود أما (الذبان) فجمع ذباب، وهم يطلقون لفظ الذباب على المفرد ويجمعونه على الذبن، مثل باب وبيبان وصبي وصبيان.

وأحسب القارئ أدرْك معي جوانب التشابه بين قصة سندرلا والجزء الأخير من قصتنا الشعبية. فالفتاتان فقيرتان لا تستندان إلى وجاهة اجتماعية وهو ما جعل الأنظار تقتحمها وهما عاملتان في أعمال المنزل ممن يسخر نه أمثالها من الفقراء أو المغلوبين على أمرهم على أي حال، وهما لهما صورتان صورة ظاهرة للناس مقتحمة مزدراة وصورة باطنة تظهر في الوقت الملائم. والاحتفال في القصتين هو ميدان الاستعراض وكشف ما لم يكن ظاهرًا للعيان، والقصتان تشتركان في زمن نهاية الاستعراض ففي (سندرلا) لابد من أن تغادر قبيل منتصف الليل؛ لأن مفعول السحر الذي جاءت به سيبطل وكذلك دويدة لابد أن تعود حتى لا ينكشف أمرها، ولئن فقدت سندرلا فردة من حذائها لتقود الأمير إليها فإن دويدة في المقابل انتزعت خاتم الفتى ليقوده إليها بعد ذلك. وتتشابه القصتان في سعي الرجل للحصول على فتاته وإيمانه بما رآه منها أول مرة، ففي سندرلا نجد الأمير يقبلها بثيابها الرثة وبهيئتها التي ظهرت في بيت تمتهن فيه امتهانًا يذهب برونقها. والفتى في قصتنا آمن أن من جعلت له الخاتم هي تلك التي سلبت لبه في ميدان الاحتفال ولم تغره صورة دويدة ولا سواد جلدها ولا نتانة ريحها وما يحيط بها من الذباب فهو يدرك بقرارة نفسه وبعاطفة ملكت عليه حواسه أن تحت هذا الظاهر باطنًا واعدًا.

أبيه اليسرى جامدة فقرر أن يرفض القضاء، ولكنه يعلم العلم كله أنّ أهل بلدته سيبذلون جهدهم لحمله على القضاء، ومن أجل ذلك تعمد أن يظهر من الجزع على موت والده ما أقنع الناس بخباله وظهر لهم أنه بلغ الجنون وإمعانًا في الأمر مضى مع الصبيان الصغار في الشوارع يلعب معهم واتخذ عسيًا ليمتطيه كالحصان والتف حوله الصغار وصار يتجول معهم هنا وهناك لا يفارقونه ولا يفارقهم إلا وقت المنام حتى عرف أهل البلد جحا ودولته. ولكنهم يرحمونه ويتلطفون له محافظين على محبتهم لأبيه. وانطلى أمره على أقرب الناس إليه وهو أخوه إذ أيقن بسفهه وخباله أما أمّه فهي أعلم الناس بأمره فلم يخالجها الشك في صلاحه وذكائه؛ ولذلك حملت أخاه حين همّ بالزواج أن يستشير أخاه، فتعجب من فعلها وتعجب كيف تريد منه أن يستشير خبلًا لا رأي له ولا قيمة لما يقول، ولكنه راح آخر الأمر ليرضي أمه لا قناعة منه بقولها فطاعتها واجب ديني لا يجادل فيه أحد، وحين لقيه في أحد شوارع البلدة ودولته تتصايح من حوله قال له إنه يريد الزواج وإنه يريد رأيه فرد عليه جحا ردًا موجزًا سريعًا، قال: ابعد عن الحمص والرمص وبيت القطيعة وابعد عن الفرس. ومضى لا يلوي على شيء ودولته وراءه يثيرون من ورائهم الغبار. ورجع الفتى إلى أمه يشتكي من ردّ أخيه الذي لم يفهم منه شيئًا. فراحت أمه تفسر له من كلام أخيه ما لم يفهمه، فقالت: إنه يوصيك أن تختار زوجة سالمة من عيب الحمص وهو ذهاب أهداب العين من مرضها، والرمص وهو ما يجف على العين من إفرازاتها لمرض بها، وأن تكون من النساء المسببات بقطيعة الرحم، وهي من أنكر المنكرات عند أهل نجد، ثم قال له أبعد عن درب الفرس أي أفسح الطريق. فالوقت ضيق لا يحتمل طول النقاش. وتزوج أخو جحا ولكنه لم يعمل بنصيحة أخيه فكانت زوجته قاطعة رحم ما زالت توغر صدر زوجها على أخيه حتى بلغ بها الأمر أن اتفقت معه على أن يرمياه متى نام في البئر، ولكن جحا كان يسمع دون علمهما ما اتفقا عليه، وفي الليل حين نام أخوه وزوجته تسلل ولبس من ثيابها وألقى عليها من ملابسه وغمز أخاه فنهض من مرقده ولما رأى أخاه بثياب المرأة ظنه زوجته وحملا المسجى بثياب جحا وألقياه في البئر وقال الزوج: راحة من جحا راحه. فقال جحا: لا والله راحة من أم العيال راحه. قال أخوه لما سمع صوته: سويته يا جحا (أي فعلتها يا جحا)، قال: إيه، وإلا تبي تلعبون علي.

كان جحا يدرك كل الإدراك مدى حاجة أهل بلدته إلى من يفصل بينهم عندما تشتجر الأمور فكان لا يألو جهدًا في حلّ مشكلاتهم ولكن بطريقة ذكية تدفعهم إلى التنبه إلى الصواب الذي تجنبوه فيكون سببًا في هدايتهم.

وكان من تصرفاته مع دولته (الصبيان) ما يثير العجب بين أهل بلده. يحكى أنه دخل على أمه يطلب منها تمرًا لدولته من الصبيان فقالت: ما عندنا تمر. فقال: لمن هذه الخصف؟ وهو يشير إلى مجموعة من خصف التمر، عندها فقالت: هذه للبدو. فما كان منه إلا أن خرج ونادى بأعلى صوته يا بدو خوذوا (خذوا) خصفكم ضيق علينا. فلم يكذب البدو خبرًا وانقضوا على الخصف ومضوا بها إلى قطينهم خارج البلدة. فإذا بالأم تلطم وجهها على ما صار من ابنها وأدركت خطأها، واعترفت له بكذبها عليه، وبخلها بالتمر على الصبية الجياع، فطمأنها وطيّب خاطرها، ووعدها أن يستعيد التمر في الليل. فلما صار المساء تسلل جحا إلى موقد البدو وعمد إلى حجرين أسودين من أثر النار فدفن جسده قربهما إلى رأسه بعد أن طلس وجهه بالسواد، فلما جاء وقت الطبخ جاءت البدوية تريد إشعال النار فقربت الحجرين وأرادت الثالثة لتكون ثالثة الأثافي لقدرها فما وقعت يدها على رأسه حتى صرخ بأعلى صوته: أنا جحا ولد علي تحسب راسي بسواد الليل منصبه (أثفية). ففزعت البدوية ومن حولها وجزموا بأنه جنيّ، فولوا هاربين، وهم أخوف ما يخافون منه الجن. فلمّا رأى الصبيان الذين كانوا يراقبون غير بعيد ما حصل مضوا إليه وأخرجوه واستعادوا التمر لأمه ونالوا من كرمها ما يستحقون. وجحا الذي فعل ما فعل استعمل ذكاءه ومعرفته بطبائع البدو فلم يحاول أن يسترد التمر بالقوة بل لجأ إلى لطف الحيلة.

ويحكى أن رجلا صاحب بستان راهن فقيرًا على أن يسبح، في الغدير ليلة من ليالي الشتاء القارصة البرودة فقبل الفقير، وظل يسبح أما أمه التي خافت عليه أن يهلك من البرد فظلت حول الغدير على قور مشرفة عليه تشعل بعض ما تجده من السعف والحطب لعله يدفئ ابنها، فلما كان الصباح خرج الفقير من الغدير منهك القوى مرتعد الفرائص من شدة البرد وراح يطالب بحقه، ولكن الرجل أنكر أن يكون له عنده حقّ محتجًا بأن والدته قد سخنت له مياه الغدير فاختل الشرط الذي بينهما، ولم يستطع الفقير ولا من حوله من الناس أن يأخذ من الرجل شيئًا وظل على إنكاره حق الفقير. سمع جحا بما حصل فذهب يتجول مع دولته وأظهر أنه صادف مروره أثناء تجواله ببستان الرجل. وأما وقد وصل إلى صاحب

البستان فإنه لقي من الحفاوة واستقبله بفرح ورحب به ومنحه ذبيحة يتغدى بها هو ودولته من الذبيحة فتقبلها جحا وأراد طبخها فوضعها في قدر فيه ماء وجعله في أسفل المنحاة ثم إنه جعل في أعلى المنحاة الحطب بعيدًا عن القدر وأشعل النار، واجتهد هو ودولته في إشعالها وتزويدها بالحطب، وصاحب البستان يراقب ولا يفهم من تصرفهم شيئًا، وكان جحا يكلف بين حين وآخر أحد أصحابه ليمضي إلى القدر لينظر هل بدأ الماء بالغليان أم أن النار تحتاج إلى مزيد من الحطب وظل يوالي ذلك حتى اقتنع البستاني بخطأ جحا ودولته، فقال له: إن الماء لن يغلي والنار بعيدة عنه بل لن يسخن، فأظهر جحا عجبه وقال كيف؟! ألم تسخن العجوز ماء غدير كامل بسعف النخل أنكون أعجز من تلك العجوز؟ فعلم الرجل أن جحا جاء يلقنه درسًا وينبهه إلى ظلمه فعاهده على أن يدفع للفقير حقه وعندها قرب جحا القدر إلى النار وطبخ وأكل هو ودولته ومضوا في سبيلهم، وهكذا جعل جحا الظالم يحكم على نفسه وينطق من حيث لا ينتبه بالحجة يقيمها على نفسه.

ويحكى أن فلاحًا استأجر صبيًا للعمل في بستانه سنة على أن يعطيه نخلة فوافق الصبي وثابر على عمله حتى أثمر النخل وجاء يطالب الرجل بثمرة النخلة الموعود بها فقال له الفلاح: أنا أعطيتك النخلة فخذها أما التمر فهو لي. فبهت الصبي وانصرف كاسف البال لا يدري ما يفعل، سمع جحا بأمره فمضى إلى الفلاح كأنه في تجوال مع دولته ففرح به الفلاح فهو ابن القاضي الذي لا يختلف على حبه اثنان وأهداه نخلة من النخيل الجيدة فشكره جحا ولكنه أخرج حبلا جاء به معه ولفه على النخلة وراح مع أفراد دولته يسحبون النخلة وهم يتصايحون ويسأل بعضهم بعضًا: هل تحركت؟ هل تحركت؟ أما الفلاح فهو طائر اللب لا يدري ما خطب الصبية، والعجب قد ملك عليه كل أمره فأقبل على جحا وقال له: لماذا يريد سحب النخلة؟ قال: ألم تعطنا النخلة؟ قال: بلى، قال: فنحن نأخذها. فقال الفلاح: ألا تفهم الكلام؟ أعطيتك التمر الذي في النخلة. هذا ما قصدته وعنيته. قال: إذا لماذا طلبت من أجيرك أن يأخذ النخلة ويترك الثمرة، فقال: هاه! وانتبه إلى أن جحا جاء يعلمه درسًا في حسن التعامل والصدق والأمانة، فدعى بالصبي الأجير وأعطاه ما له من حق.

على أن هذه الصورة التي تبين ما عليه جحا من فطنة وذكاء وطيبة وتفان في فعل الخير تجاورها صورة أخرى نفهمها من أخبار أخرى تختلف عن تلك الأخبار السابقة في توجهاتها ومقاصدها إذ هي تركز على جانب الدهاء الذي قد يتخلى عن جانب الطيبة والخير، ولعل

مثل هذه الأخبار من جملة ما تنسب إليه. والشخصيات الشعبية قد ينالها من تغير الملامح بسبب ما ينثال في سيرتها من حكايات ألفها مجهولون لزيادة رصيد هذه الشخصية من القص. ومن هذه الأشياء ما يرتبط بالمثل النجدي (راحة من جحا راحه) الذي ذكرت قصته سابقًا. ومن هذه الحكايات ما يتصل بالمثل (وتّد جحا)، قال العبودي: وهذا المثل هو المشهور في معظم البلدان العربية بلفظ (مسمار جحا) وقصته عندهم أن جحا باع دارًا له واستثنى وتدًا فيها قال: إنه لا يبيعه بأي ثمن. فاستخف المشتري به ووافق على ذلك. قالوا: فكان جحا يتردد عدة مرات كل يوم إلى الدار بحجة أنه يريد أن يضع على الوتد شيئًا أو أن يصلحه، أو أن يأخذ منه شيئًا حتى أقلق راحة المشتري، واضطر إلى شراء الوتد منه بقيمة كبيرة. ومن القصص الغريبة التي تنسب إليه قصة المثل (جحا يحِدّ امّه بيا لا تسوى)، قال العبودي: يقولون: أصله أن جحا حلف أن يبيع أمه، فأشفق الناس عليه من أمرين إما أن يعق أمه، أو يحنث يمينه. قالوا: فأخذ يعرض أمه للبيع ولكنه حدّد لبيعها ثمنًا لا يمكن أحدًا أن يقبله. ولعله بهذه الطريقة سلم على أمه من البيع فلم يعقها كل العقوق ولم يحنث بيمينه ولولا أن للخيال الشعبي مساربه الخاصة التي تتأبى على المحاكمات الصارمة لكان يمكن ردّ مثل هذه الحكاية بحجة أن الحنث بالحلف أهون من تعريض الأم للبيع، ولكنه المثل الذي يروى ويتداول كما هو وكذلك القصص الشعبية التي لا تسلم من التناقض والإحالات وهذا حال كثير من الإبداع الذي يتخطى حدود المعقول ولعل لذلك ما يسوغه من رغبة إنسانية لتجاوز الواقع المر المكبل لحركة الحياة فهو يجد انطلاقه في عوالم تتخفف من القيود والصرامة التي يفرضها نظر العقل.

بنت أهل الحويطة.......أسطورة شعبية نجدية

كان هناك فتاة بارعة الحسن والجمال ولم يكن والدها ليرضى أن يزوجها إلى أي أحد فقد ردّ كثيرًا من الذين تقدموا لخطبتها حتى تقدم إليه أحد أبناء الأمراء فقبل أن يزوجها به، وجاء اليوم الموعود وأقيمت الموائد للعرس واجتمع الناس ولم تكن الفتاة تعرف من تقدم لخطبتها إذ كان من بلد غير بلدهم، ولم يأت إلا ليلة العرس. أراد أخوها أن يعابثها كما يفعل في كثير من الأحيان فأقبل عليها ووجهه متجهم مقطب فراعها ما هو عليه من سوء، الحال فقال لها: كيف ترضين بهذا الرجل زوجًا؟ أمن أجل ماله تقبلين؟ وانهال عليها بمثل هذه الأسئلة وهو جاد في كلامه فأنكرت علمها بشيء وألحت عليه أن يريها زوجها فمكنها من

النظر خلسة من أحد شقوق الباب وأشار إلى رجل هرم لا يكاد يرى طريقه هو أقرب إلى الأموات منه إلى الأحياء، فلما رأته ركبها همّ عظيم وطفقت تبعثر ما استوى من زينتها وأدرك أهلها أن أمرًا قد أصابها، وجاء إليها أبوها يسأل عنها وعن حالها، فقالت له بكل حزم إنها لا تريد الزواج بأحد أبدًا، لم يجد الأب بدًّا أمام إصرارها أن يتقدم إلى الضيوف وكله خجل بأن ابنته أصابها مكروهٌ يتعذر معه زواجها وتأسف لما صار، وحاول القوم إظهار التجلد وإن قاموا مغضبين على مضض وانصرفوا. وفي هذه الأثناء مضى أخو البنت إليها، وقال لها: انظري هل ترين ذلك الشاب؟ قالت: نعم ما أجمله وأحسن شبابه. فقال لها: إنه الرجل الذي جاء وأراد الزواج بك، وكان أخوها ينتظر منها أن تهجم عليه لتنتقم كعادتها كلما مازحها أو تصرخ في وجهه، ولكنها هذه المرة كانت في منتهى الهدوء رابطة الجأش، وإن بدت جادة الملامح متصلبة القسمات. خرج أخوها وهو يحس فشله في إثارة أخته ومضت الأيام بعد ذلك وكل شيء هادئ وعادت حياتها إلى ما كانت عليه. كان من عادة الشاب أن يأخذ فرسه إلى حويطة غير بعيد منهم ليسقيها كما يفعل غيره من الشباب، وكان المروى هناك فرصة للقاء بعض الفتيات العائدات أو الرائحات أو المتزودات من الماء. وفي يوم كان يقف على المروى، وعليه فتاة ذات حلي وزينة وثياب فاخرة غير أنه لم يبد من وجهها سوى العينين وجزء من الوجنتين، ولكنها كانت كافية لسلب لبّ الشاب، وكان معها طاسة تهم أن تملأها، فتقدم منها وسلم فلم ترفع صوتها، ولكنها ردّت عليه السلام بخفر وحياء فعل في نفسه الأفاعيل، قال لها أعطيني بطاستك ماء للفرس، فناولته فتأمل كفيها وحسن قوامها وما زاده هذا إلا رغبة فيها، فقال لها: بنت من أنت؟ فقالت: وما شأنك؟ قال: أريد خطبتك، وخذي خاتمي هذا دليلا على صدق نيتي. أخذت منه الخاتم وغضت طرفها وقالت بحياء: أنا بنت أهل الحويطة. طار الفتى من الفرح وانفتل راجعًا إلى أمه ليطلب منها أن تخطب له. فقالت: الحمد لله كم تمنيت هذا اليوم الذي تقرر فيه الزواج سأخطب لك اليوم أو غدًا، ابنة عمك إن أردت أو ابنة خالك. قال: لا، أعرف من أريد. ابتسمت أمه، وقالت: ومن هي؟ فقال: بنت أهل الحويطة. قالت:نعم!؟ بنت أهل الحويطة! أنت تعرف من هي؟ هذي مهبولة، هذي هولة تأكلك، يا حزن أمك، أنت جننت؟ بدا الشاب واثقًا من نفسه وهو يقول: لا أريد إلا هي. قالت: حتى ولو كانت مهبولة شيفة؟ قالت: ولو، ولو، ولو. ما لي غير هذي البنت. قالت: هذي البنت لا، شف غيرها. قال: هي وإلا لن تريني بعد اليوم. خضعت الأم لمطلبه وتوجهت إلى أهل البنت وخطبتها وهم لا يصدقون من أمرهم شيئًا فما كانوا يطمعون بأقل

الناس شأنًا أن يقدم إلى ابنتهم الوحيدة العليلة. عادت الأم وأخبرت ابنها بموافقة القوم على الخطبة وأنهم بانتظاره متى شاء. حمل الشاب مهر عروسه في جراب ومضى إلى والد عروسه وسلم عليه بفرح وشكره على قبوله به والرجل لا يدري ما يقول من شدة دهشته واتفقا على أن يكون الزواج في نهاية الإسبوع نفسه، وعاد الشاب فرحًا بانتظار مرور الأيام القليلة ليجمع الله بينه وبين عروسه. وفي اليوم الموعود كان القوم يجهزون عشاء العرس ولم يطق الشاب أن ينتظر إلى المساء فراح إلى الحويطة لعله وعساه أن يلمح صاحبته، فلما وصل وجد شابة خارج الدار قد افترشت الأرض أمام قدر يغلي وهي تعصد ما فيه من طعام بجريدة نخل بقبضتها. وقد كانت الشابة سافرة الوجه مشعثة الشعر، بانت أسنانها الناتئة وعيونها الحمصاء الرمصاء، ولعابها يسيل من شدقها، مدت ساقًا وثنت أخرى وهي تغني لنفسها. سلم الشاب عليها فالتفتت وردت عليه السلام ببرود، فسألها: ماذا تفعلين؟ فردت: أطبخ عشاء عرسي. فضحك منها ساخرًا، وقال لها وقد لاحظ طول ساقها: ما شاء الله رجلك طويلة. قالت: الثانية أطوط واطوط.(أي: أطول وأطول)، قال لها: من أنت؟ قالت: أنا بنت أهط الحويطة. (أي: أهل الحويطة) فقالت: نعم؟ ماذا تقولين؟ اليوم عرس أختك لا عرسك. قالت: ما لي أخت. في هذه اللحظة فقط انكشف عن عينه حجاب وانتبه إلى جدال أمه وما اعتراها من الكدر والامتعاض يوم جاء يسألها أن تخطب له بنت أهل الحويطة. عرف أن في الأمر سرًا. وكان والد العروس على يقين أن الشاب سيعود إلى رشده في وقت ملائم لذلك ترك جراب المهر على نخلة غير بعيد عن المتناول. فبصر الشاب بالجراب وأدرك أنه ما ترك إلا ليستعاد فأخذه وانصرف وحانت منه التفاته فرأى والد العروس يبتسم. عاد الشاب إلى أهله وأنبأهم بأمره وأنه خدع بأخرى قالت له: إنها بنت أهل الحويطة ولا بد أن تسأل أمه عنها. قالت: وكيف أسأل؟ اذهب إلى الحويطة لعلك تصادفها. وقوي الأمل في نفسه وصار كل يوم يغدو ويروح إلى الحويطة ولكنه لم يصادفها. أكانت خيالًا تخيله؟ أدركه الهم، وبدأ العشق لطيف تلك البنية يؤرق ليله ويفسد عليه نهاره، ولم يستطع الصمود أو النسيان فسقط طريح الفراش وقلت رغبته في الطعام وضعفت آماله في الحياة ونحل جسمه نحولًا شديدًا. ولمّا بلغت حاله هذا المبلغ دخلت عليه أخته وحاولت أن تهون الأمر عليه وأن تقنعه أن من رأى لا يمكن أن يتزوجها. فقال: كيف؟ فقالت: لا يتزوج الرجل أخته؟ قال: كيف؟ قالت: أنا التي كنت على المروى معي الطاسة ومعي خاتمك وقصت عليه الحكاية بتفاصيلها. لم يصدقها في البداية وحسبها تحتال عليه لتخرجه مما هو فيه ، لكنها تركته لتعود بعد فترة وهي

في صورة الفتاة التي صادفها على المروى فشهق لما رأى ما صنعت ورأى الطاسة والخاتم. وقال: لمَ فعلت ما فعلت؟ قالت: ينسى الصافع ولا ينسى المصفوع. هل نسيت ما فعلت بي يوم حرمتني بحماقتك وكيدك من الرجل الذي أرسله الله لي. وهنا أدرك مغبة عمله وأنه نال عقابه الذي يستحق.

حكايات الذئاب....أسطورة شعبية نجدية

يحكى أن أحد أبناء بلدنا (المذنب) كان راجعًا من إحدى الضواحي النائية يقود بقرة وعجلًا، فإذا بالذئب يمشي إلى جواره بكل هدوء. أدرك الرجل أن الذئب يطمع بالعجل فأطلقه له رجاء أن يسلم من أذاه، واستمر الرجل في طريقه جازمًا أن الذئب سيتخلف ليأكل العجل، ولكنه لاحظ أن شيئًا من ذلك لم يحدث بل ظل الذئب يماشيه كما كان يفعل. قال الرجل في نفسه: الذئب لن يكتفي بالعجل بل يريد البقرة. لا حول ولا قوة إلا بالله. فأطلق البقرة واستمر في طريقه يريد النجاة بنفسه ولكن الذئب استمر معه يماشيه يسرع إن أسرع ويبطئ إن أبطأ. جزم الرجل أن الذئب يريده هو وأن قضاء الله لا مردّ له ودخله الهلع والخوف ولم يدر ما يفعل فأهوى على الأرض وجعل رأسه بين يديه ينتظر قضاء الله فيه. اقترب الذئب منه وبدأ يحثو على الرجل من التراب والرجل جامد لا يقوى على الحركة، ومضت فترة كأنها قرون متتابعة على الرجل المرعوب، ثم إن الذئب انصرف مسرعًا والرجل لا يصدق ما حصل، نهض وعاد إلى حيث بقرته وعجله وقادهما إلى بيته وهو لا يصدق ما حصل.

كان أهل شيحة (إحدى ضواحي المذنب) قد حفروا غبية لتسقط فيها الأرانب البرية التي تتردد على زرعهم وتفسده، وكانوا كل صباح ينظرون فيها ليأخذوا ما سقط من الأرانب، وفي يوم من الأيام نظروا فإذا بذئب قد تدهور فيها، وكان الذئب منتفخ البطن فجزم الصبيان أنه قد مات من سقطته؛ ولذلك تورم بطنه وانتفخ شأن الحيوانات التي تموت لحتفها. سحب الناس الذئب ليبعدوه عن المنازل اتقاء لرائحته وعادوا وحين التفت أحدهم رأى الذئب يفر نحو الصحراء. وحكى أحدهم أنه كان مسافرًا على قدميه ولم يستطع أن يبلغ مأمنه قبل المساء ولما مضى جزء من الليل بدأ بسماع صوت الذئاب فأدرك أنه لابد من الاختباء عنها حتى يظهر النهار فبحث عن مأوى فوجد دحلًا في إحدى القور فدخله وأقفل بابه بأشجار من العوسج. أما الذئاب فقد شمت رائحته وتبعته إلى مكانه دارت حوله

وحاولت الدخول من باب الدحل لكن الأشواك ردعتها، ولكنها لم تيأس فبدأت تحفر الغار من الأعلى وتمكن الذئب بعد فترة من اختراق السطح وأقحم يده يريد الرجل، ولكن الرجل كان حاضر الذهن شجاع القلب إذ أهوى على يد الذئب بسكينه فشكه بها. حاول الذئب انتزاع يده من الفتحة لكنه عجز فالسكين تعترضه وتؤلمه وراح يجرجر يده دون جدوى، أما الذئاب الأخرى فقد زادت حركتها واضطرابها فوق سطح القارة وبعد فترة سقطت يد الذئب على الأرض. لقد شمت الذئاب دماء صاحبها وأدركت عجزه عن الفرار فتكالبت عليه ونهشته بلا رحمة. لم يعد الرجل يسمع للذئاب صوتًا ولزم مكانه حتى أشرقت الشمس وخرج بهدوء ونظر إلى أعلى القارة فلم يجد من الذئب إلا عظامه. حمد الله وتابع طريقه.

ويحكى أن رجلًا سافر ماشيًا من الأحساء إلى الرياض وقد قيل له إن عليه أن يجتاج مكانًا من الأماكن في النهار؛ لأنه مذأبة لا يسلم صاحبه فعمل بنصيحتهم وتجاوز المكان أول النهار وكان قد بدأ مسيرته من الأحساء بليل فلما كان قبيل الظهر كان قد أدركه الكلال فسقط على الأرض وراح في سبات عميق، وما شعر بنفسه إلا بقطرات من الرذاذ تتساقط على وجهه ففتح عينيه وإذا ذئب قد فحج عليه ويتشممه، قال الرجل: فصرخت صرخة أودعتها كل قوة ملكتها تلك الساعة ولا أدري كيف صرخت، غير أن الذئب جفل من شدة صرختي وجرى لا يلوي على شيء وسلحه من ورائه كطلقات المدافع، وحمدت الله على نجاتي منه وتابعت طريقي.

خلق الكمان (الكمنجة)... حكاية شعبية من الغجر

فى قديم الزمان، وفى عمق الجبال الخضراء، فى ظلال غابة أشجار البتولا الطازجة، وقف كوخ مبنى من الأغصان الكثيفة. فى هذا الكوخ الأليف، عاشت مارا مع أخوانها الأربعة وأمها وأبيها.

الفتاة صارت مغرمة بصياد وسيم يأتى للغابة كل يوم، جوار الكوخ. مارا المسكينة وقعت فى غرامه كلما تقافز بين الألياف الساقطة على الأرض ولكنه لا يعيرها انتباهًا. تحدثت معه مارا، مرارا، وفى كل مرة كان ينظر خلالها لما خلفها وكأنها لوح شفاف من زجاج. لابد أن يكون وغدًا هذا الصياد، لم يرد عليها السلام ولو مرة واحدة، وهذا ما زاد غل مارا، إنها تريد أن تجذب انتباهه ولو لمرة. فى سبيل ذلك ابتدعت أغنية، كانت ترددها على مسامع الأغصان حتى تهتز، وتعبر إلى النبع، كلما مر من هناك: أيها الغريب الغامض الذى

يأتي من بعيد قلبي يأمرك ألا تكون بعيدًا احملني بين ذراعيك كما تريد قبلاتي تدفئك، والنار تزيد تحاول مافي وسعها، وكل ما تفعله لا يحرك فيه ساكنا.حتى قررت اللجوء إلى السحر الأسود.

وهتفت يائسة: أيها الشيطان ساعدني وعلى الفور ظهرت أمامها سحابة، ومد يده التي لمعت كالمرآة أمامها وهي لا تلاحظ بينما كانت تدعوه لأن يساعدها على أمر هذا الرجل الغريب. وأخيرا تحدثت السحابة: أهذا كل ما تطلبينه أيتها العزيزة؟ الآن، سأرتب لك خطة ما، أوعدك سيكون لك ما تريدين وحينها رأت وجهه وسط السحاب ويده ممدودة بالمرآة قال لها: في المرة القادمة عندما ترين حبيب قلبك، أره هذه المرآة، وسيكون لك بلا منازع وكما خبرها تمامًا، حملت مارا المرآة وهرعت نحو الجبال الغابية وانتظرت الصياد، وعلى الفور وجهت المرآة لوجهه ورأى وجهه. صاح الصياد: إنه الشيطان، هذا عمل الشيطان، لقد رأيت وجهي وخرج من الغابة مسرعًا إلى غير عودة.

انتظرته مارا طويلًا فلم يعد، وعندما أصابها اليأس عادت إلى الساحر وقالت له: ساعدني ساعدني، الصياد لم يعد من يومها إلى الغابة. أجابها الساحر ضاحكا: يمكنه أن يجري كما يريد ولكنه في النهاية سيعود لك، أنتما الاثنان نظرتما إلى داخل نفسي فأنتما الاثنان لي. حزنت مارا كثيرًا، فأضاف الساحر: ولكنني مازلت على استعداد لمساعدتك، يجب أن تساعديني أنا الأخرى. فقالت له: ما تريد؟ رد عليها قائلًا: أريد أخوتك الأربعة، لأنفذ خطتي. ووافقت مارا لجنونها بالصياد، وهزت رأسها بالموافقة. جاء الساحر في منتصف الليل وأخذ أخوانها الأربعة. حول الأولاد الأربعة إلى أوتار، الولد الأكبر هو الوتر الغليظ والأصغر هو الوتر الرقيق، والاثنان الآخران يقعان بينهما بالترتيب.

عاد إليها وقال: هذا جميل جميل، الآن أريد أمك وأبيك. وهبته مارا والديها بلا تردد، فقد فقدت عقلها في سبيل الحصول على قلب الصياد.صنع الساحر من الأب صندوقًا طويلًا ومن الأم قوسًا دقيقًا، وعندما انتهى من صنعته بدأ يعزف على آلته بوحشية. وعندما سمعت مارا عزف الآلة، طربت لها كثيرا، ولكن كلما زاد طربها زاد حزنها. فأعطاها الساحر الآلة وقال لها اعزفي عليها كل حزنك وفرحك وعندما يسمعك الصياد سيأتيك، وهذا ما كان. سمع الصياد اللحن القاسي الذي يضمر الفرح والحزن فجاءها مسحورًا وصار لها زوجًا محبًا.

وبعد تسعة أيام عاد الشيطان الساحر وقال لهما: اعبدانى، أنا ربكما الأعلى. فرفضا وتركا الآلة فى قلب الغابة المخضرة وهربا إلى بلد بعيد.

فى أحد الأيام مر غجرى فقير بالغابة ووجد صنعة الشيطان الآلة ملقية هناك، فأخذها وبدأ العزف عليها. وعندما أجاد عزفها حملها معه فى أسفاره عبر المدن والأرياف. اكتشف إنه يستطيع أن يجعل الناس يفرحون ويحزنون إذا أراد كلما يلعبها. وهكذا حدثت قصة خلق الكمان، الآلة المحببة للغجر.

بحيرة الألوان... حكاية شعبية من أندونيسيا

منذ قديم الزمان كان هنالك مملكة تدعى جافا الغربية، يحكمها ملك يدعوه رعيته صاحب الجلالة برابو. وكان صاحب الجلالة برابو هذا ملك حكيم وعطوف. ولاعجب أن مملكته كانت مزدهرة، ليس فيها شخص جائع.

كل شيء فيها كان مفرحًا. الحزن الأوحد أن برابو وزوجته الملكة لم يكن لهما أطفال، مما أجج في دواخلهما كثير من الحزن. واقترح بعض الرجال والنساء الحكيمات، أن يتبنى الملك طفلا. الملك والملكة لم يرق لهما هذا الاقتراح ورددا: شكرًا على اقتراحكم، ولكن بالنسبة لنا، فإن ابننا أو ابنتنا الطبيعيان أفضل. الملكة كانت حزينة جدًّا، كثيرًا ما كانت تنتحب لوحدها، وقرر الملك أن يذهب بعيدًا. ذهب الملك إلى الغابة ليصلي ويدعو للرب. كل يوم يتودد إلى الرب لكي يمنحه طفلًا. وفى يوم ما تحقق حلمه وحملت زوجته الملكة. وأحس كل أهل المملكة بالفرح وأرسلوا للقصر هدايا ثمينة تعبيرًا عن هذا الفرح الغامر. وبعد تسعة أشهر ولدت أميرة. وأرسل الناس هداياهم مجددا احتفالًا بمقدمها. هذه الأميرة صارت صبية جميلة فيما بعد.

أحب الملكة والملك ابنتهما حبًّا جمًّا. وهبا لها ما تمنت. ونشأت الأميرة مدلله للغاية، إذا لم تحقق لها أمنية تغضب كثيرًا. ويقال أنها تقول ألفاظا نابية لا تشبه ألفاظ الأميرات والأمراء الحقيقيين. ومع تصرفاتها الخارجة عن الأدب هذه، أحبها أبواها وأحبها أهل المملكة. وهى تزداد جمالًا كل يوم، تفوق فى جمالها كل بنات المملكة. وعندما اقترب يوم عيد ميلادها السابع عشر، جاء كل أهل المملكة إلى القصر، وأتوها بأجمل وأغلى الهدايا. كانت الهدايا كثيرة جدًّا، جمعها الملك فى مخزن كبير وقرر إهدائها إلى الناس فى يوم قادم. أحضر الملك للصائغ ذهبا

ولآلىء ودعاه أن يصوغ جواهرا جميلة لابنته. قال له الصائغ: مما يسرنى يا حضرة الجلالة. وكرس الصائغ كل مهارته لصنع أجمل عقد فى العالم لأجل الأميرة الجميلة. وجاء موعد الاحتفال، وتجمع الناس فى حديقة القصر، وعندما ظهر الملك والملكة قوبلوا بالتحية والتصفيق، وهما يلوحان لشعبهما المحبوب.

وزادت البشرى والأفراح عندما ظهرت الأميرة بوجهها الجميل. كل الناس أعجبوا لجمالها، وقام الملك من كرسيه الوثير، وناولته إحدى السيدات وسادة أنيقة يبرق عليها عقد خلاب. قدمه الملك لابنته قائلًا: حبيبتى الأميرة الغالية، أقدم لك هذا العقد الثمين هدية من أهل المملكة، لقد أحبوك كثيرًا وقرروا تقديم هذا العقد لك؛ لأنك صرت اليوم امرأة جميلة. فأخذت الأميرة العقد بسرور، ونظرت إليه قليلًا ثم صرخت: لا أريد أن أقبله، إنه قبيح!!

صمت الجميع ولم يقدروا على قول شيء. شعر الناس بالصدمة لأنهم لم يكن يتوقعوا أن تقوم أميرتهم الجميلة بعمل وغد كهذا. صمت الناس وبدأت الملكة تبكى بكاءً صامتًا. تبعتها النسوة فى جوارها وصرن يبكين بصوت خفيض، وبعد قليل صار كل الناس يبكون. وحدثت معجزة، الأرض نفسها بكت. وفجأة انشقت الأرض وأخرجت نبعا، وصار النبع بحيرة واسعة، ابتلعت كل المملكة.

واليوم ماء البحيرة لم يعد فائضا كما كان من قبل. توجد الآن بحيرة صغيرة يسميها الناس تلاقا وارنا وتعنى بحيرة الألوان تقع هذه البحيرة فى بنكاك، فى جافا الغربية. فى الأيام الصافية، تلمع هذه البحيرة بالألوان، مشتقة هى هذه الألوان من ألوان ظلال الغابة، النباتات، الأزاهير، والسماء التى تحيط بالبحيرة. لكن البعض يقول إن الألوان هى ألوان عقد الأميرة، تشع من قاع البحيرة.

الرب الموت والشتاء... حكاية من أثيوبيا

فى قديم الزمان، سار الرب والموت والشتاء سيرًا طويلًا حتى نال منهم التعب شططا، واحتاجوا للراحة. فرأوا منزلا، قال الرب لصاحب الدار: كيف حالك؟ فرد عليه الرجل: الحمد للرب، نحن بخير، فقال الرب: الليل أرخى سدوله، أرجو أن تأذن لنا بالمكوث فى بيتك حتى الصباح فسأله صاحب الدار: ومن أنت؟ ومن أين أتيت؟ قال الرب: أنا الرب، خالق السماء والأرض وكل شيء، انتصبت قامة الرجل وقال له: أرجوك الذهاب من هنا

فورًا، فأنت لم تخلق الناس سواسية، بعضهم موسر وبعضهم فقير، البعض معافى والبعض سقيم، لكل هذه الأسباب، أنا لا أريدك أن تمكث فى منزلي، فواصل الرب والموت والشتاء سيرهم برغم الإجهاد.

وبعد حين، وصلوا إلى قرية فشاهدوا بيتًا صغيرًا. فأرسل الرب والموت، الشتاء ليتفاوض مع القروى صاحب الدار.

ذهب الشتاء إلى القروي وقال له: أرجوك أفسح لنا مكانًا فى دارك، فالنهار قد انقضى وحل بعده الظلام، سأله القروي: ومن أنت؟ ومن أين جئت؟ رد عليه الشتاء: اسمي الشتاء، وقد جئت من مكان بعيد لأقابل كل الناس. قال له القروي مغاضبًا: أنت شخص رديء، لقد حولت بعض البلاد إلى صحراء، والبعض الآخر إلى بلاد ممطرة، أنت تنزل كثيرًا من الجليد فى بعض البلاد، نحن لا نحبك ولا نريد منك المكوث هنا، اذهب لمكان آخر.

فخرج منه الشتاء وذهب إلى الرب والموت وأخبرهم بما قال. ولكن التعب كان قد نال منهم كل نيل، فأرسلا له الموت.

قال له الموت: لقد حل الظلام، هلا دعوتنى أنا وأصدقائى لقضاء الليل عندك، هذه الليلة فقط؟ وسأله القروى: من أنت ومن أين جئت؟ قال له: اسمى الموت وما أن سمع القروى صاحب الدار اسمه حتى انبسطت أساريره ورحب به قائلًا: تفضل تفضل، وأحضر أصدقاءك، أنت لا تفرق بين غنى ولا فقير، ولا بين صغير وكبير، لا تفرق بين جميع الناس فى كل البلاد، تفضل أيها الموت. كرم الناس الموت كثيرًا فى تلك الليلة؛ لأنه لا يكذب؛ لإنه حقيقي.

لا تؤخذ على حين غرة... أسطورة شعبية من أفغانستان

فى قديم الزمان، خرج أحد الوزراء من فردوس الحكم يوما وانضم إلى مجموعة من الدراويش. وبفضل صحبتهم، حقق لنفسه راحة البال، وبدل شخصيته.

حينئذ غير الحاكم رأيه فيه، وقرر أن يعيد الوزير إلى ديوان الحكومة. رفض الرجل وقال للحاكم: أنا أفضل ألا أكون بلا عمل، من أن أقضي يومي كله مشغولًا بالسياسة الذى يختار الحياة الحرة الهادئة، ربما لا تطيب له العواصف العاتية التى يصنعها الأضداد، وربما لم أعد أمتلك هذه المهارات الخاصة بوزير، ربما أكون قد أعدمت مستنداتى، ولكنى أعلم أننى

لم أعد أرغب فى أن أكون عرضة لألسنة النقاد الرديئة. أجاب الحاكم: تعلم أننى ما تمنيت أن يكون لى رجل كفء مثلك ليدير لى شئون الحكم. أجابه الوزير السابق: علامات الحكمة فى الرجل، ألا يؤخذ على حين غرة فى سراب السياسة، لماذا كان طائر الجنة أفضل الطير؟ لأنها ربأت عن نفسها من أكل العظام اليابسة، وبذلك لن يتحكم فيها أحد الأحياء. كذلك النمر، عندما سئل لماذا يعمل فى مملكة الأسد، قال: إنه بذلك ينجو من عداوته ويأكل فتات موائده. ولما سئل لماذا لا يخدمه وهو على مقربة من دوائره اللصيقة كما يفعل بقية الوزراء، أجاب عندئذ: لأننى لن أنجو من أذى الملك وأنا قريب منه، إذا غضب، قد يقضى الزورانستى جل حياته يذكى النار التى يعبدها، لكنه لن يسلم من أن تحرقه النار يوما إذا وقع فيها، ويا سيدى الحاكم، إن وزراءك، وهم يعملون فى وزارتك، لا يعلمون إن كانوا غداسيجنون ثروة طائلة أو سيفقدون رؤوسهم، المعروف أن الرجل يجب أن يلم بطبع رئيسه، فبالإمكان أن يثور ويغضب لشخص ألقى عليه التحية، وقد يهب الجوائز وشهادات التقدير لشخص ألقى عليه الشتائم لتكن سياسيًّا عليك أن تكون مساومًا محتالًا، ولتكن حكيمًا يجب أن تنشد العلياء. دع السياسيون يغازلون ويكذبون ويخادعون ما شاءوا، فأنا أعرف قدر نفسي. فكرامتى هذه تكفيني.

الأرنب المبتسم... حكاية من المكسيك

فى قديم الزمان،.عاش رجل عجوز مع زوجته فى بيت صغير من القش كانا فقيرين، كل ما ما يملكانه لا يتعدى أرنبًا وفهدًا يافعًا. وبعد أن أكملا آخر ما بحوذتهم من قمح، قررا طهى الأرنب وأكله فأوقدا النار ووضعا عليها قدرًا من الماء. وعندما لاحظ الفهد ذلك قال للأرنب: ليس لديك أى مخرج هذه المرة، العجوزان ينويان طهيك، وسأطلب منهما قطعة سيهبانها لى.

– لا يا صديقى الفهد، العجوزان يغليان ماءً ليصنعا منها شراب الشيكولاته الساخن للإفطار.

– لا هذا ليس صحيحا، إنهما يغليان الماء ليطهيانك.

– أقسم أن الأمر كما ذكرت، ولأبرهن لك على صدق قولى، أدخل إلى قفصي وسترى، سيحاولان أن يعطياني من المشروب لأذوقه عندما يكملا تحضيره، وستكون أنت هناك

فتذوقه، وبكل ثقة، دخل إلى القفص، فأغلقه الأرنب وهرب. وانتظر الفهد طويلا ليجيء له العجوزان بمشروب الشوكولاته، حتى ملَّ. بعدها أيقن أن الأرنب قد خدعه فذهب إلى الغابة ليعثر عليه.

وبعد أن مشي ومشي ومشي، وجده فى كهف يدعى ساخباراس وهو كهف يخزن الناس فيه الرمل الأبيض. كشر الفهد عن أنيابه وقال للأرنب: لقد وجدتك يا أرنب، وسآكلك!!

- ماذا تقول يا صديقى؟ أنا لا أعرفك، أنا أعيش هنا لزمان طويل، ألا ترى أننى مشغول؟
لقد سقط داري وأحاول أن أرممه.

- أوه، إذن أنت أرنب آخر ليس الذي خدعني.

-لا بالطبع أنا ليس هو. أرجو منك أن تقدم لى خدمة، من فضلك، اسند لى هذا الجدار ولا تدعه يقع، إذا وقع فسيؤذيك، أنا ذاهب لأحضر جذعًا من الخارج لأسنده به. مضى زمن طويل والفهد يسند الجدار ولم يعد الأرنب. وبعد أن أرهقته المهمة التى يقوم بها، جرب أن يترك الجدار تدريجيًا، ولاحظ أن الجدار لم يكن آيلا للسقوط كما أوهمه الأرنب، وحينئذ أيقن أنه نفس الأرنب الماكر الذى خدعه من قبل، فازداد غضبًا وجرى خارجًا ليواصل البحث عنه.

وفى هذه المرة وجده معلقًا بحبل مطاطي يلهو به. يصعد ويهبط وهو مربوط بحبل المطاط من أعلى شجرة. وعندما رأى الفهد قادمًا نحوه أخذ يضحك ويضحك ويزداد فى اللهو علوًا وهبوطًا، كان فرحًا حتى أنه لم يلاحظ أن الفهد قد تمكن من الحبل المطاطى وجذبه بقوة، وتركه يلوح فى الفضاء بالأرنب حتى اصطدم بالقمر. وذلك يفسر لماذا نشاهد فى الليالى المقمرة شكل الأرنب مبتسمًا وهو مطوح ينظر للأسفل، ماسكًا ببطنه من كثرة الضحك.

سيليكانا والنهر الإله... قصة من قبيلة البانتو

فى قديم الزمان، كانت سليكانا بنت طيبة الخلق، تساعد الآخرين لذا أحبها هؤلاء الذين كانت تعطف عليهم، فأهدوها عقودًا وسلاسل من أعمال الخرز والسكسك، عقود جميلة ملونة يتزين بها عادة أهالى البانتو ويحسنون صنعها. وبالطبع فقد حسدتها

الصبيات فى عمرها غير موقنين أنها قد نالتها جزاءً وعرفانًا لما تفعل للآخرين. كان على فتيات البانتو فى الماضي، وحتى اليوم، أن يذهبن إلى النهر قبل الغروب لجلب الماء فى الجرار، قبل الغروب وليس بعده حتى لا تغدر بهن أرواح النهر الشريرة كما قال. وبالرغم من أن الجرار التى تحملها الفتيات ثقيلة تزن الواحدة منها أربعين رطلا بعد الملء، لكن الفتيات يقمن بهذا الواجب فرحات سعيدات؛ لأنهن يجدن الوقت للثرثرة والنميمة، وليتفاخرن بمقتنياتهن من ملبس أو زينة فى حضرة بعضهن البعض.

وفى عصر أحد الأيام كانت سليكانا فى طريقها إلى النهر، عندما طلبت منها الأم العجوز سيليكا المساعدة، فى شؤون المنزل. كانت مقعدة وغالبًا ما كانت سيليكانا تساعدها. وبعد أن أنجزت المهام التى طلبت منها، أهدتها المرأة المسنه عقدًا مصنوعًا من شعر ذيل الفيل قائلة: هيا خذيه، فأنا لا أستطيع لبسه الآن بعد أن هرمت، سيكون جميلًا عليك، أشكرك على جميل صنعك، والآن اذهبى إلى النهر قبل أن يدركك المغيب. حملت سليكانا جرتها فوق رأسها وانطلقت إلى النهر سعيدة وممتنة. وهناك كانت كل البنات فى انتظارها وعلى وجوههن ابتسامة، لاحظت أن كل البنات لم يكن متزينات بزينتهن كما هوالمعتاد. قالت البنت القائدة للركب: تأخرت يا سليكانا، فقد انتهينا لتونا من إجراء احد الطقوس، لقد قدمنا القرابين لإلهنا النهر، بأن أعطيناه كل ما نملك من زينة، أنها عادة قديمة نسينا أن نتبعها من وقت طويل. أنا واثقة من أنك تودين أن تقومى بنفس ما قمنا به، حتى لا يغدر بك النهر ويجرك إلى منيتك إذا تأخرت مرة أخرى.

كانت سيليكان تعلم أن هذا الطقس يجري كل عام، لكنها لم تسمع بأن الفتيات هن الاتي ينظمن هذا الطقس لوحدهن. على العكس، كان عمدة القرية هو الذي يعلن عن هذا الاحتفال ويشارك فيه كل الناس، والقرابين المقدمة هى عبارة عن ماشية وليس زينة البنات، لكنها لم تكن تتوانى من إسعاد الإله النهر بأى ثمن، وبيقين تام أخرجت عقدها الطويل، ومشبك صدرها، وأقراطها الجميلة وأسورتها ثم ألقت بها للنهر واحدة إثر الأخرى، وهى تدعو وتصلى ليباركها النهر. ومن عمق صلواتها سمعت أصواتًا من ضحك الفتيات المجلجلة خلفها، وعندما التفتت نحوهن، رأتهن وكل واحدة قد وضعت عليها كامل زينتها وقد أخذنها من المخبأ. وعلى الفور أدركت الخدعة التى حبكتها الفتيات ضدها من أجل أن تفقد كل زينتها وتشفي غليل الحسد الذى يأكلهن من حسن خلقها وجمال صورتها وندرة

حليها، ما يفعله كل الحاسدين ليطفئوا نار الحقد بداخلهم. يقول الرجال الحكماء: إن الحسد إحساس بغيض وضار ولكنه حقيقي، وهو معروف فى كل البلاد وليس هو وقف على بلاد البانتو فى أفريقيا وحدها، لكن لو أدركت البنات مغبة الأمر الذى قمن به لما أقدمن عليه، وانخرطت سيليكانا فى بكاء مرير، حزينة أنها بغفلة وهبت كل زينتها النادرة من أجل لا شيء، وللأبد. فلا أحد يجرؤ على الغوص إلى أعماق ذلك النهر.

وسمعت أصوات البنات وهن يتحدثن منتصرات: هذه البنت الغبية صدقت أنها يمكن أن تقذف بحليها هكذا للنهر؟ هذا ما فعلته يا للغباء! وبدون أن يتوقفن من الضحك، وضعن جرارهن على رؤوسهن واتجهن نحو القرية تاركات سيليكانا المسكينة وحيدة وباكية قرب النهر.

أيها النهر، أيها النهر أرجع لي مصاغي وحليي التى أعطيتك بلا سبب. وظلت تبكى وتلح على النهر فى الدعاء، وفجأة سمعت صوتًا غريبًا يأتيها من طرف النهر: تعالي يا صغيرتى إلى هنا اتبعيني. تبعت سيليكان الصوت حتى وصلت إلى منحنى بالنهر، حيث شكل التيار دوائر خطرة. سمعت الصوت يقول لها: لا تتبعى التيار حيث الدوائر فقد تغرقين. قالت له سيليكانا: أرجوك أيها النهر أن تعيد لى عقودي فقد خدعتنى نديداتى. ورددتها ثلاثة مرات. وسمعت هذه المرة الصوت من مكان قريب للنبع الدائر: تعالى هنا يا صغيرتي، انزلي إلى العمق وسأعطيك مقتنياتك. تقدمت سيليكانا إلى حيث النبع وهى تصارع الموج وتحاول أن يكون رأسها خارج الماء، وبمجرد أن وصل الماء إلى ركبتيها، جرها النهر إلى عمقه الأخير وغرقت فى الماء. وبعد مرور وقت طويل جدًا، لمست أقدامها قاع النهر، ورأت أمامها نورًا باهرًا. وكما فى الماء لا يستطيع المرء المشي بسرعة، وصلت بعد زمن إلى بوابة لكهف باطني. رأت داخل الكهف آلاف من الحجارة الكريمة اللامعة، حتى أن الكهف كله كان مضاءً بها. وبعد أن صارت قادرة على رؤية ما أمامها، رأت امرأة تمشي على رجل واحدة، أو لعل الرجل هى ذيل سمكة، تأتى نحوها. واحتوتها امرأة النهر برفق مستخدمة مرفق يدها الوحيدة أيضًا. وقادتها إلى غرفة ثانية حيث حضرت لها طعاما شهيًّا قائلة: كلي يا صغيرتى فسأجازيك على قربانك الغالي. كان الطعام جيدًا وعندما فرغت سيليكانا منه، قالت لها امرأة النهر: الآن يجب عليك غسل الأطباق والأواني وتنظيف الغرفة جيدًا، سأغيب أنا قليلًا ثم أعود، فقامت سيليكانا بالعمل على أكمل وجه، غسلت الأواني

ووضعتها على الرفوف ونظفت أرضية الغرفة وشدت الفراش، وبمجرد من انتهائها من ذلك عادت امرأة النهر إلى الغرفة. قالت لها: تعالي معي سأعطيك جواهرًا كثيرة.

قادت امرأة النهر سيليكان إلى غرفة المجوهرات وأعطتها الحرية فى اختيار ما يعجبها. فأشارت سيليكانا الى أحجار متألقة وثمينة، وجواهر وماس، ملونة بألوان قوس قزح، باهية وبراقة، وفى غمضة عين، غرزتها امرأة النهر على الجدار فتحولت إلى عقود وأقراط و أسورة ومشابك أهدتها لها وألبستها أجمل الملابس من الفراء والجلد والحرير. وفجأة سمعتا صوتًا ضخمًا كصوت الاصطدام على سطح النهر. فهرعت المرأة النهرية، وقالت لسيليكانا: أسرعي يا صغيرتى، هذا هو كوينا ملك النهر مقبلًا. سيأكلك إن رآك هنا، وجذبت سيليكانا خارج الباب عاليًا حتى السطح. وهى خارجة مع المرأة النهرية، لمحت سيليكانا كوينا الملك، كان تمساحًا شرسًا، ولكن لحسن حظها وقبل أن يلمحها هو، كانت سليكانا قد أخرجت رأسها إلى سطح النهر. وعلى الفور سبحت سيليكانا إلى الشاطىء، لقد كانت معجزة أن يتركها كوينا تخرج سالمة.

وسارت سيليكانا فى طريقها إلى القرية، فصادفت أختها فى الطريق. دهشت الأخت وقالت لسيليكانا: أين كنت يا سيليكانا؟ كل الناس يقولون إنك غرقت فى النهر وفارقت الحياة. ها أنت تعودين وتبدين كالأميرة، ما كل هذه الملابس الفاخرة والحلي الغالية؟

فحكت لها سيلكانا قصتها وهما تعودان إلى المنزل. ومنذ ذلك اليوم لم تعد للناس حكاية أخرى غير حكاية سليكانا وثروتها الفاخرة.

أما قائدة البنات فقد زاد حسدها، وقررت الذهاب إلى النبع النهرى والعودة بثروة مماثلة، وفعلًا دخلت قائدة البنات إلى نفس الطريق وقابلت المرأة النهرية. تمامًا كما فعلت مع سيليكانا، حضرت لها طعامًا شهيًا وبعد أن أكلته طلبت منها نظافة الغرفة إلى حين عودتها. عندما اختفت امرأة النهر، قالت البنت لنفسها: وهل جئت هنا لكي أقوم بهذه الأعمال الوضيعة، لن ألمس شيئًا وسأنتظر حتى عودتها وآخذ منها المجوهرات والملابس الغالية، أعود إلى القرية، أنا أستحق هذه الأشياء وسأبدو عليها أجمل من سيليكانا. وعندما عادت المرأة ووجدت إن الغرفة ما زالت قذرة والأواني ملطخة بالطعام، خرجت مرة أخرى وتركت

البنت لوحدها. وبعد قليل سمعت صوت اصطدام عظيم على سطح النهر. يمكنك أن تتخيل من كان هناك؟ وماذا حدث بعد؟ غابت البنت اللئيمة قائدة الفتيات إلى الأبد من القرية وصارت سيليكانا هى القائدة الطيبة المحبوبة.

الشيخ حمد... حكاية شعبية من السودان

فى قديم الزمان، وفى ليلة مقمرة كان أحد التجار عائدًا من رحلة شاقة عابرًا أرض البطانة. كاد أن يضل طريقه بين القرى الصغيرة المتباعدة، لا يعرف أين سيقضى ليلته. وفجأة سمع صخبًا وزغاريد فى سكون الليل المقمر، فوجه دابته تجاه الصوت وسار وقتًا طويلًا قبل أن يلمح نارًا ودخانًا لأناس يطهون ويغنون ويرقصون. سعد الرجل كثيرًا لهذا المشهد وعرف أنه فى طريقه إلى دار أحدى القبائل المنتشرة فى بقاع المنطقة، لعلها قبيلة الشيخ: حمد المشهور بحكمته ولطفه.

وعندما اقترب قليلًا رأى منازل صغيرة متناثرة فى شكل دائرى، وفى منتصف الساحة كانت النساء تطهو الخراف فى قدور كبيرة، ويصنعن الكسرة فى دوكات متناثرة، أما الفتيان فكانوا يقدمون أقداحًا خشبية مملوءة بالالكسرة والملاح واللحم المشوى للرجال وهم متراصون فى دوائر، على حصائر فرشت على الأرض. أما الصبيات الصغيرات فقد كن يلعبن الحجلة فى أقاصي المحفل، بينما انشغل الصبيان فى غسل أيادى الضيوف وهم يحملون الأباريق، بعض الفتيات كن يصنعن الشاي ويبخرن أكوابه ببخور المستكة الزاكي، بينما انخرط بعض الفتيات الفتيان فى دائرة للغناء والرقص حتى يأتى دورهم فى توزيع الطعام والشاي وهم يتبادلون النظرات والأحاديث المرحة، تدعمهن بعض النساء بالتصفيق والزغاريد.

وعندما بان الرجل ممتطيًا دابته فى طرف المحفل، أرسل الشيخ حمد أحد معاونيه ليعرف من القادم. حكى الرجل قصته للرسول، عاد الرسول إلى الشيخ وعندما علم بتعبه وسفره الطويل، وأنه ينشد مكانًا يستجم فيه أثناء الليل ليعاود سفره فى الصباح، أمر بإحضاره إلى الحلبة، جيء به إلى الشيخ حمد، فرحب به وأحسن مقدمه ودعاه للطعام والسمر، فهى عادة قبيلته أن يسمروا ويمرحوا عندما يكتمل القمر.

وبعد أن شبع الرجل وشرب الشاي وطرب للغناء الجميل، أشار له الشيخ بالمكوث فى إحدى الخيام لكى يقضي ليلته وينعم بنوم هادئ. وذهب الرجل فرحًا وشاكرًا إلى الخيمة حيث حضروا له سريرًا خشبيًّا مضفورًا بالجلود وعليه حصيرة وبعض الحشايا وثوب دبلان ليقي به جسده من لسعات البرد الليلى. نام الرجل نومًا هانئًا حتى الصباح. وفى اليوم التالى استعد للذهاب كما اتفق مع الشيخ حمد، لكنه وهو يحاول أن يلم متاعه، لاحظ أن صرة النقود التى كان يخبئها فى مخلايته قد اختفت. بحث عنها فى كل مكان بغير طائل، وأخيرًا اضطر لأن يصارح الشيخ بالحادثة. شعر بالخجل وهو مقدم على ذلك؛ لأن الرجل أكرم وفادته كرمًا زائدًا ولم يود أن يحرجه.

وعندما علم الشيخ بالحكاية أمره أن يصمت وهو سيحل المشكلة بهدوء وسيتعرف على السارق.

فكر الشيخ قليلًا، ثم جمع كل أهل القرية، وقال لهم: ضيفنا افتقد صرة نقوده فهمهم الناس امتعاضًا من الحادثة ولكن الشيخ واصل حديثه قائلًا: الذى لا تعرفونه، أن حماري هذا حيوان صالح. يستطيع أن يعرف الجاني إذا لمس ذيله، (فينهق)، وعليه أنا سأضع الحمار فى تلك الخيمة، وآمركم أن تدخلوا واحدًا تلو الآخر للخيمة، وعندما يدخل الفرد إلى الخيمة يجب أن يلمس ذيل الحمار، ثم يخرج من الجهة الثانية. تذكروا إذا لمس السارق ذيل حماري فإنه سينهق، وسنعرف من هو، ونحاسبه حسابًا عسيرًا. تعجب الناس مما سمعوا وتبادلوا التساؤل بينهم، ولكنهم اصطفوا أمام الخيمة التى قبع حمار الشيخ فى داخلها. وبدأ الناس يدخلون واحدا تلو الآخر، ثم يخرجون من الجهة الثانية ويقفون فى صف واحد. انتهى آخر شخص من إجراء المهمة ولم ينهق الحمار.

وعندما اصطفوا فى الجهة الأخرى وسط حيرتهم هذه، جاء الشيخ إلى الصف وأمر أن يشم يد كل فرد منهم، وهم فى صمت مهيب.

وفجأة أمسك بأحد الرجال وقال له: أنت السارق.

وبدلًا من أن يقاوم، وقع الرجل فى أقدام الشيخ حمد وقال له: اعذرنى فإن زوجتى تستعد للوضع وأبنائى السبعة لا يجدون ما يأكلون و...، أسكته الشيخ حمد، وأوقفه قربه ثم ناول الصرة للرجل الضيف واعتذر له عن الخطأ غير المقصود.

أخذ الضيف ماله وهو محتار من ذكاء الشيخ، فقال له: أشكرك كثيرًا على إرجاع مالي إلي، فقط خبرنى كيف تعرفت على السارق؟

فقال له الشيخ: وضعت دهنًا قوى الرائحة على ذيل الحمار، وكنت أعلم أن السارق لن يلمس الذيل، لذا شممت الأيدى وكانت كلها تفوح منها رائحة الدهن، إلا هو، فقال له الضيف: هل تسمح لي أن أتبرع للرجل المسكين ببعض نقودى؟ قال له الشيخ: الرجل سيكون فى الحفظ والصون وسأتولى بنفسى شؤون معيشته، ووضع زوجته سيكون أحد واجباتي.

وهكذا مضى الضيف وكل أهل القبيلة وهم يشكرون للشيخ حمد موقفه الحكيم وحكمه العادل.

الأميرة والضفدع The frog price ... **أسطورة شعبية أوربية:**

فى قديم الزمان كانت هناك أميرة لديها كرة ذهبية، وكانت تحب أن تلعب بها قرب بحيرة الحديقة، وفي أحد الأيام تدحرجت الكرة إلى البحيرة، وغرقت لأسفل، وأصبحت الأميرة تبكى.

سمعت صوتًا يناديها: لماذا تبكي أيتها الأميرة؟!

فالتفتت الأميرة لتجد أن الذى يخاطبها لم يكن إلا ضفدعًا قبيحًا.

روت الأميرة للضفدع سبب حزنها، فقال لها الضفدع: إنه سيحضر لها الكرة إن هي حققت له أمنيته. سألت الأميرة الضفدع: ماذا تريد منى؟ هل تريد مجوهراتى؟ أم تاجي الذهبي؟

أجاب الضفدع: لا أيتها الأميرة، كل ما أريده منك هو أن تدعينى آكل معك وأن أنام فى فراشك.

ظنت الأميرة أن الضفدع يمزح معها، فقالت: نعم أعدك بذلك.

غطس الضفدع فى البحيرة وسرعان ما عاد بالكرة الذهبية.

أخذت الأميرة الكرة الذهبية وانطلقت هاربة.

صاح الضفدع: انتظري خذينى معك، ولكنها لم تلتفت وراءها.

وفى المساء عندما كانت تناول العشاء مع والدها سمعت طرقًا على الباب، ففتحت الباب وإذا بالضفدع يحمل باقة من الورود.

أغلقت الأميرة الباب بسرعة وسرعان ما عرف والدها الملك الحكاية فقال لها: عليك أن تحفظى وعدك أدخليه.

تبعها الضفدع إلى المائدة وأكل من طبقها، وبعد ذلك أخذته إلى فراشها، وما أن لمس الفراش حتى تحول الضفدع إلى أمير وسيم الشكل، وأخبرها أن ساحرًا قد سحره على هيئة ضفدع وأنه يمكن لابنة الملك فقط أن تعيده إلى سيرته الأولى إن هى حققت أمنيته.

طلب منها الأمير أن يتزوجها فوافقت وعاشا فى سعادة وهناء.

أنانسي ووعاء الحكمة... أسطورة شعبية

في قديم الزمان، أهدى نيامى إله السماء، أنانسى جرة كبيرة مملوءة بحكمة العالم. وكانت الجرة مملوءة بكل شيء: صور، حكايات، موسيقى، لوحات، كتب وأفكار مثيرة ثيرة، كلما نظر أنانسي إلى واحدة منها، تعلم حكمة جديدة.

طمع أنانسي في محتويات الجرة وقال لنفسه: لن أعطى أى شخص فى العالم أى واحدة من محتوياتها وفكر وفكر أين سيخبئ الجرة، وفى النهاية قرر أن يخبئها فى أعلى شجرة سامقة، حتى لا يراها أى شخص آخر.

فربط الجرة بحبل متين، ولف الحبل حول وسطه. وعندما عزم على صعود الشجرة، كانت الجرة أثقل من قوة تحمله.

كان ابن أنانسي يرقب والده من مكان بعيد. ولما رأى محاولة والده العاجزة صاح به: اربطها حول ظهرك فذاك يجعل مهمتك أسهل فى الصعود.

وفعلًا ربط أنانسى الجرة حول ظهره، وكان الصعود سهلًا عليه هذه المرة، وعندما وصل إلى قمة الشجرة، استشاط أنانسي غضبًا وصاح: ابني يعرف أحسن مني وأنا أحمل جرة الحكمة كلها؟ كان أنانسي غاضبًا حتى أنه قذف بالجرة من أعلى الشجرة إلى قاعها.

تحطمت الجرة إلى قطع كثيرة صغيرة وانتثرت شظاياها فى كل مكان. وتشتت شظايا الحكمة بالتالي فى كل مكان.

تجمع الناس من كل حدب وصوب وظلوا يلتقطون قطع الحكمة المتناثرة هنا وهناك. حمل كل شخص قطعة الحكمة إلى منازلهم وفرجوا عليها أهلهم وأصدقاءهم. ومنذ ذلك الوقت صارت فى يد كل شخص قطعة من الحكمة يعلمونها لبعضهم البعض ويتبادلونها، ولا أحد يملكها كلها.

الطبل......أسطورة شعبية من الهند

فى قديم الزمان كان هنالك امرأة فقيرة، تطحن الطحين فى بيوت الأغنياء حتى توفر العيش لها ولولدها الوحيد. يعطونها بعض العيش تبتاعه وتشتري مستلزمات الحياة. ولكنها لا تستطيع أن توفر لها أو لولدها ملابس جميلة أو ألعاب.

وفى يوم من الأيام وهى ذاهبة للسوق سألت ولدها ماذا يريد من السوق فرد عليها بسرعة: أريد طبلا يا أمي أريد طبلًا.

عرفت الأم أن ما لديها لن يكون كافيًا لشراء الطبل، وفعلًا فقد صدق حدسها ولم يكن المبلغ الذي تلقته من بيع العيش كافيًا. ولكنها وجدت قطعة من الخشب واقعة على قارعة الطريق فأحضرتها له.

أخذ الولد الصغير قطعة الخشب وذهب بها إلى الشارع ليلعب بها. فصادف امرأة عجوزًا تحاول أن توقد نارًا، كان الدخان الذي تحدثه النار كثيرًا حتى سال دمعها، سألها الولد: لماذا تبكى؟ فقالت له: الدخان الكثيف جعل دمعي يسيل، ولكنى لا أستطيع أن أوقد ناري، فمنحها الولد قطعة الخشب فأوقدت نارها وفرحت. أعطته بالمقابل قطعة من الرغيف، حمل الولد قطعة الرغيف ومضى فى طريقه فوجد رجلًا يعمل صانعًا للآنية وزوجته وطفلهما الصغير وهو يبكي. سألهما: لماذا يبكى الطفل كل هذا البكاء؟ فأخبراه أن الطفل يتضور جوعًا، فأعطاه الولد قطعة الرغيف فأكلها الطفل وفرح الأبوان، منحاه بالمقابل طستا مما يصنع الأب. حمل الطست ومضى فى طريقه فوجد رجلًا يجادل زوجته ويصرخ فى وجهها، فسأله لماذا يشاجر زوجته هكذا؟ فقال له الرجل: إنا أعمل غسالًا وهذه المرأة، زوجتى أفسدت طستى الوحيد، فلا أستطيع أن أعمل لأجلب المال لأسرتي. أعطاه الولد الطست. فرح الغسال وأهدى الولد كنزة ثقيلة للبرد. عندما كان يعبر الجسر وجد رجلًا عجوزًا يرتجف من البرد، فسأله ما حل به فأخبره الرجل: أنه لا يملك غير قميص خفيف على جسده ويشعر بالبرد الشديد، فأعطاه الولد الكنزة على الفور، فرح الرجل

وأهدى الولد حصانًا، وعندما كان الولد فرحًا بحصانه وصادف بعض الموسيقين بينهم رجل شاب يلبس ملابس العرس، وكان العريس هذا غاضبًا وفاقدًا لصبره. فسألهم الولد ما حل بالعرس؟ فأخبروه أنهم ينتظرون رجلًا وعدهم بإحضار حصان للعرس ولم يحضر. فأعطاهم الولد حصانه. سأله والد العريس: إن كان يتمنى شيئًا يعطيه له، وعلى الفور قال الولد: طبل، أريد طبلًا. فتنازل أحد الموسيقيين عن طبله للولد.

وهرع الولد لبيته ليخبر أمه بحكاية الطبل الذي حصل عليه. بدأ الحكاية من قطعة الخشب التي حملتها أمه له من قارعة الطريق.

لا تدفع السيئة بالسيئة... أسطورة شعبية من جنوب نيجيريا

كانت دولا وبابى صبيتان جميلتان وصديقتان حميمتان منذ الطفولة. تلبسان نفس الملابس وتذهبان إلى زيارات الناس فى القرية وكل القرى المجاورة أيضًا، سويًا حتى اعتقد بعض الناس أنهما توأمتان.

وعندما وصلتا سن الزواج قررتا أن تتزوجا من شقيقين لأم واحدة وأب واحد يعيشان في نفس البيت حتى لا تفترقا. وبالفعل كان هناك شابان شقيقان يعيشان في بيت واحد وينويان الزواج، فتزوجتهما الفتاتان لحسن الصدف. تزوجت بابى من الولد الأصغر بينما تزوجت دولا شقيقه الأكبر. كانت العروستان فرحتان جدًا للزواج بالأشقاء فقد رحلتا سويًا إلى بيت أصهارهما.

بعد أيام قليلة من الزواج، نظفت دولا ساحة منزلها جميلًا وغرست فيها شجرة كولا بعد أسابيع قليلة ينعت غرسة الكولا. كانت دولا تقوم كل صباح وتضع ماء على جرة تحت غرسة الكولا ثم تركع على ركبتيها وتصلي من أجل أن ترزق بطفل جميل، وبعد الدعاء تشرب من ماء الجرة وتذهب إلى غرفتها قبل أن يصحى الآخرون من النوم؛ لأنها تؤمن بأن هناك روحًا معينة تأتى كل ليل لتبارك شجرة الكولا وماء الجرار.

بعد شهور نمت الغرسة وصار طولها مترًا. ولكن حيوانات ليلية كانت تأتي وتأكل أوراقها وتمنع نموها.

وفى يوم من الأيام رأت بابي صديقتها دولا وهى تفرغ من الصلاة قرب شجرة الكولا فسألتها: دولا بماذا كنت تحدثين شجرة الكولا؟

ردت عليها دولا: شجرة الكولا هى حياتى يا دولا ـ وأنا أكلمها كل صباح وأدعو الله عنها بأن يمنحني طفلًا بسرعة.

وعندما لاحظت أن حيوانات الليل كانت تلتهم أوراق الغرسة، ذهبت بابي إلى غرفتها وأحضرت لصديقتها جرة لها فائضة، الجرة مكسورة من الأسفل وأخبرتها أن تحمي بها غرستها بعد أن تضعها من فوقها وتدفن أطرافها فى الأرض حول الغرسة، وبذلك فهى تحميها من وصول المخلوقات المتلفة إليها.

وفعلًا فعلت دولا ما قالته لها صديقتها ولم تجرؤ الحيوانات على الوصول إلى الشجرة من يومها وصارت الشجرة تكبر كل يوم.

بعد سنوات قليلة طرحت الكولا ثمارها، وكانت من أحسن الثمار التى طرحتها الكولا فى تلك القرية ذلك العام، وكانت مبيعاتها عالية أدخلت عليها ربحًا وفيرًا.

ولذلك أصبحت دولا من أثرياء الحي، صارت ثرية حتى حسدتها صديقتها بابي على ثرائها فقالت لها يومًا: هل يمكنك أن ترجعى لى الجرة التى أعطيتك إياها فورًا؟

قالت لها دولا: لا أظنك تطلبين هذه الجرة المكسورة من أسفل والتى ثبتها على الأرض حول الشجرة، إذا أرجعت لك هذه الجرة فلابد من أن أكسرها إلى قطع صغيرة قبل أن تأخذينها، تعرفين أن الشجرة قد نمت حولها وطالت.

ولكن بابي أصرت على موقفها وأنها تريد جرتها كاملة غير منقوصة. قالت دولا إذا أردتها كاملة فذلك يعنى أن نقطع شجرة الكولا يا بابي.

فأعلنت بابي بوضوح أنها تريد جرتها كاملة حتى لو رأت دولا أن تقطع شجرة الكولا المثمرة.

ذكرتها دولا بصداقتها ولم يبدو عليها من كثرة الحسد أنها تذكر تلك الصداقة بشيء. ذهبا إلى عمدة الحي، وللأسف تحت إصرار بابي، حكم على شجرة الكولا بالقطع، وفعلًا قطعت شجرة الكولا وحفرت دولا الأرض تحتها وأخرجت الجرة وأرجعتها إلى صديقتها بابي. تقبلت بابي هذه الحادثة بفرح كبير وهى تضحك على شجرة دولا التى اجتثت. لكن بمجرد عودتها إلى البيت، تناست دولا الحادثة وعاملت دولا بابي بنفس الصداقة

القديمة ولم تشعرها بأنها كانت حزينة على شجرتها الحبيبة وهى تستأصل من جذورها. بعد شهور قلائل أنجبت بابي بنتًا جميلة. وفى يوم إطلاق الاسم عليها أهدتها دولا طوقًا نحاسيًا لتضعه حول عنقها. وكان طوق النحاس هذا من أغلى الهدايا فى تلك القرية، وبفرحة غامرة أخذت بابي الطوق ووضعته حول عنق طفلتها فزادت جمالًا على جمال. هذا الطوق ليس به مشبكًا أو مفتاح بل يدخل كما هو من الرأس ويطوق العنق.

ومرت السنين فى عيد ميلاد الطفلة العاشر جاءت دولا إلى بابى وقالت لها: أريد منك أن تعيدى لى طوق النحاس الآن وسالمًا.

سألت صديقتها كيف أرده لك سالمًا؟؟ ذلك يتطلب أن تقطع رأس بنتي الجميلة؟ هل يرضيك أن تقتلي ابنتي من أجل طوقك؟

أصرت دولا على موقفها، وتسامع الناس بالمعضلة وصارت دولا تصر على موقفها وتطالب بالطوق، حتى تدخل عمدة القرية وفعلًا رأى أن دولا لها الحق فى طلبها وقال لبابي: الآن جاء دورك لأن تدفعي ثمن ما فعلت، تمامًا كما قطعنا شجرة الكولا لنعيد لك جرتك، سنقطع رأس ابنتك الغالية لنعيد لدولا طوقها.

وحدد القاضي يومًا لإجراء الحكم. وقف الناس من كل القرى فى دائرة واسعة، صامتين لا تسمع أنفاسهم. وقفت فى منتصف الدائرة بابي وابنتها الصغيرة مسجاة على الأرض ووقف السياف فوقها فى انتظار إصدار الحكم بقطع رأسها.

أصدر القاضى الحكم وأمر بقطع رأس البنت، وأمها المكلومة تنتحب من الأسى والحزن.

وعندما رفع السياف سيفه، أمسكت به دولا وصاحت: لا، لا تقطع رأس الصغيرة البريئة. الآن أنا لا أريد طوق النحاس ولم أكن أريده أصلًا. أردت أن أخبر بابي بأن السيئة لا ترد بالسيئة. وإذا ذهب العالمين لفعل ذلك لاستفحل الشر ولم يعد هنالك خير. أنا أسامحك يا بابى على ما فعلته لي ولشجرتي الغالية من قبل بدافع الحسد.

وخرجت دولا من الحشد والكل يهتف فرحًا من موقفها السامي. ذهبت الجموع إلى بيت بابي ودولا وفرحوا كثيرًا لعودة الصداقة بين المرأتين. ودامت صداقتهما تلك حتى آخر العمر.

حكاية الولد الذي يفهم لغة الطير... أسطورة شعبية من أمريكا اللاتينية مايا

في قديم الزمان، كان هنالك ولد صغير يذهب مع والده إلى الحقل كل يوم. لا يشكو ولا يتضجر حتى لو انتهره والده أو أساء معاملته، يعرف أهمية احترام الوالدين. وفى وقت الغداء يجلس مع والده فى ظل شجرة كبيرة، حيث يشرب حساء الذرة ويأكلان الكسرة المعروفة بالتورتية مع البقول والبسلة الخضراء. فى هذه الساعة تحضر عصفورة جميلة وتعتلي الشجرة وتغني بنفس الطريقة كل يوم.

وعندها يصغي الولد جيدًا للأغنية التي تغنيها العصفورة ثم يبتسم أو يضحك بهمس حتى لا يلاحظ أبوه لتصرفه. كان هذا يحدث كل يوم، يصغي الولد لأغنية العصفور جيدًا ويضحك بحيث لا يزعج أباه.

وفى مرة سأل الرجل ابنه: ماذا تريد أن تقول لنا هذا العصفورة التى تغني؟

قال الابن: فقط تريد الغناء لا شيء لا شيء.

قال الأب: ولماذا تضحك وتبتسم كلما سمعتها تغني، إذن؟

قال الابن: لأنني أحب إن أسمع غناءها، ذلك كل ما فى الأمر.

وصاح الأب غاضبًا: إذا كان يسعدك أن تسمع غناءها فلابد أنها تقول شيئًا، خبرني ماذا تقول العصفورة، خبرنى.

وقال الولد وهو يرتجف خوفًا: لا أعرف. إنها لا تقول شيئًا، أنا لا أعرف ماذا تقول. قال الأب مهددًا: لا تحاول أن تخفي عنى، خبرني ماذا تقول وإلا انهلت عليك ضربًا. وعندما خاف الولد من تهديد أبيه له قال: العصفورة تقول أنك يجب أن تسلم عليّ كل يوم. واستشاط الرجل غضبًا أكثر وصرخ فى وجه ابنه: أسلم عليك؟ كيف؟ ماذا تقصد؟ الابن: تحيينى تقول لى سلامًا، تحية.

الأب: ومتى كان الوالد يحيى ابنه؟

الابن: لا أدرى ولكنك أصررت على معرفة ما تقوله العصفورة وها أنا ذا أخبرك. فزادت هذه الحادثة من صلف الأب، وصار يعامل ولده باحتقار وإهانة لم يعد الولد يحتملها. فخرج الولد من قريته وصار يطوف ببلدان العالم كاليتيم هائمًا على وجهه. حتى صادف مملكة

كبيرة، وقد كان الملك قد أعلن عن جائزة كبرى لمن يستطيع أن يعرف لغة الطير. خصص لمن يعرف لغة الطير ابنته الأميرة الجميلة يتزوج بها.

وجاء شبان كثيرون من ممالك بعيدة وكلهم لم يقنعوا الملك، والدليل أن هذه الطيور كانت تجيء إلى نافذته وتشقشق كثيرًا فتزعجه.

فجاء الولد إلى الملك وطلب منه أن يدخله فى هذه المسابقة. استمع الولد لكلام الملك وهو يحكي له كيف أن طائرين يأتيان إلى نافذته ويشقشقان على نحو يجعله يحس بأنهما يريدان أن يقولا شيئًا معينًا وهو لا يستطيع فهمه.

فاستمع الولد إلى الطائرين عند الصباح عندما أتيا إلى نافذة الملك.

قال الولد للملك: الطائر الذكر يقول إن امرأته هجرته وهجرت الولدين بينما كانا بيضًا يحتاج للدفء فى العش. فما كان مني إلا أن احتضنت البيضتين حتى فرختا طائرين: أنثى وذكر هما أولادي.

والطائر الأنثى تقول: إنني خرجت من ذلك العش؛ لأن زوجي لم يكن يوفر لى القوت، خرجت غاضبة وتركت العش بما فيه، والآن هذان الطائران الجميلين هم ابني وابنتي وأنا أريد أن استردهما.

قال الملك للولد: الكرمبا، وماذا عسانا فاعلين؟

رد الولد بسرعة: الأم تأخذ ولدها والأب يأخذ ابنته، وفعلًا أعطى الملك للوالد ابنته وأعطى للوالدة ابنها. ففرحت الطيور بهذا القرار ولم تعد تزعج الملك من النافذة.

وكما قطع الملك عهدًا على الفائز بأن يتزوج ابنته الجميلة، أقام القصر عرسًا كبيرًا لزواج الولد الذى يترجم لغة الطير على الأميرة ابنة الملك.

وفى يوم العرس جاء الناس من كل الممالك المجاورة مهنئين وكانوا يلقون بالتحية للعرسان على طريقة أهل المملكة الانحناء.

وشاهد الولد رجلًا عجوزًا يجر امرأته العجوز ويتدافعان ليلقيا بالتحية للعريس وعروسته الأميرة، عرفهما الولد فى الحين.

وعندما وصل الوالدان بين يدي ولدهما أحنى الأب جسده الهزيل محييًا، فأمسك به ابنه وقال: لا يا أبي لا تنحني لتحيتي فأنا ابنك. هذا ما قلت لى عندما ترجمت لك غناء تلك العصفورة؟ فانتحب الأب وهو يطلب المغفرة من ابنه للإساءة التى وجهها له. فقال الابن: لا تحزن يا أبي فمن اليوم ستأتي أنت وأمى وتعيشا معنا فى هذا القصر فى سعادة وهناء.

لماذا تهمس الأشجار؟... أسطورة شعبية من استراليا

فى قديم الزمان فى الأرض، وقليلًا بعد أن خلقت الأشجار، وأمر الإنسان بمفارقة الجنة ليعمل، ذهب رجل إلى الغابة يحمل فأسًا ليقتطع الحطب.

أول شجرة قابلته كانت شجرة ال pine، وبمجرد أن رفع الرجل فأسه ليقطع جذع الشجرة سمع صوتًا يقول: لا، لا تقطعنى، ألا ترى الدمع اللزج الذى يسيل من عروقي؟ اللحظة التى تقطعني فسيجيء لك هذا الدمع بالحظ التعيس. ترك الرجل الشجرة فى حالها وذهب إلى التي تليها وكانت شجرة ال spruce وبمجرد أن رفع الرجل فأسه ليقطعها هتفت الشجرة: لا لاتجتثنى، فستجدنى عديمة الفائدة لك،هلا رأيت إن فروعي معقودة وجذعي اعوج ملتو؟

تركها الرجل فى حاله وهو ممتعض وذهب إلى قلب الغابة يبحث عن شجرة أخرى. فقابلته شجرة ال alder، ما أن رفع فأسه ليقطعها حتى سمع صوتًا وقورًا يحذره قائلًا: لا تجرؤ على اجتثاث فروعي، وشيكًا سيسيل الدم من قلبي ويلطخ جسدي، وحينما يتضرج فأسك بالدم الاحمر القانى. توقف الرجل عن المضي، ودعا ربه. ماذا أنا فاعل يا إلهي؟ من أين لى بحطب الوقود وأعمدة الدار إذا كانت كل شجرة فى الغابة تبكي وتتضرع لي ألا أقطعها. قال له الرب بعد أن عطف على حاله: عد إلى الغابة. فسوف آمر ألا تعترضك شجرة من الآن فصاعدًا، فذهب الرجل واقتطع الأشجار وحمل ما يطلب من حطب الوقود والمسكن، تمامًا كما أراد له الرب.

لم تكن الأشجار سعيدة بهذا الأمر، لكنها لا تجرؤ بالاعتراض على أمر الرب جهرة، ولكنها بدأت تحتج همسًا، ومنذ ذلك الوقت صارت الأشجار تهمس كلما اقترب منها الإنسان، فإذا اقتربت من مجموعة من الأشجار فإنك تسمع همسها لبعضها البعض، إنها ببساطة تعترض على المعاملة القاسية التى قدر لها أن تلقاها من الإنسان.

حكي أن شابًا أحب فتاة في النجع وعرف قصة حبها الصغير والكبير وعندما تقدم لخطبتها رفضه أهلها؛ لأنه فقير وراقد ريح كيف ما يقولوا، عندها أصر صاحبنا على السفر للبحث عن المال ومن ثم العودة لخطبتها من جديد، وقبل السفر قابلها وتحدث معها بالخصوص وطلب منها الوفاء بالعهد وانتظارها حتى عودته ودار بينهما حوار شائق حيث قال لها: اصحي يا عزيز غلاي إلا غلاك هو رأس حاجتي فردت عليه قائلة: غلاك ما تخاف عليه مصيون بين عيني وهدبها قال: مازلت خايف، فقالت له: أيموتوا اللي حيين وايعيشوا المدفونين ويبيد عظم تاسع جيل ولا غلاك جا دونه غلا، فقال لها: مازلت خايف، فقالت له: غلاك ما تخاف عليه ستين تاجه حايطات به عندها تأكد لصاحبنا إصرارها عليه. فودعها وركب جمله والدمع ينهمر من عينيه وغنى وقال: علي افراق حازه موح العين جا طقارير دمها، غاب صاحبنا فترة ثم حضر إليه أحد أهل النجع فسأله عن أحوال محبوبته، فقال له: إنني في الأيام القليلة الماضية رأيتها في فرح عائلة فلان تضحك وتمرح مع الفتيات فكتب صاحبنا غناوة علم وبعثها لها تقول الغناوة: أزهاك في غيابي نقص الحزن بينا مارة غلا. أي أن فرحك وضحكك يجب ألا يكون في غيابي ومن المفروض أن تكوني في حالة حزن حتى عودتي إليك وهذا هو خير دليل على حبك لي، لكن الفتاة كانت علي درجة كبيرة من الذكاء فردت عليه بهذه الغناوة: قواعد أركان العقل يا علم وراك راجن الكل أي بمعنى أن غيابك عني جعلني أفقد التوازن وأصبحت في حالة نفسية عصبية لا أفرق بين الضحك والبكاء. ولكن ماذا حصل بعد هذا كله؟ بعد فترة عاد صاحبنا من سفره وأحضر معه الهدايا والأموال عاقدا العزم علي الجواز منها ولما أشرف علي النجع لاحظ أن هناك تجمعًا حول بيت محبوبته فانتابه الفزع ودارت في نفسه عدة أسئل، هل تزوجت؟ هل حصل لأفراد أسرتها شيء؟ وأخذ يقترب رويدًا رويدًا حيث تأكد أن هناك فرحًا وارتفعت فيه غناوي العلم والمجاريد والزغاريد، وتأكد له أنه فرح محبوبته، وبكى صاحبنا بكاءً شديدًا، ولكنه أصر على الذهاب للفرح والمشاركة فيه وفاء منه لها وعند حضوره طلب منه أصحابه غناوة علم فقال: غلاي كيف ديل عليه حتى تاجه ما حاربت أي هذه الغناوة كانت ردا على أخر غناوة سمعها منها قبل سفره عندما سمعت العروس الغناوة وعرفت أن فلانا حضر من سفره خرجت من العرس في حالة هستيرية تغني وتقول: رانا عليك أرجوع أبقى عزيب ما تامن لحد أي بمعني

ها أنا راجعة إليك وما زلت علي عهدي معك وهنا يتضح أن أهلها أجبروها على الزواج بعد غياب محبوبها ولم يتم الزفاف القائم بل تزوجها صاحبنا.

السلطان والغجري... أسطورة شعبية من بلغاريا

في قديم الزمان وقع ابن السلطان في حب فتاة غجرية. فأخبر أباه بذلك. نادى السلطان القاضي وهو رجل رقيق وعارف، وطلب منه الذهاب إلى والد الفتاة لكي يطلب يدها منه، فذهب القاضي إلى حيث يقيم الغجر وسأل عن والد الفتاة حتى أشاروا له. فجلس قبالته وقال له: يسعدني أن أتقدم إليك نيابة عن السلطان لطلب يد ابنتك الجميلة لابن السلطان الشهم.

وما أن أكمل القاضي المهذب جملته حتى رفع والد الفتاة عصا غليظة وانهال بها على رأس القاضي، صعق القاضي من تصرف الغجري الأهوج وهرول جاريًا إلى قصر السلطان، فأخبره بالحكاية.

احتار السلطان فى تصرف الغجري وفكر مليًا. نادى السلطان عقيد جيشه وهو رجل وقح وجبار وطلب منه الذهاب إلى والد الفتاة ليطلب يدها منه لابنه.

ذهب العقيد إلى مكان الغجر وسأل من الرجل، وعندما تعرف عليه صاح فى وجهه: ألست أنت الرجل الحقير التافه والد تلك البنت الرخيصة؟

فانحنى الغجري بأدب وقال: نعم أنا.

فانهال عليه ضربًا بالهراوة وهو يقول: لقد جئت لكي أطلب يد ابنتك القبيحة بالنيابة عن السلطان وابنه فماذا ترى؟ وكان يضربه بين كل كلمة وأخرى بالهراوة.

قال الغجرى: نعم نعم فهى لهم. أشكر لى السلطان لأنه أرسل لى رجلًا يعرف كيف يتحدث معي.

من ولد العجل... أسطورة شعبية من كينيا

فى قديم الزمان وفى غابة من غابات كينيا كان يسكن أسد اسمه ماموبو وضبع اسمه مبتي. كان الأسد ماموبو يملك ثورًا والضبع مبتي يملك بقرة.

وفى يوم من الأيام بينما كان الضبع نائمًا وضعت البقرة عجلًا. حدث ذلك والأسد يعبر بيتهما، وعندما رأى الأسد أن الضبع نائم أخذ العجل إلى بيته ولطخ مؤخرة الثور بدمه، لكن الضبع مبتي شعر بحركة الأسد ماموبو وتبعه إلى بيته.

عندما رآه ماموبو خاطبه فرحًا: اليوم، وضع ثوري عجلًا.

صاح مبتى : مستحيل، الثيران لا تضع، العجل وضعته بقرتي، صارت مشادة كبيرة قررا بعدها أن يذهبا لمجلس الشيوخ فى القرية.

اجتمع الشيوخ والأسد والضبع وأحضروا معهم الثور والبقرة والعجل. وما أن رأى العجل أمه حتى جرى إليها يرضع من ثديها، لكن شيوخ القرية كانوا ينظرون إلى عيون الأسد ماموبو الشريرة فيهمهمون ولا يقولون شيئًا. انزعج الضبع من جبن الشيوخ وجرى إلى الغابة ينادي على صديقه الصبرة كالابوبو، فأخبره بالحكاية وكيف أن الشيوخ لخوفهم من الأسد لم يصدروا قرارًا بعد.

طمأنه الصبرة كالابوبو وقال له: اذهب إلى حيث المحكمة منعقدة، دعهم يتشاورون وانظر ماذا سأفعل ذهب مبتيي إلى مجلس الشيوخ وانتظر. وبعد دقائق جاء الصبرة كالابوبو وهو يحمل قرعًا كثيرًا مملوء ماء ويتصنع العجلة لا يلتفت إلى المجلس بمن فيه.

فتساءل الجالسون عن سر الصبرة كالابوبو ولم يعرفوا لسره حلًّا، وأخيرًا صاح به الأسد ماموبو إلى أين تذهب يا كالابوبو بكل هذا الماء؟

قال له كالابوبو على عَجَل: ذاهب لأغسل أبي فقد وضع مولودًا جميلًا لتوه.

صاح الأسد على الفور: كذاب، الرجال لا يضعون مواليد أبدًا.

قال كالابوبو وهو يتوارى بعيدًا فى الطريق: أنت الصادق، كما تقول تمامًا يا سيدي، كما تقول، بعد هذا الحوار لم يجد شيوخ القرية بدًّا من أخذ الأسد على قدر كلمته، وبذلك فإن الذي ولد العجل هو الـ...

قاطع الأحجار... أسطورة شعبية من اليابان

فى قديم الزمان عاش رجل يذهب كل يوم إلى الجبل المجاور لقريته ويقتطع من الصخرة الجانبية قطعًا يستخدمها الناس فى بناء البيوت وأغراض أخرى مثل شواهد القبور.

كان الناس يثقون فيه كثيرًا؛ لأنه كان هميًا وعارفًا بصنعته. ولمدى طويل كان قانعًا بحياته لا يتمنى أحسن منها.

ترامى إلى سمع قاطع الأحجار أن هنالك روحًا تعيش فى الجبال وتظهر للرجال تستجيب لأمنياتهم وتساعدهم فى شتى شؤون حياتهم، وقد جعلت البعض منهم أغنياء مرفهين، وكان قاطع الأحجار يسمع هذه القصص بدون أن يصدقها، وعندما يحكون له هذه الحكايات فيهز كتفيه ويمضى. إلا أن جاء الوقت الذى جعله يصدق.

ففى يوم من الأيام حمل معاوله وذهب للعمل كالعادة، حيث اقتطع قطعة من الصخر وحملها إلى منزل رجل ثري. عندما نظر قاطع الأشجار إلى بيت الرجل الميسور وفراشه الحرير وستائره المذهبة تمنى أن يكون له ذلك الفراش الفاخر حتى يرتاح من عمله القاسي، وعاد إلى البيت؛ لأنه لم يكن يرغب فى العمل فقد أحس بتعب غير عادي.

لكنه فوجئ بأن بيته قد تحول إلى قصر وريف، فراشه من حرير وستائره مذهبة. استلقى الرجل على السرير الناعم وراح فى سبات عميق. وظل بهذا الحال أسابيع وأيامًا عديدة. حتى أصابته الكآبة وهو لا يعرف كيف يسلي نفسه، فنظر إلى الشارع من بين الستائر ليرى المارة ويتسلى برؤيتهم. فعبر الشارع أميرًا شابًا يركب عربة من الحصين وله حشم يلبسون ملابس زرقاء وفضية ويحملون فوق رأسه شمسية ذهبية. فتمنى فى نفسه أن يكون ذلك الأمير، فسمعته الأرواح وقالت له: ستكون أميرًا وأميرًا قد كان.

صار يزرع الشوارع والحقول والشواطئ الجميلة على مركبته ويقضي وقتًا طيبًا، ولكنه لاحظ أن الشمس ترسل أشعتها وتجفف الماء فى الحقول وتسمر بشرته.

فقال فى نفسه: الشمس أفضل مني؟ فبالرغم من شمسيتي الفاخرة فهى تعرف كيف تنفذ إلى جلدى وتجعله أسمر؟ أريد أن أكون الشمس، فسمع الروح تقول له: ستكون الشمس وشمسًا كان.

صار ينفذ بأشعته إلى الحقول وإلى الأشجار وإلى الأنهار حتى جفت البلد من حرارته اللاسعة. واستمتع بهذه القوة وقتًا من الزمان حتى جاءت سحابة عابرة وغطت وجهه وحجبت أشعته من النفاذ. فتضجر وقال فى نفسه: السحاب أفضل مني؟ على الرغم من قوة

أشعتي وحرارتها تقوى على حجب وجهي هكذا؟ أريد أن أكون سحابًا، فسمعته الروح وعلى الفور قالت له: سحابًا ستكون. وسحابًا كان.

وظل يهطل مطرًا غزيرًا حتى ابتلت عروق الأرض ومادت البحار والأنهار وانهمرت الشلالات والسيول وهو فى قمة المتعة من هذا الجبروت، ولكنه لاحظ أن الصخور والجبال لم تهتز لجبروته. فتململ فى داخله وقال: الصخرة أفضل مني، لا تستجيب لانهماري ولا غزارة أمطاري؟ أريد أن أكون صخرة، فسمعته الروح وهمست له: ستكون صخرة. وصخرة كان، فوقف هنالك جبارًا وعاتيًا لا تهزه الأمطار أو حرارة النهار وقاوم الريح والأحراش حتى بلغ قمة من النشوة إلى أن لاحظ أن أحد قاطعي الأحجار كان قد أحضر معاوله وبدأ فى تفتيت ذراته، فاستشاط غضبًا وقال: الإنسان أفضل مني أريد أن أكون قاطع أحجار، فسمعته الروح وقالت له: قاطع أحجار ستكون. وقاطع أحجار صار.

ومنذ ذلك اليوم صار الرجل قانعًا بمهنته. سريره كان جافًا وطعامه فتات. ولكنه لم يقنع كما قنع بأن أفضل الاختيارات للإنسان هو الإنسان ولم يتمن أن يكون شخصًا آخر. لم يعد يسمع صوت الروح يهمس له بعدها.

الملك هيرلا... أسطورة شعبية من بريطانيا

فى قديم الزمان، كان هنالك ملك حكيم يدعى هيرلا. اتخذ له مرقدًا مريحًا بين الأعشاب فى غابة عظيمة تقع فى ضاحية من مملكته، كان يتمشى فيها مع حاشيته.

وبينما كان الملك غافيًا، سمع جلبة بين الأشجار، فجذب إليه سيفه ونهض يفتش عن مصدر الصوت. فوجئ الملك بقزم عريض الكتفين له لحية دائرية، ممتطيًا عنزًا مصفف الصوف، كان وجهه شائخًا و تبدو عليه هالة الملك.

بادر القزم الملك بقوله: لقد سمعت عن هيبتك وجلال ملكك وعظمته. أنا ملك أيضًا. وأريد أن أبرم معك اتفاقًا، ادعونى لأحضر حفل زواجك فى نهاية هذا العام وسأدعوك لحفل زواجي فى العام المقبل.

وقبل أن يجد الملك هيرلا ما يقوله ردًا على هذا المشروع، قدم له الملك القزم بوقًا من البرونز مملوءًا بالخمر المعتق. فشربه الملك عن آخره ولدهشته اختفى القزم وكأن الأرض قد ابتلعته. هز الملك رأسه لهذه الحادثة. ومضى فى طريقه يدير شؤون ملكه حتى نهاية العام.

وحينما كان القصر يتأهب بمصابيحه وزينته لزفاف الملك، والمدعوون فى أزهى ملابسهم وعطورهم ينتظرون الوليمة الكبرى، إذا بطارق يطرق بوابة القصر الكبيرة بعنف. وما أن فتحت مصاريع الباب حتى دخل جمع من الأقزام يحملون الهدايا النفيسة والمأكولات الشهية والخمر المعتق فى آنية مزخرفة. كانت الهدايا ثمينة ونادرة، أطباق وأواني وحلي وأثاث، ضاق عنها بهو القصر الكبير. وكانت المائدة التى أحضرها الأقزام كفيلة بأن تشبع كل المدعوين ولم تضطر حاشية الملك لأن تفتح مخازن الطعام المعد لليوم المشهود.

وبعد انتهاء مراسيم الزواج الملكي اختفت مجموعة الأقزام وكأن الأرض قد ابتلعتها وسط حيرة الجميع.

بعد عام من زواج الملك، تلقى دعوة من صديقه الملك القزم المجهول. تأهب الملك هيرلا بالهدايا والحاشية والأطعمة ليرد الجميل لصديقه الملك القزم. تبع الملك هيرلا وحاشيته خارطة الطريق التى حملتها الدعوة، سافروا فى أحراش الغابات والوهاد والمهاد لمدة ثلاثة أيام حتى تبعت خيولهم. وفى الليلة الثالثة وصلوا إلى هاوية من الرمل سحيقة. فاحتاروا كيف يعبرون. فإذا بحاشية الملك القزم تأتى إليهم هاشين باشين ومشيرين إليهم بأن يتبعونهم.

سار بهم الحارس القائد إلى أنبوب رملي طويل مضاء بمصابيح صفراء قاتمة، فى نهاية الخندق أو القناة الرملية كان يقف قصر مهيب، تتلألأ فى أسقفه المصابيح الوضاءة ولا يبدو أنها تعمل بزيت الوقود، البهو عظيم وكبير تتوسطه مناضد طويلة مفروشة بالخز منقوشة بعناية وبهاء. رصت عليها أبواق من المعادن الخالصة المنقوشة التى احتوت على الأطعمة الشهية والنبيذ المصفى.

قدم الملك هيرلا هداياه الثمينة وبدأ الحفل. رقص المدعوون وأطعموا وشربوا لمدة ثلاثة أيام بحساب الأيام الأرضية. حتى بلغ بهم التعب أى مأخذ. وبعدها قرر الملك هيرلا وحاشيته التوجه للعودة لمملكته. أهداهم الملك القزم هدايا ثمينة أخرى ومن بينها كلب من نوع نادر، وأخذ الملك على طرف وقال له إنه لا يطمئن على سلامته وأنه يجب ألا يفكر فى العودة إلى مملكته حتى يصعد الكلب إلى الأرض.

لم يبال الملك بما ذكر له ومضى فى طريقه إلى الخارج لسطح الأرض، عازمًا العودة إلى دياره، ولما خرجوا كانت كل المناظر فوق سطح الأرض غير مألوفة. فقد انتظمت بيوت

ومدن وحقول وحدائق فى الطريق لم تكن أبدا هنالك من قبل. تاه الملك وأعوانه فى المدن الجديدة وظلوا يبحثون عن شخص يسألونه. حتى صادفتهم قرية قد خرج أناسها كلهم يبحثون شأنا من شئونهم.

فتقدم إليهم الملك سائلًا: هل تعرفون أين الاتجاه لمكلة هيرلا؟

فاحتار القوم إلا أن أحدهم قال متذكرًا، أعرف هذه المملكة فقد ازدهرت قبل ثلاثمائة عام ولكن الملك وبعض أعوانه خردوا هائمين على وجههم، وفقدت الملكة عقلها بعد أن انتظرته طويلًا واندثرت المملكة بعد حين واستلمها السكسونيون.

حاول بعض من رجال الملك العودة لباطن الأرض ولكنهم تحولوا إلى ذرات من الرمل، أمسك الملك بيد أحد الرجال وأصدر أمره بألا تتحرك الخيول حتى يقفز الكلب إلى سطح الأرض، وقيل أن الملك هيرلا وأعوانه مايزالون يمتطون خيولهم ويهيمون على وجههم فى البراري ينتظرون قفزة الكلب النادر إلى سطح الأرض.

الوحش الأحمر... أسطورة شعبية هندوسية



في ليلة بلا نجوم تتقاذف فيها صخور صغيرة فتخترق القلوب وتمزق اللحم، وتدوي صرخة وحش أحمر، باكيًا على صخرة سكنت صدره بدلًا من قلبه، بعد أن مات قلبه بين يديه، هكذا قرأت آنا، وهي على سفينة تحملها من انجلترا إلى العالم الجديد، حيث يعمل زوجها المستقبلي هناك على بناء أمريكا في أرض ما يسمونهم الهنود الحمر، والذين يعتبرونهم أرواحًا شريرة يجب التخلص منها؛ لذلك يقومون بإبادتهم دون تفكير، لم تحب آنا أبدًا خطيبها الضابط جون كويري، ولكن لم يكن أمامها سوى الزواج به، ومرافقته وخدمته في بناء العالم الجديد، لم تكن تشعر أن في عمل خطيبها خطأ إلا حين شاهدت بعينيها ما يرتكبه ليبيد هؤلاء القوم عن بكرة أبيهم، وكلما ظهر منها بعض التعاطف لأجل نسائهم وأطفالهم الذين تُمزق جثثهم تمزيقًا، كان جون يحكي لها عن وحشية هؤلاء، ويصف لها كيف هم وكيف أنهم لا يمكن أن يعتبروا بشرًا، وأن رجالهم يلبسون دومًا أقنعة وجلودًا من فرو الوحوش كالأسود والنمور والدببة، ويغطون وجههم دومًا بأقنعة مخيفة، ولا يفعلون ذلك إلا ليخفون وجوههم الأقبح، فكانت تمتلئ رعبًا من حكايات جون إلى أن خرجت ذات ليلة، وابتعدت عن المخيم دون أن تشعر، وشعرت بهؤلاء الوحوش الشريرة

تتجمع حولها، وما لبثت أن وقعت في أسرهم، وشعرت أنها نهاية حياتها، وأنها لن ترى أهلها أو خطيبها أبدًا بعد اليوم، حزن جون جدًّا لفقدها، وكاد يجن ليعرف أي قبيلة قامت باختطافها، ولم يتوصل لأي شيء عنها طوال شهرين، وقام بوضع قبر لها وجنازة مهيبة، ولكن لم يرضى قلبه أبدًا أن يدفنها، وظلت صورتها دومًا تلاحقه في كل مرة يهجم فيها على أي قبيلة وعلى أي خيمة من خيم الهنود الحمر، كان يأمر جنوده بأن يمزقوهم تمزيقًا ويمثلوا بجثثهم انتقامًا منهم، ولكن لم يعلم جون أن آنا لم يمسها أي سوء، وأنهم احتجزوها لديهم بضعة أيام، ثم عاملتها النساء بحيادية ولم يعتبروها عدوة، وسرعان ما شعرت أنهم بشر عاديون مثلها بل ويملكون قلوبًا حنونة صافية فيها طيبة ساذجة، ولكن بقي ابن زعيم القبيلة ذلك الوحش الذي يطلي صدره باللون الأحمر برسومات الوحوش، وهو الذي جلبها معه ومع رجاله، بقي دومًا يحدق بها من خلف قناعه المخيف، وما لبثت أن زُفت إليه في احتفال ليلي، لم تكن تملك أي حول أو قوة، فلم تتمكن من الرفض وخصوصًا أنها لا تتحدث لغتهم، ولا تعرف كيف تشرح لهم ما تريد، وحمدت ربها أنهم لم يقتلوها أو يعذبوها، كما يفعل خطيبها بهم، وبقيت تلك الليلة ترتعد مع ذلك الوحش في خيمته، وما لبث أن خلع القناع المخيف، ووجدته شابًا ذا ملامح حادة وقوية، ولكن أبعد ما يكون عن القبح، وأبعد ما يكون عن الوحشية، كان يعاملها برقة شديدة عكس طبيعته الهمجية، كان لابد وأن يعطيها من طبقه أثناء تناوله طعامه، وكان لابد وأن يسير خلفها أن خرجت من الخيمة لتتمشى، وكان لا يجبرها عليه ولم يسمها أبدًا، كان يجعلها تنام على الحصيرة الأكثر راحة، كان صوته مريحًا للأعصاب لها ولو أنها لم تفهم منه كلمة، ولكنه كان يفهمها بالإشارات، وشيئًا فشيئًا وقعت في حبه، علمها أشياء كثيرة، علمها كيف تعرف وجهتها في الصحراء عن طريق ظل الشمس أو عن طريق النجوم في المساء، وكيف تركب الخيل، وكيف تصطاد سمكة، وكان لطيفًا معها، يضحك عليها إن فشلت، ويضطرب قلبها لفرحه، بدأ يعلمها معاني الكلمات والأسماء، وأصبحت تفهمه شيئًا فشيئًا، عرفت أن اسمه مواي، وكان دومًا يضغط على حرف النون حين يناديها آنا، عشقته، وعشقت قوته ورجولته، وباتت تخاف عليه كل ما رحل لأي معركة، وفي ليلة رجع لها بجرح في جبينه، لم تتمالك نفسها، وارتمت عليه تحتضنه وتبكي بحرقة، وتقبل جرحه، كانت ذراعاه القوية تحدثها بحبه، وكانت عيناه تترجم لها كلماته التي لا تفهمها، كانت تتمنى لو تسمع منه كلمة أحبك بلغته، ولكنها لا تعرف كيف تميزها في كلامه أو كيف تسأله عنها، وفي تلك الليلة اعتبرته زوجها بالفعل، وأخذا معًا الحصيرة

المريحة، وحين نظر إليها بعمق وحب، قالت له أحبك بلغتها، ظل يرددها خلفها وحفظها دون أن يدرك تحديدًا معناها، وكل يوم كان يحمل حبًّا جديدًا بينهما، كانت أجمل لحظات لهما أن يكون هو مرتاحًا برأسه بحضنها، وهي تشعر بأمان كبير وهو حولها، تردد كلمة أحبك، ويرددها خلفها وفي عينيه السؤال واضح، وذات ليلة بلا نجوم، وبينما هما نائمان بهدوء في الخيمة، شعرا بالأرض تهتز من تحتهما، الرصاص في كل مكان صراخ النساء والأطفال، اغتيال كل الخيول وتسريحهم، الرجال يحاولون بكل الطرق أن يفعلوا شيئًا لكن الرصاص يخترق اللحم، نهض مواي ليفعل أي شيء، فصرخت آنا واحتضنت ظهره تحاول أن تمنعه من الحراك، حتى جاء جون على فرسه الأشهب، ومزق الخيمة من حولهم، ورأى مواي أمامه، فصوب المسدس نحوه، ورأته آنا، وركضت لتكون في الأمام وتحمي زوجها ومعشوقها، واخترقت الرصاصة صدرها، وغرقت في دمائها، وأمسك بها مواي في حضنه، وظل يصرخ بكلمات لم تفهمها، وضعت يدها الملطخة بالدماء على قلبه، وقالت له أحبك، فتأكد لحظتها من معناها، ثم فارقت الحياة، فنزلت الدموع الحارة من عيني الوحش، وصرخ صرخة مدوية، ولم يدرِ ماذا يفعل، فهجم على جون الذي تسمر من الذهول أنه قام بقتل حبيبته، خطيبته التي ظن أنها ماتت، قام مواي بإنزاله من الجواد، وكسر مسدسه، وتحول لوحش بمعنى الكلمة، قام بتمزيق جون بيديه العاريتين دون أي سلاح، ونبه صراخ جون الجنود الآخرين، فقاموا بإطلاق رصاصهم في قلب مواي، ومات مواي وقُتل كل من في القبيلة جميعًا، وسالت الدماء من جسم آنا، واتحدت مع الدماء التي سالت من جسم مواي، وسارا معًا ممزوجين، يرسمان خطًّا أحمر على الطريق إلى حيث مصب النهر.

سيدة استافورن... أسطورة شعبية من هولندا

كان ميناء ستافورن الجميل يستقبل السفن لقرون طويلة، بلاد كثيرة زارت ميناء ستافورن. وكان معظم تجار المدينة أثرياء متباهين بثرائهم يزينون مزالج الأبواب بالذهب الخالص، بين هؤلاء التجار كانت هنالك أرملة جميلة، الأغنى والأكثر تباهيًا بثروتها. تبتاع الأغلى حتى امتلأ بها قصرها، حتى سميت بسيدة استافورن.

لكن كثيرًا ما قلدها منافسوها وابتاعوا هذه الأشياء أيضًا وملأوا بها قصورهم، وهى لا تحب ذلك، فكلما فعلوا تزداد رغبتها فى المفاضلة وتبحث عن الغريب النفيس الجديد.

يجب أن أثبت لهم أنني الأفضل، سأسكتهم للمرة الأخيرة، سأقتنى أغلى شيء فى العالم. كانت تقول لنفسها.

وفى ذات مساء حضرت الأرملة حفل عشاء، فى منزل أحد الأثرياء. حيث التقت بكابتن بحري وسيم، كان قد أبحر إلى استافورن لتوه. طلب منها الكابتن مراقصته طوال السهرة. وفى نهاية الحفل قبل ظاهر يدها قائلًا: لقد خبروني أنك الأغنى فى ستافورن ولكن لم يجرؤ أحدهم بأن يطلعني على أنك الأكثر سحرًا وجمالًا.

ومنذ تلك اللحظة ظلت الأرملة والكابتن يشاهدان سويًا فى كل مكان، ذراعها فى يده. وكثر الهمس: سيتزوجها. لا ستقذف به بعيدًا. لا بل ستتركه معلقًا.

ولم يطول الوقت للهامسين، فقد ركع الكابتن أمامها وقال لها: سيدتي، هل سأتشرف بك وتصيرين زوجتى؟

– أجابت الأرملة الجميلة: بكل سرور يا كابتنى العزيز، ولكن على شرط واحد، أن تكون هدية عرسي هى أغلى شيء فى العالم.

– أغلى شيء فى العالم؟ ماهو هذا الشيء؟ وأين أجده؟. ردد الكابتن.

– قالت الأرملة بدلال: لو كنت أعرف لاشتريته بنفسي، ولكني أريدك أن تكتشفه وتحضره لي.

– سأفعل يا عزيزتي، وحتى أعود به، أرجو أن تضعي خاتم اللؤلؤ هذا فى بنانك الجميل، للذكرى. مرت شهور ولم يعد الكابتن وبدأ الهامسون يضربون الأخماس فى الأسداس لمعرفة هذا الشيء الغالي: فستان من الحرير؟ جوهرة بحجم البيضة؟ منحوتة نادرة؟

وكانت سيدة ستافورن سعيدة بإثارة هذا اللغط، تتشوق لأن يحسدها الجميع على شيئها النفيس.

بعد زمن طويل، شوهدت سفينة الكابتن وهى تطل من عرض البحر. وانحدر سيل من الناس من المدينة صوب الميناء، ولبست سيدة ستاقورن أغلى ما عندها من ثياب وتقدمت

الجموع. وعندما كانت المدينة ترسو على الميناء، لمحها الكابتن وصاح فى غبطة: لقد أحضرت لك أغلى شيء فى العالم.

- وصاحت السيدة وهى لا تكاد تصبر على الخبر: ما هو؟ لكن ما هو؟

- رد عليها الكابتن بين أنفاسه المتلاحقة: قمح، لقد أحضرت لك القمح يا حبيبتى. تغير لون وجهها وهى تسمع الجموع تهمهم وتضحك فى همس: هل قلت قمح يا عزيزي، هل قلت لي إنه القمح؟

- نعم يا سيدتي، وبدون خبزنا اليومي، ما الذى يكون أغلى وأثمن؟ نعم يا حبيبتى إنها هدية عرسك مني لك.

- خله فى الميناء. ارمه ارمه فى البحر.

- وهمهم الجميع، سيدتى ضعي حسابًا لما تقولين، هذا قمح يكفي مدينة بحالها، إذا لم تكوني بحاجة له، فاحسبي حساب الجياع والمستضعفين فى هذه المدينة، وهتف الجمع مؤيدين لما قال.

صرخت المرأة بعصبية: أنا؟ في حاجة؟ وخلعت خاتم اللؤلؤ من يدها وأضافت: هذا الإصبع سيعود إلى إصبعي قبل أن أكون فى حاجة، وقذفت بالخاتم إلى البحر على الفور، وعندما أفرغ الرجال كل القمح على لسان الميناء استدارت السفينة إلى حيث لا رجعة. وفى الليلة التالية أقامت سيدة ستافورن وليمة كبيرة لأحد الأغنياء، ليشاهدها الناس متباهية وغير متأثرة بما حدث.

وبينما كانت تتناول عشاءها، رأت سمكة مشوية كبيرة فى قبالتها، وأسهمت السكين فى منتصفها لتأخذ منها قطعة، فإذا بخاتم اللؤلؤ يقبع فى وسطها، انحبست الأنفاس وتحول لون وجهها إلى الشحوب.

بعد أسابيع قليلة، شاهد السماكون لسانا من الرمل يتمدد نحو ساحل الميناء. فقد نما القمح واجتمعت حوله ذرات الرمل، ولكن الرمل كان يبقى ويجرف الماء القمح حتى انسد الميناء. بعدها لم تعد السفن الكبيرة قادرة على العبور إلى الميناء. تدمر الميناء ولم يعد مصدرًا

لثراء الأثرياء. وبمرور الوقت فقد التجار ثرواتهم وصاروا فقراء مدقعين. من بينهم كانت أرملة جميلة تدعى: سيدة استافورن.

ومازال الناس فى المدينة الصغيرة ستافورن يشاهدون لسانًا من الرمل يمتد فى ميناء قديم صاروا يسمونه: سيدة الرمل، سيدة ألقت بأغلى شيءٍ فى العالم عرض البحر وعرضته للتلف، التفت الكابتن إلى رجاله وقال لهم: اقذفوا بالقمح فى الميناء.

الشجرة الحالمة... أسطورة شعبية من البرازيل

فى قديم الزمان كان يعيش ولد يسمى يوايكا، ولأنه كان نحيلًا وهزيلًا، كان أولاد القبيلة يعيرونه ويتندرون به. كان جده يحميه منهم، ولكن عندما يكون جده غائبًا يذهب إلى الغابة الممطرة وحيدًا حتى يكون بعيدًا منهم.

كانت الأشجار تبسط فروعها الخضراء فوق رأسه مورقة ويانعة، فروعها المثمرة تأتيه بروائح منعشة وطازجة كثيرًا ما أحبها. أما غناء العصافير وأصوات الحيوانات فقد كانت تؤنسه.

وفى يوم من الأيام وهو سائر فى الغابة، وبينما كان يتعشق تعريشة أوراق الشجر المتشابكة والنسانيس التى تتقافز تحتها والعصافير التى تشقشق، عثرت أقدامه على شىء. لما نظر وجد حيوانًا يدعى التابر نائمًا، وهو حمار برازيلى، والقرد سلوث نائمًا، والنمر جاقوار نائمًا وثعبان ضخم كان نائمًا وكل الحيوانات كانت راقدة فى أقدام الشجرة وهى نائمة.

فتعجب الولد وقال: هذا غريب، هذا جد غريب، واستدار من الحيوانات النائمة وجعل يتأمل فى غصون الشجرة، وفجأة تثاءب الولد وشعر بأن ساقيه أصبحتا كالمطاط لا تحملانه وسقط جسده النحيل على الأرض، ونام وبدأ يحلم. حلم بالحيوانات، وبالأشخاص الذين يعرفهم وبأشخاص لا يعرفهم، كلهم يجلسون قبالته ويتحدثون ويغنون. بعدها نهض رجل عجوز، وقف أمامه وقال له: أنا سيناءا، ابن النمر، كان الولد قد سمع عن سيناءا ابن النمر لحكمته ودروسه العظيمة.

ظل سيناءا يخبر الولد عن حكايته والولد يستمع إليه باهتمام. علمه كيف إنه سرق الناس من النسر، وكيف إنه ابتدع شتلًا للفاكهة والخضر، من رماد الثعابين، وكيف أنه امتلك الليل بأكمله فى الأزل.

وعندما استيقظ يواكا كانت الشمس قد أدركت المغيب، وحل بعدها أول الظلام. تلفت حوله، الحيوانات اختفت وكان وحده فى ذلك المكان، فهرول إلى منزله فى المساء الشاحب. وفى الصباح الباكر وقبل أن يتناول طعام إفطاره، عاد يواكا متطلعًا إلى الشجرة والحيوانات النائمة، وكما بالأمس وجد كل الحيوانات تغط فى سبات عميق، وأصابه النعاس كما البارحة وراح يحلم بالأشخاص والحيوانات، وكما بالأمس أتاه المعلم العظيم سيناءا بن النمر وصار يلقى عليه بالتعاليم والدروس، وكما بالأمس استيقظ يواكا مع حلول الظلام وعندما عاد كان الطعام قد نفد ولم يأكل أى شيء.

وتكررت هذه الأحداث لأيام طويلة، حتى صار جسده ناحلًا أكثر من ذي قبل. قال له المعلم سيناءا بن النمر: لقد صرت نحيلًا يا ولدي، لقد علمتك الكثير من الدروس، أريدك أن تذهب إلى القرية وتعيش حياتك كما هي؛ لأنك لو اعتدت على الحضور هنا فربما لن تود أن تعود إلى القرية أبدًا.

وافق يواكا. وفى القرية كان الولد جائعًا، قدم له الطعام جده سائلًا: أين تذهب يا بني؟ أنت تترك القرية قبل الإفطار ولا تعود إليها إلا آخر الليل بعد أن ينفد الأكل. فأخبره الولد بكل شيء.

وفى الصباح ذهب مع جده إلى الغابة، وأشار له من بعيد، إلى الشجرة الحالمة، فما كان من الجد إلا أن تثاءب ونام وحلم. نام نومًا قصيرًا وحلم، وعندما استيقظ قال للولد: لا يجب أن تخبر أى شخص عن هذه الشجرة والأحلام التى تشاهدها. هذه الأحلام فعالة وقوية تأتي من قلب الغابة إلى قلب الإنسان مباشرة، وإذا حلم بها شخص ضعيف، فإنه قد يستخدمها لخدمة الشيطان، أنت ولد قوى الروح، وقلبك عامر بالحب، آن الأوان لأن يصبح جسدك قويًا أيضًا، ابعد عن هذه الشجرة، هل تعدني؟ وعد الولد جده بأن يبتعد عن الشجرة الحالمة.

وفى طريق عودتهم للقرية سمع بأن الولد شيبوت مريضًا بمرض قاتل. هو يعرف شيبوت جيدًا، فقد كان شيبوت هو أشرس الأولاد فى معاملته ليواكا. لكن يواكا كان قد أعطى موهبة العلاج من سيناءا بن النمر. وعندما لمسه يواكا، استعاد الولد كامل صحته. لم يصدق الناس أن الولد الهزيل يواكا يملك قوة خاصة بها يعالج الناس، ولكنهم توافدوا على كل حال إليه، ولم يكن يتوانى من علاجهم.

بعد حين، جاءه سناءا فى الحلم وقال له: لقد اجتزت الامتحان العسير، لم تعد للشجرة الحالمة، كما أمرتك، وأظهرت للناس عطفًا ومحبة، والآن أنت تستحق أن أعلمك أشياء جديدة، وعاد سيناءا الى حلم الولد كل ليلة يعلمه أسرارا جديدة، وقوة وموهبة جديدة.

بنى له جده بيتًا خاصًا لينام ويحلم، وزرع حوله أعشابًا متنوعة يستخدمها لعلاج الناس فى القرية، وصار كل الناس حتى أعدائه أصدقاء مقربين له. وصار قلبه عميقًا ومليئًا مثل نهر الأمازون فى موسم المطر. وفى أحلامه صار يرى أشياء جميلة: عقودًا ملونة من ريش الطيور وعظام الحيوانات والفراء، والمكسرات، وأصداف البحر، فصار يصنع مثلها فى الواقع، أهدى لشيبوت من هذه العقود التى صار يبتدعها. حتى دب الحسد إلى قلوب بعض الناس فى القرية، وقرروا أن يقتلوه.

دبروا له مكيدة، وتواروا خلف الأغصان حول بيته وانتظروه حتى جاء موعد تناوله للطعام، وعندما كان يرفع اللقمة فى طريقها إلى فمه، انهال أحدهم على رأسه بقضيب من المعدن، وفى غمضة عين، قبل أن ينزل القضيب على رأسه، هب يواكا واقفًا والتفت إلى عدوه وقال له: لقد تعلمت فى أحلامي أن أرى ما خلفي دون أن ألتفت. وقال لهم: لكى أُثبت لكم قوة هذه الأحلام، انتظروا لحظة، وفجأة اندثر المنزل، وأصبح فى الغيب. تلفت الأعداء ولم يكن هناك إلّا هم، يتلمظون غيظًا ودهشة.

عاش الجد ويواكا وشيبوت فى مكان بعيد لمدة طويلة. حتى صادفهم بعض أهل القرية فى يوم ما. فرجوهم رجاءًا شديدًا للعودة والعيش معهم.

وأقاموا لهم الولائم احتفالًا بعودتهم. ولكن الضغينة ما زالت تعشعش فى قلوب أعداء يواكا، فتلصص أحدهم خلفه وأراد ان يقتله بفأس على رأسه، فتحول يواكا فى اللحظة المناسبة من مكانه، حتى شق الفأس صخرة كانت بقربه على الأرض.

وسمع الناس صوت يواكا بعد أن توارى فى شق الصخرة مع جده وشيبوت: لن أعود إليكم مرة أخرى فأنتم لا تستأهلون ما أفعله من أجلكم. والى اليوم مازلت أهالي جورانا يحكون الأقاصيص عن يواكا، و يعرفون أن يواكا الذى يرى خلفه دون أن يلتفت، يحلم داخل تلك الصخرة ويتلقى التعالم من سيناءا بن النمر جاقوار. يحكون أنه يحادث الناس ذوى القلوب المحبة للناس ويهديهم تعاليمه بواسطة الحلم. ونحن أيضًا نستطيع أن نتلقى تعاليم الحكمة والقوة للعلاج منه، إذا كانت قلوبنا عامرة بالمحبة.

شجرة الرمان... أسطورة شعبية من مصر

في قديم الزمان ، في قرية صغيرة عاش ثلاث إخوة فقراء، لم يملك هؤلاء الإخوة إلا كوخًا صغيرًا و شجرة رمان ، لكن حتى شجرة الرمان لم تكن تثمر في يوم ما، امرأة عجوز قدمت للكوخ وطرقت الباب، أنا جائعة هلا أعطيتموني شيئًا لآكله، قالت العجوز راجيةً الإخوة، الإخوة الثلاثة كانوا لطفاء جدًا فأعطوها كل ما لديهم من طعام في الكوخ، شكرًا جزيلًا لكرمكم، شكرتهم العجوز وأكملت تمنوا أمنية وستتحقق نظر الأخ الأكبر عبر الحقل إلى جدول صغير هزيل وقال أتمنى أن يصبح هذا الجدول نهرًا كبيرًا يفيض بأسماك ذات زعانف فضية وتصبح هذه الأسماك كلها ملكًا لي وهكذا كان نظر الأخ الأوسط باتجاه القرية الصغيرة، بالتحديد إلى بضع دجاجات بيضاء تلتقط الذرة وقال: أتمنى لو أن هذه الدجاجات كانت من الذهب الخالص وكانت ملكًا لي فتحققت أمنيته. أما الأخ الأصغر فلقد تأمل في الكوخ الصغير قليلًا و قال أتمنى لو أتزوج من أكثر النساء حكمةً في العالم فتحققت أمنيته هو الآخر باع الأخوان الكبيران سمكهما ودجاجاتهما وأصبحا رجلين غنيين. بنيا لهما بيتين كبيرين جميلين و جعلا الخدم يقومون بجميع الأعمال. كانا يسخران من الأخ الأصغر الذي لا يزال يعيش في ذلك الكوخ القديم مع زوجته الحكيمة. كانا يقولان: ما فائدة الحكمة إن لم تستطع الأكل كم أنت غبي لكن الأخ الأصغر لم يعر اهتمامًا لما يقولانه، و بعد بضع سنوات ، قدمت العجوز مرةً أخرى ، طرقت باب منزل الأخ الأكبر و قالت: أنا جائعة، هل لك أن تعطيني شيئًا يصلح للأكل فصرخ الأخ الأكبر في وجهها اذهبي من هنا أيتها العجوز الشمطاء فطرقت العجوز باب منزل الأخ الأوسط و قالت: أنا جائعة، هل لك أن تعطيني شيئًا يصلح للأكل كيف تجرؤين على القدوم إلى منزلي أيتها العجوز، ألا ترين أني رجل مهم نهرها الأخ الأوسط بقسوة، في نهاية الأمر استطاعت العجوز العثور على الكوخ الصغير الذي يقطنه الأخ الأصغر وزوجته، أنا جائعة، هل لك أن تعطيني شيئًا يصلح للأكل توسلت العجوز، ماذا نفعل الآن؟ سأل الفتى زوجته: نحن فقراء ولا نملك إلا قليلًا من الطعام لكن زوجته ابتسمت في وجه العجوز وأعطتها ما يملكان من طعام، شكرًا للطفكما وكرمكما قالت العجوز جملتها واختفت واختفى معها ذاك النهر ذو الأسماك الفضية و عاد الأخ الأكبر فقيرًا مرة أخرى واختفت كذلك الدجاجات الذهبية وخسر الأخ الأوسط كل شيء، حدث معهما هذا بسبب جشعهما وتفكيرهما فقط بالذهب والفضة، لاحقًا أصبح الأخ الأكبر والأوسط في حال مزرية و مرضا ثم توفيا.

أما الأخ الأصغر، فلقد أثمرت شجرة الرمان التي يملكها وامتلأت بثمار ناضجة ولذيذة، ما الذي سنفعله بكل هذه الثمار؟ قال الأخ الأصغر: سنأخذ ما نحتاجه ونعطي الباقي لفقراء القرية أجابت زوجته وهكذا فعلًا و عاشا بسعادة معًا و لم تر المرأة العجوز مرة أخرى.

تيكى تيكى تمبو... أسطورة شعبية من الصين

منذ قديم قديم الزمان فى مكان بعيد فى الصين عاش أخوان أحدهما يدعى سام والثاني يسمى (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) كان الولدان يلعبان قرب البئر فى الحديقة، فوقع الولد سام فى البئر. فأسرع (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى). إلى أمه قائلًا: لقد وقع سام فى البئر ماذا نفعل.

فردت الأم صارخة: سام وقع فى البئر؟ ماذا نفعل؟ أسرع ناد أباك، فجرى (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) ونادى على أبيه: لقد وقع سام فى البئر فماذا نفعل؟

رد أبوه صارخًا: سام؟ وقع فى البئر ماذا نفعل؟ أسرع ناد جدك، فأسرع (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) إلى الجد وأخبره بما حدث لسام. وهرول الجميع باتجاه البئر وجاء الجد بسلم ونزل إلى قاع البئر واحضر سام إلى خارج البئر مبتلًا وراجفًا وخائفًا، لكنهم كانوا جميعًا سعداء لأنه كان مازال على قيد الحياة.

بعد مرور بعض الزمن رجع الولدان يلعبان قرب البئر. وفى غفلة منه وقع (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) فى البئر فأسرع سام ونادى على الأم: (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) وقع فى البئر ماذا نفعل؟

صرخت الأم بدورها (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) وقع فى البئر؟ ماذا نفعل؟ نادى أباك، وجرى الولد

ناحية الأب وقال له صائحا: أبى لقد وقع (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى). فى البئر ماذا نفعل؟

صاح الأب: (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) وقع فى البئر؟ ماذا نفعل؟ ناد جدك، وجرى الولد حيث الجد وصاح: (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) وقع فى البئر ماذا نفعل.

وأسرع الجميع ناحية البئر، وجاء الجد بالسلم ونزل إلى قاع البئر وجاء بـ(تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى). مبتلا ولكن لحزنهم العميق كان (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) قد فارق الحياة لأن (تيكى تيكى تمبو نو سرنبو هارى كارى بشكى بيرى بم دو هاى كاى بومبوم نيكينو مينو دوم باكارى) مكث فى قاع البئر لمدة أطول، ومنذ ذلك اليوم أصبح الصينيون يطلقون على أطفالهم أسماء قصيرة.

سيد أرنب وسيد قنفذ... أسطورة شعبية من أوغندا

كان سيد أرنب وسيد قنفذ يعيشان قرب بعضهما البعض. ولم يكونا صديقين ألبتة؛ لأن سيد أرنب كان يسخر باستمرار من قبح سيد قنفذ، من جسده المغطى بالأشواك وساقيه الملتوتين القصيرتين.

وفى يوم من الأيام خرج سيد قنفذ إلى الحديقة فى الصباح الباكر باحثًا عن ثعبان، فأر أو حشرة ليصطادها، وفى العادة هو يخرج للصيد عند المساء ولكن رحلته ذلك المساء لم تكن ناجعة فبات جائعًا. وفى ذلك الحين، كان لجاره سيد أرنب نفس الفكرة: خرج لجمع بعض الخضر والعشب للإفطار عندما قابل غريمه سيد قنفذ.

ماذا تفعل هنا يا صاحب السيقان القصيرة الملتوية ألا تعرف أن هذه حديقتى؟ تساءل سيد أرنب ساخرًا، وقد كان منزعجًا جدًّا لرؤية حيوان قبيح أمام ناظريه. لم أكن أعرف أن هذه الحديقة هى حصريًا ملك لك أجاب سيد قنفذ وقد استنفر أشواكه استعدادًا للهجوم. الذى أعرفه أن ما أقوم به لا يخصك وقد كان محقًا فالحديقة ليست ملكًا لسيد أرنب، فالمتعارف عليه أنها كانت ملكًا لمخلوق راق يدعى إنسان، وحتى أنه يحسب سيد أرنب أكثر

تدنيًا وأنه من فصيلة الحشرات. إذا كانت الحديقة ملكي أولًا فهذه هى أهم النقاط، الأهم هو أن منظرك البشع قد سد شهيتى لطعام الإفطار رد عليه سيد أرنب بقرف. وفى العادة كان هذا المخلوق الرقيق سيد قنفذ يرى فى ملاحظات سيد أرنب المسيئة نوعًا من قلة الذوق وعدم القبول ولكنه كان يسكت على مضض، ولكنه فى نفس الوقت كان قد ضاق صدره بهذه الإساءات والسخرية المتلاحقة بشكله. إنها ليست خطأه هو إن كان قبيحًا، ولم يكن ذنبه أنه لا يملك سيقانًا طويلة ورياضية مثل سيقان سيد أرنب. هو لم يخلق نفسه. كان قد فاق به الغضب على الشتائم ولا يستطيع تحمله للحظة أخرى كفاية! اسمع يا سيد أرنب، أنت دائمًا تتباهى لى بسيقانك الطويلة، خبرنى ما الذى تستطيع أن تفعله بهما ولا أستطيع أن افعل بسيقانى. إنهما يمشيان تمامًا كساقيك، وهذه هى وظيفتهما أنا ليس كنجاور أو ضفدع لأقطع الفيافى، ولكننى بالقطع أستطيع أن أجرى بنفس سرعتك إن لم أكن أسرع منك قال سيد قنفذ ذلك وتمنى فى أعماقه ألا يحمله سيد أرنب محمل الجد. وفعلًا لم تخب أمانيه فقد استجاب سيد أرنب لتحديه العبثى بضحكة مجلجلة حتى آلمته أضلاعه. زادت ضحكة الأرنب من جراح سيد قنفذ المسبقة وهو يتلقى الشتائم فزاد فى تحديه وبجدية أكبر: أنت لا شيء بل حقير، سيد لا شيء، أنا متأكد بأننى قادر على سباقك فى أي مسافة تحددها فجأة غابت عن سيد أرنب رغبته فى الضحك ورد على سيد قنفذ فى محاولة لرد الاعتبار لاسمه الذى مرغه سيد قنفذ فى الوحل من تحديه الزائف: إذا كنت تظن أنك بهذه السرعة فلماذا لا تحدد مسافة أنت وتدعنا نرى من هو الأسرع، وجد سيد قنفذ أنه غارق فى شبر هذا الماء الذى أدخل إليه نفسه واصل: نعم أنا جاد فى هذا الطرح، فقط أود أن أذهب إلى البيت لأكمل وجبة إفطاري التى قطعتها لي بتدخلك فى شؤوني كان يريد أن يبتاع مزيدًا من الوقت حتى يحل هذه المعضلة التى أدخل نفسه فيها. اتفقا على أن يأتي بعد ساعة وحددا مسافة معينة يقطعانها سبقًا فى الأحراش. ذهب إلى البيت وحكى لمدام قنفذ ما جرى بينه وبين جاره سيد أرنب قالت على الفور: لابد أن تكون مجنونًا لتدخل فى مثل هذا التحدى، أنت لا تملك أدنى فرصة للفوز بهذا السباق، رد عليها سيد قنفذ بهدوء: وهنا يأتي دورك اعترضت مدام قنفذ: دوري أنا؟ وما دخلي أنا بهذا الشرط ؟

وشرح لها سيد قنفذ أنه يريدها أن تختفي وراء الأحراش فى نقطة النهاية، بينما يضيع هو من أعين سيد أرنب بعد نقطة البداية، وعندما يصل سيد أرنب إلى نقطة النهاية، تخرج هى من

الأحراش وتقول له: أنظر لقد وصلت هنا من قبلك وبذلك تضيع على سيد أرنب فرصة الفوز ردد مواصلًا: حتى إذا طلب سيد أرنب أن نعيد الكرة، فسألعب أنا دورك وتلعبين دوري، ولكن كيف؟ قالت مدام قنفذ بحيرة نحن مختلفان، ألا تلاحظ أنني سيدة، امرأة؟ سألها سيد قنفذ: وهل هنالك فرق بين أنثى الأرنب وذكره؟ واستسلمت مدام قنفذ قائلة: أنت الصادق كل الأرانب أرانب فى نظري، فقال سيد قنفذ منتصرًا: هو كذلك، وكل القنافذ قنافذ فى نظر الأرانب، لم يتبق لدينا وقت اذهبي واختبئي وهكذا فى نقطة البداية تظاهر القنفذ بالإسراع وبعد قليل اندس فى الأعشاب حتى ضاع من عيون الأرنب ثم توقف هناك. وفى نقطة النهاية فاجأت مدام قنفذ سيد أرنب قائلة: هيي هذا هو أنا هنا من قبلك!

وكما توقع سيد قنفذ تمامًا فقد طالب سيد أرنب بإعادة السباق فى الاتجاه المعاكس ففعل سيد قنفذ ما فعلت مدام قنفذ، وطفق سيد أرنب يعاود السباق حتى استسلم من شدة الإنهاك.

نزوح... حكاية شعبية إغريقية

فى قديم الزمان كان الفأر نائمًا تحت شجرة فى الغابة. هبت ريح ما فتخللت الأعشاب وعصفت بفرع من فروح الشجرة التى ينام تحتها الفأر. وقع الفرع فقام الفأر مذعورًا من نومه وأسرع بالجري.

وفى أثناء جريه صادفه الأرنب. فسأله الأرنب: لماذا أنت مسرع هكذا؟ لأن الريح عصفت بشدة حتى أسقطت فرع الشجرة التى أنام تحتها، الفرع سقط فوقى، وبدأ الأرنب يجرى مع الفأر. وهما مسرعان قابلهما الكلب. سألهما: لماذا أنتما مسرعان هكذا؟ فرد عليه الأرنب قائلًا: لأن الريح عندما عصفت بينما الفأر كان راقدًا أسفلها، اقتلعت الشجرة من جذورها فوقه حتى كادت تقتله وكل الحيوانات التى كانت معه. وهنا هلع الكلب وبدأ يعدو مع الفأر والأرنب خوفًا من غضبة الريح. وبينما الفأر والأرنب والكلب يجرون، قابلتهم العنز فسألت: ما لكم مسرعون هكذا ماذا حدث؟ أجابها الكلب بين أنفاسه المتقطعة: مسرعين؛ لأنه بينما كان الفأر نائمًا، أحس بزلزال ونظر فرأى شقًّا كبيرًا فى الأرض كاد أن يخسف بجميع حيوانات الغابة. هرولت العنز مع الركب. وكان كل حيوان يلتحم بالركب يزيد من هول الحدث ويغير الحكاية، فأى مهمة تلك التى تنتظر من يريد إرجاعهم من هذا النزوح!!

لغز الموت... حكاية شعبية من جنوب أفريقيا

فى قديم الزمان قال القمر للخنفساء: اذهبي إلى الأرض وقولي للإنسان: قال لك القمر مثل ما أموت وأذوي ثم أطلع فأحيا، أنت تموت وتذوي وبعدها تقوم وتحيا بدأت الخنفساء مشيها نحو الأرض ببطء فقابلتها الأرنبة وسألتها: إلى أين تذهبين؟

قالت لها الخنفساء: إلى الأرض فقد أرسلنى القمر للإنسان لأقول له: مثلما أموت أذوي ثم أطلع فأحيا، كذلك أنت تموت وتذوي ثم تقوم فتحيا، فقالت لها الأرنبة: دعينى أذهب إلى الإنسان بدلًا عنك فأنا أستطيع أن أجري أسرع منك وافقت الخنفساء على رأى الأرنبة. هرولت الأرنبة إلى الأرض وقالت للإنسان: أنا مرسلة إليك من القمر. قال لك القمر مثلما هو يموت ويذوى ثم يطلع فيحيا، كذلك أنت تموت وتذوى وتبقى ميتًا ولا تقوم فتحيا. ما إن أتمت الأرنبة الرسالة حتى عادت إلى القمر فرحة بما قالت. فسألها القمر ماذا قالت له. أخبرته بما قالت: قال لك القمر مثلما هو يموت ويذوى ثم يطلع فيحيا، كذلك أنت تموت وتذوى وتبقى ميتًا ولا تقوم فتحيا.

فصرخ القمر فى وجهها: هل قلت ذلك؟ كيف تجرؤ بأن تغير قولي؟ أنا لم أقل ذلك؟ ومن شدة الغضب حمل القمر قضيبًا وأسقطه فى رأس الأرنبة يريد قتلها، فشق شفتها وبالمقابل فقد شبت الأرنبة بأظلافها فى وجهه حتى بانت آثارها عليه.

ومنذ تلك الحادثة أصبح الإنسان يموت. وصار البعض يولودون بشفاه مشقوقة تعرف بشفة الأرنب وما زالت آثار أظلاف الأرنبة تشوه وجه القمر.

الثور سرور عظيم... حكاية شعبية بوذية

فى قديم الزمان أعطى أحدهم للبراهما الفقير عجلًا مقابل دين استدانه منه. وكان هذا العجل هو الإله بوذا فى أيام مولده الأولى. وفرح البراهما بهذا العجل واعتنى به عناية خاصة. كبر العجل فى رعاية الرجل وكبر. وعندما كبر صار ثورًا قويًا وعطوفًا. كل ما سأله البراهما أن يقوم به، يقوم به على أكمل وجه. يستطيع أن يقتلع الصخور من باطن الأرض ويجرها عبر الحقل، ويفعل كل شيء. ما كان عليه إلا أن يربط الشيء على سرجه بحبل ويقول له: جر فيجر، مهما كان ثقله. أما مع الأطفال فقد كان يسمح لهم بالركوب على ظهره ولا يؤذيهم أبدًا، وكان يجلب لهم فرحًا عظيمًا حتى أسماه صاحبه سرور عظيم.

وفى أحد الأيام كان سرور عظيم يفكر فى صاحبه الطيب الفقير، وقرر أن يجازية على عطفه ورعايته له. ذهب سرور عظيم إلى منزل الطوب الذى يسكن فيه البراهما صديقه، أدخل رأسه من الشباك. فرآه جالس على منضدة قديمة يقرأ كتابًا قديمًا. قال له: لقد كنت دائمًا كريمًا معي يا صديقي، أريد أن أضع قوتي الجبارة فى خدمتك. اسمعني عندي خطة فوقع فك البراهما الأسفل إلى صدره من الدهشة وقال: ألدىّ ثور يتحدث؟

رد الثور: نعم يا سيدى، وهنالك ما هو أعجب من هذا فى العالم، الآن فقط أسمع ما أقوله لك: غدًا تذهب إلى المدينة وتساوم على ألف قطعة فضة إن لك ثور يستطيع أن يجر مائة عربة مملوءة بالصخر والحجارة. هذا مستحيل رد البراهما قائلًا: لا يوجد ثور بهذه المواصفات. فرد عليه: ثق بى يا صديقي، هل حدث أن خذلتك؟ وفكر البراهما مليًّا فى كل مواقف الثور سرور عظيم ولم يجد بدًا من الموافقة، فوافق.

فى اليوم الثاني ذهب البراهما إلى المدينة بعد أن شد حذاءه المهترىء إلى أقدامه. ودخل أحد المقاهي حيث يجتمع كبار التجار والاثرياء. ونظر حتى لمح أثراهم جميعًا، فذهب إلى منضدته وسأله أن يجالسه فوافق التجار. وبعد المشهيات والأشربة، ابتدر البراهما التاجر قائلًا: عندى ثور، قاطعه التاجر: عندي مئات الثيران. حاول البراهما مرة أخرى: عندى ثور قوي، فقاطعه التاجر ضاحكًا: كل الثيران أقوياء هل رأيت ثورًا خاملًا؟

ناوره البراهما ثالث مرة قائلًا: ثوري يستطيع أن يجر مائة عربة مملوءة بالصخور والحجارة. فقهقه التاجر عاليًا وقال له بعدها بهدوء: لا يوجد ثور بهذه القوة، مقاييس العالم معروفة، و كل شيء له حدود، لا ثور يستطيع أن يفعل ما ذكرت. هل تريد أن تشارطني؟ ألف قطعة فضة بألف قطعة فضة ما رأيك؟ تمامًا كما تقول، وغدًا عندما ترتفع الشمس فوق شجرة المانجو فى الساحة التى تتوسط المدينة، أحضر ثورك وألف قطعة فضة، وخرج التاجر ضاحكًا وهو يرفع أكمام جلبابه الثمين إلى كوعيه، زهوًا.

وصار الموضوع حديث المدينة: مائة عربة؟ ثور؟ ألف قطعة فضة؟ غدًا؟ وفى الليل لم ينم البراهما من القلق. تسمع كلام هذا الحيوان؟ ماذا إذا خذلك؟ كيف فعلت ذلك بنفسي؟ وفى الوقت الموعود نظف البراهما جلد صديقه الثور بالفرشاة وركب عليه سرجه وقاده نحو الساحة فى منتصف المدينة. جاءت الناس إلى الساحة قبل وقت طويل، فسمع لغوهم من

بعيد. وازداد قلقه بعد أن رأى الحشود تتوسطها مائة عربة ورجال يعبثونها بالصخر والحجارة. أما التاجر الثرى فوقف فى المنتصف يتلقى عبارات السخرية ويضحك بفرح غامر، وجاءت اللحظة المرتجاة. ألبسوه الحبال وربطوها إلى العربات المحملة، ثم ابتعد الجميع من المشهد إلا البراهما الذي وقف قريبًا من صديقه الثور وقلبه يكاد يفجر ضلوعه. صفق التاجر إيذانًا بالبداية، وصمتت الحشود. صمتت الحشود صمتًا حتى سمع الناس شقشقة الطيور فى الأشجار البعيدة، وحتى سمعوا صوت ذنب الثور وهو يهش به الهواء يمنة ويسرة، وحتى سمعوا صوت طنين الذباب. وهمس الثور لنفسه: ما معنى كل هذا؟

ولما رأى التاجر أن كل العيون تنظر إليه والثور لا يتحرك، لوح السوط فى الهواء وانتهره قائلًا: الآن تحرك أيها الوحش الأهوج، تحرك أرهم قوتك. وأنزل السوط على ظهره وهو يلسعه لسعًا. وتبعته الحشود بالصراخ والنداء وظلوا يقذفونه بالحجارة والعصى والتراب ويلوحون له. لكن الثور ثبت أظلافه على الأرض ولم يعد يعبأ بهم. فقد قرر ألا يتحرك. بعد مدة اكتشف البراهما أن صاحبه لا يريد أن يفعل شيئًا، وضحك الناس كثيرًا من غبائه وخسر ماله وتفرق الجمع، وقاد الصاحب صاحبه إلى المنزل وجلس وحيدًا فى غرفته يبكى بكاءًا دفينًا من شدة الحزن والخجل والخسارة.

جاءه سرور عظيم بعد أن رأى شدة حزنه ووقف أمامه. سأله البراهما وقال له: لماذا فعلت فى هذا؟ لماذا خذلتني؟ رد عليه الثور: من خذل من؟ تضربني بالسوط وتطلق على الألقاب وأنا الذي ما ضررتك يومًا؟ خبرنى هل كسرت سورًا؟ هل كسرت إناءًا؟ هل أوقعت طفلًا من على ظهري؟ هل جئت بالأقذار فى أظلافي فاتسخ بيتك؟ هل وهل وهل؟ فانتبه البراهما وقال له: لا لم تفعل أبدًا، أنا الذي أخطأت فى حقك. أعذرني، فغفر له الثور وقال له: لا تحزن على ما ضاع فستستعيضه إن أردت، ماذا؟ وكيف أستعيضه وقد خسرت كل ما معي. قال الثور اذهب ثانية إلى التاجر وشارطه بألفين.

انتفض البراهما قائلًا: لا لا ليس مرة ثانية، يكفيني ما سخر منى أهل البلد وذلك التاجر الجشع. حاوره الثور حتى أقنعه، حتى وافق.

وعندما ذهب الرجل إلى المدينة ليقابل التاجر كان الناس يشيرون إليه ويضحكون. وكان أن وافق التاجر بمجرد أن لمح له بالشرط. وقال هذه الأشياء الغبية لا تثمرها أشجار

كثيرة فليكن، واجتمع الناس وجاءت العربات مملوءة بالحجارة والصخور وتوقفت الأنفاس وأعطيت إشارة البدء وما كان من الثور إلا أن نادى قوته وقال: جر وصاح كل الزحام: جر جر جر وتحركت العربة الأولى ببطء، ثم وسط صراخ القوم تدحرجت العجلة والتى تليها ومشى الثور خطوة ثم خطوتين ثم انطلق يجر صفًّا من مائة عربة خلفه وسط خيبة أمل التاجر وسرور البراهما العظيم وهو يصيح: سرور عظيم! مضت قرون وسنون على تلك الحكاية، ولكنها مازالت تذكر هناك حتى اليوم!

قصة الرجل الثاني... من أساطير ألف ليلة وليلة

يا أمير الجن العظيم، فلتعلم أننا ثلاثتنا أخوة، الكلبان الاثنان هذان وأنا. مات أبونا وترك لكل منا ألف درهم. وبهذه الثروة أصبح ثلاثتنا يعمل فى نفس المجال، أصبحنا تجارًا. وبعد مضي وقت قليل من افتتاح متاجرنا، قرر أخي الأكبر، أحد هذين الكلبين، السفر إلى بلاد نائية لجلب البضائع، لهذا باع كل ما لديه واشترى قوافله واحتياجاتها وذهب بعيدًا لمدة عام كامل. فى هذه المدة، أتى شحاذ إلى متجرى قلت له: نهارك سعيد، أجاب: نهارك الأسعد، وواصل: أظنك لم تتعرف علي، وعندما نظرت إليه مليًّا عرفت إنه أخي. أحضرته معي إلى منزلي وسألته ماذا فعل فى رحلته.

قال لى: لا تسلني، ألا ترى حالى، لن يزيد ذلك إلا من حزنى، وأنا أخبرك بسوء طالعى وما جلبته لنفسى حتى أوصلت نفسى إلى هذا الحال.

أغلقت متجرى وتفرغت له بالتمام والكمال، أعطيته جلبابًا نظيفًا وأخذته إلى الحمام. واختبرت حساباتى فوجدت أنني قد ضاعفت رأس مالي، أي أننى أملك ألفين درهما. أخذت نصف مالي، أعطيته لأخى وقلت له: الآن يا أخي، انس كل خسائرك. قبلها منى بفرح غامر وعشنا سويًّا كما فعلنا من قبل.

وبعد زمن ليس بالطويل، قرر أخي الثانى بيع متجره والسفر. وقمت أنا وأخي بفعل كل يمكن لنمنعه من اتخاذ هذا القرار بلا طائل. التحق بإحدى القوافل وسافر معهم. وبعد عام كامل، عاد بنفس الحالة التى عاد بها أخوه الأكبر، وكنت قد ضاعفت ثروتي فأعطيته نصفها، فعاود فتح متجره.

وفى يوم جاء أخواى يخبرانني بأن نقفل متاجرنا ونذهب لرحلة للتجارة. وفى البداية رفضت السفر قائلًا: لقد سافرتما من قبل فماذا جنيتما؟ ولكنهما عاودا الحديث معي باستمرار، وبعد أن رفضت لمدة خمسة أعوام، قررت السفر معهم. وفى أثناء التحضير للسفر، انفقا كل ما لديهما، فأعطيت كل منهم ألف درهم من الستة ألف التي بحوزتي واحتفظت بواحد، ثم دفنت ما تبقى لنا فى إحدى زوايا المنزل. اشترينا الزاد والعتاد والمواد وركبنا البحر على مهب ريح طيبة.

وبعد شهرين من الإبحار، وصلنا إلى أحد الموانئ رسونا، بعنا واشترينا وكانت تجارة ناجحة. وعندما عزمنا على الإبحار مرة أخرى، عندما منعتنى من المسير امرأة رثة الثياب ولكنها بالغة الجمال. تقدمت نحوي وقبلت ظاهر يدى وترجتني أن أتزوج بها وآخذها معي على ظهر السفينة. فى البداية رفضت ولكنها ألحت إلحاحًا شديدًا ووعدتنى بأن تكون زوجة مخلصة لى، فقبلت. تزوجتها واشتريت لها ملابس جميلة واستعدينا للإبحار. وفى أثناء ترحالنا اكتشفت أن بها خصال جميلة، فأحببتها أكثر وأكثر. لكن أخوتى حسدانى على سعادتى وقررا أن يحيكا لى أحاييل تقف دون سعادتى. فقذفا بزوجتى وبي على عرض البحر فى ليلة من الليالي ونحن نائمين. على كل كانت زوجتى جنية، لم تتركنى لأغرق بل أنقذتنى وعبرت بي إلى جزيرة ما. وفى مطلع الفجر قالت لي: عندما رأيتك فى ساحل الميناء أعجبت بك إعجابًا شديدًا، وقلت أختبر مروءتك فظهرت لك بتلك الصورة. الآن أجازيك على ما فعلت لى بأن أنقذت حياتك. ولكننى غاضبة أشد الغضب على أخويك، ولن يرتاح لى جفن إن لم أهلكهما. شكرت الجنية على إنقاذها لحياتي ولكننى رجوتها ألا تضر أخوتي. وفى أقل من دقيقة حملتنى إلى سقف منزلي، واختفت. نزلت الدرج وحفرت فى زواية المنزل، أخرجت نقودي وذهبت إلى دكاني فأعدت فتحه واشتريت بضاعة جديدة وجاء الناس ليهنئوني بسلامة العودة. وعندما عدت للمنزل مرة أخرى وجدت كلبين أسودين ينظران لي بوجوه شائحة فى عقر داري. وقبل أن أكمل دهشتي ظهرت الجنية لتقول لي: لا تستغرب فالكلبان هما أخويك، لقد مسختهما ليكونا كذلك لمدة عشرة أعوام. وبعد أن أخبرتني كيف يمكنك أن أعرف أخبارها اختفت.

الآن العشرة أعوام على وشك الانقضاء، وأنا فى طريقي لأن أقابلها، قابلت هذا التاجر والرجل العجوز ذو القدم الخشبية، وانتظرت معه.

هذه هى قصتى، يا أمير الجن العظيم، هل تظن أنها الأجمل؟ قال أمير الجن: نعم إنها ممتعة. ولنسمع قصة الرجل الثالث.

وقالت شهرزاد: ياسيدى، مهما كانت هذه القصص التى رويتها لك ممتعة، فهى لا تقارن بقصة السماك وأدرك شهر زاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.

قلب الكريستال... أسطورة شعبية من فيتنام

فى قديم الزمان،وفى قصر يقع جوار النهر الأحمر، عاش رجل منداري وابنته مى نونق. وكما يحدث لكل الفتيات فى عمرها، تم حبسها بعيدًا من أعين الرجال. كانت تقضي معظم وقتها فى غرفتها فى أعلى البرج. كانت تجلس على أريكة قرب النافذة القمرية الشكل تقرأ كتابًا، تطرز الملابس، تحادث وصيفتها أو تنظر تجاه الحديقة و النهر.

وفى يوم من الأيام وهى جالسة هناك، سمعت أغنية جميلة وعذبة تصدر من صوت بعيد، صوت دافئ وعذب. وعندما نظرت مليًّا، رأت زورق صيد تأتى من أعلى النهر. هل سمعت ذلك؟ ما أجمل صوته!! وأصاخت السمع فإذا الأغنية تتضح والصوت يدنو من سمعها: حبى يشبه الطيوب فى النسيم حبى يشبه شعاع القمر على الأمواج. يبدو أنه شابًا وسيمًا. قالت مى نونق وقد أصابتها رعشة ما يبدو أنه يعرف أننى هنا ولذا فهو يغنى لى. لمعت عينا الوصيفة وقالت لها: يا سيدتي ربما هو أحد المتدارين متخفيًّا، ربما هو الرجل الذى كتب فى مصيرك أن تتزوجيه، وشعرت مى يونق كأن جلدًا غطى جلد وجهها، حاولت أن تتخيل ملامح المغني فلم تقدر، فقد توارى الزورق بعيدًا، وتوارت معه الأغنية بعيدًا فى عرض النهر.

تمتمت مى نونق ببطء قائلة: نعم ربما كان هو. انتظرت مي يونق عودته طوال اليوم، قرب النافذة، ولم يظهر الرجل ولم تسمع أغنيته، وفى اليوم التالي انتظرت، وكذلك اليوم الذى يليه، ولكن الصوت الدافئ العذب لم يعد حتى سألت وصيفتها فى ألم: لماذا لم يعد؟ لماذا؟ ومع مرور الأيام، شحبت مى نونق وصارت هزيلة فخلدت إلى فراشها، وبقيت هناك. جاء المنداري إليها وسألها: ابنتي، ماذا حدث؟ لا شيء يا أبى لا شيء. أخبرته قالتها وهو قريبة من الإغماء.

أرسل الوالد إلى الطبيب لكي يحضر، ولكن الطبيب قال له بعد أن فحصها: لم أعثر على داء، وبدون داء لا يمكن أن أصف الدواء وبعد أسابيع طويلة ظلت مى نونق على فراشها ولم يتحسن حالها إن لم يكن قد ازداد سوءًا، حضرت الوصيفة إلى الأب وقالت له: سيدى أنا أعرف ما حل بابنتك، مى يونق مريضة بداء الحب، ولن تشفى إلا بعد أن تحضر لها الشاب الوسيم الذى يغني هذه الأغنية وغنتها له.

- سيكون، قال المندارى وأرسل رسله على الفور.

وبعد أيام قليلة عاد الرسول إلى المنداري وقال له: بحثت فى كل البيوت الكبيرة فى هذه البلدة ولم أعثر على شاب وسيم يغنى هذه الأغنية، ولكن فى قرية مجاورة وجدت سماكًا يغنيها واسمه: ثرونق شاي، أحضرته معي إلى قصرك.

سماك؟ قال المندارى غير مصدق، دعنى أراه، وجيء بالسماك، كان قلقًا وعيناه تتجولان فى أثاث الغرفة الوثير، وبدوره المنداري لم يجد كلمات يبدأ بها حديثه، فالرجل لم يكن وسيمًا ولا شابًا صغيرًا، وجسده المرتعب مغطى بملابس رثة تفوح منها رائحة السمك. بالطبع هذا لا يناسب ابنتي قال المنداري لنفسه، بطريقة أو بأخرى يجب ألا..

وأصدر أوامره للرسول: أحضر السماك إلى باب ابنتى واطلب منه أن يغني الأغنية، وأمره الرجل بأن يفعل ما سمع. لم يكن السماك يعلم لماذا جيء به إلى هنا، وما هو الجرم الذى ارتكبه، ولماذا سيغنى أمام هذا الباب؟ إنه سماك بسيط لم يؤذ أحدًا من قبل، يريد أن يصنع لنفسه حياة شريفة. لم يفهم لماذا كان هناك ولكنه على كل حال بدأ الأغنية مع إشارة الرسول: حبي يشبه الطيوب فى النسيم حبي يشبه شعاع القمر على الأمواج.

وخلف الباب تسرب الصوت إلى أذن الفتاة، فقالت: هذا هو، هو ذا وعلى عجل بدأت فى ارتداء ملابسها، ساعدينى وضعت شعرها إلى الخلف، لبست رداء حريرًا جميلًا، وعندما تلاشت الأغنية لنهايتها بدت هى كرؤيا جميلة فى رداء من زهر. الآن افتحي الباب، افتحي الباب، قالت وهى تحاول أن تخفض من خفقات قلبها، أخفضت ناظريها حتى تكبح تعجلها وتعيد لملامحها الوقار.

والباب يفتح و ثرونق شاي لا يدري ماذا يتوقع، وجد نفسه يحدق فى مشهد للجمال لم تصادفه عيناه من قبل. خفق قلبه بشدة، وشعر نحوها بحب يائس وعميق، وعندما رفعت

مي مونق أهدابها لتنظر لحبيب قلبها، استدارت عيناها وانفجرت ضاحكة. ابن المندار، مصيرها المكتوب؟ لماذا؟ هو فقط مجرد سماك، ما أغباها! وانفجرت الفتاة ضاحكة، فهقهت طويلًا ثم التفتت نحو وصيفتها وهمست: أغلقي الباب. الباب موصد والسماك واقف خلفه كالجماد، وضحكتها المجلجة ترن فى أذنه. أحس بأن قلبه أصبح باردًا وجافًا.

أعادوه إلى منزله، ولم يعد كل شيء كما كان، أصبح السماك مريضًا وهزيلًا يومًا بعد يوم حتى مات. وجدوه مسجى على بسطة فى أرضية منزله، وعلى صدره جلست قطعة كبيرة من الكريستال. قال أحدهم: ما هذا؟

قالت امرأة حكيمة: كريستال، هذا هو قلبه، ضحكة بنت المنداري أحدثت به جرحًا غائرًا فتصلب القلب حتى يتوقف الألم. وماذا سنفعل بها؟ سألت فتاة شابة: إنها جميلة تشبه إحدى أغنياته يجب أن نضعها فى زورقه. أجاب أحد الشباب وندعه يرفل فى قلب النهر. وعندما غابت الشمس، وضعوا قطعة الكريستال فى زورق السماك، ودفعوه برفق إلى عرض النهر وتركوه جرف النهر الزورق وتلقفته الأمواج، حتى قاده إلى الشاطئ عند الصباح. الزورق رسى قرب قصر المنداري، والمنداري هو من وجده. حمل المندارى قطعة الكريستال وقلبها فى يديه قائلًا: ما هذا الذى نراه هنا؟ ما أقيم هذه الهدية التى جلبها لنا النهر هذا الصباح!

وبعد مرور عدة أيام ولم يأت أحد ليسأل عن قطعة الكريستال، بعث بها المنداري إلى الصانع وسأله أن يصنع له منها كوبًا للشاي. ولما تم صنع الكوب أحضره المندارى إلى ابنته قائلًا: هدية جميلة لابنتي الغالية أوه يا أبي ما أجمل هذا الكوب، لا أكاد أطيق الانتظار لكى استخدمه للشرب. وعندما خرج والدها من غرفتها، أخبرت مي نونق وصيفتها بالانصراف لكى تنام، ثم قالت: أريدك أن تصنعي لي كوبًا من الشاى قبل المضي إلى غرفتك، أريد أن أجرب كوبى الجديد. وعندما صبت الوصيفة الشاي على الكوب، حملته ماى نونق وذهبت إلى نافذة القمر، وجلست على الأريكة، كان القمر فى كامل استدارته منعكسًا على موج النهر ومرسلًا فضته لنافذتها، وطيوب الحديقة الجميلة تعبق المكان بعبيرها كلما هب النسيم.ما أن رفعت مي نونق الكوب إلى شفتيها لترشف رشفة من الشاي، حتى جفلت وصرخت، مما رأته عيناها على صفحة الشاي، فلقد ارتسم وجه ثرونق شاي عليه بوضوح، وعيناه مغرورقتان بالحب وامتلأ الفضاء بصوته الدافئ العذب حبي يشبه الطيوب فى النسيم حبى

يشبه شعاع القمر على الأمواج. تأملت عيونه لأول مرة بعد أن كانت قد رأتها خلسة خلف الباب، أدركت أنها قد أجرمت فى حق هذا الرجل: ماذا فعلت؟ ما أوغدنى! لم أقصد تجريحك هكذا، أنا آسفة، أنا جد آسفة، وامتلأت عيناها بالدمع، وما أن وقعت دمعة واحدة منها على الكوب حتى ذاب كوب الكريستال فى أصابعها، وتحللت روح ثرونق شاي من أسرها وذهبت طليقة، بينما سمعت ماى نونق الاغنية تذهب بعيدًا إلى أعالي النهر معه: حبي يشبه الطيوب فى النسيم حبي يشبه شعاع القمر على الأمواج.

قالت مي نونق: تصحبك السلامة، تصحبك السلامة. بعد شهور عدة جاء ابن أحد المنادير، ليتزوج مي نونق، كان وسيمًا وشابًا وثريًا، وكانت أحلام مي نونق على وشك أن تكون قد تحققت كاملة لولا ذلك الصوت الذى تسمعه فى داخلها يغني أغنية عذبة ودافئة كل ما نظرت من نافذتها القمرية تجاه الحديقة والنهر، والقمر يداعب الأمواج والنسيم الحلو يعبث بالطيوب.

التوسكيجى... أسطورة شعبية من الهنود الحمر

قبل البدء كان الماء فى كل مكان، لا إنسان لا حيوان ولا يابسة. فقط ماء وبعض الطيور، وفى يوم اجتمعت الطيور كلها فى مجلس ليناقشوا ما هو الأفضل؟ ماء فقط أم يابسة فقط. قالت بعض الطيور: نريد يابسة فقط، حتى يكون بحوزتنا طعام أكثر. قال البعض الآخر: نريد ماء فقط، فنحن سعداء بهذا الحال، وفى النهاية قرر المجلس البحث عن يابسة.

عين النسر كرئيس للمهمة. سأل النسر جمع الطيور: من سيذهب ليبحث لنا عن يابسة؟

تبرعت الحمامة بأن تقوم بمهمة البحث عن يابسة. وطارت عبر البحار لمدة أربعة أيام ثم عادت وسلمت التقرير للنسر: لم أجد أى قطعة يابسة.

تبرع الحوت بعدها، وشق البحر سابحًا تحت سطح البحر، وعاد بعد أربعة أيام، حاملًا حفنة تراب بين زعانفه، زاعمًا أنه وجدها فى أعماق البحر. سلم حفنة التراب لرئيس المجلس النسر. حملها الأخير وحلق بها بعيدا لمدة أربعة أيام. وعندما عاد أصدر تقريره للمجلس: الآن توجد جزيرة، لقد تم تشكيلها، اتبعونى.

وطارت مستعمرة الطيور كلها خلف النسر ليشاهدوا الجزيرة الجديدة. فوجدوها قطعة صغيرة من التراب محاطة بالماء. ولكن الجزيرة صارت تنمو وتنمو، وتنامت جزر مجاورة والتصقت بها حتى تشكلت مساحة واسعة، تعرف بالأرض.

واختار الروح الأعظم هنود التوسكيجى ليكونوا أول من يسكن فى تلك الأرض.

سارة... حكاية شعبية من الإمارات

فى قديم الزمان كان هنالك فتاة جميلة اسمها سارة، تعيش مع زوجة أبيها. كانت زوجة الأب امرأة متسلطة وقاسية وأنانية. كانت تكره سارة كراهية شديدة فتطلب منها القيام بكل الأعمال المنزلية وتقسو عليها وتنهرها ولا تلبسها ملابس جميلة كغيرها من البنات، وتناديها بأسماء وألقاب تحط من روحها المعنوية. تفعل كل ذلك عندما يكون الأب غائبًا، وعندما يحضر الأب، تتظاهر بالعطف عليها وحسن معاملتها.

وفى يوم من الأيام، وبينما كان الأب غائبًا فى العمل، تشاجرت زوجة الأب مع سارة، وضربتها وطردتها من المنزل.

ذهبت سارة هائمة على وجهها لا تدرى أين تذهب. مشت ومشت بعيدًا من المنزل، ومن الحي حتى تعبت أقدامها. وفى أثناء مشيها التائه هذا، وجدت حقلًا من البطيخ. وكان الظلام قد أشرف على الحلول بالحقل. فاختبأت فى داخل بطيخة كبيرة. حتى الصباح، وفى الصباح خرجت وأطعمت من الخضروات والفواكه وعادت فى المساء إلى البطيخة لتنام. ومرت أيام طويلة وهى تسكن فى البطيخة.

وفى ذات يوم كان الأمير راكبًا صهوة فرسه ومارًا مع حاشيته فى حقل البطيخ. عندما رأى الأمير هذه البطيخة الكبيرة أمر حراسه بقطعها. فاستل أحدهم سيفه بنية قطع البطيخة إلى نصفين. لكنه توقف فجأة لأنه سمع صوتًا رقيقًا بداخلها يقول: لا لا لا تقطع البطيخة من فضلك، أنا بداخلها.

وبعد حيرة قصيرة سألها الحارس: من أنت؟ اخرجي، لن أقطع البطيخة، وخرجت فتاة رائعة الجمال من قلب البطيخة، ما أن رآها الأمير حتى وقع فى حبها. وسألها عما أتى بها هنا، فروت له قصتها مع زوجة أبيها وهى تبكي من الحزن، فجفف دمعها ووعدها بالزواج.

وفى يوم غير بعيد، أقام القصر الولائم، عزفت الموسيقى وجاء الأمير وسارة فى أبهى حللها وسط الحشود إيذانًا ببداية حياة طويلة سعيدة، بحفل الزواج.

هانزل وجريتيل... (hansel and gretel:) **أسطورة شعبية أوروبية**

فى قديم الزمان عاش حطاب فقير قرب الغابة، ولم يكن يملك إلا القليل ليطعم زوجته وطفليه. كان الطفل يدعى هانزل والطفلة تدعى جريتيل، وكانت زوجة أبيهم تعتقد أنهما يأكلان كثيرًا.

وفى صبيحة أحد الأيام، وعندما بدأ الطعام بالنفاذ أيقظتهما زوجة أبيهم من النوم باكرًا جدًّا، أخذتهما بعيدًا داخل الغابة وقالت لهم أن يبحثوا عن حطب للموقد، كانت تدبر خطة ما. كذبت عليهما وقالت لهما: سوف أعود لاحقًا لكي أدلكما على طريق العودة، وتركت بعض الخبز لهما، عمل الطفلان بجد وهما يجمعان قطع الحطب ثم ارتاحا قليلًا ثم أكلا الخبز. بعد انتظار طويل نامًا وعندما استيقظا كان الظلام قد هبط. كانت جريتل خائفة، قال هانزل: لا تخافي لقد أسقطت قطعًا من الحصى على طول الطريق إلى هنا. تبع الأولاد قطع الحصى اللامعة، وجدوا الطريق إلى منزلهم، ولم تكن زوجة الأب مسرورة بذلك.

فى اليوم التالى ذهبوا إلى مكان أبعد فى الغابة، وهانزل يسقط قطعًا من الخبز على طول الطريق، ولكن عندما بحث هانزل وجريتيل عن قطع الخبز، كانت قد اختفت لقد أكلتها العصافير. بعد أن تجولا لساعات نام الطفلان المتعبان تحت الشجرة حتى الصباح، ثم مشيا حتى وجدا منزلًا مصنوعًا من الكعك.

صاح هانزل: وهو يصفق بفرح ياه! كم ستكون وجبة رائعة.. هيا نأكل.

قالت جريتيل: سوف أبدأ بالنافذة وبإمكانك أنت أن تتزوق السقف، إنه مصنوع من خبز الزنجبيل، وفجأة سمعًا صوتًا خافتًا من داخل المنزل: من الذى يقضم منزلي؟

توقف الطفلان عن الأكل، بينما خرجت عجوز بشعة المنظر إلى الخارج. ارتعد الصغيران من الخوف، ولكن المرأة العجوز ابتسمت فقط.

قالت العجوز: أيها المسكينان، أدخلا لكي تتناولا العشاء.

تبعها الطفلان داخل المنزل، ولكنها كانت ساحرة خبيثة وكانت تستعمل منزلها المصنوع من الحلوى لكى تمسك بالأطفال.

حبست الساحرة هانزل لوحده فى غرفة صغيرة، وبكت جريتيل كثيرًا لأجل أخيها. قالت الساحرة الخبيثة لجريتيل: يكفي يجب أن نجعل أخاك يسمن قبل أن نأكله. أصبحت الساحرة تقول لهانزل كل صباح: مد إلى يدك أو إصبعك لكى أتحسسه. كان هانزل يعرف أن الساحرة لم تكن ترى جيدًا، لذلك كان يمد لها عظمة صغيرة بدلًا من إصبعه فكانت الساحرة تظن أنه مازال نحيلًا.

مرت الأيام وتعبت الساحرة من الانتظار لذا طلبت من جريتيل أن تحضر لها الفرن للطهى. قالت الساحرة: تحسسى داخل الفرن لترى ما إذا كان ساخنا كفاية.

سألت جريتيل: ولكن كيف أفعل ذلك؟ قالت الساحرة: انظرى ومدت رأسها داخل الفرن، فدفعتها جريتيل بسرعة لداخل الفرن، ثم ركضت بسرعة لتحرر أخاها، وأخذوا كنز الساحرة واتجهوا نحو البيت.

على الطريق قابلا والدهما وكان يبحث عنهما منذ أن ماتت زوجته اللئيمة، ثم أعطى الطفلان كنز الساحرة لأبيهما ولم يعودوا فقراء أو جائعين منذ ذلك الحين.

العملاق الأناني... (th selfi sh giant) أسطورة شعبية أوروبية

في كل أصيل وإذ كان الأطفال يعودون من مدرستهم اعتادوا أن يذهبوا ويلعبوا في حديقة العملاق. كانت حديقة كبيرة جميلة ذات عشب أخضر رقيق وهاهنا وهناك فوق العشب كانت توجد أزهار جميلة كالنجوم وكانت توجد اثنتا عشرة شجرة خوخ تتفتح في الربيع عن أزهار رقيقة وردية اللون ولؤلؤلية وفي الخريف كانت تنتهج فاكهة غنية. كانت الطيور تجلس على الأشجار وتصدح بصوت بالغ العذوبة إلى الحد الذي اعتاد الأطفال معه أن يتوقفوا عن ألعابهم لكي يستمعوا إليها. وكانوا يتصايحون ويقول بعضهم لبعض: ماأسعدنا هنا، وذات يوم عاد العملاق. كان يزور صديقة الغول الكورني وكان قد بقي في زيارته سبع سنوات. وبعد أن انتهت هذه السنوات السبع كان قد قال كل ما كان يريد أن

يقوله؛ لأن حديثه كان محدودًا، وقرر أن يعود إلى قلعته، وحين وصل إليها رأى الأطفال يلعبون في الحديقة.

فصاح بصوت بالغ الخشونة: ماذا تصنعون هنا؟ فتراكض الأطفال بعيدًا. وقال العملاق: إن حديقتي ملك لي يستطيع أي امرئ أن يفهم ذلك، فلن أسمح لأحد بأن يلعب فيها عداي. وهكذا بني حائطًا عاليًا حولها وعلق عليها لافتة: المعتدون سيقعون تحت طائلة العقاب. لقد كان عملاقًا بالغ الأنانية. والآن لم يعد للأطفال المساكين مكانًا يلعبون فيه. لقد حاولوا أن يلعبوا على الطريق ولكن الطريق كان متربًا جدًّا ومليئًا بالأحجار الصلبة فلم يعجبهم واعتادوا أن يهيموا على وجوههم حول الحائط المرتفع عندما تنتهي دروسهم وأن يتحدثوا عن الحديقة الجميلة التي في الداخل وأن بعضهم يقول للبعض الآخر: كم كنا سعداء هناك، ثم أقبل الربيع في كل أرجاء الإقليم كان ثمة أزهار صغيرة وأطيار صغيرة ولكن الشتاء ظل باقيًا في حديقة العملاق الأناني وحدها، ولم تأبه الطيور بأن تصدح فيها بالغناء حيث أنه لم يكن هناك أطفال، ونسيت الأشجار أن تزدهر، وذات مرة أطلت زهرة جميلة برأسها من بين العشب غير أنها عندما أبصرت اللافتة اشتد حزنها على الأطفال إلى الحد الذي انزلقت معه عائدة الأرض مرة أخرى وأخلدت إلى النوم. أما الأشخاص الوحيدون الذين سروا فقد كانوا الثلج والصقيع. كانا يتصايحان: لقد نسي الربيع هذه الحديقة وعلى ذلك سنعيش هنا على مدار السنة.

كسا الجليد العشب بمعطفه الأبيض الكبير ولون الصقيع جميع الأشجار باللون الفضي. ثم دعيا ريح الشمال إلى أن تبقى معهما فجاءت. كانت ريح الشمال متسربلة بالفراء، وكانت تزمجر طوال اليوم حول الحديقة وتحطم أوعية المداخن وكانت تقول: هذه بقعة تبعث عليّ البهجة. ولابد من أن تطلب إلى البرد أن يزورنا وهكذا جاء البرد. وفي كل يوم وطوال الثلاث ساعات، كان يقعقع علي سقف القلعة إلى أن حطم أغلب ألواحها الإردوازية ثم ركض حول الحديقة بأسرع ما يمكن. كان يلبس ثوبًا رماديًا وكانت أنفاسه كالثلج. كان العملاق يقول: لست أستطيع أن أفهم السبب في أن الربيع يأتي متأخرًا على هذا النحو وهو يجلس إلى النافذة وهو ينظر إلي حديقته البيضاء الباردة: آمل أن يحدث تغير في الطقس. بيد أن الربيع لم يأت قط ولا الصيف. وسرعان ما منح الخريف فاكهة ذهبية لكل حديقة، ولكنه لم

يمنح شيئًا لحديقة العملاق. وكان الخريف يقول: إنه بالغ الأنانية وعلى ذلك فقد ظل الشتاء مخيمًا هناك على الدوام. وما لبثت رياح الشمال والبرد والصقيع والثلج أن رقصت عبر الأشجار.

وذات صباح كان العملاق يرقد مستيقظًا في فراشه حينما سمع موسيقى جميلة. ولاحت لأذنيه بالغة العذوبة إلى الحد الذي ظن معه أنها لابد أن تكون صادرة عن موسيقى الملك وهم يمرون. والواقع أنه لم يكن سوى عصفور صغير يصدع بالغناء خارج نافذته. غير أنه كان قد مضى زمن بالغ الطول منذ سمع طائرًا يصدح بالغناء في حديقته إلى الحد الذي لاح له صوته معه أجمل موسيقى في العالم. وعند ذلك توقف البرد عن الرقص فوق رأسه وتوقفت ريح الشمال عن الزئير وسار إليه عطر جميل من خلال النافذة المفتوحة قال العملاق: أعتقد أن الربيع قد أقبل في نهاية المطاف وقفز خارجًا من فراشه إلى الخارج فما الذي رآه رأى منظرًا مدهشًا غاية الاندهاش، فمن خلال ثقب صغير في الجدار كان الأطفال قد تسللوا وكانوا يجلسون بين أغصان الأشجار وفي كل شجرة يمكنه أن يراها كانت ثمة طفل صغير. كانت الأشجار بالغة البهجة بأن تجد الأطفال مرة أخرى إلى الحد الذي غطت معه نفسها بالأزهار وكانت تلوح بأذرعها في رفق من فوق رؤوس الأطفال وكانت الطيور تطير حول المكان وتزقزق في بهجة والأزهار تطل من خلال العشب الأخضر وتضحك، لقد كان منظرًا جميلًا غاية الأمر أن الشتاء كان مخيمًا في أحد الأركان. وقد كان ذلك هو أبعد ركن من الحديقة وفيه كان يقف صبي صغير كان من الضآلة إلى الحد الذي يمكنه معه أن يصل إلى أغصان الشجرة وأن يتجول حولها وهو يبكي في مرارة. وكانت الشجرة المسكينة ما تزال مغطاة بالصقيع والجليد ورياح الشمال تهب وتزمجر من فوقها، قالت الشجرة: تسلق أيها الولد الصغير وحنت أغصانها إلى أدنى ما تستطيعه ولكن الولد كان أضأل من يبلغها وذاب قلب العملاق إذ نظر حوله قال: كم كنت أنانيًا الآن أعرف لماذا لم يكن الربيع يأت هنا سأضع ذلك الولد المسكين على قمة الشجرة ثم أحطم الجدار وستكون حديقتي ملعبًا للأطفال إلى الأبد. لقد كان شديد الأسف حقيقة على ما فعله وهكذا زحف هابطًا وفتح الباب الأمامي برقة بالغة وخرج إلى الحديقة بيد إنه عندما أبصروا الأطفال اشتد بهم الخوف إلى الحد الذي تراقدوا معه بعيدًا وعاد الشتاء إلى الحديقة مرة أخرى. أما الولد الصغير فهو وحده الذي لم يرتعد لأن عينيه كانتا ذاخرتين بالدموع الحد الذي لم ير معه العملاق آتيًا

فتسلل العملاق من ورائه وأخذه برفق من يديه ووضعه فوق الشجرة. وفي الحال تفتحت الشجرة عن الأزهار. وأقبلت الطيور تصدح بالغناء من فوقها ومد الولد الصغير ذراعيه وألقى بهما حول عنق العملاق وقبلها. وعندئذ بصر بقية الأطفال أن العملاق لم يكن شريرًا عادوا يتراكضون ومعهم جاء الربيع. قال العملاق: لقد أصبحت الحديقة لكم الآن أيها الأطفال الصغار وتناول بلطة كبيرة وكسر الحائط وعندما كان الناس ذاهبين إلي السوق في الساعة الثانية عشرة وجدوا العملاق يلعب مع الأطفال في أجمل حديقة رأوها طوال حياتهم. وطوال اليوم ظلوا يلعبون حتى إذا جاء المساء أقبلوا على العملاق مزجين إليه تحية الوداع، فقال؛ ولكن أين رفيقكم الصغير إنه الصبي الذي وضعته فوق الشجرة لقد كان العملاق يحبه أكثر من غيره؛ لأنه قبله فأجابه الأطفال: لسنا نعلم فقد مضى بعيدًا قال العملاق: لابد لكم من أن تقولوا له أن يكون على يقين من أمر هو أن يأتي غدًا، ولكن الأطفال قالوا إنهم لم يكونوا يعرفون أين يعيش وأنهم لم يروه من قبل، فشعر العملاق أنه حزين غاية الحزن، وفي كل أصيل صيف كانت المدرسة تغلق أبوابها وكانت الأطفال يأتون ويلعبون مع العملاق ولكن الولد الصغير الذي كان العملاق يحبه لم ير قط بعد ذلك.

كان العملاق بالغ الرفق بجميع الأطفال ومع ذلك كان يتوق صديقه الصغير الأول، وكثيرًا ماكان يتحدث عنه، وكان من عادته أن يقول كم أود أن أراه مضت السنين وتقدم العملاق في السن وضعف. لم يعد بمقدوره أن يلعب أكثر من ذلك وهكذا جلس في مقعد كبير ذي مساند وكان يرقب الأطفال وهم يمارسون ألعابهم ويعجب بحديقته. أن لديي كثير من الأزهار الجميلة بيد أن الأطفال هم أجمل الزهور جميعًا وذات صباح في الشتاء أطل من نافذته إذ كان يرتدي ملابسه لم يكره الشتاء الآن؛ لأنه لا يعدو أن يكون الربيع نائمًا وأن الأزهار تستريح وعلى حين غرة حكك عينيه في دهشه فنظر ثم نظر من المحقق أن مارآه كان منظرًا مدهشًا. ففي أبعد ركن من الحديقة كان ثمة شجرة مكسوة تمامًا بأزهار بيضاء جميلة وكانت أغصانها ذهبية والفاكهة الفضية تتدلى منها ومن تحتها وقف الولد الصغير الذي أحبه. ركب العملاق هابطًا في فرحة كبري ومتجهًا إلي الحديقة وأسرع عبر العشب ثم اقترب من الطفل، وحين اقترب منه احمر وجهه غضبًا، وقال: تري من عساه يكون ذاك الذى جرؤ على أن يجرحك؟ ذلك أنه فوق راحتي يدي الطفل كانت ثمة آثار لمسارين وكانت آثار مسمارين القدم الصغير فصاح العملاق: تري من عساه يكون ذاك الذى جرؤ أن يجرحك؟. خبرني

حتي استل سيفي الكبير وأذبحه فأجابه الطفل: كلا إنما هذه جراح الحب، فقال العملاق من عساك تكون؟ وحل به رعب غريب فانحنى أمام الطفل الصغير وهنا ابتسم الطفل للعملاق وقال له: لقد تركتني ألعب ذات مرة في حديقتك واليوم ستأتي معي إلي حديقتي وهي الفردوس، وعندما رقد الأطفال في ذلك الأصيل عثروا علي العملاق يرقد ميتًا تحت الشجرة وقد غطته الأزهار البيضاء من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.



أساطير الفواكه والنبات

الرمان Pomergranate

شجر استوائي أو شبه استوائي من أشجار آسيا بعضه حلو المذاق والبعض الآخر حامض يذكر بكثرة في التراث اليهودي المسيحي على أنه الفاكهة التي أكل منها آدم وحواء، رغم أن سفر التكوين لم يحدد نوع الثمار التي أكلا منها، وكان الناس يعتقدون في بلاد ما بين النهرين أن الرمان يزيد القدرة الجنسية وفي التراث الشعبي في أوروبا أنك عندما تحلم بأكل الرمان فإن ذلك يعني أن الحب في الطريق إليك.



٢- البرتقال Orange

ورد في التراث الشعبي الأوربي أن آدم وحواء أكلا من شجرة البرتقال (بدلًا من التفاح) إذ لم يذكر سفر التكوين نوع الفاكهة التي أكلا منها كما ارتبط البرتقال بالعذراء مريم كرمز للطهارة والعفة والكرم واعتادت الساحرات في إنجلترا وإيطاليا على أن يكتب اسم الضحية على ورقة ويشبك بدبوس على البرتقالة، ثم توضع بعد ذلك في المدفأة حتى تحمر، وبذلك تموت الضحية.



٣- الفراولة Strawberry

ترتبط فاكهة الفراولة في الأساطير الإسكندينافية بإلهة الحب فريجا أما في التراث المسيحي فهي ترمز إلى مريم العذراء.

٤-البقدونس Parsley




عشب ارتبط في طقوس الأساطير اليونانية والرومانية بالموت والقيامة كما كانوا يزينون قبورهم بأكاليل من البقدونس والتعبير اليوناني الذي يقول عن شخص ما)أنه قريب من البقدونس (يعني أنه قريب من الموت وفي التراث العشبي الإنجليزي كانوا يعتقدون أن الأطفال يعثرون عليهم في فراش من البقدونس.

٥- البصل Onion



عرفت زراعة البصل منذ عهود الفراعنة ويقول بلوتارك في كتابه إيزيس وأوزريس أن الكهنة المصريين امتنعوا عن أكل البصل لأنه النبات الوحيد الذي ينمو في شحوب البقر. كما أنه في بعض الحالات يصيب المرء بالعطش. وفي حالات أخرى يجعل الدموع تنهمر من أعين من يأكلونه ويعتقد في بولندة أن مولد الطفل يكون أسهل لو أن المرأة الحامل جلست فوق دلو من البصل المغلي.

٦- الفجل Radish

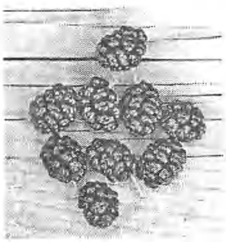
نبات حولي أو ثنائي الحول. أغلب الظن أنه مشرقي الأصل وهو أحد مكونات الوجبة التقليدية في احتفال اليهود بعيد الفصح ذكرى نجاتهم من الرق في مصر ويرمز الفجل في احتفالات الربيع اليوم على التجدد المستمر للخلاص البشري.

٧- شجرة السمن Rowan



نبات أحمر الثمار يعرف أنه رماد الجبل كانوا يعتقدون في العصور الوسطى أنه يرتبط بالوثنيين وأنه قوي ضد السحر وفي اسكتلنده كانوا يعلقون السحرة الذين يلمسون هذه الشجرة معتقدين أنهم عندئذ يمتلئون بالشيطان وفي الأساطير أن الصليب الذي كان يحمله المسيح مصنوع من شجر السمن وأسطورة أخرى تقول أن هذه الشجرة إذا ما نامت في المقابر حمت الموتى حتى يوم الدينونة.

٨- التوت Mulberry



شجرة تستخدم في تربية دودة القز ترمز في الأساطير اليونانية إلى الحب التراجيدي المفجع باعتبارها قد تشكلت من دماء عاشقين هما بيراموس وثيزبي.

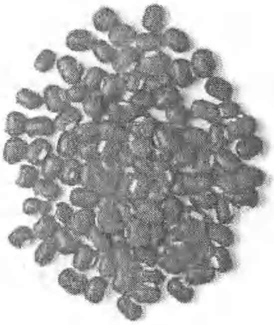
٩- الثوم Garlic



من التوابل ذات الرائحة النفاذة وكان الثوم في الحكايات الشعبية الأوربية يقي من الأرواح الشريرة التي يطردها بعيدًا، وذلك إذا ما وضعه المرء في صندوق صغير ولفه بخيط حول رقبته كما أن يستخدم بكثرة في الأدوية الشعبية فإذا لف الصبي حول رقبته عقدًا به سبعة فصوص ثوم قضى بذلك على ديدان المعدة وإذا شوي الثوم تحت الرماد ليلة القديس يوحنا وأكله في اليوم التالي كان وقاية من الحميات حتى الصيف التالي وإذا زين به مهد طفل ابعد عنه الأرواح الشريرة والحيات ومن أكل فص ثوم نيء صباحًا، اكتسب شجاعة طوال النهار وإن كان ذلك لا يحدث إلا في شهر أبريل وكان الأطباء في الحضارة الفرعونية يستعينون بالثوم في مقدرة حمل المرأة من عدمه فيقومون بوضع بعض من الثوم في العضو التناسلي وإذا ما خرجت الرائحة من الفم فهذا

دليل على صحة جسدها وقدرتها على الحمل كما أنه كان يوزع على بناة الأهرام من العمال ليمنحهم القوة والتحمل أثناء العمل.

١٠- العدس



نبات من البقوليات بذوره صالحة للأكل وهو طعام قديم ذكر العبرانيون في كتابهم المقدس عندما باع عيسو بكورته ليعقوب بصحن من العدس الأحمر وطبخ يعقوب طبيخًا، فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا فقال عيسى ليعقوب، اسقني من هذا الأحمر لأني قد عييت،فقال يعقوب بعني اليوم بكورتك.(الإصحاح الخامس والعشرون:٢٩ – ٣١)

و يذكر على أنه كان الطعام المفضل للملك لويس الخامس عشر وفي حكاية سندرها – التي انتشرت في جميع أنحاء العالم – تصور الفتاة وهي تلتقط حبات العدس من الرماد. وفي الأساطير الهندية حكمة تقول: الأرز غذاء طيب، غير أن العدس هو الحياة. ويروى عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قوله: أكل العدس يرق القلب، ويسرع الدمعة. كما روي عن أحد أنبياء بني إسرائيل أنه شكا إلى الله قسوة القلب وقلة الدمعة، فأوحى الله عز وجل إليه أن كل العدس. فأكل العدس فرق قلبه، وكثر دمعته ورؤية العدس في الحلم تَدلُّ على رزقٍ دنيء وعتابٍ لمن يبْطِرُ نعمةَ الله عز وجل.

١١ - الوردة Rosa



نبات شائك مع زهور رقيقة، يرد كثيرًا في الأساطير ويرتبط بصفة خاصة بالموت والقيامة والبعث وكان الرومان القدماء يضعون الورود على القبور ولا تزال المقابر السويسرية حتى الآن تُسمي حدائق الورود وترتبط الورود في الرمز المسيحي بمريم العذراء.

١٢- إكليل الجبل Rosemary

نبات عطري من الفصيلة الشتوية يرتبط في الأساطير الأوربية بإعادة الشباب والحب فهو في الأساطير الإنجليزية يمكن أن يجعل الرجل شابًا من جديد.

١٣- نبات الدبق Mistletoe



نبات طفيلي ينمو في أشجار مختلفة في الأساطير الأوربية هو نبات مقدس يرمز إلى الخصوبة والخلود ويعتقد البعض أنه يشفي جميع الأمراض ويعالج كل شيء وفي الأساطير الاسكندينافية إن هذا النبات مقدس عند الإله بالدور وفي الأساطير الرومانية اتحد هذا النبات مع الغصن الذهبي الذي اقتلعه البطل اينياس.

١٤- جنسنج Ginseng





نبات تشكلت جذوره بطريقة ما على هيئة الجسد البشري وهو موجود بصفة خاصة في الطب الشعبي ويقول الطب الشعبي الشرقي أنها تمثل معجزة في الشفاء من الاضطرابات العقلية، والصرع، والأرق، وأمراض المعدة فضلا عن الكوليرا والدستاريا والملاريا والتيفود، والأنفلونزا وغيرها من الأمراض المعدية، وفي كوريا عاش صبي في الخامسة عشرة من عمره اسمه كيم في كوخ متهدم مع والده المريض، وراح الصبي يصلي كل صباح لروح الجبل وذات يوم غلبه النوم وهو يصلي فظهر له روح الجبل وقاده إلى المكان الذي ينمو فيه نبات الجنسنج وبتوجيه من روح الجبل صنع الصبي من نبات الجنسنج شرابًا أعطاه إلى والدة فشفي لساعته وفي أسطوره أخرى من أساطير الشرق أن رجلًا فقيرًا اكتشف نبات الجنسنج فأراد بيعه في قريته بأسعار باهظة فقبض عليه وقدم للمحاكمة لكن الرجل أخفى النبات في

جيب سترته وعندما طلب القاضي أن يرى النبات كدليل إدانة أخرجه الرجل من جيبه وأكله في الحال فأصبح بالغ القوة حتى أنه ضرب حراسه وهرب.

للزهور حكايات وأساطير



تذكر الأساطير القديمة أن الزهور لم تكن إلا صبايا قتلهن الحب فتحولن إلى زهور لذلك فان أول تعبير يقوم به المحب هو إهداء وردة إلى حبيبه وفى محاولة للعودة إلى تلك الأساطير نستعرض أهم الزهور التي ارتبطت أسطورتها بالمرأة:

الياسمين:

فى أسطورة عربية تقول أنه كان في قديم الزمان صبية بدوية تعيش فى الصحراء اسمها ياسمين وكانت تغطى وجهها وشعرها بخمار شفاف وفى يوم من الأيام مر بتلك الصحراء أمير فلفتت انتباه تلك الفتاة المغطاة وجذبه غموضها فما كان منه إلا تقدم للزواج منها وبعد أن أصبحت زوجته وعاشت معه سنوات عديدة معه في القصر وجدت نفسها ضجرة من العيش سجينة ضمن جدران هذا القصر وهى التي تعودت على العيش في الصحراء التي لانهاية لها فما كان منها إلا أن هربت إلى واحة خضراء وخلعت خمارها معرضة وجهها للشمس فأخذت شيئا فشيئا تتحول إلى زهرة ذات رائحة شذية وهذه الزهرة هي الياسمين ومنذ ذلك الحين وزهرة الياسمين تعيش في المناطق الحارة وتذكرنا بتلك الفتاة التي أحبت الحرية والانطلاق أكثر من القصور.

النرجس:

حسب الأسطورة اليونانية فإن إحدى حوريات الغابة واسمها (الصدى) قد وقعت في حب (نرسيس) الذي منحته الآلهة جمالا فائقا وللحفاظ على جماله وشبابه لم يكن مفترضا أن يرى صورته معكوسة أبدا لكنه كان مغرورا فلم يهتم بمشاعر (الصدى) التي كانت من شدة

حبها له تلاشت ولم يبق منها إلا الصوت وشعرت الإله (نمسيس) بحال(الصدى) وقررت أن تثار لها فقادت)نرسيس) إلى بحيرة مضيئة وهناك رأى صورته فذبل وتلاشى لكن الآلهة اعتبرت أن (نمسيس) كانت قاسية في حكمها على (نرسيس) فقررت تحويله إلى زهرة وهى زهرة النرجس.

أما شجرة الغار:تذكر الأسطورة اليونانية القديمة أن (دافن) كانت من أجمل نساء عصرها فى اليونان القديمة حتى أن الأزهار النائمة كانت ترفع رؤوسها وتتفتح عند رؤيتها إلا أن)كيوبيد) الذي اشتهر بسهامه أراد تحدى (أبوللو) الذي كان معجب ب(دافن) فرمى بسهامه الفضية التي تملأ القلب بالكراهية إلى (دافن) فكرهت الحب وخافت من المحبين ولكي يزيد (كيوبيد) من مرارة (أبوللو) رماه بسهم ذهبي الذي يملا القلب بالحب فدخل الحب قلبه وهام ب(دافن) التي هرعت إلى والدها مستغيثة من هذا الحب الجارف وما كادت تنهى كلامها حتى تصلبت أعضائها وغارت قدمها في الأرض وصار رأسها أغصان شجرة متفرعة وبينما كان (أبوللو) يلاحقها أراد أن يرتاح قليلا في ظل الشجرة التي وصل إليها وما كاد يمد يده ليستند إليها حتى أحس بلحم يرتجف تحت قشرة الشجرة فعرف أن هذه الشجرة ليس إلا حبيبته فضم أغصانها بين ذراعيه وأقسم أمامها بالقول (بما أنك لن تكوني زوجتي الحبيبة فكوني شجرتي المفضلة وسأصنع من أغصانك تاجا أزين به رأسي وأزين به رؤوس الجنود في النصر) وأصبحت شجرة الغار ترمز إلى المجد والانتصار.

أما زهرة لا تنسيني:

تقول الأسطورة انه كان في احد الأيام شاب يتمشى مع خطيبته على ضفاف أحد الأنهار في سهل الدانوب وعلى ضفاف النهر كانت تنمو الزهور الزرقاء الصغيرة فأراد الشاب أن يقطف زهرة إلى خطيبته ولكن خطيبته رفضت أن يعرض نفسه للخطر وخاصة أن النهر كان قويا وبالرغم من اعتراض خطيبته إلا أنه عبر إلى الضفة الثانية وقطف لها من هذه الزهور لكنه أثناء عودته إليها جرفه التيار فانزلق وفى هذه الأثناء رمى الزهور إلى خطيبته وهو يصرخ إليها قائلا (لا تنسيني) ثم اختفى.

وبهذه القصة ننهى بها حكايات الزهور وأساطيرها.

أساطير الجنس

الأساطير.. Myths

Women also ejaculate during sexual intercourse.

النساء تقذفن أيضًا خلال اللقاء الجنسي

الحقائق.. Facts

Women do not ejaculate during sexual intercourse.

النساء لا تقذفن خلال اللقاء الجنسي، القذف هنا ليس كقذف الرجل ليس فيه بويضات مثل قذف الرجل المحتوى على حيوانات منوية، والقذف عند المرأة لمجرد ترطيب المهبل وليس للإخصاب وتحديد جنس الجنين، والقذف عند الرجل نهاية نشوة أما القذف المفترض الذي نتخيله قذفًا عند المرأة فهو بداية الإثارة مثله مثل مرحلة الانتصاب عند الرجل.

الأساطير.. Myths

Simultaneous orgasms are a must for sexual satisfaction.

لابد أن يحدث الأورجازم متطابقًا متزامنًا بين الرجل والمرأة حتى يتم الإشباع الجنسي

الحقائق.. Facts

Simultaneous orgasms are not necessary.

الأورجازم المتزامن غير ضروري للإشباع الجنسي.

الأساطير.. Myths

Only men have wet dreams.

الرجال وحدهم يحتلمون

الحقائق.. Facts

Women also experience nocturnal orgasms.

المرأة أيضًا لديها احتلام ليلي يصل إلى حد إثارة النشوة.

الأساطير.. Myths

Wet dreams are sexual disorders.

الاحتلام اضطراب جنسي

الحقائق.. Facts

Nocturnal emissions (wet dreams) are not a sign of sexual disorder. They are a part of normal sexual process.

الاحتلام ليس اضطرابا أو خللًا جنسيًا إنه جزء أصيل في العملية الجنسية والتطور الجنسي الطبيعي.

الأساطير.. Myths

One drop of semen is equivalent to ٤. drops of blood.

نقطة واحدة من السائل المنوي تعادل ٤. نقطة دم!!

الحقائق.. Facts

Completely unfounded. Semen is produced by testes، seminal vesicles and prostate gland and not directly by blood.

السائل المنوي يفرز من الخصيتين والحويصلات المنوية والبروستاتا وليس من الدم.

الأساطير.. Myths

Men have fixed quota of semen. If they masturbate، this quantity is quickly disposed of.

الرجل لديه مخزون ثابت من السائل المنوي، ولو مارس العادة السرية هذا المخزون سيقل وينقص ويتضاءل وينفذ بسرعة.

الحقائق.. Facts

There is no fixed quota of semen. From puberty to death، semen will be produced، provided the testicles are healthy.

لا يوجد ما يسمى بالرقم أو المخزون الثابت من السائل المنوي، فبداية من البلوغ حتى ما قبل الموت هناك إفراز دائم للسائل المنوي بشرط سلامة الخصيتين.

الأساطير.. Myths

Venereal disease occurs when god of love visits a man.

المرض التناسلي يحدث عندما يزور إله الحب الرجل المصاب!!.

الحقائق.. Facts

Venereal disease is produced by infective organisms.

المرض التناسلي يصاب به الإنسان سواء رجل أو امرأة من خلال كائنات دقيقة،بكتيريا أو فيروسات أو طفيليات أو فطريات،،الخ

الأساطير.. Myths

Venereal disease is cured if the man has sex with a virgin.

يشفى المرض التناسلي إذا مارس الرجل الجنس مع عذراء

الحقائق.. Facts

Not true. On the contrary the Venereal disease sufferer will transmit the disease to the virgin.

على العكس الرجل المصاب سينقل المرض إلى البنت العذراء

الأساطير.. Myths

Frequent masturbation makes the penis shrink.

ممارسة العادة السرية بصورة متكررة يجعل القضيب ينكمش

الحقائق.. Facts

Even when a person indulges in masturbation frequently، the penis never shrinks and becomes small. Once any part or organ of the human body has attained its maximum size، it will never become small unless it is partially cut off accidentally or surgically.

القضيب مثل أي عضو في جسم الإنسان لا يقل حجمه بعد أن يصل إلى حجمه الأقصى بكثرة الاستعمال،ممكن أن يحدث ذلك بالاستئصال!!

الأساطير.. Myths

Special food and exercise will make the penis grow big.

أكلات خاصة ومعينة وممارسة الرياضة تكبر حجم القضيب

الحقائق.. Facts

Not true. Whatever that is good for other body parts is also good for sex organs.

الغذاء الصحي والرياضة مفيدة للجسم ككل ولكن لا علاقة لها بحجم القضيب.

الأساطير.. Myths

Masturbation leads to nervous breakdown.

العادة السرية تؤدى إلى الجنون وفراغ الركبتين والانهيار العصبي،،الخ

الحقائق.. Facts

Not true.

العادة السرية مجرد درجة سلم في رحلة النضج الجنسي، نمر عليها ونتركها ولا نقف ونثبت عندها كثيرًا.

الأساطير.. Myths

Vasectomy makes a man impotent.

قطع الحبل المنوي للرجل يصيبه بالضعف الجنسي وربط قنوات فالوب عند المرأة تفقدها رغبتها.

الحقائق.. Facts

Sterilisation (vasectomy in male and tubectomy in female) does not reduce desire and performance. In fact، by removing the fear of pregnancy، sexual desire and the performance are increased.

لا تؤثر على الإطلاق في الرغبة أو الأداء بل على العكس أحيانًا عندما يزول خوف الحمل يتحسن الأداء الجنسي.

الأساطير.. Myths

Men have stronger sexual urges than women.

الرجل لديه رغبة في الجنس أكثر

(عندنا في المجتمع العربي يبررون بها تعدد الزوجات وأحيانًا يقولون العكس بأن المرأة رغبتها أقوى حين يبررون الختان!!)

الحقائق.. Facts

Not true. Sexual urge is equal in both the sexes.

الرغبة الجنسية متساوية في الجنسين

الأساطير.. Myths

Oral sex is a perverted act.

الجنس الفمى انحراف جنسي

الحقائق.. Facts

Oral sex is a normal act and may be practised when both partners are interested and free from infections.

الجنس الفمى جنس طبيعي لو رغب فيه الطرفان واستمتعا به وكانا خاليين من الأمراض الجنسية

الأساطير.. Myths

A normal man should be able to get an erection whenever he wants it.

الرجل الطبيعي ينتصب وقتما يحب ويشاء، يعنى بمجرد الأمر

الحقائق.. Facts

A man have an erection of the penis just by desiring it. The entire physiological sexual response should be gone through before an erection occurs.

الرجل الطبيعي ينتصب بالرغبة وفى إطار الدورة الجنسية الطبيعية.

الأساطير.. Myths

A man is not a male if he cannot get a penile erection.

الرجل ذكورته وفحولته ورجولته هى الانتصاب فقط.

الحقائق.. Facts

The masculinity of a person is not judged by the ability to get an erection. There are other criteria. Gender Identity(

الرجولة معنى كبير أكبر من مجرد الانتصاب، هى هوية

الأساطير.. Myths

A woman is not considered to be a female if she cannot conceive a child.

المرأة أنوثتها فقط في حملها وولادتها لطفل.

الحقائق.. Facts

The femininity of a person is not judged by the ability to conceive a child. There are other criteria. Gender Identity

الأنوثة غير الأمومة، هي أيضًا هوية

الأساطير.. Myths

Menopause puts an end to a woman's sex life.

انقطاع الطمث هو موت للمرأة ونهاية لها.

الحقائق.. Facts

Menopause is not the end of a woman's sex life. It is the end of her reproductive life only.

انقطاع الطمث ليس نهاية المرأة ولكنه نهاية فترة إخصابها فقط.

الأساطير.. Myths

Imparting sex education to youngsters will lead them to promiscuity.

التربية والثقافة الجنسية للأطفال والمراهقين ستنشر الفحشاء والفسق والعلاقات غير الشرعية.

الحقائق.. Facts

Talking to youngsters on sex or imparting sex education will not lead to promiscuity. Even without sex education، people indulge in promiscuity. In fact، more married people have promiscuous relations than youngsters. Educating the young on sex and sexual behaviour helps them to develop a healthy and positive attitude towards sexuality. More importantly، better interpersonal relationship will develop leading to a harmonious family and marital life.

التربية الجنسية ستجعل المراهق يعرف أكثر عن جسده وينجح في زواجه وينشئ علاقات جيدة ويصبح موقفه إيجابيًا وليس وسواسيًا تجاه الجنس.

أساطير الأبراج الإثني عشر

أسطورة الأسد: تحكى أسطورة برج الأسد أنه كان يوجد ملك ظالم وفاسد يعيش فى غابة تسمى نيميا، ولم يسلم أحد من شرور هذا الملك لذلك قرر الإله جوبيتر قتله وكلف هرقل وأحد الأسود بمصارعة هذا الملك الظالم حتى يتم القضاء عليه تمامًا ولم يكن هذا الأمر هينًا أو سهلًا، وبعد معاناة شديدة نجح هرقل والأسد فى هذه المهمة وتخليدًا لهذا الحدث قام جوبيتر برفع هذا الأسد إلى السماء. ألوان البرج: الأصفر الذي يعنى المال والذهب، الرمادي الذي يعنى الصفاء والغموض والسرور.

أسطورة السرطان: تحكى الأسطورة أن هيلدا إلهة الشر أرادت أن تنتقم من هرقل وهو يمارس هوايته فى السباحة. فاختارت سرطانًا من آلاف السرطانات التى تسكن البحار للقيام بهذه المهمة والقضاء عليه. وتشير الأسطورة أن هيلدا كانت تكره هرقل وتحقد عليه وتحسده لشجاعته وقوته وعنفوانه، ولكن هذا الأخير تمكن من سحق السرطان، ولم تتمكن هيلدا من تحقيق حلمها. وتخليدًا لذكرى هذا السرطان الشجاع الذي حاول مواجهة هرقل، قامت هيلدا برفعة إلى السماء، وكانت أسطورة السرطان. - ألوان البرج: الأبيض، وهو يرمز إلى السعادة، والصدق والفرح الدائم وطيبة القلب والعفوية والبراءة والوضوح

أسطورة برج القوس: القوس له اسم آخر وهو الرامى وقد رُسم قديمًا وهو يوجه سهمه للعقرب، ذلك البرج الذى يسبقه. وتقول أسطورة القوس إن مجموعة من النجوم جاءت لتنير الطريق للباحثين عن الفروة الذهبية لأنه كما سبق فى أسطورة برج الحمل أنه عندما أكمل الحمل المشوار مع فريكسوس بعد موت أخيه هيلا ووصل إلى منطقة كولشيش في البحر الأسود قدم فريكسوس الحمل قربانًا للآلهة وأخذ صوفه الذهبي ليقدمه هدية لملك المدينة. وأيضًا فى أسطورة برج العذراء كانت (ستريا) من الصاعدين إلى السماء للبحث عن الحب والسلام بعد أن استاءت الآلهة من سلوك البشر المليء بالعنف، وكانت إيزيس أيضًا تطارد الوحش (تايجون) وفى يدها ضمه من السنابل الذهبية والقوس لحماية الحب والسلام.

ألوان البرج: الأزرق حيث يرمز إلى الصداقة والقوة والحكمة والتفاعل الاجتماعي والنزعة الإنسانية. والأخضر حيث يرمز إلى النشاط وحب الخير والنماء والشرف.

أسطورة برج الجدى: تحكى الأسطورة أن الإله بان المعروف بطبيعته المزدوجة كان يتنزه قرب النهر وهنا تمكن تيفون عدو الآلهة من السيطرة على منزل بان وضمه إلى النهر ثم استطاع تغيير شكله حتى أصبح رأسه والنصف العلوي من جسده على شكل جدي، والجزء السفلى على شكل حيوان مائي. وكان لهذا الإله الذي أصبح جديًا مجموعة من النجوم تعد بمثابة البوابة التي تدخل منها أرواح بنى البشر إلى السماء، وعرف كذلك بأنه حارس السماء الواقف على بابها، وبيده السجلات التى يسجل فيها أسماء الداخلين إليها. لون البرج: الأسود ويدل على القوة والصلابة والحزن والسرية.

أسطورة برج العذراء: للعذراء أسطورتان، واحدة إغريقية والثانية مصرية. تقول الأسطورة الإغريقية إن الآلهة فى عصرها الذهبي وعصر الحب الجميل كانت تعيش وسط الناس، وكانوا يوزعون الحب وينشرون السلام على الجميع ويمنحونهم الدفء فى ليالي البرد القارصة. ولكن البشر لم يتنازلوا عن طباعهم العنيفة والمسيئة فغضبت الآلهة واستاءت من هذه التصرفات فصعدت للسماء ومعها ستريا إلهة العدل والسلام وأصبحت بعد ذلك رمزًا لبرج العذراء. أما الأسطورة المصرية فتقول إن إيزيس كانت تطارد الوحش تايجون وفى يدها سنابل القمح الذهبية فتساقطت السنابل من يديها وصعدت للسماء وكانت إيزيس رمزًا لبرج العذراء فى هذه الأسطورة. ألوان البرج: الأصفر ويرمز إلى المال والعزة والجاه. والبرتقالي ويرمز إلى العاطفة الجياشة والثقة والنشاط والحيوية

أسطورة الميزان: تحكى الأسطورة أن جوبيتر كبير الآلهة كان قد أجبر الإلهة تميس ابنة تيتة وأورانوس على تسليم نفسها له، فوضعت له ثلاث بنات هن: سلام وإنصاف وشريعة، وقد شاركت هؤلاء البنات فى ترسيخ طباع الميزان، أما أمهن تميس فهى تمثل العدالة التى تغطى عينيها وتحمل الميزان فى يديها، وتصدر حكمها بموضوعية وتجرد لأنها لا ترى القضايا بل تقيمها. وحينما صعدت ستريا العذراء إلى السماء حملت معها ميزان العدل وصار الميزان

رمزًا لبرج الميزان. ألوان البرج الأزرق ويعنى الصداقة والحكمة والإنسانية ورهافة الحس. والأخضر ويوحى بالحيوية والأمل فى الحياة وحب الخير والشرف وكراهية الشر

أسطورة الجوزاء: كان لكبير الآلهة جوبيتر توأمان من زوجة ملك أسبرطة ليدا اسمهما كاستور و بولاكس وكان يحبان البحث والاطلاع دون كلل أو ملل. وقد ذهب التوأمان فى إحدى المرات للبحث عن فروة الحمل الذهبية ومكثا هناك فترة طويلة من أجل ذلك، وخلال تلك الفترة بذلا جهودًا مستمرة، ولكن اليأس والخوف لم يعرفا طريقًا إلى قلبيهما. بل ظلا متماسكين ومترابطين فى الأفراح والأحزان، ومتعاونين فى كافة الأمور، إلى أن ماتا. وتخليدًا لذكراهما فقد رفعهما أبوهما جوبيتر إلى السماء وكانت أسطورة الجوزاء. الألوان المفضلة: الأحمر الذى يرمز إلى العواطف الجارفة والحب المشتعل والحيوية والتمرد. والأزرق ويرمز إلى الاستقرار والرزانة والصداقة وحب الناس، والبنفسجي ويرمز إلى الحكمة العميقة والحزن والضعف.

أسطورة الثور: تروى الأسطورة الإغريقية أن كبير الآلهة (جوبيتر) قد أحب فتاة من فينيقيا اسمها (يوروب) وكانت أجمل جميلات عصرها التى لا تقارن بجمالها وبهائها أي امرأة. وقد أحبها حبًا شديدًا وهام بها شوقًا حتى أن الكون أصبح خاتمًا فى يد محبوبته، وصار أمام حبها ضعيفًا مغلوبًا على أمره مصغيًا إلى أوامرها، فلا شئ ذو قيمة بجانب حبه لها. ولكى يلفت نظرها فقد تحول إلى ثور أبيض جميل ناصع البياض وكانت يوروب جالسة تشاهد جمال قطيع من الماشية، فاندس وسطه فلما شاهدت هذا الثور الأبيض لفت نظرها فذهبت إليه تتلمسه بأناملها فانحنى لها خشوعًا ودعاها أن تركبه ففعلت فما كاد يمشى قليلًا حتى انطلق بها فوق البحار والأراضى إلى أن وصل إلى جزيرة اسمها (كريت) فأنزلها برفق ورجع إلى صورته الأولى وباح لها بحبه وراح يبثها شوقه وكلما تكلم تفتحت النجوم وترنمت الرياح. ألوان البرج: الأخضر والأزرق بدرجاته والوردي وهذه الألوان ترمز إلى النمو والحيوية والأمل وحب الحياة والصداقة والرصانة والحكمة، وحب الناس، والشرف، والصدق والعاطفة الفياضة، والعناد والرومانسية.

أسطورة الدلو: تحكى أسطورة برج الدلو أن الإله أريكتونوس تزوج الإلهة كاليرويه ورزقا بفتاة أسمياها أوريتا وعندما كبرت أصبحت فى غاية الجمال ورآها نبتون يومًا وهى تملأ الدلو فأعجب بها وأرادها لنفسه. وفى ليلة استيقظت الفتاة وكان هناك هاتف يناديها فخرجت من بيتها الكائن على التل وذهبت للعين وكان شئ بداخلها يدفعها ونظرت إلى الماء فوجدت القمر يبتسم. مررت يدها ولكن يدًا أخرى دفعتها بعيدًا. وبعد أن استراحت قليلًا سمعت نفس الهاتف يطلب منها أن تحضر الدلو الجميل من المنزل فسارعت بإحضار الدلو وملأته من العين. قام نبتون بتحويل نفسه إلى فرس جميل وخطفها على ظهره وعندئذ وقع الدلو وتطاير الماء واختفت أوريتا فى السماء. وكانت هذه هى أسطورة برج الدلو. ألوان البرج: الأزرق والأخضر. والأزرق ويوحى بالصداقة والحكمة وحب الخير والنزعة الإنسانية والاجتماعية أما الأخضر فيوحى بالحيوية والنشاط وحب الخير وكراهية الشر والأمل فى الغد.

أسطورة برج العقرب: تقول الأسطورة أن العقرب المتحرر الذى يضرب ويلدغ فى كل الاتجاهات والذى لا يخضع لسيطرة أحد قرر ذات يوم أن يعيش فى سلام وأمان وكانت الوسيلة لذلك أن يقتل الصياد الذى يعتبره الخطر الحقيقى له. وبالفعل نفذ مخططه ولدغ الصياد فسقط قتيلًا وقد رفعت الآلهة الصياد والعقرب إلى السماء ووضعت كلا منهما فى منزلة مختلفة حتى لا يرى أحدهما الآخر. لون البرج: الأحمر يدل على الحيوية والنشاط والعواطف الجياشة والحب المشتعل والقوة والتمرد والعناء الشديد. والأزرق رمز

أسطورة الحمل: تروى أسطورة برج الحمل أنه كان للملك (تساليا) طفلان جميلان هما (فريكسوس وهيلا)، وكانت زوجة أبيهما تعاملهما معاملة قاسية ودائمًا تؤنبهما ولا يسلمان من أسلوبها الفظ. ولكن الطفلين كانا صامتين ويسألان الآلهة أن تخلصهما من هذه المرأة القاسية وعذابها وأن ترحمهما من جبروتها وتسلطها فهما لا يملكان قوة لمقاومتها،فأشفق عليهما عطارد رسول الآلهة وأرسل إليهما حملًا له صوف ذهبى من شمس يوليو لينقذهما. وكان على هذا الحمل أن يحمل هذين الطفلين بعيدًا عن زوجة الأب ليرحمهما من عذابها، وقد فعل وحملهما

فوق ظهره وعند مرور الحمل من المضيق الفاصل بين قارتى آسيا وأوروبا، أرادت (هيلا) أن تريح قبضة يدها وتصفف شعرها الذى كان قد تطاير فى الهواء إلا أن توازنها اختل وسقطت فى البحر وغرقت، حزن عليها (فريكسوس) ولكن الحمل أكمل مشواره معه حتى وصل إلى منطقة (كولشيس) فى البحر الأسود فقدم (فريكسوس) الحمل قربانًا للآلهة وأخذ صوفه ليقدمه هدية لملك المدينة فقام الملك بإكرامه وأحاطه بالمودة والدفء حتى لا يشعره بالغربة. لذلك قام جوبير بوضع الحمل بين النجوم اعترافًا له بفضله لتحمله المشاق والأهوال إلى أن أنقذ ولده (فريكسوس). ألوان البرج: البنفسجي والأزرق وهما يرمزان إلى الصداقة والحكمة وحب المجتمع والرزانة والحب الصادق والحزن والوهن والكآبة فى بعض الأحيان. واللون الثالث للبرج الأسود الذى يرمز إلى الحدة والقوة والوضوح والحسم والغموض.

أسطورة الحوت: يحكى أن فينوس إله الجمال، و كيوبيد إله الحب كانا يمشيان معًا على شاطئ النهر يكونان سيمفونية رائعة للحب والجمال والحياة السعيدة. وبينما هما كذلك إذ ظهر لهما وحش عملاق هو تايفون وبعد أن كانت ضحكاتهما تملأ المكان صارا يرتجفان خوفًا من نظرات تايفون لهما، فناداهما النهر، ودعاهما للاختباء فيه، فقفزا وتحولا إلى سمكتين بلون القمر، وصارت أسطورة الحوت أو السمكتين التى وضعها منيرفا إله الحكمة فى السماء تخليدًا لذكراهما. ألوان البرج الأزرق والأخضر: يرمز الأزرق إلى الصداقة والحكمة والنزعة الإنسانية والإحساس المرهف وحب الحياة الاجتماعية. أما الأخضر فيرمز للحيوية وحب الحياة والأمل فى الغد وحب الخير. الصداقة وعمق التفكير والرصانة.

أساطير طبية يعتبرها الأطباء حقائق

كشفت دراسة طبية جديدة أن الأطباء يقعون فريسة لأوهام أو مفاهيم طبية لا أساس لها. ومن المعلوم أنه بدون تعليم وتدريب طبي يصبح تمييز الحقيقة الطبية من الخرافة أمرًا صعبًا. لكن تبين مؤخرا أنه حتى الأطباء يرددون عدة أساطير طبية غالبا ما يقبلونها على أنها حقائق.

ويقول أحد مؤلفي الدراسة الدكتور آرون كارول، أستاذ طب الأطفال بمعهد ريجنستريف بإنديانا بولِس، إن المشكلة هي أن كثيرًا من الناس يأخذ مقولات الأطباء كمقدسات، لكنها في بعض الأحيان بدون أساس علمي.

لذلك يطالب كارول المرضى والأهل بأن لا يترددوا في السؤال عن الأساس العلمي لما يخبرهم به الأطباء، وأن يكونوا في غاية الصراحة والجرأة.

وقد تعرضت الدراسة المنشورة في المجلة الطبية البريطانية لست أساطير طبية تعتبر الأكثر شيوعًا.

أساطير شائعة

أولاها أن القراءة في الضوء الخافت تعطب البصر. وهي أسطورة سعدت بتداولها أجيال من الآباء والأمهات حول العالم، لكنها بدون سند علمي. فالقراءة في الظلام تجهد العين مؤقتا، لكن ذلك يزول سريعًا بالعودة إلى الضوء الساطع. وقد درجت العادة على تحميل الضوء الخافت مسؤولية زيادة حالات قصر النظر، وهي ادعاءات بلا أساس.

أما الأسطورة الثانية فهي خطورة استخدام الهواتف المحمولة في المستشفيات. فرغم اللوائح التي تحذر من استخدامها في معظم غرف انتظار الطوارئ، لم تجد الدراسات دليلًا على تداخل الهاتف المحمول مع الأجهزة الطبية.

ففي عام ٢٠٠٥، أجرت مايو كلينيك ٥١٠ اختبارات على ١٦ جهازًا طبيًا وست هواتف محمولة، ولم تزد نسبة تداخل الهواتف مع أجهزة هامة إكلينيكيا عن ١.٢٪. بينما لم تجد دراسة أخرى أجريت في ٢٠٠٧ أي تداخل لدى الاستخدام العادي للهاتف المحمول في ثلاثمئة اختبار في ٧٥ غرفة علاج أما الأسطورة الثالثة فنمو الأظافر والشعر بعد الموت، رغم أن هذا النمو عملية هرمونية بالغة التعقيد، ولا يمكن حدوثها بعد الموت. ويبدو أن مصدر الخرافة هو انكماش الجلد بعد الموت مما يوهم بأن الأظافر تنمو.

وتتحدث الأسطورة الرابعة عن أن الإنسان يستخدم ١٠٪ فقط من الدماغ، وهذه بدورها لا تستند لشيء فمختلف الدراسات التصويرية للدماغ تظهر عدم التعطل الكامل لأي جزء من الدماغ. وأخفقت الفحوصات التفصيلية للدماغ في الاستدلال على أن ٩٠٪ من الدماغ معطلة.

وربما تعود الأسطورة إلى بائعي زيت الأفعى، وهو مشروب كان يقدم في أوائل القرن العشرين على أنه محفز للطاقة العقلية.

وتتكلم الأسطورة الخامسة على ضرورة تناول ثمانية أكواب ماء يوميا على الأقل، وقد ورد عام ١٩٤٥ بمقال لمجلس الأبحاث القومي الأميركي أن الاحتياج المناسب يوميًّا من الماء للبالغين لتران ونصف، وأن معظم ذلك موجود في الطعام فعلًا.

وتشير الدراسات الراهنة إلى أننا نحصل على كفايتنا من السوائل يوميا من استهلاك العصير واللبن والشاي والقهوة، وأن زيادة استهلاك الماء تسبب التسمم المائي، وهو اختلال حاد بالكهرباء، حيث تتورم الخلايا بزيادة السوائل، وربما يؤدي ذلك إلى الوفاة. وتتحدث الأسطورة السادسة عن أن حلق الشعر يعيد نموه أسرع وأخشن.

لكن سواء أزيل الشعر بالشمع أو الحلق أو القص، فلن يغير ذلك من قوامه أو سرعة نموه مرة أخرى.

لكن شعر الساق سيبدو أخشن لدى بدء عودته للنمو. فالشعر يبدأ بالنمو غليظا ولم يتح له الوقت ليَبدو ناعما، لهذا قد يظهر غامق اللون. لكن عندما يطول ويتعرض للشمس سيعود تماما إلى طبيعته الأولى المصدر: الجزيرة

الخاتمة

لماذا ندرس الأساطير؟! لعله التساؤل الأول الذي يتبادر إلى أذهان الكثيرين،.فقد عفي الزمن على هذه القصص وتراكم عليها غبار القرون وفصلنا عنها اختلاف العقيدة والتدرج في سلم الرقي الاجتماعي والتقدم العلمي الذي نقلنا إلى عهد جديد أحل التفكير العلمي محل كل ضروب التفكير الأسطوري. وإن الإجابة على مثل هذا التساؤل يكمن في الأسطورة نفسها وذلك من خلال النقاط التالية:

أولا: دراسة الأساطير تمثل التفافًا نحو بواكير مراحل التفكير الإنساني، عندما طرح الإنسان أسئلته الأولى حول ماهية الكون وأصوله، والعلاقات التي تربط بين عناصره وتحدد علاقة الإنسان به وهي في شكل من أشكالها صورة من أخبار الأولين التي شغلت العديد من المؤرخين الذين استخلصوا منها الكثير من الدروس والمواعظ وألوانًا من الأفكار والمعتقدات بالإضافة إلى أن: هذا النمط من التفكير الأسطوري لا يزال يمثل الهيكل الأساسي في بناء عدد من الديانات المعاصرة التي يدين بها ما يقارب نصف سكان الأرض.

ثانيًا: إن هذه الأساطير التي نسميها يونانية تتصل بثقافتنا العربية بأسباب جغرافية وتاريخية. فالمسرح الجغرافي التي صيغت فوق وسادته قرونًا طويلة يفيض على المسرح الصغير المعروف بالجزر اليونانية وشبه جزيرة البيلوبونيز ليشمل المناطق العربية الممتدة الآن على شواطئ المتوسط – شرقيه وجنوبه، فقد كانت هذه المناطق تمثل في مجموعها وخلال أحقاب طويلة من التاريخ وحدة ثقافية متشابكة متفاعلة.

ثالثًا: إن فهم جوانب كثيرة من الشخصية الثقافية الأوربية يرتبط بفهم هذا التراث الأسطوري اليوناني القديم، فالأوربيون عامة يرون في اليونان باكورة صحوتهم الحضارية فالفكر والأدب – بفنونه الملحمية والمسرحية والعاطفية، والفلسفة والفنون بأنواعها التشكيلية والنحتية والمعمارية والموسيقى والنشاطات الاجتماعية والرياضية كانت ترتبط بهذه الأساطير بالإضافة إلى أن معرفة الأساطير تقدم لنا الكثير من أجل فهم آلاف القطع الفنية

والروائع المعمارية والنحتية والنقشية التي نراها مبثوثة فوق مدننا القديمة وفي متاحفنا، وقد صاغ أجدادنا هذه الروائع خلال فترات اتصالهم بالعالم اليوناني القديم.

رابعًا: إن الأساطير على الرغم من توالي الأزمنة ودورة العصور لا تزال تتوهج بالمعاني الإنسانية العميقة بفضل وفائها للجوهر الإنساني الأصيل وحضها الدائم على الالتزام بالخير ومحاربتها لكل ضروب الشر والنقائص ومن هذه الزاوية تكتسب الأساطير قيمة تربوية هامة فهي تأكيد على أن الإنسانية لم تحتفظ خلال مسيرتها الطويلة إلا بما يضمن الارتقاء بالإنسان والتسامي به وليس صعبًا علينا أن ننتزع هذه القشرة الوثنية الساذجة التي تكسو الأساطير والتي تجاوزها العقل والدين منذ عشرات القرون وننفذ إلى معانيها العميقة النبيلة. فالأسطورة، تجسيد للحياة الإنسانية في بحثها وتعثرها وفي أفراحها وأتراحها وتطلعها الأبدي نحو الأفضل واحتضان طموحات العقل الإنساني نحو اقتحام المجهول وتجاوز حدود الواقع وتحقيق الأحلام الباهرة، ولو في الخيال.

وعلى الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي يشهده العصر الحديث، لا يزال الإنسان مولعا بهذه الأساطير، التي تحقق له المتعة وتدفعه لمزيد من الإبداع والاختراعات، التي كانت في الزمن الغابر ضربا من الخيال، ينخرط بها في عصر العلم للوصول إلى كل ما هو خيالي ومستحيل.

وما هذا المجهود المتواضع إلا لبنة في هذا المجال الخصب، الذي لا يزال غضًّا طريًّا، وتحتاج إليه المكتبة العربية، كما أدعو الله عز وجل أن يكون هذا العمل في ميزان حسناتي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المراجع

- أساطير هندية – حكايات من الهند – فلاديمير ميلتيز – ترجمة خير الدين عبد الصمد
- أساطير من البلدان الاسكند نافية – غوين جونز – ترجمة محمد خالد الششتاوي.
- أساطير من تاريخ اليمن – حمزة علي لقمان
- أساطير فرعونية – أندريه مايكل.
- الأساطير الإغريقية والفرعونية – أحمد علي رحال.
- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية – روبير جاك تيبو – ترجمة فاطمة عبد الله.
- الأساطير في بلاد ما وراء النهرين – صمويل هنري هوك – ترجمة يوسف داوود عبد القادر.
- أساطير شعبية في قلب الجزيرة العربية – عبد الكريم الجهيمان.
- رواية أسطورة رأس ميدوسا – الدكتور أحمد خالد توفيق.
- صحيح البخاري – الجزء٣ – ص ٢٥٧.
- الذهبي – ترجمة جحا – الجزء٨ ص ١٧٢.
- الوفيات للصفدي – ترجمة أبو الغصن اليربوعي جحا – الجزء الأول ص ١٩٢٢.
- الشذا الفياح في علوم ابن الصلاح – إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الانباسي الجزء٢ص ٥٨٥.
- أخبار الحمقى والمغفلين – أبو الفرج الجوزي الجزء الأول ص ٤٤و٤٥.
- الأساطير – الدكتور أحمد كمال زكي.
- قاموس أساطير العالم – آرثر كوتل – ترجمة سهى الطريحي – الطبعة الاولى١٩٩٣.

- الأساطير – دراسة حضارية مقارنة– أحمد كمال زكي.
- أساطير من الشرق سليمان مظهر.
- أساطير من الغرب– سليمان مظهر.
- أساطير من بلاد ما وراء النهرين – ترجمتها ستيفاني دالي – نقلها للعربية نجوى نصر.
- أساطير هيرودوت أ.ج.ايفانس– ترجمة شفيق أسعد فريد.

- http://www.alamasry-alyoom.com
- http://www.balagh.com
- http://ros-watar-lily.maktoobblog.com
- http://www.islamonline.net
- http://ros-watar-lily.maktoobblog.com

- الأساطير اليونانية والرومانية – الأستاذ أمين سلامة.
- راجع الموسوعة لغويا الأستاذ عبد العليم غزي دمياط/ المياسرة

دون أساطيرك....



بعد أن قلبت بأناملك صفحات هذا الكتاب وقرأت ما راق لك أن تقرأ، لطفًا لا تغلق الكتاب، لا شك أن لك ملاحظاتك التي أعتز بها ونقدك الذي أنتظره، هنا دون ملاحظاتك، هنا دون اقتراحاتك، كن ناقدًا تواصل معي فلن يزيدني نقدك إلا تفتحًا وتقدمًا مدحًا كان أو قدحًا، فأنا أرحب به، هنا دون أسطورة أخرى أعجبتك وفيها عبرة، تواصل معي علي مدونتي. Saadr.maktoobblog.com

فقلبي يشتاق إلى كلماتك، تدفعني إلي الأمام، وتذكر دائمًا ذلك القول المأثور الذي حتمًا تحفظه: القراءة صيد والكتابة قيد...قيد صيودك بالحبال الواثقة

أبدأ لا تتردد ابدأ لا تتردد.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

الفهرس